كشف الشبهات

للإمام المجدد

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

شرح

فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر الحازمي

الشريط الأول

أ ح م د ا ل ح ا ز م ي

موقع

فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر الحازمي

http://www.alhazme.net

تَنْبيه :

الْمَادَّةُ الْمُفَرَّغَةُ لَمْ تُرَاجَعْ مِنْ قِبَلِ

فَضِيلَةِ الشَّيْخِ أَحَمْد الْحَازِمِيّ

شرح كتاب كشف الشبهات
شرح الشيخ احمد الحازمي حفظه الله

الدرس الاول
بسم الله الرحمن الرحيم

يقول : ما هي الفائدة من تحقيق الكتب وما هو التحقيق ؟ هل هو تخريج الأحاديث فقط أم ماذا ؟ وهل يجوز رمي الأوراق التي عليها آية أو بعض أسماء الله الحسنى ؟

لا ، لا يجوز ، يعتبر من باب الإهانة .

ما هو الشرح الذي يكون الاختبار منه إن شاء الله ؟

هل يستطيع الطالب الذي ليس معه إلا ((**الآجرومية**)) أن يحضر في .. ؟

قلت : على الطالب أن يفهم ((**الآجرومية**)) ويعربها ويعرب شواهدها . لم أفهم مرادك من قولك : يُعرب شواهدها .

شواهدها يعني : لو قيل الاسم كذا وأدخله في جملة اسمية تعرب الجملة ، تقول : الفاعل المرفوع مثل ماذا ؟ جاء زيد ، جاء فعل ماضي مبني على الفتح لا محل له من الإعراب ، وزيد فاعل مرفوع بجاء ، هذا المراد بإعراب شواهدها ، زيد لوحده ما يكون فاعل إلا بعد تركيبه في جملة فعلية ، أما لوحدها هكذا لا يكون فاعل ، كذلك اسم إن ، تقول : زيدًا . فقط منصوب ، ما صار اسم إن هذا ، لا بد أن تذكره في جملة تقول : إن زيدًا عالم . إن حرف توكيد ونصب لا محل له من الإعراب ، زيدًا اسمها منصوب بها ، وقائم مثلاً خبر .

أما هل يستطيع الطالب الذي ليس معه إلا ((**الآجرومية**)) أن يحضر الألفية ؟

هذا ذكرناه فيما سبق إذا درس ((**الآجرومية**)) درس جيد موسع ، وسمع الأشرطة التي لي والمذكرة إن شاء الله يكون طيب .

لماذا حُذف حرف العلة في الداعي في قوله تعالى : (**مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ**) [القمر : ٨] إلى الداعي (**الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**) [الرعد : ٩] هذا لغة في المنقوص .

- بالنسبة للمتن هل نحفظه أم نفهمه فقط بدون حفظ ما هو الكشف ؟

: افهمه ، فيه أصول وفيه شُبَه ، هل تحفظ الشبه .

- هل تنصحون الطالب أن يلتزم بشيخ واحد أو يدرس على عدة شيوخ ؟

: هذا يختلف ، إذا كان الشيخ يُدَرِّسُ أكثر العلوم فهذا الأصل أن يلتزم .

- ومتى نحكم بأن هذا الشخص من أهل العلم لأننا نجد إمام المسجد يقال له شيخ ويقبل رأسه أو أنه حفظ متنين يقال فيه ما سبق ؟

: على كلٍّ (**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**) [الطلاق : ٢] .

- أشكل عليَّ نقل الإمام الشوكاني رحمه الله ، الإمام مالك القول بعدم مشروعية الأذان في الصلاة المقضية مع قول الحافظ بأنه يقول : يؤذن للأولى والثانية ؟

: لأن قوله هذه #... طريقة فيما سبق أنا أذكر الذي يشتهر ، أنا أبحث هل هذا بالفعل قول مالك أو لا ، هذه ليست طريقة ، ولا أبحث مسألة واحدة ، وإنما ما اشتهر عند أهل العلم أنه قول مالك أذكره تقليدًا في هذا ، أقلده ، وإلا يذكر في المسألة أن فيها قولين مثلاً أو ثلاثة ، يكفيك ، يُشْرَع أو لا يشرع ، ولذلك نظرت في طريق الشيخ ابن عثيمين رحمه الله قبل أن يسمي ليس في الردود قبل أن يسمي في نسبة المذاهب فيقول : قال مالك كذا . وإلا نادر قليل الذي يضبطه فقط وما عداه يقول : وقال بعضهم كذا . وفي المسألة قولان : القول الأول والقول الثاني ما ينسب الأقوال ، لأن لو نُسب مثل هذه ، ينسب في موضع إلى الإمام مالك كذا ، وتجد نقل آخر عن مالك قول آخر أيهما أصح ؟ هذا يحتاج إلى بحث ليس بالأمر السهل ، وإذا أردت أن تبحث عن قول مالك في كل مسألة في الفقه ثم عن الشافعي ، وهو القول الجديد ثم هل ثبت عن بعض الصحابة وتبحث ما هو صحيح ، هذا يأخذ عمرك يحتاج إلى عمر كامل ستين سنة في توثيق الأقوال فقط ، ستين سنة في توثيق الأقوال وهذا ليس على #... إلا اللهم في مسألة عقدية نسب لشيخ الإسلام كذا نسب للإمام مالك كذا حينئذٍ تبحثها لا بأس ، لتنظر هل الاستدلال بها صحيح أو لا ، من حيث الردّ على المخالف ، وأما المسائل الفقهية فلا أرى أن الطالب

يشتغل في مثل هذه الأمور لأنها تحتاج إلى عُمُر ، نعم مذاهب الصحابة طيب يعرف عن الصحابي هل ثبت عنه هذا القول أم لا ؟

لأنه قد يعتبر تشريع وخاصة المسألة التي لم يكن فيها نص ، حينئذٍ قول الصحابي هل هو حجة أو لا ؟ فيبحث نعم ينظر في المصنفات ونحو ذلك ، هل هذا ثبت عن ابن عباس أو لم يثبت ، أو عن ابن عمر ففيه فائدة ينبني عليها ، أما هذا الشافعي قال بهذا أو لم يقل نقول : لا تبحث .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فنشرع في هذه الليلة بإذن الله تعالى في كتاب من كتب الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، وهو المشهور بـ ((**كشف الشبهات**)) ، ومؤلفه هو الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد التميمي رحمه الله تعالى رحمةً واسعة .

ولد في بلد عُيَيْنَة سنة خمسة عشر ومائة وألفٍ ، في بيت علم وشرف ودين ، فأبوه عالم كبير ، وجده سليمان كان في زمنه مفتي نجد وهو قاضيها ، وهو من سلاسة علمية ، وطالب العلم إذا نشأ في سلاسة علمية في الغالب يكون له شأن ليس كغيره ممن طلب العلم ، لأنه يترعرع في أحضان أهل العلم ، منذ أن ينشأ يكون في أحضان أهل العلم فحينئذٍ تكون الرعاية تامة ، بخلاف غيره ممن نشأ في غير ذلك .

حفظ القرآن قبل بلوغ عشر سنين ، ودرس في عدة علوم شرعية على عادة أهل العلم آنذاك ، فدرس الفقه حتى نال حظًا وافرًا ولقوة حفظه وبداهة ذكائه كان موضع إعجاب من والده .

ورحل بعد ذلك في طلب العلم في نواحي نجد ومكة ، وقرأ على علمائها ، ثم إلى المدينة فقرأ على علمائها ومنهم الشيخ العلامة عبد الله بن إبراهيم الشمري ، وعلى ابنه فرج بن [إبراهيم نعم] [1] عبد الله بن إبراهيم الشمري مؤلف الكتاب المشهور ((**عذب الفائض في شرح ألفية الفرائض**)) وهذا الكتاب مشهور عند الحنابلة لكنه جرى فيه على المذاهب الأربعة لم يختص بمذهب الحنابلة ، لكنه حقق المذاهب الأربعة على وجه التمام ، وقرأ أيضًا في المدينة على الشيخ المحدث محمد حياة السندي فقرأ عليه الحديث وأجازه بالأمهات ، ثم رحل إلى البصرة والحجاز مرارًا ، وعرج على الأحساء وأخذ عن علمائها .

وترجمة الشيخ رحمه الله تعالى مشهورة معلومة لكن ينبغي طالب العلم أن ينظر في أحواله مع معاملة المشركين ، وكيف قام لنصرة الدين الحق ، فإنه كان رحمه الله تعالى مجدد القرن الثاني عشر حيث نشأ في بلاد نجد ، وكانوا في أسوأ حال من جهة المعتقد ومن جهة الدنيا ، كانوا متفرقين يقتل بعضهم بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا هذا من حيث الدنيا ، وكذلك من حيث الدين فشا فيهم الشرك الأكبر بشتى صنوفه وأنواعه ، وكذلك الشرك الأصغر والبدع ونحو ذلك ، فقام فيهم على الجادة جادة أهل العلم فدعا كما دعا النبي ﷺ قومه إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وإفراده سبحانه وتعالى بالعبادة ، وهذا شأن الأنبياء والرسل وأتباع الأنبياء أن يبدؤوا بما بدأ الله به في دعوة الناس ، وخاصة إذا تبدل الدين وفشت فيه المنكرات والشرك ونحو ذلك ، فجمع الله عز وجل على يديه بمساندة بعض الولاة آنذاك في جمع كلمة المسلمين على التوحيد ، وهو مفهوم لا إله إلا الله أن لا يعبد إلا الله وأن لا يعبد إلا بما شرع ، وكان له من الأعداء ما سيأتي الإشارة إليهم - وقد أشار إلى بعض ذلك في ثنايا الكتاب - أن من دعا إلى ما دعا إليه النبي ﷺ لا بد من أن يقف في وجهه دعاة الباطل ، وهؤلاء في كل زمان وفي كل مكان ، وإما أن يكون هذا من جهة البغي والحسد كفعل أعداء الرسل ، وإما أن يكون من جهة فساد المعتقد لأن الذي يدعو إلى ذلك أحد هذين الأمرين ، فصبر ومضى ودعا إلى الله تعالى على بصيرة فنصره الله وهدم القبور التي تعبد من دون الله ، وألزم هو وولاة الأمور آنذاك الناس بسنة رسول الله ﷺ ، وهذا شأن هذا الدين لأنه ما اندرست معالمه إلا وقيض الله جل وعلا من يكشف عن هذه الأمة ما التبس عليه من دينه ، ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((وأئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والرحمة والعدل ، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين

([1]) سبق .

من البدعة ، ويعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم ، كما قال تعالى : (**كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ**) [المائدة : ٨] . يعني : ولا يحملنكم شنآن بغض قوم (**عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**) [المائدة : ٨] ، ويرحمون الخلق ، ومن أعظم رحمة الخلق أن يدعوهم إلى ما خلق الله عز وجل هذه الخليقة من أجله ، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم ، لا يقصدون الشر لهم ابتداءً ، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا)) . وهذا كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في بيان ما قد يكون من جهة أهل العلم في نصرة الحق وأهله .

هذا الكتاب كما عرفنا موسوم بـ ((**كشف الشبهات**)) .

موضوعه : يبحث في تقرير توحيد الرب جل وعلا ، قرره يعني : بينه على وجه صحيح ، لأنه كما مضى وكما سيأتي أن التوحيد هذا اللفظ قد يسلم به المخالف يقول : نعم من الدين ما هو توحيد بل الدين هو التوحيد ، ثم ينازع في هذا المفهوم ، وسبق معنا أيضًا أن هذا من الحقائق الشرعية ، فجاء اللفظ في الكتاب جاء اللفظ في السنة كما في حديث جابر : فأهل النبي ﷺ بالتوحيد . وسيأتي معنا « **فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يعبدوا الله** » . وفي رواية : « **إلى أن يوحدوا الله** » ، فجاء بالفعل . حينئذٍ اللفظ جاء في الشرع ، وإذا جاء اللفظ في الشرع سواء كان في كتاب أو سنة ولا يقدح فيه مجيئه في السنة دون الكتاب لأن الكتاب والسنة كل منهما مكمل للآخر ، بل السنة مكملة للقرآن . فحينئذٍ إذا جاء هذا اللفظ فنثبته كما هو لأنه من معالم العقيدة ، فإذا أثبتناه حينئذٍ نبحث عن معناه الشرعي ، فإن وُجِدَ له معنى في الشرع أثبتناه ونفينا كل ما قد يكون من جهة المعنى اللغوي ، ما قد يزاد على المعنى الشرعي ، فإذا لم يكن له معنى شرعي حينئذٍ رجعنا إلى لسان العرب فعرفنا هذه أو إطلاق هذا اللفظ في استعمال العرب ، فإن وُجِدَ له استعمال واحد أثبتناه ، وإن وجد له عدة استعمالات حينئذٍ ولم يكن ثَمَّ تنافي بينها قلنا : اللفظ يُحمل على جميع المعاني .

هذه قاعدة مطردة في العقيدة ، وفي الفقه ، وفي كل ما يمكن أن يكون من اصطلاحات أهل العلم .

فالتوحيد له مفهوم شرعي وهو لفظ شرعي ، المعتزلة لهم مفهوم في التوحيد ، وكذلك القبورية من المتصوفة ، والمتكلمين ، المتكلمون من الأشاعرة والماتريدية ونحوهم لهم مفهوم خاص سيأتي بيانه في محله لأن هذه الشبه التي وجهها شيخ الإسلام ليست للمشركين وللأسف ليست للمشركين ، هذا الكتاب رد على دعاة الفتن والسوء في ذلك الزمان ، وهم أنصار الشرك ، وهم من المنتسبين إلى الإسلام ، فحينئذٍ لما انتسبوا إلى الإسلام نظرنا في عقائدهم فإذا بها على عقيدة الأشاعرة ، والأشاعرة كما سيأتي أن مفهوم التوحيد عندهم منقوص يفسرون لا إله إلا الله بـ لا قادر على الاختراع إلا الله ، فردوه إلى توحيد الربوبية ، وهذا يقر به المشركون فلا فرق بينهم وبين المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ بإقرارهم بهذا التوحيد .

إذًا نحتاج إلى ماذا ؟ إلى قاعدة تأصل لنا ما هو التوحيد في فهم السلف الصالح ؟ ماذا أراد الله تعالى بـ لا إله إلا الله ؟

ماذا أراد النبي ﷺ في قوله : « **إلا أن يوحدوا الله** » ؟ .

لا بد أن نرجع إلى الكتاب والسنة فاحتاج المصنف قبل أن يبين الشبه التي تعلق بها المشركون آنذاك وردها ، أراد أن يبين لنا أصلاً أصيلاً وركنًا متينًا وهو تقرير التوحيد على وجهه الصحيح . ولذلك دائمًا تلحظ أن المصنف رحمه الله تعالى في سائر رسائله لا بد من سطر أو سطرين يعرف به التوحيد ، لأنه سينطلق من هذه الجملة ، جعله أصلاً له ، فإذا جعل مفهوم التوحيد الصحيح أصلاً له حينئذٍ صح الاعتماد عليه وطرده في جميع المواضع .

إذًا بَيَّنَ لنا في هذا الكتاب وهو أول غرض له تقرير التوحيد على الوجه الصحيح وعرفنا لماذا أراد أن يقرر لنا هذا الأصل من خلاف ، وسيأتي أن هذه الشبه التي أُورِدَت عليه إنما هي من علماء منتسبين إلى الإسلام ، وهم من حيث المعتقد أشاعرة وماترودية ونحو ذلك . إذًا ثَمَّ فارق بين التوحيد عند السلف وعند الخلف من الأشاعرة ونحوهم .

إذًا تقرير التوحيد توحيد العباد لذلك قال : (**اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله**) تعالى إفراد الله سبحانه وتعالى (**بالعبادة**) ، وفي بعض النسخ بالتعلق .

ثانيًا : بَيَّن نقيض التوحيد لأنه لا يفهم التوحيد على الوجه الصحيح الكامل ولو ادعى مدعٍ أنه قد فهم التوحيد على الوجه الصحيح دون النظر في معنى نقيضه فقد أخطأ ، لا بد أن يُنْظَر في النقيض ، إذ هما شيئان ، إما موحد ، وإما

مشرك ، لا توحيد إلا مع الخلوص من الشرك بحذافيره ، ومن وقع في الشرك فهو نقص في التوحيد ، إما من أصله ومن من جهة كماله .

إذًا الغرض الثاني في موضوع هذا الكتاب هو : إبطال ودفع الشرك في توحيد العبادة بعد أن بين أن النبي ﷺ إنما بُعث في قوم يقرون بتوحيد الربوبية كما سيأتي بيانه .

الثالث في موضوع الكتاب : أنه ذكر أشهر الشبه التي استند إليها أولئك الأقوام الذين تلبسوا بالشرك الأكبر ؛ لأن كل صاحب بدعة وضلالة لا بد وأنه يستند إلى علم يراه هو عِلْمًا ، ثم لا بد وأن تكون عنده حجة من لدن إبليس إلى أن تقوم الساعة ، ما من صاحب بدعة إلا وهو عنده من العلم والحجة (**خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**) هذه حجته ، وكل من ابتدع بدعة لا بد أنه يستند ويتكأ على مثل هذه الشبه ، فحينئذٍ نقول : هذه الأغراض الثلاثة لهذه الأغراض الثلاثة صنف المصنف الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى نُصرةً للدعوة السلفية صنف هذا الكتاب لتقرير معنى التوحيد ، توحيد العبادة ، وتممه ببيان نقيضه وضده وهو الشرك بحذافيره ، ولو على جهة الإجمال .

وثالثًا : ذكر بعضًا من الشبه وردها ردًا إجماليًا ، ثم تفصيليًّا- وسيأتي بينها على جهة التفصيل - .

فأهمية الكتاب تنطلق من معرفة هذه الأغراض الثلاثة التي ذكرناها فيما سبق ، ولذلك لما قدَّم مقدمة وهي معرفة التوحيد حينئذٍ نقول : لا إشكال في أن يدرس كتاب ((**الشبهات**)) قبل كتاب ((**التوحيد**)) ، وإن كان هذا المصنف ألفه رحمه الله تعالى بعد كتاب ((**التوحيد**)) ولما نشر كتاب ((**التوحيد**)) انتفض أهل البدع وأوردوا عليه من الشبه والاعتراضات فحينئذٍ ردها وفندها شبهةً شبة .

معرفة التوحيد على جهة الإجمال كما ذكره في الأصول الثلاثة وفي المقدمة التي ذكرها هنا تكفي لطالب العلم في فهم الشبه التي سيذكرها المصنف ، ولا داعي أن يقال لا بد أنه يدرس كتاب ((**التوحيد**)) حتى يفهم ((**كشف الشبهات**)) على وجه التفصيل ، نقول : هذا لا داعي له ، لأن التوحيد معنى واضح بين ، معنى واضح وبين ، فإذا عرف التوحيد عند السلف ، وعرف لماذا هؤلاء انتكسوا في مفهوم التوحيد من الأشاعرة وغيرهم ؟ حينئذٍ ضبط المسألة وعرف من أصله .

فكل إيراد يرد عليه حينئذٍ له جواب عنده .

والقواعد الأربعة كلها من شبه المشركين ، ولذلك سيأتي أنهم يفسرون أو يحتجون بأن إقرار بالخالق الرازق مع أنه لا خالق ولا رازق إلا الله عز وجل هذا من أعظم شبه الأشاعرة ، ولذلك حملوا قوله : لا إله إلا الله . لا خالق لا قادر على الاختراع إلا الله عز وجل ، فحينئذٍ نعرف مزية هذا الكتاب .

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ : وقد تكلم شيخنا في كتابه ((**كشف الشبهات**)) على أكثرها - يعني : على أكثر الشبه . - لأنها مستندة بعضها ينشق عن بعض ، وهي تتوالد - كما يقول ابن القيم : السيئة تقول : أختي أُختي - كذلك الشبه فراجعه إن شئت فإنه مفيد مع اختصاره ولطافة حجمه . هو كتاب صغير .

وقال الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله : وهذا الكتاب مع قصره من أنفع الكتب لأنه يذكر فيه شبه المبطلين من عباد الأصنام والمتوسلين بغير الله ، يذكر شبههم ويجيب عليها شبهةً شبهة ، ولذلك سُمِّيَ الكتاب بـ ((**كشف الشبهات**)) . ولهذا الكتاب يعتبر من أحسن كتب الردود على أهل الشرك في بطلان ما احتجوا به .

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى : ((**صنف الشيخ رحمه الله تعالى ((كشف الشبهات)) وذكر الأدلة من الكتاب والسنة على بطلان ما أورده أعداء الله ورسوله من الشبهات - أعداء الله ورسوله يقصد من ؟ دعاة الشرك وهم ينتسبون إلى الإسلام - فأدحض حججهم وبين تهافتهم ، وكان كتابًا عظيم النفع على صغر حجمه ، جليل القدر ، أنقمع به أعداء الله ، وانتفع به أولياء الله فصار عَلَمًا ينتفع به الموحدون - أو عِلْمًا يقتدي به الموحدون - وسلسبيلاً يرده المهتدون ، ومن كوثره يشربون ، وبه على أعداء الله يَصُلُون ، فلله ما أنفعه من كتاب ! وما أوضح حججه من خطاب ! لكن لمن كان ذا قلب سليم وعقل راجح مسقيم**)) . قال ناظمه :

فذا الكتاب حجمه صغير   لكنه في علمه كبير

وفي بعض النسخ لكنه في علمه غزير .

فحينئذٍ نعلم أن هذا الكتاب له أهمية كبرى ، فينبغي على طالب العلم أن يعتني به عناية فائقة ، وخاصة الآن لا يقال بأن الشرك قد زال ، وبأنه لا يوجد ، لا ، نقول : وُجِدَ أهل البدع في كل زمان وفي كل مكان ، حينئذٍ دعاة الشرك لا ينكفون عن دعوتهم الباطلة ونشرها بين الناس .

هذا على الكتاب على صغر حجمه كما ذكرناه يشتمل على أقسام ، ذكر فيه مقدمة في أوله ، وهذه المقدمة هي أهم ما يعتنى به لضبط الشبه ، لأنه أَصَّلَ فيها أصولاً وقَعَّدَ فيها قواعد ،، وهذه القواعد بضبطها وهذه الأصول بضبطها حينئذٍ تُرَدُّ الشبه إليها ، الشبه لا تنكشف هكذا ابتداءً ، ليس هو وحي وفتح من النفس وإلهام ، لا ، نقول : لا بد من رجوع إلى كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله ﷺ وفهم سلف الأمة . حينئذٍ نقول : هذا التأصيل الذي قَعَّدَهُ المصنف رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه هو العمدة في فهم الكتاب ، ولذلك سنركز عليها أكثر من الوقوف على نفس الشبه .

إذًا مقدمة بَيَّنَ فيها ماذا ؟ بَيَّنَ فيها توحيد الإلوهية وعرفه وأنه دين الرسل أجمعين ، وبَيَّنَ اعتقاد المشركين في زمن الرسول ﷺ أول ما نشأ الشرك ، وأن اعتقاد المشركين في زمن الرسول ﷺ إنما هو توحيد الربوبية ، وبَيَّنَ فيه معنى الإله - وهذا أيضًا سيأتي معنا - الفرق بين الرب والإله ، وهو ما دار عليه الأشاعرة وانحرفوا في فهم ، فسروا الإله بمعنى الرب بمعنى الخالق - كما سيأتي في محله - وكذلك الجهل والتأويل وسنن الله تعالى في عداوة أهل الباطل .

القسم الثاني في الكتاب : ذكر شبه المعارضين وردها وفندها من طريق الإجمالي وركز عليه وأثنى عليه ، ثم الطريق التفصيلي .

الخاتمة وهي القسم الثالث من الكتاب : وبين فيها أهمية التوحيد وركنية العمل به ، ورد على المرجئة بأنه عندهم يكتفى بالاعتقاد والقول دون العمل - وسيأتي بيانه في محله - .

هذا الكتاب شرح عدة شروح وأكثرها مسجل لأنه كتاب مختصر ، وكثر تدريسه في الدورات ونحو ذلك .

تاريخ التأليف : قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن في ((**مجموعة الرسائل والمسائل النجدية**)) في الجزء الثالث عند ذكر مبدأ دعوة الشيخ رحمه الله فقال : إنه قدم على أبيه وأهله ببلدة حريملاء ، فناداهم بالدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك والبراءة منه ومن أهله ، وبَيَّن لهم الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وكلام السلف رحمهم الله ، فقبل منهم من قبل وهم الأقلون - وهذه سنة الله تعالى في الرسل وأتباع الرسل - وأما الكبراء والظلمة والفسقة فكرهوا دعوته فخافهم على نفسه ، ثم رحل من حريملاء إلى عُيَيْنَة وأتى العيينة وأظهر الدعوة بها وقبل منه كثير منهم حتى رئيسهم عثمان بن أحمد بن معمر ، ثم إن أهل الأحساء وهم خاصة العلماء أنكروا دعوته وكتبوا شبهات تُنْبِأ عن جهلهم وضلالهم ، ولذلك قيل بأن هذا الكتاب كما ذكر في الثلاث الشبه الأُوَل أنها ردّ على علماء الأحساء .

أما أسماء الكتاب فالمشهور أنه ((**كشف الشبهات**)) جمع شبهة - كما سيأتي بيانه - وشبهات جمع قِلة ، وهو ذكر أكثر من عشرة أو عشر شُبَهٍ - سيأتي في محله - أوصلها بعضهم إلى خمسة عشر شبهة ، وشبهات جمع قِلة يعني : من عشرة فما دون هذا على المشهور عند من ؟ عند النحاة ، ولكن له اسم آخر اسمه ((**كشف الشبه**)) فُعَل كرُكْبَة شُبْهَة ورُكَب ، يُجمع على فُعَل ، وهذا لو وجد أنه لو استعمال قليل فهو أولى من التعبير بالشبهات ، لكن الاسم المشهور هو ما ذكرناه ، سماه بذلك الشيخ سليمان في ((**تيسير العزيز الحميد**)) في باب من الشرك أن يستغيث بغير الله .

وكذلك من أسمائه ((**كشف شبه المرتاب**)) ذكره سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في ((**التوضيح عن توحيد الخلاق بجواب أهل العراق**)) حيث قال : ومنها ((**كشف شبه المرتاب**)) مصدرة في معرفة بيان حقيقة التوحيد وما هو حق الله على العبيد وكيفية الشرك الذي قال الله عنه : (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**) .

هذه ثلاثة أسماء مشهورة عند أهل العلم ، وأما كشف الشبهات وادحاض الضلالات ، هذا وجد في بعضهم النسخ فلا يعتمد .

وكذلك نُظِمَ الكتاب نظمه الشيخ الطيب في أربعمائة خمس وثمانين بيت لكنها قصيدة مطولة ، ولكن لا يحتاج الكتاب إلى حفظ نظم ، إلا اللهم إذا كان من باب الانتقاء ، وأما ما عدا ذلك فالأصل فيه أن يبقى على فهم هذه المسائل .

عرفنا أن اسمه المشهور ((**كشف الشبهات**)) وهو عبارة عن رد الشبهات التي أثيرت حول دعوة التوحيد الذي قام بها الشيخ ، الشيخ رحمه الله تعالى فهم التوحيد على طريقة السلف ، فدعا فلما دعا خالف ما عليه أهل الأهواء ، وإذا كان كذلك حينئذٍ شنوا عليه الغارات وأبدوا له بعض الشبهات اعتراضًا على دعوته ، فألَّفَ هذا الكتاب رحمه الله تعالى .

ويراد بالكشف ((**كشف الشبهات**)) المراد بالكشف إزالة الغطاء عن الشيء ، والشبهات جمع شُبْهَة فُعْلَة بضم الشين ، وهي الأمر الْمُشْتَبِهُ الْمُلْتَبس الذي لا يُدْرَى هل هو حق أم باطل ؟

يلتبس على الناس هل هذا مشروع أم لا ؟

هل هذا حلال أم لا ؟ هل هذا حق أم باطل ؟

حينئذٍ إذا اشتبه الأمر على الناس نقول : هذا يسمى شبهةً فيه التباس وخلط بين الحق والباطل ، ومنه حديث : « **إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات** » . مشبهات « **لا يعلمهن كثير من الناس** » . إذًا هذه وسط لا يُدْرَى هل هي حلال أم حرام ؟ لا يدرى هل هي حق أم باطل ؟ في باب الفروع يقال : حلال أم حرام ؟ وفي باب المعتقد يقال : حق أم باطل ؟

قال في القاموس : الكشف كالضرب والكاشفة الإظهار . الكشف كالضرب يعني : فَعْل . والكاشفة الإظهار ، ورفع شيء عن ما يواريه ويغطيه كالتكشيف ، وفي المفردات كشفت الثوب عن الوجه وغيره ويقال : كشف غَمَّهُ . قال تعالى : (**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ**) [الأنعام : 17] ، [يونس : 107]

لا رافع ولا مزيل لهذا الضُّرَّ (**إِلَّا هُوَ**) ، (فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ) [الأنعام : 41] ، (**وَيَكْشِفُ السُّوءَ**) [النمل : 62] (**فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ**) [ق : 22] . إذًا هذه المادة جاءت في القرآن بمعنى الإزالة ورفع الشيء عن الشيء ، وقال : الشِّبْهُ وَالشَّبَهُ وَالشَّبِيه حقيقتها في المماثلة من جهة الكيفية كاللون والطعم ، وكالعدالة والظلم ، اللون والطعم في المحسوسات ، والعدالة والظلم في المعقولات ، والشُّبْهَةُ فُعْلَة هو أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر لِمَا بينهما من التشابه عينًا كان أو معنًى ، قد يكون تشابه بين شيئين عينًا ذاتًا ، وقد يكون معنًى ، يعني : شيء معقول لا يدرك بالحس ، قال : ومنه (**وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا**) [البقرة : 25] أي : يشبه بعضه بعضًا لونًا لا طعمًا وحقيقةً ، وهذا في ماذا ؟ في العين (**وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا**) يعني : في الجنة ليس الطعم هو الطعم ، وإنما الشكل فقط ، نقول : هذا تشابه عيني ، وقوله : (**تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ**) [البقرة : 118] أي : في الغي والجهالة هذا أمر معنوي معقول ليس محسوسًا كالأول ، إذًا استُعمل التشابه والمشابهة في ماذا ؟

في الشيء العيني (**وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا**) ، وفي الشيء المعنوي (**تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ**) في ماذا ؟ في المرض مثلاً في النفاق هذا أمر معنوي ، وفي القاموس : فَتَشَابَهَا وَاشْتَبَهَا أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا ، وأمور مُشْتَبِهَةٌ ومُشَبَّهَة كمُعَظَّمَة مشكلة والشُّبهة بالضم الالتباس ، وشُبِّهَ عليه الأمر تشبيهًا لُبِّسَ عليه وفي ((**المعجم الوجيز**)) الشبهة الالتباس ، وفي الشرع : ما التبس أمره فلا يُدْرَى أحلال هو أم حرام ؟ وهذا قد يلتبس على العاميّ وقد يلتبس على من هو منتسب إلى العلم ، يعني : طالب العلم قد يلتبس عليه بعض الأمور وتشتبه وتتشابك ، فحينئذٍ لا يُظَنُّ بأنه قد يسلم من الوقوع في الشبهة وإنما تكون الشبهة - كما سيأتي - بريدةً إلى الكفر أو النفاق أو البدعة . الشبهة الالتباس ، وفي الشرع ما التبس أمره فلا يُدْرَى أحلال هو أم حرام ؟ وحق هو أم باطل ؟ والجمع شُبَهٌ فُعَل ، والكشف يَتَعَدَّى بنفسه وبغيره ، يقال : كشف الشيء نصبه بنفسه ، وكشف عنه كشفًا رفع عنه ما يواريه ويغطيه ، فيقال كشف الأمر وعنه أظهره ، وكشف الله غَمَّهُ أزاله .

وعرف ابن القيم رحمه الله تعالى الشبهة تعريفًا شرعيًا في ((**مفتاح دار السعادة**)) وله بحث في ((**الإغاثة**)) في آخر الجزء الأول قال : هي وارد يَرِدُ على القلب . وارد يعني : أشبه ما يكون بالخاطر في أوله يَرِدُ على القلب لأنه الشبهة محلها القلب هذا الأساس ، ولذلك القلب تعتريه فتنتان :

الأولى : الشبهة ومحلها المعتقد .

والثانية : الشهوة .

كل منهما وارد على القلب ، ولذلك قال رحمه الله : وارد يَرِدُ على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق ، كأنه شيء يكون على القلب يَصُدُّ القلب من أن يدرك هذه الشبهة هذا الحق ، حينئذٍ صار التباس عنده بهذا الوارد ، والشبهات أحد نوعي الفتن التي تَرِدُ القلوب شهوة أو شبهة ، هما اثنان ، والشهوة أخف من الشبهة - كما سيأتي كلام ابن القيم رحمه الله تعالى - ، وسبب الوقوع في الشبهة أحد أمرين :

إما قلة العلم .
وإما ضعف البصيرة .
ومآل الشبهات واحد من ثلاثة أمور يعني : إذا ورد هذا الوارد عن القلب ما النتيجة ؟ إذا لم يعالج نفسه ويُدرك أن هذه الشبهة لا بد من إزالتها ، وكل شبهة لها علاج في الكتاب والسنة - الحمد لله - ليس ثَمَّ أمر يلتبس ولا علاج له في الكتاب والسنة ، لكن كما ذكرنا نقول : لقلة علمه وقلة بصيرته وفهمه يقع في هذه الشبهة وإلا لو عرض ذلك على من هو أرسخ منه في العلم لانكشفت عنه الشبهة ، لكن باعتباره هو إن لم يُزل هذه الشبهة فمآله إما الكفر ، وإما النفاق ، وإما البدعة ، ولا نقول الفسق ، لأن هذا له الشهوة الذي هو أحد ماذا ؟ واردي القلب ، فتنتان شهوة وشبهةٌ ، ولا نجاة من الشبهات إلا بالعلم الشرعي ، وكل ما كَمُلَ الإنسان عِلْمًا وعَمَلاً كان أبعد عن الشبه ، ولا كمال في العلم والعمل إلا بتجريد الإخلاص لله عز وجل في حياته كلها ، وبتجريد المتابعة للنبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا ، وإذا وقع في الشبهة فثَمَّ خلل في هذين الأمرين ، لا بد من تجريد الإخلاص من أي شائبة من شوائب الدنيا وأغراض النفس وحظوظها ، ولا بد من تجريد المتابعة للنبي ﷺ ، وألا يكون في قلبه شيء أعظم من الحق ، ومعرفة الحق تكون أحب إليه من كل شيء .
((**كشف الشبهات**)) عرفنا أنه ردّ من المصنف رحمه الله تعالى على علماء عصره من المنتسبين إلى الإسلام ، وعرفنا أن هذه موجهة للمسلمين يعني : هذا الكتاب لم يؤلف لردِّ شبه اليهود والنصارى ، فحينئذٍ نقول : كشف الشبهات والرد على المخالف من أصول الدين والأحكام المعلومة من الدين بالضرورة ، لأنه لا يُحفظ الإسلام ولا يُرَدُّ كيد الأعداء إلا بالذب عن العقيدة ، وإلا بالذَّبِّ عن فروع الشريعة ، يعني : الرَّدّ قد يكون في أصل المعتقد وقد يكون في ما دون ذلك ، حتى في الأخطاء التي يمكن أن يكون صاحبها مجتهدًا ولكن قد أخطأ في النتيجة ، حينئذٍ الأصل فيه وجوب الرد وبيان الحق لينكشف أمره للناس ، لأن ثَمَّ أمرين :
حق لمن وقع في البدعة ، وحق للدين ، وحق للعامة المسلمين ، ثَمَّ حقوق فإذا وقع الواقع في البدعة ، فحينئذٍ له حق هذا الحق معارض بحقين :
حق الرب جل وعلا وحماية دينه والذب عنه وعن شريعته .
وحقوق العامة فإذا لم يُبَيّن خطؤه وتنكشف بدعته فحينئذٍ وقع اللبس في نسبة هذه البدعة إلى الشرع ، لأن الناس إذا تُرِكُوا وهذه الشبهة وهذه البدعة ظنوا أنها من الدين ، وإذا كان كذلك حينئذٍ أدخل في الدين ما ليس منه ، فهل يُرَاعَى حق المبتدع فيقال : هو مسلم فنكف ألسنتنا عنه ؟ أم نراعي حق الدين فننفي عنه ما ليس منه ؟
حينئذٍ لا شك أننا نقدم ماذا ؟ حق الدين .
كذلك العامة عامة المسلمين لهم حق على أهل العلم ولهم حق على طلاب العلم ، إذا سكتوا عن البدعة وحفظوا حقه وقالوا : لا نتكلم فيه ولا نشهره به ولا نرد بدعته ، حينئذٍ هذه البدعة تنتشر وإذا انتشرت تلبس بها العامة ، ونحن ننظر في المسألة في كون المبتدع من العلماء ، أليس كذلك ؟ حينئذٍ العامة إذا نظروا إلى هذا المبتدع ولا يعلمون أنها بدعة هي قد التبست عليه هو وهو من المنتسبين إلى العلم فحينئذٍ العامة يُقلدون هذا المبتدع فيتلبسون بالبدعة ، فحفظًا لحقوق العامة وجب رد البدعة ، لأنه قد تكون عند بعض الطلاب شبهة ، هم عندهم بعض الشبه في مثل هذه الأمور كيف يُرد على المبتدع وعلى داعية الضلالة والفتنة وما قد يكون من دعوته أو أنه مجتهد أو أنه ما قصد أو .. أو .. إلى آخر المعاذير من التخذيل والسكوت عن الرد احتجاجًا بمثل هذه الأمور ، نقول : هذا الحق لو وُجِدَ وسُلِّمَ به وإن كان في الأصل الحق له بأن يُنْكَرَ عليه وتُبَيَّن بدعته هذا من النصح له ، لماذا ؟ لأن الشيء إذا انتشر وعَرَفَهُ الناس وهو خطأ في أصله كان الأصل عليه أن يرجع بنفسه ، فلما لم يرجع حينئذٍ وجب على أهل العلم نصحًا لله ونصحًا للمسلمين أن يبينوا أمر هذا الشيء ، ولذلك نقول : كشف الشبهات من أصول الدين فهو فرض على العلماء .
قال ابن تيمية رحمه الله تعالى ونحن نبدأ بهذه لأن هذه شبهة نحن نقرأ الآن كتاب ((**كشف الشبهات**)) هذا من أجود الكتب الردود ، فكيف نرد ؟ هل ندرس هذا الكتاب على أنه ردود وتبقى في خزينة المعلومات ثم لا يكون له شيء من الواقع ؟ هل هذا المطلوب ؟
لا ، ليس هذا المطلوب . مطلوب أن يعي طالب العلم هذه الشبه وأنه إذا رأى من يدعو إليها يُنَزِّلُ عليه الحكم مباشرة ، وأن يُنْكِر لا نقول : يُبَدِّع أو احكم بالشرك ونحو ذلك هذا مرده إلى أهل العلم ، لكن إذا سمع من يَرُدّ أو سمع من يُفَنِّد شبه المبطلين ودعاة السوء حينئذٍ لا بد أن يُدْرِكَ أنه قد دَرَسَ هذا الكتاب وهو من كتب الردود .

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى دفعًا لهذه الشبهة التي ابتدأنا الحديث بها ، يقول رحمه الله : ((فالْمُرْصَدُون للعلم - يعني : أهل العلم . مرصدون للعلم أهل العلم - عليهم للأمة - للأمة عامة المسلمين - عليهم للأمة حفظ الدين وتبليغه ، فإذا لم يبلغوهم علم الدين أو ضيعوا حفظه ، كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين)) . لا تظن أن العالم إذا صار عالمًا ارتفعت عنه العصمة ، فكل قوله يكون مقبولاً ، وكل عمله يكون مقبولاً ، لا ، **بل لا بد من عَرْضِهِ على الكتاب والسنة** ، **فنجعل الكتاب والسنة ميزان** ، لكنه بعد العلم بهما ، **وما أحببنا أهل العلم ولا أجللنا أهل العلم إلا لاتصافهم بالعلم الشرعي لا لذواتهم** ، نحن نحب الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى ونجله ، وكذلك الشيخ ابن باز نقول : هؤلاء حبنا لهم لأي شيء لذواتهم أو لما قام بهم من العلم الشرعي الصحيح المحقق ودعوتهم السلفية ؟ لا شك أنه من أجل الثاني حينئذٍ أحببناهم للعلم الشرعي الذي عندهم ، وأحببناهم لما عندهم من علم صافي سلفي ، وأحببناهم لدعوتهم لهذا الدين ، وذبهم عن هذا الدين ، لا لذواتهم ، لو لم يتلبسوا بالعلم ما عرفنا من محمد بن عثيمين أليس كذلك ؟ لم يكن له وزن ولم يكن شيء لكن من فضل الله عز وجل عليه أن مَنَّ عليه بهذا العلم الصحيح فحينئذٍ نقول : **ليس هو ولا غيره بالمعصوم قولاً ولا فعلاً** ، كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين ولهذا قال تعالى : (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ**) [البقرة : ١٥٩] . **هؤلاء علماء وأنكر الله عز وجل عليهم** (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ**) في ردّ القرآن أليس كذلك ؟ ولذلك القرآن مشحون بالردود على اليهود والنصارى والمشركين (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**) [البقرة : ١٥٩] هذا شأن من ؟ شأن من يكتم العلم ومن الذي يكتم العلم ؟ الذي لا يعلم الناس الذي يرى البدعة ولا ينكرها الذي يرى دعاة السوء ولا يبين الحق الذي يكون لله عز وجل ، فإن ضرر كتمانهم يقول ابن تيمية : ((**فإن ضرر كتمانهم تعدى إلى البهائم وغيرها فلعنهم اللاعنون حتى البهائم**)) . هذا أمر خطير (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ**) كل من علم مسألة شرعية بدليلها وخاصة في المعتقد إذ لا خلاف حتى يقول حتى أتقن تلك المسائل كما هو شأن الفقه ، لا ، المسائل واضحة وبينة وعقيدة السلف من حيث الأصول ومتممات الأصول كلها واضحة لا إشكال فيها ، بكتاب واحد يستطيع أن يقف على جمهرة من مسائل المعتقد المتفق عليها بين أهل العلم .

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى في موقف السلف من دفع البدع يقول رحمه الله : ((**واشتد نكير السلف والأئمة لها** - للبدع - **وصاحوا بأهلها** - نادوا شهروا بهم - **من أقطار الأرض وحذروا فتنتهم أشد التحذير** - أصحاب البدعة من اليهود والنصارى ؟ من أصحاب البدعة ؟ هم المسلمون فقد يكونون من أهل العلم حينئذٍ صاحوا بأهلها في أقطار الأرض وشهروا بهم بماذا ؟ بتسميتهم وتعينهم والمصنفات والردود وفضحهم في المجالس هذا كله من شأن من ؟ في شأن من تَلَبَّس ببدعة - **وحذروا فتنتهم أشد التحذير وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش** - هذا كلام ابن القيم - بالغوا في إنكار البدعة ما لم يبالغوا في إنكار الفواحش ، **والظلم والعدوان** - يعني : على عكس ما نحن عليه الآن ، صحيح ؟ على عكس ما نحن عليه الآن ، نحن الآن في دعوتنا نبالغ في إنكار هذه المسائل من الفواحش والظلم وتبرج المرأة ونحو ذلك نقول : هذه تُنْكَر ولا إشكال لا ننزاع في هذا ، لكن ما هو أعظم من هذا ، وهو البدعة ، لا بد من معرفة أن هذا بدعة ، ولا بد أن يكون عندنا من القوة والْجَلَدِ في رد البدعة على أهلها أشد من أن نكون أوقفنا أنفسنا على فضح أرباب الفواحش من الإباحية ونحوها ، لا شك أن كل منهما منكر وحرام ، لكن السلف كانوا في معاملة المبتدعة والبدعة أشد ، ولذلك يقول رحمه الله : ((**وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان**)) . يعلل ذلك رحمه الله بقوله : ((إذ مضرة البدع وهدمها للدين منافاتها له أشد - منافاتها للدين - **أشد من منافاة الفواحش والظلم والعدوان ، لأن هذا من قبيل الشبهات وتلك من قبيل الشهوات**)) ، وأيهما أعظم إذا عرفنا القواعد نحن مشكلتنا نأخذ العلم نظري فقط ، وإذا نزلنا إلى الواقع ترى أمر مناقض لما نؤصله في الدروس ونقرأه في الكتب ، الشبهات أعظم فتنة على القلب على الإنسان وعلى عامة المسلمين من الشهوات أليس كذلك ؟ والبدع وأصنافها وأهلها كلها داخلة في الشبهات .

ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((ولهذا يتغير الدين بالتبديل تارة ، وبالنسخ أخرى يعني ينسخ ، وهذا الدين دين الإسلام لا يُنْسَخُ أبدًا وإنما يبقى ماذا ؟ يبقى التبديل والتحريف ، لكن يكون فيه في الدين المنتسبين إلى الإسلام من يُدْخِلُ فيه من التحريف والتبديل والكذب والكتمان ما يُلَبِّسُ به الحق من الباطل ، ليس فيه نسخ ، وإنما فيه من يتبنى أن يدخل فيه من التحريف والكتمان والكذب والتبديل ما يُلَبِّسُ به الحق من الباطل ، ولا بد أن يقيم الله فيه من تقوم به الحجة خلفًا عن الرسل فينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، فيحق الله الحق

ويبطل الباطل ولو كره المشركون . فحينئذٍ يكون الرد على أهل البدع كما صنع المصنف هنا رحمه الله تعالى في ((**كشف الشبهات**)) يُعتبر من فروض الكفاية ، بل من المعلوم من الدين بالضرورة ، بل من الأحكام القطعية - ليست الظنية - لأنه محل إجماع بين السلف ، بل عَدَّهُ بعضهم من الجهاد قالوا : الجهاد جهاد الكفار يكون بالسنان ، وجهاد المنافقين وأرباب البدع يكون باللسان . إذًا لا بد من العلم ، فالرد على أهل البدع من أبواب الجهاد عظيم . قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : فالرادُّ على أهل البدع مجاهد . حتى كان يحيى بن يحيى يقول : الذَّبّ عن السنة أفضل من الجهاد . قال بعضهم لأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : إنه يَثْقُلُ عليَّ أن أقول : فلان كذا وفلان كذا . فقال يعني يتورع ويكون ثقيل على النفس أن يقول : فلان فيه كذا وفلان فيه كذا . قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : ((**إذا سكت أنت وسكت أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم**)) . صحيح أو لا ؟ إذا كلنا قلنا : لا نتكلم في أهل البدع . وندع المبتدع يُأَلِّبُون على الناس ويُلَبِّسُون الحق على الناس حتى يسوى الرافضي مع السني ، وإذا سمع العامة وتلقوا هذا عن من انتسب إلى أهل العلم وظهر بصلاحه لهم ، حينئذٍ إذا لم أبين أنا وسكت وأنت سكت ما الذي يُعَرِّفُ العامة أنه لا يجتمع الرافضي مع السني إلا إذا اجتمع الليل والنهار ، إلا إذا اجتمع الإسلام مع .. ، ما الذي يُبَيِّنُ للعامة ، إذا سَكَتَّ أنتَ وسَكَتُّ أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم ؟

ولذلك ينبغي التنبه لمثل هذه المسألة ، الذي لا يريد أن يَرُدّ لا ينكر على غيره ، الذي لا يريد أن يرد لا يجوز له أن ينكر على غيره ، بل شيخ الإسلام رحمه الله يُنَزِّلُ حكمًا عامًا ، وابن تيمية رحمه الله في مثل هذه المسائل من أهل الاستقراء التام ، نخالفه في بعض المسائل الحكمية هناك حلال وحرام وواجب وسنة ، أمَّا هنا فنعطيه الراية ، أليس كذلك ؟

وليس هذا تقليد ، لكنه لتمكنه في هذا الباب رحمه الله تعالى ، يرى أنه يجب عقوبة من وَالَى المبتدعة قربهم إليه أحبابنا أصحابنا إخواننا ، ومن سكت عليهم ومن خَذَّلَ لأن من لم يوالِ إمَّا رَادٌّ وإما مُوَالٍ وإما ساكت وإما مُخَذِّل . قال : هؤلاء ما عدا الرادّ كلهم يجب أن يعاقبوا من جهة ولي الأمر . كلهم الساكت والمخذل ، والله المستعان .

قال رحمه الله تعالى : **ويجب عقوبة كل من انتسب إليه** . إلى من ؟ إلى أهل البدع انتسب إليهم قال : أشعري . قال : ماتوريدي . قال : إخواني . قال : تبليغي . إذا انتسب إليهم تجب عقوبته ، وهؤلاء كلهم مبتدعة أو ذب عنهم دافع عنهم ، عن أهل البدع أو أثنى عليهم أو عظَّم كتبهم أو عُرِفَ بمساعدتهم ومعاونتهم ، أو كَرِهَ الكلام فيهم تَجِب عقوبته ، كره الكلام فيهم ما أثنى عليهم لكن كره بقلبه ما أحب أن يتكلم في أولئك ، يجب أن يعاقب ، والله المستعان ، أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يَدْرِي ما هو ؟ أو قال إنه صنف هذا الكتاب وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلا جاهل أو منافق ، لا يعتذر عنهم لصد الرد عليهم إلا جاهل أو منافق ، إما هذا وإما ذاك ، فانظر نفسك أين مكانك ؟

بل تجب عقوبة من عرف حالهم ولم يعاون على القيام عليهم ، الله أكبر ، تجب عقوبة كل من عرف أن هذا مبتدع ثم لم يعاون الرادّ عليهم سكت ولم يتكلم ، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات ، لماذا ؟

لأنهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المشايخ والعلماء والملوك الأمراء وهم يسعون في الأرض فسادًا ويصدون عن سبيل الله ، هذا شأن من ؟ المبتدع وهو مسلم ، وشيخ الإسلام يقول : أعظم وهم يسعون في الأرض . فالسعي في الأرض فسادًا ليس من شأن اليهود والنصارى ، اليهود والنصارى لهم فساد ، والمبتدعة لهم فساد فلا شك عند العاقل أن ضرر هؤلاء المفسدين من أهل البدع على الأمة أشد ضررًا من اليهود والنصارى ، لا شك في هذا لماذا ؟

لأن ذلك عدو خارجي الكل يعرف لو جئت للعامي لا يفقه شيء من دين الله إلا أنه يصلي ويقول : لا إله إلا الله . فلو قلت له : هذا القول قال به فلان وفلان من اليهود والنصارى هل تقبله نفسه ؟ لا ، لكن لو جئت إلى بدعة فقلت : قال بها فلان فضيلة الشيخ فلان أو كذا أو كذا من أهل العلم يقبل أو لا يقبل ؟ إذًا أيهما أشدد ضررًا المبتدعة العدو الداخلي ، هذا أشد ضررًا من العدو الخارجي ، **ولا يمكن جهاد العدو الخارجي إلا بإصلاح ذات البَيْنِ بين المسلمين ، وهذا يكون بجمع كلمتهم لا مع السكوت عن تلك البدع ، وإنما بأن ينقاد كل واحد منهم إلى الحق** ، ولذلك قال : (**وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا**) [المائدة : ٣٣] (**وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**) [الأنفال : ٤٧ ، وغيرها] وهذا أمر واضح بَيِّن ، والغريب أن من يُجَمِّع ، النبي ﷺ أخبر بافتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، والفرقة الناجية كم ؟ ستة ولا سبعة ؟

واحدة ، ستفترق هذه الأمة إلى - ترى ما خرجنا عن الموضوع ونحن نبين أن كشف الشبهات من الردود ولماذا رد المصنف ؟ نقول : النبي ﷺ أخبر أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة ، والفرقة الناجية واحدة فقط ، ومن يدعوا إلى توحيد الصف مثلاً والسكوت عن أهل البدع يريد اختصار هذه الثلاث والسبعين في فرقة واحدة مع وجود التباين الحقيقي بين العقائد المطردة ، يعني : الذي يقول : الله في السماء على عرشه مستوي بائن من خلقه . مع الذي يقول : الله في كل مكان كلنا إخوة ؟ هل يجتمعان ؟

ما يجتمعان ، كيف نريد وحدة الصف ؟ كيف نريد لَمّ الشمل ، ما يمكن هذا إلا إذا عارضنا هذه السنة الإلهية ، حَكَمَ الله وهذا أمر خبر من النبي ﷺ أنه سيقع ستفترق هذه الأمة أمة الإجابة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، والفارق بينهم ليس خلافًا فقهيًّا ، وإنما هو خلاف عَقَدِي مخالف لمنهج السلف في التأصيل العقدي ، فحينئذٍ نقول : اجتماعهم ومحاولة جمعهم هذا مقابل للسنة الإلهية ، وهذا أمرٌ لا يمكن أن يكون ، وحجتهم لا تُصَدِّعُوا الصف من الداخل لا تحركوا الخلاف بين المسلمين نلتقي فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه ، إلى سائر الحجج البدعية والشبه القوية التي تنطلي على الكثير .

نقول : نحن نريد أن نواجه مثلاً اليهود والنصارى نقول : لا يمكن مواجهتم إلا بتوحيد الصف ، بأن يرجع الرافضة إلى الإسلام ، وبأن يعلن الأشاعرة عقيدة السلف ، وبأن ينحل الماتريدية عن عقيدتهم ويرجعوا إلى عقلهم ، فحينئذٍ نقول : توحد الصف . وأما توحيد الصف مع السكوت عما هم عليه نقول : لا هذا لا يمكن أن يكون .

والحاصل أيها الأحباء نقول : الرد على أهل الأهواء واجب كفائيٌ معلومٌ بالضرورة ، وخلاصة القول إن كشف الشبهات من أصول الدين ، والله تعالى رد على المشركين في القرآن ودحض شبهاتهم (**وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ**) [الشورى : ١٦] زائلةٌ (**عِندَ رَبِّهِمْ**) إذ كل من يجادل بالباطل له حجةٌ وله علمٌ ، لكن إذا عُرِضَتْ على الكتاب والسنة فحجته (**دَاحِضَةٌ**) أي : زائلة .

وكشف الشبهات إنما يكون عن طريقين :

طريقِ العقل .

وطريقِ السمع .

يعني : كيف نكشف الشبهات ؟ إما بطريقِ العقل ، وإما بطريقِ السمع ، فالعقلي يكون بإيجاد البراهين بالبحتة التي تبطل الشبهة الْمُشَبِّهين ، وقد يكون بإيجاد الأمثلة العرفية التي تُضْعِفُ حجة الخصم وكلاهما في القرآن .

والثاني : أي السمعي ، هذا واضحٌ بَيِّن .

والبرهان العقلي في التوحيد كما جاء في قوله تعالى : (**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**) [الأنبياء : ٢٢] ، وهذا كثير في القرآن ، ولذلك قلنا فيما سبق أن الدليل العقلي هو محل النظر ، قد يكون مستنده العقلي فحسب ، وقد يكون مأخوذًا من السمع ، فالسمعي قد يكون سمعيًا محضًا ، وقد يكون سمعيًا عقليًا ، وهذا واردٌ في الكتاب وكذلك في .. .

وكل مثلٍ في القرآن فهو دليلٌ عقليٌ .

قال المصنف رحمه الله تعالى : (**بسم الله الرحمن الرحيم ، اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة**) . بدأ المصنف رحمه الله تعالى كتابه بالبسملة ، وهي من السنة كما معنا ، من السنة القولية وهذا أمرٌ ثابتٌ في قول النبي ﷺ لما أمر أن يكتب إلى كما جاء في حديث أبي سفيان لما كتابًا إلى هِرَقْل كتب فيه في أوله ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمدٍ رسول الله إلى هِرَقْلَ عظيم الروم)) . فبدأ بالبسملة وهذا أمرٌ إما قولي إذا أمر أو تكلم به ، وإما أنه فعلي ، ولكن الظاهر أنه قولي ، فبدأ عليه الصلاة والسلام بالبسملة ، وأما حديث « **كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبر** » بسائر رواياته ضعيفٌ لا يُحتج به ، وجرى بعض من يعتمد الحديث الضعيف في فضائل الأعمال إلى قبوله ، ولذلك حسنه ابن صلاح وغيره ، ومن البداءةِ أيضًا الحمدلة ، ففي صحيح مسلم من حديث جابر أن النبي ﷺ إذا خطب حَمِدَ الله وأثنى عليه . فحينئذٍ يكون ماذا ؟ يكون تارةً يُبْدَأُ بالبسملة ، وتارةً يبدأ بالحمدلة ، وهل الجمع بين البسملة والحمدلة يعتبر سنة نجمع بين هذا وذاك ، أو يفعل هذا تارةً وهذا تارة ، قولان لأهل العلم ، وكما سبق أن قاعدة ابن تيمة رحمه الله تعالى ومن تبعه أن العبادات المتنوعة واردة على صيغ متعددة يُفْعَل هذا تارة وهذا تارة ، وقيل : إن الكتب والرسائل يبدأ فيها بالبسملة ولا يزيد عليها ، فإن زاد بالحمدلة فلا بأس ، الكتب والرسائل يكتفى بالتسمية بالبسملة ، وأما الخطب فالسنة أن يُبدأ فيها بالحمدلة والثناء على

الله والصلاة والسلام على النبي ﷺ . والمصنف هنا اكتفى بالبسملة ولم يذكر الحمدلة ونحو ذلك ، نقول : إما اكتفاءً بالبسملة لأنها أبلغ الذكر ، وللخبر صح عنده أو كان يعمل بالحديث الضعيف ، وترك الخطبة وترك بيان مقصد الكتاب ونحو ذلك ، جرى عليه المصنف في سائر كتبه كما هو في ((**الأصول الثلاثة**)) و ((**كتاب التوحيد**)) و ((**كشف الشبهات**)) الذي معنا ، وهذا قد يقال أنه من قبيل الاختصار يعني : تركه اختصارًا لماذا ؟

لأن رسائل المصنف رحمه الله ليست من باب التأليف المستقل ، وإنما هو يألف من أجل إفادة الناس حينئذٍ تعجيلاً للفائدة لم يكن بعض كتبه مرتبًا ترتيبًا يعني : كغيره من المصنفين ، وإنما يستعجل الفائدة لأن المقام مقام تحذير وبيان ودعوة إلى أعظم ما أمر الله به ، بل إلى ما خلق الله عز وجل الجنّ والإنس من أجله ، فحينئذٍ لا نقف مع ماذا ؟ لا نقف مع هيئة التصنيف وكيف يصنف إلى آخره ، نقول : هذه كلها أمورٌ لا يُلتفت إليها .

إذًا بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا بدأ به لما ذكرناه ، وهل هذه التسمية واجبة أو سنة نقول : هي سنةٌ صناعية ، وسنةٌ شرعية ، يعني : جمعت بين الصنفين ، وأفراد البسملة مر معنا كثيرًا .

(**اعلم رحمك الله**) . (**اعلم**) أي : تعلم هذه الكلمة يؤتى بها للاهتمام لما بعدها . (**اعلم**) هذا مشتقٌ من العلم ، وهو أمرٌ فعل أمر مبني على السكون لا محل له من الإعراب ، كأنه قال : تعلم . وما سيذكره من المسائل المهمة من العلم الفرض العيني ، حينئذٍ قد يكون فيه إشارة إلى أنه أراد بهذه الجملة الإرشاد إلى أن ما بعده يجب العلم به ، لأن العلم علم أرباب التصنيف مغايرٌ للظنّ ،وإن كان سبق معنا أن المصنف رحمه الله تعالى في ((**الأصول الثلاثة**)) فسر العلم بالمعرفة ، فهما مترادفان عنده ، قال : العلم معرفة الله ، ومعرفة نبيه ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة . فجعل المعرفة تفسيرًا للعلم وهذا مذهبٌ لبعضهم ، وأكثر أهل اللغة على أنه لا فرق بين العلم والمعرفة ، ولذلك جاء (**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ**) [البقرة : ١٤٦] وأما تعريف العلم فالمراد به العلم الشرعي ، وهو معرفة الهدى بدليله ، ولا نحتاج أن نقول : هو حكم دين الجازم المطابق للواقع . لأن هذا اصطلاحٌ للأصوليين ، وأما عند المناطقة : فهو مطلق الإدراك . حينئذٍ يختلف النظر في حقيقة العلم من فنٍ إلى فن ، وأما مراد المصنف هنا رحمه الله فالمراد به العلم الشرعي ، وهو علم الكتاب والسنة ، وإذا أطلق العلم انصرف إلى هذا المعنى .

(**رحمك الله**) هذه جملة خبريةُ اللفظ إنشائية المعنى ، وهذا دعاءٌ من المصنف رحمه الله تعالى للمتعلم بالرحمة العامة التي تشمل غفران الذنوب في الماضي وفي المستقبل ، ولذلك يَعْدِلُ عن غفر الله لك لأن المغفرة هذه خاصةٌ لما مضى ولا تشمل المستقبل ، بخلاف الرحمة فهي عامة تشمل الماضي وتشمل المستقبل ، وهذا من حسن عنايته ونصحه وقصده الخير للمسلمين .

(**اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله** سبحانه وتعالى **بالعبادة**) . عَرَّفَ التوحيد هنا دون أن يُقَسِّمَهُ ، والمراد بالتوحيد هنا توحيد الإلوهية ، والتوحيد ينقسم عند أهل السنة والجماعة إلى قسمين ، أو إلى ثلاثة وكلاهما تقسيمان مردهما ومضمونهما واحدٌ ، فالنتيجة واحدة ، فلا خلاف في الحقيقة إلا من حيث الاعتبار ، من قَسَّمَ التوحيد إلى قسمين هنا نظر إلى التوحيد باعتبار ما يجب على الموحد ، ومن قَسَّمَ التوحيد إلى ثلاثة أقسام نظر إلى التوحيد الاعتقاد القلبي باعتبار المتعلَق . إذًا من حيث المضمون النتيجة واحدة ، ومن حيث الاعتبار فمن قَسَّمَ التوحيد إلى نوعين نظر إلى جهةٍ مخالفةٍ لما قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام ، فـ (**التوحيد**) نقول : هذا مصدر وَحَّدَ يُوَحِّدُ تَوْحِيدًا ، وهو مصدرٌ للفعل الثلاثي المزيد بتضعيف عينه ، يقال وَحَّدَ يُوَحِّدُ تَوْحِيدًا ، أي جعله واحدًا ، وَحَّدَ نسبه مثل ما تقول زيدٌ كَذَّبْتُهُ يعني : نسبته إلى الكذب ، صَدَّقْتُهُ نسبته إلى الصدق ، هنا وَحَّدتُهُ يعني : نسبته إلى الوحدانية تنبه لهذا ، لماذا ؟

لأنه قد يُظَنّ بأن التوحيد هو اعتقاد أن الله واحدٌ ، بمعنى أنك جعلت الله واحدًا ، نقول : هذا ليس هو المراد ، إلا إذا قيل بأن الجعل إنما يكون في القلب ، فإذا قيل وَحَّدَ الله بمعنى أنه نسبه إلى الوحدانية ، وَحَّدَ يُوَحِّدُ تَوْحِيدًا أي : جعله واحدًا ، والمقصود من التفعيل نسبته كالتَّصديق لا للجعل ، هكذا قال السَّفَّاريني في شرح منظومته ، فمعنى وَحَّدتُ الله أي : نَسَبْتُهُ إلى الوحدانية لا جعلته واحدًا ، لأن الوحدانية صفة لا بجعل جاعل ، صفة مثل السمع والبصر لله عز وجل ، أليس كذلك ؟ عندنا نقول : (**اللَّهُ أَحَدٌ**) [الإخلاص : ١] يعني : متصفٌ بالوحدانية ذاتًا وصفاتٍ وأفعالاً ، وكونه مألوهًا الله الواحد الأحد ، هذا من أسمائه وصفاته ، حينئذٍ إذا قلت : وحدت الله بمعنى ماذا ؟ نسبته إلى الوحدانية لا بجعل جاعل لأن هذه صفة لله عز وجل ، فليس لك يدٌ عليها ، كما أن الخلق صفته ، والسمع صفته ، وكذلك استواؤه على العرش صفته ، تعتقد هذا في قلبك ، ثم كونه متصفًا بصفة الخلق هذا ليس لك

فيه شيء ، كونك تعتقد أنه منفردٌ بهذه الصفة إنما يكون في قلبك ، فلا فرق بين الوحدانية والسمع والعلم والبصر من حيث النسبة ، لأن الوحدانية صفةٌ لا بجعل جاعل ، وأما التوحيد فهو فِعْل الْمُكَلَّف فِعْلُكَ أنتَ ، أنت الذي تعبد الله عز وجل ، أنت الذي تُفْرِدُهُ بالعبادة ، أنت الذي تعتقد وحدانيته في صفة الخلق ، وفي صفة الإحياء والإماتة ، والملك ، والنفع ، والضُّرّ ونحو ذلك ، هذا فعلك أنت ، وأما الله جل وعلا فهو واحدٌ في ذاته وأسمائه وصفاته ، وكونه مألوهًا مطاعًا جل وعلا ، فهي مأخوذة من الوحدة وهي الإنفراد ، تقول : جاء الرجل وحده أي : منفردًا ، وفلان واحد دهري ولا واحد له أي لا نظير له ، ويقال الله الواحد الأحد من أسمائه جل وعلا هذان الاسمان أي : المتفرد بالذات والصفات في عدم المثل والنظير ، وأَحَّدَ الله وَوَحَّدَهُ أي : نسبه إلى الوحدة والإنفراد ، فهو سبحانه منفردٌ في ذاته وصفاته وأفعاله وكونه مألوهًا ، زد على ذلك هكذا يقولون في الكتب واحدٌ في ذاته وأسمائه وأفعاله ، وكونه مألوهًا معبودًا ، فالتوحيد هو جعل الشيء واحدًا ، ولذلك لما قال لهم النبي ﷺ : « **قولوا لا إله إلا الله** » . قالوا : (**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**) [ص : ٥] . أي : جعله في اعتقاده ، فالتوحيد شرعًا هو اعتقاد أن الله واحدٌ لا شريك له ، وبعبارةٍ أوضح وأوسع نقول : **التوحيد هو إفراد الله تعالى في ربوبيته ، وإفراده في أسمائه وصفاته ، وإفراده في ألوهيته وعبادته** . هذا تعريفٌ جامعٌ مانع ، والعقيدة لا ينبغي أن نُنَزِّلَ التعاريف على قواعد المناطقة ، نحن نسلك معهم ونسير في سيرهم في النحو وفي الصرف وفي الأصول ، أما هنا فلا يشترط أن أتي بجامع مانع أو نأتي بمطرد .. إلى آخره ، نقول : هذا لا ينبغي تطبيقه في مثل هذه المواضع .

وقيل (**التوحيد**) إفراد الله تعالى بحقوقه ، وحقوق الله تعالى ثلاثة : في ربوبيته ، وأسماءه وصفاته ، وكونه مألوهًا معبودًا . حينئذٍ لما كان التوحيد مشتقًا من الوحدة وهي الإنفراد صار هذا القيد الذي هو الإفراد جنسًا في جميع أنواع التوحيد :

فتوحيد الربوبية لا يصح إلا باعتقاد الإفراد .

وتوحيد الأسماء والصفات لا يصح إلا باعتقاد الإفراد .

وكذلك العبادة لله عز وجل لا تصح إلا باعتقاد الإفراد .

فالتوحيد هو إفراد الله تعالى في جميع ما ذُكِر ، ولا يكون سبحانه مُفْرَدًا بما ذُكِر في ربوبيته وأسمائه وصفاته إلا بأمرين يعني : متى يتحقق كونه منفردًا بربوبيته ، متى يتحقق كونه منفردًا في كونه مألوهًا معبودًا مطاعًا نقول بأمرين :

أولاً : الإثبات التام .

الثاني : النفي العام .

وهذا مأخوذٌ من لسان العرب تقول : زيدٌ قائمٌ هذا فيه ماذا ؟ في إثبات القيام لزيد لكن هل فيه نفيٌ للقيام عن غير زيد ؟ لا ، فالإثبات معه لا يمنع المشاركة ، ولذلك نص أهل البلاغة في قوله تعالى : (**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**) [البقرة : ١٦٣] . قالوا جاء بـ (**لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**) لأنه قد لا يفهم التوحيد من قوله : (**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**) . لماذا ؟ لأن الإثبات المحض ليس فيه نفيٌ عام ، ففيه إثبات بكون الرب جل وعلا مألوهًا لكن هل غيره تنفى عنه الصفة ؟ نقول : إثبات محض لا يدل عليه . إذًا زيدٌ قائمٌ ليس في إفرادٌ لاحتمال أن يكون غيره قائمًا أيضًا ، الله إلهٌ ، لا يكفي ، الله إلهٌ ، الله خالقٌ لا يكفي ، الله رازقٌ لا يكفي ، لأن هذا فيه ماذا ؟ في إثباتٌ تام بأن الله تعالى متصفٌ بصفة الخلق ، لكن غيره ؟ في جملة ليس فيها ما يدل على نفي هذه الصفة عن غير الرب جل وعلا ، وأما قولك في لسان العرب : ما قائمٌ إلا زيدٌ . فهذا فيه نفيٌ وإثبات ، [نفيٌ تام] [2] نفيٌ عام وإثباتٌ تام ، فأثبتَ القيام لزيد ونفيتَه عما سواه ، وبهذا جاء قوله : ((**لا إله إلا الله**)) ، لا معبود بحقٍ إلا الله ، يعني : تُنفى الإلوهية عن غير الله وتُثبت له وحده جل وعلا ، هذا مأخوذٌ من أين ؟ من لسان العرب ((**لَا إله إلا الله**)) ما قائمٌ إلا زيدٌ ، فقد أفردته بإثبات القيام التام له ونفيك العام للقيام عن غيره ، وكلمة التوحيد ((**لا إله إلا الله**)) اشتملت على نفيٍ عام وإثباتٍ تام ، فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى وأثبتت الإلهية لله وحده ، فالنفي العام أو النفي المحض ليس فيه موافقةً لمعنى ((**لا إله إلا الله**)) ، وكذلك الإثبات لو قال لا إله ، وسكت هل أتى بمعنى ((**لا إله إلا الله**)) ؟ نقول : لا ، لماذا ؟ لأنه نفى نفيًا عامًا فهذا تعطيل محض ، وليس فيه إثبات الإلوهية لله عز وجل ، ولو قال : الله إله . حينئذٍ نقول : لم ينفِ هذه الإلوهية عن غير الله ، فالنفي المحض تعطيل محض ، والإثبات المحض لا يمنع من مشاركة

([2]) سبق .

الغير في تلك الصفات . ولذلك قال هنا : أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، وهذا أحد نوعي التقسيم على التقسيم الثنائي ، وهو النوع الثاني توحيد القصد والطلب - وهذا يأتي إن شاء الله معنا - لا بد من تأصيل المسألة لأننا ذكرنا أن المقدمة ذكر فيها أصول ، هذه أصول سنذكرها على جهة البسط ، وأما الشبه هذه سنقرئها ونفهمها على مراد المصنف رحمه الله تعالى ، لذلك نقف على هذا ، والله أعلم .

وصلَّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه .

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول : ما معنى وحدت الله ؟

قلنا : وحدت الله معناها أنك نسبته إلى الوحدانية ، الوحدانية هذه صفة ، ليس المراد إنك أنت جعلت الله واحد ، هل أنت لك قدرة ؟ لا ، مثل ما تعتقد ماذا . علم الله عز وجل تعتقد أنه في القلب ، كذلك أنه الخالق الرازق ، حينئذٍ تعتقد في القلب أنه لا رازق إلا الله ، وتعتقد في القلب أن العلم العام هذا خاصٌ بالله عز وجل ، كذلك الوحدانية هذه صفة ، لَمَّا نقول : (**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**) [الإخلاص : ﴿١﴾] . أحدٌ (**وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**) [الرعد : ﴿١٦﴾] . الواحد والأحد يدل على ماذا ؟

يدل على إثبات صفة الوحدة ، إما في الذات وإما في الأسماء والصفات ، وإما في كونه مألوهًا مطاعًا جل وعلا . طيب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

قال المصنف رحمه الله تعالى : (**اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة**) ، عرفنا أن التوحيد مصدر وَحَدَ يُوَحِّدُ تَوْحِيدًا . أي : جعله واحدًا لأنه مأخوذٌ من الوحدة وهي الإنفراد ، جاء زيدٌ وحده أي : منفردًا ، حينئذٍ إذا قلت : الله أحدٌ أي : واحدٌ منفردٌ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وكونه مألوهًا مطاعًا جل وعلا ، هذا من حيث الاشتقاق اللغوي ، والمراد بالتفعيل التوحيد تَفْعِيل بمعنى أنك نسبته إلى الوحدانية ، وهي صفة ، لا بجعل جاعل ، هكذا نص السفاريني في شرحه على منظومته : لا بجعل جاعل . يعني : ليس لك تأثير في كون الرب جل وعلا واحدًا أو أكثر من ذلك ، لا ، هو واحدٌ جل وعلا ، وإنما أنت تعتقد في قلبك ماذا ؟ أنه واحد ، فحينئذٍ نسبته إلى الوحدانية واعتقدت في قلبك أنه واحد ، جعلته في قلبك أنتَ ، هذا المراد به في لسان العرب ، وأما في الشرع فالمراد به إفراد الله تعالى في ربوبيته ، وإفراده في أسمائه وصفاته ، وإفراده في إلوهيته وعبادته ، هذا جمع أنواع التوحيد الثلاثة المشهورة عند المتأخرين .

والتوحيد ينقسم إلى قسمين أو ثلاثة ، يعني : يتنوع التقسيم باعتبار جهة ونية الذي قسّم ، قد ينقسم التوحيد باعتبار المتعلَّق ، وقد ينقسم التوحيد باعتبار آخر وهو ما يجب على الموحِد ، والنتيجة تكون أن التوحيد ثلاثة أقسام ، والخلاف يكون في اللفظ لا في المضمون ، لأن هذا التقسيم حقيقةٌ شرعية ليس باصطلاحي ، وهذه من الشبهة التي تثار الآن ، التوحيد التقسيم هذا ، قالوا : أول ما جاء به الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، وبعضهم يرى أنه منسوبٌ إلى شيخ الإسلام ، بل بعضهم يقول : لفظ التوحيد لم يرد أصلاً إلا من في شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وهذا لهم ليست القضية هكذا ينازعون ، هذا لهم مسألة وهي إرجاع توحيد الإلوهية إلى توحيد الربوبية ، فتوحدت الصفوف فهمتم هذه الأمور تعرف وقد تؤتى بـ ، أو يأتي بالشبه من أجل مغزى شيءٍ نظرة بعيدةً ، ولذلك يقولون : عملٌ بطيء ومفعولٌ أكيد . عملٌ بطيء هذه قاعدة الإخوان عملٌ بطيء على مهل يعني ، مفعولٌ أكيد : في المستقبل . فنقول : هنا هذا التوحيد هذا التقسيم للتوحيد حقيقة شرعية ، وإذا أسقط توحيد الإلوهية معناه أن يرجع إلى المعنى العام ، وهو إفراد الرب جل وعلا بأفعاله هو سبحانه ، وأن الرب بمعنى الإله ، والإله بمعنى الرب ، وهذه قضية المتكلمين أخطئوا في تفسير معنى الإله ، وردوه إلى معنى الرب - وهذا سيأتي مبحثه مفصل إن شاء الله تعالى - .

إذًا التوحيد ينقسم إلى نوعين ، نوعين باعتبار ما يجب على الموحد ، وهذا النوع أو هذان النوعان أشار إليهما ابن القيم رحمه الله تعالى وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أيضًا في سائر كتبهما ، واختلفت بعض العبارات بالتعبير عن هذا المضمون والمعنى واحد .

النوع الأول : توحيد المعرفة والإثبات ، وأحيانًا يعبر توحيدٌ في المعرفة والإثبات ، والمعرفة هي العلم - كما سبق في كلام المصنف - والإثبات المراد به الثبوت ، إثبات الشيء على وجهه الشرعي ، وهو ما يتعلق بذات الرب وهذا أيضًا يسميه ابن القيم في بعض المواضع التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي ، وسماه شيخ الإسلام التوحيد

العلمي ، وسماه في بعض المواضع التوحيد القولي ، الألفاظ مختلفة والمضمون واحد ، سُمِّيَ توحيدًا خبريًا باعتبار ماذا ؟ قالوا : لأن مداره على الخبر ، والخبر يقابل الطلب ، الخبر هذا له جهتان : متكلم مُخْبِر ، ومُخْبَر .
من جهة المُخْبِر هنا إما أن يُثبت وإما أن ينفي ، المتكلم وهو الله عز وجل نحن نتكلم في توحيد الخاص : (**اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ**) [البقرة : ٢٥٥] ، (**الْحَيُّ**) المتصف بصفة الحياة على وجه الكمال لكن لا يسبقها عدم ولا يلحقها فناء ، (**الْقَيُّومُ**) القائم بنفسه المقيم لغيره ، إذًا هاتان الصفتان على وجه الإثبات أو النفي ؟ على وجه الإثبات (**لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ**) ، (**سِنَةٌ**) قيل : هي أول النوم النعاس (**وَلاَ نَوْمٌ**) هاتان الصفتان منفيتان ، إذًا اجتمع النفي والإثبات في مقامٍ واحد من جهة الْمُخْبِر ، وهو الله عز وجل المتكلم ، المقابل من جهة المخاطَب إما بالتصديق وإما بالتكذيب ، إمَا أن يصدق فيُثبت ما أثبته الله تعالى على وجهه الشرعي ، وينفي ما نفاه الرب جل وعلا على وجه الشرعي ، وإما أن يكذب يرد (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**) [طه : ٥] إثباته هذا إخبار من الرب جل وعلا بإثبات صفة الاستواء له ، من جهة المقابَل المخاطَب والمُخْبَر إما أن يصدق فيثبت الاستواء بأنه علوٌ خاصٌ على عرشه جل وعلا : (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) [الشورى : ١١] ، وإما أن يحرف ولا يصدق ، وكل من أول آيةٍ فهو إما مكذبٌ صراحةً أو ضمنًا ، كل من حرف آية ولا نسمه تأويل كل من حرف آية صفةً لله عز وجل فهو مكذبٌ ، إما تصريحًا وإما ضمنًا ، فحينئذٍ نقول : هذا النوع توحيد المعرفة والإثبات ، أو التوحيد الخبري ، دائرٌ بين أمرين من جهة المتكلِم ويكون من جهة ماذا ؟ إثباتٌ أو نفي ، ولذلك هذا النوع قائمٌ على قاعدة واحدة : **إثباتُ ما أثبته الله تعالى ، ونفي ما نفاه الرب جل وعلا** . أما من جهة الأسماء والصفات ، وإما من جهة أفعاله العامة ، يقابل من جهة المخاطَب والمُخْبَر أما بتصديق وإما بتكذيب ، ولذلك سماه ابن القيم التوحيد الخبري ، وأشار إلى سبب هذه التسمية ابن تيمية رحمه الله تعالى في ((**التدمرية**)) . توحيد المعرفة والإثبات ويسمى التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي لأن مبناه على الاعتقاد والمعرفة قلنا محلها القلب لأنها مرادفةٌ للعلم عند المصنف ، وهذا النوع تحته قسمان لأنه يتعلق بماذا ؟ يتعلق بذات الربِ وأسمائه وصفاته وأفعاله ، يتعلق بماذا ؟ توحيد المعرفة والإثبات يتعلق بذات الرب وأسمائه وصفاته وأفعاله ، إذًا يندرج تحت هذا النوع قسمان من أقسام التوحيد : وهو توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات .
إذًا النتيجة أن هذا القسم سواءٌ سميته توحيد المعرفة والإثبات ، أو سميته التوحيد الخبري أو الاعتقادي أو العلمي ، أو توحيد الربوبية ، أو توحيد الأسماء والصفات أنت لم تخرج عن المضمون الذي قرره سلف الأمة ، وإنما كان الخلاف في تنوع العبارات والأسماء لهذا النوع ، وهذا ينقسم إلى قسمين :
الأول : توحيد الربوبية ، وهو إفراد الله تعالى بأفعاله هو ، الأفعال العامة ، وهذا يشمل أربعة أمور يعني : توحيد الربوبية يندرج تحته أمور :
أولاً : إثبات الذات . يعني : الإيمان بوحدانية الرب جل وعلا ، أنه واحدٌ في ذاته ، وهذا قد جعله البعض توحيد الذات ، والأولى إسقاطه كقسم مستقل ، وإنما نقول: هو داخلٌ في مسمى توحيد الربوبية .
أولاً : إثبات الذات ، ولذلك بدأ به الحكم هناك : إثبات ذات الرب جل وعلا ، إثبات الذات ، الإيمان بوحدانية الرب جل وعلا .
ثانيًا : إثبات أفعاله العامة ، أفعال الرب جل وعلا ، لأن الذات غير الفعل ، هذا قطعًا ، ذاته سبحانه غير خلقه ورزقه وتدبيره وملكه ونفعه وضره وإحيائه وإماتته ، ها هما شيئان ، أليس كذلك ؟ فالصفات عند أهل السنة والجماعة قدرٌ زائدٌ على مجرد إثبات الذات ، وليست هي عين الذات - كما يقول أهل البدع - هذا الشيء الثاني الذي يدخل تحت توحيد الربوبية ، إثبات أفعاله العامة كالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة ونحو ذلك .
ثالثًا : الإيمان بقضاء الله وقدره ، لأنه داخلٌ تحت المشيئة والإرادة وحكمه جل وعلا وهذه مردها إلى الربوبية .
رابعًا : ويمكن أن يكون داخلاً فيما سبق إفراده في ما ذكر ، عندما نقول : إثبات الذات ، وإثبات أفعاله ، ثم القضاء والقدر ، طيب هل يكفي الإثبات نحن نقول توحيد والتوحيد لابد أن يكون فيه إفراد ، والإفراد لا يمكن أن يتم إلا بأمرين : إثباتٌ تام ونفيٌ عام . إذًا إفراده تعالى فيما ذكر هذه أربعة أمور لا بد من التنصيص عليها .
إذًا توحيد الربوبية هو إفراد الله تعالى بأفعاله وتزيد عليهما ما ذُكر .
قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : فتوحيد الربوبية أنه لا خالق إلا الله فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمرٍ من الأمور بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

وفي ((**تيسير العزيز الحميد**)) قال في تعريفه والكلام عنه : هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيءٍ ومالكه وخالقه ورازقه ، وأنه المحي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار ، الذي له الأمر كله وبيده الخير كله ، القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك ، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر .

والتنصيص على هذا يريح طالب العلم كثيرًا في دراسة الركن المعنون له بالقضاء والقدر . إذ عرف أنه من مفردات توحيد الربوبية حينئذٍ يقيم القاعدة العامة في هذا الباب توحيد الربوبية أنه إثبات وتسليم ، كله قائم على التسليم والإثبات ، ليس لك فيه شيء إلا هذا ، تُسَلِّمُ وتعتقد بقلبك ثم بعد ذلك تكون الثمار تابعةً لتوحيد الإلوهية .

القسم الثاني من القسم الأول : توحيد الأسماء والصفات وهو اعتقاد إفراد الله تعالى بالكمال المطلق من جميع الوجوه بالإقرار بما ورد في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، وهذا أكثر يؤخذ من رسالة الواسطية لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى . إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ ونفي ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريفٍ ولا تعطيل ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**) [الشورى : ١١] وهذه قاعدة السلف في هذا الباب ، إثباتٌ بلا تشبيه أو قل : تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل ، هذا هو النوع الأول من نوعي التوحيد ، توحيد المعرفة والإثبات ، وقاعدته الكبرى قائمٌ على الإثبات ، فتثبت ما أثبته الرب جل وعلا ، ثم إذا قلت : توحيد الربوبية توحيد الأسماء والصفات لا بد من أخذ المعنى اللغوي من التوحيد في ظل المضاف إليه ، ل ابد من أخذ مفهوم التوحيد اللغوي في ظل المضاف إليه ، توحيد الربوبية توحيد هذا عام ، يشمل الأنواع الثلاثة حينئذٍ صار لما أضفته إلى الربوبية صار من إضافة العام إلى الخاص ، الربوبية هذا مصدر الرب ، حينئذٍ لا بد من الإفراد لأنك أضفته إلى التوحيد ، كذلك توحيد الأسماء والصفات من إضافة العام إلى الخاص ، فلا بد حينئذٍ من أخذ مفهوم التوحيد وهو الإفراد في الأسماء والصفات ، فيمكن أن يؤخذ تعريفه من لفظه .

النوع الثاني من نوعي التوحيد : هو توحيد الطلب والقصد ، ويسمى التوحيد العملي ، إذًا توحيد علمي ، وتوحيدٌ عملي ، هكذا قال ابن تيمية ، توحيدٌ علمي قولي ، وتوحيدٌ عملي . إذًا الثاني فيه عَمَل فيه قَصْد فيه طَلَب إرادي ، فيه إرادة ، وهذا المراد به توحيد الإلهية ، توحيد العبادة ، توحيد الإلوهية ، كلها أسماء ، الإلهية والإلوهية إما اسمٌ وإما نسبةٌ ، والعبادة كاسمها معروفة - سيأتي معنا - حينئذٍ نقول : هذه الأسماء مترادفة من حيث ما تصدق عليه ، لأن توحيد العبادة هو إفراد الله تعالى بالعبادة ، وتوحيد الإلوهية هو إفراد الله تعالى بالعبادة ، لكن لماذا سميته توحيد الإلوهية ، وسميته توحيد العبادة ؟ بالنظر إلى المخلوقين قلتَ : توحيد العبادة ، لأنهم هم الذين يعبدون هم الذين يفعلون العبادة ، هم الذين يفعلون التوحيد ، لذلك سبق معنا أن التوحيد فعل الْمُكَلَّف ، إذًا صار اسمه توحيد العبادة ، وأما باعتبار متعلَقه وهو الرب جل وعلا فهو توحيد الإلوهية ، والإلوهية هذا مصدرٌ مأخوذٌ من أَلِهَ يَأْلَهُ أو من التأله بمعنى التعبد ، من التأله ، وهو توحيد الله بأفعال العباد ، وهو توحيد الإلوهية ، وهو إفراد الله تعالى بالعباد .

إذًا نتيجة هذين القسمين توحيد المعرفة والإثبات وهو يشمل قسمين : توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات . والنوع الثاني وهو توحيد العملي القصدي الإرادي صارت القسمة كم ؟ ثلاثة .

هل بينهما تخالف ؟

نقول : لا ، ليس بينهما تخالف .

هذا النوع الثاني سُمِّيَ التوحيد العملي والطلبي والإيرادي ، قالوا : لأنه من نوع الطلب هكذا علله ابن تيمية رحمه الله تعالى ، الطلب يقتضي ماذا ؟ من جهة المتكلِّم إما أن يأمر وإما أن ينهى ، ومن جهة المخاطَب إما أن يمتثل وإما أن يترك ، لذلك سمي ماذا ؟ سُمِّيَ طَلَبِيًا لأنه من نوع الطلب ، والطلب يقابل الخبر ، كما أن ذاك سمي خبريًا لأنه دائرٌ بين التصديق والتكذيب من قبل المخاطَب وماذا ؟ والنفي والإثبات من قبل المتكلِّم هنا سمي طلبيًا لأنه دائرٌ بين الأمر والنهي من قبل المتكلِّم والامتثال والترك من قبل المخاطَب ، نظر عميق لابن تيمية رحمه الله تعالى وتلميذه ابن القيم .

أما التقسيم الثلاثي فهذا نظرٌ فيه إلى المتعلَق . قالوا : التوحيد هو اعتقاد أن الله واحدٌ لا شريك له ، ومحل الاعتقاد الوحدانية هذا في القلب ، هذا في الأصل ، محله في القلب ، ثم يُنظر إلى متعلَقه هذا الاعتقاد تعلَق بماذا ؟ تعلق بوحدانية الرب في أفعاله لأن الرب جل وعلا ذات وأفعال وأسماء وصفات وكونه معبودًا ، الأشاعرة ومن سار على من نهجهم يقولون : التوحيد هو أن الله اعتقاد أن الله واحدٌ في أفعاله لا شريك له . وبعضهم ينتقد هذه العبارة ونقدها لا بد من التفصيل فيه ، لأنها ليست باطلة من حيث هي العبارة ، لو قيل : اعتقاد أن الله واحدٌ لا

شريك له في أفعاله هذا حق ، لكن يفصل في النقد فيقال : إن جُعِلَ هذا اللفظ هذا المعنى هو توحيد الإلوهية ، قلنا : هذا لا بد من نقده ، لا بد من نقده باعتبار زيادة ما يوضح المعنى يعني : لا نغلطها ، نقول : هذه غلط ، لا ، هذا حق وهو نوعٌ من أنواع التوحيد ، وإنما نقول : لا بد من تصحيح العبارة ، فإن جعل هذا اللفظ هو المعنى المراد من لا إله إلا الله بأن الله واحدٌ في خلقه ورزقه ، نقول : هذا توحيد أبي جهل . وأما إن أريد بأنه واحدٌ في أفعاله جل وعلا وكونه معبودًا مألوهًا نزيد عليها هذه العبارة من أجل تصحيحها نقول : هذا حق . فاعتقاد أن الله واحدٌ ، تعتقد أن الله واحدٌ في ذاته وأفعاله ، بالنظر إلى الرب جل وعلا ، فحينئذٍ نقول : تعلقت هذه الوحدة وهذا الاعتقاد بماذا ؟ بالرب جل وعلا في كونه واحدًا في أفعاله ، هذا يسمى توحيد الربوبية ، تعلقت بوحدانية الرب جل وعلا وأنه واحدٌ في كونه معبودًا لا شريك له ، لا يعبد إلا الله نقول : هذا توحيد الإلوهية ، ولذلك يسمى توحيد الإلوهية ولا يسمى توحيد العبادة في هذا المقام ، وإن نظرنا إلى تعلق هذه الوحدة بأسمائه وصفاته سميناه ماذا ؟ توحيد الأسماء والصفات .

إذًا التقسيمة الثلاثي باعتبار الْمُتعلَق ، الْمُتعلَق هو ذات الرب جل وعلا وأسمائه وصفاته وأفعاله وكونه مألوهًا مطاعًا ، والْمُتعلِق بكسر اللام هو اعتقادُكَ أنتَ واضح ؟ متعلق مثل المروحة هذه ، مُتعلِقٌ ومتعلَق به ، فالمُتَعلَق هو الرب جل وعلا والنظر فيه يكون من هذه الجهات ، ولذلك قسم إلى ثلاثة أقسام .

إذًا لابد من معرفة أن هذا التقسيم حقيقةٌ شرعية بمعنى أن التوحيد بمفهومه العام قد جاء في الكتاب والسنة مقسمًا إلى هذه الأقسام الثلاثة ، والمراد بكونه جاء مقسمًا باعتبار المضمون لا باعتبار الأسماء ، لئلا يُلَبِّس عليكم مُلَبِّس فيقول : الآن محمد بن عبد الوهاب يقول : توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، ابن تيمية ما يقول هذا ؟ يقول : توحيد علمي وتوحيد عملي ؟ قل له : ماذا ؟ أراد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بتوحيد الربوبية ، سيرده إلى التوحيد العلمي ، ماذا أراد بتوحيد الأسماء والصفات ؟ سيقول لك : كذا وكذا سيرده إلى التوحيد العلمي الذي قاله ابن تيمية ، ماذا أراد ابن تيمية بالتوحيد العلمي سيفصل ويرده إلى توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، أما الأسماء فهذا أمرها أخف كثيرًا مما ذكر .

دليل هذا التقسيم التتبع والاستقراء لنصوص الوحيين ، والتتبع والاستقراء قد يكون ناقصًا وقد يكون تامًا ، والتامُ حجةٌ قطعية ، وهل التتبع هنا تامٌ أم ناقص ؟

نقول : تتبعٌ تام واضح بَيّن نظروا في القرآن من أوله إلى آخره - كما سيأتي كلام ابن القيم رحمه الله تعالى - وكله يدور على التوحيد باعتبار المعاني المذكورة .

التتبع والاستقراء لنصوص الوحيين ، فالتوحيد الذي نزلت به الكتب وأرسلت به الرسل ينحصر في هذه الأنواع الثلاثة عند التفصيل ، ولا يكمل توحيد العبد إلا باستكمالها ، لا بد ما يقول : أنا آتي بتوحيد الربوبية ، وتوحيد الإلوهية ما أريده ، أو بالعكس ، أو أؤمن بتوحيد الأسماء والصفات ويترك .. ، لا ، كلها متلازمة وجودًا ونفيًا ، إذا انتفى واحدٌ منها انتفى الآخران ، وإن وجد واحدٌ منها على وجه الكمال لزم أن يكون الثاني والثالث موجودًا ، وإلا كان ثَمّ خللٌ في التوحيد ، فهي متلازمة لا يصح توحيد عبدٍ إلا باستكمالها كلها .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : كل سورةٍ في القرآن . هذا كلام جميل من ابن القيم : كل سورةٍ في القرآن فهي متضمنةٌ للتوحيد بل ، يقول : بل نقول : قولاً كليًا قاعدة كلية بل نقول : قولاً الكلية إن كل آيةٍ في القرآن فهي متضمنةٌ للتوحيد ، أليس القرآن ، كل آيةٍ في القرآن فهي متضمنةٌ للتوحيد شاهدةٌ به داعيةٌ إليه ، فإن القرآن أراد أن يفصل لنا وجهه قال : فإن القرآن إما خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، إما خبرٌ عن الله : (**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**) [الإخلاص : مُحَرَّم] ، وإما خبرٌ عن أسمائه وصفاته : (**الْحَيُّ الْقَيُّومُ**) [البقرة : جُمَادَىأول جُمَادَىأول صَفَر] . وأفعاله (**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ**) [آل عمران : جُمَادَىثَان] كثير ، فهذا هو التوحيد العلمي الخبري . هو قال في موضع توحيد المعرفة والإثبات ، وهنا يقول : هذا هو التوحيد العلمي الخبري ، فدل على أنهما بمعنى واحد ، وإما دعوة - القرآن - وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه ، فهو التوحيد الإرادي الطلبي ، إما هذا وإما ذاك ، وانتهينا (**وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ**) [البقرة : رَبِيعأول رَبِيعثَان] ، (**وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى**) [الإسراء : صَفَر رَبِيعأول] . هذه أوامر ونواهي ، أما قلنا : توحيد الإلهية أو توحيد الطلب دائرٌ بين الأمر والنهي من جهة المتكلِّم المقابل بالامتثال والترك من جهة المخاطَب ، إذًا هو داخلٌ أو لا ؟

داخلٌ ، وإما أمرٌ ونهيٌ وإلزامٌ بطاعته في نهيه وأمره ، فهو حقوق التوحيد ومكملاته . يعني : لا يدعي أنه أتى بالتوحيد ثم لا يصلي مثلاً أو لا يزكي هذا نقص من توحيده ، الدين كله هو التوحيد بالمفهوم العام ، وإما خبرٌ عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل به في الدنيا وما يُكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيد ، لماذا أكرمهم ؟ (

وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) [الصافات : ١٧٣] لتوحيده . لماذا أدخلوا الجنة ؟ (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ**) [لقمان : ٨] لماذا ؟ جزاءً لتوحيده ، وإما خبرٌ عن أهل الشرك وما فَعَلَ بهم أو فُعِل بهم في الدنيا من النكال ، وما يكون من العاقبة في الآخرة من دخول النار ، فهذا جزاء من خرج عن حكم توحيده ، فحينئذٍ صار ماذا ؟ صار القرآن كله في التوحيد ، ومن هنا أخذنا التقسيم ، لأنه إما خبرٌ عن الله عن أسمائه وصفاته وأفعاله ، وإما أنه يدعو إلى عبادته جل وعلا وإفراده بالعبادة . وهذا هو الأصل في التوحيد بأنواعه الثلاثة ، وما جاء بعده من المكملات فهو مكملٌ للتوحيد .

وقال صاحب **((أضواء البيان)) رحمه الله تعالى** : وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام ثم شرحها كاملةً .

ومن الدليل على التقسيم وجوده في عبارات السلف ولو بالإشارة يعني : قد يفهم من بعض كلام السلف عند تفسير بعض الآيات أنهم يعلمون هذا التقسيم ، ولذلك جاء ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله : (**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**) . [يوسف : ١٠٦] قال رضي الله عنه : من إيمانهم إذا قيل لهم : مَنْ خلق السماء ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا : الله . وهم مشركون . هكذا قال ابن عباس ، تفهم من هذا ماذا ؟ أنهم أقروا بأفعال الرب جل وعلا ، من خلق السماء ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ يقولون : الله . هذا توحيد ماذا ؟ توحيد الربوبية . قال رضي الله تعالى عنه : وهم مشركون في ماذا ؟ في الربوبية ؟ هذا صار تناقض ، لو فسرنا هذا بلا صار تناقض ، كيف أقروا آمنوا وهم مشركون ، وهذا نص صريح واضح بين التقسيمة في نفس الآية : (**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**) آمنوا وأشركوا ، ولا إشكال في جمع بين الإيمان والشرك هنا فالمراد بالإيمان هنا التصديق بأفعال الرب جل وعلا كالخلق والرزق ونحو ذلك ، وأما الشرك فالمراد به في كونه انصرفوا نوعًا من أو العبادة لغير الله جل وعلا . وقال ابن عباس أيضًا في آيةٍ أخرى : (**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**) [لقمان : ٢٥] ، (**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**) [الزخرف : ٨٧] . وهم مع ذلك يشركون به ويعبدون غيره ويسجدون للأندادِ دونه . هذه أصرح فقسم التوحيد إلى نوعين لم يقل التوحيد قسمان توحيد الربوبية والربوبية مصدرٌ من الرب ، لا يُشترط هذا ، إنما المراد المضامين ، مضمون الكلام هو مضمون من قسّم التوحيد إلى ثلاثة أقسام .

وقال قتادة في الآية : وهم مشركون في إيمانهم هذا ، إنك لست تلقى أحدًا منهم إلا أنبأك أن الله ربه وهو الذي خلقه ورزقه وهو مشركٌ في عبادته . أثبت إيمان لأفعال الرب جل وعلا وأثبت شركًا في عبادة الرب سبحانه وتعالى . وهذا تقسيمٌ وفصلُ مباينٌ بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة ، فحينئذٍ يكون كالرد على وجوه المتكلمين وغيرهم ، وهذا عن غير واحدٍ من السلف بأنهم عرفوا التوحيد بنوعيه .

قال ابن البطة العكبري رحمه الله تعالى متوفى سنة سبعٍ وتسعين وثلاث مائة يعني : من الأئمة المشهورين قبل ابن تيمية هذا المراد ، هو قبل ابن تيمية رحمه الله تعالى ، ولئلا ينسب إلى أن هذا التقسيم محدث ، لأن الأمور الآن مثل ما سمعنا أولاً ، قلت : كذا . لا ، انتبه . قلت : معناه أنك نسبته لي هذا رأي ، وإذا كان رأيًا لي الرأي والرأي الآخر ، ممكن أن تجادلني ، لكن إذا قيل : هذا منهج السلف وهذا محل إجماع ، ستبقى المسألة لها نظر آخر ، انتبه إجماع السلف على مسألة ، لا تقول : قلتَ كذا ورأيكَ كذا ، أنا متبع ، فارفع رأسك في السماء وتقول : أنا متبع للسلف ، فإذا أُوْرِدَ عليك فحينئذٍ تقول : لا هذا ليس رأيًا لي . من أراد أن يسوي بين النوعين والآن الأقدام واقفة على أن يسوى بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية ، يحاولون أن ينسبوا هذا تقسيم إلى ابن تيمية رحمه الله تعالى ، إذا وافقنا أنه رأي ابن تيمية حينئذٍ جاءت سكاكين ، أي نعم صحيح ، لأنك إذا سلمت أنه رأي لابن تيمية ، ابن تيمية ليس مشرعًا ، أنا وأنت نحب ابن تيمية ونتبع الدليل ، أليس كذلك ؟ فحينئذٍ إذا سلمتَ بأنه رأي لابن تيمية أو لمحمد بن عبد الوهاب أو لأي أحد معناه أنك تنازلت عن ثلاثة أرباع الحق الذي معك ، لأنه يحاجك بأن ابن تيمية ليس بحجة ، وأن هذا فهمه وأنا أثبت نقيض فهمه ، تقول : لا ، ابن تيمية ليس ممن أتى بهذا التقسيم هو مسبوق ، مسبوق بابن بطة ، وابن بطة مسبوقٌ بابن عباس وقتادة ، وهم مسبوقون بظاهر القرآن والسنة ، تلطمه على وجهه ، تعرف أن هذا الكلام مراده به إحداث فتنة ، وأنه إذا نُسب إلى ابن تيمية رحمه الله تعالى حينئذٍ يمكن إبطاله من أصله . قال ابن بطة رحمه الله تعالى : وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء ثلاثة . ذلك : ما سبق أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به سبحانه ثلاثة أشياء .

أحدها الأول : وهذا كله بالنص أن يعتقد العبد ربانيته جل وعلا ، أنه رب ، أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك بهذا الاعتقاد مباينًا مفاصلاً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعًا كفرعون ومن على شاكلته . إذًا أولا تتعقد ربانية الرب جل وعلا ، هذا ما اسمه توحيد الربوبية ، لئلا أو لتصير بهذا النوع مباينًا ومنفصلاً عن الذين ينكرون صانع من أصله .

الثاني : أن يعتقد وحدانيتهُ ليكون مباينًا بذلك مذاهب أهل الشرك ، وحدانيته في ماذا ؟ في كونه معبودًا مألوهًا مطاعًا لماذا ؟ قال : [ليباين] ليكون مبيانًا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع بالخالق جل وعلا وأشركوا معه في العبادة غيره وهذا توحيد الإلوهية .

والثالث : أن يعتقده موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه .

ثلاثة أنواع : الأول توحيد الربوبية ، والثاني توحيد الإلوهية ، والثالث توحيد الأسماء والصفات .

[إذ] (3) ، قال ابن بطة : إذ قد علمنا أن كثيرًا ممن يُقر به بوجود الرب جل وعلا ويُوَحِّده بالقول المطلق قد يُلْحِدُ في صفاته . يعني ينكر كالجهمية وغيرهم ينكر بعض صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحًا في توحيده . يعني : مراد بهذه الجملة أنه لا يكون العبد موحدًا إلا باستكمال الأنواع الثلاثة ، لو أنكر صفةً واحدةً من صفات الرب جل وعلا أنكر ، لا ، أقول : أَوَّل أنكر صفةً واحدة كفر بإجماع المسلمين . لا خلاف ، وإنما الخلاف فيما إذا أَوَّل وكانت له شبهة هنا يأتي الخلاف ، ولأننا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدةٍ من هذه الثلاث والإيمان بها . وهذا كلامٌ صريح من كلام الإمام المشهور ابن بطة ومن علماء السلف المتقدمين قبل ابن تيمية وقبل محمد بن عبد الوهاب ، يعني : قبل الوهابية ، يقال : هذا التقسيم تقسيم وَهَّابِي . قل : ابن بطة وَهَّابِي ؟ ليس وهابيًا ، ثلاثمائة وسبعة وتسعين ، وابن عباس وَهَّابِي ؟ طيب وإذا ردوا على أهل البدع يقولوا : ابن عباس جامي ، ومثله عن الحافظ ابن منده والطبري وابن تيمية وابن القيم ، فإنكار التقسيم مكابرةٌ ومعاندةٌ وليس مع من أنكر أي مستندٌ شرعي ولا نقلٌ سلفي . وهذه مسألة مطروحة عصرية قد كتب الشيخ : عبد الرزاق العبّاد حفظه الله رسالة في ذلك ، ما اسمها ؟ القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد ، هذه رسالة مفيدة جيدة جدًا واختصرها هو بنفسه ، اختصرها بنفسه .

إذًا نقول ماذا ؟

هذه الأقسام الثلاثة نقول : كلها ثابتة بدلالة الكتاب والسنة ، يعني : باستقراء الكتاب والسنة وجاء التصريح أو الإشارة ببعضها في كلام السلف ، وجاء التصريح في كلام أئمة من السلف كالطبري وابن منده وغيره من أهل العلم .

العلاقة بين الأقسام الثلاثة هذه نقول : هذه الأنواع الثلاثة بمجموعها هي الركن الأول من أركان الإيمان ، وهو الإيمان بالله الذي نسميه التوحيد ، فلا يكمل لأحدٍ توحيده إلا باجتماع هذه الأنواع الثلاثة فهي متلازمة وجودًا وانتفاء ، إن وجدت الثلاثة على وجه التمام أو وُجِدَ واحدٌ منها على وجه التمام يستلزم وجود الآخَرَيْنِ .. وهلم جرا ، وإذا أنفى واحدٌ أو خلا أو وقع خلل ونقصٌ في واحدٍ منها فحينئذٍ نقول : هذا وقع النقص في الكل ، وما أُثْبِتَ من جهة كون المشركين الذين بعث إليهم النبي ﷺ أنهم أقروا بتوحيد الربوبية المراد به إقرار في الجملة أو أنهم أتوا بـ أو أقروا بالأصول العامة ولم يأتوا به على وجه التمام ، فلا يكمل لأحدٍ توحيده إلا باجتماع هذه الأنواع الثلاثة ، فهي متلازمةٌ وجودًا وانتفاءً ، يكمل بعضها بعضًا ، والخلل والنقص والانحراف في أي نوعٍ منها هو خللٌ في التوحيد كله .

وذكر في شرح الطحاوية قال : هي علاقة تلازم وتضمن وشمول . علاقات أو أنواع الدلالة ثلاثة ، فتوحيد الربوبية مستلزمٌ بتوحيد الإلوهية ، وتوحيد الإلوهيةَ متضمنٌ لتوحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات شاملٌ للنوعين معًا ، توحيد الربوبية مستلزمٌ لتوحيد الإلوهية بمعنى أنه إذا أقر بالخالق وأنه لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ولا ملكًا على وجه العموم إلا الله ، ولا مدبرًا ولا محي .. إذا أثبت هذه الصفات كلها حينئذٍ يستلزم منك وأنت عاقلٌ تثبت مثل هذه الأمور أن تصرف العبادة لمن لا يخلق إلا هو ، ولا يرزق إلا هو ، وأما العاجز الذي ليس بيده الخلق ولا الرزق ولا نحو ذلك ولا إحياء ولا إماتة نقول : العاجز الأصل فيه أنه لا يصرف إليه شيءٌ من أنواع

(3) كان الشيخ سيذكر القول ، ثم ذكر قائله ثم تلفظ بمقول القول .

العبادة ، ولذلك إذا قيل : بأن التوحيد توحيد الربوبية مستلزمٌ بهذه العبارة مستلزمٌ . قد يقول : السلف ما قالوا : دلالة التزام . نقول : لكن المعنى مراد مستلزمٌ لتوحيد الربوبية توحيد الإلوهية ، نقول : نستفيد من هذا أن توحيد الربوبية ليس هو عين توحيد الإلوهية ، توحيد الربوبية ملزوم وتوحيد الإلوهية لازمٌ ، وفرقٌ بين الملزوم واللازم ، ولذلك دلالة الالتزام ما هي ؟

دلالة اللفظ على خارجٍ عن مسماه . إذًا ليس داخلاً في المسمى ، لازمٌ له لزومًا ذهنيًا أليس كذلك ؟ إذًا إذا دل توحيد الربوبية على توحيد الإلوهية بدلالة الالتزام حينئذٍ نقول : [توحيد الربوبية ليس] (4) توحيد الإلوهية ليس داخلاً في توحيد الربوبية وإنما هو مستلزمه . قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : وكلمة الشهادة التي دعا إليها الرسل لا إله إلا الله تشتمل على أنواع التوحيد الثلاثة على الذي يقرره دائمًا أنه إذا قيل : بأن رسالة الرسل إنما هي الدعوة إلى لا إله إلا الله ، وأن الخصوم إنما وقعت في توحيد الإلوهية ليس معنى ذلك أن لا إلا الله لا تدل على توحيد الربوبية ولا على توحيد الأسماء والصفات ، ولا يفهم من هذا أن الرسل لم يدعوا إلى توحيد الربوبية ولا توحيد الأسماء والصفات ، ليس كذلك ، وإنما دعوا إلى لا إله إلا الله ، ولا إله إلا الله تدل دلالة مطابقة على توحيد الإلوهية ، فإذا فُسِّرَ حينئذٍ لا إله إلا الله مطابقةً لتوحيد الربوبية نقول : هنا وقع الخطأ ، وليس رد على الأشاعرة ونحوهما إذا قالوا : لا إله إلا الله معناه لا خالق إلا الله أن لا إله إلا الله لا تدل على هذه الصيغة ، لا ، ليس هذا المراد ، والمراد أن حصر هذا اللفظ في المعنى معنى توحيد الربوبية هنا وقع الخطأ ، ولذلك هذا نصٌ من ابن تيمية رحمه الله أن لا إله إلا الله تدل على التوحيد [بأنواعها الثلاثة] بأنواعه الثلاثة يقول رحمه الله : وكلمة الشهادة التي دعا إليها الرسل لا إله إلا الله ، تشتمل على أنواع التوحيد الثلاثة ، فقد دلت على توحيد العبادة دلالة مطابقة ، لأن معناها لا معبود بحقٍ إلا الله ، ففيها إثباتٌ العبادة لله ونفيها عن ما سواه ، ودلت على توحيد الربوبية أيضًا لكن بدلالة تضمن [نعم أحسنتم] بدلالة التضمن ، فدلت على توحيد الربوبية لأن العاجز لا يكون إلهًا ، وابن تيمية يقول : توحيد الربوبية ، نص عليه ، ودلت على توحيد الربوبية لأن العاجز لا يكون إلهًا ، فإن المعبود لا بد وأن يكون خالقًا مدبرًا ، ودلت على توحيد الأسماء والصفات لأن فاقد الأسماء الحسنى وصفات الكمال غير كامل الذي يفقد الأسماء الحسنى التي بلغت في الحسن غايته وكذلك صفات الكمال غير كامل ، وإذا كان كذلك لا يصلح مَنْ هذه حاله أن يكون إلهًا خالقًا ، حينئذٍ دلت على أنواع التوحيد الثلاثة ، لكن بدلالة المطابقة تدل على توحيد العبادة ، ولذلك سؤالاً يحددان هذا الموضوع :

هل الرسل دعت إلى توحيد الربوبية ؟

أجيبوا : نعم . قل : نعم .

هل الرسل بعثت من أجل توحيد الربوبية ؟

لا .

حدد لك المراد ، سين جيم . وذكر بعضهم فروقًا بين نوعي التوحيد توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء وتوحيد الإلوهية ، منها الاختلاف في الاشتقاق ، لا بد أن نميز بين النوعين لأنه من الشبه وخاصةً في هذا العصر وهو شبهٌ قديمة لكن الآن أحييت وهي شبهة المتكلمين والأشاعرة ألا فرق بين النوعين البتة ، لا فرق بينهما ، ولذلك إذا أبطل التقسيم رجعنا إلى هذا المعنى ، يعني : إذا أبطلنا التقسيم الثلاثي معناه سوينا بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية . نقول : لا ثَمّ فروقًا بينهما في الشرع .

الأول : الاختلاف في الاشتقاق ، فالربوبية هذه مشتقةٌ من ماذا ؟ من اسم الرب والرب معناه المالك المتصرف - كما سيأتي - . والإلوهية من لفظ الإله إذًا الربوبية مشتقٌ من الرب والإلوهية مشتقٌ من الإله ، وهل الرب بمعنى الإله والإله بمعنى الرب ؟ هذا يأتي بحثه مفصلٌ إن شاء الله تعالى ، وهنا وقع الخلل عند الأشاعرة وجمهور المتكلمين أن الرب بمعنى الإله والإله بمعنى الرب وهذا غلط .

ثانيًا : أن متعلق الربوبية الأمور الكونية كالخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحوها ، ومتعلق توحيد الإلوهية الأوامر والنواهي ، كل عبادة فهي متعلقةٌ بتوحيد الإلوهية .

ثالثًا : أن توحيد الربوبية قد أقر به المشركون غالبًا في الجملة أقروا به ، وأما توحيد الإلوهية فقد رفضوه جملةً وتفصيلاً : (**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**) [ص :٥] .

---

(4) سبق .

رابعًا : إن توحيد الربوبية مدلوله علمي اعتقادي في القلب تصديق أو تكذيب ، والإلوهية مدلوله عملي لا بد من العمل ، تؤمر فتمتثل تُنْهى فتنتفي ، امتثالاً بالفعل وامتثالاً بالترك .

وتوحيد الربوبية خامسًا : يستلزم توحيد الإلوهية ، توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلوهية ، بمعنى أن توحيد الإلوهية خارجٌ عن مدلول توحيد الربوبية ، إيش معنى يستلزم ، أما نقول : دلالة التزام دلالة اللفظ على خارج عن مسماه ، إذًا توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلوهية ، دلالة توحيد الربوبية على خارج عن مسماه ، إذًا ليس داخلاً الإلوهية في معنى الربوبية ، انتبه لهذا ، بمعنى أن توحيد الإلوهية خارجٌ عن مدلول توحيد الربوبية ، لكن لا يتحقق توحيد الربوبية إلا بتوحيد الإلوهية ، هذا من حيث التلازم ، ولكن بالنظر إلى اللفظ عينه نفسه ، نقول : توحيد الإلوهية لا يدخل تحت توحيد الربوبية من جهة اللفظ ، لأن الرب غير الإله ، والإله غير الرب ، وأن توحيد الإلوهية متضمنٌ توحيد الربوبية ، ودلالة التضمن ما هي ؟ دلالة اللفظ على جزءٍ المعنى يعني في ضمنه كله ، إذًا داخلٌ فيه أو لا ؟

داخلٌ ، بخلاف الدلالة الأولى ، دلالة التزام دلالة اللفظ على خارج عن مسماه ليس داخلاً في اللفظ ، وأما التضمن الواحد في ضمن الأربعة ، الأربعة دل على الواحد إذًا توحيد الإلوهية يتضمن توحيد الربوبية ، إذًا داخلٌ جزءٌ منه أو لا ؟ جزءٌ منه .

إذًا توحيد الربوبية جزءٌ من مفهوم توحيد الإلوهية ، وتوحيد الإلوهية ليس داخلاً ولا جزءً من مفهوم توحيد الربوبية إلا على جهة الاستلزام ، انتبه لهذا . وأن توحيد الإلوهية متضمنٌ توحيد الربوبية بمعنى أن توحيد الربوبية جزءٌ من معنى توحيد الإلوهية .

سادسًا : يقال توحيد الربوبية يقال له : توحيد المعرفة والإثبات ، ولتوحيد الإلوهية توحيد الإرادة والقصد .

سابعًا : توحيد الربوبية لا يدخل من آمن به في الإسلام ، من آمن بتوحيد الربوبية ليس مسلمًا كافر ، جاء قال : أريد أن أدخل في الإسلام يقول : لا خالق إلا الله لا رازق إلا الله . أسلم ؟ ما أسلم ، لكن لو جاء بتوحيد الإلوهية دخل في الإسلام أو لا ؟

دخل في الإسلام ، هذه قاعدة قطعية أو ظنية ؟

قطعية - كما أخذناه في القواعد - .

إذًا توحيد الربوبية هذا من الفوارق بين النوعين توحيد الربوبية لا يُدْخِلُ من أتى به في الإسلام ، وتوحيد الإلوهية من أتى به على وجهه الشرعي دخل به في الإسلام ، فرقٌ بينهما هذا واضحٌ بَيِّن هذا يكفي ، وهذا محل اتفاقٍ إجماع بين السلف .

إذًا توحيد الربوبية لا يدخل من آمن به في الإسلام بعكس توحيد الإلوهية فإن الإيمان به يدخل في الإسلام .

ثامنًا : توحيد الربوبية دليلٌ من وجوب توحيد الإلوهية والله عز وجل في غير موضع في كتابه يستدل بإثبات توحيد الربوبية على المشركين لماذا ؟ في إثبات توحيد الإلوهية : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ**) [البقرة : ٢١] . هذا أمرٌ بتوحيد الإلوهية : (**الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**) [البقرة : ٢١] . هذا دليل كأنه قال : لأنه خالقكم وأقررتم بهذا اعبدوا ربكم ، فقدم النتيجة على المقدمة ، واضح هذا ؟ ولذلك نقول : توحيد الربوبية دليل لوجوب توحيد الإلوهية واضح هذا ؟ وتوحيد الربوبية ملزومٌ وتوحيد الإلوهية لازمٌ ، توحيد الربوبية دليل وتوحيد الإلوهية مدلولٌ عليه .

وفق الله جميعنا لما يحبه ويرضى .

وصلّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :
قال المصنف رحمه الله تعالى : (**اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة**) . عرفنا التوحيد في اللغة أنه مصدر وَحَّدَ يُوَحِّدُ تَوْحِيدًا ، وأن مداره على الإفراد فوحدت الله معناه أفردت الله بالوحدانية ، ووحدته بمعنى نسبته إلى الوحدانية ، والوحدانية صفة من صفات الرب جل وعلا (**وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**) [الرعد : 16] ، (**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**) [الإخلاص : 1] أحد في ذاته أحد في أسمائه وصفاته وفي أفعاله ، المصنف رحمه الله تعالى أراد بالتوحيد هنا نوع واحد من أنواع التوحيد وعرفنا أن التوحيد ينقسم إلى قسمين :
توحيد في المعرفة والإثبات ، وهذا يندرج تحته قسمان : توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات .
والنوع الثاني : توحيد في القصد والطلب .
وهذا الذي يسمى بتوحيد الإلوهية . إذا عرفنا هذا عرفنا أن التقسيم الثنائي مضمونه هو التقسيم الثلاثي . إذًا لو قيل بأن ثَمَّ خلافًا بين أهل العلم في تقسيم التوحيد نقول : هذا خطأ ليس بينهم خلاف لماذا ؟
لأن تقسيم التوحيد وأقسام التوحيد هذه حقيقة شرعية ، دل عليها استقراء نصوص الوحيين ، فإذا كان كذلك حينئذٍ يكون النظر في المضمون ، توحيد الله تعالى بأفعال ، أو النظر إلى توحيد الرب جل وعلا بأفعال العباد ، أو النظر إلى توحيد الرب جل وعلا في أسمائه وصفاته . عَبَّر ابن تيمية رحمه الله تعالى وابن القيم عن هذه الأقسام الثلاثة بما ذكرناه التوحيد في المعرفة والإثبات ، لأن مدار توحيد الربوبية ومدار توحيد الأسماء والصفات هو على الإثبات ، ليس لك أيها المكلَّف إلا أن تسمع ما قاله الله جل وعلا إثباتًا ونفيًا فتثبت ما أثبته الله وتنفي ما نفاه الله تعالى ، دون تكييف أو تمثيل أو تشبيه أو تحريف أو تعطيل ، فمبناه على القاعدة الكبرى في باب الأسماء والصفات والربوبية هو الإثبات ، لكن إثبات دون تشبيه أو تمثيل على قاعدة (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) [الشورى : 11] أثبت ونفى (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**) نفى المثلية أن يشابهه أو يماثله أحد من المخلوقات فهو الخالق جل وعلا وما سواه مخلوق ، فهو الكامل من كل وجه وما سواه مخلوق ناقص من كل وجه ، فحينئذٍ أثبت لنفسه ، أو نفى عن نفسه المماثلة وأثبت لنفسه صفتين (**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) ، إذًا سميع ليس كسمع الإنسان لأن الإنسان يوصف بالسمع ، سمع لا كسمع الإنسان ، وهو بصير والإنسان بصير ، لكن سمع ليس كسمع الإنسان ، وبصر ليس كبصر الإنسان ، (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) هذا يتعلق بماذا ؟
بالإثبات ، لذلك جمع بينهما ابن تيمية رحمه الله تعالى وابن القيم في عنوان واحد وهو : توحيد المعرفة والإثبات ، ويسمى التوحيد العلمي ، والتوحيد الخبري ، والتوحيد الاعتقادي . كلها أسماء وألفاظ والمعنى واحد ، لكن نُظِرَ من جهة تسميته خبرًا بناء على الخبر الذي يقابل الطلب ، والخبر الذي يقابل الطلب ما هو ؟
هو الذي يكون من جهة المتكلِّم إما بإثبات أو نفي ، يثبت أو ينفي (**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**) هذا إثبات (**الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**) [البقرة : 255] هذا نفي ، إذًا جمع بين الإثبات والنفي ، هذا من جهة المتكلِّم يقابَل من جهة المخاطَب إما بالتصديق وإما بالتكذيب لأن هذا شأن الخبر .
النوع الثاني : توحيد في القصد والطلب . لأن مداره على القلب هذا في الأصل وإن كان العمل داخلاً فيه ، لكن بالتبع ، مداره على الطلب ، وهذا الطلب يكون من جهة المتكلِّم بالأمر أو النهي ، يأمر وينهى ، يقابل من جهة المكلَّف المخاطَب بماذا ؟ بالامتثال أو الترك ، ولذلك سمى ابن تيمية رحمه الله تعالى النوع الأول توحيد المعرفة والإثبات سماه توحيدًا قوليًّا ، والنوع الثاني هذا توحيد القصد والطلب سماه توحيدًا عمليًّا . وهذا أيضًا ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية ، توحيد قولي وتوحيد عملي .
المصنف هنا رحمه الله قال : (**اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله**) سبحانه وتعالى . التوحيد هل أراد التوحيد بأنواعه الثلاث ؟ أو أراد نوعًا من أنواع التوحيد ؟ وهل يَرِدُ هذا إشكالاً على المصنف بحيث يُعْتَرض عليه لماذا ذكرت التوحيد ببعض أفراده أو لا ؟

نقول : على المصنف هنا رحمه الله بقوله : (**أن التوحيد هو إفراد الله**) تعالى (**بالعبادة**) . نوعًا واحدًا من أنواع التوحيد ، وهو توحيد العبادة ، توحيد الإلهية ، توحيد الإلوهية ، أسماء والمسمى واحد ، وتعدد الأسماء لا يقتضي تعدد المسميات ، فحينئذٍ عنى نوعًا واحدًا ، لماذا عناه رحمه الله تعالى ؟

قالوا : إما بذكر الشيء بأهم أفراده . وهذا لا شك فيه ، أن توحيد العبادة أهم من توحيد الربوبية ، وتوحيد العبادة أهم من توحيد الأسماء والصفات ، ولذلك أقر المشركون في الجملة بهذين النوعين ، توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، وإنما وقع النزاع في توحيد العبادة .

إذًا ذكر المصنف هذا التعريف للتوحيد لم يُرِدْ به مطلق التوحيد ، وإنما أراد به نوعًا واحدًا وهو أهم ما يُذكر في هذا المقام ، لأن التوحيد إذا أطلق في مقام المعارك معارك الرسل مع أقوامهم انصرف إلى هذا النوع ، وهو توحيد العبادة (**اعلم رحمك الله أن التوحيد**) أي : توحيد الإلوهية أو الإلهية . الإلوهية مصدر والإلهية نسبة وكلاهما صحيح لغةً ومستعمل عند العلماء ، وهو مشتق من التأله وهو التعبد .

لله در الغانيات المدهي سبحن واسترجعن من تألهي

يعني : من تعبد ، فالتأله والتأليه بمعنى التعبد ، بل هو أعلى مراتب التعبد ، فالإلوهية حينئذٍ تكون بمعنى العبودية ، [أَلَهَ يَأْلَهُ $ هل سبق 7.56] أَلِهَ يَأْلَهُ إلاهةً وَأُلُوهَةً بمعنى عَبَدَ يَعْبُدُ عَبَادَةً ، وهذا التوحيد يقتضي منك أن تتوجه بجميع عباداتك لله وحده ، ويقتضي منك أن تعرف ما هي العبادة ، لا بد من هذا ، هذا في مقام توحيد العبادة ، يقتضي منك أن تتوجه بجميع أنواع العبادة لله ، وأن تعرف ما هي العبادة ، لأنه لا حصر ولا ، بل نقول : لا قصد بشيء إذا لم يعرف . هذا أمر مستحيل لا يمكن أن تعمل شيء وأنت لم تعرفه ، ولا يمكن أن تتجنب شيء وأنت لا تعرفه ، هذا مستحيل . ولذلك من شروط المكلَّف به عند الأصوليين أن يكون ماذا ؟

أن يكون معلومًا شرط ، إذا لم يكون معلومًا لو قال قائل لآخر : صلي . ولم يعرف الصلاة كيف يمتثل ؟ لو قال له : لا تصلي . كيف يمتثل إذا لم يعرف الصلاة ، حينئذٍ يقتضي أن تعرف العبادة حقيقتها وأفرادها وشروطها وأركانها وما الذي يُنقصها وما الذي يُبطلها لتتمكن من تحقيق هذا التوحيد ، ولا يمكن أن يعرف التوحيد على وجه الكمال إلا إذا عرف ضده ، يُعرف ما هو الشرك وما هي أنواعه وما الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر ، ومتى يحكم على الشخص بأنه مشرك شركًا أكبر هذه لا بد من العلم بها ، لأنه لا يمكن أن يتلبس بالتوحيد ويأتي به على وجه الصحيح الشرعي إلا إذا عرفه على وجه الكمال في نفسه وعرفه مما يميزه عن نقيضه .

عرفت الشَّرَّ لا للشَّرِّ ولكن لتوقيه من لم يعرف الخير من الشر يقع فيه

ما هو التوحيد ؟ إذًا التوحيد أل هذه تكون للعهد الذهني ، إذا أردنا به توحيد الإلوهية لأن التعريف الذي ذكره المصنف ليس لمطلق التوحيد ، وإنما هو لنوع واحد ، واللفظ إذا أطلق انصرف إلى كل مدلوله ، فالتوحيد الأصل فيه أنه يطلق على الأقسام الثلاثة ، فإذا أردنا تعريفه حينئذٍ لا نعرفه ببعضه وإلا صار نقضًا عند أرباب القواعد ، وقلنا فيما سبق : أن العقيدة بجميع تفصيلاتها لا ينبغي أن ننزل قواعد المناطقة عليها عند الحدود ، وتلك نتساهل فيها في باب النحو والصرف والأصول ونحو ذلك ، وأما في العقيدة فلا ، كل ما كان التعريف أوضح وأقرب إلى الذهن فهو أولى ، وهو المرجح ، وهو الجامع المانع ، والاختصار فيه بحيث يكون على كلمة أو كلمتين كما يريدها أرباب المنطق نقول : هذا قد يُوقع في اللبس وقد يوقع في الخلط ، فحينئذٍ الأولى اجتنابه .

إذًا التوحيد أل هذه نقول : للعهد الذهني . أو نقول : عرَّفه بأهم أنواعه وأل حينئذٍ تكون للعهد الحضوري ، لا يمكن أن نجعل أل هذه نائبة عن مضاف إليه على طريقة الكوفيين كأنه قال : توحيد العبادة إفراد الله . وهذا جائز عند الكوفيين ممتنع عند البصريين ، فيحذف المضاف إليه ويعوض عنه أل ، فأل تكون نائبة عن المضاف إليه أو نقول : تعريف للشيء ببعض أفراده . قال : (**هو**) . أي : هذا التوحيد . (**إفراد الله**) سبحانه (**إفراد**) هذا مصدر أَفْرَدَ يُفْرِدُ إِفْرَادًا ، والإفراد لا يكون الشيء منفردًا عن غيره متميزًا عن غيره إلا بشيئين اثنين لا ثالث لهما ، إثبات تام ونفي عام . فالإثبات المحض ليس بتوحيد ، النفي المحض ليس بتوحيد ، كل منهما لوحده لا يسمى توحيدًا ، لأن

النفي المحض تعطيل مطلق ، والإثبات المحض لا يمنع الشركة ، فإذا قلت : زَيْدٌ قَائِمٌ . أثبت القيام لزيد ، وغير زيد يحتمل أنه قائم ويحتمل أنه ليس بقائم ، أليس ذلك ؟

هل الإثبات هنا زَيْدٌ قَائِمٌ منع الشَّرِكَة بأن يشارك غير زيد زيدًا في الحكم وهو القيام ؟

الجواب : لا ، إذًا لا بد من ماذا ؟

من أمرين اثنين لتحقيق هذا الإفراد ، وهو أن يقال : مَا زَيْدٌ إلا قَائِمٌ . مَا حرف نفي ، وَزَيْدٌ مبتدأ ، وَإلا حرف استثناء ، وَقَائِمٌ هذا خبر . وهذا يسمى عند البيانيين وأرباب البلاغة أعلى صيغ الحصر ، والحصر هو إثبات الحكم في المذكور ونفيه عن ما عداه ، كأنه قال : مَا قَائِمٌ إلا زَيْدٌ ، لَمْ يَقُم إلا زَيْد فقط ، يعني : من جهة المعنى مَا قَائِمٌ إلا زَيْدٌ لم يوصف بالقيام إلا زيد ، ومن عدا زيد عمرو وخالد وغيرهم هؤلاء ليسوا بقائمين ، فأثبت القيام لزيد ونفاه عن غيره ، لكن زَيْدٌ قَائِمٌ هذا نقول : إثبات محض لا يمنع الشركة ، فغير زيد قد يكون قائم ، وأما مَا زَيْدٌ لو قال هكذا نقول : هذا نفي محض وهو تعطيل محض ، لا يفيد شيئًا . إذًا إذا قيل : الله إله . هل هذا توحيد ؟ ليس بتوحيد أثبت الإلوهية لله عز وجل نعم أثبتها الله إله ، أثبتها أو لا ؟ أثبتها مثل زَيْدٌ قَائِمٌ ، لكن هل نفى الإلوهية عن غير الله ؟ لا ، لا بد أن يقول : لا إله إلا الله . فأثبت الإلوهية لله سبحانه ونفاها عن ما عداه ، ولذلك لا يتحقق التوحيد إلا بركني النفي والإثبات ، نفي الإلوهية عمن سوى الله تعالى ، وإثبات الإلوهية لله وحده جل وعلا ، وهذا هو التعريف الذي ذكره المصنف . (**إفراد الله**) لا إفراد غيره ، فهذا يتضمن إثبات العبادة لله ونفيها عمن سواه ، (**إفراد الله**) سبحانه هذه كلمة تنزيه وهو مصدر نحو غفران ويلزم الإضافة ، هذا من الكلمات التي تكون ملازمة للإضافة ، (**فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ**) [الروم : 17] (**سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا**) [البقرة : 32] .

وفي المضاف ما يجر أبدا مثل لدن زيد وإن شئت لدا

ومنه سبحان ، وفي المضاف ما يجر أبدًا يعني : ملازم للإضافة ، قال : ومنه سبحان وذو ومثل ، سبحان الله ما يقال سبحان هكذا ، وإنما لا بد من إضافته وأما قول الشاعر :

سبحان من علقمة الفاجر

قيل : تقديره سبحان علقمة على تقدير التهكم فزاد فيه من ردًا إلى أصله ، وقيل : أراد سبحان الله من علقمة من أجل علقمة ، فحذف المضاف إليه ، والتسبيح المراد به تنزيه الرب جل وعلا ، سبحانه هذا الضمير أرجعه إلى المضاف إليه من قوله : (**إفراد الله**) . (**إفراد الله**) سبحانه ، وتعالى أي : تعاظم . تعالى أي : تعاظم . مأخوذ من العلو ، فيعلو أن يحيط به وصف الواصفين ، بل علم العارفين ، وتخصيص لفظ التفاعل لمبالغة ذلك منه لا على سبيل التكلف كما هو شأن البشر ، يعني : إذا قيل : هذه صيغة مبالغة في حق الرب جل وعلا إذا قلت : زيد علام . هذا قد يكون ماذا ؟ ادعاءً ، أما إذا قيل : الله عز وجل عليم . فقيل : هذه صيغة مبالغة ، ليس المراد ما يراد به من لفظ المبالغة عند البشر ، وإنما المراد به في حق الرب جل وعلا علام الغيوب فعَّال كلها صيغ مبالغة في كتب النحو ، نقول : المراد بها كثرة وقوع آحاد ما نسب إليه وهو المصدر ، علام كثرة المعلومات على وجه الحقيقية ، وأما إذا قيل : زيد علام . فالمراد به المبالغة ولا يكون اللفظ صادقًا على المسمى صدق اللفظ على مسماه ، وهذا يكون فيه نوع تكلّف في حق البشر ، وأما الله تعالى فلا ، ولكن المراد يصح أن يقال في حق ألفاظ الرب جل وعلا أسمائه أو صفاته أن يقال هذا صيغة المبالغة ، لكن ليس المراد المبالغة التي تكون في الذهن من ادعاء شيء ليس لمسماه كما هو الشأن في حق البشر ، وإنما المراد به وقوع ذلك من الرب بكثرة ، كثرة علمه فقيل : علام ، كثرة فعله جل وعلا فقيل : فعّال . ونحو ذلك . (**سبحانه وتعالى بالعبادة**) هذا جار ومجرور متعلق بقوله : (**إفراد**) . (**إفراد الله**) بماذا ؟

(**بالعبادة**) نطبق شرط الإفراد وهو الإثبات التام والنفي العام ، (**إفراد الله بالعبادة**) فتثبت العبادة لله وحده ، وتنفى عمن سواه ، والعبادة الشرعية هي المرادة هنا لأن اللفظ يطلق ويراد به عبادة التسخير القهر ، كل مخلوق فهو عبد لله ، كل مخلوق حتى الكافر عبد لله أو لا ؟ عبد لله الله خلقه ، أليس كذلك ؟ وهو الذي يرزقه ، وهو الذي يمرضه ، وهو الذي يشفيه ، وهو الذي يرزقه الأولاد والمال وغير ذلك .

إذًا الله عز وجل ربه وهو عبد لله لكن هذه العبودية تسمى عبودية تسخير عبودية قهر ليس له رأي في الخروج عنها البتة ، لا يمكن ، لا يمكن أن يدَّعي مدعي من المخلوقات أن ربه غير الله عز وجل ، أو أنه رازقه غير الله ،

بل هو هُو سبحانه فهذه تسمى عبودية التسخير وأشار إليها قوله تعالى : (**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**) [مريم : 93] . كل من في السماوات والأرض وهذا لفظ عام يشمل البر والفاجر والمؤمن والكافر ، فلا يخرج عن عبودية الرب جل وعلا أحد البتة ، لكن هل هذه العبودية ووصف الكافر بكونه عبدًا لله هل يقتضي مدحًا له ؟

نقول : لا ، لا يقتضي مدحًا لماذا ؟

لأنها ليست اختيارية وإنما هي اضطرارية ، وأما عبودية الشرع أو الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي ، فهذه خاصة بالمؤمنين ، ومنه قوله تعالى : (**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**) [الفرقان : 63] . هذه هي التي يترتب عليها المدح في الدنيا والآخرة ، وأما الأولى فلا (**إفراد الله بالعبادة**) أي العبادتين ؟ نقول : ليست العبادة قدرية القهرية التسخيرية ، وإنما المراد بها العبادة الشرعية .

وأصلها مأخوذ من المعنى اللغوي لها الذي هو الذل والخضوع ، قال الأزهري رحمه الله : معنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع . يقال : طريق مُعَبَّدٌ . أي : مُذَلَّل بالوطأ بالمشي بالأقدام ، سَخَّرَتْهُ الأقدام ، ويقال : بعير مُعَبَّد . مُذَلَّل بالقطران ، وعبدت فلانًا إذا ذللته وإذا اتخذته عبدًا ، ومنه (**أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**) [الشعراء : 22] يعني : ذللتهم وسخرتهم لك في خدمتك .

والعبادة ضربان : عبادة بالتسخير وهي : الخضوع لأمر الله تعالى الكوني القدري ، وعبادة بالاختيار وهي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي ، الذي سمع الوحي فأطاع وامتثل ، وأما الذي لم يستجيب للأنبياء والرسل فهذا تثبت له العبادة التسخيرية ، حينئذٍ يقال : كل عبد اختيارًا فهو عبد مسخر من غير عكس .

وحقيقة العبادة الخضوع والذل ، فإذا انضاف إليها المحبة والانقياد صارت عبادة شرعية ، ولذلك سيأتي أن كمال العبادة إنما يكون أو أصل العبادة إنما يكون بكمال الحب والذل والخضوع لله عز وجل ، لا بد من اجتماع هذين الركنين ، وهذا قد دل عليه اللغة وكذلك ما انضاف إليه من الشرع ، ولفظ العبادة هذا مصدر عبادة عَبَدَ يُعَبِدُ عِبَادَةً حينئذٍ في استعمال الشرع بالاستقراء يُطلق اللفظ ويراد به المعنى المصدري ، ويطلق اللفظ ويراد به معنى اسميًّا صار عَلَمًا ، كـ زيد إذا أطلق انصرف إلى معناه ، فالاسم غير المسمى وقد يراد به المعنى المصدري ، فحينئذٍ نقول : يطلق مصدرًا ومعناه التعبد الذي هو فعل الفاعل فعلكَ أنتَ يسمى عبادة ، وتطلق اسمًا ويعنى به المتعبد به ، فعلك يسمى عبادة ، فعل الفاعل ، وما تفعله من صلاة وزكاة وصيام يسمى عبادة ، كونك تقوم تصلي تركع وتسجد نقول : أنت تصلي تفعل عبادة . والصلاة نفسها هي عبادة ، حينئذٍ اختلف تعريف العلماء للعبادة باختلاف النظر إلى المصدر وكونه اسمًا ، فتطلق العبادة يعني : اختلف أو اختلف نظر العلماء في تعريف العبادة باختلاف النظر إلى استعمال هذا اللفظ ، فإذا نظرنا إلى المعنى المصدري حينئذٍ ننظر إليه من جهة ماذا ؟ من جهة التذلل لله تعالى محبةً وتعظيمًا لفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به الشريعة ، وهذا تعريف العبادة من حيث كونه مصدرًا ، التذلل لله سبحانه محبةً وتعظيمًا بفعل أوامره يعني : دليل وجود هذا التذلل ، ودليل وجود هذه المحبة في القلب هو امتثال أوامر الله تعالى ، إن ادَّعى مدعي وجود هذا التذلل في القلب وأنه محب لله تعالى ومعظم لشرع الله تعالى ثم لم يمتثل ما أمر الله تعالى به نقول : كذبت في دعواك . وإن ادَّعى أنه يحب الله لكنه لم يمتثل أمر الله تعالى فهو مدَّعِي ، ولذلك قيده الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى بقوله : بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به الشريعة .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : العبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل لا بد من اجتماعهما ، لكنها لا تنفرد أبدًا عن معنى الاسم لا يمكن أن يدَّعي أن وجود كمال الحب مع كمال الذل في القلب ، ثم لا يمتثل أوامر الله تعالى .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : هي التعبد . والتعبد هو غاية الحب وغاية الذل - يعني : كمال هذين الأمرين . - فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له . لم تكن عابدًا له ، ولذلك # 26.01 يحب الأب ابنه حبًا شديدًا يكون ولعًا به لكنه لا يخضع له هل يسمى عابدًا له ؟ الجواب : لا ، يحب الرجل زوجته ولا يخضع لها حينئذٍ لا يسمى عابدًا ، ومن خضعت له بلا محبة كالذي يعمل مع رئيسه مديره يخضع له لكن دون محبة لم تكن عابدًا له حتى تكون محبًا خاضعًا .

إذًا العبادة بالمعنى المصدري لا بد من اجتماع أمرين اثنين : كمال الحب ، وكمال الذل . وهل يتصور هذا كمال الذل والخضوع في القلب دون تعبد لله عز وجل بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ؟

الجواب : لا ، لا يمكن أن يوجد هذا . وأما بالنظر إلى كونها اسمًا وعلمًا فالتعريف المشهور لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بأنها : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، كالصلاة والزكاة والصوم والحج وبر الوالدين وصلة الأرحام كلها من الواجبات والمستحبات لا تخرج عن هذا الحد ولذلك قال : اسم . هي اسم لفظ كما تقول : مسجد ، وماء . الماء يصدق على ماذا ؟ يصدق على هذا ، اللفظ يكون على اللسان أليس كذلك ؟ أنت لا ترى اللفظ أنت تسمعه والذي تراه هو الماء ، تقول : هذا ماء . فاللفظ يصدق على مسماه ، فإذا قلت : عبادة . يصدق على ماذا ؟ يصدق على الصلاة والزكاة ونحو ذلك فيشمل الواجبات ويشمل المستحبات ، فكل ما أمر الله تعالى به من الواجبات والمستحبات فهو داخل في هذا التعريف : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال . فحينئذٍ إذا أردنا أن نعرف هذا عبادة أو لا ننظر في الكتاب والسنة هل ثَمَّ دليل على حب الرب جل وعلا لهذا القول أو لهذا العمل أو لا ؟ بأي طريق إما بالأمر به ، وإما من التحذير من تركه ، وإما بالثناء عليه ، وإما بالثناء على أهله وإما بترتب ثواب عليه ، كل هذه طرق تؤدي إلى ماذا ؟ إلى معرفة أن هذا القول أو هذا العمل مما يحبه الله تعالى ويرضاه ، وهذا قد يكون أمرًا ظاهرًا عملاً ظاهرًا ، وقد يكون عملاً قلبيًّا كالخوف والمحبة والرجاء ، فحينئذٍ ما أحبه الله أو مما يحبه الله الإخلاص والذل والخضوع ، إذًا دخلت العبادة بالمعنى المصدري في العبادة بالمعنى الاسمي ، فيجتمعان في هذا الطرف وفي هذا الجزء ، ولا يمكن أن تنفك العبادة الاسمية صلاة دون وجود خضوع أو ذل لله عز وجل ، أليس كذلك ؟ لا يمكن أن ينفك أحد التعريفين عن الآخر ، وإنما نظر الفقهاء والعلماء إلى التعريفين باعتبار الألفاظ فحسب واستعمال الشرع ، فقد يطلق في الشرع لفظ العبادة يراد به التعبد فعل الفاعل ، وقد يطلق ويراد به المتعبد به ، وأما أنت أيها المكلف لا يمكن أن تمتثل أحد الأمرين دون الآخر ، (**أن التوحيد هو إفراد الله**) سبحانه وتعالى (**بالعبادة**) .

إذًا المراد بالعبادة هنا العبادة الشرعية وهي : الخضوع لأمر الله الشرعي لا الخضوع لأمر الله الكوني وهذا مما ينازع فيه غلاة الصوفية ، فيرون أن التوحيد هو : الخضوع لأمر الله تعالى الكوني . وهذا باطل ، هذا لا يقول به من شم رائحة الإسلام هذا لا شك في كفر من يكفره ، ليس هو لماذا ؟ لأن الكافر يُعتبر عابدًا لله والشيطان يُعتبر عابدًا لله كل ما كتبه الله على الخلق فامتثل ، لا ، لا يمكن أن يخرج عن ذلك أصلاً ، إبليس لو أراد الاستقامة لا يمكن له ، أليس كذلك ؟ يمكن ؟

لا يمكن لأن الله عز وجل كتب أجلاً وقدرًا أنه يموت على ما هو عليه ، فإذا كان كذلك لا يمكن الانفكاك له عن الأمر القدري ، فإذا قيل : بأنه المسلم . وهذا عند غلاة الصوفية يقول : إبليس ما هو بكافر . نقول : لا ، كافر (**وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**) [البقرة : 34] ، لكن نقول : لا هو كافر ولا إشكال في ذلك ، ولا إشكال في كفر من لم يكفره ، وإنما نقول : من لم يكفر إبليس فهو كافر ، حينئذٍ إبليس عابد لله لكن بالأمر القدري لعبادة التسخير لأنه مخلوق لله عز وجل ، فإذا كان كذلك فهو عبد ، إذًا المراد بالعبادة هنا العبادة الشرعية .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى : (**وهو دين الرسل الذي أرسل الله به إلى عبادِه**) . (**وهو دين الرسل**) ما دام عرف توحيد العبادة أراد أن يبين المصنف رحمه الله تعالى أصلاً ثانيًا ، وهو أن هذا التوحيد عليه أكبر إجماع في الدنيا ، تعرفون الإجماع اتفاق طائفة من العلماء أو اتفاق الفقهاء أكبر إجماع في الدنيا قطعي هو اتفاق كلمة الرسل على توحيد الرب جل وعلا ، وعلى أنهم دعوا إلى هذا التوحيد ، وأنهم إنما أرسلوا من أجل دعوة الناس إلى هذا التوحيد ، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة ، فإذا قيل لك : ما أكبر إجماع قطعي ؟ تقول : إجماع الرسل على توحيد العبادة (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا**) [النحل : 36] (**فِي كُلِّ أُمَّةٍ**) هذا عموم مطلق ولم يخص ولم يرد ما يخصصه فهو محفوظ (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**) [النحل : 36] هذا هو حقيقة التوحيد ، (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**) [الأنبياء : 25] (**وهو**) أي : توحيد العبادة . (**دين الرسل**) الدين يُطلق ويراد به الجزاء ، ويطلق ويراد به العمل ، ويطلق ويراد به الاعتقاد ، يعني : يطلق لفظ الدين ويراد به الجزاء والعمل والاعتقاد ، ومنه ما نقرأ (**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**) [الفاتحة : 4] أي : مالك يوم الجزاء . ومنه المثل المشهور : كما تدين تدان . كما تدين أي : كما تعلم . تُدَان . أي : تُجْزَى . فجاء اللفظ هنا في هذا المثل بمعنيين كما تدين أي : تعمل . تدان أي : تجزى ، ويشمل الاعتقاد والقول والعمل ، يقال : يَدِينُ اللهَ ويدينُ للهِ يعني : يتعدى بنفسه وباللام ، أي : يعبد الله ويطيعه ويخضع له . قال ابن تيمية رحمه الله

تعالى : فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له . يشمل الطاعة كلها والطاعة قد يراد بها طاعة القلب وطاعة اللسان وطاعة الجوارح ، فشمل القول والاعتقاد والعمل ، فالعمل بالجوارح داخل في مسمى الدين عند الرسل أجمعين ، فدين الرسل يشمل كل ما جاءوا به من اعتقاد أو قول أو عمل ، لكن المصنف رحمه الله تعالى أراد به يعني : بدين الرسل هنا أهم أفراده وهو التوحيد ، بل لو قيل : بأن التوحيد لو أطلق في مثل هذه المواضع صار له حقيقة شرعية لَمَا بَعُدَ ، لأن دعوة الرسل والقرآن كله من أوله إلى آخره ما من قصة نبي يخاطب قومه إلا ويذكر لهم (**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**) ، فإذا أطلق التوحيد في مثل هذه المواضع انصرف إلى التوحيد الذي وقع فيه النزاع ، فحينئذٍ صار له كالحقيقة الشرعية ، فأل حينئذٍ تكون للعهد الذهني .

إذًا أراد المصنف بدين الرسل هنا أهم أفراده ، أراد به أهم أفراده وهو توحيد العبادة ، فالرسل عقائدهم واحدة لأنهم أبناء علات ، كما جاء في الحديث ، فالتوحيد حق كله لا باطل فيه بوجه من الوجوه ، ولا نسخ فيه بوجه من الوجوه ، لماذا ؟ لأن التوحيد دل على حسنه والأمر به دلالة العقل والشرع والفطرة والحس ، كل هذه الأدلة تدل على التوحيد وعلى أن الله تعالى وحده هو المستحق للعبادة دون ما سواه ، وأن كل من عدا الله فهو مخلوق ضعيف لا يستحق شيئًا من العبادة البتة ، وهذا يدل عليه الشرع ويدل عليه العقل . ونص ابن القيم رحمه الله تعالى في غير موضع من كتبه على أن وجوب التوحيد كما هو ثابت بالشرع كذلك هو ثابت بالعقل ، وعلى أن تحريم الشرك الأكبر والأصغر كما أنه ثابت بالشرع كذلك ثابت بالعقل ، فالرسل عقائدهم واحدة لأنهم أبناء علات ، فالتوحيد حق كله لا باطل فيه بوجه من الوجوه ، خلافًا للشرائع ، الشرائع هذه الأحكام صلاة وصيام وزكاة ونحو ذلك هذه تختلف من نبي إلى نبي آخر ، ولذلك دل على ذلك الكتاب الله عز وجل قرر في غير موضع من كتابه بأن الرسل دعوتهم واحدة ، وكما ذكرناه في الآيات السابقة (**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**) [فاطر : 24] وبين أن دعوتهم قائمة على (**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**) وقال سبحانه في موضع : (**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**) [المائدة : 48] يعني : سنةً وسبيلاً . فالدين من حيث الأحكام ، والفروع يختلف من نبي إلى نبي ، لماذا ؟

لأن هذه الأحكام تختلف باختلاف الأزمان وباختلاف الأشخاص ، بخلاف ماذا ؟ بخلاف التوحيد (**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**) وهذا يدل على وحدة الرسالة وأن الرسل أرسلوا جميعًا بالدعوة إلى توحيد العبادة ، إلى عبادة الله وحده دون ما سواه جل وعلا (**وهو دين الرسل**) الرسل جمع رسول ، ورسول فَعُول بمعنى اسم المفعول أي الْمُرْسَل ، مُرْسِل ومُرْسَل ، الله عز وجل هو المرسِل ، والأنبياء مرسَلُون ، فحينئذٍ فعول يكون بمعنى اسم المفعول الْمُرْسَل ، والرسول يقال للواحد والجمع ، ورسل الله تارةً يراد بها الملائكة ، وتارةً يراد بها الأنبياء البشر ، قد يطلق الرسل والرسول ويراد به الملك أو الملائكة ، وقد يراد به البشر ، فمما ورد ويراد به الملائكة (**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**) ، (**رَسُولٍ**) نقول : المراد به الملك ، (**إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ**) [هود : 81] المراد به الملائكة ، (**وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا**) [هود : 77] هذا المراد به الملائكة ، (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ**) [آل عمران : 144] المراد به البشر ، (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**) [المائدة : 67] المراد به البشر ، (**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**) قالوا : يحتمل ، يحتمل يكون المراد به البشر ويحتمل أن يكون المراد به الملائكة ، فيحمل على المعنيين إن لم يكن تضاد بينهما ، وأما في الشرع فالرسول من أُوحِيَ إليه بشرع وأُمِرَ بتبليغه على المشهور عند العلماء ، من أُوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه ، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، والقاعدة هنا العلاقة بينهما كل رسول نبي ولا عكس ، ليس كل نبي يكون رسولاً ، هذا المشهور كل منهما أُوحِيَ إليه فاشتراكا في ماذا ؟ في الوحي فالمراد بالوحي هنا وحي الرسالة ، وافترقا من حيث إن الرسول أُمر بالتبليغ والنبي لم يؤمر بالتبليغ . كيف نبي ولا يؤمر بالتبليغ ، ما الفائدة منه ؟

قالوا : المراد هنا لم يؤمر بالتبليغ يعني : بالقتال على الرسالة ، وأما الدعوة أن يدعو هذا لا إشكال فيه ، حينئذٍ يزول هذا الاعتراض ، [واختار شيخ الإسلام] (5) وذلك قول الجمهور جمهور أهل العلم على أن العلاقة بين الرسول والنبي العموم والخصوص المطلق ، والفرق بينهما أن الرسول أمر بالبلاغ والتبليغ والنبي لم يؤمر بذلك والجمهور على ذلك ، واختار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن الرسول هو من أوحي إليه وأرسل إلى قوم كفار يدعوهم إلى شرع جديد ، يعني : لا بد أن يكون الذي أُرسل إليهم أن يكونوا مخالفين وأُرْسل بشرع جديد ولا

---

(5) عدل الشيخ عن ذكره ليؤكد الفقرة السابقة .

يشترط فيه أن ينزل عليه كتاب جديد ، بل قد يرسل في شرع جديد إلى قوم لا يعرفونه بكتاب من سبقه ، ومَثَّلُوا بذلك بإسماعيل عليه السلام ، قالوا : أرسل إلى قوم مخالفين لكن بكتاب أبيه إبراهيم عليه السلام . ، فحينئذٍ نقطة الخلاف مع ابن تيمية مع غيره في كون المخاطب بالوحي والرسالة قوم مخالفون أو موافقون ؟

إن كانوا مخالفين فحينئذٍ يكون من أُمِرَ بالبلاغة يكون رسولاً ، وإن كانوا لقوم موافقين وأرسل إليهم حينئذٍ يكون نبيًّا . فالفرق في هذا ، واختار شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن الرسول هو من أوحي إليه وأرسل إلى قوم كفار لا مسلمين أخرج المسلمين يدعوهم إلى شرع جديد لا إلى شرع من قبلهم ، ولا يشترط أن ينزل عليه كتاب فقد يرسل بكتاب من قبله كإسماعيل فهو شرع جديد باعتبار المرسَل إليهم ، وأما هو في نفسه فهو شرع من قبله ، والنبي الصحيح أنه مرسل جاء في الشرع أن النبي مرسل قال الله تعالى : (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ**) [الحج : 52] ، (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ**) إيش إعراب (**مِنْ رَسُولٍ**) هنا ؟

....

كيف فاعل .... (**أَرْسَلْنَا**) الله عز وجل فاعل ، الله مُرْسِل .

......

إيش الإعراب ؟

....

كيف .

....

صفة ، مفعول به ، إيش الدليل أنه مفعول به ؟

(**مِنْ**) زائدة (**وَمَا أَرْسَلْنَا**) رسولاً ونبيًّا (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ**) لا نقول : (**مِنْ رَسُولٍ**) جار ومجرور متعلق بـ (**أَرْسَلْنَا**) هذا فاسد ، لأن الحرف الزائد لا يتعلق بشيء ، ليس له متعلق ، وإنما زِيدَ للتأكيد ، ولذلك إذا قيل بأن الحرف الزائد ليس له معنى ، فالمراد ليس له معنى سوى التوكيد ، كل الحروف الزائدة لم تُستعمل في معانيها التي وُضعت لها في لسان العرب ، هذا المراد ، فإذا قيل كذلك لا إشكال في القول بأن في القرآن زائد ، ليس ببدعة ، لماذا ؟

لأن القرآن نزل بلسان العرب ، والعرب كثيرًا ما تزيد الحروف ، وتزيد الأسماء ، لكن زيادتها للحروف كثير جدًا ، وزيادتها للأسماء قليل جدًا حتى حكم كثير من النحاة بشذوذه ، فحينئذٍ إذا عرفت هذا - وهذا استطراد طيب - (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**) عندنا قولان :

الكاف إما أن تكون الكاف زائدة ، وإما أن يكون مثل لفظ مثل وهو اسم زائد .

إذا عرفت أن القرآن نزل بلسان العرب فالقاعدة أنه لا يجوز لك يا عربي يا فصيح أن تحمل القرآن على وجه لم يتكلم به إلا القليل اليسير من العرب ، فحينئذٍ تقول : لما كان زيادة الحرف أكثر من زيادة الاسم في لسان العرب ، وأجمع الزيادة على الزيادة في الأول وخاصة عند البصريين والثاني حكم بشذوذه ، حينئذٍ تقول الأولى أن يقال بأن الكاف زائدة وليست مثل ، ترجح هذا ، فإذا قيل بأن مثل زائدة هنا في هذه الآية تقول : هذا قول ضعيف لأنه جرى على قاعدة ضعيفة وهي جواز زيادة الأسماء ، وهذا ضعيف لا تحمل عليه القرآن ، وإنما تحمله على المشهور (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ**) فالكاف صلة زائدة توكيد فحينئذٍ لا إشكال بأن يقال في القرآن ما هو زائد إذا عرف أن له معنًى وأن هذا المعنى هو التوكيد ، ولم يقل أحد من النحاة بأن الحرف الزائد دخوله كخروجه من حيث كمال المعنى ، لم يقل به أحد من النحاة ، وإذا سمعت من ينسب هذا للنحاة خطئه مباشرة ، وإنما قالوا : ليس له معنى . يعني : ليس له معنى من المعاني التي وضع لها في لسان العرب ، فمن تأتي للتبعيض وتأتي لبيان الجنس وتأتي وَتأتي .. إلى آخره ، هل هي في هذا الموضع (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ**) ، (**مِنْ**) نقول : هذه للجنس . أو نقول : للتبعيض ؟ لا ، نقول : هذه لم تستعمل في هذه المعاني كلها ، وإنما المراد بها التوكيد فحسب ، إذًا (**مِنْ رَسُولٍ**) نقول : رسول هذا مفعول به ومن حرف جر زائد للتوكيد ، (**وَلَا نَبِيٍّ**) ولا نبيًّا يجوز أو لا يجوز ؟

....

يجوز لغةً نعم (**وَلَا نَبِيٍّ**) أما قراءة ، (**وَلَا نَبِيٍّ**) هذا بالجر على لفظ (**رَسُولٍ**) ، وأما من حيث الصناعة النحوية فيجوز العطف على محل رسول لأن محله النصب ، والصحيح أن الإعراب بحرف الجر الزائد هنا نقول : إعراب محلي ، أنه إعراب محلي إذًا غاير بينهما (**مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ**) ، والواو هذه حرف عطف ، والعطف

يقتضي المغايرة إذًا لا بد من إثبات فرق بين الرسول والنبي ، ثم سُلِّطَ العامل على الرسول وعلى النبي ، فالرسول مرسَل والنبي مرسَل ، إذًا كيف نقول : بأن النبي ليس مرسل ؟ هذا محل نظر بل الصواب أن النبي مرسل ، وقوله تعالى : (**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**) [البقرة : 213] . بعث النبيين فكيف نقول النبي ليس مبعوث ؟ بل الصواب أنه مبعوث ، وجاء في الحديث : وكان النبي - حديث الخصائص - وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة . النبي يُبعث إلى قومه يُبعث يعني : يُرسل . والبعث هو الرسالة بمعنى واحد ، فالنبي يكون مبعوثًا ، فحينئذٍ إذا قيل بأن النبي لم يؤمر بالرسالة هذا محل نظر إلا على التأويل الذي ذكره الفقهاء أو بعضهم ، بأن المراد ولم يؤمر بتبليغه يعني : لم يؤمر بالقتال على الدعوة ، ولكن مثل هذه تحتاج إلى نص حينئذٍ نقول : ما الفرق بين النبي والرسول ؟ على كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى نقول : الرسول يأتي بشرع جديد ، والنبي يأتي بشرع من قبله . الرسول أُرسل إلى قوم كفار ، والنبي أرسل إلى قوم مؤمنين ، كون المرسل إليهم موافقين أو مخالفين هذا يمكن أن يستدل له بأن آدم عليه السلام نبي وليس برسول ، ولما وقع الشرك في قوم نوح كما سيأتي في كلام المصنف حينئذٍ صار أول رسول مَنْ ؟ نوح عليه السلام ، فنوح عليه السلام أُرسل إلى قوم مخالفين ، وأطلق عليه أنه أول رسول ، إذًا لم يسبق برسول مع ثبوت كون آدم عليه السلام نبيًّا ، وآدم لم يقع خلاف بينه وبين أولاده في التوحيد ، وإنما هو نبي ، والنبي جاء بالتوحيد فهو موحد أولاده علمهم التوحيد ، فحينئذٍ هم موحدون إذًا كونه نبيًّا إلى كون الموافقين أو مخالفين ؟ موافقين يمكن أن يُستأنس بمثل هذا الدليل ، أما شرع جديد وشرع من قبله هذا يحتاج إلى نص واضح بَيِّن .

(**وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به**) أي : بهذا التوحيد . (**إلى عباده**) عباد جمع عبد ، وسبق معنا أن العبد يُطلق بمعنى التسخير ومعنى الاختيار ، وأيهما أولى هنا أن يحمل على أحدهما أو عليهما معًا ؟

عليهما معًا ، لأن دعوة الرسول عامة هذا الأصل ، يعني : ولو كانوا في قومهم الموافقين والمخالفين ، (**إلى عباده**) جمع عبد وهو مضاف فيعم المؤمن والكافر لأن الجمع جمع تكثير إذا أضيف صار من ألفاظ العموم ، فمن عَبَدَ غير الله حينئذٍ عبد غير الله ولم يأت بالتوحيد فهو مخالف لجميع المرسلين مُكَذِّب لهم كلهم (**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ**) [الشعراء : 105] ونوح عليه السلام هو أول الرسل ، أين المرسلون ؟ لأنهم لما كذبوا بنوح كذبوا بجميع الرسل ، هذا يدل على أن دعوة الرسل واحدة وأن من كذب واحدًا منهم ولم يؤمن به فهو مكذب لجميع الرسل ، هذا أصل عظيم تجعله أمامك ، الأصل الأول الذي قرره لك المصنف هو معنى التوحيد توحيد العبادة ، وأن التوحيد يعرف بما ذكرناه سابقًا ، ثم هذا ليس من خواص النبي ﷺ أو أنه أمر خاص بهذه الأمة ، بل منذ أن وجد آدم عليه السلام وأرسل أول الرسل عليهم السلام وهو نوح إلى دعوة محمد ﷺ إلى أن ينزل عيسى إلى أن تقوم الساعة الدعوة واحدة ، وهي : إقامة الناس على توحيد رب العالمين التوحيد الصحيح . هذا يجعلك يا طالب العلم تعرف المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله عز وجل ، ويكون الأساس الذي تنطلق منه أنت في تعلمك وتعليمك هو ما أجمعت عليه الرسل ، فحينئذٍ تقرر وحمل الناس على ما أجمعت عليه الرسل أولى مما انفرد به النبي ﷺ ، والطعن فيما اتفق عليه الأنبياء والرسل أجمعين رده أولى وأحرى وأوجب من رد ما انفرد به النبي ﷺ ، أليس كذلك ؟ هذا تجعله معك أصل في التعلم والتعليم والدعوة إلى الله عز وجل ، وتقيس الدعوات كلها الموجودة الآن في الساحة على هذا الأصل العظيم ، هل يدعون هل الدعوة قائمة على ما دعت إليه الرسول والأنبياء أقوامهم أم لا ؟

ما نصيب هذه الدعوة سواء كانت دعوة كذا أو كذا ما نصيبها من هذا الذي أجمع عليه الأنبياء والمرسلون ؟

انظر ميز حَكِّم عقلك ارجع تدبر تأمل فكر ما نصيب هذه الدعوة نصيبك أنت تحاسب غيرك ، أنت إذا علمت وتعلمت ونصحت ووجهت وإذا كنت خطيبًا أو محاضرًا أو أو ما نصيب دعوتك من هذا الأمر الذي أجمعت عليه الرسل ، هل أنت موافق لهم أو مخالف ؟

هل أنت مناصر مؤازر لهم أم أنك مضاد ؟

هل تعين من قدح في هذه الدعوة أم تخالفه ؟

هل .. هل ... هل ... إلى آخره ، أسئلة لا بد من الجواب عليها ، فهذا أصل ينبغي الاعتناء به .

(**فأولهم نوح عليه السلام**) ، (**فأولهم نوح**) أراد أن يفصل دعوة الرسل أولهم وآخرهم ، لأن ما بينهما أخذ حكم الأول والآخر ، فكانت هذه الدعوة مبناها على ماذا ؟

على محاربة عبادة الأوثان ، لأنهم جاءوا بالتوحيد ، ولذلك أراد أن يفصل ويمثل لنا بأول رسول وخاتم رسول ، ليبين مدار هذه الدعوة ومدى كونهم يدعون إلى عبادة الله وحده دون ما سواه ، (**فأولهم**) الفاء للتفصيل ، والأول نقيض الآخر والآخر نقيض الأول نقيضان ، نقيض الأول يعني : الذي لم يسبقه شيء ، والأول في لسان العرب هو الذي يترتب عليه غيره ، وَنُوحٌ هكذا بالصرف وإن كان أعجميًا لعدم الشرط الثاني من المنع من الصرف وهو كونه أدنى من أربعة أحرف ، ويشترط في الممنوع من الصرف إذا كان علمًا أعجميًا أن يكون أربعة أحرف فأكثر ، فإن كان ثلاثيًا فإن كان متحرك الوسط أُلحق بالرباعي لأن هذا الحرف الوسط الذي حُرِّكَ قالوا : هذه الحركة قامت مقام حرف فكأن الكلمة على أربعة أحرف فالتحقت بالرباعي ، وأما الساكن فهو ساكن ضعيف فحينئذٍ رجع إلى أصل الأسماء وهو الصرف والإعراب ، فقيل : نوحٌ . قال تعالى : (**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا**) [نوح : 1] . بالنصب والتنوين ولو كان ممنوعًا من الصرف لقال : نوحَ وقال لوطَ . فدل على أنها معربة وليست ممنوعة من الصرف ، والنَّوْح مصدر نَاحَ أي : صاح بعويل . يقال : نَاحَت الحمامة نوحًا . إذا صاحت قيل : سمي نوحٌ نوحًا لماذا ؟ لأنه صاح على قومه ومكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ، (**فأولهم نوح**) إذًا أول الرسل نوح عليه السلام هل قبله أحد ؟ هل قبله أحد من الرسل ؟

هل القول بأن نوح عليه السلام هو أول الرسل أمر متفق عليه أم ثَمَّ خلاف ؟

لا ، المشهور عند أهل العلم أن نوحًا عليه السلام هو أول الرسل ، وأما قبله قيل : آدم وولده ولده الصلب شيث وإدريس . هذا المشهور عند جماهير أهل العلم أن قبل نوح ثلاثة آدم وشيث وهو ولده ، وإدريس ، وآدم هل هو نبي أم رسول ؟ محل خلاف وشيث نبي محل وفاق ، وإدريس هذا محل خلاف وهل هو من أجداد نوح أم لا ؟ هذا محل خلاف ، والجمهور على أنه من أجداد نوح عليه السلام فهو قبله ولكن الظاهر وهو أعلم أنه رسول وإذا كان كذلك فكل دليل يدل على أن أول الرسل نوح عليه السلام فهو راد لهذا القول ، وقد ضعفه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في شرحه على الواسطية بأن إدريس قبل نوح قال : وإن اشتهر عند المؤرخين وبعض المفسرين إلا أنه قول ضعيف ترده أدلة الكتاب والسنة .

إذًا هل نوح أول الرسل أو قبله أحد ؟ نقول : الصواب أن نوحًا عليه السلام هو أول الرسل ، هذا هو الصحيح ، والدليل على ذلك من الكتاب واتلسنة أما الكتاب فقوله تعالى : (**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**) [النساء : 163] (**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**) وحيًا كما أوحينا كـ إيحاءنا ما ودخلت عليه في تأويل المصدر ، وهو صفة لمصدر محذوف (**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**) وحيًا كـ إيحاءنا إلى نوح عليه السلام ومن بعده ، قال : (**وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**) . ومَنْ قبل نوح ليس بعده أليس كذلك ؟ (**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**) هذا في مقام المدح والثناء والمنة فلو كان ثَمَّ من هو قبل نوح من الرسل لذكره الله عز وجل ، ولما قال : (**وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**) . من أوحي إليهم قبل نوح بعده أو قبله ؟

قبله ، من أوحي إليه إذا أثبت بأن ثَّمَّ رسول قبل نوح فحينئذٍ المنة تكون بمن ؟ بمن قبله ومن بعده ، وذكر الله تعالى هنا من بعده ، فدل على أنه ليس ثَمَّ من أوحي إليه إيحاء رسالةٍ قبل نوح (**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**) لما قال : (**مِنْ بَعْدِهِ**) . يعني : من بعد نوح دل على أن ليس ثَمَّ رسولاً قبل نوح عليه السلام لأن المقام مقام منة ، فلو كان ثَمَّ رسول قبل نوح عليه السلام لذكره وبدأ الله تعالى به ، وقوله سبحانه والمراد بالوحي وحي الرسالة كما هو واضح .

قوله تعالى كذلك : (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ**) [الحديد : 26] (**ذُرِّيَّتِهِمَا**) يعني : ذرية من ؟ نوح وإبراهيم ، ومن قبل نوح من ذرية نوح ؟ لا ، لا يمكن أن يقال ، فتقرير الدليل كما سبق كذلك من السنة وهو صريح واضح بين في حديث الشفاعة أن أهل الموقف يقولون لنوح بعد أن يأتون لآدم أنت أبو البشر إلى آخره ويحيلهم على نوح يقولون لنوح : أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض . أنت أول رسولٍ واضح صريح في أنه أول رسول إلى أهل الأرض ، إذًا من كان قبل نوح من آدم عليه السلام وشيث وإدريس نقول : هذا ينظر في كل واحد منهم على جهة الخصوص ، فأما آدم فالصحيح أنه نبي وليس برسول وإن كان فيه قولان قيل : رسول . وهذا نسب لابن حجر رحمه الله استدلالاً بقوله تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ**) [آل عمران : 33] . قالوا : والاصطفاء دليل الرسالة . تقول : لا الاصطفاء ليس خاصًا بالأنبياء والرسل بل هو عام ، (**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا**) قالوا : والاصطفاء دليل الرسالة . ولحديث أبي ذر في تعداد الأنبياء وهو حديث مختلف في ثبوته ،

وقيل : إنه نبي . وهو أصح لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن حبان في صحيحه قال : إن رجلاً قال : يا رسول الله أنبي كان آدم ؟ قال : « **نعم مُكَلَّمٌ** » . أنبي كان آدم ؟ قال : « **نعم** » . إذًا آدم عليه السلام نبي أم رسول ؟ نقول : نص صريح واضح بين أن آدم عليه السلام كان نبيًّا . ورواه أحمد في المسند وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى ، ولقوله ﷺ : « **ما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي** » . فلو كان نبي لو لم يكن آدم نبي لما ذكره النبي ﷺ « **ما من نبي آدم فمن سواه** » . يعني : بعده وتحته - « **إلا تحت لوائي** » . رواه الترمذي وقال : حسن صحيح .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في شأن إدريس : وكان أول بني آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيث . هذا مشهور عند المؤرخين أن إدريس قبل نوح عليه السلام وأنه من أجداده وأنه نبي وليس برسول ، وكان أول بني آدم أعطي النبوة بعد آدم شيث ، وشيث هذا لم أجده دليل واضح بين على أنه نبي عليهما السلام ، وأما إدريس فالنص دل على أنه نبي (**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ**) قال سبحانه : (**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**) [مريم : 56] هذا نص واضح أنه كان نبي لكن هل هو بعد نوح أو قبله ؟ نقول : النصوص دلت على ماذا ؟ على أن نوح أول الرسل فحينئذٍ الأصل في إدريس رسول أو نبي ؟ أنه رسول ، حينئذٍ بأدلة أو بالأدلة الدالة على أولية نوح تصرف هذه الآية إلى أنه بعد نوح عليه السلام ، ولمفهوم حديث الشفاعة مفهوم مخالفة أن نوحًا عليه السلام أول الرسل مفهومه أنه لا رسول قبله ، هذا هو المفهوم وهو معتبر وحجة عند أهل العلم .

إذًا آدم نبي وليس برسول ، وأما إدريس فذهب كثير من المؤرخين أو أكثرهم وبعض المفسرين إلى أنه قبل نوح ومن أجداده ، وهذا كما ذكرناه أنه فيه كلام ، وآخره من ؟ محمد ﷺ كما سيذكره المصنف رحمه الله تعالى . إذًا قوله : (**وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده . فأولهم نوح عليه السلام**) . أول هؤلاء الرسل نوح عليه السلام ، إنما أرسلوا - على كلام ابن تيمية رحمه الله تعالى - إلى قوم مخالفين والخلاف هنا وقع في ماذا ؟ في التوحيد توحيد العبادة - كما سيأتي بيانه - وهنا يأتي سؤال أو مسألة ما الأصل في بني آدم هل الأصل فيهم التوحيد أم الشرك ؟

هل الأصل فيهم التوحيد هذه البشرية كلها هل الأصل فيها الشرك أم التوحيد ؟ التوحيد وكيف يقول الفقهاء : كافر أصلي وكافر مرتد ؟

....

نعم

......

نقول : الأصل في الإنسان التوحيد ، والكفر والشرك طارئ عليه وهذا محل وفاق بين أمة محمد ﷺ أمة الإجابة العلماء ، وأما النظريات التي تأتي من الشرق أو الغرب فهذه لا يُلتفت إليها ، فأصل الإنسان أنه مخلوق من تراب كما هو نص الكتاب ، والأصل في الإنسان هو التوحيد ، والدليل على ذلك أمور :

أولاً : أن أول إنسان مخلوق في الوجود من هو ؟ آدم عند المسلمين آدم ، وآدم ماذا كان ؟

كان نبيًّا أوحي إليه بالتوحيد توحيد العبادة وعلم أولاده التوحيد إذًا هو موحد أم لا ؟

هو موحد ، إذًا أول بشر وجد في البشرية هو آدم عليه السلام وكان موحدًا ، وعلم أولاده التوحيد ، ثم بعد ذلك وقع الشرك في بني آدم فهو طارئ عليهم ، وقع بعدهم بأزمان ، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : ولم يكن الشرك أصلاً في الآدميين . يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : ولم يكن الشرك أصلاً في الآدميين بل كان آدم ومن كان معه على دينه من بنيه على التوحيد لاتباعهم النبوة . لأن النبوة ثابتة نبي مُكَلَّم وإذا كُلِّمَ إنما كلم وَأُوحِيَ إليه التوحيد توحيد العبادة ، فعلم أولاده إذًا بلغ ودعا فكان موحدًا ، ثم طرأ بعد ذلك الشرك .

ثانيًا : قوله تعالى : (**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً**) . يعني : على الهدى والتوحيد (**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ**) يعني : فاختلفوا فوقع الشرك الأكبر (**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**) [البقرة : 213] ... الآية قال الطبري رحمه الله تعالى : وأولى التأويلات في هذه الآية بالصواب أن يقال : إن الله عز وجل أخبر عباده أن الناس كانوا أمة واحدة على دين واحد وملة واحدة ، وهو التوحيد توحيد العبادة ، وقد يجوز أن يكون ذلك الوقت الذي كانوا فيه أمة واحدة في عهد آدم إلى عهد نوح عليهما السلام . وسيأتي أنه عشرة قرون كما روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكما قاله قتادة ، فهذه الآية تدل على أن

التوحيد هو الأصل في بني آدم (**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً**) يعني : على التوحيد . (**فَبَعَثَ اللَّهُ**) هنا جملة مقدرة محذوفة دل عليها السياق فاختلفوا (**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ**) وهذا يؤيد من دل من ذهب إلى أن النبي والرسول كل منهما مأمور بالتبليغ لأنه قال : (**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**) . ولكن يشكل على من اختار أن الرسول إنما يكون إلى أناس مخالفين والنبي يكون إلى أناس موافقين لأن اللفظ عام (**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ**) قال : (**فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**) . فدل على أنهم مخالفون وليسوا موافقين ولذلك مسألة التفريق بين الرسول والنبي ما من قول إلا ويرد عليهما ما يَرِدُ .

ثالثًا : أن الله تعالى فطر الناس على الإسلام والتوحيد قال تعالى : (**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**) [الروم : 30] فدل على أن الناس إنما خلقوا مفطورين شاهدين بالتوحيد وبما أخذه الله تعالى عليهم في صلب أبيهم آدم ، وهو الذي دل عليه قوله تعالى : (**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**) [الأعراف : 172] . (**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**) يعني : معبودكم . لأن الرب هنا يطلق ويراد به المعبود ، كلاهما كل منهما إذا انفرد دخل فيه الآخر ، وإذا اجتمع افترقا (**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**) يعني : معبودكم . وهذا الميثاق هو الأول وهو ميثاق حقيقي ميثاق حسي وليس المراد به ماذا ؟ ميثاق الفطرة ، قد فسره بعضهم من السلف وكأن ابن كثير رحمه الله تعالى يميل إلى هذا التفسير إلى أن المراد بهذه الآية الميثاق الفطري يعني : موافق لآية الروم (**فَأَقِمْ وَجْهَكَ**) ... إلى آخره والصواب أنه مخالف له ، وأن ذاك ميثاق خاص أخرج الله تعالى ذرية آدم من صلبه وقال : (**ذُرِّيَّتَهُمْ**) . يعني : بعضهم من ظهور بعض كما يتوالدون في الدنيا قال : (**أَلَسْتُ**) . القول هنا يطلق ويراد به ماذا حسي أو معنوي ؟ حسي الأصل ولا يحمل على المعنى إلا بدليل هذا الأصل ، قال : (**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**) . إذًا خطاب سؤال وجواب وأخرجنا وَمُخْرَج وَمُخْرج منه ، هذا يدل على أن القضية هنا ليست قضية معنوية أنهم يولدون شاهدين على التوحيد ، بل الصواب أن هذا ميثاق وأن الفطرة ميثاق ثانٍ ، وهو المشار إليه في هذه الآية ، فأخذ عليهم العهد أولاً أنه ربهم ومعبودهم جل وعلا ، ثم خلقهم وأوجدهم في هذه الحياة شاهدين نفسيًّا وفطريًّا بما أخذه عليهم في ظهر أبيهم آدم ، ثم أرسل إليهم الرسل وهو الميثاق الثالث (**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**) [النساء : 165] والميثاق الأول والثاني لا تقوم به الحجة على الخلق لأنه منسي لأنه قد يقال مثلاً : أنا ما أذكر . ولذلك بعضهم رده وأوله بالفطرة لأنه قال : لا يذكرون الخلق . نقول : كونهم لا يذكرون ذلك الميثاق لأننا نقطع بوجوده لخبر الله عز وجل أولاً ، ولصحة الآثار الدالة على ذلك ، ثم كونهم مفطورين على ما أخذ عليهم هذان الميثاقان لا تحصل بهما الحجة على الخلق ، وإنما الحجة تحصل بماذا ؟ بإرسال الرسل (**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**) [الإسراء : 15] (**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**) أخبرنا بالميثاق الأول وأخبرنا بالميثاق الثاني ، ثم قال : (**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**) . فدل على أن ميثاق الفطرة لا تحصل به الحجة كما أن الميثاق الأول لا تحصل به الحجة .

رابعًا : من السنة حديث عياض بن حمار رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه : « **إني خلقت عبادي حنفاء** » . حنفاء حال يعني : صفة لازمة « **خلقت عبادي** » . عبادي هذا مفعول به « **حنفاء** » . إما صفة وإما حال ، فدل على أنهم موصوفون منذ أن خلقوا بهذه الصفة ، وحنفاء هذا جمع حنيف والمراد به المائل عن الشرك المقبل على التوحيد والثابت عليه « **فاجتالتهم الشياطين** » . أخذتهم الشياطين « **وحرمت عليهم ما أحللت وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنْزل به سلطانًا** » . فدل هذا على ماذا ؟ على أن الله تعالى أخبر في الحديث القدسي أنه خلق عباده حنفاء يعني : مفطورين على التوحيد . وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله تعالى مرفوعًا : « **ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه** » . فالأصل ماذا ؟ الأصل التوحيد وهو الفطرة الإسلام العام الذي جاءت به الرسل الحديث ، ثم يقول أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : اقرءوا إن شئتم (**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**) . وهذا يدل على أن المراد بالفطرة هناك التوحيد والإسلام الإسلام العام الذي جاءت به جميع الرسل فهذه الأدلة تدل على أن الأصل في بني آدم التوحيد ولم يكن الشرك أصلاً ، وإنما وقع بعد فترة من الزمن كما سيأتي .

وأما قول الفقهاء : كافر أصلي وكافر التقليد . ولا مرتد كافر أصلي ومرتد مرادهم بالأصالة هنا النسبية ليست الأصالة - هو اصطلاح صحيح ومعول عليه وعليه أهل العلم لا يكاد أن ينزاع فيه أحد إلا بعض الموجدين الآن -

يقول : لا يوجد كافر أصلي . نقول : كافر أصلي باعتباره هو هُو نشأ على ماذا ؟ على الكفر ، وُلِدَ من أبوين يهوديين أو نصرانيين حينئذٍ نشأ نقول : هذا الولد على دينه أبيه إذًا أصالةً هو نشأ على الكفر أو على الإسلام ؟
على الكفر ، وذاك الذي نشأ على الإسلام أو أسلم بعد كفره ، ثم أرتد على عقبه نقول : هذا مرتد . الشرع فرق بينهما في التعامل أو لا ؟
فرق ، ذاك يقر على دينه وهذا لا يقر ، « **من بدل دينه فاقتلوه** » . إذًا فرق بينهما إذًا اصطلاح الفقهاء في تمييز من فرق بينهما الشرع من حيث ما ذكرنا قالوا : هذا كافر أصلي ليس باعتبار البشرية كلها ، وإنما باعتباره هو في نفسه ، واضح هذا ؟ ولا اعتراض لأن بعض الكُتَّاب الآن ينتقد هذا .
إذًا (**فأولهم نوح عليه السلام**) ، السلام هذا مصدر أو اسم مصدر من سَلَّمَ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا ، تسليمًا هو المصدر ، والسلام هذا اسم مصدر لـ سَلَّمَ ، والمراد به التحية السلام عليكم يعني هذه ، أو السلامة من النقائص والعيوب والآفات ، يعني سَلِّمْهُ من هذا الذي ذكرناه ولم يذكر الصلاة لم يقل : عليه الصلاة والسلام . كما هو الشأن في نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، قيل : إن هذا هو السنة ، أن يفرد السلام عن الصلاة ، فإذا ذكر نبي وحده أو رسول سواء كان بشريًّا أو ملكيًّا نقول هذا ماذا ؟ يفرد عليه السلام ، يذكر السلام دون الصلاة وهذا هو الذي جاء في الكتاب (**سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ**) [الصافات : 79] ما قال : عليه الصلاة . (**سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**) [الصافات : 109] أفرد السلام (**سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ**) [الصافات : 120] أفرد السلام (**وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ**) [الصافات : 181] عام هذا أفرد السلام ، وقيل : بل يضم الصلاة إلى السلام . وفسروا السلام في الآيات السابقة بماذا ؟ بالثناء والدعاء ، فحينئذٍ إذا قيل : المراد به الثناء والدعاء فيفسر بما يعامل به النبي ﷺ فيقال : نوح عليه الصلاة والسلام ، جبريل عليه الصلاة والسلام . وكل ما ذكر رسول وحده صُلي وسلم عليه ، لكن نقول : هذا مخالف لظاهر الكتاب ، والأولى أن يقال : سلام عليه السلام ولا إشكال ، وأما الصلاة من حيث تشريعها وأنها هي السنة والأولى نقول : الظاهر أن السنة مخالفة لذلك ، ولذلك أكثر أهل العلم على هذا ، جبريل عليه السلام ويقولون : نوح عليه السلام . كما ذكر المصنف هنا رحمه الله تعالى ، وقيل : يصلى ويسلم على سائر الرسل للأدلة السابقة وفسروا السلام بالثناء والدعاء وليس بمعنى التحية حينئذٍ الأفضل الجمع بينهما ، والأول أشهر وكذلك في رسل الوحي كجبريل عليه السلام فنقول : جبريل عليه السلام .
(**فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين**) هذا بيان سبب الشرك ، لِمَ وقع الشرك في أول هذه البشرية ؟
(**لما غلوا في الصالحين**) ، لكن هل هذا السبب هو الوحيد أم ثَمَّ أسباب أُخر ، نقول : هذا هو السبب المشهور والذي عليه جماهير المشركين أنهم ما وقعوا في الشرك إلا بسبب الغلو في الصالحين .
(**ودًا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا**) هذه أسماء صالحين في قوم نوح ، هل المراد أنهم في قوم نوح أن نوحًا أُرسل أولاً فاستجاب له بعضهم فكانوا من الصالحين ثم ماتوا فحصل بهم ما حصل ؟
أم المراد أن هذه الأصنام وهؤلاء الصالحون وُجدوا قبل بعثة نوح عليه السلام ، ثم أرسل نوح ؟
إذا قيل : بأن كما قال المصنف هنا : (**أرسله الله إلى قومه لما غلوا**) . (**قومه**) متى يكون قومه بعد الإرسال أو قبله ؟ بعد الإرسال هذا هو الظاهر ، لكن المراد والله أعلم أن هذه الأصنام هي كثيرة لكن رؤوسها خمسة معظمة ، هذه وقعت قبل أن يرسل نوح عليه السلام ، وُجِدَ من الصالحين لأننا قررنا أن من زمن وعهد آدم عليه السلام إلى قُبَيْل إرسال نوح أنه زمن توحيد ، إذًا فيه صالحون ، فيه من يغلو فيه الناس ، فيه من يُعَظَّم فيه من يكون قدوة للناس ، فإذا ماتوا حينئذٍ جاء تلبيس إبليس كما سيأتي ، فلا يلزم إذا قيل أن هؤلاء من قوم نوح أن يكونوا وجدوا بعد إرسال نوح عليه السلام .
قال بعضهم : أول شركٍ وقع في الدنيا من العباد شرك إبليس قبل قوم نوح ، شرك إبليس - الذي يقول : مكفرش ! - قال تعالى : (**وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**) [الأنبياء : 29] .
(**وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ**) يعني : من الملائكة (**وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ**) إذا قال إني إله هذا هو عين الشرك ، إذا ادَّعى أنه معبود ، وأنه المطاع ، وأنه اللبيب تألهه القلوب حبًا وتعظيمًا نقول : هذا ما بعده شرك ، أليس كذلك ؟ (**وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ**) قال الطبري رحمه الله : من يقل من الملائكة (**إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ**)

فلم يقله إلا إبليس ودعا إلى عبادة نفسه ، فنزلت هذه الآية في إبليس . وقال الضحاك في الآية (**وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ**) يعني : من الملائكة قال : ولم يقل أحدٌ من الملائكة إلا إبليس ودعا إلى عبادة نفسه وشرع الكفر .

إذًا في العباد أول من أشرك هو إبليس ، وأما من حيث البشرية بنو آدم فأول ما وقع الشرك على الصحيح هو في قوم نوح عليه السلام ، وأما أول شركٍ وقع في بني آدم هو في قوم نوح والدليل قوله تعالى في سورة نوح : (**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ**) [نوح : 23] . (**تَذَرُنَّ**) تتركن هذا خبر نهي مؤكد (**لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ**) كثيرة أليس كذلك (**وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً**) وهذه ذكرها ماذا ؟ في سورة نوح وجاء تفسير ابن عباسٍ بأنها أسماء صالحين كانت في قوم نوح عليه السلام (**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ**) هذا عام أو خاص ؟

...

عامٌ أو خاص ؟

(**آلِهَتَكُمْ**) جمعٌ مضاف آلهة (**آلِهَتَكُمْ**) جمعٌ مضاف فيعم ، إذًا له أفراد كثر (**لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً**) هذا خاص من باب عطف الخاص على العام لأهمية المذكور عنده حينئذٍ لا يعد تخصيصًا ، واضح ؟ لا يعد تخصيصًا ، يعني : لا يفهم بأنه لا يوجد في عصر قوم نوح إلا هذه الخمسة : ودًا ، وسواعًا ، ويغوث ، ويعوق ، ونسرًا ، هذه خمسة هل هي فقط أو ثَمَّ غيرها ؟

نقول : ثَمَّ غيرها ، ما الدليل على أن غيرها مع أن الذي ذكر خمسة نقول قوله : (**لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ**) . هذا عام ولكن عندهم المعبودات كما هو الشأن في قريش عندهم المعبودات تتفاضل ويفوق بعضها بعضًا ، فنصوا على خمسةٍ منها وتركوا الباقي داخل تحت قوله : (**لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ**) . فحينئذٍ يكون من عطف الخاص على العام ، ويدل على ذلك أنها متفاضلة أنهم قالوا ماذا ؟ (**وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً**) قدموه وهو الأصل وهو القوي عندهم (**وَلَا سُوَاعاً**) لا ، هذه زائدة والزيادة هنا للتأكيد (**وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ**) هذه الثلاثة بالتنازل الأعلى فيها ودًا لأنه قُدِّمَ ، ثم سواعًا ، ثم (**يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً**) ما قال ولا يعوق ولا نسرًا ، دل على أن هذه الاثنين يعوق ونسر أقل أليس كذلك ؟ هم مشركون ، فدل على [أن هذه أو] أن هذين الصنمين الأخيرين أقل شأنًا من ودٍ وما عطف عليه ، إذًا الدلالة اللفظية مقصودة هنا ، ربنا يحكي لنا ذاك الواقع ، فحينئذٍ نأخذ هذه الأحكام من هذه الألفاظ وكل لازمٍ لهذه الألفاظ فهو حقٌ ، وكل ما دل عليه بدلالة التضمن والدلالة اللغوية فهو حقٌ ويستدل بهذه الآية على العموم ، إذًا نأخذ من هذه الآية أن قوم نوح الذي أرسل إليهم كانوا عبدة أوثان ، وكانت هذه الأوثان والأصنام كثيرة ، وكانوا يعضون عليها بالنواجذ وينهون عن تركها ، وهي متفاضلة عندهم ، وأعظمها خمسة وهي التي ذكر ، وهذه الخمسة أيضًا متفاضلة ليست على مرتبةٍ واحدة للأدلة التي ذكرناها ، روى البخاريُّ في صحيحه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : هذه - يعني : الخمسة في الآية تفسير الآية ، والأثر صحيح ثم نزاع لكن الأثر صحيح - هذه أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح ، يعني : من قوم نوحٍ من القوم الذي أرسل فيهم نوحٌ عليه السلام ، وقد وجدت هذه الآلهة قبل إرساله عليه السلام ، فلما هلكوا هؤلاءٍ الصالحون الرجال فلما هلكوا أوْحَى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يَجْلِسُون أنصابًا تماثيل يعني : هذا ود رجل صالح مات طيب ، كان له تأثير وتأسي به ففقدوه الناس ، فحينئذٍ أوحى إليهم الشيطان قال : الأمر سهل اصنعوا تمثال على هيئة ود وضعوه في المجلس الذي يجلس فيه ، إذًا إذا رأيتم هذا التمثال ذكركم به فازددتم عبادة ، وذلك قال السلف : البدعة بريد الكفر والشرك . هذه بدعة هذا ليس بشرك أصلي ، أليس كذلك ؟ إلى الآن ما عبدت لكن هذا الاقتراح الذي كلٌ يجلس ويأتك ويأتي بالشريعة بهواه وبما يراه مناسبًا دون رجوعٍ إلى كتاب وسنة تأتي بمثل هذه الأمور ، فحينئذٍ نقول : هذا الرأي بدعة إلى ماذا أفضى ؟ إلى الشرك ، إذًا البدعةً خطيرة أو لا ؟

خطيرة ، بريد الشرك والكفر ، فحينئذٍ ينبغي العناية بمعرفة حقيقة البدعة والتحذير منها ، فلما هلكوا ماتوا ، أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا ، وسموها بأسمائهم ففعلوا - وإلى الآن لم يقع شرك - فلم تعبد بقي حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم وفي رواية : وتَنَسَّخَ العلم نُسِيَ العلم ذهب زال عبدت ، إذًا في أول الأمر لم تكن معبودة وإنما هي مجرد رأيٍ واقتراح وبدعة وضلالة ، ثم آل بهم الأمر بعد تنسخ العلم أن عُبِدَت ، ولما وجد أولئك الأقوام الذين يعرفون حقيقةً هؤلاء واتخذوا تلك الأصنام والأنصاب لم يعبدوها ، ولكن لما تطاول الأمد حينئذٍ نُسِيَ العلم ولم يعرف القصد الأصلي من وجود هذه الأنصاب فعبدوها ، قالوا : ما وضعوها إلا من أجل أنهم يُتقرب بها إلى الله عز وجل ووقع الشرك .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : قال غير واحدٍ من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم - بدعتان - ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم . وقع الشرك مقدمتان بدعتان عكفوا على القبور قد لا يكون ثم عبادة وقد يكون ، لكن الظاهر أنه لم توجد عبادة عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم - بدعتان - ، ثم طال عليهم الأمد تنسخ العلم نُسي العلم ذهب العلماء حينئذٍ وُجد الشرك فعبدوهم والعياذ بالله ، أيضًا قوله تعالى : (**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ**) [البقرة : 213] . قال ابن عباسٍ في تفسير الآية : كان بين آدم ونوحٍ عشرةُ قرون كلهم على شريعة الحق ، فاختلفوا فبعث الله النبيين ، ولا خلاف هنا في التوحيد إلا بوقوع الشرك الأكبر . وعن عكرمة قال : كان بين آدم ونوحٍ عشرة قرون كلهم على الإسلام . إذًا قوم نوح عبادٌ للأوثان من أهل الأوثان كما هو الشأن في قريش فقد أحدثوا الشِّرك وعبادة الأصنام ، (**فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله تعالى إلى قومه لما غلوا في الصالحين**) والغلو هو مجاوزة الحد - هكذا في لسان العرب - غلى يغلو ، ولذلك لما كان هذا السبب هو الأصل في انصراف الناس عن التوحيد إلى الشرك ، عنون له شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد بابًا سماه باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ، الغلو في الصالحين مجاوزة الحد في الصالحين ، والغلو هو مجاوزة الحد في الثناء مدحًا أو قدحًا ، تمدح فترفع ، تقدح فتضع ، نقول : الغلو وعدم الإنصاف في المدح ، وعدم الإنصاف في الذم والقدح ، هذا مذمومٌ شرعًا ، وقد يؤدي إلى البدعة وقد تفضي هذه البدعة إلى الوقوع في الشرك الأكبر . وسبق معنا أن قوم نوح أول ما حصل منهم هو البدعة ، ثم بعد ذلك وقع الشرك ، والبدعة التي حصلت هي الغلو في الصالحين ، ولذلك حذر النبي ﷺ هذه الأمية من أسباب الوقوع في الشرك وأعظمها الغلو .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في تعريف الغلو : بأنه مجاوزة الحدّ بأن يزاد في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه ، إذا مدحت امدح بعدل وبإنصاف وبقسط ، وإذا ذممت كذلك ذُمَّ بعدل أولاً ذم بحق وشرع ليس كل من ذُمَّ كان مصيب تَذُّم بشرعٍ ، ثم بعد ذلك لا بد من الإنصاف في الذم و (**الصالحين**) جمع صالح وهو القائم بحدود الله وحقوق عباده . قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في ((**التوسل والوسيلة**)) قاعدة : ولفظ الصالح والشهيد يذكر مفردًا فيتناول النبيين والصديقين والشهداء . إذًا لما غلو في الصالحين لا يفهم منه أنه لا يشمل النبي النبيين أو المرسلين ، بل يدخل فيه النبي والرسول ، ويدخل فيه كلٌ من الصديقين والشهداء ، ولذلك قال : لفظ الصالح وكذلك الشهيد يذكر مفردًا دون أن يقرن بغيره كما هو الحال معنا هنا ، فيتناول النبيين والصديقين والشهداء لأنه قد يقول لك قائل وهو يغلو في النبي ﷺ الغلو في الصالحين ، الصالحين ليس بالأنبياء والرسل نقول : لا صالحون لفظٌ يشمل الأنبياء عند الإنفراد يشمل الأنبياء والرسل والصديقين والشهداء ويذكر مع غيره فيفسر بحسبه إذًا (**لما غلوا في الصالحين**) يشمل الصالحين دون الأنبياء ويدخل فيهم كذلك الأنبياء قال تعالى : (**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ**) [النساء : 171] هذا نهي والنهي يقتضي التحريم وهذا النهي وإن كان موجهًا لأهل الكتاب إلا أنه يشمل هذه الأمة (**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ**) من هم أهل الكتاب ؟ اليهود والنصارى التوراة لليهود ، والإنجيل للنصارى (**لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ**) يعني : لا تتجاوزوا الحد مدحًا أو قدحًا وهذا واقعٌ في الأمتين اليهودية والنصرانية ، فإنهم غلو في عيسى عليه السلام مدحًا وقدحًا ، فالنصارى أدعو أنه ابن الله هذا مدح غلو فيه قالوا : إنه ابن الله وجعلوه ثالث ثلاثة ، واليهود غلو فيه قدحًا ضد الفرقة السابقة حيث أدعو أنه ولد زنا وأن أمه زانية - قاتلهم الله - فنهى الله تعالى عن الغول في الدين وهذا النهي عامٌ يشمل هذه الأمة ويدل عليه نصوصٌ خاصة من النبي ﷺ حيث قال : « **إياكم والغلو** » . « **إياكم** » هذه كلمة تحذير ويحملها الأصوليون على التحريم من صيغ التحريم ((إياك)) ، إياك وكذا نقول : هذا للتحريم . فالغلو محرم لهذا النص فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ، إذًا سبب هلاك الأمم السابقة هو الغلو مجاوزة الحد مدحًا أو قدحًا ، وهذا الحديث فيه حصر يعني : السبب الوحيد الذي وقع أو كان سببًا في هلاك الأمم السابقة هو الغلو ، لكن نقول : دل حديثٌ آخر على أن ثَمَّ [سببٍ على أن ثم] [(6)] سببًا آخر سببٌ لهلاك الأمم السابقة قل ﷺ : « **إنما أهلك من كان قبلك أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد** » . هذا سببٌ للهلاك إذًا قوله عليه الصلاة والسلام : « **إنما أهلك من كان**

(6) سبق .

قبلكم الغلو » . « إنما » للحصر لكنه حصرٌ إضافي فحينئذٍ يحمل على التعبد والحديث الآخر يحمل على الحكم ، فثَمَّ غُلُوَّان هما سببٌ للهلاك ، فالهلاك في الحديث الأول باعتبار التعبد ، وفي الثاني باعتبار الحكم .

(أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين) وجدت هذه البدعة غلو أولاً ووقعوا في المحرم فنشأ عنه الوقوع في الشرك الأكبر وهذا يجعل الإنسان من هذه الأمة الذي نهاه نبيهم ﷺ بقوله : « إياكم والغلو » . **أن لا يغلو في شخصٍ البتة مدحًا أو ذمًا** ، لا تأتي بطالب علم وتقول هذا إمامٌ من أئمة المسلمين وهو لا يتجاوز قدره ، وإذا ذممت لا تقل هذا شرٌ من إبليس ، إلا اللهم إذا دل دليلٌ حينئذٍ لا بأس به .

(وداً وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا) هذه الأصنام وهذه الأسماء الخمسة كانت في زمن نوح عليه السلام ، ثم الذي كَسَّرَهَا هو آخر الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، وهو محمدٌ عليه الصلاة والسلام ، وذلك قال المصنف : (وآخر الرسل محمد) ﷺ ، (محمد) بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي من سلالة إسماعيل بن إبراهيم أشرف الناس نسبًا ، وقد أجمع أهل العلم على أنه آخر الأنبياء لقوله تعالى : (وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) [الأحزاب : 40] . (وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) ولم يقل خاتم المرسلين لأن النبوة أعم من الرسالة ، وإذا نُفِيَ الأعم استلزم نفي الأخص ، لكن لو قال وخاتم المرسلين لو قال قائلٍ إنه نبي لا يستدل بهذه الآية على إبطال دعوته ، لأن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم لكن قال : (وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) . يعني : من بابٍ أولى أن لا يكون رسولاً بعده إذا نفيت النبوة وهي أعم فحينئذٍ نفي الرسالة من بابٍ أولى وأحرى ، وهو أي : النبي محمد ﷺ آخر الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام ، وأما نزول عيسى بعده كما سيكون من علامات الساعة ونحو ذلك نقول : نزول عيسى عليه السلام إنما يكون حاكمًا بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام ، لم يأت بشريعةٍ جديد ، ودلت النصوص القطعية أن عيسى عليه السلام رسول وأنه من أولي العزم الرسل الخمسة ، وأن الله تعالى رفعه إليه ، وأنه حيٌ لم يمت هذه كلها واضحة بينة ، حينئذٍ رفع الوصف بالرسالة أو النبوة عنه يحتاج إلى دليل ، إذا قيل : بأنه ينزل في آخر الزمن . الأصل فيه أنه ينزل ماذا ؟ رسولاً هذا الأصل ، لكن لا يقتضي ذلك أن هذه الرسالة التي لكن لا يقتضي ذلك أنه ينزل رسولاً جديدًا بعد محمدٍ ﷺ ولكن خاتم (وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) نقول : من يُوحى إليه وَحيًا جديدًا بعد النبي ﷺ هذا مقطوعٌ بنفيه ومن ادعى النبوة أنه أوحي إليه وحيٌ جديد وشريعة جديدة بعد محمدٍ ﷺ عليه وسلم فهو كاذبٌ ، وأما نزول عيسى رسولاً على وصفه الذي رفع به نقول : هذا لم يأت ناسخًا لشريعة محمد ﷺ ولذلك أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ، وهذا إقرار حينئذٍ صار ماذا ؟ صار وجود الخنزير والصليب نقول مؤقتٌ بنزول عيسى عليه السلام ، فإذا نزل حينئذٍ نقول الإخبار من النبي ﷺ يعتبر تشريعًا ، فلم يأت عيسى عليه السلام بشريعة جديدة ، والأصل بقاء ما كان على ما كان أنه رسولٌ ونبي وأنه من أولي العزم من الرسل .

(وهو) أي : النبي ﷺ (الذي كَسَّرَ) كَسَرَ كَسَّرَ ، كَسَرَهُ من باب ضَرَبَ فانْكَسَرَ تَكَسَّرَ ، وكَسَّرَهُ تكسيرًا شدد للكثرة ، صور هؤلاء الصالحين هذه وُجِدَتْ في عهد النبي ﷺ وهي من معبودات العرب التي بعث النبي ﷺ مُجَدِّدًا لملة إبراهيم عليه السلام كما سيأتي بيانه ، والله تعالى أعلم .

وصلَّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدرس الرابع
بسم الله الرحمن الرحيم

أسئلة :
- هذا يقول : جملة رحمك الله ، قول المصنف : (**اعلم رحمك الله**) . لها محل له من الإعراب ؟
: هذه جملة اعتراضية ، لا محل لها من الإعراب ، أما الجملة التي في أول النسخ المطبوعة به ثقتي هذا كتاب كشف الشبهات الظاهر أنها ليست من النسخة الأصلية ، وبالنسبة لعادة الإمام رحمه الله كان يذكر مثل هذه الألفاظ وبه ثقتي يعني : اعتمادي وتحقيق معنى التوكل على الله عز وجل .
- لما أن شرحكم على الألفية قريب نرجو منك لو أعطيتمونا طريقة في حفظ أبياتها وكيفية الضبط ؟
: هذا ذكرناه مرارًا ، إذا كان الطالب يستطيع أو يستوعب أن يحفظ في اليوم خمسة أبيات حينئذٍ يجتهد في حفظها ويضبطها أولاً ، إما بسماع شريط مثلاً ، وإما أن يرجع هو بنفسه إلى بعض الشروح ، والنسخة التي حققها محي الدين لابن عقيل مع الألفية هذه من أجود الموجود ، من أحسن الموجود نسخة الألفية التي مع شرح ابن عقيل تحقيق محيي الدين ، نادر أن تجد فيه أخطاء نحوية أو غيرها .
- هل جملة (**بالعبادة**) جار ومجرور متعلقة بقول المصنف رحمه الله تعالى : (**التوحيد هو إفراد**) ؟
نعم ، ذكرناه (**إفراد الله تعالى بالعبادة**) ، وفي بعض النسخ بالتعلق ، التعلق المراد به التعلق القلبي وهو معنى التوحيد ، و(**بالعبادة**) جار ومجرور متعلق بقوله : (**إفراد**) لأنه مصدر ، والمصدر محل للعمل يعني : يعمل . المصدر يعمل .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :
عرفنا بعض الأصول التي قَدَّمَ بها المصنف رحمه الله تعالى في كتابه ((**كشف الشبهات**)) ، وذكرنا أن الأصل الأول الذي ينبغي العناية به وفهمه هو معنى التوحيد الذي جاءت به الرسل ، وهو توحيد العبادة ، وعرفه المصنف رحمه الله تعالى بقوله : (**إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة**) .
ثم **الأصل الثاني** : تعلم أن هذا التوحيد ، توحيد العبادة الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا أمر مجمع عليه ، والإجماع هنا أعلى درجات الإجماع وهو إجماع الرسل قاطبة من المرسلين والأنبياء أجمعوا على هذا النوع ، ولذلك قال : (**وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده**) . فكل رسول إنما أرسل إلى قومه ليبين لهم ما أُرْسِلَ به إليهم ، وهذا الذي جاءوا به اتفقوا عليه بقولهم : (**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**) . وهذا هو معنى توحيد العبادة (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**) [الأنبياء : 25] وفسر هذا بقوله : (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**) [النحل : 36] . فالأمر بعبادة الله وحده دون ما سواه وصرف العبادة كلها لله جل وعلا والتأليه الكامل المطلق لله جل وعلا محبةً ورجاءً وخوفًا ونحو ذلك ، كله منفرد به الخالق سبحانه وتعالى .
ثم بين أن سبب الشرك الذي وقع في البشرية إنما كان بسبب الغلو في الصالحين وهذا أصل ثالث ينبغي العناية به ، ما سبب وقوع البشرية في الشرك ؟
قد عرفنا أن الأصل في الإنسان التوحيد من لدن آدم عليه السلام إلى قرابة عشر قرون كما ذكر غير واحد من السلف كلهم على الجادة على التوحيد توحيد الرب جل وعلا بإفراده بالعبادة دون ما سواه وتأليه القلب بالله جل وعلا ، (**فأولهم نوح**) أول الرسل وهو من أولي العزم من الرسل (**فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين**) يعني : لما وقع الشرك وانتشر وأَلَّهُوا معبودات حينئذٍ أرسل الله جل وعلا يعني : وُجِدَ السبب أولاً وهو الانحراف في التوحيد ، ثم أرسل الله تعالى نوحًا عليه السلام ، أرسله إلى قومه لما غلوا وتجاوزوا الحد

في الصالحين ، الصَّالحين كما ذكرناه أنه يشمل الأنبياء والرسل فليس خاصًا بما هو دون الأنبياء والمرسلين كما نقلناه عن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى .

ثم ذكر خمسًا من هذه الأصنام (**وَدًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا**) وهذه كما جاء في صحيح البخاري عن العباس رضي الله تعالى عنهما أنها أسماء رجال صالحين كانوا في زمن أو في القوم الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام ، وكان فيهم من الصلاح لما ماتوا أرادوا أن يتذكروا وأن يعلوا همتهم بالعبادة وأن يروا الاقتداء والتأسي بأولئك الذين ماتوا فنصبوا الأنصاب والتماثيل والصور عليها على قبورهم ، ثم لما تَنَسَّخَ العلم وذهب وذهبت الحكمة التي من أجلها وضعوا هذه الأصنام وهذه التماثيل عُبِدَت من دون الله جل وعلا ، ولذلك أخذ أهل العلم ذكره شيخ الإسلام وغيره أن مقولة السلف أن البدعة بريد الكفر والشرك مأخوذة من هذا النص لأنهم ابتدعوا أولاً بوضع هذه :

أولاً عكفوا على القبور وهذه بدعة .

ثم صوروا تماثيل هؤلاء الصالحين وهذه بدعة ثانية لم تعبد آنذاك .

لكن لما طال عليهم الأمد ونُسِيَ العلم ذهب العلم بالتوحيد وذهب العلم بأن هذه العبادة لا يجوز صرفها لغير الله وأنهم صالحون لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا حينئذٍ توجهوا إليها بالعبادة ، وقالوا : ما جعلها السابقون السلف إلا - أسلافهم يعني - ما وضعوا هذه الأصنام إلا وهم يعتقدون فيها التأثير ولذلك عُبِدَتْ .

(**وآخر الرسل محمد**) ﷺ ، أولهم وخاتمهم ، أولهم نوح عليه السلام وخاتم الرسل محمد ﷺ ، وهو الذي أرسل إلى هذه الأمة مجددًا دين إبراهيم عليه السلام ، (**وهو**) أي : النبي عليه الصلاة والسلام (**الذي كَسَّرَ صور هؤلاء الصالحين**) هي بدأت ونشأت في أول البشرية انظر هذا الابتلاء ابتلاء العباد بما كان ، هؤلاء الصالحون كانوا في زمن نوح وهو أول الرسل ثم هذه القرون تتوالى ويأتي محمد ﷺ (**وهو الذي كَسَّرَ**) كسَّر نقول : هذا التشديد من قبيل ماذا ؟ دلالة على الكثرة ، كَسَّرَ بنفسه أو بغيره لأنه لما دخل مكة فاتحًا لها كان يضرب بعض الأصنام التي كانت حول الكعبة بعصاه ويقول : (**جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**) [الإسراء : 81] (**وهو الذي كَسَّرَ**) إما تكسيرًا حسيًّا كما هو الشأن في تكسيره عليه الصلاة والسلام بنفسه ، أو بغيره بأن أرسل بعض أصحابه لهدم بعض القبور وطمس بعض هذه التي تكون معبودات وأوثانًا تعبد من دون الله ، أو معنويًّا وهذا أمر واضح بين لأن نشر الحق ومعرفة الناس للتوحيد هذا يعتبر تكسيرًا للشرك وتكسيرًا للأصنام والأوثان ، لأن العلم بالشيء قبل وقوعه يعتبر تحطيمًا له قبل أن يقع ، فحينئذٍ يقال بأن نَشْر التوحيد فيه إذهاب وإزهاق وتحطيم لهذه الأصنام ، وأما تكسيرها الحسي فهذا قد وُجِدَ في أول الإسلام ، وأما التكسير المعنوي فهذا باقٍ . ثم وجدت بعد ذلك في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (**كَسَّرَ صور**) صور هذا جمع صورة يقال صِوَر بكسر الصاد لغةٌ في الصور جمع صورة والتصاوير التماثيل ، فهذه التماثيل التي وضعت من أجل صرف العبادة لها أو شيئًا من العبادة ، العرب كما سيأتي أنهم اتخذوا هذه وسائط بينهم وبين الله تعالى ، واعتقادهم أن هذه الأصنام وهذه التماثيل وهذه البقاع ليست معبودة لذاتها ليست مقصودة لذاتها ، وإنما لما حَلَّ فيها من أرواح الصالحين ، ولذلك نقول : ودًا وسواعًا تمثال صنم طيب فكيف عُبِدَ الصالحون ؟ نقول : هم يعتقدون أن هذا التمثال لودّ وسواع قد حلت فيه روح ودّ وروح سواع حينئذٍ اعتقدوا أن هذه الأصنام تَحُلُّ فيها الأرواح كما سيأتي بيانه ، (**كسَّر صور هؤلاء الصالحين**) ، (**هؤلاء الصالحين**) المشار إليهم خمسة (**ودًا وسواعًا**) وما عطف عليه ، وهل النبي ﷺ لما بُعِثَ لم يكن آنذاك من الأصنام إلا هذه الخمسة ؟

الجواب : لا ، بل هي كثيرة ، ولذلك كان حول الكعبة ما يربوا على ستين وثلاثمائة صنم ، كلها تعبد من دون الله ، منها هُبَل واللات والعزة ومناة ، هذه غير هذه الخمسة ، لكن المراد هنا أن هذه الخمسة نشأ عليها قوم نوح ومع ذلك الذي حطمها وكسرها حسًا أو معنًى هو النبي ﷺ . وقد ذكر بعضهم أنها وُجِدَت بعينها ولذلك ذُكِرَتْ في أشعار العرب ، ذُكِرَ نسر ، وذكر يغوث ، ويعوق ، وكذلك عُبِّدت يعني : سُمِّيَ بها من جهة التعبيد فقيل : عبد يغوث ، وعبد نسر ، وعبد سواع . ونحو ذلك فجاءت بعض أسماء العرب من قريش معبدة إلى بعض هذه الأصنام ، فدل ذلك على أن هذه الأصنام لها ذكر ولهم بها معرفة ، وقد ذكر بعض المؤرخين أماكن بعض هذه الخمس ، فقال : ودّ كان لكلب بدومة الجندل ، يعني : موجود إلى عهد النبي ﷺ لكلب قبيلة بدومة الجندل ، وسواع برهاط وهذه رهاط قيل اختلف فيها قيل إنها من أرض يَنْبُع وكانت سدنته بنو لحيان ، وصحح بعض المعاصرين أنه يبعد عن مكة بنحو

خمسين ومائة كيلو ، ويغوث بمذحج ويعوق بقرية يقال لها خَيْوان بإسكان الياء وفتح الخاء من صنعاء ، ونسر كان لحمير ، فبعث النبي ﷺ وهذه الأصنام كانت موجودة لكنها مبثوثة في أديان العرب ، وثَمَّ كلام طويل حول أول من أنشأها وأنه عمرو بن لحي ، وجاءه هتف به الجن بأنه موجود في شاطئ جِدّة ونحو ذلك ، كلام طويل عريض قد لا نستفيد من ذكره شيء ، (**وهو الذي كسَّر صور هؤلاء الصالحين**) ، إذًا أشار المصنف هنا إلى أن السر الذي عُبِدَتْ من أجله هذه الأصنام أنها ماذا ؟ أنها قد حلت فيها أرواح الصالحين ولذلك قال : (**لما غلوا في الصالحين**) . ثم قال : (**كسر صور هؤلاء الصالحين**) . فبدأ بهذا الوصف وختم به ، ليدل على أن هذه الأصنام لم تعبد ولم تقصد لذاتها ، يعني : لم يقف العربي وغيره المشرك أمام صنم ليسجد لذات الصنم وإنما لما حَلَّ فيه من روح ذلك العبد الصالح .

ثم شرع في بيان مسألة مهمة وهي أصل من الأصول التي ينبغي العناية بها لفهم الشرك في أي زمان كان ، وهو معرفة الواقع الذي بُعِثَ فيه النبي ﷺ ، ما هو واقع المشركين ؟ ماذا كانوا يفعلون ؟ ماذا حَكَمَ عليهم النبي ﷺ ؟ بماذا وصفهم ؟ ثُمَّ ماذا كانوا يعتقدون في هذه الأصنام ؟ ماذا كانوا يعتقدون في ربوبية الرب جل وعلا ؟ هذه المسائل إذا عني بها الطالب وعرفها حينئذٍ يعرف ويستقيم معه تنزيل الأحكام على الأشخاص لأن ثَمَّ أمرين :

أولاً : معرفة الوصف هل حَلَّ به أو لا ؟

ثم تنزيل الحكم عليه وهو أنه كافر مرتد حبط عمله ونحو ذلك ويجب قتاله ونحو ذلك .

نقول : هذان الأمران لا بد من معرفتهما الوصف أولاً ثم الحكم ، والحكم يؤخذ من الكتاب والسنة ، وأما الوصف فيؤخذ من الشرع ومن الواقع نفسه ، لأن أشياء تدرك بالحس مما نقله أرباب التاريخ عن وصف أحوال قريش ونحوه ثم ما جاء ذكره في الكتاب كما قال تعالى : (**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**) [يونس : 31] . بين أنهم أقروا بتوحيد الربوبية ، ثم وجدنا بعض الصفات التي نقلها أرباب التاريخ تؤيد ذلك . قال : (**أرسله الله إلى أناس**) . أخرج به ماذا ؟ أخرج الجن والملائكة ، لكن ليس هذا مقصودًا من المصنف رحمه الله تعالى وإلا فالإجماع قائم على أن النبي عليه الصلاة والسلام أُرْسِلَ إلى الجن كما أنه أرسل إلى الإنس ، وهل أرسل أيضًا إلى الملائكة ؟ هذا محل نزاع بين أهل العلم ، وأما إرساله إلى الجن فهذت قد نص عليه الكتاب (**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ**) [الجن : 1] ، وجاء (**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ**) [الأحقاف : 29] ... إلى آخر الآيات التي دلت على أن النبي ﷺ قد بلغ الجن فآمنوا به ثم وَلَّوا إلى قومهم منذرين ، (**أرسله الله إلى أناس**) إذًا والجن كذلك لكن نصّ المصنف هنا رحمه الله تعالى على الأناس وهو [واحد أو] [7] اسم جمع لا واحد له من لفظه وإن قيل بأن الإنسان واحد لكن هذا ليس بصواب ، فالأناس الذين بعث إليهم النبي ﷺ كانت لهم أوصاف وكانت لهم أحوال ، هل يعرفون الرب جل وعلا أو لا ؟ هل لهم عبادات أو لا ؟ ماذا كانوا يفعلون مع هذه التماثيل والأصنام ؟ ما الذي صرفوه إلى هذه الأصنام ؟

أسئلة لا بد من الإجابة عليها ، بعضها نعرفه من الشرع ، وبعضها نعرفه من الحس والنقل التاريخي ، (**أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله**) وفي بعض النسخ (**كثيرًا**) هذه الجملة تدل على أنهم ليسوا أهل فترة ، من أرسل إليهم النبي ﷺ كانوا يعرفون إبراهيم عليه السلام ، وينتمون إلى رسول من الرسل ، وعندهم نوع عبادات ، وهي كثيرة جدًا ، وهي كثيرة ، نأخذ من هذا أنهم ليسوا أهل فترة ، وأهل الفترة من هم ؟

قالوا : هم الذين وقعوا بين رسولين لم يدركوا الأول ولم يدركهم الثاني . لم يدركوا الأول بمعنى أن الأول قد أرسل بشرع ثم أندرس ذلك الشرع ولم تبق لهم معالم ولا أثر ، فحينئذٍ إذا وجد أناس لم يسمعوا بذلك الرسول ولم يعرفوا شريعته حينئذٍ نقول : هؤلاء لم يرسل إليهم الأول ، ما أدركوه حسًا ولم يدركوا شرعه ، ثم بعث - ماتوا - وبعث بعده رسول هل أدركهم الرسول ؟ قالوا : لا ، إذًا وقعوا بين منزلتين بين رسولين وهذا وإن قال به كثير من أهل العلم إلى أن بعضهم - بعض المحققين من السلف وغيرهم - أنكر وجود ما يُسمى بأهل الفترة ، وإن وُجِدَ بعضهم كالأصم ونحوه مما دل الحديث على أنه يُبتلى ويُختبر لكن بهذه الصفة وجود قوم بين رسولين هذا ظاهر النصوص والله أعلم ردّه ، لماذا ؟

لأنه ينافي أصول قطعية :

([7]) سبق .

أولاً : ما الحكمة من خلق الخلق ؟
عبادة الرب جل وعلا ، قال سبحانه : (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) [الذاريات : 56] . إذًا لم أخلق الخلق من الجن والإنس إلا لحكمة واحدة وهي عبادتي وإفرادي بالتوحيد ، وهؤلاء القوم إذا جوزنا أنهم وُجدوا ثم لم يأتوا بالحكمة التي خُلقوا من أجلها ، هل يكون هذا منافيًا للنص أو موافقًا ؟
إذا وُجِدَ قوم ولم يعبدوا الله لم يرسل إليهم رسول ولم يعرفوا الله تعالى ، حينئذٍ قالوا : هؤلاء أهل فترة ، يعني : انقطاع عن الرسل لم يصل إليهم أي رسول ، نقول : هذا إذا أثبتناه هل يتعارض مع ظاهر قوله تعالى : (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) . الظاهر أنه منافي له ، لأن الآية دلت على أنه ما من إنس يوجد في هذه الحياة إلا والحكمة منه من خلقه وإيجاده تحقيق العبادة لله عز وجل حينئذٍ سيُرسل الرب جل وعلا من يبلغه هذه العبادة لأننا قررنا أمرين من الآية (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) هذه العبادة ليست عقلية وليست بأمور عرفية ولا بهوى وتقاليد ونحو ذلك وإنما مبناها على الوحي والذي يأتي بالوحي من ؟ الرسل ، حينئذٍ إذا أمروا بالعبادة تعين أن يُرسل إليهم رسل ، فإذا جوز وجود قوم بدون عبادة وبدون رسل ، نقول : هذا منازع ومنافٍ لظاهر هذه الآية ، ثم النصوص القطعية (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ**) عام فيحتاج إلى مخصص لإخراج بعض القوم الذين لم يرسل إليهم رسل ، (**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**) [فاطر : 24] أعلى صيغ العموم بل هو صريح ونص في العموم وبعض الأصوليين يرى أن هذا النوع لا يمكن تخصيصه ، لأنه مناقض لأصل الزيادة (**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ**) إن شرطية ، (**مِنْ**) زائدة ، (**أُمَّةٍ**) هذه ليست شرطية إن هذه نافية بمنزلة ما (**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا**) لوجود إلا نحكم بأن إن هذه نافية وليست بشرطية ، إذًا نكرة في سياق النفي وزيدت عليها مِنْ فهو نص في العموم ، وإذا كان كذلك حينئذٍ لا يمكن العدول عن ظاهره إلا بنص واضح بين ، إذا جوزنا ماذا ؟ التخصيص في مثل هذه المواضع ، (**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**) فإثبات أمة لا نذير فيها الذي هو حقيقة أهل الفترة نقول : هذا معارض لهذا النص . (**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**) [النساء : 165] وسبق معنا أن المواثيق ثلاثة :
الميثاق الذي أُخِذَ من ظهر آدم عليه السلام .
ثم ميثاق الفترة . وهذان لا يعتبران حجة على الخلق .
ثم الميثاق الثالث : وهو الرسل والأنبياء . حينئذٍ كيف يحتج بأن لا يكون للناس حجة إذًا هؤلاء لهم حجة أو لا ؟
أهل الفترة لهم حجة أو لا ؟
لهم حجة ، لأن الله تعالى لم يرسل إليهم الرسل ، فالظاهر والله أعلم عدم وجود ما يسمى بأهل الفترة ، وإن كان أكثر الفقهاء على ذلك ، وأما ما ورد من الأصم والأعمى ونحو ذلك والمجنون الأخرق ، هذا قد يُستثنى هو كأفراد ، وأما الكلام على قوم أمة قرية مدينة لم يُرسل إليهم رسول نقول : هذا إثباته مخالف لقواطع الكتاب والسنة ، ولا يُمكن التخصيص إلا بدليل واضح بين ، والحديث المذكور هذا مختلف فيه ، أحسن أحواله بأن يقال بأنه حسن لغيره ، ومثل هذا لا يصلح أن يكون مخصصًا لمثل هذه القواطع .
إذًا نأخذ من هذه الجملة (**أرسله الله إلى أناس**) من صفتهم أنهم (**يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله**) الرد على من قال [بأن أهل قريش] بأن قريش والعرب آنذاك أهل فترة نرد عليهم من وجهين :
الوجه الأول : عدم التسليم بوجود ما يسمى بأهل الفترة .
ثانيًا : ثبت بالنقل التاريخي أن أولئك الأقوام لهم عبادات كثيرة جدًا ، منها ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ، إذًا تَوجُه العرب لله عز وجل قبل الإسلام تَوَجَه العرب قبل الإسلام بأنواع العبادات إلى غير الله سبحانه ، ومن أهم العبادات كما هو معلوم العبادات القلبية وهي الأساس ولذلك الإخلاص محله القلب ، فإذا توجهوا بالإخلاص لغير الله جل وعلا وهو من العبادات القلبية حينئذٍ يتبعها سائر العبادات سواء كانت قولية أو عملية .
إذًا من أهم العبادات قلبية التي توجهوا بها إلى غير الله جل وعلا ، وهذا هو أصل شركهم إذ صرفوا الإخلاص والتعظيم والدعاء والاستغاثة والاستعانة وغيرها إلى غير الله ، كما كانوا يخافون ويرجون غير الله تعالى كما هو مذكور في سورة الجن ومشروح في فتح المجيد ، ويحبون معبوداتهم كذلك ، وهذا أمر قلبي يحبون معبوداتهم مثل حب الله أو أشد منه ، يعني : قد يجمعون مع حب الله حب المعبودات ، وقد يفردون المعبودات بالحب والتعظيم دون أن يحبوا الله ، وكلا القولين مذكوران في تفسير الآية ، إذًا يحبون معبودات مثل حب الله أو أشد منه ، ومنهم من يحب الله تعالى لكنها محبة لا تكون خالصةً لله جل وعلا بل شَرَّكَ بينه وبين هذه المعبودات ، لذلك قال سبحانه : (

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ) [البقرة : 165] يعني : الحب الذي ينبغي أن يكون لله صرفوه لغير الله ، وليس في قلوبهم حب لله تعالى هذا قول في الآية ، وقول آخر : يحبون الله ويحبون غيره لكنهم لم يفردوا الله تعالى بالمحبة الخالصة الصادقة بل شَرَّكُوا معه غيره .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : إنما ذُمُّوا بأن شَرَّكُوا الله وبين أندادهم في المحبة . فإذًا اختار القول الثاني ، إنما ذُمُّوا بأن شركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوا لله كمحبة المؤمنين لهم كما يحب المؤمنون الله تعالى محبة خالصة هم أحبوا الله وأحبوا المعبودات فلم يخلصوا لله تعالى المحبة كإخلاص المؤمنين لله سبحانه وتعالى ، هذا ما يتعلق بالعبادات القلبية وهي أساس وينطلق منها التوحيد ، ولذلك أعظم شروط التوحيد الإخلاص ، والصدق ، واليقين . وهذه كلها محلها القلب والعمل الظاهر لازم لها ، ومن العبادات العملية الحج إذًا قوله : (**يتعبدون**) . هذا عام يشمل كل عبادة ، وحينئذٍ عطف ما بعده عليه يكون من عطف الخاص على العام ، وبعض الشراح فسَّر (**يتعبدون**) بمعنى يصومون ، ولكن هذا يحتاج إلى دليل .

ومن العبادات العملية الحج قال تعالى : (**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**) [البقرة : 199] . قريش ، وفي حديث ابن عباس فيما رواه مسلم رضي الله تعالى عنهما قال : كان المشركون يقولون : لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك . عندهم تلبية ولكن هذه التلبية فيها شرك ، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت ، إذًا عندهم طواف يعبدون الله تعالى بالطواف .

قال هنا : (**ويحجون ويتصدقون**) . والصدقة بذل المال ، وإما أن يكون هذا المال بالنقد وإما أن يكون بالعتاق ونحوه ، جاء في حديث حكيم بن حزام قال : قلت : يا رسول الله أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية - والتحنث هذا أيضًا يعتبر عندهم من العبادات وهو التعبد ، يعني : يخلو به بنفسه مع ربه جل وعلا ، ولذلك جاء في حديث عائشة أن النبي ﷺ كان يتحنث ، وهو التعبد - أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة ومن صلة رحم - إذًا يتعبدون بماذا ؟ بصلة الرحم والعتق والصدقة - فهل فيها من أجر ؟ فقال النبي ﷺ : « **أسلمت على ما سلف من خير** » . إذًا سأل عن شيء وقع منه في الجاهلية حكيم بن حزام ووقع منه الصدقة بالمال ووقع منه وحصل أنه تعبد بالعتق وبصلة الرحم ، إذًا هذا عهد قريب أدرك النبي ﷺ فكيف يقال بأنه أهل فترة (**ويذكرون الله**) هذا عام وفي بعض النسخ (**كثيرًا**) ، (**ويذكرون الله**) مطلقًا أو أنهم في حال دون حال ، ذكر النص القرآني أنهم في حال دون حال (**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**) أليس كذلك ؟ (**فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**) [العنكبوت : 65] فدل هذا النص على أن قوله : (**ويذكرون الله**) . إنما هو في حال دون حال ، يعني : في حال الشدة يذكرونه فقط وأما في حال الرخاء فإذا هم يعودون على شركهم قبل الشدة .

وكذلك كما سبق الطواف ، ومنه : (**وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**) [الأنفال : 35] . هنا أسند الصلاة إلى من ؟ إلى المشركين (**وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**) يعني : تصفيق وصفير . فالصلاة هنا تفسر بماذا ؟ لأنه قال : (**عِنْدَ الْبَيْتِ**) . عند البيت تفسر بالطواف وهذا نص عليه ابن عباس في الحديث الذي رواه مسلم .

كذلك الاعتكاف يعبدون الله تعالى بالاعتكاف ، قال عمر للنبي ﷺ : كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلةً في المسجد الحرام . ففيه تعظيم أيضًا للمسجد الحرام قال : « **فأوفي بنذرك** » . هذا دلّ على ماذا ؟ على أنهم يعرفون الاعتكاف ويعرفون تعظيم المسجد الحرام .

والصوم كذلك ، كصوم عاشوراء ففي البخاري من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان يوم عاشوراء يومًا تصومه قريش في الجاهلية .

إذًا عرفوا الصوم ، وعرفوا الصدقة ، وعرفوا الحج ، وعرفوا ذكر الله تعالى كثيرًا ، وعرفوا الطواف ، وبعضهم قال : عرفوا الصلاة . لكن ليست هي الصلاة ذات الركوع والسجود وإنما لهم صلاة يصلونها على حسب ما تناقلوا$ 29.23 إليهم .

وذكر أرباب التاريخ أنهم كانوا يسجدون لأصنامهم ويذبحون وينحرون عندها والذبح والنحر واضح بين ، إذًا يتعبدون لمعبوداتهم بالذبح والنحر ، ولذلك لما نزل قوله تعالى : (**لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا**) [الحج : 37] .

ذكر بعض المفسرين أن من أسباب النزول أن المشركين كانوا يذبحون للأصنام والتماثيل ويلطخون بها أصنامهم بدمائها ولحومها ، فطلب بعضهم أن يفعل ذلك أو توهم ذلك فأنزل الله تعالى : (**لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا**) .
ويبذلون الأموال لها إما هدية وإما هبة وإما وفاءً بنذر ونحو ذلك ، هذا كله يدل على ماذا ؟ على أن أولئك المشركين الذين أُرسل إليهم خاتم الأنبياء والمرسلين ليسوا بأهل فترة ، أولاً .
ثانيًا : عندهم جمرة من العبادات التي يعرفونها ويعبدون الله تعالى بها تارة ويعبدون بها أصنامهم وتماثيلهم تارات (**ولكنهم**) استدراك من المصنف رحمه الله تعالى (**ولكنهم**) لكن هذه للاستدراك وهو رفع ما يُتَوَهَّم ثبوته أو نفيه ؟ شيء يتوهم منه ثبوت فينفى أو النفي فيثبت ، ولكنهم مع تعبدهم لله تعالى السابق - العبادات المختلفة - يجعلون بعض المخلوقين وسائط بينهم وبين الله عز وجل ، إذًا مع كونهم يعبدون الله تعالى وقد يأتي معنا الآن أن النبي ﷺ حكم بكفرهم وشركهم مع ماذا ؟ مع عباداتهم الكثيرة السابقة قاتلهم النبي ﷺ وأحل دماءهم وأموالهم لماذا ؟ لأنهم أشركوا تلك الآلهة الباطلة مع الله فعبدوا الله تعالى تارة وعبدوا تلك الآلهة تارات ، فأراد أن يبين المصنف رحمه الله تعالى بقوله : [.. **لكن** ..] . بعد إثبات التعبد منهم أراد أن يبين كيف عبدوا تلك الآلهة ، كيف وقع الشرك منه ، وكيف حكمنا عليهم بأنهم مشركون ، كيف عبدوا تلك الآلهة ، هل يعتقدون أنها تخلق لوحدها أو أنها ترزق أو أنها تملك النفع والضر ؟
الجواب : لا ، هل يعتقدون هذا ؟ كله سيدلل عليه من الكتاب والواقع واقعهم ، هل يعتقدون أن هذه الوسائط التي حكم النبي ﷺ بأنه مشركون لصرف العبادة لله ولها هل يعتقدون أنها تخلق أو ترزق أو أنها تملك النفع والضر ؟
قولاً واحدًا : لا ، لكن حين يسألون هذه الآلهة الرزق مثلاً واتجهوا على هذه المعبودات لطلب الرزق هل يطلبون منها أن ترزقهم أو أن تتوسط لهم عند الله تعالى بجلب الرزق لهم ؟
الثاني وليس الأول ، إذًا فهم يعتقدون أنها لا تملك الرزق لما سيأتي : (**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**) [يونس : 31] . وإنما صاروا مشركين لأنهم جعلوا تلك الآلهة وسائط في جلب الرزق ، فحينئذٍ يتعين أن نَعْرِفَ عقيدة المشركين في أنهم لا يدعون الربوبية بجميع خصائصها في تلك المعبودات ، وإنما يعتقدون أن الله تعالى هو المتصرف الواحد ، يعني : لا يَشْرَكَهُ أحد في خلقه ولا في رَزْقِه ولا في كونه مُحْيِيًا مُمِيتًا ولا في كونه يملك النفع والضُّرّ كلهم يقرون بهذا ، ثم يعبدون الله تعالى ويتوجهون إليه بصنوفهم من العبادات ، لكن أرادوا أو قاسوا - وهذا هو علة الشرك عندهم - قاسوا الخالق على المخلوق ، وشبهوا المخلوق بالخالق ، قالوا : الله عظيم وهو ملك جل وعلا - وهو كذلك - فحينئذٍ قالوا : الملوك ملوك الدنيا إذا أردنا منهم شيء وأردنا منهم ما يمكن أن نطلبه من النفع والضُّرّ لا بد من ماذا ؟ لا بد من شفيع ، ولا بد من واسطة ، ولا بد ممن يتوسط لنا عندهم ، فقاسوا الخالق جل وعلا على ذلك المخلوق الضعيف ، فقالوا : إذًا الرب سبحانه لن ننال ما عنده إلا بواسطة وهذه الواسطة هي أرواح الملائكة وأرواح الأنبياء وأرواح الصالحين ، فطلبوا هذه الأرواح وتوسطوا بها ، لا لم يسألوها أن ترزقهم هي بنفسها ، وإنما أرادوا أن يتوسطوا ويرفعوا حوائجهم إلى الله تعالى لأنهم لهم وجاهًا ولأن لهم صلاحًا ولأن لهم جاهًا عند الرب جل وعلا ، فهذا من باب قياس الخالق على المخلوق .
إذًا هذا الذي سيذكره المصنف رحمه الله تعالى ليبين لنا أن شرك المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ وكَفَّرَهُمْ وحكم بأنهم مشركون وقاتلهم إنما هم موحدون في توحيد الربوبية وصرف العبادة إنما جعل على جهة التوسط بهذه المعبودات إلى الله تعالى لترفع لهم حوائجهم .
(**يجعلون**) يعني : مع تعبدهم . (**ولكنهم يجعلون**) يعني : لكنهم مع تعبدهم لله يعبدون الله تعالى ويعبدون هذه المعبودات يجعلون ويتخذون ويُسَيِّرُون (**بعض المخلوقين وسائط بينهم**) وسائط جمع وسيط ، وهذه فسرها المصنف بقوله : (**يقولون : نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم عنده**) . نريد التقرب ونريد الشفاعة عنده ، لكن وساطة العرب - كما سبق معنا في شرح القواعد - أن الوسائط عند العرب بعضها مما يَعْقِل وبعضها مما لا يعقل ، بعضها مما يَعْقِل كالأنبياء والملائكة ، وبعضها مما لا يَعْقِل كالأصنام والأشجار والأحجار ، وبعضها عُلْوِيّ وبعضها سُفْلِيّ ، بعضها علوي كالشمس والقمر ، وبعضها سفلي كالقبور والأنداد ونحو ذلك ، أما عبادة الكواكب وادعاء أن أرواح الأرواح الطاهرة حلت فيها فهذا عُرِفَ في العرب ليس الأمر ولذلك فيما سبق قلنا : (**لما غلوا في الصالحين**) . هل هذا التعليل خاص ويُنْفَى عنه سواه ، أم أنه أهم ما يُذكر في سبب وقوع الشرك ؟ قلنا : الثاني أنه أهم ما يذكر في سبب وقوع الشرك ، لكن ثَمَّ أسباب أُخَر ، عبادة الكواكب هذه كانت في العرب وجاءت إلى العرب

من الصائبة ، وهم قوم إبراهيم ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وأصل هذا المذهب من مشركي الصائبة وهم قوم إبراهيم عليه السلام الذين ناظرهم في بطلان الشرك ، ناظرهم وجادلهم وحاجهم في بطلان الشرك ، وكَسَرَ حجتهم بعلمه ، وآلتهم بيديه - لا بد من الجهادين باللسان والسنان - فطلبوا تحريقه وهو مذهب قديم في العالم ، وأهله طوائف شتى فمنهم عباد الشمس - إذًا عباد الشمس من عباد الكواكب اعتقدوا أن الملائكة أو بعض الملائكة قد حلت روحها في هذه الشمس وإلا لا يتوجهون إلى ذات الشمس والشمس ليست مقصودة لذاتها عندهم ، ولا الكوكب ، ولا الصنم كل المعبودات التي صُرِفَتْ إليها أنواع من العبادة ليس المراد ذواتها وإنما المراد ما حل فيها ، ولذلك قال هناك منهم عباد الشمس زعموا أنها ملك من الملائكة ، كيف عباد الشمس وزعموا أنها ملك من الملائكة ، هذا يدل على أنهم اعتقدوا أن روح الملك قد حل في الشمس ، وحينئذٍ صار ماذا ؟ صار مباركًا ، زعموا أنها مَلَك من الملائكة لها نفس وعقل ، وهي أصل نور القمر والكواكب ، وتكون الموجودات السفلية كلها عندهم منها ، وهي عندهم ملك الفلك ، فيستحق التعظيم والسجود والدعاء ولذلك جاء قوله تعالى : (**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ**) [فصلت : 37] . هذا جاء أين ؟ جاء مخاطبًا به بعض العرب فدل على أن هذه المعبودات الشمس والقمر (**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ**) لا يُنْهَى عن شيء إلا وقد وقع وحصل ، فدل على أن بعض العرب [ليسوا] [8] دل على أن صرف العبادات لغير الله ليس سببه ماذا ؟ الغلو في الصالحين فحسب ، ليس سببه الغلو في الصالحين فحسب ، قال ابن جرير رحمه الله تعالى : (**لَا تَسْجُدُوا**) أيها الناس (**لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ**) فإنهما وإن جريا في الفلك بمنافعكم فإنما يجريان بها لكم بإجراء الله إياهما لكم طَائِعَيْنِ له في جريهما ومسيرهما لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سَيْرٍ وجَرْيٍ ، هي مخلوقة وهي مسيرة ، لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا دون إجراء الله إياهما وتسيرهما ، أو يستطيعان لكم نفعًا أو ضرًا وإنما الله مسخرهم لكم لمنافعكم ومصالحكم ، فله فاسجدوا وهو الخالق جل وعلا ، وإياه فاعبدوا دونهما ، فإنه إن شاء طمس ضوئهما فترككم حيارى في ظلمة [لا تهتدوا سبيلاً ولا تبصرون شيئًا] [9] لا تهتدون سبيلاً ولا تبصرون شيئًا ، إذًا عبادة الكواكب موجودة في العرب وليست بخاصة بقوم إبراهيم عليهم السلام ، بل جاءت طائفة أو جاء هذا المذهب إلى طائفة من العرب ، هنا قال : (**بعض المخلوقين وسائط**) . قلنا : جمع وسيط وهذا عام يشمل ماذا ؟ يشمل ما يعقل وما لا يعقل ، يشمل العلوي والسفلي فهو عام ، (**بينهم وبين الله**) عز وجل إذًا بينهم وبين الله جعلوا هذه الوسائط بينية بمعنى أنهم أرادوا الله أولاً لأن الوسيط هذا شأنه هذه ألفاظ كلها مراده من جهة لسان العرب وسائط بينهم وبين الله ، إذًا أرادوا الله أولاً ، ولكنهم لم يتوجهوا إليه مباشرةً والأصل في التعبد أن يكون مباشرًا لله جل وعلا أن يسجدوا وأن يذبحوا وأن يرفعوا أيديهم وأن يستغيثوا بالله وحده ويستعينوا به ، حينئذٍ لما أرادوا الله تعالى استعظموا أن يطلبوا مباشرةً فعدلوا عن ذلك فاتخذوا الوسائط ، يقولون هذا تفسير للوساطة نريد منهم التقرب وهذا دليله قوله تعالى : (**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) [الزمر : 3] . ونريد شفاعتهم عنده ، إذًا ذكر سببين المصنف هنا رحمه الله تعالى جرى على التفريق بين القربى والشفاعة وسبق معنا التفريق بينهما من جهة اللغة ومن جهة الشرع ، قال الراغب : القرب والبعد يتقابلان يقال : قَرُبْتُ منه أَقْرُبُ وَقَرَّبْتُهُ أُقَرِّبُهُ قُرْبًا وَقُرْبَانًا . لأن التقريب تَفْعِيل والأصل أنه من قَرَّبَ يُقَرِّبُ تَقْرِيبًا ، وأما الْقُرْبُ فهو من قَرُبَ ، قال : ويقال للحَظْوَةِ الْقُرْبَة المنزلة والمكانة كقوله : (**قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ**) يعني : مكانه . (**أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ**) [التوبة : 99] يعني : منزلة وحظوة ومكانة ، (**تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى**) [سبأ : 37] (**ونريد شفاعتهم عنده**) يعني : عند الله تعالى . والشفاعة اسم من شَفَعَ يَشْفَعُ إذا جعل الشيء اثنين ، قال الراغب : والشفع ضم الشيء إلى مثله والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصرًا له وسائلاً عنه ، وأكثر ما تستمع في انضمام ما هو أعلى حرمةً ومرتبةً إلى من هو أدنى ، من هو أعلى حرمة ومنزلة ومكانة إلى من هو أدنى ، ومنه الشفاعة يوم القيامة ، واصطلاحًا الشفاعة هي التوسط للغير لجلب منفعةً أو دفع مضرة ، توسط للغير أن تجعل واسطة بينك وبين ذلك الغير ليجلب نفعًا منه ، أو يدفع عنك ضُرًّا بسببه ، وهذا هو حقيقة الشفاعة وهي واردة شرعًا وهي منفية ومثبتة ، جلب المنفعة كشفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة بدخولها

([8]) سبق .
([9]) سبق .

، ودفع المضرة كشفاعة النبي ﷺ لمن استحق النار أن لا يدخلها ، إذًا ذكر لنا سببين لماذا جعلوا هذه الوساطة ؟ وكيف جعلوها ؟
قالوا : نريد منهم التقرب إلى الله تعالى . أن يقربونا إلى الله يعني : منزلة والحظوة والمكانة ، وأن يجعلوا لنا مكانة عند الله تعالى (**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) [الزمر : 3] (**مَا نَعْبُدُهُمْ**) يعني : قالوا : (**مَا نَعْبُدُهُمْ**) . ما نافية وإلا هذه مُثْبِتَة ، إذًا هذا حصر بل من أعلى درجات وصيغ الحصر ، كأنهم حصروا هذه العبادة في كونهم طلبوا منهم الزلفى ، وعرفنا الزلفى المراد بها القربة .
قال الطبري رحمه الله تعالى : يقول تعالى : (**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**) [الزمر : 3] . يتولونهم ويعبدونهم من دون الله يقولون لهم : ما نعبدكم أيها الآلهة ، أيها الملائكة ، أيها الأنبياء والرسل والصالحون ، لماذا توجهنا إليكم بالعبادة ما نعبدكم إلا لتقربوننا إلى الله زلفى ، أي : قربة ومنزلة وتشفعوا لنا عنده في حاجتنا . وهذا قياس الخالق على المخلوق جل وعلا .
وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : ثم أخبر عز وجل عن عُبَّاد الأصنام من المشركين أنهم يقولون : (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) . أي : إنما يحملهم على عبادتهم لها أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين ، فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا ، إذًا ما أرادوا منهم النصر مباشرةً واستقلالاً ، وما أرادوا من هذه المعبودات الرزق استقلالاً ، وإنما أرادوا النصر من عند الله ، وأرادوا الرزق من عند الله ، وأرادوا النفع ودفع الضر من عند الله جل وعلا لكنهم لم يطلبوا ذلك مباشرة من الرب سبحانه ، وإنما جعلوا الملائكة ونحوهم وسائط بينهم وبين الله تعالى .
قال قتادة والسُّدْي وزيد بن أسلم وابن زيد : (**إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) أي : ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة . فالقربة حينئذٍ تكون بمعنى الشفاعة وهذا هو الظاهر والله أعلم .
وقال الشوكاني رحمه الله تعالى : والمراد بقولهم : (**إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) الشفاعة كما حكاه الواحدي عن المفسرين .
حينئذٍ صار ماذا ؟
صار تفسير الواسطة والوسيط بين الله عز وجل وبين المشركين الذين اتخذوا هؤلاء الوسائط ، يُفَسَّرُ بسبب واحد وهو أنهم ما أرادوا إلا الشفاعة والقربى فحينئذٍ يكون الشفاعة بمعنى القربى ، والقربى تكون بمعنى الشفاعة ، وكذلك قوله : (**ونريد شفاعتهم**) . ودليله قوله تعالى : (**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ**) [يونس : 18] . هذا مُسَلَّمٌ عندهم يعني هم يقرون بأنهم عبدوا هذه الأصنام وهذه الأصنام من صفاتها اللازمة أنها لا تملك لهم نفعًا ولا ضرًّا وهذا أمر عجيب ويستغرب منه أنهم يقرون بأن هذه المعبودات لا تملك لهم نفعًا ولا تدفع عنهم ضُرًّا ثم بعد ذلك تصرف لهم أنواع من العبادات بحجة الوساطة ونحوها ، (**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ**) هؤلاء من ؟ المعبودات من دونه (**شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**) أي : وسطاؤنا عند الله في قضاء حوائجهم يطلبون لنا ما نريد ، يعني : نحن نطلب منهم وهم لوجهتهم وجاههم عند الله تعالى وقربهم منه يطلبون لنا من الله تعالى ، فيلبي الرب جل وعلا لنا نحن طِلْبَاتنا بسبب ماذا ؟ بسبب شفاعة هؤلاء المعبودات ، أي : وسطاؤنا عند الله في قضاء حوائجهم يطلبون لنا ما نريد ، والله لا يردهم لأنهم مقربون عنده ، فهو قياس الخالق على المخلوق .
قال ابن جرير رحمه الله تعالى : يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم (**مِنْ دُونِ اللَّهِ**) الذي لا يضرهم شيئًا ولا ينفعهم في الدنيا ولا في الآخرة ، وهم يقرون بهذا ، وذلك هو الآلة والأصنام التي كانوا يعبدونها ويقولون - إذا قيل لهم ذلك إذا كانت لا تملك لكم نفعًا ولا ضرًّا - قالوا مجيبين : (**هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**) . يعني : أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله .
ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى : ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظَانِّين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله فأخبر تعالى أنها لا تضر ، ولا تنفع ، ولا تملك شيئًا ، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ، ولا يكون هذا أبدًا ، وهذه هي الشفاعة المنفية التي جاء نفيها في الكتاب والسنة . إذًا جعلوا مع عبادتهم وتعبدهم لله بأنواع العبادات التي سبق ذكرها جعلوا وسائط بعض المخلوقين وسائط بينهم وبين الله عز وجل ، تفسير هذه

الوسائط قالوا : نريد منهم التقرب إلى الله . هذه المعبودات لماذا توجهتم إليها بهذه العبادات التي لا تصرف إلا لله سبحانه ؟
قالوا : نريد التقرب ونريد شفاعتهم عنده .
ثم مثل المصنف رحمه الله تعالى للمجمل الذي ذكره والمبهم في قوله : (**بعض المخلوقين**) . مثل ماذا ؟ قال : (**مثل الملائكة ، وعيسى**) . يعني : مثل عيسى (**ومريم**) ومثل مريم (**وأناس غيرهم من الصالحين**) ، هؤلاء الثلاثة أراد المصنف أن يُمَثِّل مجرد التَّمْثِيل وليس الأمر مقصورًا فيهم ، وسيأتي بيان كيفية شرك المشركين بالملائكة ، وكذلك عيسى ومريم (**وأناس غيرهم من الصالحين**) في كل زمان وفي كل مكان ، كـ عبد القادر الجيلاني والحسين وزينب ونحو ذلك ، نقول : هؤلاء الصالحون عُبِدُوا بالحجة السابقة ، وهو أنهم صالحون وأرادوا بتوجه بعض العبادات إلى هؤلاء من أجل التقرب لله سبحانه والشفاعة عنده ، هذه الحجة قائمة في كل زمان على لسان المشركين .
ثم قال : (**فبعث الله**) تعالى (**محمدًا**) ﷺ (**يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى لا يصلح منه شيء لغير لغيره ، لا لملك مقرب ، ولا لنبي مرسل ، فضلاً عن غيرهم**) .
(**فبعث**) الفاء سببية يعني : بسبب ما سبق من وقوع الشرك منهم بعث الله جل وعلا ، وأصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه ، يقال : بعثته فانبعث . ومنه قوله تعالى : (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا**) (النحل : 36] . وهذا يفسر بقوله : (**أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا**) [المؤمنون : 44] . فالبعث والإرسال بمعنى واحد ، ومنه خروج الشيء بعد عدمٍ ، وحينئذٍ نقول كما سبق أن النبي ﷺ إنما بُعِثَ إلى قوم يعرفون الله تعالى ، ولهم آثار رسالة سابقة وهي : رسالة إبراهيم عليه السلام . بدليلين :
أولاً : الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام ، ولذلك قال المصنف : (**يجدد لهم دينهم**) . ملة إبراهيم عليه السلام لأنهم ينتسبون إليه .
ثانيًا : وجود هذه العبادات المأثورة التي جاءت النصوص في السنة بإثباتها ، وجاء أيضًا نقلها بالنقل التاريخي نقول : هؤلاء أصحاب دين وليسوا بأهل فترة .
(**فبعث الله**) تعالى (**محمدًا**) وهو خاتم الرسل ﷺ (**يجدد لهم دين**) ، (**يجدد**) هذه لها مغزى وهو أنه قد وجد الدين ولكنه اندرست معالمه ، فأراد الرب جل وعلا أن يرفع ما غُطِّيَ به ذلك الدين وأن يجدده على لسان محمد ﷺ . الْجَدُّ قطع الأرض المستوية ، وثوب جديد أصله المقطوع ، ثم جُعِلَ لكل ما أحدث إنشاؤه ، قال : (**بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**) [ق : 15] . إشارة إلى النشأة الثانية وذلك قولهم : (**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ**) [ق : 3] . وفيه أن مشركي العرب كانوا على أَثَرِ رسالة وأنهم لم يكونوا بلا رسول قبل محمد ﷺ ، وما ذكره البعض أنه من أهل الفترة تقول : هذا فيه نظر مردود بما ذكرناه . (**يجدد لهم دينهم**) يعني ما أندرس من عقائد ، والمراد بالدين هنا الإسلام العام الذي يجتمع فيه الرسل كلهم ، وهو : عبادة الله تعالى بالإخلاص . ثَمَّ إسلام عام وإسلام خاص ، الإسلام العام هو ما اشترك فيه كل الأنبياء وهو دعوة الرسل وهو التوحيد إفراد الله تعالى بالعبادة ، وأما الإسلام الخاص فهو العقيدة والشرعية (**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**) [المائدة : 48] يعني : سنة وسبيلاً . فكل الفروع التي ينتسب إليها أو تُنْسَبُ إلى نبي فحينئذٍ نقول : هذا من الإسلام الخاص ، وأما ما اشترك فيه الأنبياء من التوحيد ونحو ذلك فهو إسلام عام . (**يجدد لهم دينهم**) أي : ما أندرس من عقائد (**دين أبيهم**) هذا بدل عطف بيان ، (**دين أبيهم إبراهيم**) يعني : ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام . من قوله تعالى : (**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) [النحل : 123] . أي : اتبع ملة إبراهيم حنيفًا . أُمِرَ النبي ﷺ بأن يتبع ملة إبراهيم ، وما هي ملة إبراهيم ؟ قال : (**حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) . والحنيف هو : المائل عن الشرك إلى التوحيد الثابت عليه ، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى أكده بقوله : (**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) . (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**) [الزخرف : 26 - 28] هذا تفسير لـ لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله (**إِنَّنِي بَرَاء**) هذا فيه البراءة من كل الطواغيت كُفْرٌ بغير الله جل وعلا (**إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي**) خلقني فهو معبودي الذي أتوجه إليه بالعبادة ، إذًا (**دين أبيهم**

إبراهيم) لما ذكرناه (**ويخبرهم أن هذا التقرب**) إلى الأرواح والملائكة والأنبياء والرسل والصالحين ، (**والاعتقاد محض حق الله تعالى**) والاعتقاد هذا افتعال من ماذا ؟ افتعال من الْعَقْدِ ، والعقد المراد به ربط الشيء ، ولذلك سميت العقيدة عقيدة ، عَقِيدَة فَعِيلَة بمعنى مَفْعُولَة مأخوذة من ربط الشيء بالشيء ، لأنك إذا ربطت الحبل بعضه ببعض شددته ، حينئذٍ العقيدة لا بد فيها من الجزم . ومن حيث الشرع فنقول : الاعتقاد في الشريعة الأصل المراد به اعتقاد أن الله واحد لا شريك ، وهذا هو الذي عرفناه به التوحيد سابقًا ، ولكن الاعتقاد هنا المراد اعتقاد المشركين في هذه الآلهة بأنها تنفع أو تضُرُّ . (**ويخبرهم**) النبي ﷺ (**أن هذا التقرب**) إلى الأرواح (**والاعتقاد**) فيها أنها تنفع أو تضُرّ (**محض حق الله**) محض يعني : خالص حق الله تعالى (**لا يصلح**) هذا تفسير للمحض (**لا يصلح منه شيء لغيره**) جل وعلا (**لا يصلح منه شيء**) شيء هذه نكرة في سياق النفي فيعم ، (**لغيره**) أيًّا كان هذا ذلك الغير (**لا لملك مقرب**) وهم أعظم المخلوقات العلوية ، (**ولا لنبي مرسل**) وهم أعظم المخلوقات البشر السفلية ، (**فضلاً عن غيرهما**) ، فحينئذٍ إذا لا يجوز إذا كان لا يجوز أن تصرف العبادة لملك مقرب عند الله جل وعلا فصرفها لشمس أو للقمر أو لليل أو النهار من باب أولى وأحرى ، وإذا كان لا يجوز لنبي مرسل ولو كان محمدًا ﷺ فغيره كـ عبد القادر والحسين وغيرهم نقول : هذا من باب أولى وأحرى .

إذًا أخبرهم النبي ﷺ أن التعلق بالمخلوقات الأصل فيه أن يكون لله جل وعلا ، اعتقاد أنها تنفع أو تضُرُّ أو يُطْلَبُ منها الرزق أو النفع أو الضُّرّ هذا الأصل فيه أن يكون لله عز وجل .

إذًا (**محض حق الله**) أمران : اعتقاد ، وتقرب .

الاعتقاد الأصل فيه أن يكون في القلب ، والتقرب الأصل فيه أن يكون بالعمل كالذبح ونحوه .

فمن اعتقد ولم يتقرب يعني : اعتقد الشرك ولم يفعل الشرك ، اعتقد في قلبه جواز أن يُذْبَحَ لغير الله لكنه لم يفعل ما حكمه ؟

نقول : هذا مشرك لوجود الاعتقاد ولو لم يتقرب .

إذًا جمعه بين الاثنين لهذا التقرب والاعتقاد ليس له مفهوم بأنه لو اعتقد دون تقرب لا ينفى عنه الشرك ، بل هو شرك ، فمن اعتقد ولم يتقرب أي : اعتقد الشرك ولم يفعله فإنه مشرك كالفاعل ، لأن هذا الاعتقاد النفع والضر لله وحده لا يعتقد في أحد أنه يملك من الأمر شيئًا البتة ، ولو كان ملكًا مقربًا من الله عز وجل أو كان نبيًّا مرسلاً ولو كان محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم .

(**وإلا فهؤلاء المشركون**) ، (**وإلا**) هذه أصلها إلا لكن المصنف رحمه الله تعالى لم يرد ظاهرها كأنه أراد أن يثبت بها أن يجعلها للإثبات (**وإلا**) كأننا نثبت أن هؤلاء المشركون مع اعتقادهم في الوسائط السابق أن ينقلنا إلى شيء آخر أولاً أثبت أنهم يتعبدون لله جل وعلا ، ثم بَيَّنَ أن هذه العبادة ليست لله وحده وإنما تصرف للوسائط ، ثم انتقل إلى مسألة مهمة وهي أن هؤلاء مع كونهم يتعبدون ويعتقدون أن هذه الوسائط ليست مستقلة في الخلق ولا في الرزق ولا في نحو ذلك ، وإنما توجهوا إليه لكونها وسيلة لإيصال تلك الطَّلبات والطُّلبات إلى الرب جل وعلا حينئذٍ هل هم مقرون بتوحيد الربوبية مع ذلك أو لا ؟

أراد أن يبين لنا أصلاً مهمًا يخالف فيه أهل البدع قديمًا وحديثًا وهو [أن أولئك المشركون] [10] أن أولئك المشركين مقرون بتوحيد الربوبية ، وأنهم أتوا به على وجهٍ وإن لم يكن على وجه الكمال إلى أنهم أتوا على الأمور العامة كالخلق والملك والتدبير ونحو ذلك وملك النفع والضر أتوا به واعتقدوه ، ومع ذلك كَفَّرَهُم النبي ﷺ وقَاتَلَهُم وأَحَلَّ دِمَاءهم وأموالهم ، وإلا فهؤلاء المشركون مع اعتقادهم في الوسائط (**يشهدون**) ويقرون بألسنتهم إذا سئلوا (**أن الله هو الخالق وحده لا شريك له**) في الخلق (**وأنه لا يرزق إلا هو ، ولا يحيي ولا يميت إلا هو ، ولا يدبر الأمر إلى هو ، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن والأراضين السبع ومن فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره**) . هذه الجملة تدل على أنهم مقرون بتوحيد الربوبية ، ومع ذلك لم يكف النبي ﷺ عن تكفيرهم وعن قتالهم ، وهل هذا الحكم قطعي أم أنه محل اجتهاد ونظر واستنباط ؟

الأول ، أمر مجمعٌ عليه بين أهل العلم ، تواترت النصوص نصوص الوحيين كم من آية وكم من نص نبوي يبين فيه النبي ﷺ أنهم كانوا مقرين بهذا التوحيد ، وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له في

---

[10] سبق .

الربوبية ، وحده لا شريك له بمعنى أنهم ينفون صفة الخلق عن هذه الآلهة ، أما ذكرنا أن الوحدة معناها الإنفراد ، فإذا اعتقدوا أن الله وحده هو الخالق معناه أنهم ينفون صفة الخلق عن الآلهة ، وأنه لا يرزق إلا هو جل وعلا ، فينفون أن تكون هذه الآلهة رازقة ، وكذلك الإحياء والإماتة والتدبير ، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن والأراضي السبع ومن فيها كلهم عبيده ، يعني مُعَبَّدُون لله جل وعلا ، عبيده مُعَبَّدُون لله جل وعلا بالتسخير أو بالاختيار ، يعني : يشمل النوعين عبادة التسخير وعبادة الاختيار لأن كلهم عبيد من في الأرض منهم المشركون ومنهم الكفار ومنهم المؤمنون ، إذًا اجتمع فيهم العبادتان عبادة التخيير وعبادة التسخير ، [**وتحت تصرفه**] الصرف رد الشيء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره (**وقهر**) والمراد بالتصرف التدبير (**وقهر**) القهر المراد به الغلبة والتذليل معًا .

عرفنا أن هذا التوحيد قد أَتَوْا به ، ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام ، بل قاتلهم النبي ﷺ ، وذكرت أن هذه المقدمة قطعية مجمعٌ عليها بين أهل العلم ، وإنما خالف فيها المتصوفة ومن على شاكلتهم ، لأن توحيدهم كما سيأتي تفصيله في محله توحيدهم هو توحيد المتكلمين الذين فسروا لا إله إلا الله بلا قادر على الاختراع إلا الله جل وعلا ، أو لا حاكم إلا الله ، نقول : هذا تفسيرٌ له بماذا ؟ بتوحيد الربوبية فمن اعتقد أن التوحيد الذي جاء به محمدٌ ﷺ وقاتل عليه المشركين هو إفراد الله تعالى بالخلق أو الرزق أو التبدير فهذا ليس من أهل الإسلام في شيء ، ليس من أهل الإسلام في شيء لماذا ؟ لأنه لم يقر إلا بما أقر به المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى ابن تيمية : أما توحيد الربوبية فقد أقر به المشركون . وهذا محل وفاق ، أقر به المشركون ، وكانوا يعبدون مع الله غيره ، ويحبونهم كما يحبونه فكان ذلك التوحيد الذي هو من توحيد الربوبية حجةً عليهم ، وهو دليلٌ على إثبات توحيد الألوهية ، ولذلك ذكرنا أن توحيد الربوبية دليل وتوحيد الألوهية مدلولٌ عليه ، فمن أقر بالأول لزمه أن يَقِّرَ بالثاني .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : والإلهية التي دعت إليه الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها هي العبادة والتأليه توحيد العبادة وليس من يكون هو الخالق أو الرازق ، ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون فاحتج الله عليهم به ، فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية ، إذا اعتقد أنه لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ولا محيي ولا مميت إلا الله ، ولا يملك السموات ومن فيهن إلا الله ، ولا يملك الأراضين السبع ومن فيهن إلا الله ، لماذا يتوجه إلى غيره ؟

إذا كان الله عز وجل هو المتصف بهذه الصفات العظيمة الجليلة إذًا كيف يتوجه بالعبادة إلى غير الله ؟ !

هذا نقصٌ في العقل قال في ((**الدرر**)) : لم يقال أحدٌ من الكفار أن أحدًا يخلق أو يرزق أو يدبر أمرًا ، بل كلهم يقرون أن الفاعل لذلك هو الله ، وهم يعرفون الله بذلك ، وهذا الإقرار لم يدخلهم الإسلام ، ولا أوجب الكف عن قتالهم وتكفيرهم فهم كفار ويجب قتالهم .

وقال الإمام محمدٌ الوهاب رحمه الله تعالى : فأما توحيد الربوبية فهو الأصل ولا يغلط في الإلهية إلا لمن لم يعطه حقه كما قال تعالى فيمن أقر بمسألة منه : (**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**) [الزخرف : 87] .

وقال شيخ الإسلام كذلك في ((**الدرر**)) : ومن المعلوم أن لله تعالى أفعالاً وللعبيد أفعالا ، الله عز وجل له أفعال خلق ورزق وتدبير ونفع وإحياء وإماتة ونحو ذلك ، والعباد لهم أفعال ذبح ونذر وركوع وسجود ، فأفعال الله الخلق والزرق والنفع والضر والتدبير وهذا أمرٌ لا يُنَازِعُ فيه لا كافر ولا مسلم ، وأفعال العبد العبادة كونه ما يدعو إلا الله ، ولا ينذر إلا لله ، ولا يذبح إلا له ، ولا يخاف خوف السِّرِّ إلا منه ، ولا يتوكل إلا عليه . فالمسلم من وَحَّدَ الله بأفعاله سبحانه وأفعاله بنفسه ، من جمع بين التوحيدين في الفعلين ، فعل الله تعالى وفعلك أنت ، المسلم من جمع بين التوحيدين وَحَّدَ الله في أفعاله وَوَحَّدَ الله تعالى في أفعاله هو بنفسه ، ولذلك قال رحمه الله : فالمسلم من وَحَّدَ الله بأفعاله سبحانه وأفعاله هو بنفسه ، والمشرك الذي يوحد الله بأفعاله سبحانه ويُشرك بأفعاله بنفسه . يعني : لم يجمع بين التوحيدين ، ونقل الشيخ الإجماع على هذا كما في ((**الدرر**)) .

إذًا نقول : هذا التوحيد مع كونهم يقرون به إلا أنه لم يدخلهم في الإسلام ولا رفع عنهم السيف ، بل أحل دماءهم وأموالهم .

إذًا أصلٌ من الأصول المتقررة في مقدمة هذا الكتاب أن توحيد الربوبية لا يُدْخِلُ صاحبه في الإسلام ، فمن ادَّعَى أنه موحدٌ باعتقاد أن الله موجود أو أن الله هو الخالق نقول : هذا هو توحيد أبي جهل .

(**فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فاقرأ**) عليه يعني : ثَمَّ دليل من الكتاب والسنة ، المصنف رحمه الله تعالى ذكر شيئين ذكر أنهم يتعبدوا ، وذكر أنهم يقرون بتوحيد الربوبية ، دَلَّلَ من الكتاب عن الثاني وسكت عن الأول لماذا ؟ ذكر أمرين أنهم يتعبدون وأنهم يشهدون بتوحيد الربوبية دلل على الثاني وسكت عن الأول لماذا ؟

...

نعم

...

ها ، أيمن

...

نعم

...

لأن ذلك واقعهم مدركٌ بالحس ، ثم يشترك فيه النقل والحس والنقل التاريخ في إثباته ،فكونهم يتطهرون من الجنابة وكونهم ، وكونهم .. إلى أخره ، نقول : هذا يمكن أن نرجع إلى كتب التاريخ التي تكلمت عن حال العرب قبل الإسلام فنثبته من تلك الكتب ، وأما كونهم يعتقدون بقلوبهم أنه لا خالق إلا الله ثم إذا سئلوا من جهة الأنبياء فصرحوا بما أقروا به في قلوبهم واعتقدوه نقول : نحتاج إلى دليلٍ شرعي (**فإذا أردت الدليل**) نقول : خَصَّ الدليل باعتقاد الربوبية ولم يذكر الدليل على أنهم يتعبدون (**فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا**) الذي هو توحيد الربوبية (**فاقرأ**) عليه آيات كثيرة لكن منها (**قوله تعالى : (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم**) قل لهم يا محمد (**مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**) أي : (**مِّنَ السَّمَاءِ**) أي : بالمطر ، ومن الأرض بالنبات (**أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ**) أي : من إعطائكم السمع والأبصار (**وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ**) أي : يُخْرِجَ الحي من النطفة ، والنطفة من الحي (**وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ**) أي : يقضي الأمر ويُصَرِّفه (**فَسَيَقُولُونَ اللّهُ**) فسيقولون بألسنتهم ما اعتقدوه في قلوبهم ، الله الذي فعل ذلك كله هو الله ، هو الذي يفعل هذه الأشياء ، (**فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ**) **[يونس : 31]**) أي : أفلا تخافون عقابه في شرككم وقيل : (**أَفَلاَ تَتَّقُونَ**) الشرك مع هذا الإقرار ، ثم قال تعالى : (**فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ**) [يونس : 32] . (**فَذَلِكُمُ**) أي : الذي يفعل (**فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ**) أي : الذي يفعل هذه الأشياء هو (**رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**) عن عبادته وأنتم مقرون به والشاهد قوله : (**فَسَيَقُولُونَ اللّهُ**) [يونس : 31] بعد تلك الأسئلة التي هي متعلقةٌ بتوحيد الربوبية .

(**وقوله تعالى**) يعني : اقرأ عليه (**وقوله تعالى : (قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) [المؤمنون : 84 - 89]**) قال ابن كثير رحمه الله تعالى : يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ، ليرشد إلى أنه الله الذي لا إله إلا هو يعني : ليرشد ليدل على أنه بهذه الأفعال أفعال الربوبية هو الله لأن توحيد الربوبية وإفراده تعالى بمقتضيات الربوبية دليلٌ على إثبات ماذا ؟

إثبات توحيد الألوهية ، إلى أنه الله الذي لا إله إلا هو ، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ، [ولهذا قال الرسول ﷺ] [11] ولذلك قال لرسوله ﷺ أن يقول للمشركين العابدين معه غيره المعترفين له بالربوبية وأنه لا شريك له فيها ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية فعبدوا غيره معه مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئًا ولا يملكون ، ولا يستبدون بشيء بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى كما قال : (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) [الزمر : 3] . فقال : (**قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا**) [المؤمنون : 84] أي : من مالكها الذي من هو مالكها الذي خلقها (**وَمَن فِيهَا**) من الحيوانات والنباتات والثمرات وسائر صنوف المخلوقات ، (**إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ**) هذه شهادة ، أي : فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له ، فإذا كان ذلك قال : (**قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**

([11]) سبق .

) أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره (**قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**) أي : من هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النيرات والملائكة الخاضعين له في سائر الأقطار منهما والجهات ومن هو رب العرش العظيم يعني : الذي هو سبق المخلوقات (**سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ**) أي : إذا كنتم تعترفون بأنه رب السماوات ورب العرش العظيم أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيره وإشراككم به ، (**قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ**) أي : بيده الملك فهو سبحانه الخالق المالك المتصرف (**وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**) كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحدًا لا يخفر في جواره ، وليس لمن دونه أن يُجِيرَ عليه لئلا يفتات عليه ، ولهذا قال الله تعالى : (**وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**) . أي : هو السيد العظيم الذي لا أعظم منه ، الذي له الخلق والأمر ولا معقب لحكمه ، الذي لا يمانع ولا يخالف ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (**سَيَقُولُونَ لِلَّهِ**) أي : سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه هو الله وحده لا شريك له (**قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ**) أي : فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك . ثم قال تعالى : (**بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ**) [المؤمنون : 90] وهو الإعلام بأنه لا إله إلا الله ، وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك (**وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**) أي : في عبادتهم مع الله غيره ولا دليل لهم على ذلك ، كما قال في آخر السورة : (**وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**) [المؤمنون : 117] . فالمشركون لا يفعلون ذلك عن دليل قادهم إلى ما هو فيه من الإفك والضلال ، وإنما يفعلون ذلك إتباعًا لآبائهم وأسلافهم والحيارى الجهال ، ماذا قالوا ؟

(**وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ**) [الزخرف : 23] (**وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ**) [الزخرف : 22] . إذًا بهاتين الآيتين استدل المصنف رحمه الله تعالى على أن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ، قال : (**وغير ذلك من الآيات**) . كقوله تعالى : (**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**) [يوسف : 106] فكان من إيمانهم إذا سئلوا من خلق السماوات والأرض ؟ قالوا : الله . وإذا قيل لهم : من ينزل القطر ؟ يعني : من السماء ، قالوا : الله . ثم مع ذلك يعبدون الأصنام ويشركون به .

وهذه المقدمة قطعيةٌ مجمعٌ عليها بين أهل العلم .

ثم قال رحمه الله : (**فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا وأنه لم يدخلهم في التوحيد**) إلى آخر ما يأتي بيانه في وقته إن شاء الله تعالى .

وصلَّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أسئلة :

- ذكرت إن الميثاق الذي أُخِذَ من آدم وميثاق الفطرة ليس حجة على الخلق لماذا ؟

: نقول : هذا هو الأصل ، هذا محل وفاق بين أهل العلم ، لأنه لا يذكرون ، لا أحد يذكر أنه قد أُخْرِجَ ظهر أبيه آدم .

- يقول أحدهم : النبي ع لم يقاتلهم حتى قاتلوه ، ولم .. ؟

: هذا مرَّ معنا ، وهذا سيأتي إن شاء الله .

- .. والرد على كمن جوز وجود أهل الفترة ؟

: كان في الشريط .

- ورد عن أحد السلف رحمه الله تعالى أن سؤالي عن الإيمان قوله : إن الإيمان هو أن تقول له الجبل اهتز فاهتز الجبل ، يعني بالفعل . فقال رحمه الله تعالى للجبل : يا جبل لم أعنيك بقولي ؟

: هذا سيأتي معنا أن بعضهم قد فيه شرك الربوبية ، يأتي معنا إن شاء الله .

- ماذا أقول في سجود الشكر ؟

: كالسجود في الصلاة .

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

وقفنا عند قول المصنف رحمه الله تعالى : (**فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ**) ... إلى آخر ما ذكره رحمه الله تعالى ، بعد ما بين بعض الأصول التي ينبغي العناية بها وتقريرها وهو معنى التوحيد الذي جاء به الرسل لذلك قَدَّمَ به الكتاب فقال : (**اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة**) هذا أصل عظيم تعرف به معنى التوحيد الذي جاءت به الرسل .

ثم بين لك قاعدة وهي أن هذا التوحيد هو دين الرسل أجمعين الذين أرسلهم الله تعالى إلى عباده ، فالنزاع بين الرسل وأقوامهم هو في إفراد الله تعالى بالعبادة .

ثم بين لك سبب الذي وقع فيه الشرك وأن أول شرك إنما وقع في قوم نوح عليه السلام وقع الشرك في قوم صالحين ، لذلك بين السبب وهو أن الغلو في الصالحين ومجاوزة الحد بهم مدحًا أو قدحًا يُعتبر من أسباب الوقوع في الشرك .

ثم بين أن هذه الأصنام الخمسة التي أُرْسِل نوح عليه السلام من أجل دعوة الناس إلى نبذها وطرحها وهي : ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر . أن هذه الأصنام الخمسة هدمها وحطمها وكسرها النبي محمد ﷺ ، وبهذا تعلم أن الله عز وجل ابتلى الخلق بهذه الأمور ، فنوح عليه السلام أول الرسل يُبعث من أجل نبذ الناس وبعدهم عن عبادة هذه الأصنام الخمسة ، ثم يُكَسِّرُها ويحطمها حِسًا أو معنًى النبي وهو محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام وهو آخر الرسل ، أرسله الله عز وجل إلى أناس إلى قريش ومن صفتهم حتى نعرف الحال لأننا نعيش واقع قد يشابه ، بل يشابه واقع أولئك الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ لماذا ؟

لأن الصراع بين التوحيد والشرك قائم ، منذ أو وجد الشرك في قوم نوح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فحينئذٍ لا بد من معرفة ما هو التوحيد الذي بُعِثَ به الرسل ، ولا بد من معرفة ما هو الشرك الذي جاء الرسل لإبطاله وبعد الناس وإبعادهم عنه .

ثم ما حال أولئك الأقوام الذين وقعوا في الشرك وبماذا عاملهم أو حَكَمَ عليهم النبي ﷺ فصفتهم ومعرفة أحوالهم حينئذٍ نستطيع أن نعرف الشرك الذي يقع في زماننا هذا ، ولذلك لا فرق بين المشركين في كل زمان ، يعني : يشتركون في قدر معين الشرك جنس واحد ، ولذلك الكفر ملة واحدة وإن اختلفت أسبابه وصوره وأحواله ، لكنها تجتمع في الكفر .

(**أرسله**) الله إلى أناس من صفتهم أنهم (**يتعبدون**) لهم عبادات (**ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله**) تعالى ولكن عندهم خلل في تسوية غير الخالق للخالق جل وعلا ، فهم اعترفوا بأن الله تعالى خالق ، وأنه رازق ، وأنه محيي ومميت ، وكذلك عبدوا الله ، كانوا يعبدون الله ، وهذا يدل كما ذكرنا في الدرس السابق أنهم أصحاب دين عندهم دين بقايا من ملة إبراهيم عليه السلام ، فدل ذلك على أنهم يعرفون الله تعالى ويعرفون أن الرب سبحانه معبود وأنه يُعبد ، ولكن وقع الشرك عندهم في ماذا ؟ في كونهم أفردوا أو في كونهم لم يفردوا الله تعالى بالعبادات ، وإنما عبدوا الله وعبدوا غيره ، دعوا الله تعالى ودعوا الآلهة الأصنام ، ذبحوا لله تعالى وذبحوا للأصنام ، نذروا لله تعالى ونذروا للأصنام ، فلم يفردوا العبادة أو يفردوا الله تعالى بالعبادة ، بل سَوَّوْا بين المعبودات وبين الرب جل وعلا ، ولذلك مع عباداتهم كانوا يجعلون بعض المخلوقين وسائط يعني : يتوسلون بهذه الوسائط إلى ما عند الله تعالى ، وهذا سببه القياس الفاسد ، وهو قياس الرب جل وعلا على ملوك الأرض ، قالوا : ملوك الأرض لا يمكن أن نأخذ ما عندهم من رفع حوائجنا وقضاء ما نريد إلا بواسطة مَنْ ؟ مَنْ يُظَنُّ فيهم الصلاح ومن يكون مقربًا ذا جاهٍ عندهم ، قالوا : الله جل وعلا ملك الملوك وهو عظيم . فأرادوا تعظيمه جل وعلا فقاسوه على ملوك الأرض فقالوا بجامع ماذا ؟ بجامع أن كلاً منهما ملك ، وقالوا : إن الله تعالى لا يمكن أن نأخذ ما نريد من المغفرة والجنة وقضاء الحوائج ورفع القربات وإغاثة اللهفات إلا بواسطة من هو صالح ومقرب عنده جل وعلا ، ولذلك لا يعتقدون فيمن هو على باطل وفيمن هو ذو شر عظيم لا يعتقدون فيه أنه يرفع الحوائج ، وإنما يتخذون الملائكة ويتخذون الصالحين ونحوهم ولذلك قال : (**يجعلون بعض المخلوقين وسائط بينهم وبين الله**) عز وجل ما حجتهم ؟

حجتهم قالوا : نريد التقرب إلى الله تعالى ونريد شفاعتهم عنده . فحينئذٍ تفهم من هذا أنهم يعرفون الله تعالى ويعرفون أنه رب ، وأنه معبود ، وأنه هو الذي يُسأل في رفع وقضاء الحوائج وتفريج القربات ، ولكنهم اتخذوا هذه الأمور المعبودات وسائط بينهم وبين الله تعالى .
ومَثَّل المصنف رحمه الله تعالى بالملائكة وعيسى ابن مريم وغيرهم وسواء كانوا من المعبودات الأرضية أو المعبودات العلوية ، وسواء كانت من الأرواح الطاهرة كالملائكة وعيسى والصالحين ، أو كانت مما لا يعقل كالأحجار والأشجار والأنصاب ونحو ذلك ، (**فبعث الله**) تعالى محمد ﷺ (**يجدد لهم** (**دينهم**) **دين أبيهم إبراهيم**) وهذا يدل على أنهم أصحاب دين ، وليسوا بأهل فترة كما قال بعض أهل العلم لماذا ؟
لأنهم يعرفون إبراهيم عليه السلام ، وأهل الفترة هم الذين - إذا سلمنا بوجودهم - هم الذين لم يدركوا الأول الرسول السابق ولم يدركهم الثاني الرسول اللاحق ، حينئذٍ وقعوا بين رسولين الرسول الأول إبراهيم عليه السلام لم يدركوه ولم يدركوا شيئًا من شريعته أبدًا لا قليل ولا كثير ، ولم يدركهم النبي ﷺ محمد عليه الصلاة والسلام ، بل ماتوا قبل بعثته وإرساله ، هؤلاء هم أهل الفترة ، ولكن وجدنا أن هؤلاء المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ وجدناهم أصحاب عبادة ، وهذه العبادة هي مما جاء به إبراهيم عليه السلام ، ووجدنا أنهم يرتبطون ويرفعون راية ماذا ؟ اتصالهم بملة إبراهيم عليه السلام ، بل حتى اليهود والنصارى كانوا ينتسبون إلى ملة إبراهيم عليه السلام ، فجدد لهم النبي ﷺ دين أبيهم إبراهيم ، ويخبرهم أن هذا التقرب إلى الوسائط والاعتقاد محض حق الله خالص حق الله تعالى ، لا يمكن أن يصرف شيء من العبادة لغير الله جل وعلا ، بأي حجة كانت ، وأيًّا كان ذلك الذي صُرِفَتْ له العبادة سواء كانوا ملائكة أو كانوا أنبياء أو رسل أو صالحين ، لأن العبادة هذا حق محض الله جل وعلا أو محض حق الله تعالى فلا يجوز صرفه لغير الله سبحانه .
(**لا يصلح منه شيء لغيره لا لملك مقرب ، ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما**) .
ثم أثبت المصنف رحمه الله تعالى - وهذا كل ما سبق - قواطع من الشرح ليست من ذهن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، بل أمر متفق عليه منذ النبي ﷺ إلى عصرنا هذا ، في حقيقة التوحيد توحيد العبادة ، وفي بيان دعوة الرسل لماذا أرسلوا ؟ وفي كون المشركين في عهد النبي ﷺ حجتهم ما هي ؟ (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) [الزمر : 3] وأنهم اتخذوا هذه المعبودات : الأصنام والأشجار والأحجار اتخذوها وسائط ، وأنهم يعرفون الله تعالى ويعظمون الله تعالى وأنهم يعتقدون أن الرب سبحانه إله ، ولكن جعلوا الآلهة متعددين ، فالخلاف بينهم في إفراد - بين الرسل وأقوامهم - في إفراد الألوهية لله سبحانه وتعالى وإلا فهم يقرون بأن الله إله الذي في السماء ، ويجعلون القبر إله ، والشجر إله ، والحجر إله ، ولذلك جاء في حديث عمران بن حصين عن أبيه حصين قبل إسلامه لما سأله النبي ﷺ كم تعبد من آلهة ؟ قال : سبعة - يعبد كم ؟ سبعة آلة - إله في السماء وستة في الأرض - إله في السماء إذًا أثبت الإله الذي في السماء ، وأثبت أنه يعبده ، إذًا يوجهون العبادة لله جل وعلا وكذلك يعتقدون أنه إله ، ولكن جعلوا في الأرض آلهة فقال له النبي ﷺ : « **من لرغبتك ورهبتك** » ؟ من الذي تدعوه في الرغبة في الشدة والرخاء ؟
قال : الذي في السماء .
وأثبت المصنف أنهم يشهدون ويقرون بتوحيد الربوبية وهو إفراد الله تعالى بأفعاله هو ، أفعاله العامة كالخلق ، والرزق ، والتدبير ، والتصرف في الكون ، والإحياء والإماتة ، والإعطاء والمن ، هذه كلها لله عز وجل ، هل ينازعون في هذه المسألة ؟ هل ينازعون في كون الله جل وعلا خالق وأن غيره يخلق معه وأن الله تعالى رازق وغيره يرزق معه ؟ لا هم يقرون بأنه لا خالق إلا الله ، لا يخلق إلا الله فهو متفرد بهذه الصفة ، ويعتقدون أن الله هو الرازق وحده ، وأن الإحياء والإماتة والنفع والضر والمنع والإعطاء والتصرف في الملكوت كله بيد الله جل وعلا ، وهذه أيضًا قطعية بمعنى أنها ليست مستنبطة نصوص الكتاب والسنة ، والقرآن من أوله إلى آخره ما يُذكر المشركون إلا ويُذكر ما يدل على أنهم يقرون بأن الله تعالى خالق ، وشطحات الصوفية والأشاعرة هذه لا يلتفت إليها ، بأنهم يجعلون الشرك في الربوبية كما أنه شرك في العبادة ، ولذلك قال المصنف : (**ويشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له**) في الخلق (**وأنه لا يرزق إلا هو ، ولا يحيي إلا هو ، ولا يميت إلا هو ، ولا يدبر الأمر إلا هو ، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن والأراضين السبع ومن فيها كلهم عبيده**) . مُعَبَّدُون لله جل وعلا

عبادة الاختيار وعبادة التسخير ، لأن الكافر عبد لله جل وعلا كما أن المؤمن عبد لله تعالى ، ولكن عبادة المؤمن عبادة اختيار وهي المحمودة والتي جاء مدحها في الكتاب والسنة (**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**) [الفرقان : 63] ، وأما الكافر فهو عبد بمعنى أنه مقهور لا يخرج عن قدرة الله تعالى ، إذا مرض فلا يشفيه إلا الله عز وجل ، وإذا طلب الولد لا يعطيه إلا الله عز وجل .. وهلم جرا .

حينئذٍ هم عَبِيد لكنهم مسخرون (**وتحت تصرفه وقهره**) .

ثم بين الدليل من الكتاب بأن الكفار مقرون بتوحيد الربوبية وهذا أمر قطعي من الكتاب والسنة ، بمعنى أنه ليس مما ادعاه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب لأن الصوفية لهم في هذا كلام .

ثم قال رحمه الله : (**فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا**) . الذي هو توحيد الربوبية وأنهم يعترفون بأن الخالق هو الله وحده ، وأن المدبر هو الله وحده ، تحققت يقال أحققت كذا أي : أثبته . إذا تحققت يقال : أحققت كذا . أي : أثبته حقًّا . أو حكمت بكونه حقًّا ، وإحقاق الحق كما جاء في قوله تعالى : (**لِيُحِقَّ الْحَقَّ**) [الأنفال : 8] . الإحقاق يكون على ضربين :

الأول : بإظهار الأدلة والآيات . يكون بماذا ؟ بإظهار الأدلة والآيات ، وهنا أحق الحق من كونهم يقرون بهذا التوحيد بالنصوص السابقة (**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ**) [يونس : 31] ... إلى آخر الآية ، قال تعالى : (**وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا**) [النساء : 91] . أي : حجةً قوية . ويكون إحقاق الحق هذا يكون من جهة الرب جل وعلا يكون بإتمام الشريعة وبثها في الكافر ، إذًا (**لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ**) إحقاق الحق له ضربان طريقان :

الأول : إظهار الأدلة والآيات .

والثاني : إكمال الشريعة وبثها في الكافة .

(**فإذا تحققت أنهم**) أي : المشركين . مشركي العرب الذين بُعث فيهم النبي ﷺ ليجدد لهم ما اندرس من ملة إبراهيم عليه السلام أنهم مقرون ، مقرون جمع مقر وهو اسم فاعل من أَقَرَّ يُقِرُّ فَهُوَ مُقِرّ ، والإقرار إثبات الشيء ، وقد يكون ذلك إثباتًا بالقلب وإما باللسان وإما بهما ، الإقرار قد يكون باللسان وقد يكون بالقلب وقد يكون بهما ، والتوحيد لا يكفي فيه إقرار القلب دون اللسان ، ولا إقرار اللسان دون القلب ، بل لا بد من اجتماع النوعين ، إقرارٌ باللسان وإقرارٌ بالقلب ، ولذلك أجمع السلف على أن الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان .

والإقرار بالتوحيد وما يجري مجراه لا يغني باللسان ما لم يضامه الإقرار بالقلب ، ما لم يضامه يعني : يجتمع معه الإقرار بالقلب ، ويضاد الإقرار الإنكار ، ضدّ الإقرار الإنكار يعني : قد يُنكر بقلبه وقد يُنكر بلسانه ، ينكر بقلبه وينكر بلسانه ، والذي يحرج من الملة واحد منهما لا يُشترط فيه الاثنان ، يعني : إذا أنكر بلسانه ما كان معلومًا بالدين بالضرورة ولو لم ينكر بقلبه كفر ، أو أنكر بقلبه ولو لم ينكر بلسانه كفر ، ولذلك المنافقون بإجماع المسلمين أنهم يقولون بألسنتهم : لا إله إلا الله . وكانوا يصلون خلف أشرف إمام في الدنيا وهو : محمد ﷺ . وكانوا يخرجون معه للجهاد في سبيل الله ، بل ويتصدقون هل نفعهم هذا ؟

ما نفعهم ، أتوا بالإقرار الظاهر باللسان وفعلوا بالجوارح والأركان ولكنهم لما لم يقروا بقلوبهم وأنكروا دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقلوبهم لم ينفعهم ، إذًا وجد الإقرار باللسان ولم يوجد الإقرار بالقلب ، ولذلك أكذبهم الله تعالى في قوله : (**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**) [البقرة : 8] (**وَمِنَ النَّاسِ**) بعض الناس (**يَقُولُ**) بلسانه لأن القول إذا أطلق انصرف إلى القول باللسان (**يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ**) قال الله تعالى : (**وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**) . لأن الإقرار باللسان لا يكفي حتى يجتمع معه الإقرار ، بالقلب لا بد من اجتماعهما ، لكن لا يُحْكَمُ بانتفاء الإقرار من القلب بالظَّنِّ والشك ، يعني : لا بد من شيء بارز واضح بَيِّن . فإذا أظهر الإسلام حكمنا له بالإسلام الظاهر ، إن وجد في ظاهره ما يقتضي كفره حينئذٍ علمنا أن باطنه لم يُقِر ، وأما مجرد الظنون فلا يكفي ، إذا تحققت أنهم مقرون بهذا يعني : بتوحيد الربوبية وهو : إفراد الله تعالى بأفعاله . وليس المراد من قول العلماء أن الكفار مشركي العرب مقرون بتوحيد الربوبية أنهم أتوا به على وجه الكمال ، هذا لم يقل به أحد من أهل العلم ، لأنه قد يرد نحن نقول : توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلوهية وهذا حق ، وتوحيد الألوهية

يتضمن توحيد الربوبية ، إذا أقروا بأفعاله جل وعلا ثم انتفى أن يعبدوا الله تعالى وحده وأن يكفروا بما يعبد من دون الله ، فحينئذٍ هل يكون طعنًا في وجود توحيد الربوبية ؟
الجواب : لا ، لماذا ؟

لأننا إذا قررنا القاعدة أن المشركين الذين بُعث فيهم النبي ﷺ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ليس المراد به على وجه الكمال ، فهذا لا يقول به أحد من أهل العلم ، وإنما مرادهم به تقرير ما ثبت في القرآن ، كل الذي صرحوا به في القرآن نقول : هم يقرون به ، وما عدا ذلك فينظر فيه بحسب حالهم ، وإنما مرادهم تقرير ما ثبت في القرآن عن المشركين من إقرارهم بالخالق والرازق والمدبر ، فهذه من صفات الربوبية ، [وقد آمن به المشركون] [12] وقد آمن بها المشركون ، ثم هذا ليس بحكم مطرد على جميع المشركين ، هل كل المشركين أقروا بتوحيد الربوبية ؟
الجواب : لا ، بل بعضهم قد أشرك أيضًا في توحيد الربوبية ، ولذلك هي متلازمة من أشرك في واحد منها قد أشرك في الثاني ، وإنما هذا يُبَيَّنُ فقط على جهة الإيضاح والتعليم ، وإلا فمن أشرك في واحد منها نقول : قد أشرك في الثاني .
ثم هذا ليس بحكم مطرد على جميع المشركين ، إذ وُجِدَ منهم من أشرك في الربوبية ، ومنهم من فَرَّق بين خصائص الربوبية فآمن ببعضها وكفر ببعض .
إذا علمنا ذلك أنهم مقرون في الجملة بتوحيد الربوبية حينئذٍ هل أدخلهم في الإسلام ؟
الجواب : لا ، (**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**) ، (**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ**) [يونس : 31] آمنوا بهذا كله ، ومع ذلك حكم الرب جل وعلا بكونهم مشركين ، وأمر النبي ﷺ بقتالهم ، دلَّ هذا على أن اعتقادهم أنه لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله لم يدخلهم في التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ ، إذ لو كانوا مسلمين بهذا الإقرار لما حُكِمَ بشركهم أولاً ، ولما قاتلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إذًا (**وأنه**) أي : أن الحال والشأن . أو أنه توحيد الربوبية يحتمل هذا وذاك ، (**لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ**) لأنه دعاهم إلى ماذا ؟ إلى إفراد الله تعالى بالعبادة كما قدم به المصنف هذه الرسالة ، وهذا هو التوحيد الذي دعاهم إليه النبي ﷺ ، وهذا شيء مغاير للإقرار بكون الرب جل وعلا خالقًا رازقًا .. إلى آخر مفردات الربوبية . إذ (**لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ**) حينئذٍ نأخذ من هذا أن توحيد الربوبية والإقرار به أنه ليس هو التوحيد الذي جاء به الرسل ، فليس الصراع بين الرسل وأقوامهم في إفراد الله تعالى بالخلق ، لا ، ولا في إفراده بالرزق ونحو ذلك ، وإنما الصرع في كونهم يجب عليهم أن يفردوا الله تعالى بالعبادة . إذًا دعوة الناس إلى توحيد الربوبية وجعله أصلاً وهو الفارق بين المسلم وغيره نقول : هذا مخالف لدعوة المرسلين أجمعين ، لماذا ؟

لأن هذا الذي ندعو الناس إليه - إن دعونا الناس إليه - هذا لم يحصل إنكاره من المشركين الذين بُعِثَ إليهم الأنبياء أجمعين ، كلهم أقروا بتوحيد الربوبية ، ولكن لم يدخلهم في الإسلام ، إذًا دعوة الناس إلى هذا التوحيد وجعله أصلاً فارقًا بين المسلم والكافر ، نقول : هذا ليس من الدين في شيء ، لأن المشركين أقروا بما ندعو الناس إليه ، فدل على أن ثَمَّ فارقًا بين النوعين بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، (**وأنه لم يدخلهم في**) الإسلام ، إذًا التوحيد ليس هو الإقرار بالربوبية فقط وأن الشرك ليس هو الشرك في الربوبية فقط ، ولذلك كما سيأتي الأشاعرة والماتريدية والصوفية القبوريين يرون أن التوحيد هو توحيد الربوبية فقط لا غير ، وأن الشرك إنما هو الشرك في الربوبية فقط لا غير ، وهذا موافق لدين المشركين ، وليس ثَمَّ فرقًا ممن يدعي ذلك أن هذا هو التوحيد وبين أولئك الذين قاتلهم النبي ﷺ ، لأنهم أقروا بهذا وشركهم لم يكن في الجملة في الربوبية وإنما كان في صرف العبادة لغير الله تعالى ، فتوحيد الربوبية إذًا لا يُدْخِلُ أحدًا في الإسلام وليس هو المطلوب من العباد ومما حصل فيه الابتلاء ، لكن هذا لا يجعل أن الأمر يحصل عندنا قضية عكسية نقول : الرسل بُعِثُوا بالدعوة إلى التوحيد توحيد الألوهية أصالةً ، وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات هذا جاءوا به بتكميله وإيضاحه وتأكيده عند الناس ، فحينئذٍ هم دعوا إلى التوحيد بجميع أصنافه ولكن هل بُعثوا من أجل توحيد الربوبية ؟
الجواب : لا ، ثَمَّ سؤالان :

---

(12) سبق .

السؤال الأول ما هو ؟

....

هل دعا الأنبياء إلى توحيد الربوبية ؟

نعم ، هل دعا الأنبياء إلى توحيد الربوبية ؟

تقول : نعم دعوا لأنهم جاءوا بالتوحيد بأصنافه الثلاثة .

السؤال الثاني : هل بُعثوا من أجل توحيد الربوبية ؟

لا ، الجواب الأول : نعم ، الثاني : لا ، إذًا دعوا إلى إفراد الله تعالى بالعبادة ، ودعوا إلى تأكيد إفراده جل وعلا بأفعاله ، ودعوا إلى تأكيد إفراده وإثباته ونفي ، بإثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من أسماء وصفات ونفي ما نفاه عن نفسه في الكتاب والسنة ، فدل هذا على أنهم بُعِثُوا بهذه الأنواع الثلاثة ، لكن الأصل هو توحيد الألوهية ولذلك لم يُبْعَثُوا من أجل توحيد الربوبية ، ففرق بين المسألتين ، (**فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا ، وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ ، وعرفت**) وهذه مقدمة ثانية (**وعرفت**) أيقنت وعلمت لأن المسائل هذه كلها قطعية ليست مسائل اجتهادية وليست استنباطات من ابن تيمية رحمه الله تعالى أو محمد بن عبد الوهاب ، وإنما هي مسائل قطعية عند السلف لأن أمر التوحيد أمر واضح بين لا نزاع في الأصول العامة في مسائل العقيدة بين السلف وممن تبعهم من الخلف ، (**وعرفت**) وأيقنت وعلمت (**أن التوحيد الذي جَحَدُوهُ**) يعني : جحده المشركون . ولما قيل لهم : قولوا : لا إله إلا الله . قالوا : (**أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا**) [ص : 5] . كما قال أولئك : (**أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آَبَاؤُنَا**) [الأعراف : 70] فهي قضية واحدة ، المشركون المتأخرون كالمتقدمين لا فرق بينهم في رد الرسائل ، (**وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه**) أي : جحده المشركون هو : توحيد العبادة . وهو أن لا يُعْبَدَ إلا الله وهو مفهوم كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، إذ مفهومها وما دلت عليه وما تقتضيه هو أن لا يُعْبَدَ إلا الله جل وعلا ، وهذا المعنى أيضًا مجمع عليه بين السلف لا خلاف بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، بإجماع أن معنى لا إله إلا الله لا معبود حق إلا الله تعالى ، حينئذٍ إذا فُسِّرَتْ بغير هذا المعنى نقول : هذا مردود على صاحبه . إذًا التوحيد الذي جحده المشركون وامتنعوا وأبوا عن الإقرار به هو إفراد الله تعالى بالعبادة ، إذًا آمنوا بنوع وكفروا وجحدوا بنوع آخر ، آمنوا بإفراد الله تعالى بأفعاله ، وكفروا وجحدوا وامتنعوا عن الإقرار بإفراد الله تعالى بالعبادة ، وهذا أمر واضح بَيِّن من حال النبي ﷺ مع المشركين الذين أرسل إليهم (**هو توحيد العبادة**) أن لا يعبد إلا الله عز وجل (**الذي يسميه**) يعني : توحيد الألوهية . (**المشركون في زماننا**) في زمان المصنف رحمه الله تعالى انظر قال : (**المشركون في زماننا**) . في زماننا تدل على أن هذه للعهد الحضوري ، والمشركون جمع مشرك ، والمشرك اسم فاعل وهو ما دل على ذات متصفة بوصف ، المصنف هنا حكم على أهل زمانه بكونهم مشركين مع قولهم لا إله إلا الله ، أولئك المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ لما علموا معنى لا إله إلا الله أيقنوا معناها ، وأنها تبطل تعدد الآلهة ، رفضوا وأبوا أن يقولوا لا إله إلا الله ، ولذلك طلب منهم كلمة واحدة قال : ألهذا جمعتنا تبًا لك ألهذا جمعتنا . (**أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا**) رفضوا أن ينطقوا بهذه الكلمة مع علمهم بمعناها ، وأما المتأخرون - كما سيأتي تصريحًا في كلام المصنف - نطقوا بـ لا إله إلا الله لأنهم ينتسبون إلى الإسلام وُلِدُوا في بلاد المسلمين وتربوا على الانتساب إلى الإسلام ولا أقول : على الإسلام . على الانتساب إلى الإسلام فقالوا : لا إله إلا الله . ومع ذلك قد فعلوا الشرك الأكبر بسائر صنوفه وأنواعه من التقرب إلى غير الله جل وعلا ، واتخاذ تلك المعبودات وسائط عند الله تعالى بصرف نوع أو أنواع من العبادات إليها .

إذًا فعلوا الشرك أو لا ؟ فعلوا الشرك . المصنف هنا قال : (**الذي يسميه المشركون**) . فحكم المصنف على أهل زمانه الذين وقعوا في الشرك بكونهم مشركين ، إذًا لا خلاف وهذا أمر مجمع عليه لغةً وشرعًا ، أن كل من وقع في فعل في حدث وجب أن يُشْتَقَّ له اسم من ذلك الحدث ، فإذا قام رجل وقف تقول : هذا واقف . واقف هذا اسم فاعل دل على ذات متصفة بصفة هي الوقوف ، قائم دل على ذات متصفة بصفة هي القيام ، جالس هل من لم يجلس تقول له : جالس ؟

هل المستيقظ يقال له : نائم ؟

لا ، هذا ممتنع لغةً بإجماع أهل اللغة ، فاسم الفاعل وهذه قاعدة عامة كل اسم مشتق ومنه اسم الفاعل لا يجوز إطلاقه على شخص إلا إذا اتصف بمدلول الحدث الذي اشتق منه ، ذلك اللفظ فتقول للنائم : نائم . إذًا هي ذات

متصفة بالنوم ، والمستيقظ مستيقظ لأنه ليس بنائم ، ولا تأتي للقائم تقول له : جالس . والمستيقظ تقول له : نائم . والنائم مستيقظ .. وهلم جرا ، فالمسلم ذات متصفة بصفة الإسلام ، فالكافر لا يقال إنه مسلم ، والكافر اسم فاعل يدل على ذات متصفة بصفة الكفر فلا يقال للمسلم الأصل إنه كافر . إذًا لا يُشتق إلا إذا وُجد الحدث في الذات واتصفت الذات بذلك الاسم ، فكل من وقع في الشرك الأكبر بأن ذبح لغير الله أو توجه بأي نوع من أنواع العبادة فاسمه مشرك قطعًا ، لا بد أن يُسَمَّى بكونه مشركًا لماذا ؟ لأنه اتصف بفعل هو الشرك الأكبر ، لأنه ذبح لغير الله ، أو سجد للصنم ، أو تبرك بشجرة أو حجر يعتقد النفع فيها والضر حينئذٍ نقول : قد فعل الشرك . كما نقول لذلك : نائم . لأنه ذات متصفة بالنوم ، كذلك نقول لهذا : مشرك . لأنه ذات اتصفت بفعل هو الشرك ، ولذلك المصنف هنا رحمه الله تعالى قال : (**الذي يسميه المشركون**) . حكم عليهم بكونهم مشركين مع كونهم يقولون : لا إله إلا الله . ولا إله إلا الله بالإجماع لا تنفع قائلها إلا [إذا أتى بمعنى] علم معناها وأتى بمقتضاها ، لا بد من العلم بمعناها والعمل بمقتضاها ، وأن يكفر بما عُبِدَ من دون الله وأن يتبرأ منه ، إذا لم يأت بهذه الأمور لا إله إلا الله بشروطها وأركانها واجتناب محاذيرها الشرك لأنه شرط في صحة العبادة كما جمع بينهما الرب جل وعلا في قوله : (**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**) [النساء : 36] . لَمَّا جمع بينهما بالواو علمنا أن الثاني شرط في صحة الأول ، أن الثاني الذي هو : اجتناب الشرك . شرط في صحة العبادة ، إذًا قولهم : لا إله إلا الله . لم ينفعهم وحكم عليهم المصنف رحمه الله تعالى بكونهم مشركين (**الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد)**) سمو ماذا بالاعتقاد ؟ سمو الشرك الأكبر لأنهم نبذوا توحيد العبادة لم يقروا به ، وجعلوا توحيد العبادة هو عينه توحيد الربوبية ، توحيد الربوبية وتوحيد العبادة الألوهية عند الأشاعرة والماتريدية والصوفية بمعنى واحد لا فرق بينهما ، ومعنى الرب والإله عند المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية والصوفية بمعنى واحد ، وأنا أَنُصُّ على هؤلاء لماذا ؟

لأن المصنف هنا في إيراد الشبه لم يجادله العوام ، هل جادله العوام هم الذين يقفون في وجوه العلماء ويجادلونهم بالشبه والمعارضة بما يظهر لهم من كتاب وسنة ، لا ، هذه وظيفة من ؟ وظيفة العلماء ، لكنهم علماء البدعة والضلالة ليس كل من وصف بالعلم ، والعالم معناه صاحب حق ، لا ، قد يكون عالمًا ومتأصلاً في التفسير والحديث والفقه ومفتي قومه ونحو ذلك لكنه على ضلالة وبدعة وهؤلاء منهم ، فحينئذٍ نقول : المصنف رحمه الله تعالى يرد على علماء البدعة الذين تلبسوا بالشرك ودافعوا عنه (**الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد)**) ، الاعتقاد افتعال من العقد ، افتعال يعني : وزنه افتعال من العقد ، وهو : ربط الشيء . يقال : عَقَدَ الحبل إذا شَدَّهُ نقيض حله . عقد الحبل إذا عقد الجبل شَدَّهُ صار جزمًا ، من هنا أخذ أهل العلم أن العقيدة في القلب لا بد أن يكون عن جزم ، الشك ما ينفع في العقيدة والظن لا ينفع في العقيدة ، لا بد من الجزم يعني : لا يحتمل النقيض عنده ، اعتقد أن الله تعالى هو المستحق لأن يفرد بالعبادة لا يقبل الشك والظن ، لذلك سميت العقيدة عقيدة ، تقول العرب : أعتقد الشيء صَلُبَ واشْتَدَّ . اعتقد الشيء نفسه يعني الشيء فاعل صَلُبَ واشتد ، وأعتقدتُ كذا عقدت عليه القلب والضمير ، وهنا الاعتقاد المراد به هو تعلق القلب بمن تقرب إليه ذلك المتقرب ، سَمَّوْا الشرك بالاعتقاد ، ونقول : قلب الحقائق ، تغير الأسماء لا يقتضي قلب الحقائق . الحقيقة هي هِي نفسها فإذا عُرِفَ أن التوحيد هو إفراد الله تعالى بالعبادة ، حينئذٍ لو سمي إسلامًا لو سُمَّيَ إيمانًا سمي إحسانًا بما جاء به الشرع نقول : الحقيقة هي نفسها ، والتغاير يكون في شيء آخر ، والشرك هو دعوة غير الله تعالى مع الله ، أو اتخاذ الند مع الله تعالى أو صرف شيء من العبادة لغير الله ، سميته شِرْكًا كما جاء به الشرع ، أو سميته اعتقادًا أو سميته توسلاً أو سميته شفاعةً ، سَمِّه ما شئت فالحقيقة هي الحقيقة ، لا يخرج المشرك عن كونه مشركًا . إذًا الاعتقاد هنا المراد به تعلق القلب لمن تقربه إليه ذلك المتقرب ، تعلق به من جهة كشف ضُرٍّ أو جلب نفع ، أو بالتوجه إليه بأي نوع من أنواع العبادة ، صار ذلك مشركًا مخرجًا له من الملة ، ولو كان من أعلم الناس ، ولو كان من أعبد الناس ، فلا يلتفت إلى علمه ، ولا يلتفت إلى عبادته لماذا ؟ لأن الشرك كما سبق معنا في القواعد أنه إذا دخل العبادة أفسدها ، كالحدث إذا دخل الوضوء أو الصلاة فإنه يفسدها ، المصلي يصلي وهو في ا العبادة إذا خرج منه حدث بطلت صلاته ووضوؤه كذلك العالم أو العابد المتنسك ولو كان من المجتهدين في العبادة فلا يغرنك كثرة عبادته ، فَيُنْظَرُ إلى حقيقة الشرك إن تعلق بغير الله في جلب نفع أو دفع ضُرٍّ أو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله فهو مشرك ولا يلتفت إلى غير ذلك ، الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد يعتقدون في الولي كذا ، هكذا يقال يعتقد في الولي ، وكانوا مع إقرارهم بتوحيد الربوبية (**يدعون الله سبحانه وتعالى ليلاً ونهارًا**) إذًا أقروا بتوحيد الربوبية وجحدوا توحيد العبادة وسَمَّوْا الشرك بغير اسمه ومع ذلك كانوا يتعبدون كثيرًا ، (**يدعون الله**) يعبدون الله تعالى (**ليلاً ونهارًا**) ولذلك المصنف أراد بهذا أن

يرد شبهة ماذا ؟ أن يرد على من أقر بوجود الخالق وأنه هو الذي يتصرف في الملكوت ، وهذا سيأتي ينص عليه في الشبه القادمة ، أن كيف يقال بأن من اعتقد أن الله تعالى هو الخالق والرازق وهو يعبد الله ويصوم ويصلي وقد يكون من أهل العلم ويقر بتوحيد الربوبية ولا يقع في الشرك باسمه فكيف يقال بأنه مشرك ؟ كيف يقال بأنه لا يُغفر له إن مات على شركه ؟ كيف يقال بأنه خالد مخلد في ... هذه شبه إن تقع عند الناس ولذلك لما جاء شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى بدعوة التوحيد الدعوة السلفية أشد ما أُنكر عليه وأنه جاء بدين جديد كما قد قيل ، وهذه دعوة كل زمان ، كيف يُحْكَمْ على أولئك العلماء المتعبدين بماذا ؟

بالشرك والكفر ، كيف يجتمع هذا وذاك ، هم علماء ويقولون : لا إله إلا الله . ولكنهم يجوزون لأنفسهم وللناس عموم الناس ، الطغاة يجوزون لهم فعل الشرك الأكبر ، حكم عليه بالكفر والشرك ، وهذا قد يقع لبس عند بعض الناس إذا وجدوا العبادة من الشخص أو سمعوا ما يمكن أن يكون دافعًا له حينئذٍ قد يقفون ويترددون في الحكم عليه بالشرك ، نقول : لا ، نرجع إلى الأصول ولا نرجع إلى العاطفة ، العاطفة ليست حاكمة على الناس ، وإنما نرجع إلى الأصل ما الأصل ؟ كذا ، ما الأصول التي ينبغي الانطلاقة منها ؟ هي كذا وكذا وكذَا ، ولذلك الناس لما وقع ما وقع من ذلك البعث ، لَمَّا قال : لا إله إلا الله . قبل قوله : لا إله إلا الله . يكاد أن يكون قولاً واحدًا أنه كافر مرتد ، لكن لما قال : لا إله إلا الله . وذُكِرَ أنه بنى مساجد وفتح تحافيظ ومسابقات ونحو ذلك التبس على بعض الناس هذه أعمال صالحة أليس كذلك ؟ نقول : هذه أعمال صالحة لكنها ليست بشيء عند وجود الكفر ، لأن أولئك الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ كانوا يعتبدون أليس كذلك ؟ فليس كل من فعل بعض الأعمال الصالحة وهو مشرك وهو كافر يُرْفَعُ عنه وصف الكفر فلا يلتبس هذا بذاك ، ويقررون في الدروس وتقرير المسائل العقدية أن المرتد لا يمكن أن يُحْكَمَ عليه بالإسلام بقول : لا إله إلا الله ، هذا يكاد يكون محل إجماع إن لم يكن إجماعًا ، لا يُحْكَمُ عليه بأنه مسلم إذا خرج من الدين بإنكار الملائكة حتى يصرح بماذا ؟ بوجود الملائكة ، فلو قال : لا إله إلا الله . ألف مرة ما نفعته ، لو أنكر بعثة محمد ﷺ وهو مسلم كفر خرج من الدين ، لو قال : لا إله إلا الله . رجع ؟ ما رجع حتى يُقِرُّ بأن محمدًا رسول الله ﷺ ، حينئذٍ إذا كفرناه لأنه بعثي فقال : لا إله إلا الله . ما نحكم عليه بالإسلام حتى يصرح بما خرج به من الدين لا بد أن يعترف ويقر بأن الذي أخرجه من الدين قد اعتقده ، حينئذٍ يحكم عليه بالإسلام ، وأما مجرد أفعال وأعمال صالحة يُضْحَك بها على الناس نقول : هذا لا يقبل البتة .

الشاهد من هذا أنه لَمَّا وُجِدَ بعض الأعمال الصالحة لا أقول : ارتبك العامة بل حتى أهل العلم ، لعله .. ويرجى له .. إلى آخره ، لعله ويرجى .. ، التوحيد ليس به لعل ويرجى ، ليست اعتقادات وليست اجتهادات ، نعم تحكم عليه بالكفر وتقول : لعله قد رجع في باطنه . يُقْبَلُ ، أما لَعَلَّهُ في رفع الكفر عنه نقول : هذا باطل ليس بصحيح ، وبعضهم توقف فيه نقول : هذا كله من عدم رجوعه إلى الأصول ، لو رجعوا إلى الأصول التي يقررونها في دروسهم وعقائدهم وكتب أهل العلم ما وقع هذا الالتباس ، لكن لَمَّا رجعوا إلى الظاهر وإلى العاطفة فإذا به حصل نوع ارتباك في الحكم على المرتد .

إذًا (**يدعون الله سبحانه ليلاً ونهارًا**) قال رحمه الله : (**ثم منهم**) . يعني من أولئك المشركين الذين أقروا بتوحيد الربوبية ، (**ثم**) هذه للترتيب الذكري فقط ، (**منهم**) أي : ممن أقر بتوحيد الربوبية من المشركين (**من يدعو الملائكة**) أراد أن يذكر لنا أنهم مع إقرارهم بتوحيد الربوبية قد صرفوا أنواع من العبادات لغير الله ، وذكر ثلاثة أنواع من المعبودات ، ذكر ثلاثة أنواع من المعبودات ولها مقصد عند المصنف رحمه الله تعالى ، ذكر مثالاً لأرواح طاهرة سماوية ، وذكر مثالين لصالحين في الدنيا أحدهما نبي رسول ، والآخر رجل صالح ، لأن حجج المشركين تدور حول هذه الشبه ، فأثبت المصنف أنهم مع إقرارهم بتوحيد الربوبية ثم صرفوا أنواعًا من العبادات للملائكة وهي أرواح طاهرة ، وللأنبياء كـ عيسى عليه السلام ، ولبعض الصالحين الذين ليسوا بأنبياء ولا رسل ومع ذلك وقع بهم الشرك ، لأنه من ضمن الشبه التي عندهم قالوا : تلك الآيات في القرآن كله من أوله إلى آخره نزلت في عبادة الأصنام ونحن لا نتعلق بالأصنام لا بحجر ولا شجر نحن عقلاء . وإنما تعلقهم بماذا ؟ بأرواح الصالحين كـ الجيلاني والبدوي والحسين ونحو ذلك ، فحينئذٍ لا بد من إثبات أن نوعًا من أولئك الأقوام الذين حكم عليهم الشرع بشركهم وأنهم كفار وقاتلهم النبي ﷺ قد توجهوا ببعض العبادات لأرواح طاهرة سماوية وأرضية ، فهذا تأصيل مهم ينبغي العناية به (**ثم منهم**) يعني : ممن أقر بتوحيد الربوبية (**من يدعو الملائكة**) بعض العرب يعتقد أن الملائكة بنات الله تعالى الله ! ويقولون : إن أرواح الملائكة منتشرة في كل مكان فإذا طلب منها لبت الطلب ، يدعوها يا

جبريل مثلاً أو يا فلان فتلبي الطلب ، فلما وقع هذا فتنوا بها فحينئذٍ توجهوا إليها بصنوف من العبادات ، فإذا طلب منها لبت الطلب وأجابته ولم يكن لها أصنام وتماثيل تحل فيها تلك الأرواح الطاهرة ، وإنما يكون اتصالهم بهذه الأرواح بتوجيه العبادات إليها وبندائها والاستغاثة بها ، فحينئذٍ تجيبهم الجن وتغيثهم فيظنون أنها الملائكة دل على ذلك قوله سبحانه : (**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ**) [سبأ : 40] . (**أَهَؤُلَاءِ**) [مَنْ ؟ المشركين] [13] (**أَهَؤُلَاءِ**) مِنْ المشركون (**إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ**) يسألهم الله عز وجل (**قَالُوا سُبْحَانَكَ**) تنزيه لله عز وجل على أن يُشْرَكَ به (**أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ**) [سبأ : 41] يقول البغوي رحمه الله تعالى : قوله : (**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ**) . نحشرهم يحشرهم قراءتان قرأ يعقوب وحفص (**يَحْشُرُهُمْ**) وقرأ الباقون بالنون (**جَمِيعًا**) يعني : هؤلاء الكفار . (**ثُمَّ يَقُولُ**) تعالى (**لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ**) .... (**كانوا يدعون الله سبحانه**) وتعالى (**ليلاً ونهارًا**) قلنا هذه يعبدون الله مع الإقرار يعني : جمعوا بين الإقرار بتوحيد الربوبية وأنكروا توحيد العبادة ويدعون الله ، يعني : مع دعائهم لله عز وجل (**ثم منهم**) مع الدعاء دعاء لله عز وجل ليلاً ونهارًا (**منهم من يدعو الملائكة**) و (**منهم من يدعو**) .. إلى آخره فهي معادة لأنه قال في الأول : (**يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله**) ، (**ويدعون الله**) فهي معادة لماذا ؟ لأنه أراد أن يعيد بعض المسائل وهو سيعيد ، يعيد بعض المسائل من باب التأكيد والإيضاح لأن هذه المعاني لن يجيدها طالب العلم ويعرفها حق المعرفة إلا إذا كررها ، أما مجرد قراءة مرة واحدة وسماع مرة واحدة هذه لا تكفي في أن تُجْعَل هذه المسائل يقينية ، لأن اليقين زيادة العلم في القلب ، هذا لا يمكن أن يكون يقينًا كأنك تراه رؤية العين إلا بكثرة التكرار ، وأما مجرد القراءة المرة الواحدة العابرة هذه لا تكفي ، ولذلك إذا أردت أن تكون هذه عندك قطعية بمعنى أنها لا تحتمل الجدال ولا النقاش لا بد أن تقرأها صباح مساء ، وتتأمل فيها ، وتتأمل في الآيات التي ورد فيها ذكر أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ، لأن هذه مسألة مهمة جدًا في فهم توحيد الرسل أن أولئك الأقوام اعترفوا وآمنوا ، نقول : آمنوا هكذا كما قال سبحانه : (**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**) [يوسف : 106] جمع بين الإيمان والشرك واضحة بينة قاطعة لكل مجادل ، وما يؤمن بالله يعني : أثبت لهم الإيمان (**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**) إذًا هذه المسألة تعتبر معادة . (**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ**) يعني : في الدنيا . (**أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ**) يعني : في الدنيا . قال قتادة : هذا استفهام تقرير كقوله تعالى لعيسى : (**أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**) [المائدة : 116] . يعني : الله عز وجل عالم يعلم ما العباد فاعلون ويعلم أنه أن المشركين أشركوا بالله عز وجل في دعوى الرسل ، تعبدوا الرسل عبدوا الرسل ، وكذلك عبدوا الملائكة ، إذًا لماذا يسألهم ؟ هل الاستفهام هنا من أجل العلم تحصيل العلم لم يكن ؟ لا ، إنما من أجل التقرير فإذا أقروا حينئذٍ لزمت الحجة ، فتبرأت منهم الملائكة (**قَالُوا سُبْحَانَكَ**) تنزيهًا لك (**أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم**) أي : نحن نتولاك ولا نتولاهم ، (**بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ**) يعني : الشياطين . فإن قيل لهم كانوا يعبدون الجن فكيف وجه قوله : (**يَعْبُدُونَ الْجِنَّ**) ؟ قيل : أراد الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة يعني : كيف يعبدون الجن ؟ هل هو بالتزين أو أن دعوى المشركين أنهم يعبدون الملائكة هو منصرف إلى حقيقة الجن ؟ فإذا عبد الصنم اعتقدوا أن روح الصالح قد حلت في هذا الصنم ، وفي الحقيقة الذي حل فيه هو إبليس الشيطان ، هو أو أحد أبنائه ، فحينئذٍ توجه العبادة للصنم هل هو لروح الصالح أو في الحقيقة والأمر نفس الأمر والواقع أنه للشيطان ؟

للشيطان ، كذلك إذا عبدوا الملائكة ونادوا الملائكة فأجابهم مجيب لا يمكن الملائكة تجيب قطعًا ، كما أن الميت لا يمكن أن يجيب ، فحينئذٍ من الذي أجابهم هم يعتقدون أنها الملائكة فصرفوا نوع من العبادة لهذه الملائكة ، نقول : لا ، الصرف هنا ليس للملائكة ، بل للذي أجابهم وأغاثهم وأجاب ندائهم وهو الشيطان . ويحتمل كما ذكر البغوي وهذا أوضح وأظهر وأجود يحتمل كما ذكر البغوي هنا رحمه الله قيل : أراد الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فهم كانوا يطيعون الشياطين في عبادة الملائكة . فقوله : (**يَعْبُدُونَ**) . أي : يطيعون الجن . (**أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ**) يعني : مصدقون للشياطين . والمعنى الذي ذكرناه أولى ، أن العبادة إنما انصرفت إلى الجن وليس للملائكة وليس لعيسى وليس للأصنام أنفسها لماذا ؟

---

(13) سبق .

لأن اعتقادهم بحلول الأرواح فيها إنما اعتقاد ذهني ليس له حقيقة في الوجود ، وإنما هو فساد تصور عندهم ، فحينئذٍ إذا توجهوا بالعبادة لهؤلاء الصالحين إنما توجهوا في الحقيقة وفي نفس الأمر إلى الجن والشياطين . قال : (**منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله**) عز وجل (**ليشفعوا له**) ، يعني : بيان وقوعهم في الشرك بسببين ونتيجة ، يعني لماذا شَرَّكُوا وأَشْرَكُوا الملائكة مع الله عز وجل ؟

قال : (**لأجل صلاحهم**) وأنها أرواح طاهرة ، وهذا لا شك في أنهم أرواح طاهرة (**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ**) فهي أرفع من البشر ، (**لأجل صلاحهم**) فهم صالحون في أنفسهم (**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ**) [التحريم : 6] (**وقربهم من الله**) عز وجل (**إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ**) [الأعراف : 206] (**عِنْدَ رَبِّكَ**) ، (**عِنْدَ**) هنا ظرف زمان إذًا هم قريبون من الله عز وجل ، إذًا (**صلاحهم وقربهم**) لله عز وجل من عند الله سبحانه صرفوا لهم العبادة . ما الغاية المرجوة من عبادة الملائكة قال : (**ليشفعوا لهم**) طلب القربى (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) [الزمر : 3] هذه حجتهم حينئذٍ ثَمَّ أمران :

سبب ، وغاية .

ما السبب في توجه المشركين إلى عبادة الملائكة ؟

لأجل صلاحهم ، تقول : لسببين لأجل صلاحهم . و[هذه أو] [14] هذا الوصف علة مطردة عند المشركين ، فكل من فيه صلاح ويعتقدون فيه أنه يرفع الحوائج وُجِدَ الشرك ، فهي علة مطردة .

عُبِدَ عيسى عليه السلام لأجل صلاحه .

وَعُبِدَ البدوي لأجل صلاحه .

وَعُبِدَ الحسين لأجل صلاحه .. وهلم جرا .

فما من معبود من القبور والأوثان إلا وهم يعتقدون أنهم صالحون .

إذًا (**لأجل صلاحهم**) هذا قدر مشترك وهي علة مطردة كل ما وجد الصلاح أو وصف الصلاح بشيء وظنوا أنه يقربهم ويرفع إلى الله عز وجل ويرفع حوائجهم لتقضى من عنده سبحانه ، قالوا : هذا تصرف له العبادة . (**ليشفعوا لهم**) هذه غاية سؤال الملائكة ، فهو اعتقاد في الملك بأنه لأجل صلاحه وقربه يملك أن يشفع عند الله ، ولأجل قربه لا يَرُدُّ الله تعالى طلبه كما هو الشأن في المخلوقين .

(**أو يدعوا رجلاً صالحًا مثل اللات**) ، (**أو**) للتنويع أراد أن يبين نوعًا ثانيًا من أنواع المعبودات وأن المشركين قد أشركوا به وحكم عليهم الشرع بالشرك ، وهذا أعظم دليل على ماذا ؟

على بطلان الشرك عند المتأخرين ، فإذا قالوا : نحن ما عبدنا الأصنام التي هُبَل ولا اللات ولا العزى ولا مناة . تقول : عبدتم الصالحين . وتلك الآيات كما أنها تشمل الأصنام كذلك تشمل الصالحين (**أو**) للتنويع (**يدعوا رجلاً صالحًا مثل اللات**) اسم فاعل من لَتَّ يَلِتُّ بتشديد [الياء] (15) رجلٌ كان يَلُتُّ السَّوِيق قال في الحاشية : رجلٌ كان يَلُتُّ السَّوِيق للحاج في الجاهلية على صخرة بالطائف ولما مات عُبِدَ من دون الله . يَلُتُّ السَّوِيق مات عُبِدَ من دون الله ، سخافة صحيح سخافة عقول ، رجلٌ صالح كان يَلُتُّ السَّوِيق يتصدق على الناس مات تعبدونه ؟ هذا غريب ، ولما مات عُبِدَ من دون الله ، نحن نقول : -كما سيأتي إن شاء الله - ولما مات عُبِدَ من دون الله ، واللات بالتخفيف الصخرة التي كان يَلُتُّ عليها . قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء عظيم عند أهل الطائف هو من ثقيف ومن تبعهم يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش ، يفتخرون بماذا ؟ وقيل : إن اللات أخذه المشركون من لفظ الله ، هذا من الإلحاد في أسماء الرب جل وعلا ، قيل : اللات مأخوذ من اسم الله ، والعزى من العزيز ، ومناة من المنان . وقد هدمها المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم . إذًا (**أو يدعوا رجلاً صالحًا مثل اللات**) هذا تمثيل لمعبود عند المشركين وهو رجل صالح ، (**أو نبيًا مثل عيسى**) هذا أيضًا رجل صالح لكن له مزية وخصيصة وهو : أنه رسول من عند الله جل وعلا . إذًا من الرسل من عُبِدَ ، سواء كانوا ملائكة أو كانوا من البشر (**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ**

---

(14) سبق .

(15) سبق صوابه [الياء سبق وصوابه (التاء) .

* **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ**) [المائدة : 116 ، 117] لا إله إلا الله ، لا معبود بحق إلا الله (**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**) هذه دعوة الرسل ، فإذا اتخذ معبودًا من دون الله حينئذٍ هو مبرأ من أن يكون راضيًا بهذه العبادة ، بل ما أرسل إلا من أجل إبطالها ، فكونه اتُّخِذَ هذا بغير اختياره ، تبرأ منهم عيسى عليه السلام ، واتخاذ عيسى إلهًا وكذلك اللات إلهًا من جنس اتخاذ الأصنام آلهة ، فلا فرق بينهما ، اتخاذ الرجل الصالح إلهًا من دون الله وكذلك عيسى نقول : من جنس اتخاذ الأصنام آلهة من دون الله ، ومن جنس اتخاذ الصالحين آلهة ؛ لأنه تعلقٌ بالأرواح ، تعلقوا بها بحجة أنها صالحة ، واعتقدوا أن هؤلاء لهم مكانةً عظيمة عند الله ، فتوجهوا إليها بالعبادة مع حصول شيءٍ من الاستجابة عن طريق الجن - كما سبق - بل كانوا يعبدون الجن ، ولهذا فتنتهم عن الدين .

إذًا هذه ثلاث معبودات أراد المصنف أن يبين لنا أن وقوع المشركين السابقين الذين كانوا في زمن النبي ﷺ إنما وقعوا في الشرك باتخاذ الملائكة وباتخاذ الرجل الصالح وباتخاذ الرسول أو النبي معبودًا من دون الله عز وجل ، هل أراد الحصر في هذه الثلاثة ؟

جواب : لا ، لأنه يخاطب أهل شبهٍ احتجوا عليه بأن تلك الآيات إنما نزلت في عبادة الأصنام فحسب ، وهم لا يعبدون الأصنام حشا وكلا عقولهم أكبر من هذا وإنما عبدوا الجيلاني وهو رجلٌ صالح وروحه طاهرة ، نقول : عبادة الصالحين من جنس عبادة الأصنام ، ثم أسلافكم وأئمتكم كذلك وقعوا في عبادة الصالحين ، فلا فرق بين المتأخر والمتقدم .

(**وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك**) . إذًا أقروا بالربوبية ودعوا الله تعالى كثيرًا من العبادات ودعوا الملائكة واللات وعيسى وقاتلهم النبي ﷺ مع إقرارهم بتوحيد الربوبية . (**وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك**) أي : شرك ؟

اتخاذ الملائكة واسطةً بينهم وبين الله .

اتخاذ اللات واسطة بينهم وبين الله .

هل ادَّعَوْا أنها آلهةٌ مستقلة تخلق وترزق وأنه مستحقة للعبادة من كل وجه ؟

لا ، لم يدَّعُوا ذلك ، وإنما ادَّعَوْا أن الله تعالى مألوهٌ معبود ولكن لا تصل إليه الطلبات ، ولا ترفع إليه سؤلات إلا عن طريق الصالح المقرب من عند الله جل وعلا .

فهذا هو حقيقة الشرك الذي قاتلهم النبي ﷺ عليه .

(**قاتلهم على هذا الشرك**) إذًا لما قاتل الرسول ﷺ العرب ؟

تقول : لأنهم مشركون .

وبماذا كانوا مشركين ؟ لماذا صاروا مشركين ؟

بعبادة غير الله ، لم يأتوا بتوحيد العبادة ، صرفوا نوعًا بل أنواعًا من العبادات لغير الله تعالى .

هل كانوا يعبدون هذه المعبودات على أنها آلهةٌ مستقلة ؟

تقول : لا ، الجواب : لا ، وإنما اتخذوها آلهةً مع الله تعالى ، فهم يؤمنون بتعدد الآلهة (**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ**) [ص : 5] ومنهم الله عز وجل ، (**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً**) فهموا المراد بلا إله إلا الله ، إذًا المشركون لا ينفون الآلهة أو الإلهية عن الله تعالى ، لا ينفون الإلهية عن الله تعالى ، وإنما يُشَرِّكُون غيره به في هذه الصفة . إذًا كانوا وصاروا مشركين بعبادة غير الله تعالى .

هل كانوا يعبدون على جهة الاستقلال أم للوساطة والتوسط ؟

نقول : الثاني ، بدليل نص القرآن (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) [الزمر : 3] ، إذًا تَعَبُّدُهم لله جل وعلا العبادات الواقعة منهم مع الشرك به لم ينفعهم لأن النبي ﷺ لم يتقبل ذلك منهم ، أشركوا صرفوا أنواعًا من العبادات لغير الله وأقروا بالربوبية وعبدوا الله تعالى ولم يقبله منهم النبي ﷺ بل قاتلهم بأمر الله جل وعلا .

(**ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده**) ، (**ودعاهم**) يعني : دعا من ؟ المشركين (**إلى إخلاص العبادة لله وحده**) جل وعلا ، و (**إخلاص العبادة**) المراد بها الإخلاص وهو الصافي وهو ما زال عنه الشوائب ، (**لله وحده**) لا شريك له (**كما قال تعالى : (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً) [الجن : 18] وقال سبحانه : (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ**) ، (

فَلَا تَدْعُوا) (**(لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ)**) ، (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً)**) (**(وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً)**)
المساجد ما بني للصلاة هذا الأصل فيها ، ما بني للصلاة والعبادة والتلاوة والاعتكاف ونحو ذلك كما جاء في الحديث حديث بول الأعرابي : " إن هذا المسجد لا يصلح لشيءٍ من ذلك ، إنما بني لذكر الله تعالى وللصلاة " .
فالمساجد يُفْعَلُ فيها شيئان :
دعاء الله تعالى سؤاله طلب نداء .
ثانيًا : عبادته بأنواع العبادات : السجود ، والصلاة ، والركوع ، ونحو ذلك .
(**(وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ**) الدعاء ، والعبادة (**لِلَّهِ**) استحقاقًا ، اللام هنا للاستحقاق أي : لله المعبود المطاع ، لأن الله مشتقٌ من الإلَه والإله مرادٌ به المعبود المطاع ، وقيل : (**الْمَسَاجِدَ**) جمع مسجدٍ ويقصد به السجود أو أعضاء السجود ، (**فَلَا تَدْعُوا**) ، (**فَلَا**) إذا علم أن هذه المساجد لله يتفرع عنه ماذا ؟ لا ، هذه ناهية ، (**تَدْعُوا**) هذا منهيٌّ عنه ، (**فَلَا تَدْعُوا**) نقول : (**تَدْعُوا**) هذا فعلٌ مضارع في سياق النهي فحينئذٍ يعم أي دعاءٍ وإن قل (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً**)) مع الله فكيف أن يدعوه دون الله تعالى ، فهو من بابٍ أولى وأحرى (**أَحَداً**)) هذا نكرة في سياق النهي فيعم كل مُشْرَكٍ به لا ملكًا مقربًا ، ولا نبيًا مرسلاً . إذًا : (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً**)) لا ملائكة ، ولا اللات ، ولا رجلاً صالحًا ، ولا عيسى ، ولا هُبَل ، ولا مناة ، ولا العزى ، ولا للجيلان ، ولا الحسين ، ولا غيره ، كل هؤلاء قد أُبْطِلَتْ عبادتهم بهذا النص العام (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً**)) هذا يشمل قليل الشرك وكثيرة بقوله : (**فَلَا تَدْعُوا**) . ويشمل الْمُشْرَك به يعني : عامٌ في النوعين ، عامٌ في الشرك نفسه ، وعامٌ في المتوجه إليه المتقرب إليه ، (**وقال** تعالى : **(لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ**) ، (**(لَهُ**) لا لغيره (**دَعْوَةُ الْحَقِّ**) ، (**دَعْوَةُ الْحَقِّ**) هذا مبتدأ مؤخر ، و (**(لَهُ**) جار مجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وتقديم ما حقه التأخير يفيد الاختصاص والحصر ، إثبات الحكم بالمذكور ونفيه عن ما عداه .
إذًا : (**(لَهُ**) لا لغيره ، (**دَعْوَةُ الْحَقِّ**) .
قال عليٌ رضي الله تعالى عنه : (**دَعْوَةُ الْحَقِّ**) التوحيد (**(لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ**) أي : التوحيد . قال عليٌ رضي الله تعالى عنه : (**دَعْوَةُ الْحَقِّ**) التوحيد . وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (**دَعْوَةُ الْحَقِّ**) شهادة أن لا إله إلا الله . وهي التوحيد أيضًا ، هذا خلاف تنوع ، وقيل : الدعاء بالإخلاص . والدعاء الخالص لا يكون إلا لله تعالى . (**دَعْوَةُ الْحَقِّ**) يعني : الدعوة الخالصة لله عز وجل وهذا فيه إثبات الإخلاص وهذا هو حقيقة التوحيد .
(**وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله ، والنذر كله لله ، والذبح كله لله ، والاستغاثة كلها بالله ، وجميع أنواع العبادات كلها لله**) دعاهم إلى أي شيء ؟
قاتلهم على أي شيء ؟
على أن يكون الدعاء العبادة أو النداء بيا أو إحدى أخواتها كله لله ، وهم جعلوه كله للأصنام أو بعضه وبعضه ؟
بعضه وبعضه ، فرقوا بين الدعاء ، دعوا الله عز وجل ودعوا معه غيره ، كذلك ذبحوا لله وذبحوا لمعبوداتهم ، وكذلك نذروا لله ونذروا لمعبوداتهم ، واستغاثوا بالله واستغاثوا بمعبوداتهم ، وصرفوا أنواعًا كثيرة لله عز وجل وصرفوها أيضًا لمعبوداتهم ، شَرَّكُوا بينهما في العبادة وقاتلهم النبي ﷺ على أن تكون هذه العبادة خالصةً لله عز وجل ، لا يَشْرَكَهُ فيه أحدٌ البتة ، (**محض حق الله**) تعالى لا دعاء إلا لله ، ولا نذر إلا لله ، ولا استعانة إلا بالله ، وجميع مفردات العبادة كلها لله جل وعلا .
هذا الذي قاتلهم عليه النبي ﷺ ، والمشركون في عهده عليه الصلاة والسلام ، وفي كل زمان لم يفردوا الله تعالى بالذبح ، أو النذر ، أو الطواف ، أو الدعاء ، أو الاستغاثة ، بل شَرَّكُوا بينهما ، فالوصف هو الوصف ، والحال هو الحال ، والواقع هو الواقع ، حينئذٍ يلزم أن يكون الحكم هو الحكم ، إذا كان لا فرق بين الفعل فعل المتأخرين المشركين ، وفعل المتقدمين وقاتلهم النبي ﷺ حينئذٍ قياس المتأخرين على المتقدمين - إذا قلنا من باب القياس - لا من باب دخوله تحت اللفظ ، نقول : هذا من أوضح أنواع القياس ، أن يقاس المتأخر على المتقدم بجمع ما ذكر .
(**وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله**) لا بعضه لله والبعض الآخر يكون للأصنام ، كذلك الذبح كله لله ، والنذر كله لله ، وهذه كلها عبادات سبق تقريرها في ((**الأصول الثلاثة**)) ، (**والاستغاثة كلها بالله ، وجميع أنواع العبادة كلها لله ، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يُدْخِلْهم في الإسلام**) كما سبق ، قاتلهم وحكم عليهم بالشرك مع إقرارهم ، هل نفعهم إقرارهم بالربوبية ؟ لا ، لم ينفعهم ، إذًا : ليس هذا هو التوحيد الذي

يحصل به الابتلاء ، وليس هذا هو التوحيد الذي طُلِبَ تحقيقه من العباد ، بل هو شيءٌ آخر وهو : إفراد الله تعالى بالعبادة .

(**وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء ، أو الأولياء ، يريدون شفاعتهم ، والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم**) . (**هو الذي أحل دماءهم وأموالهم**) لأن حقيقة الشرك ما هو ؟ هو قصد الملائكة وجعلها واسطة بينهم وبين الله تعالى ، هذا هو الشرك ، تسوية غير الخالق بالخالق في ماذا ؟ في صرف عبادة له كما تُصْرَف لله تعالى ، والشرك هو : واتخاذ النِّدِّ مع الله تعالى ، وهؤلاء قد اتخذوا الأنداد من الملائكة والصالحين والأنبياء مع الله تعالى .

إذًا : (**قصدهم الملائكة**) بالذبح ، أو النداء ، أو الاستغاثة ، أو الاستعانة ، نقول : هذا الذي صَيَّرَهُم مشركين مع كونهم مقريين بتوحيد الربوبية لم ينفعهم (**وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء ، أو الأولياء ، يريدون شفاعتهم ، والتقرب إلى الله**) ، (**إلى الله**) الله هو المقصود أولاً ، أرادوا الله تعالى أولاً ثم صرفوا العبادة لغيره جل وعلا ، أرادوا شفاعته ، (**والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم**) قال الله تعالى : (**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ**) [البقرة : 193] . قال ابن كثير رحمه الله تعالى : قال الضحاك عن ابن عباس : (**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ**) يعني : لا يكون شِرْك . لا يكون شركٌ والفتنة تطلق ويراد بها الشرك وغيره لكن مراد بالآية هنا بالفتنة الشرك ، وكذا قال أبو العالية ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والسُّدِّي ، ومقاتل بن حيان ، وزيد بن أسلم ، فسروا الفتنة بالشرك ، وقوله : (**وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ**) . قال الضحاك عن ابن عباس في هذا الآية قال : يُخْلِصُ التوحيد لله . وقال الحسن ، وقتادة ، وابن جرير ، (**وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ**) أن يقال لا إله إلا الله . يعني : لا معبود بحقٍ إلا الله . وقال محمدٌ بن إسحاق : ويكون التوحيد خالصًا لله ليس فيه شرك ، ويقلع ما دونه من الأنداد . ثم قال ابن كثير : ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ في أنه قال : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله** » . يقولون لفظًا دون معنى ، دون عملٍ بمقتضاها ؟ لا . « **حتى يقولوا لا إله إلا الله** » بألسنتهم ويعتقدون المعنى الذي دلَّتْ عليه ويعملوا بمقتضاها ، وهو : تحقيق العبودية لله عز وجل ، أن لا يعبد إلا الله قولاً وعملاً واعتقادًا ، فالتوحيد اعتقادٌ وقولٌ وعمل ، وليس هو اعتقاديٌ فحسب - كما هو الشأن عند الأشاعرة وغيرهم - « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسباهم على الله عز وجل** » . إذًا : أحل دماءهم وأموالهم بنص القرآن (**فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ**) [التوبة : 5] كل مشرك والأصل فيه أنه يُقتل حينئذٍ عرفت ماذا ؟

حينئذٍ (**عرفت حينئذٍ التوحيد الذي دعت إليه الرسل**) إذا عرفت أنهم أقروا بتوحيد الربوبية وقاتلهم النبي ﷺ على ترك التوحيد ، ما هو التوحيد الذي جحدوه وأَبَوْا عن الإقرار به ؟

ليس هو إلا توحيد العبادة - وهذا أمرٌ كما ذكرنا قطعي مجمعٌ عليه بين أهل العلم - حينئذٍ (**عرفت حينئذٍ التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، وأبى عن الإقرار به المشركون**) فمدار الحكم بالشرك ، مدار الحكم بالشرك على الشخص هو صرف شيءٍ من العبادة لغير الله تعالى ، وهذا مأخوذٌ من النصوص نصوص الوحيين ، ومن حال وواقع المشركين ، بانضمام الدلالتين نأخذ أن مدار الحكم بالشرك على الشخص هو إذا صرف شيئًا من أنواع العبودية لغير الله تعالى ، فهذه مقدمةٌ مهمةٌ بأن التوحيد هو أعظم الواجبات ، وأن من صرف شيئًا من العبادة لغير الله فهو مشركٌ قد يحبط عمله - قد للتحقيق - ولو كان من أعلم الناس ، ولو كان من أعبد الناس .

إذًا : الخلاصة من ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى أن الشرك إنما وقع من العرب بأناسٍ صالحين ، الشرك السابق إنما وقع من العرب بأناسٍ صالحين ، وأن الشرك وقع بالآلهة لأجل ماذا ؟ لأجل طلب القربى والشفاعة فقط ، لا لأنها معبودة استقلالاً وإنما اتخذت وسائط بينهم وبين الله تعالى ، لا لأنها مستقلةٌ بشيءٍ من الربوبية ، أو الألوهية ، ولكنهم عبدوها تبعًا لا استقلالاً ، فشركهم ليس في الربوبية ، ليس شركهم في الربوبية ، وإنما أشركوا في الألوهية ، فهي آلهةٌ قطعًا لأن الله تعالى سماها آلهة ، وهم اعترفوا أنها آلهة ، فمن جهتين :

اعترفوا أنها آلهة (**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً**) [ص : 5] .أقرهم الله عز وجل ، وإذا أقر الله عز وجل جملةً في القرآن فهي حق ، والحق هنا ليس في كونها آلهةً حقًا وإنما في تسميتها آلهة ، لأن الإله اسم جنسٍ يُطلق على المعبود بحقٍ أو باطل ، فكل من اتخذ معبودًا يعبده سواء كان حقًا أو باطلاً فهو إلهٌ .

ولذلك سبق معنا في دراسة المنطق الرد على المنطقيين في قولهم : أن إله هذا كليٌ .

فمفهوم اشتراك الكلي   كأسدا وعكسه جزئي

قالوا : هذا مفهومه مُشْتَرَكٌ في الذهن ، أما في الخارج فليس له إلا واحد وهو الإله الحق . هذا باطلٌ مردودٌ عليهم ، باطل لماذا ؟

لأنه في الخارج ليس هو الإله الحق فحسب ، بل الله عز وجل سَمَّى تلك الآلهة المعبودات سماها آلهة ، فحينئذٍ كل من عبد قبرًا فهو إلهٌ عندهم ، كل من عبد صنمًا فهو إلهٌ عندهم ، وكذلك إذا عبد الشجر ، والحجر فهي آلهةٌ عندهم ، فحينئذٍ نقول : في الخارج كما هو الشأن في الذهن له أفرادٌ مشتركة بين الحق والباطل ، وكذلك هو في الخارج ، وسماها الله تعالى آلهةً وهم اعترفوا بذلك (**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً**) ، إذًا : هذه عقيدة المشركين ، ما هي عقيدة المشركين ؟

كما نقول : - اعتقاد أهل السنة والجماعة - نقول : اعتقاد المشركين يتلخص في أمور :

الأول : الاعتراف لله تعالى بالخلق والتدبير وسائر أفعاله العامة .

ثانيًا : الاعتراف بأن آلهتهم - معبوداتهم - لا تخلق ، ولا ترزق ، ولا تنفع ، ولا تضر . لا تنفع ، ولا تضر ، ولا تخلق ، ولا ترزق .

ثالثاً : اتخذوها وسائط عند الله تعالى في قضاء الحوائج فصرفوا لها من العبادات التي لا يستحقها إلا الله عز وجل .

أولاً : ماذا ؟ اعتراف لله بالخلق ، والرزق ، وسائر أفعاله جل وعلا .

ثانيًا : اعترفوا بأن آلهتهم لا تملك ذلك ، نفوها ، نفوا عنها ملك النفع ، والضر ، والخلق ، والرزق ، والتدبير .

ثالثًا : جعلوا وسائط فقط ، جعلوا وسائط بينهم وبين الله تعالى ترفع لهم الحوائج ، وترفع لهم طِلباتهم ، وسُؤلاتهم إلى الله عز وجل لقربهم من الله أرادوا منها الشفاعة أن ترفع هذه الطِّلْبات إلى الرب جل وعلا لقربهم منه سبحانه ، وهذه الواسطة يتقبلها ، حينئذٍ يجيب من سأل ، ويعطي من سأل . وهذا هو الشرك ، هذا هو حقيقة الشرك ، اتخذوها وسائط عند الله تعالى في قضاء الحوائج فصرفوا لها أنواعًا من العبادات التي لا يستحقها إلا الله تعالى .

فنأخذ من هذا أنهم يثبتون الإلهية لله تعالى ، وذاك نصٌ في حديث حصين قبل إسلامه « **كم تعبد** » ؟ قال : سبعة : إلهٌ في السماء . إذًا هو إله وهذا فردٌ من أفراد المشركين قبل إسلامه ، إلهٌ في السماء وستةٌ في الأرض . إذًا : شركهم هو تعدد الآلهة ، تعدد الآلهة ، أراد الله عز وجل أن يوحدوه هو سبحانه بالعباد ، إذًا : يثبتون الإلهية لله تعالى وأثبتوها للآلهة تبعًا لا استقلالاً فتُعبد تبعًا لا استقلالاً .

(**وأبى عن الإقرار به المشركون**) هذا هو التوحيد الذي رفضه وأبى المشركون الأولون أن يقروا به لفظًا ، هم علموا معناه وعلموا مدلول لا إله إلا الله ؛ أنه لا معبود بحقٍ إلا الله ، لكن لأن لا يجمعوا بين التناقض بين أن يقولوا لا إله إلا الله الآلهة التي يتوجهون إليها بالعبادات باطلة من أصلها ، ثم يفعلون الشرك بها ويتقربون ، أَبَوْا عن التناقض ، بخلاف المتأخرين يقول : لا إله إلا الله . يعني : لا معبود بحقٍ إلا الله ، ثم بعد ذلك يُشركون به جل وعلا .

وهذا هو التوحيد (**وهذا التوحيد**) الذي هو توحيد العبادة ، (**هو معنى قولك : لا إله إلا الله**) ثم ثلاثة أمور :

كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، لا معبود بحقٍ إلا الله ، كلمة التوحيد هي لا إله إلا الله ، وليست هي لا حول ولا قوة إلا الله ، وليست هي الله أكبر ، أو سبحان الله بحمده ، أو وسبحان العظيم ، إنما نعين كلمة التوحيد هي لا إله إلا الله ، وهذا محل وفاقٍ بين المتكلمين مع السلف اتفقوا على هذا ، على أن كلمة التوحيد هي : لا إله إلا الله . وأن لا إله إلا الله هي : كلمةُ التوحيد . لكن ما معنى لا إله إلا الله ؟ السلف بإجماعهم أن معنى لا إله إلا الله يعني : لا معبود بحق إلا الله . وأما هم قالوا : لا قادر على الاختراع إلا الله . فحرفوا المعنى فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا ؛ وسبب هذا الخلاف والنظر فيه هذا سيأتينا في الدرس القادم إن شاء الله تعالى . والله أعلم .

وصلَّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أسئلة :

- يقول : لماذا نُصِبَتْ ودًّا وسواعًا في أول الكتاب مع أنها معطوفة على مجرور ؟

: وين مجرور ، لا تُقَدِّر له أعني (**لما غلوا في الصالحين ودًّا**) يعني أعني (**ودًا وسواعًا**) ما فيه بأس ، لأن هذا حققه على [خمس نسخ][16] تسع نسخ .

- ألا يكون معنى قوله تعالى : (**كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ**) [سبأ : 41] . أي : الملائكة ؟

: لا ، كيف من الذي يجيبهم من الذي يغيثهم ، ليست الملائكة .

- هذا يقول : ضعفت الهمم وقلت الحيل . ولا إيش فنرجو .

: أي ، ننصح طالب العلم لا يتخذ أحد من الأحياء قدوة عمومًا في طلب العلم ارجع إلى تراجم أهل العلم ، فانظر كيف طلب ابن تيمية ، وقبله الشافعي ، والإمام أحمد ، ولَمَّا وجدت المتون حينئذٍ تنظر كيف قرأ ابن تيمية ، ماذا قرأ ابن القيم ، ابن حجر هؤلاء الأعلام الشوكاني رحمه الله تعالى ، والصنعاني ، وابن عثيمين هؤلاء أئمة جمعوا بين العلوم ، هذا مَفْرِق يضل فيه بعض الطلاب ، جمعوا بين العلوم لا بد أن تضع تحتها خمس خطوط من أجل أن تضبطها ، أما تأخذ فن واحد ثم أنت من أجهل الناس في بقية الفنون هذا عندهم - وإن كان لا يسلمون به الآن - عندهم ليس من أهل العلم في شيء ، حتى في علمه هو ليس بحجة ، لأنه يعتبر مثقف يأتي ليل نهار يقول أنه فقيه ، ثم لا يدري عن الأصول ولا اللغة هذا ما يعرف له نظير أبدًا في المتقدمين ، ما يعرف ولا تجد أحد ، ولذلك الغريب أنكم أنتم حتى تقولون فلان رجحه فلان ورجحه فلان ... إلى آخره ، وقال ابن تيمية وقال ابن القيم وهذا ذكره السيوطي في ... ... إلى آخره ، هؤلاء الذين تستشهد بهم ما هي صفاتهم ؟

هل اختصوا بعلم واحد دون بقيت العلوم ؟

ما .. ، أعطوني واحد فقط من هؤلاء الذين يُشار إليهم بنان في العلم ، ما هو أي واحد تلتقطه في سير أعلام النبلاء وتأتيني ، لا ، ائت بشخص يشار إليه بالعلم والتصنيف والتحقيقات و.. إلى آخره ثم يكون متخصص في مثل الموجود الآن ، هذا ليس له نظير أعطيكم سنة ائتوني بشخص واحد يُشار إليه بالعلم ، نعم ابن حجر محدث لكن كيف محدث جاء ؟ أول ما بدأ الطلب مسك الحديث وهي طريق مسك مطار علمي شمال ، لا ، يأخذون من كل فنٍ أحسنه أصوله ومتمماته بحيث يستطيع أن يدرس هذا الفن ، بحيث يستطيع أن يؤلف في هذا الفن ، عنده قدرة الآن الفقيه ما يستطيع أن يُدَرِّس ((**البيقونية**)) ولا ((**الآجرومية**)) ولا ((**الورقات**)) يستحي يفر منها يعجز ، هو يقول : ما في وقت والأمر . لكن في الحقيقة أنه ما يستطيع لأنه لو شرحها لانفضح ، يُخَلِّط صحيح ، فكونه يأتيك يقول : أنا محدث . ويدرس ((**البيقونية**)) و((**النخبة**)) و((**التدريب**)) و.. إلى آخره ، ثم لا شيء من الحديث البتة ، فقه الحديث الذي هو الأصل نحن نقول مثلاً الاشتغال بالسند طيب هذا جيد ما فيه بأس حتى يعرف الطالب كيف يستطيع أن يصل إلى حكم أهل العلم في هذا السند ، فيتعرف ويكون عنده ملكة نوعًا ما في البحث فيه لكن يبقى مسألة ماذا ؟

فقه الحديث ، والأحاديث الصحيحة الثابتة في البخاري ومسلم غير المنتقدة هذه تحتاج إلى عمر حتى تتفقه فيها ، ولا يمكن أن تتفقه فيها إلا إذا عرفت أصول الاستنباط ، وهذا معروف له طريق عند أهل العلم ، لا تؤخذ من دكتور ولا من غيره ، وإنما تنظر إلى أهل العلم كيف سلكوا فحينئذٍ تسلك مثل ما مسلكهم ، وحذاري حذاري أن تأتيك هذه الجرثومة التَّخَصُّص تقول ابن حجر تخصص في الحديث والشوكاني له في الحديث والفقه ... إلى آخره ، وابن تيمية في التفسير والحديث والعقيدة .. كيف وصلوا ؟ أخذوا مشوا مع العلوم كلها ، يدرسون في كل فن ، ثم الفن الذي تميل إليه نفسه يُحِبُّه أكثر هذا أمر فطري كل واحد عنده فن يحبه كثير ، يحب يقرأ فيه أكثر يحب أن يبحث فيه أكثر ، يؤلف يُدَرِّس .. إلى آخره حينئذٍ هذا هو إذا اشتغل بهذا الفن أجاد فيه أكثر من غيره ، لكن هل إجادته في هذا الفن تنفي عنه العلم بسائر الفنون ؟ لا ، لكن هذا معنى التخصص عندهم ، وليس هو التخصص الموجود الآن ، ما يدري إلا يدرس الروض المربع في الجامعة وغالبهم من الجامعة ، الروض المربع في الجامعة يأخذ في المستوى الأول الطهارة وهو إلى نهاية العبادات ، ثم الباقي محذوف ، ثم يأتي البيوع ويأخذ تعريف البيع والخيار الشرطي له والباقي محذوف ، يعني : إذا درسنا في الجامعة ((**هداية الراغب**)) ما أدري يمكن مائة صفحة ما أخذناها من الكتاب كلها محذوف ، اقرءوها أنتم ويأتيكم السؤال عنها في الاختبار ، هذا علم **؟!**

---

(16) سبق .

هذا لا علم ، ليس بعلم يا إخوان لا أحد يلبس عليكم ، نقول : هذا ليس من العلم في شيء ، ثم إذا درس انتهى من الجامعة بكالوريوس تقدير امتياز مرتبة الشرف إلى آخره ، وكلها خمسين درجة وتسعين درجة ليلة اختباره ذاكر المذكرات ستة عشر صفحة أو نحو ذلك ، ثم وصل إلى الماجستير في أي شيء ؟

نواقض الوضوء فقد الفقه كله ثم يأخذ مثلاً في الدكتوراه المعاملات المصرفية ونحو ذلك ، الفقه كله يُتْرَك ويبحث بعض المسائل ثم يأخذ عليها ماجستير ودكتوراه ، ثم جلس وقالوا : الفقيه فلان . هذا هو الموجود الآن ، المعذرة بعضكم قد لا يتقبل هذا الكلام ولا هم لكن هذا حقيقة ، لماذا أصرح بهذا ؟

لأنهم حقيقة أفسدوا المنهجية على الطلاب ، تجد طالب متأثر ببعض الدكاترة فإذا به تحفظ نسخة زائدة ، يشطب لك هذا ، لا تقرأ حتى مرة سألني أحد المشايخ قديم من الدكاترة وكنت أدرس الفرائض ، قال لي : تدرس فرائض ؟ قلت : نعم . من متى ؟ قلت : لي ستة أشهر . أعوذ بالله تقرأ ، ليكون تقرأ قول أبو حنيفة ومالك والشافعي ؟ قلت : إيش أقرأ أجل ، أمي جدتي ؟ اقرأ من ؟ قول أبي حنيفة ومالك والشافعي . قال : هذا ضياع وقت . أنت تأخذ الخلاصة فقط الذي هو ((**الرحابية**)) أو ((**العمدة**)) ثم أنت بعد ذلك تتطور . قلت : لا ، هذا ما بصحيح ، هذا ليس بمنهج ، ولذلك أضروا فأفسدوا الطلاب صحيح ، وسمعت لبعض المحاضرات في المنهجية وبعضهم كذا .. إلى آخره ، حتى بعضهم يقول : دراسة الفرائض هذه تضيع وقت . هكذا يقول : ضياع وقت . قلت لبعض المشايخ قال : هذا يجب أن يُعَذَّر . لِمَ ضياع وقت ؟ قال : الآن بزر انتهى تضع المسألة في كمبيوتر بدل من أن تجلس سنة كاملة وتحفظ ((**ألفية الفرائض**)) ، و((**العذب الفائض**)) وتدوخ رأسك وتترك الواقع والدعوة إلى الله عز وجل وتضيع الأمة وأنت تجلس تقرأ فرائض ، هذا ليس من فقه الأولويات ، صحيح فقه الأولويات أن تبدأ بواقعك وبالدعوة إلى الله عز وجل ، ثم بعد ذلك تنظر في هذه المسائل ، هذا كله من التخليط لأنهم ما عرفوا العلم الصحيح ، وما عرفوا الدعوة إلى الله عز وجل ، الدعوة الصحيحة السلفية ، وما عرفوا كيف يُوصَل إلى العلم الصحيح ، فضلوا في أنفسهم أخذوا علم وعلمين وكتاب وكتابين وجلسوا يدرسون عليه والشيخ فلان وفضيلة الدكتور أستاذ مساعد ومشاهد ، وبرفيسور الآن .

طيب ، جزاكم الله خير يا إخوان ، استعينوا بالله واصبروا العلم يحتاج إلى رجال يعني : ترتب وقتك وتأخذ من كل علم أحسنه ألفية فقط لا تكثر ، ألفية تأخذ في النحو ((**ألفية ابن مالك**)) ، وفي الصرف تأخذ ((**ألفية النيساري**)) أو نفس النثر ((**الشافية**)) ، وحاشية أو شرح الجاربردي ، وفي البلاغة لا تكثر أيضًا ((**عقود الجمان**)) فقط ، وفي المصطلح أيضًا ((**ألفية**)) السيوطي أو العراقي فقط لا تكثر ، ثم إذا أخذت هذه المتون كل متن سنة واحدة ، خمس تريد أن تأخذ العلم وأنت ماكث في بيتك ؟ لا ، كل علم من هذه إذا أخذت ألفية وحفظتها ودرستها لو مع نفسك حتى تأتي إلى وقتها أو تجد من يدرسك سنة واحدة ، كل يوم ثلاثة أبيات تنتهي من ألفية في عشرة أشهر تقريبًا ، ورمضان والحج خذه إجازة ، سنة كاملة تحفظ ألفية ، خمس سنين تحفظ خمس ألفيات انتهيت علوم الآلة انتهيت منها خلاص ، مع المقدمات التي معك ((**الورقات**)) مثلاً و ((**الآجرومية**)) مثلاً أو ((**الملحة**)) ومع ((**النخبة**)) أو ((**البيقونية**)) ونحو ذلك كل هذه تعتبر الوسيلة إلى إتقان هذه المتون المطولة ، خمس سنين فإذا بك أنت مجيد لهذه العلوم ، بعدها تخصص ، انظر أي فن أنت ترتاح إليه وتحبه وله مكانة عندك ، وسر على بركة الله عز وجل ، لخص واختصر وألف وأكثر من التدريس ، لأنه ما يمكن ما تصور في ذهني وأحاول أن أغالط نفسي ما استطعت ، أنه يوجد مفسر وليس بفقيه وليس بلغوي ولا أصولي ، يمكن يجلس يفسر كلام الله عز وجل أليس آلة تفسير العظمى هي لغة العرب ؟

أليس لغة العرب هي النحو والصرف والبلاغة ؟

إذا ما أتقن كيف يفسر ؟

هذا يكذب على الله عز وجل ، أو يكون مقلد . قال ابن كثير ، وقال البغوي .. إلى آخره ، لكن ما يدري إيش يقرأ ، ولا يعرف وجه الترجيح ، تأتيه قراءات تأتي مسائل يُخْتَلَف فيها في النحو في الإعراب في الصرف في البيان في البلاغة ، الآن يشبعون الكلام في الرد على المجازيين ، قلة من يفهم ممن يرد المجاز ، يعني : سمعت بعضهم ممن يرد المجاز بقوة وقد يطعن في القائلين به والله إنه يُخَلِّط ، والله ما هو فاهم ما هو المتفق عليه بينهم وما هو المختلف فيه ، فكيف أنت ترد المجاز وأنت ما عرفت المجاز ، ادرسه دراسة موسعة ، وانظر هذا الذي يدعيه البيانيون في لسان العرب وفي القرآن هل يمنع منه أو لا ؟

ثم انظر المسألة بعد ذلك من حيث القبول والرد ، أما ترد شيء وأنت ما تدري عنه ، أو ما هو متصور عندك ، يأخذ تعريف المجاز الاستعمال اللفظي في غير موضعه .. وانتهى ورد المجاز ، المجاز علم كامل أُلِّف فيه رسائل وأُلِّف فيه كذا استعمال اللفظ في غير موضعه هذا إيش الدليل الذي استعمله ؟ هكذا من رأسك ، هكذا الأمور تُهَدّ ؟ لا ، يحتاج أنه ينظر فيه ، كذلك تأتيه آيات أحكام (**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ**) [البقرة : 228] إيش يعرف هذا ، إذا جيء قروء هنا لفظ مشترك ما القاعدة في اللفظ المشترك ؟ قاعدة أصولية نحتاج المطلقات هذا عام تخصيص والتقييد كلها العلوم يخدم بعضها بعض ، لا يتصور أن يكون فقيه طبعًا إذا كان يريد أن يكون فقيه أو مفسر أو نحو ذلك مقلد ؟! هذا هو شأنه ، لكن الموجود الآن ليس المقلدين كلهم مجتهدون ، من أجهل الناس يظهر على فضائيات ويتكلم في كل من ماره ، ومن كل مكان أسئلة من باريس من ألمانيا ، تقول : من هذا ابن تيمية ؟ الذي يرد مباشرة دون أن.. ، كانوا في القديم ليس عندهم هذا الاتصال المباشر كان يكتب الورقة الرقعة ثم يذهب إلى بيته فيجيب عليها في البيت ويتأمل وينظر .

الدرس السادس
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :
وقفنا عند قول المصنف رحمه الله تعالى :
(**وهذا التوحيد هو معنى قولك : لا إله إلا الله**) ، (**وهذا التوحيد**) الذي هو توحيد العبادة ، لأنه قرر أن المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ كانوا مُقِرِّين أن الله تعالى وحده هو الخالق ، وأن الله تعالى وحده هو الرازق ، وأن الله تعالى وحده هو المدبر المتصرف من بيده ملكوت كل شيء ، وكانوا مع ذلك يجعلون بعض العبادات لغير الله تعالى ، فلما قاتلهم النبي ﷺ مع إقرارهم لتوحيد الربوبية وعدم الإتيان بتوحيد العبادة ، وهو أن يكون الدعاء كله لله ، وسائر جميع أنواع العبادة كلها لله ، حينئذٍ يتبين أن النزاع بين الرسل وأقوامهم هو في توحيد العبادة هو توحيد الإلوهية ، وأنهم مقرون بتوحيد الربوبية ، وأن الله تعالى منفردٌ بصفة الخلق ونحو ذلك ، فإذا تقرر ذلك ، قال رحمه الله تعالى : النبي ﷺ (**أحل دماءهم وأموالهم**) وأُمِرَ بقوله تعالى : (**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ**) [البقرة : 193] . هذا بتركهم توحيد العبادة .
إذًا الذي جحدوه هو إفراد الله تعالى بالعبادة ، والذي أقروا به هو إفراد الله تعالى بأفعاله ، إذًا وَحَّدُوا ولم يُوَحِّدُوا ، وإطلاق التوحيد عليهم بكونه أتوا بتوحيد الربوبية هذا ثابت ولذلك قال تعالى : (**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**) [يوسف : 106] . فدل على أنهم يوصفون بصفة الإيمان ، وأنهم موحدون ، لكن وحدوا الله تعالى بأفعاله هو ، ولم يوحدوه بأفعالهم هم ، بخلاف الموحد المسلم الذي جمع بين التوحيديين ، وحَّد الله تعالى بأفعاله هو وبأفعال الله تعالى ، بأفعاله هو يعني : الْمُوَحِّد بأن لم يصرف العبادة إلا لله تعالى وحده ، وكذلك اجتمع مع المشرك في كون كلٍ منهما يرتضون بأن الله تعالى هو الخالق وأنه الرازق المدبر ونحو ذلك من مفردات التوحيد .
قال رحمه الله : (**وهذا التوحيد**) الذي هو توحيد العبادة (**هو معنى قولك : لا إله إلا الله**) ، (**لا إله إلا الله**) قلنا : عندنا ثلاثة أشياء :
كلمة التوحيد .
وعندنا قول : (**لا إله إلا الله**) .
وعندنا معنى (**لا إله إلا الله**) .
كلمة التوحيد ، وقول : (**لا إله إلا الله**) ، ومعنى (**لا إله إلا الله**) .
(**لا إله إلا الله**) معناها لا معبود بحقٍ إلا الله تعالى ، هذا المعنى هو الذي حصل فيه النزاع بين السلف وبين الخلف ، بين السلف وبين المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والصوفية القُبورية وغيرهم هذا المعنى مع اتفاقهم في ماذا ؟ في أن كلمة التوحيد هي لا إله إلا الله ، يعني ليست هي لا حول ولا قوة إلا بالله ، إذا قيل كلمة التوحيد فلا ينصرف الذهن إلى سبحان الله وبحمده ، أو سبحان الله العظيم ، هذه كلمة ، وهذه كلمة ، لكن إذا أطلقت كلمة التوحيد انصرفت إلى لا إله إلا الله ، ما الدليل نحتاج إلى دليل ؟ في كون كلمة التوحيد هي : لا إله إلا الله . ونحتاج إلى إثبات أن لا إله إلا الله المراد بها لا معبود بحقٍ إلا الله ، حينئذٍ نحتاج إلى مسألتين :
مسألة في إثبات أن كلمة التوحيد هي : لا إله إلا الله . وهذا متفق عليه بين السلف وبين المتكلمين ، وأقصد بالمتكلمين الأشاعرة والماتريدية والصوفية وغيرهم .
وأما المعنى فهذا الذي وقع فيه النزاع ، فالتوحيد الذي أرسل الله به الرسل هو توحيد العبادة ، وهذا قررناه وأنه مجمعٌ عليه بين السلف ، وإن أنكر أو نازع الخلف فلا عبرة بهم ، لأنهم إنما أوتوا من قبل تعلقهم بغير الكتاب والسنة ، تعلقوا بغير الكتاب والسنة - بمعنى : أنهم أرادوا الاعتقاد وأصول الدين أخذوها من العقل ، وجعلوا العقل مقدمًا على النقل وطعنوا في النقل ، وقالوا : هو لا يفيد القطع كما هو معلومٌ في محله - .
كلمة التوحيد هي قول : لا إله إلا الله . وهذا قلنا متفقٌ عليه ، وأما تفسيرها فهو الذي وقع فيه النزاع عند المتأخرين ، وأما السلف فهو مجمعٌ أيضًا على أن معنى لا إله إلا الله هو لا معبود بحقٍ إلا الله .

والدليل على أن كلمة التوحيد هي قول : لا إله إلا الله . ثَمّ أحاديث وردت أطلقت تارةً بالشهادة شهادة أن لا إله إلا الله ، وتارةً بإطلاق لفظ التوحيد إلى أن يوحدوا الله فأهل بالتوحيد ونحو ذلك ، فجاء حديث معاذ المشهور لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن قال : « **إنك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله** » . إذًا لا إله إلا الله شهادة هي أول ما يُدْعَى إليه الناس ، هذا جاء في البخاري ومتفق عليه ، وجاء في روايةٍ أخرى عند البخاري أيضًا : « **فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى** » . حديث وهو عند البخاري ، جاء في لفظٍ : « **إلى شهادة أن لا إله إلا الله** » . وجاء في لفظٍ آخر : « **إلى أن يوحدوا الله تعالى** » . وجاء في لفظٍ ثالث أيضًا عند البخاري رواية ثالثة : « **فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله تعالى** » . هذه ثلاث روايات إن كان الناطق به النبي ﷺ حينئذٍ : يكون إطلاق لفظ التوحيد هذا جاء من جهة النبي ﷺ فلا إشكال فيه ، لكن هذا يَبْعُد لأن القصة واحدة حينئذٍ يكون التصرف من الصحابة ، فإذا كان التصرف من الصحابة وهو الظاهر من الروايات لأن القصة واحدة غير متعددة ، حينئذٍ نقول : فهم الصحابة التوحيد من شهادة أن لا إله إلا الله ، وإذا عبروا بشهادة أن لا إله إلا الله إنما عَنَوْا التوحيد ، وإذا عبروا بالتوحيد إنما عَنَوْا شهادة لا إله إلا الله ، وإذا عبروا بواحدٍ من هذين : إنما أرادوا به عبادة الله وحده دون ما سواه ، وهذا أمرٌ متفقٌ عليه بين الصحابة لم يَرِدْ منازعٌ في هذا المعنى فصار حجةً قاطعة بأن شهادة أن لا إله إلا الله هي التوحيد ، وأن التوحيد هو عبادة الله تعالى ، فهذه الروايات كلها صحيحة ، وكلها مرتبطة من جهة المعنى ، فإما أن يكون القائل هو النبي ﷺ وهذا جوزه بعضهم ، وإما أن يكون فهمًا من الصحابة وفهومهم في هذه المسائل حجة قاطعة لا شك في ذلك ، حينئذٍ : يكون معنى لا إله إلا الله هو التوحيد والتوحيد هو : لا إله إلا الله .

وجاء في حديث آخر روايته عند مسلم وقال : « **لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله** » . : « **من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه وحسابه على الله** » . في روايةٍ عند مسلم : « **من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله** » . « **من قال : لا إله إلا الله** » . رواية أخرى : « **من وحد الله تعالى وكفر بما يعبد من دون الله** » . حينئذٍ أطلق التوحيد على قول : لا إله إلا الله ، ويقال فيه ما قيل في السابق : أن يكون الناطق هو النبي ﷺ فيصير حجةً في اللفظين ، وأن يكون الناطق بذلك الصحابة صوغوا إطلاق التوحيد على لا إله إلا الله ، والعكس بالعكس .

وجاء في حديث جابر المشهور في المناسك : « **فأهل بالتوحيد** » . هذا تصريحٌ بالمصدر في ما سبق وحد الله ، يُوَحِّدوا الله ، هذا اللفظ لو ثبت لوحده يكفي أن يطلق المصدر مرادًا به معنى : لا إله إلا الله ، لماذا ؟ لأنهم إذا اشتقوا الفعل المضارع والفعل الماضي إذا تلفظوا به حينئذٍ أرادوا به ما اشْتُقَّ منه ذلك اللفظ ، هذه قاعدة العرب ، فيستدل بالروايتين السابقتين : « **من وحد الله** » . على إطلاق لفظ التوحيد على معنى إفراد الله تعالى بالعبادة ، وكذلك إلى أن يوحدوا الله بالفعل المضارع يستدل به على أن لفظ التوحيد الذي اشتق منه الواحد يصح إطلاقه على إفراد الله تعالى بالعبادة ، جاء مصرحًا بذلك في قول جابر : « **فأهل بالتوحيد** » . والمراد به : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك . هذا فيه توحيد وإثبات الربوبية للرب جل وعلا ، وأخبرنا الرب سبحانه : أن جميع الرسل قد دعوا إلى لا إله إلا الله . هذا أمرٌ متفق عليه أن الرسل كلهم اتفقوا على الدعوة إلى لا إله إلا الله وفسرها في القرآن كذلك .

قال تعالى : (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**) [الأنبياء : 25] ، (**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**) ، (**أَنَا**) هذا مكان لفظ الجلالة الله (**فَاعْبُدُونِ**) أي : لا تعبدوا غيري ، دل ذلك على أن معنى قوله : (**أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**) أي : لا معبود إلا أنا (**فَاعْبُدُونِ**) أي : فاعبدوني ولا تشركوا بي غيري ، ولا تعبدوا غيري ، وجاءت مفسرةً كذلك في قوله جل وعلا : (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**) [النحل : 36] هنا قال : (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**) ، وقال في الآية الأخرى : (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً**) أيضًا : بلا إله إلا الله ، ولكن جاء هنا بالمعنى دون اللفظ (**أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ**) هذا مقابل لقوله : إلا الله ، (**وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**) هذا مقابل لقوله لا إله ، فجاءت مفسرة في القرآن وهذا كله محل إجماع بين السلف الصالح ليس بينهم خلاف ، وإنما تذكر المسألة من أجل الرد على المخالف .

كذلك جاء قوله تعالى : (**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ**) [هود : 1 ،2] . هذا مقابلٌ لقوله : لا إله إلا الله ، والرسل كذلك كانوا يأتون أقوامهم فيقولون : (**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ**

غَيْرُهُ) [المؤمنون : 32] . وفهم منه المخالفون لأقوامهم أنهم أرادوا نبذ جميع المعبودات التي تعبد مع الله تعالى ، ولذلك قالوا لهود : (أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) [الأعراف : 70] ، هذه كلها متفقة من جهة اللفظ ومتفقة من جهة المعنى ، ومن جهة فهوم الصحابة كلهم والتابعين إلى يومنا هذا تجد السلفي في عقيدته يفهم التوحيد على فهم الصحابة وفهم السلف الصالح لا خلاف بينهم في هذه المفرادات ، وأما المخالفون وأقصد بهم المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية ، وسبق التنبيه إلى أن ((**كشف الشبهات**)) ما ليس موجهًا للعوام أصالةً ، ليس موجهًا للعوام ، والشبه التي أوردها المخالف إنما هو ممن له قدمٌ في العلم باعتباره هو ، فحينئذٍ إذا أُورَدْت هذه الشبه نقول : لها منطلق . يعني : منطلقة من ماذا ؟ من عقيدة ، انطلقت من ماذا ؟ من عقيدة ، هذه الشبه التي أوردوها على الشيخ رحمه الله تعالى في تسويغ عبادة غير الله تعالى ، إنما استندوا إلى ما ظنوا أنه علمٌ وأنه من الشرع ، فحينئذٍ لا بد من معرفة التوحيد الذي استند إليه أولئك المخالفون ، وسبق معنا مرارًا أن التوحيد لفظٌ شرعي ، وأن له معنًى شرعيًا ، وهذه ينبغي أن يعض عليها طالب العلم بالنواجذ ، الألفاظ الشرعية التي جاء تفسيرها في الشرع لا يحل لك أن تُبْدِلَ اللفظ بلفظٍ آخر ، ولا أن تبدل المعنى مع الإثبات اللفظ بمعنًى آخر - يعني : قد يُثْبِتُ اللفظ الشرعي ولكن يحرفه من جهة المعنى - كما أنه قد يثبت الاستواء يقول : نعم ، ونصف الله تعالى بالاستواء (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه : 5] حينئذٍ يثبت اللفظ استوى ، ولكن من جهة المعنى يثبته على فهم السلف الصالح ، فنقول : علو خاص يليق بالرب جل وعلا ، لكن قد يثبته المخالف ثم يحرف من جهة المعنى ، وافق معنا في ماذا ؟ في إثبات اللفظ ، وفي صفة الرب جل وعلا بالاستواء وإن كان في حقيقته نفيٌ له ، إذا حرفه فهو يستلزم النفي من جهة اللفظ ، لكن المراد أن يبين أن ثَمّ حقائق شرعية جاءت بألفاظٍ شرعية ، فالتوحيد ثبت أن النبي ﷺ تكلم به هو أو الصحابة ، وإذا تكلم به الصحابة صار معروفًا عندهم هذا اللفظ ، وأطلقوه على معنًى خاص ليس على أي معنى حينئذٍ إذا قلنا التوحيد : نعم الرب جل وعلا أمر بالتوحيد ، وأعظم ما يؤمر به التوحيد . نقول : ما معنى التوحيد ؟ ماذا تفهم من هذا اللفظ ؟ فحينئذٍ قد يكون موافقًا للحق ، وقد يكون مخالفًا للحق ، فثَمّ لفظ شرعي يجب إثباته ، وثَمّ بحثٌ في الشرع هل أطلق الشارع الشرع هذا اللفظ على معنًى خاص أم أنه باجتهاد المجتهد ؟

نقول : لا ، أطلقه على معنًى خاص حينئذٍ لا بد من التدليل على إثبات اللفظ وقد أثبتناه ، ولا بد من التدليل على إثبات المعنى وقد أثبتناه ، وهذا محل وفاقٍ بين السلف ، يبقى ماذا ؟

يبقى أن التوحيد عند المخالفين له معنًى مغاير لمعنى التوحيد توحيد العبادة عند السلف ، ولذلك نأخذ مثالاً للأشاعرة والماتريدية ، التوحيد عندهم مأخوذ من الواحد وهو اسمٌ للرب جل وعلا : (وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) [الرعد : 16] كذلك ثبت اسمه الأحد (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) [الإخلاص : 1] الواحد هو الشيء الذي لا يصح انقسامه ، وحتى في التعبير والتفسير له مفهومٌ خاص ، وهم يستندون دائمًا إلى الأدلة العقلية ، الشيء الواحد هو الشيء الذي لا يصح انقسامه ، إذ لا تَقْبَلُ ذاته القسمة بوجهٍ ، ولا تَقْبَلُ الشركةَ بوجهٍ ، يعني : لا ينقسم ولا يشاركه غيره في إثبات الذات ، وهذا مرده إلى توحيد المعرفة والإثبات ، سبق أن التوحيد قسمان :

توحيدٌ في المعرفة والإثبات ، وهذا ينطوي تحته قسمان :

توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

وتوحيد الربوبية ينطوي تحته إثبات ذات الرب جل وعلا ، حينئذٍ كل كلامٍ يتعلق بالذات الرب جل وعلا فمرده إلى توحيد الربوبية ، فإذا قيل : يثبت ذات لا تقبل الانقسام ، التعبير هذا لم يردْ عن السلف ، كذلك يثبت ذاتًا لا تقبل الشركة لا تقبل - يعني : نفي التعدد - فالباري تعالى واحدٌ في ذاته لا قسيم له ، واحدٌ في ذاته : هذا هو التوحيد عندهم : واحدٌ في ذاته لا قسيم له ، وواحدٌ في صفاته لا شبيه له ، واحدٌ في أفعاله لا شريك له . هذه ثلاثة أجزاء مشهورةٌ عند الأشاعرة ومثلهم الماتريدية والصوفية وغيرهم ، فأثبتوا أن الرب جل وعلا يُوَحَّدُ في ثلاثة أشياء لأن التوحيد مأخوذٌ من الواحد ، والواحد هو الإنفراد هذا وافقنا معهم في إثبات اللفظ ، لكن ما المراد به ؟ قالوا : واحدٌ في ذاته لا قسيم له ، وواحدٌ في صفاته لا شبيه له ، وواحدٌ في أفعاله لا شريك له . هذه ثلاثة أجزاء ، هل خرجت عن القسم الأول توحيد المعرفة والإثبات ؟ كلها داخلة تحت النوعين توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، هل عندهم جزءٌ رابع ؟ لا ، ليس عندهم جزء رابع هي ثلاثة أجزاء وكلها متعلقة بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، أين القسم الثاني الذي هو توحيد الطلب والقصد أو التوحيد العملي أو توحيد الإلوهية ليس عندهم توحيدٌ

ثاني ، أو ثالث البتة ، وإنما يرون أن توحيد الربوبية هو عينه توحيد الإلوهية ، وتوحيد الإلوهية هو عين توحيد الربوبية ، وأن معنى الرب هو معنى الإله ، ومعنى الإله هو معنى الرب ، فهما مترادفان غير متغيرين .

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : معلقًا على هذه المقولة وهي مشهورة في كتبهم كبار الأشاعرة وغيرهم ، وقد يقتبسها بعض من لا يدري كلام الأشاعرة فيظن أن هذا هو توحيد وليس بصواب . قال رحمه الله : وأشهر الأجزاء عندهم هو الثالث . أشهر الأجزاء من الثلاثة هو الثالث وهو أن الله واحدٌ في أفعاله لا شريك له ، وهو توحيد الربوبية الذي نعنون له إفراد الله تعالى بأفعاله ، أنه لا شريك له في الخلق ولا في الرزق ولا في الملكوت ولا في التدبير والتصريف ونحو ذلك ، ولا في الإحياء والإماتة والإعطاء والمنع والنفع والضُّرّ . قال رحمه الله : وأشهر الأجزاء عندهم هو الثالث وهو توحيد الأفعال ، وهو أن خالق العالم واحد ، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمام ، لهم دليل يسمى دليل التمام وآية ، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب يعني : إثبات أن الله تعالى واحدٌ في أفعاله لا شريك له متصفٌ بصفة الخلق لا يُشْرَكُهُ أحدٌ من الخلق هذا هو الغاية في إثبات التوحيد وهذا هو المطلوب من البشر ، ما أرسل الرسل إلا من أجل أن يثبت الناس أن الله هو خالق العالم ، هذا هو التوحيد المطلوب عند الأشاعرة وأن هذا هو معنى قولنا : لا إله إلا الله .

لا إله إلا الله : لا قادر على الاختراع إلا الله ، ففسروا الإله بمعنًى يرده إلى معنى الربوبية ، لا إله إلا الله معناه أن الله تعالى هو الخالق حتى إنه يرون في معنى الإلهية أنها القدرة على الاختراع ، وهذا معنى الله عز وجل متصفٌ به لأنه الخالق ، والخلق هو الذي أوجد الشيء على غير مثالٍ سابق ، كما هو مقتضى اسم الباري والمصور ونحو ذلك ، لكن هل معنى الإله هو معنى القدرة على الاختراع ؟ هذا سيأتي بحثه والجواب : لا ، حتى إنهم يرون في معنى الإلهية أنها القدرة على الاختراع ومعلومٌ أن المشركين من العرب - هذا كلام شيخ الإسلام رحمه الله - ومعلوم هذا علم قطعي كما سبق بيانه أن المشركين أثبتوا توحيد الربوبية وأن هذا المعنى مجمعٌ عليه بين السلف لا خلاف فيه البتة ، وإن خالف فيه متأخرون من الأشاعرة ومن نحى نحوهم ، ومعلومٌ أن المشركين من العرب الذي بُعث إليهم محمدٌ ﷺ أولاً لم يكونوا يخالفونه في هذا ، ما خالفوا في أن الله تعالى هو خالق العالم وأنه لم يشركه أحد من الخلق ، بل كانوا يقرون بالقدر أيضًا ، وسبق أن القدر والقضاء أيضًا مرده إلى توحيد الربوبية ، وهم مع هذا مشركون ، وهم مع هذا الإقرار مشركون ، فإذا أثبت الأشاعرة أن الله تعالى أمر العباد بتوحيده وأرسل الرسل بلا إله إلا الله وأن المراد من لا إله إلا الله لا قادر على الاختراع إلا الله ، هل ثم فرقٌ بين هذا التوحيد وبين التوحيد الذي أقر به مشركو العرب وقاتلهم النبي ﷺ ؟

لا فرق بينهما ، فقد تبين أنه ليس في العالم من ينازع في أصل هذا الشرك ، بمعنى الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق هذا مجمعٌ عليه بين البشر العقلاء ، ولذلك لم ينكره على سبيل التأصيل إلا فرعون ، وهذا في الظاهر لا في الباطن ، أو على سبيل التشريك إلا المجوس الذين أثبتوا النور والظملة مع إثبات التفاوت بين النوعين ، الشاهد : أن خالق العالم لم ينكره أحدٌ يُعْتَدُّ به أبدًا ، وإنكار فرعون له إنما هو مكابرة وهو أمرٌ في الظاهر فحسب ، لأن الله تعالى لما حكى عنه أنه قال : (**فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**) [النازعات : 24] . ادعى الربوبية قال سبحانه : (**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً**) [الشعراء : 14] . إذًا : من باب الكبر فهو مكابرٌ وأظهر إنكار ربوبية الرب جل وعلا لكنه في باطنه مقرٌ بأن الله تعالى هو الخالق ، وأن الرب جل وعلا ربه وفرعون هو المربوب ، وعند الماتريدية تعريفٌ أيضًا موافقٌ في النتيجة لما سبق قالوا : التوحيد هو اعتقاد الوحدانية في الذات والصفات والأفعال ، يعني : منفردٌ في الذات لا يشركه أحد ، ومنفردٌ في الصفات لا يشبهه ولا يماثله أحد ، وكذلك في الأفعال لا شريك له ، أين توحيد العبادة ؟ أين توحيد الطلب والقصد ؟

لا وجود له عندهم البتة ، ولذلك شنَّوا الحملة على من قَسَّمَ التوحيد إلى ثلاثة أقسام لأننا إذا أثبتنا الفرق بين توحيد الإلوهية والربوبية خصموا ، ثم لا فرق بينهم وبين مشركي العرب الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذلك تجد الأشاعرة في هذا الزمن وفي غيره لا يُنكرون الشرك الأكبر : الذبح ، والطواف للقبور ، وعبادة الأوثان ، والنداء والاستغاثة ، ونحو ذلك ، هذه لا تُنكر لأنها لا تناقض التوحيد . هذه تجتمع مع التوحيد وإن أخطأ المخطئ في العبارة إلا أنه لا يخطئه التوحيد ، كما سيأتي في عبارة بعضهم ، وهذه عقيدة من ؟ عقيدة المشركين الذين إذا أرادوا الواسطة عند الله جل وعلا وأرادوا من يرفع حوائجهم ذبحوا لهذه المعبودات من أجل التوسط لهم عند الله تعالى فيقضي حوائجهم ويجيب دعاءهم ، نقول : هذا هو الشرك الذي حَذَّرَ منه النبي ﷺ وجاء بضده وهو التوحيد

توحيد العبادة أن لا يُعْبَد إلا الله جل وعلا ، إذًا : هذا التعريف اعتقاد الوحدانية في : الذات ، والصفات ، والأفعال . نقول : وهذا خالٍ عن توحيد العبادة كما هو واضحٌ والقول فيه كسابقه ، فالتوحيد عند المتكلمين من الأشاعرة ، والماتريدية ، والصوفية لا يخرجون عنهم ، وجماعة التبليغ على طريقتهم ، التوحيد عندهم اعتقادٌ فقط ، وليس له عمل ، لأننا قررنا أن النوعين متقابلان قلنا : توحيدٌ : قولي وهو : معرفة وإثبات . وتوحيدٌ : عملي . وعَبَّر بذلك ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وابن القيم : بأن التوحيد قوليٌ ، وهذا يندرج تحته نوعان : توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات . لأن مداره على الإثبات ، إثبات ذات الرب جل وعلا أسمائه الحسنى وصفاته العلى ، فدل أن مدار [هذا النوعين] [17] هذين النوعين هو : إثباتٌ محض . وأما توحيد القصد والطلب فهذا متعلقه : القول ، والعمل بالجوارح والأركان . فحينئذٍ : إذا حُصِرَ التوحيد في الاعتقاد فحسب ، حينئذٍ كل ما فعله من الأعمال الظاهرة من ذبح للقبور وطوافٍ بها ، ونذرٍ وسؤالها باللسان نداء ، إن فعل ذلك قالوا : يُسأل هل اعتقد فيها الخلق أم لا ؟ إن اعتقد حينئذٍ صار مشركًا لجمعه بين الأمرين : الذبح لغير الله ، والاعتقاد . وإلا بأن لم يعتقد فيها شيء فحينئذٍ صار عاصيًا فحسب وليس بمشركٍ شركًا أكبر ، ولذلك لا يُنكر الشرك عند الأشاعرة ، وتعجب أحيانًا عندما ترى القبور الآن في العالم تعجُّ بها غزاة وترى أربابها من أهل العلم المنتسبين للعلم يقرون هذه ... إن لم يكونوا مع العوام يطوفون بالقبور ويتوسلون يقرون الناس إذا سئلوا في هذه المسائل ويرون أن من كفرهم أو حكم بشركهم يعتبر من جماعة التكفير ونحو ذلك ، أو وهابي ، فحينئذٍ : إذا أقروا الناس العوام على هذا إقرارهم ليس منبعثًا عن أمرٍ هكذا بالهوى لا إنما هو لأصلٍ واعتقادٍ عندهم ، وهو : أن التوحيد شيءٌ اعتقادي وما هو هذا التوحيد ؟ واحدٌ في ذاته ، وواحدٌ في صفاته ، وواحدٌ في أفعاله لا شريك له . إن انتقضت هذه الأمور الثلاثة حكمنا عليه بأنه كافرٌ خارجٌ من الملة وأنه مشركٌ شرك أكبر ، وإن لم تنتقض هذه الأمور الثلاثة فافعل ما شئت من صرف العبادة لغير الله تعالى . وهذا عقيدة من ؟ عقيدة المشركين .

نخلص من هذا أن الأشاعرة ، والماتريدية ، وكذلك الصوفية ، إذا اختلفوا معنا في أصل معنى التوحيد ، والتوحيد هو : أصل الأصول وهو أعظم أمرٍ يميز المسلمين عن غيرهم أليس كذلك ؟ فإذا وقع النزاع بيننا وبينهم في هذه المسألة ورأينا أن توحيد العبادة الذي أرسل به المرسلون قاطبة أن يُفْرَدَ الله تعالى بالعبادة ، وهم جعلوا التوحيد الذي أرسل به المرسلون هو ما أقر به أولئك المشركين المتقدمين ، فحينئذٍ صار التخالف معهم والاختلاف معهم اختلاف تضاد ، أو تنوع ؟

اختلاف تضاد ، إذا كانوا كذلك هل نحكم عليهم بأنهم وخالفوا في هذا الأصل ولم يأتوا بتوحيدٍ يُدخل المرء من الكفر إلى الإسلام ، ومن الشرك الأكبر إلى الإسلام حينئذٍ : هل هم من أهل السنة والجماعة أو لا ؟

قطعًا لا ، من انطلق من هذه المسألة لا يمكن أن يجعل الأشاعرة والماتريدية والصوفية ونحوهم إن وقعوا في الشرك وفعلوه فهم مشركون ، وإن لم يكونوا كذلك فحينئذٍ نقول : الخلاف معهم خلافٌ جوهري ليست القضية أثبتوا سبع صفات فحسب ، لا ، الكلام في التوحيد توحيد العبادة الذي هو آكد من توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية ، فهذا الجوهر وهذا الفيصل بيننا وبينهم نقول : لا يمكن أن يُدْعَى إلى توحيد الصف مع الأشاعرة ، وأن يكونوا كلهم تحت لافتة واحدة أهل السنة والجماعة لماذا ؟

نختلف معهم قبل مسألة السبع صفات بعض الطلاب إذا قيل قالوا :

وله الحياة والكلام والبصر	سمعٌ إرادةٌ وعلمٌ واقتدر
بقدرة	....

الخلاف في هذه المسألة وانتهينا ، لا ، ما هو التوحيد عندهم ؟ ما هو التوحيد الذي أُرْسِلَ به الرسل ؟ ما معنى لا إله إلا الله ؟ تجد أنهم لا ينفكون عن المشركين الأولين الذين قاتلهم النبي ﷺ في فهم التوحيد ، وهذا أمرٌ خطير جدًا ، كيف يجوز أن يقال بأنهم من أهل السنة والجماعة .

إذًا : ما هي عقيدة المشركين على ما ذكرناه بالأمس ؟ أنهم يعتقدون أن الله تعالى هو الخالق المدبر ، وأنه لا شريك له في هذه الأفعال ، ثم اتخذوا وسائط بينهم وبين الله تعالى في قضاء الحاجات وتفريج القربات واغاثة

([17]) سبق .

اللهفات ، قد يقول قائل : نحن نُلَبِّث عليهم . وقد يكون هذا فهمٌ من عندنا نحن أن عقيدتهم هي ما ذكرناه نقول : لا ، هم يصرحون بهذا في كتبهم ، ويجعلون التوحيد المحض هو اعتقاد أن الله تعالى هو الخالق فقط ، وأنه إذا فعل ما فعل من صرف العبادات لغير الله تعالى حينئذٍ لا بد من الاستفصال فيُسأل هل اعتقدت مع ذبحك لغير الله يذبح لغير الله ويدعو الرسول ﷺ اغفر لي وأدخلني الجنة ، إن فعل ذلك حينئذٍ يُسأل ويستفصل هل تعتقد أن النبي ﷺ يخلق مع الله ، يملك مع الله النفع والضر ؟ إن قال : نعم ، فهو مشرك لهذا الاعتقاد ، فالشرك عندهم اعتقادي ، كما أن التوحيد اعتقادي ، وإن نفى ذلك قال : حاش وكلا ، بل الله جل وعلا هو الخالق ، وإنما أذبح لهذا المعبود من أجل أن يتوسط ويشفع عند الله تعالى في قضاء الحاجات وتفريج القربات . قالوا : ليس بشرك ، وهذا لا يمكن إخراجه من الملة . إذًا : التوحيد عند الأشاعرة ، وعند الماتريدية لا يختلف عن التوحيد توحيد المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ وأحل دماءهم ، ونساءهم ، وقاتلهم ولم يقبل منهم إلا أن يقولوا لا إله إلا الله على المعنى الصحيح ، وهو : أن لا معبود إلا الله جل وعلا ، إذًا : فالتوحيد عن المتكلمين هو اعتقاد وحدانية الله في : ذاته ، وصفاته ، وأفعاله . وهذا هو مفهوم الإلوهية عندهم ، مفهوم الإلوهية هو مفهوم الربوبية ، فالرب والإله بمعنى واحد ، والربوبية والإلوهية بمعنى واحد ، ولذلك أسقطوا نوعًا من أنواع التوحيد ، فشهادة أن لا إله إلا الله هو اعتقاد الوحدانية فيما ذُكِرَ فحسب في ذاته وصفاته وأفعاله ، فلا فرق بين توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية ، بل هُو هو ، نفسه في المعنى ، ولا فرق بين الرب والإله فهما مترادفان لمعنى واحد ، يعني لا نقول : الإله فعال بمعنى مفعول وهو : بمعنى معبود ، لا ، الرب بمعنى الإله ، والإله بمعنى الرب ، وعليه على كلامهم السابق التعريف فالتقرب إلى غير الله بالعبادة إذا صرف نوعًا من أنواع العبادة لغير الله تعالى هل هو مشرك أو لا ؟

قالوا : متى يكون شركًا عندهم ؟ قالوا : فيه تفصيل - وأنا أنكر كلامهم -يكون شركًا متى ؟ إذا تضمن اعتقاد ما يضاد الوحدانية ، كاعتقاد استحقاق المعبود للعبادة من دون الله ، يعني : إذا ذبح لغير الله واعتقد أن المذبوح له يستحق أن يذبح له قالوا : وهذا شرك . لماذا ؟ لأنه لم يفرد الله تعالى بأفعاله ، كذلك لأن المعبود متفرد بالخلق والتدبير ، إذا ذبح لغير الله فينظر هل تعتقد أن المذبوح له يستحق أو أنه يشارك الله تعالى في الخلق والتدبير والتصرف ونحو ذلك ، فإن اعتقده فحينئذٍ صار مشركًا وإلا فلا ، فالذبح نفسه لغير الله ليس شركًا ولو صرح أنه لغير الله ، بل قطعًا هو يعلم أنه لغير الله فحينئذٍ هل يحكم عليه بكونه خرج عن التوحيد ؟

الجواب : لا ، لماذا ؟ لأنه لم ينافِ التوحيد ، هو موحد يعتقد أن الله تعالى واحد في ذاته ولم يأت بنقيض لهذا النوع ، ويعتقد أن الله تعالى واحد في صفاته فلا شبيه له ولم يأت بناقض لهذا النوع ، ويعتقد أن الله تعالى واحد في أفعاله لا شريك له .

إذًا لم يأت بناقض ، وقد ذبح لغير الله فإن اعتقد ما يضاد الوحدانية حينئذٍ سُلِبَ التوحيد للاعتقاد ، فحينئذٍ صار الشرك عنده اعتقاديًّا كما أن التوحيد اعتقادي .

أما إذا لم يكن معه اعتقاد ذلك فليس بشرك ، فالتوحيد عندهم اعتقادي فقط فنقيضه الشرك الأكبر كذلك اعتقادي .

أخذتم مثالاً لمن ينصر عقيدة المشركين لتتضح الصورة عندنا ونعرف كيف يشرحون التوحيد بلغة المشركين ، وكيف يفهمون التوحيد الذي حارب النبي ﷺ أولئك المشركين مع اعتقادهم لهذا النوع ، وكيف ينفون التوحيد توحيد السلف الذي هو إفراد الله تعالى بالعبادة ، محمد علوي المالكي من كبار الأشاعرة وهو يعتقد عقيدة الأشاعرة ، بأن التوحيد توحيد العبادة هذا مرده إلى توحيد الربوبية ، وهو كَرَّسَ حياته في الدفاع عن عقيدة المشركين وهو متلبس بها صباح مساء ، أَلَّفَ وناظر وجادل وكان له مما كتب كتابه المشهور اسمه ((**مفاهيم يجب أن تصحح**)) قرر فيها أصول معتقد الأشاعرة والصوفية على طريقتهم التي ذكرناها فيما سبق ، نقتطف بعض الأمثلة لنعرف كيف يكون الشرك عند أهله وكيف يدافعون عن الشرك ؟ يقول في كتابه ((**مفاهيم يجب أن تصحح**)) في الصفحة السادسة عشر تحت عنوان المجاز العقلي واستعماله ، بعد أن فرق بين الإسناد الحقيقي والمجازي ، الإسناد الحقيقي إسناد الشيء إلى ما هو له ، والمجازي إسناد الشيء إلى غير ما هو له ، كيف نتعامل مع هذين النوعين ؟ يقول : قال العلماء : إن صدور ذلك الإسناد من موحد بمعنى أنه لو طلب طالب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم الجنة الجَنة تسأل مِن مَن ؟ من الله عز وجل ، لو قال قائل : يا رسول الله أدخلني الجنة . أو اغفر لي أو ارحمني هذا ليس بشرك ، لماذا ؟ إذا كان القائل موحد بتوحيده هو ، إذا كان القائل موحد يعتقد أن الله تعالى هو الخالق قال : هذا يجعل الإسناد مُنْتِقَلاً من الإسناد الحقيقي إلى المجازي ، لأنه كما سبق أنه لا يجوز أن يسأل النبي ﷺ أو أن يسأل أحدًا من

الصالحين المقبورين أن يسأله شيئًا مما يختص به الرب جل وعلا ، ومن ذلك الختم بالسعادة يعني : بالحسنى ، وكذلك الجنة ، والمغفرة والرحمة ، هذا لا يجوز ، وعندنا المسلمين يعتبر شركًا مطلقًا بدون تفصيل ، لو سأل النبي ﷺ شيئًا من ذلك فقال : يا رسول الله ارحمني أو اغفر لي . نحن نقول : مشرك . مباشرة هو يقول : لا ، إن صدر من موحد انتقل الإسناد من الحقيقي إلى المجاز ، فإذا كان كذلك حينئذٍ وجد له مخرج من كونه يحكم عليه بالتكفير أو الوقوع في الشرك ، يقول : إن صدور ذلك الإسناد من موحد كافٍ في جعله إسنادًا مجازيًّا . يعني : قرينة صالحة من الحقيقة إلى المجاز لأن الاعتقاد الصحيح - اسمع ! - الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده ،فهو الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لأحد سواه ، لا لحي ولا لميت ، فهذا الاعتقاد هو التوحيد المحض ، ما هو ؟ اعتقاد أن الله تعالى لا هو الخالق للعالم هو التوحيد المحض . يعني : الخالص هذا توحيد من ؟ توحيد المشركين وليس توحيد السلف ، بخلاف ما لو اعتقد غير هذا فإنه يقع في الشرك ، يعني : لو صدر هذا الإسناد يا رسول الله اغفر لي ولم يكن موحدًا ، أو اعتقد أن النبي ﷺ له القدرة في الخلق ونحو ذلك صار مشركًا ، وأما بمجرد التوجه للنبي ﷺ فلا يُعتبر ذلك شركًا لأن التوحيد المحض موجود معه مع كونه قد صرف نوعًا من أنواع العبادة وهو : الدعاء لغير الله تعالى . فالشرك في الإرادة حينئذٍ نقول : الشرك في الإرادة إذا لم يتضمن الشرك في الاعتقاد لا يكون شركًا عندهم ، شركًا عملي ، إذا لم يتضمن الاعتقاد الفاسد لا يعتبر شركًا عندهم ، فالشرك في الإرادة إذا لم يتضمن الشرك في الاعتقاد لا يكون شركًا عندهم ، كذلك ينبني على ما ذكره هو أن صرف شيء من العبادة لغير الله ليس شركًا لذاته بل لغيره ، إذا صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله ليس شركًا لذاته بل هو شرك لغيره لماذا ؟ لأنه يستفصل عنه ، إن صاحبه اعتقاد أن مع غير الله خالق ونحو ذلك فهو مشرك ، وإلا على الأصل فهو مسلم ، إلا إذا تضمن اعتقاد استحقاق العبادة لمن صُرِفَتْ له يعني : إذا جعل الرسول ﷺ أو المقبور أو الصنم ونحو ذلك ، إذا جعله إلهًا مستقلاً لا تبعًا ، حينئذٍ وقع في الشرك . وطلب ما لا يقدر عليه إلا الله باتخاذ الوسائط لا يكون شركًا ، طلب ما لا يقدر عليه إلا الله من الميت ماذا نقول فيه ؟ شرك أكبر مطلقًا ، لكن عنده لا يسمى شركًا ، عنده وعند غيره لا يسمى شركًا لماذا ؟ إلا إذا تضمن اعتقادًا فاسدًا وهو أن هذا المقبور له قدرة على الخلق والنفع والضُّرّ ، لا يكون شركًا إلا إذا تضمن اعتقاد استقلالية المطلوب وأنه قادر على الاختراع ، وهذا واضح بين أن هذه العقيدة التي قررها هي عقيدة المشركين وليست عقيدة السلف الصالح .

كذلك يقول في موضع آخر : يخطئ كثير من الناس في فهم حقيقة الواسطة . فيطلقون الحكم هكذا جزافًا بأن الواسطة شرك ، وأن من اتخذ الواسطة لأي كيفية كانت فقد أشرك بالله ، وأن شأنه في هذا شأن المشركين القائلين : (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) [الزمر : 3] . وهذا كلام مردود هم يقول : هذا كلام مردود . يقول : من فهم أن الواسطة بين الخلق والخالق ، بين المخلوق والخالق بأنها شرك هكذا مطلقًا هذا باطل مردود وأنه إذا صرف شيئًا من أنواع العبادة هذه للواسطة واستدل بقوله تعالى : (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) . يقول : هذا فهم سيء وليس بحق ، قال : وهذا كلام مردود الاستدلال بالآية في غير محله وذلك لأن الآية الكريمة صريحة في الإنكار على المشركين عبادتهم للأصنام ، أنكرت ماذا ؟ على المشركين عبادتهم للأصنام واتخاذها آلهة من دونه تعالى ، وإشراكهم إياها في دعوة الربوبية . إذًا (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) ليس فيها حصر بل ثَمَّ شيء آخر وهو أنهم توجهوا لهذه المعبودات بالعبادة واعتقدوا فيها الربوبية .

إذًا انتفى ما الذي انتفى ؟ انتفى التوحيد ، لأنهم اعتقدوا في غير الله تعالى أنه يخلق وأنه رب ، فكل آية في القرآن فيها إثبات أن المشركين أقروا بتوحيد الربوبية لا بد أن يزيدوا عليه هذا القيد (**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**) ماذا تقول ؟ يقول : اعتقدوا أن هذه تملك النفع والضُّرّ لا بد أن يزيد عليها قيد يجعل أن هؤلاء المشركين الذين حكم عليهم بالشرك مع كونهم أقروا بتوحيد الربوبية إلا أنهم قد وقعوا في الشرك من جهة أخرى ، لأن توحيد الربوبية أفراد ، وأفعال الله عز وجل أفراد ، فإذا أقروا بفرد منه لا بد وأنهم قد وقعوا في نقيض فرد آخر ، يقول هنا : وإشراكهم إياها في دعوة الربوبية على أن عبادتهم لها تقربهم إلى الله زلفى فكفرهم وإشراكهم من حيث عبادتهم لها ومن حيث اعتقادهم أنها أرباب من دون الله . إذًا (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) سيأتي قول المصنف أن أصحاب البدع عندهم ألسنة وعندهم علم وعندهم فصاحة ، لا بد أن يأتوا بماذا ؟ يأتوا بالشبه ويُرِدُوا عليها أشياء صاحب علم الصحيح ما تلتبس عليه ، لأنه لو رجع إلى العلم الصحيح ومنبعه السليم كلام السلف الصالح ونحو ذلك يعلم أنهم زادوا أشياء من عند أنفسهم ، فمثل هذه الآية نرجع إلى تفسير السلف ماذا قالوا فيها ؟

إجماع أنه حصر (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) ، فإذا فهم شيئًا من عنده حينئذٍ نَرُدُّه عليه ، ماذا يقول في هذه الآية : لَمَّا أورد عليه قال : هذه الآية مقولتهم ما كانوا جادين فيها . لما قيل لهم ذلك قالوا : (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) . قال : لا مو بصحيح . يعني : كأنهم يمزحون أو نحو ذلك ، نقول : الله عز وجل إذا حكى قولاً في القرآن ولم ينكره ولم يَرُدَّهُ ولم يبطله دل على أنه منسوب إلى صاحبه وأنه حق ، قد لا يكون حقًّا في نفسه في مدلوله وإنما حق في نسبته ،(**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) لم يعتقدوا فيهم الربوبية إذ لو كان كذلك لرده الله تعالى عليهم ، وهذه قاعدة مطردة كما نص على ذلك الشيخ الأمين رحمه الله تعالى ، أنه باستقراء الوحي القرآن كله من أوله إلى آخره لا يوجد قول فيه شيء من البطلان إلا والله تعالى يَرُدُّهُ ، وإذا سكت عنه فمعناه أنه حق ، وهذا يقول : ما كانوا جادين في ذلك .

ويقول في الصفحة ثلاث أو اثنين وتسعين : أما دعوى أن الميت لا يقدر على شيء فهي باطلة . أن الميت لا يقدر على شيء فهي دعوة باطلة وكلامه باطل .

وقال في الصفحة ثلاث وتسعين : ولا شك أن الأرواح لها من الإطلاق والحرية ما يمكنها من أن تجيب من يناديها ، وتغيث من يستغيث بها كالأحياء سواء بسواء بل أشد وأعظم . وقال كذلك : ومن جملة الدعاوي الباطلة التي يتمسك به هؤلاء الْمُكَفِّرُون لمن يتوسل بالنبي ﷺ أو يطلب منه هو قولهم : إن الناس يطلبون من الأنبياء والصالحين الميتين ما لا يقدر عليه إلا الله وذلك الطلب شرك . وهذا حق إذا طلب من الميت ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ولو كان رسول الله ﷺ فذلك الطلب يعتبر شرك ولا شك في ذلك ، هذه الأقاويل ليست هكذا جاءت من عندي هذه مبنية على تأسيس معنى التوحيد وأنه محصور في توحيد الربوبية فحسب ، ولذلك أنا أذكر هذا من أجل ماذا ؟ لنعرف ما الذي ينبني على هذا التوحيد ، إذا قيل بأن التوحيد هو توحيد الربوبية وأن الذي أُرْسِلَ به الأنبياء حينئذٍ هو توحيد الربوبية ما تنكر على هذا ، فكل ما يذكره من الشركيات فهي حق متى ؟ إذا سلمنا بأن هذا التوحيد هو الذي جاء به الرسل ، وإذا قلنا : بأن قولهم بحصر التوحيد . توحيد الربوبية وأن توحيد الإلوهية هو معنى توحيد الربوبية حينئذٍ نقول : هذا الكلام كله من الشركيات ، فينبني على التسليم بالتفريق بين توحيد الربوبية والإلوهية - وهو الحق - أن هذه المسائل كلها من الشركيات ، لأنها صرف عبادة لغير الله تعالى ، والتوحيد المحض هو : إفراد الله تعالى بالعبادة .

وجوابه يقول : وجوابه أن هذا سوء فهم لما عليه المسلمون في قديم الدهر وحديثه ، فإن الناس إنما يطلبون منهم أن يتسببوا عند ربهم في قضاء ما طلبوه من الله عز وجل بأن يخلقه سبحانه بسبب تشفعهم ودعائهم .

أليس هذا هو شرك أبي جهل ؟ هو الآن يصرف ويقول : المراد بكون هذه الواسطة أن الناس ما دعوهم آلهةً مستقلة ولا سألوا النبي ﷺ واستغاثوا به ودعوه بأن يغفر لهم ويرحمهم ونحو ذلك ما سألوه لأنه يملك ذلك بنفسه ، وإنما من أجل أن يشفع لهم عند الله ، هذا شرك أو توحيد ؟

هذا هو عين الشرك ، هذا هو الشرك الذي جاء النبي ﷺ لرد العرب منه إلى التوحيد هذا هو عينه الشرك لا فرق بينه ، والذي أدى بهم إلى مثل هذا هو عدم التفريق بين النوعين ، انظر ما الذي يترتب على هذا . يقول : فإن الناس إنما يطلبون منهم . من الموتى من عبد القادر والجيلاني ماذا يطلبون ؟ هو يريد أن يعتذر لهم وأن يبين الغلط وسوء الفهم عندنا بأننا حكمنا عليهم بأنهم مشركون ، يقول : لا ما فهمتم . هذا سوء فهم وسوء ظن بالمسلمين هذا ما الذي تفهمه أنت ؟ يقول : فإن الناس إنما يطلبون منهم أن يتسببوا . إذًا يطلبون منهم أن يتسببوا عند ربهم في قضاء ما طلبوه من الله عز وجل بأن يخلقه سبحانه بسبب تشفعهم ودعائهم ، ونقول : هذا هو الشرك الأكبر الذي جاء النبي ﷺ لإبطاله . ويقول في حديث « **إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله** » . إن المراد بقوله ذلك هو إثبات حقيقة التوحيد في أصل الاعتقاد ، فالتوحيد عندهم اعتقادي ، وهو أن المغيث حقيقةً هو الله تعالى ، والعبد ما هو إلا واسطة العبد الصالح صاحب القبر الجيلاني مثلاً والحسين هذا ليس إلا واسطة ، وأما التوحيد فهو شيء اعتقادي إذًا لو سأل غير الله تعالى مع صحة الاعتقاد هو موحد تام التوحيد وليس بمشرك ، وهو أن المغيث حقيقةً هو : الله تعالى . والعبد ما هو إلا واسطة في ذلك ، أو أنه أراد أن يعلمهم أنه لا يطلب من العبد ما لا يقدر عليه ، كالفوز بالجنة والنجاة من النار والهداية التي هي العصمة من الغواية وضمان الختم على السعادة ، وسيأتي أنه يجيز هذا بشرط عدم الاعتقاد فيها .

ويقول أيضًا : لأن الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد أن الله هو الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لأحد سواه لا لحي ولا لميت ، فهذا الاعتقاد هو : التوحيد . بخلاف من اعتقد غير هذا فإنه يقع في الإشراك ، فالشرك عندهم هو الشرك في الربوبية والتوحيد عندهم هو : توحيد الربوبية . فلا فرق بينهم وبين المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم يقول : ليس في المسلمين إطلاقًا من يعتقد لأحد ليس المسلمين ولا المشركين ليس في المسلمين هو ينفي المسلمين فحسب ليس في المسلمين ولا المشركين إطلاقًا من يعتقد لأحد مع الله فعل أو ترك أو رزق أو إحياء أو إماتة أو ما جاء من إثبات أفعال الرب جل وعلا ، وما جاء من الألفاظ الموهمة ما جاء من الناس يعني : ما فعلوه وقالوه الناس . من الألفاظ الموهمة فإن مقصود أصحابها هو الاستشفاع إلى الله تعالى بتلك الوسيلة ، فالمقصود هو الله سبحانه وتعالى وليس من المسلمين رجل واحد يعتقد فيمن يطلبه أو يسأله أنه قادر على الفعل والترك دون التفات إلى الله تعالى من قريب أو بعيد ، أو مع التفات هو أدنى إلى الشرك بالله ، فرده إلى توحيد الاعتقاد .

ثم قال : إن كان كثير من هؤلاء - المسلمين يعني الذين يقفون على القبور ويسألون أصحابها - إن كان كثير من هؤلاء يخطئون في التعبير في طلب المغفرة والجنة والشفاء والنجاح وسؤالهم ذلك من رسول الله ﷺ مباشرةً ، فإنه لا يُخْطِئْهُم التوحيد فهم موحدون موحدُون على رُغْم أنوف المخالفين ، هكذا يقول . حينئذٍ نقول : هذا هو الشرك الذي دعا النبي ﷺ العرب إلى تركه ؛ لأن المقصود هو الاستشفاع إلى الله تعالى بتلك الوسيلة ، فكأنه يقول : يا رسول الله اسأل الله أن يغفر لي . هذا هو الشرك ، هو يرى أنه توحيد وأن هذا يجب أن يعتذر به عن الناس ، كأنه يقول : يا رسول الله اسأل الله أن يغفر لي وأن يرحمني وأنا أتوسل بك إليه في قضاء حاجتي وتفريج كربتي وتحقيق رغبتي .

ثم قال : والحاصل أنه لا يكفر المستغيث إلا إذا اعتقد الخلق والإيجاد لغير الله تعالى . أنه لا يكفر المستغيث من استغاث - الاستغاثة عبادة - إذا استغاثة بغير الله تعالى لا يكفر يقول ، إلا إذا اعتقد الخلق والإيجاد لغير الله تعالى والتفرقة بين الأحياء والأموات لا معنى لها ، فإنه إن اعتقد الإيجاد لغير الله تعالى كفر ، وإن اعتقد التسبب والاكتساب لم يكفر ، فالتوحيد عنده اعتقادي والشرك اعتقادي .

إذًا نخلص من هذا ما ذكرناه سابقًا لا يمكن أن يجتمع أهل السنة والجماعة مع الأشاعرة والماتريدية والصوفية تحت لواء واحد ، إلا إذا اجتمع الكفر والإيمان والتوحيد والشرك ، إذا كان هذا هو التوحيد عندهم حينئذٍ كيف يقال بأنه من أهل السنة والجماعة كيف يقال ؟ إذا كان الشرك الأكبر الذبح لغير الله تعالى والنذر لغير الله تعالى لا يكون مناقضًا لأصل التوحيد ، فما هو التوحيد ؟ ما هو التوحيد ؟ إذا كان هذا هو لا يناقض التوحيد فنقول : ما هو التوحيد إلا إذا تخلينا عن معنى التوحيد ، والتوحيد الذي جاءت به الرسل الذي هو : لا معبود بحق إلا الله تعالى . حينئذٍ نقول : يمكن الاجتماع وإلا فالأصل التفرقة .

ثم ينبني عندهم على ما سبق عند الأشاعرة وغيرهم أن كل نص جاء فيه إطلاق الشرك فيما يتعلق بشرك الطلب والعبادة والتقرب فهو مقيد بشرك الاعتقاد ، إذا جاء اللفظ في النصوص الشرعية أن من ذبح لغير الله فهو ملعون : لعن الله من ذبح لغير الله ، واعتقد أنه يستحق زد عليه ذلك ، لماذا ؟ لأن عندنا أصل ودائمًا هذه الأحاديث المشتبه إلى نردها إلى الأصول ، فإذا ثبت أن الأصل في التوحيد هو اعتقاد أن الله تعالى هو الخالق فإذا جاء نص بأن من صرف العبادة لغير الله يعتبر مشركًا ملعونًا فحينئذٍ لا بد أن يقيد بالاعتقاد أنه اعتقد أن الله تعالى يخلق معه غيره ، أن كل نص جاء فيه إطلاق الشرك فيما يتعلق بشرك الطلب والعبادة والتقرب فهو مقيد بشرك الاعتقاد لا بمجرد الإرادة والعمل ، أو يحمل على الشرك الأصغر وهو من المعاصي ، هذا ضلال في مفهوم التوحيد .

إذًا نقول : التوحيد له مفاهيم ضَلَّ فيها أناس ولم يوافقوا التوحيد عند السلف ، وعرفنا أن المسائل التي ذكرها المصنف هنا كلها والتي في ((**القواعد الأربعة**)) القواعد الثلاث الأُوَل كلها قطعية لا نزاع فيها بين أهل العلم أن المشركين أقروا بتوحيد الربوبية وأن الله تعالى هو خالق هذا الكون وأنه لا منازع له ، وأن المشركين أقروا بذلك ، فحينئذٍ بأي شيء وفي أي شيء خالفهم الرسل ؟

في توجيه العبادة لغير الله تعالى مع إثبات أن المشركين أولئك قد عبدوا الله تعالى توجهوا بأنواع من العبادة لله تعالى ، ولكنهم عبدوا غيره معه ، فدعوا الله ودعوا غيره ، ذبحوا لله وذبحوا لغيره ، نذروا لله ونذروا لغيره ، فجاء النبي ﷺ أمرهم بالتوحيد ليجعل ويجعل الدعاء كله لله ، والذبح كله لله ، وجميع أنواع العبادة الظاهرة والبطانة كلها

لله جل وعلا ، وعلى هذا التوحيد المنحرف عندهم الضالّ حينئذٍ لا فرق بين الشرك الأكبر عند أولئك المشركين وبين موحديهم هم ، لماذا ؟

لأن الشرك ذاك الذي يكون في الذي حاربه النبي ﷺ هم يعتقدون أنه من ، من التوحيد وأن التوحيد الذي أقر به أولئك المشركون الأول هو التوحيد عند المتأخرين وهو الذي جاء به الرسل ، فهذا تناقض وسببه كما ذكرنا أنهم لم يرجعوا في تفسير الألفاظ إلى الشرع ، أثبتوا التوحيد يدندنون توحيد وتوحيد .. إلى آخره ، لكن ما المراد بالتوحيد ؟ نقول : لا بد من الرجوع إلى فهم السلف لنصوص الوحيين ، فحينئذٍ نقول : ضلوا في مفهوم التوحيد لكونهم لم ينطلقوا من الكتاب والسنة ، وإنما انطلقوا من مفاهيم خاطئة عندهم ، مفاهيمهم هي التي يجب أن تصحح ويجب أن ترد إلى الكتاب والسنة ، وأن يقف مع فهم وفهوم السلف الصالح في أن التوحيد هو توحيد العبادة ، وهو أفراد الله تعالى بالعبادة .

إذا إذا قيل لماذا ضلّ أولئك القوم ، فيهم علماء ، فيهم فلان وفلان من الأشاعرة وهو قد دلل على أن عقيدته صحيحة سم فلان وفلان وفلان وفلان نقول تسمية فلان وفلان لا بد أن توزن بميزان الشرع ، والشرع يؤخذ من الكتاب والسنة لا بالنظر في قول فلان أو فلان ، لماذا لأن الشرع النبي ﷺ هو الذي يكون معصومًا في تبليغ الشرع ، والصحابة إجماعهم وهذه المسائل من مسائل الإجماع هو الذي يكون معصومًا ، وأما من عداه فحينئذ قد يكون للبيئة لها دور في كونه نشأ على معتقد معين أو نحو ذلك ، أما أن يصير أولئك الأشاعرة من فلان وفلان أن يكونوا حجتا على تصحيح هذا المذهب نقول : هذا باطل . ولو كثر ولو قيل بأنهم أكثر الدنيا الآن لأنهم أشاعرة هذا لا يدل على أنهم أصحاب حق ، لا بد أن يُعرض هم وعلمهم ومفهومهم على الكتاب والسنة ، فإن وافق فعلى العين والرأس ، وإن لم يوافِق فحينئذٍ رددناه عليه ، وهذه المسألة مسألة مجمع عليها ، فلما خالفوا حينئذٍ لا نبال بعدد المخالفين ، ولا ننظر في كونه فلان وفلان صاحب العلم الكبير والكتب .. إلى آخره ، وخدم الحديث ، وخدم السنة ونحو ذلك . نقول : خدمته للسنة يرجو أجرها من الله تعالى لا من الخلق ، ولكن إثبات أن عقيدته سليمة أو صحيحة لا بد من عرضها على الكتاب والسنة ، فإن وافقت فعلى العين والرأس وإلا رُدَّتْ عليه ، إذا لم يفهموا التوحيد الذي جاء به الرسل ولم ينطلقوا من الكتاب والسنة ، بل اعتقدوا أولاً ثم بعد ذلك استدلوا ، واعتقادهم ليس أيضًا منطلق من الكتاب والسنة ، بل هو بالعقل ،نظروا في إثبات الصفات بإثبات الأسماء وفي إثبات الخالق جل وعلا ، كل إثباتات إنما هي مردها إلى العقل ، وطعنوا في النقل لأنه لا يُفيد إلا الظن ، وأما العقل فإنما يُفيد القطع فحسب ، فحينئذٍ قدموا العقل على النقل .

ثانيًا : سبب ضلالهم هو القول بترادف معنى الرب والإله . هذا محل الخلل عندهم أن الرب بمعنى الإله ، والإله بمعنى الرب ، ففسروا الإله بأنه القادر على الاختراع ، قادر على الاختراع يعني القدرة ، قريب من معنى الخلق ، وهذا فعل من أفعال الرب جل وعلا ، أو الصانع القادر المالك ، وقالوا : إن الإلوهية هي الربوبية . والحق جدير قبوله وقول السلف : أن الإله والرب متغايران في مفهوميهما لغة وشرعًا ، في اللغة لم يأت الإله بمعني القادر على الاختراع ، أو الصانع ، أو المالك ، ليس له معنى أصلاً فلم يتمسكوا باللغة في إثبات أن الإله معناه القادر على الاختراع ، ولم يرجعوا إلى الشرع في فهم معنى الإله ، لأنه كما سبق الله غز وجل يقول في بيان أن الرسل كلهم قد أتوا بماذا ؟ بلا إله إلى الله جاء في موضع آخر (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ**) [النحل : 36] إذا فسره بماذا ؟ بالعبادة ، فالإله بمعنى المعبود ، حينئذٍ نقول : لا نوافق من سوى بين الرب والإله في المعنى ، بل هما متغايران لغة وشرعًا وهذا محل إجماع أيضًا ، أهل اللغة بالإجماع أن الإله لم يَرِدْ في لسان العرب بمعنى القادر البتة ، وإجماع السلف على أن الإله في القرآن والسنة إنما المراد به المعبود بحق ، إذا معنى الإله وردت فيه أقوال في اللغة :

الأول : الإله فِعَال بمعنى مَفْعُول أي مألوه ، أي معبود كبساط بمعنى :مبسوط .وفراش بمعنى :مفروش .وكتاب بمعنى :مكتوب ونحو ذلك ، ففِعَال يأتي بمعنى مفعول ، مشتق من أَلِهَ يَأْلَهُ إِلَهَةً وأُلُوهةً ، أَلِهَ يَأْلَهُ هذا الأصل ، فإِلَه فِعَال مشتق من أَلِهَ بمعنى عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً ، أَلِهَ يَأْلَهُ إِلَهَةً وأُلُوهَةً وأُلُوهِيَّةً ، بمعنى ماذا ؟ عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً ، وهذا هو المعنى الذي عليه جماهير أهل العلم ، لا نقول : إجماع ، وإنما جماهير أهل العلم على أن الإله مأخوذ من أَلِهَ يَأْلَهُ بمعنى : عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً ، فالإله حينئذٍ بمعنى ماذا ؟ بمعنى المعبود وهذا أصح ما قيل في الاشتقاق ، عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً ، والتألُق هو التعبد والتنسك ، والتأليه التعبيد ، ومنه قوله رؤبة :

لله در الغانيات المدَّهي   سبحن واسترجعن من تَأَلُّهِ

يعني : تعبدي .

والآلهة هي المعبودات من الأصنام وغيرها ، لأن إلَه يطلق على كل ما اتُّخِذَ مَعْبُودًا سواء كان بحق أو بباطل ، فالإله هو المعبود ، والإله الحق هو المعبود وهو الله جل وعلا . قال ابن عباس : الله ذو الإلوهية والعبودية على خلقه أجمعين . الله ذو الإلوهية يعني : صاحب الإلوهية ، يعني : صاحب العبودية ، الذي يتخذ معبودًا جل وعلا ، ففسره بالمعني الذي ذكرناه . فالإلوهية صفة ، وقيل الإله مشتق من أَلِهَ إذا تَحَيَّرَ أَلِهَ قد يأتي بمعنى عَبَدَ وقد يأتي بمعنى تَحَيَّرَ ، وأصله وَلِهَ يَوْلَهُ وَلَهَ كتَعِبَ يَتْعَبُ تَعَبَ ، وَلِهَ يَوْ ، وَلِهَ يَوْلَهُ وَلَهَ تَعَبَ ، تَعِبَ يَتْعَبُ تَعَبَ ، فإن الإله هو الله سبحانه تتحير الألباب والفِكَر في حقائق صفاته ومعرفته ، وأنكر هذا ابن فارس ، لكن المعنى داخل في الأول هو المعنى صحيح أن الله عز وجل تتحير فيه العقول من حيث صفات الكمال ونحو ذلك ، فحينئذٍ نقول هذا المعنى صحيح لكن ليس هو المعنى الذي اشْتُقَّ منه (**لا إله إلا الله**) . (**لا إله**) جاء مفسر بأن المراد به المعبود فحينئذٍ نجزم بأن الإله مشتق من أَلِهَ . من أَلِهَ عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً أَلِهَ يَوْلَهُ إِلَهَةً ، يَأْلَهُ إِلَهَةً ، وأَلِهَ يَوْلَهُ وَلَهَ ، هذا بمعنى تَحَيَّرَ أيهما أولى ؟

الأول : لماذا لأنه موافق للمعنى الشرعي ، وقيل الإله مشتق من أَلِهَ إلى كذا أي : لَجَأَ إليه ، وهذا مَرْوِيٌّ عن الضحاك أنه قال : إنما سُمِّيَ الله إِلَهًا لأن الخلق يتضرعون إليه في حوائجهم وعند شدائدهم . المعنى الصحيح أو لا ؟

صحيح ، لكنه داخل في الأول ، والمعنى الثاني كذلك تَحَيَّرَ معنى صحيح لكنه داخل في الأول ، وقيل : الإِلَهُ مُشْتَقٌ من لاهَ يَلِيهُ ويَلُوهُ لَيَاهًا إذا احتجب ، ومنه فسر عليه أو نزل عليه قوله تعالى : (**لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**) [الأنعام : 103] إذا احتجب حينئذٍ تقول هذا معنى كذلك للمعبود الحق وهو الله عز وجل ، هل ينافي المعنى الأول ، لا ينافيه ، إذًا هو داخل تحته ، فالمعنى الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع كل التي ستذكر لا تنافي المعنى الأول بل هي داخلة فيه ، لكن نقول : الاشتقاق في الأصل من أَلِهَ يَأْلَهُ هذا هو الأصل ، هذا هو الصواب ، وقيل : الإِلَهُ مشتق من أَلَهْتُ إلى فلان أي سكنت إليه ، فالقلوب لا تسكن إلى بذكر الله تعالى ، وهذا المعنى الصحيح وهو داخل تحت الأول .

وقيل : الإله - وهو القول السادس - الإله مشتق من أَلِهَ الرجل إلى الرجل ، إذا اتجه إليه لشدة شوقه إليه ، وهذا حق وهو داخل في المعنى الأول .

وقيل الإله مشتق من الارتفاع فالعرب تقول لكل شيء مرتفع : لاهَ . قالوا لكل شيء مرتفع : لاهَ ، والله عز وجل لا شك أنه متصف بالعلو بأنواعه الثلاثة ، وعلى هذا فاسم الله يتضمن معنى العلو والارتفاع ، هذا كل ما قيل في معنى اشتقاق الإله ، سبعة أقوال ، هل فيها واحد أنه قادر على الاختراع ؟ ليس فيها واحد . من أين جئتم بهذا ؟ ما عندهم جواب ، هذا باطل ، حمل الإله على أنه القادر على الاختراع باطل لغة لا يسلم له ، لو رجعوا إلى لسان العرب ونظروا فيه لغة العرب هل إله ورد بمعنى القادر ؟ الجواب : لا ، وإنما جاءت المعاني سبعة ، سبعة أقوال فحسب ، المعنى الأول هو الصواب والستة أقوال الأخرى كلها داخلة تحته ، يعني : لا تعارضه وهي موافقة ، ولذلك بعضهم قال : إنه بمعنى تحير ، وبعضهم قال : بأنه معنى كذا ،قلنا : الصواب أنه بالمعنى الأول وعليه جماهير أهل العلم ، وهذه المعاني الستة الأخيرة كلها تدخل تحت المعنى الأول . إذًا كل ما قيل في اشتقاق هذه الكلمة يَرُدُّ على الأشاعرة تفسيرهم معنى الإله بأنه القادر على الاختراع ، وليس بشيء منها بأنه بالمعنى الذي زعمه المتكلمون . قال في المفردات : وإله جعلوه اسم لكل معبود له ، إله فِعَال هذا العرب ولذلك سمت العرب سمت معبوداتهم آلهة ، هم أفقه من هؤلاء المتأخرين هم أصحاب لسان (**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ**) [ص : 5] سموه آلهة وإن كانت باطل (**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ**) كل من اتخذ معبودًا فهو إله عند متخذه سواء كان حقًّا أو باطلاً . وقال في القاموس : إلَه كفِعَال بمعنى المألوه ، وكل ما اتُّخِذَ معبودًا إله عند متخذه ، فالإله يطلق على الله سبحانه وتعالى ، وعلى ما يعبد من الأصنام ، الإله يطلق على الله تعالى ويطلق على المعبودات خلافًا لما أثبته المناطقة وغيرهم ، والله لفظ الجلالة يختص بالرب جل وعلا ولا يطلق على غيره ، والدليل على ذلك أن الله تعالى سَمَّى معبودات المشركين آلهة وأبطل

كونها آلهة حقًا ، سماها آلهة ولكن أبطل ماذا ؟ كونها آلهة حقة قال تعالى (**وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ**) [الفرقان : 3] ، (**وَاتَّخَذُوا**) ماذا ؟ قال : (**وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً**) سماها آلهة ، أقر هذا اللفظ أو لا ؟ على القاعدة السابقة أقرهم ، فإذا أقرهم إذًا التسمية صحيحة ولكن الحكم هو الذي ينازع فيه ، وكذلك سماها المشركون (**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً**) ، (**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً**) وقال عنهم (**إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا**) . [الفرقان : 42] عن آلهتنا أضافوا إلى أنفسهم (**وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ**) . [الصافات : 36] سموها آلهة ، إذًا تسمى آلهة لأنها معبودات ، ثم هذه الآلهة باطلة أبطلها الله تعالى بقوله : ((**لا إله إلا الله**)) . فهم أطلقوا على معبودات أنها آلهة مع كونهم لم يعتقد أنها تخلق وترزق ونحو ذلك ، وهذا مطابق للمعنى اللغوي لهذه اللفظة . قال ابن عباس : الله ذو الإلوهية والعبودية على خلقه أجمعين . وقال الطبراني رحمه الله تعالى : فالإله هو المعبود وهو الله سبحانه ، ثم قال : فالإله إذا على معنى ما روي عن ابن عباس هو الذي يَأْلَهُهُ كل شيء ويعبده كل خلق ، وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى : فإن الإله هو المألوه ، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد ، وكونه يستحق أن يعبد هو من اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب والمخضوع له غاية الخضوع . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : الإله هو الذي تألهه القلوب محبةً وإجلالاً وإنابةً وإكرامًا وتعظيمًا وذلاً وخضوعًا وخوفًا ورجاءً وتوكلاً ، وهذا كثير عن العلماء أنهم فسروا الإله بمعنى ماذا ؟ بمعنى المألوه المحبوب المعبود محبةً وتعظيمًا وإجلالاً . إذًا وافق المعنى الشرعي المعنى اللغوي ، ما حجة المتكلمين ليس لهم حجة البتة ، لا في لغة ولا في شرع ، فقولهم محدث باطل بدعة وضلالة في تفسير معنى الإله ، وأما الرب عرفنا معنى الإله لغةً وشرعًا .

وأما الرب الله عز وجل فرق بينهما (**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ**) ، (**رَبِّ النَّاسِ**) قال : (**إِلَهِ النَّاسِ**) ، لو قيل بمعنى : واحد (**رَبِّ النَّاسِ**) (**رَبِّ النَّاسِ**) صار تكرارًا على طريقتهم ، الإله بمعنى : الرب صار تكرارًا ، لكن لَمَّا فرق بينهما حينئذٍ علمنا أن لكل منهما معنى يخصه .

وأما الرب معناه في اللغة مالك الشيء وصاحبه ، ومنه فلان رب الدار يعني مالكها ، تقول : رب السيارة . يعني : مالكها . وكل من ملك شيئًا فهو ربه ، ويأتي بمعنى : السيد المطاع ومنه ربيت القوم سستهم أي كنت فوقهم من السياسة ، ويأتي بمعنى : المصلح للشيء والمدبر ويأتي بمعني : المصلح للشيء والمدبر له القائم على تربيته ، ومنه رب فلان ضيعته ، إذا أقام على إصلاحها .

فهذه ثلاثة معاني ، ثلاثة معاني تدور عليها المعاني الواردة في لسان العرب ليس فيها واحد أنها بمعنى المعبود ، صحيح ؟ ليس فيها واحد أنها بمعنى المعبود ؟ وقد جاء استعمالها في القرآن بهذه المعاني الثلاثة فالأول نحو (**رَبِّ الْعَالَمِينَ**) [الفاتحة : 2] يعني : مالك العالمين (**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) [الفاتحة : 2] أي مالكهم أليس كذلك ؟ قاله الطبري وغيره .

والثاني : (**مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ**) [يوسف : 23] يعني : سيدي المطاع (**ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ**) [يوسف : 50] ليس المراد الرب جل وعلا (**ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ**) يعني سيدك .

والثالث : الذي هو ماذا ؟ المصلح للشيء : والربانيون والأحبار . قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : والرب هو الذي يُرَبِّي عبده فيعطيه خَلْقَهُ ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها . الرب ما معناه في الشرع هو الذي يُرَبِّي عبده فيعطيه خلقه يخلقه ، ثُمَّ يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها . قال المقريزي رحمه الله تعالى : فإن الرب سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد لعباده القائم بتربيتهم وإصلاحهم ، المتكفل بصلاحهم من خلق ورزق وعافية ، وإصلاح دين ودنيا . هذا جاء بمعنى : ماذا ؟ بمعنى المعبود ؟ لا ، وإنما جاء بمعنى يُغَايِرُ معنى الإله حينئذٍ ثبت لغةً وشرعًا أن الإله ليس بمعنى الرب ، وأن الرب ليس بمعنى الإله ، ومن ادَّعى أن الإله بمعنى القادر على الاختراع فقوله باطل بإجماع أهل اللغة والفقهاء والمفسرين ، وهذا لا خلاف بينهم ، وإنما هو قول محدث ، لكن قد يستعمل في الشرع الرب بمعنى : المعبود ، لكنه حقيقة شرعية ، ولذلك سبق معنا أن الربوبية والإلوهية من الألفاظ التي يقال فيها إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا (**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**) [فصلت : 30] (**رَبُّنَا اللَّهُ**) يعني : معبودنا يعني : معبودنا ، هل هذا ورد في لسان العرب أن الرب بمعنى المعبود ؟ . الجواب : لا . (**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**) [محمد : 19] هنا أطلق (**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**) وهو الإلوهية ، وهذا يوافق ما ذكرناه أن

توحيد الإلوهية متضمن لتوحيد الربوبية ، وإذا أُطلق الرب وحده دون أن يجتمعا حينئذٍ فُسِّرَ اللفظ بما يتضمن توحيد الربوبية والإلوهية يجمع النوعين معنا ، (**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ - مَلِكِ النَّاسِ - إِلَهِ النَّاسِ**) ، (**رَبِّ النَّاسِ**) أي : مالكهم ومصلحهم (**إِلَهِ النَّاسِ**) أي : معبودهم ، (**قَالُواْ بَلَى**) [الأعراف : 172] في الميثاق الأول (**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى**) [الأعراف : 172] يعني : ألست بمعبودكم ؟ فحينئذٍ إذ اجتمع اجتمعا افترقا وإذ افترقا اجتمعا ، ولكن قد يستعمل في الشرع أحد النوعين في موضع ويريد به النوعين معًا ، وهذا ثابت كما ذكرناه في الشرع ، فإذا أفردت الربوبية دخل فيها الإلوهية لأن الربوبية تستلزم الإلوهية ، والإلوهية تتضمن الربوبية لأن الموحد لله في إلوهيته هو في الضمن ضمن الكلام أو ضمن الإقرار والاعتقاد مقر بأن الله تعالى متفرد بأفعاله ، لأنه لا يمكن أن يقول لا يُعبد إلى الله ثم يشرك مع الله في الخلق أو الرزق والتدبير والنفع والضُّرّ ، لأن العاجز لأن هذا عاجز ، والعاجز لا يصلح أن يكون إِلَهً ، كذلك يستلزم ماذا ؟ إثبات الأسماء الحسنى على وجه الكمال والصفات العليا على وجه الكمال ، لماذا ؟ لأن الناقص في أسمائه وصفاته لا يصلح أن يكون إِلَهً ، لذلك هذه الأنواع الثلاثة كلها متلازمة وجودًا وانتفاء ، إذا وجد أحدهما لذم منه وجود الآخر ، وإذ انتفى أحدهما الربوبية والإلوهية أو الأسماء والصفات على النوعين تقسيم الثنائي ، حينئذٍ إذا وجد الشرك في أحدهما لزم من وقوع الشرك في الآخر ، فكل شرك في الإلوهية فهو شرك في الربوبية ، وكل شرك في الربوبية فهو شرك في الإلوهية إلا على طريقة الصوفية والأشاعرة ونحوهم .

إذًا أردت بهذا أن نفهم أن ثَمَّ توحيدًا هو موجود ويُدْعَى إليه وترد إليه الأمور ويتمناه كبار ، ثم بعد ذلك يُدَّعَى أن يسوي الصفوف معهم ، نقول : لا ، التوحيد الذي ندرسه هو توحيد العبادة ، ألا يعبد إلا الله عز وجل ، وإلا يعبد إلا بما شرع ، وأن توحيد الْمُرْسِل وتوحيد الْمُرْسَل لا بد منهما معًا ، فحينئذٍ لا يمكن أن يسوى غيرهم بمن وحد الله تعالى في عبادته ووحد رسوله ﷺ في طاعته ، وكل هذا يعتبر من التهويش الذي يُلبَّسُ به على المسلمين ، فإذا كان الفارق في نوعية التوحيد الذي أُرسل به المرسلون فحينئذٍ أي وفاق بعد هذا ، أي وفاق بعد هذا لا يمكن ، حتى لو حصل وفاق قل تعالوا أولاً (**إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ**) [آل عمران : 64] هذا هو الأصل ، أن نفسر التوحيد بأنه توحيد العبادة ، وأن النزاع بين الرسل وأقوامهم في من هو الذي يستحق العبادة دون غيره من المعبودات ، إن اتفقوا معنا فعلى العين والرأس ، نتوحد الصفوف وإن خالفوا وأبوْا وامتنعوا وأصروا إلا أن يبقوا على ما هم عليه فحينئذٍ نقول : بيننا وبينكم السيف . هذا هو الأصل ، إما اللسان وإما السيف نفسه ، لماذا ؟ لأن الشرك لا يجوز إقراره ، وتوحيدهم ذاك لا ينافي الشرك من أصله ، فالتوحيد عند المشركين أولئك الأقوام الأولية هو عينه الشرك الذي أثبتوه ، وما نُثْبته من التوحيد بأنه توحد المرسلين ، وأن نقيضه هو الشرك هم يردونه عليه ، ويجعلون من المكفرين الذين يكفر المسلمين ونحو ذلك ، والوهابية الذين ما تركوا أحدًا إلا وكفروه ، لماذا ؟ لأنهم يتخذون الوسائط بينهم وبين الله تعالى فيذبح لها ويستغاث بها .. إلى آخره . هذه شرك عندنا وليست بشرك عندهم إلا مع الاعتقاد ، وهذا أمر باطل ينبغي التنبه له ، ولذلك أنا استطردت اليوم في ذكر توحيد المشركين دراسة عملية عندهم ، بأن هذا موجود والصوفية أتباع محمد علي أبو مالك هم الذي يقولون الصوفية الآن ، الجزري على هذه العقيدة الجزري ، إبراهيم الجزري $$ 1.25.30على هذه العقيدة بأنه (**لا إله إلا الله**) يعني لا قادر على الاختراع إلا الله عز وجل ، ولذلك الطواف والذبح وهذه الأمور كلها تعتبر من الأمور التي لا ينبغي إشغال المسلمين بها ، ولذلك يقول يوزعون أوراقًا فيها نواقض التوحيد ، هو وضوء حتى نقول : التوحيد له نواقض ، إذًا التوحيد عندهم لا ينتقض لأنه أمر اعتقاد ولا يتصور أحد عندهم منهم أن مسلم أن يعتقد أن مع الله خالق ، نقول : ولا المشركين هم ينفونه على المسلمين لأن المشركين الأوائل كانوا يعتقدون مع الله أربابًا ، نحن نقول : لا المسلمين ولا المشركين من لدن نوح عليه السلام إلى يومنا هذا من المشركين لا يقول أحد بأن مع الله تعالى خالق ، وهذا هو دين ، وهذا هو دينهم ، ولذلك إذا قيل : شرك شرك .. ، كل شيء شرك ، نقول : هذا نعم ، هذا إذا كان الْمَرَدّ إلى الكتاب والسنة ، نقول : هذا هو الأصل ونعض عليه بالنواجذ ، ولذلك انتبهوا نحن لا نريد أن ندرس التوحيد دراسة نظرية فحسب ، ليست قضية الطالب أن يدرس التوحيد ويحفظ كلمتين وثلاثة ، وانتهينا من الكتاب ، لا ، العلم سجال واقع فيه دعوة الشرك ونشرها بين الناس ، هناك من يسعى إنشاء القبور ويأذن لها بالطواف وأن يتوسل بها ، ويريدون أن ترفع الأستار عن قبر النبي ﷺ ليفعلوا به ما يريدوا أن يفعلوا من الشرك الأكبر . نقول : هذا لا بد أن نعرف نحن ما

موقعنا من الإعراب كما يقال ، لنعرف من نواجه ونعرف ماذا يعتقد أولئك القوم ؟ إذا جهلنا ماذا يعتقدون ما نستطيع أن نَرُدَّ عليهم ، بل لا نستطيع أن نفهم ، بل كما يفعل البعض قد يُدافع عنهم هؤلاء يدعون إلى الشرك الأكبر ، الصوفية وغيرهم يدعون إلى الشرك الأكبر ويريدون من الناس أن يكون على دينهم وعلى طريقتهم ، فإذا رُدَّ عليهم قال : فرقت الكلمة ، وهؤلاء دعاة ولا نتعرض لأي داعية يدعو إلى الله عز وجل ، كل يؤخذ من قوله ويترك . نقول : هذا كله باطل وتلبيسًا على المسلمين لماذا ؟ لأن الفارق بينا وبينهم هو الفارق بين النبي ﷺ وأصحابه والمشركين ، عندكم شك ؟ الفارق بينا وبينهم في الدعوة ما هي ؟ نقول : الفارق بينا وبين هؤلاء هو الفارق بين النبي ﷺ والمشركين الذين حاربهم عليه الصلاة والسلام ، ولذلك لا بد من التنبه لهذا ، والله أعلم .

وصلَّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

الدرس السابع
بسم الله الرحمن الرحيم

أسئلة :

س : هذا يقول : هناك من علماء السلف من يعتقد عقيدة الأشاعرة ؟

ج : كيف هذا من علماء السلف ويعتقد عقيدة الأشاعرة صحيح هذا ؟ يمكن ؟ من علماء السلف من يعتقد عقيدة الأشاعرة هذا ما يمكن ممتنع .

س : كالحافظ وابن حجر والنووي ومن نحى نحوهم فهل هؤلاء بهذا الاعتقاد يخرجون به عن منهج أهل السنة والجماعة مع أنهم خدموا السنة وأقر لهم السلف بذلك ؟

ج : نقول : أولاً الحكم على الشيء هذا مسألة ، تحكم على عقيدة الأشاعرة بأنها ليست العقيدة الصحيحة وليست هي عقيدة السلف ، والقول بأنها يمكن اجتماعها مع عقيدة السلف هذا قول باطل ، لأن أهل السنة والجماعة هذا فصل أخص من مطلق الإسلام أليس كذلك ؟ من دخل الإسلام قد يدخل على بدعة وعلى فرقة ضالة قد يكون معتزليًّا مثلاً وعلى القول بأنهم لا يكفرون حينئذٍ هو مبتدع ليس من أهل السنة والجماعة قطعًا هذا ، المعتزلة بلا خلاف لذلك اختلفوا على تكفيرهم اختلفوا في تكفيرهم على قولين ، وأكثر السلف على أنهم كفار ، أجمعوا على تكفير الجهمية هذا إجماع وليس فيه قولان ، واختلفوا في تكفير المعتزلة والأكثر على أنهم كفار ، وحكي الخلاف أيضًا في تكفير الأشاعرة والأكثر على أنهم ليسوا بكفار عكس القول في المعتزلة ، هذا الحكم العام ، هذا يجب اعتقاده ، ثم إذا وجد من تلبس بهذه العقيدة وثَمَّ مانع من إطلاق التكفير والتبديع أو شيء آخر هذا يُنظر فيه من حيث تنزيل الحكم على الآحاد في الأفراد ، وصف المعين مغاير للوصف المطلق ، نحن نطلق أن الأشاعرة عمومًا هذه العقيدة ليست عقيدة السلف وليس توحيدهم مما جاء به الأنبياء والرسل أجمعين ، حينئذٍ كون فلان من الناس أو من العلماء تبنى هذه العقيدة يُنظر في حاله ، والأشاعرة على صنفين يعني : على قسمين ، منهم :

من تبنى عقيدة الأشاعرة ودلل لها بالعقل ونصرها وذب عنها وحسنها وطعن في كل عقيدة تقابلها ، هذا لا شك أنه مبتدع كالرازي والجويني وغيرهم ، هؤلاء أصَّلُوا عقيدة الأشاعرة وهي عقيدة بدعية وناضلوا عنها ودافعوا وحسنوها للناس وألفوا فيها ونصروها وذموا ، بل وكفروا في المقابل ومنهم السلف .

وثَمَّ من تبنى بعض مفردات العقيدة الأشاعرة ولكنه من جهة العمل والدعوة ينادد الصنف الأول مغاير له ، كالحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى والنووي هؤلاء خدموا السنة ولا شك لكن ما وقع عندهم من بدعة لا بد من بيانه ، يعني هل نقول ما اعتقده مثلاً النووي من التفويض أو نحو ذلك والتحريف والتأويل في الأسماء والصفات لكونه النووي نقول : هذا انقلب الحق ، الباطل صار حقًّا ؟ هل يُعرف الحق بالأشخاص ؟

إذًا انتهينا ، ثم فرق بين الأشعري الذي يكون معاصرًا ، والأشعري الذي يكون قد طوى تحت التراب ، هذا لم يبق منه إلا مؤلفات فيبين ما فيها من غلط ، فيقال : أخطأ الحافظ في كذا مثلاً . أو النووي رحمه الله أو غيرهم من أهل العلم ، فيقال ينبه على الأخطاء ، ثم التعامل معه يترضى ويترحم عليه ولا داعي لأن نقول : مبتدع أو ليس بمبتدع ، وننزل الأحكام ، لا نستفيد من هذا .

أما الذي يكون بين أظهرنا هذا تتعلق به أحكام ليست موجودة في الميت من الهجر وترك السلام عليه ، والتحذير منه ، لأنه يتنقل يتكلم ، ليس كذاك ذاك ميت لم تبق إلا كتبه والغالب أنه لا يقرأها إلا أهل العلم ، أما الذي يكون موجودًا بين أظهر الناس هذا يكلم العامة ويخطب فيهم ويحاضرهم ، والآن مثلاً قد يظهر في القنوات ويظهر في الصحف ، إذًا شره مستطير ، ليس كذاك ، هذا يبدع وينبه ويحذر من بدعته ويضلل ، ويقال : أنه أشعري . وأنه كذا وكذا إلى آخره ، فحينئذٍ فرق بين هذه المسألة .

لكن تبقى القاعدة الكبرى أن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة والجماعة قطعًا هذا لا ينبغي أن ينزاع فيه طالب العلم ، وخاصةً إذا عرف التوحيد عند الأشاعرة ، إذا كان أصل الأصول هل شيء أمر قبل التوحيد ؟ ليس ثَمَّ أمر ، الدين أول ما جاء بل خلق الله عز وجل الخلق الجن والإنس من أجل التوحيد فإذا ضلوا في هذا الباب فما عداه من باب أولى وأحرى ، نقول : الاسم من أهل السنة والجماعة ، وهذه المسألة اجتهادية الحكم عليهم بكونهم من أهل السنة والجماعة هذه مسألة قد يُنازع بعض المعاصرين مثلاً من أهل العلم أو ينقل عن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بالتفصيل نقول : مسألة اجتهادية فإذا تبين أنهم ضلال في المعتقد حينئذٍ لا يحل لأحد أن يقلد أحدًا مهما كان .

نقول : الصحيح أنهم ليسوا من أهل السنة والجماعة ، لا في قليل ولا في كثير ، وحتى في باب الأسماء الذي قال بأنهم وافقوا أهل السنة في سبعة صفات ، هذا في الظاهر وإلا في الحقيقة ليسوا حتى في هذه الصفات السبع ليسوا على طريقة أهل السنة والجماعة ، لا يأتيك أشعري بإثبات في إثبات صفة من هذه الصفات بقال الله وقال الرسول ﷺ ، وإنما يثبتونها بالعقل ، وأما النقل ليس عندهم محلاً لاستناد الأسماء والصفات ، النقل كله القرآن كله من أوله إلى آخره لا يُقبل في إثبات العقيدة البتة لا عند الجهمية ولا المعتزلة ولا الأشاعرة ولا الماتريدية ، جميع المتكلمين ليس عندهم القرآن حجة في إثبات العقائد هذا نقول من أهل السنة والجماعة ؟!

أهل السنة والجماعة يعني : اجتمعوا على مفهوم السنة الصحيحة ، وأعظم ما يؤخذ به من السنة هو القرآن العظيم ، ثم ما جاء تفسيره أو لم يأت عموم السنة يؤخذ مما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، حينئذٍ كيف نقول هؤلاء ، نناقض أنفسنا يعني : أمر واضح بين يدرك بالحس أنهم ليسوا من أهل السنة والجماعة ، وما أثبتوه من الصفات إذا قيل بأنهم وافقوا أهل السنة في هذا وخالفوا في ذاك ، نقول : هذه هي الأصول التي أثبتوا بها هذه الصفات السبع إنما مردها إلى العقل ، وفرق بين من [يجعل العقل حاكمًا على العقل] [18] من يجعل النقل حاكمًا على العقل ، وبين من يجعل العقل حاكمًا على النقل ، فرقان بينهما كما بين السماء والأرض ، حينئذٍ لا ينبغي أن يقال بأنه من أهل السنة ، وما ورد أن النووي رحمه الله وابن حجر رحمه الله تعالى هؤلاء نقول : اجتهدوا وأرادوا الحق لكنهم أخطئوا الطريق ، ومع ذلك ننبه على ما وقع عندهم من بدع ونحو ذلك .

س - هل نفهم من حديث : « **تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة** » الحديث . ج : أن جميع المذاهب المخالفة لأهل السنة والجماعة من الأشاعرة والجمهية والصوفية وغيرهم - أما الجمهية كفار بإجماع السلف ، وليس فيهم قولان إجماع من السلف أنهم كفار ، وأما المعتزلة فأكثر السلف على أنهم كفار ، والأشاعرة أكثر السلف على أنهم من أهل الإسلام - وغيرهم في النار أم هناك تفصيل ؟

النبي ﷺ يقول : « **كلها في النار إلا واحدة** » . ماذا تريد ؟ النبي ﷺ يقول : « **كلها في النار إلا واحدة** » . هل نقول : بعضها لا يدخل في النار ؟ النبي يقول : « **كلها** » . كل لفظ عموم .

صيغه كل أو الجميع وقد تلا الذي التي الفروع

هذه صيغة عموم كلها إلا واحدة ، هذا استثناء ، وهذا يدل على ماذا ؟ ولذلك الاستثناء من معيار العموم ، إذًا كلها في النار ، لكن يبقى السؤال هل هي مخلدة في النار ؟

ما كانت بدعته مكفرة فهو خالد مخلد في النار ، وما أجمع السلف على تكفيره كذلك ، وما لم يكن كذلك حينئذٍ نقول : الأصل أن دخول النار لا يلزم منه التخليد .

س : على شبهة من يقول أننا لو قلنا بأن الفاسق يعني : أخف ضررًا ممن وقع في البدعة ، وهذا لا شك الفاسق هذا مرده إلى الوقوع في الشبهات ولا الشهوات ؟

الشهوات وأما الشبهات هذه متعلقة بالعقيدة ، والخلل في العقيدة أشد ، فهل نقول : أئمة مثل السيوطي وغيرهم وقعوا بأنهم أشر .

ج : إلا لا بد أن تنزل على المعين ، الآن عندنا قاعدة عامة الخلل في الشبهات أضر وأشد من الخلل في الشهوات ، هذه قاعدة عامة ، والأموات ما لك وما لهم انتهوا أفضوا إلى ما قدموا ، لكن تبقى المسألة في كتبهم وينبه على ما عندهم من أخطاء ، الكلام في الحي ، الْحي الذي تتعلق به أحكام الهجر هجر المبتدع لما تكون بالأحياء ، وأما الأموات فالحكم على المعين ليس من شأنك ، لأنهم أفضوا إلى ما قدموا وما عندهم من كتب يبين أن هذا أخطأ في كذا أو ابتدع في كذا ، تصنف يُحَشَّى عليها يكتب مثلاً أو شيء من هذا القبيل ، أما كونه فاسق ، كونه في النار هذا ليس إليك هذا .

س : هل إذا أقر الشخص بأن الله هو الخالق الرازق هل يكون عند الأشاعرة مسلمًا أم موحدًا أم أن تعريفهم نظري ؟

([18]) سبق .

ج : أجيبوا ، لو جاء نصراني قال : أريد أن أدخل في الإسلام . فوقع عند أشعري فأقر لا إله إلا الله ، لا قادر على الاختراع إلا الله ، لا خالق إلا الله أسلم أو لا ؟

ما أسلم ، ما دخل في الإسلام ، لو قال الكافر : لا إله إلا الله . وفسر له قال له : اعتقد أن المراد بـ لا إله إلا الله لا خالق إلا الله ما دخل في الإسلام لأن المراد من قول لا إله إلا الله - كما سيأتي درسنا الليلة - أن ليس المراد بها مجرد اللفظ لا بد من تحقيق معناها الذي دلت عليه ، والعمل بمقتضاها لا بد من هذا ، وأما مجرد القول وهذا لا يقول به إلا الضال كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى .

س : ما حكم من اعتقد اعتقاد الأشاعرة الماتريدية الذي ذكرته ؟

ج : ما هو الذي ذكرته ، هم الذين يذكرون ، دائمًا لا تنسبون هذه الأشياء للأشخاص ، ارجع إلى كتبهم وأنا أخذت لك مثال لأشعري صوفي معاصر كله من أجل أن تعرف عقيدة الأشاعرة وعقيدة المشركين عمليًّا ، كيف يدللون على ذلك ، ولذلك إذا أردت أن تعرف ما عندهم لا بد أن تقرأ كتبهم ، لكن تكون على بينة متسلح سلاح العلم النافع الصحيح ، حينئذٍ تستطيع أن تنطلق من تقرير أدلتهم على ذكر المسائل من كتبهم هم ، فإذا عرفوا هذا التعريف بـ ((**البراهين**)) و ((**جوهرة التوحيد**)) ولذلك لو رجعت إلى شروحهم تجدهم ينصون على هذا ،بأن الله واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له . هذا هو التوحيد عندهم ، وهذا توحيد أبي جهل وأبي لهب - .

س : هل نحكم بأنهم مشركون ؟

س : ما الفرق بين الكافر والمشرك ؟

ج : سبق هذا معنا في دروس سابقة ، والصواب أنهما مترادفان ، الشرك والكفر بمعنى واحد ، جاء إطلاق الكفر على الشرك مرادًا به من اتخذ ندًا مع الله ، وجاء إطلاق العكس بالعكس .

س : هل يجوز في زماننا أهل الفترة ؟

ج : سبق البيان .

س : هل النووي وابن حجر وغيرهما من الأشاعرة الذين اعتقدوا التوحيد مثل توحيد العلوي المالكي ؟

ج : هذا ناصر للشرك فرق بين من يدعو إلى الشرك ويحسنه ويكتب فيه ويدعو الناس ويكفر من خالفهم ، فرق بين هذا وذاك ، لا تلتبس الأمور ، ثم انتبهوا إلى مسألة الحكم على المعين من جهة البينة ، يعني نقول المسألة تأصيلاً ، ثم احكم على المعاصر ، إن رأيت من يدعو إلى الشرك فهو مشرك ، التقيت به أو لم تلتق به ، سمع حجةً أو لم يسمع ، ما دام أنه من أهل العلم فحينئذٍ الحجة قد قامت عليه ، ومن لم يكن كذلك كل من وقع في الشرك فهو مشرك شاء أم أبى .

س : يقول : الجفري يدعي أن كبار الصوفية يخلقون مع الله .

ج : هذا إن ثبت عنه فهو أكفر من أبي جهل .

س : افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة هل دخولهم في النار أبدي ؟

ج : هذا زيادة على النص ، محتمل يحتمل أنهم مسلمون مبتدعون ، ويحتمل أنهم كفار .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

وقفنا عند قول المصنف رحمه الله تعالى : (**وهذا التوحيد هو معنى قولك : لا إله إلا الله**) . عرفنا المراد بالتوحيد المشار إليه هو : توحيد العبادة . إفراد الله تعالى بالعبادة ، وهذا التوحيد هو قول لا إله إلا الله ، ومفاد قول لا إله إلا الله لا معبود حق إلا الله ، وهذه كلها الجمل الثلاث مجمع عليها بين السلف ، أن كلمة التوحيد هي شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله ، وعرفنا أن المخالفين من أهل البدع ومن نحى نحوهم قد اختلفوا في تفسير لا إله إلا الله ، فحينئذٍ لا بد من إثبات نقيض ما قالوه ، يعني : إبطال المعنى الذي ذهبوا إليه . وإذا قلنا بإجماع السلف أن معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله فبإثبات الإجماع يكفي في رد مقالتهم ، ولكن قلنا فيما سبق أنه من جهة اللغة بإجماع أهل اللغة أنه لا يستعمل الإله بمعنى القادر على الاختراع ، أو أنه بمعنى الخالق

، في لسانِ العرب هذا لا يعرفه أهل اللسان أن الإله بمعنى الرب ، وإنما الإله له معنى خاص ، والرب له معنى خاص ، إذًا سبب ضلال من ضل في مفهوم التوحيد أمران :

الأمر الأول : أنهم لم ينطلقوا من مفهوم الكتاب والسنة . ولو بدؤوا من الكتاب والسنة استدلالاً واعتقادًا لسلموا من الوقوع في الضلال ، ولكنهم اعتقدوا عقيدتهم المبنية على الأدلة والبراهين والحجج العقلية علم الكلام ونحوه ، ثم لما نظروا في الكتاب والسنة أرادوا أن ينزلوا الكتاب والسنة على ما اعتقدوا ، ولذلك يحرفون الكلم عن مواضعه .

والسبب الثاني : أنهم أخطئوا من جهة معنى الإله والرب هل الإله بمعنى الرب ؟ قلنا : الصواب لغةً وشرعًا أن ثَمَّ فرقًا بينهما ، فالإله بمعنى المعبود على الصحيح في الاشتقاق من أَلِهَ يَأْلَهُ إِلهَةً ، وأنه من جهة المعنى أجمع السلف على أن المراد بالإله هو الذي اتخذ معبودًا ، والمراد به في لا إله إلا الله الإله الحق ، ولذلك نقول : الله الصواب أنه مشتق ، وأصله الإله ، حذفت الهمزة وأسقطت تخفيفًا ، ثم أدغمت اللام في اللام وفخمت تعظيمًا ، فقيل : الله . الله أصله المعبود المطاع ، وأما الرب فقلنا : يرجع إلى ثلاث معانٍ أشهرها أنه المالك المربي ولذلك فرق بينهما الرب جل وعلا في سورة الناس (**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ**) [الناس : 1 - 3] فلو كان الإله بمعنى الرب أو الرب بمعنى الإله لصار فيه حشوًا وتكرارًا ، ما الفرق بينهما ؟ (**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**) ثم قال : (**إِلَهِ النَّاسِ**) . يعني : رب الناس . ليس فيه زيادة معنى فصار حشوًا ، والصواب أن يقال : أن إجماع السلف وقبل ذلك أهل اللغة بل حتى المشركون - كما سيأتي - أنهم يقرون بأن الإله المراد به المعبود وليس هو الخالق المدبر لهذا الكون ، فهم عرفوا معنى الإله ولذلك أنكروا أن يقولوا : لا إله إلا الله . لم يتلفظوا بها لأنهم عرفوا معناها ، ولذلك هم أعرف من المشركين المتأخرين لأنه لم يعرفوا ، أولئك علموا وخالفوا والمتأخرون جهلوا المعنى وخالفوا ، فجمعوا بين السيئتين ، وأولئك خالفوا ما قد علموه ، (**وهذا التوحيد**) الذي هو توحيد العبادة (**هو معنى قولك : لا إله إلا الله**) لا إله إلا الله هذه جملة مركبة من خمس كلمات ، (لا) وهي حرف نفي للجنس والمراد به نفي حكم الخبر عن اسمها لأنها تعمل عمل إن ، (إله) وهو اسمها مبني معها على الفتح في محل نصب ، (إلا) أداة استثناء المراد به الحصر ، (الله) هذا بدل من الضمير المستكن في الخبر ، والخبر هنا يقدر بإجماع السلف حق ، كلمة حق لقوله تعالى : (**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**) . فدل على أن الخبر المحذوف هنا لأنه لا يصح حذفه إلا إذا كان معلومًا

وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر ** - متى ؟ - إذا المراد ما سقوطه ظهر

يعني إيش ظهر ؟ يعني : عُلِمَ . حينئذٍ لما أسقط هنا صار معلومًا ، معلومًا بمعنى أن ثَمَّ ما يرجع إليه ليؤخذ منه تقدير الخبر ، وهو القرآن والسنة ، فدل على أن السنة والقرآن ، القرآن والسنة هما اللذان يبينان الخبر المحذوف ، وأحسن ما يُسْتَمْسَكَ به هو قوله تعالى الآية التي ذكرناها ، (لا إله) هنا النفي هو استحقاق العبادة ، و (إله) قلنا : فِعَال بمعنى مفعول مشتق من أَلِهَ يَأْلَهُ إِلهَةً بمعنى عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً .

لله در الغانيات المدهي سبحن واسترجعن من تألهي

إذًا إله المراد به هنا المعبود ، وهذا معناه في اللغة ومعناه في الشرع ، ولذلك قال ابن عباس : الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين . فدل على أنه يفسر بالمعبود ، (**لا إله إلا**) أين الخبر ؟ (**لا إله إلا**) أداة استثناء (**الله**) بالرفع ويجوز النصب والرفع أشهر وأرجح ، وهو بدل من الضمير المستكن في الخبر ، وقلنا : حق هذا مصدر حَقَّ يَحُقُّ حَقًّا ، حق هذا هو الخبر النحاة والمشهور عندهم أنه يُقدر بموجود ، وهذا باطل لأنه يلزم منه الاتحاد ، لا إله موجود إلا الله ، وسبق معنا تقرير أن الإله يُطلق على كل ما اتُّخِذَ معبودًا سواء كان بحق أو بباطل ، إذًا كل ما عبد في الوجود فهو الله ، هذه عقيدة من ؟ الاتحاد الذين يرون أن الله تعالى متحد في الوجود كله ، فالوجود هو عين وجوده تعالى الله عما يقولون ، لا إله موجود نقول : هذا التقدير باطل ولو اشتهر عند النحاة ، وإنما يقدر لا إله حق فهو نفي لاستحقاق الألوهية عن جميع المعبودات إلا الله ،إثبات العبادة أو الألوهية لله جل وعلا ، فهذان ركنان لا بد منهما ، الإثبات المحض ليس بتوحيد ، والنفي المحض ليس بتوحيد ، بل هو تعطيل محض ، فلا بد من الأمرين ولا يتم الإفراد إفراد العبادة لله جل وعلا المفهوم من هذا النص لا إله إلا الله إلا بهذين الأمرين ، لا إله نافيًا جميع ما يُعْبَدُ من دون الله إلا الله مثبتًا جميع العبادة لله جل وعلا ، حينئذٍ أخذنا حصر العبادة من قوله : (**لا**) (**إلا**)

. لأن لا وإلا أعلى صيغ الحصر ، كما إذا قلت : مَا قَامَ إلا زَيْدٌ . هذا فيه حصر القيام في زيد ، وهنا فيه حصر الألوهية الحقة في لله عز وجل ، وأن ما عداه - وإن عُبِدَ ، وإن اتخذ إلهًا - هذا لا يُنْفَى - كما ذكرناه سابقًا - بدليل أن الله تعالى سماها آلهة -وهم سموها آلهة ، إذًا نثبت كونها آلهة ولكن ننفي استحقاق كونها آلهة ، واضح هذا ؟ فالذي يُنْفى ليس كونها آلهة لأن الإله في لسان العرب هو من اتُّخِذَ معبودًا ، ثم الذي يُعبد قد يُعبد بحق وهو الله جل وعلا ، وقد يُعبد بباطل ، فحينئذٍ إذا نفينا الألوهية عنها من جهة تسميتها آلهة نقول : هذا خالفنا الواقع ، لأن الواقع أن ثَمَّ من عُبِدَ من دون الله جل وعلا ، هي معبودة نعم وهي آلهة عندهم ، لكن هل هذه الآلهة بحق أو بباطل ؟

لا شك أنها بباطل . إذًا لا إله المنفي هو استحقاق العبادة ، لا وجودها بل هي موجودة الآلهة موجودة ونحن لا ننفي وجودها ، وهذا يدل عليه أيضًا ماذا ؟

يدل عليه دخول النفي على إله ، لأن النفي في لغة العرب لا يُسلط على الذوات وإنما يُسلط على الصفات ، هذا الذي يُنْفَي ، ولذلك إذا جاء « **لا صلاة لمن لا يقرأ** » . « **لا صلاة** » . يعني : نفي صحة الصلاة يُسلط على ماذا ؟ على الصحة على الصفة التي تتعلق بالصلاة . هنا (**لا إله**) ليس النفي مسلطًا على وجود هذه الآلهة ، بل على استحقاقها ووصفها هل هي بحق أم بباطل ، فنفي ماذا ؟ استحقاق العبادة لها ، فحينئذٍ لا تنفي حكم الخبر لاسمها ، ما هو حكم الخبر هنا ؟ الأحقية ، حق هذا المعنى منفي عن قوله : (**لا إله**) . واضح هذا ؟ ولذلك نقول هنا ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى في ((**بدائع الفوائد**)) ورددنا مرارًا في شرح الاستثناء في النحو وفي الأصول ، أن الله هنا لم يدخل أصلاً في المستثنى منه ما هو المستثنى ؟ الله ما هو المستثنى منه ؟ هنا في هذه الجملة إله ، إله منفي سلط عليه النفي لو أدخلت الله جل وعلا تحت هذا النفي حينئذٍ نفيت عنه استحقاق الألوهية وهذا باطل هذا كفر هذا ليس بتوحيد ، لو قال : لا إله . ونفى الألوهية عن الله ثم أثبتها لله نفى وأثبت هذا توحيد ؟ ليس بتوحيد ، بل الصواب أن الاستثناء هنا إخراج من المستثنى منه وحكمه وليس من الحكم فحسب ، لأن المشهور عند النحاة أنه إفراد بـ إلا أو إحدى أخواتها ما لولاه لدخل في المستثنى منه ، نقول : هنا الاستثناء إخراج له من اللفظ لم يدخل تحت اللفظ أصلاً ، وإخراج له من الحكم وهو : النفي . فلم يُنْفَ أو تَنْفَ الألوهية عن الله عز وجل ، وإنما قيل : لا إله إلا الله . نفيت جميع نُفِيَ جميع استحقاق العبادة لغير الله ، ثم أثبتت على وجه الكمال لله عز وجل .

فالحاصل أن قوله : (**الله**) . في هذه الجملة لم يدخل في قوله : (**لا إله**) . حتى يخرج ، وإنما ذكر (**إلا الله**) قول متصل مع المنفي ليدل على أنه غير مراد بالنفي هذا لا بد من التنبه له . إذًا لا إله حق هل يصح أن يقال : موجود ؟ جوز بعضهم ، والحكمي في المعارج على ذلك أنه إذا وصف اسم لا بموجود حينئذٍ صح مع الخبر أن يكون مقدرًا بحق ، يعني : لا إله موجود حق إلا الله . وهذا لا إشكال فيه ، لو قال : لا إله حقًّا لا إله موجودًا حقٌّ إلا الله . نعت اسم لا بـ موجودًا صح حينئذٍ ذكر لفظ الوجود لكن هذا لا يُرَدُّ به على النحاة لماذا ؟ لأن النحاة أرادوا بالموجود أن يكون خبرًا ، وإذا جعلناه نعتًا وقدرنا الخبر غير ما قدره النحاة فحينئذٍ لم نتوافق معهم لم نتحد مع النحاة ن وإنما خالفناهم وهذه المخالفة هي الحق ، (**وهذا التوحيد هو معنى قولك : لا إله إلا الله**) . إذًا المنفي هنا هو استحقاق العبادة ولا إله دخلت لا على إله وهو جنس ، والمنفي هو حكم الخبر المسلط على اسمها ، (**إلا**) إثبات ، (**الله**) إثبات العبادة والألوهية أو العبودية لله عز وجل وحده دون ما سواه ، والمعنى العام أن يقال : لا إله إلا الله لا معبود حق إلا الله ، حقٌّ أو بحقٍّ وجهان يجوز هذا ويجوز ذاك ، ولكن إذا قلنا : بحقٍّ . لا يقال أن الجار ومجرور متعلق بمحذوف ، وإنما الباء تكون زائدة للتأكيد لأنها تقع زائدة بعد النفي لا ، وحقٌّ تكون خبرًا مرفوعًا ورفعه ضمه مقدرة على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد ، فحينئذٍ كلاهما صحيح لا يقال بأن حقٌّ هو الصواب وبحقٍّ نحتاج إلى تقدير الصواب أنه لا يحتاج إلى متعلق

يتعلق به ، فإن قلت : لا إله حقٌّ إلا الله ؟ فهذا صحيح ، وإن قلت : لا إله بحقٍّ إلا الله . فهذا أيضًا صحيح وهو أبلغ من الأول .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى شارحًا معنى الإله في لسان العرب والذي أراده منهم النبي ﷺ فقال : (**فإن الإله**) . هذا بإجماع أهل اللغة والتفسير والفقهاء أن الإله عندهم عند مشركي العرب الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يُقْصَدُ لأجل هذه الأمور ، يعني : لقضاء الحاجات وتفريج القربات وإغاثة اللهفات ، والذي يذبح عنده ، وينذر له ويطاف ونحو ذلك وما ينذر من العبادات هو الذي يسمى بالإله . إذًا الإله بمعنى ماذا ؟

بمعنى المعبود الذي يقصد لأجل هذه الأمور يعني : من التوسط وما يفعل عند الشفعاء هو الذي يعنيه المشركون ، وهو الذي يفهمه المشركون من لفظ الإله ، إذًا فسروا الإله بماذا ؟ بمعنى المعبود ، والمعبود هو الذي يُتَعَبّد له

بالعبادات ويذبح له ويُنْذَر له ويُستغاث به ويُستعان به ، كل العبادات التي تصرف للمعبود سمي إلهًا ، ثم قد يكون بحق وقد يكون بباطل (**فإن الإله**) عندهم يعني : عند العرب مشركي العرب . (**هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور**) يعني : يتقرب إليه بسائر العبادات بقطع النظر عن كونه ملكًا أو شجرًا أو قبرًا أو نحو ذلك ، ولذلك قال : (**سواء**) . كان ذلك المألوه الذي فُعِلَتْ لأجله هذه الأمور (**سواء**) كان المألوه (**ملكًا ، أو نبيًّا ، أو وليًّا ، أو شجرة ، أو قبرًا ، أو جنيًّا**) هذا مفهوم الإله في لسان مشركي العرب على جهة الخصوص وفي لسان العرب على جهة الإطلاق فهم فهموا أن الإله المراد به من ؟ هو الذي تصرف له العبادات ، الذي يُتَعَبّد له بسائر أنواع العبادات يسمى إلهًا عندهم في لسانهم ، لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر لأنه ليس في لسانهم ، إنما الخالق الرازق المدبر المتصرف في الملكوت هو الرب لأنه الذي تُصرف له سائر العبادات ، وفسروا الرب بأنه الخالق الرازق المدبر ، لم يفهموا من لفظ الإله أنه الخالق الرازق المدبر على عكس ما فهمه المتأخرون من المشركين ونحوهم ، لم يريدوا يعني : مشركو العرب أن الإله هو الخالق الرازق المدبر لأنه ليس في لسانهم ذلك المعنى لهذا اللفظ ، من الإله ؟ متى ما أُطْلِقَ انصرف إلى المعبود ، وأما (**الخالق الرازق المدبر**) فهو من مقتضيات معنى الرب ، وفرق بين اللفظين لا يستويان ، مفهومهما متغايران (**فإنهم يعلمون**) أي : العرب . مشركي العرب (**أن ذلك**) أي : الخلق والرزق والتدبير . (**لله وحده**) فمشركوا العرب يعلمون معنى الألوهية ولهذا جحدوها ، يعلمون أن الخلق والرزق والتدبير لله وحده لأنهم أقروا بمفردات توحيد الربوبية ، إذًا كيف أنكروا لا إله إلا الله ، لو فهموا من الإله بمعنى الخالق الرازق هل حصل خلاف بينه وبين النبي ﷺ ؟ لم يحصل خلاف ، بل وافقوه ، لأن الإله بمعنى الخالق ، لكنهم ما فهموا هذا ، فهموا أن الإله هو الذي يتقرب إليه بالعبادة وهو الذي تصرف إليه سائر أنواع العبادات ، ولذلك أنكروا ، ولم يفهموا من لفظ الإله أنه الخالق الرازق المدبر لأن هذا من معنى الرب وليس من ، معنى الإله ، انتبه لهذا ، هذا أصل محكم مقطوع به من الشرع أنهم فرقوا بين اللفظين ولذلك من سوى بينهما وجعلهما مترادفين ضل وأضل في مفهوم التوحيد كالأشاعرة ونحوهم . (**يعلمون أن ذلك**) أي : الخلق وغيره . (**لله وحده كما قدمت لك**) فهذا معنى الرب ، وفرق بين الرب ومعنى الإله ، وفرق بين معنى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ، فرق بينهما ، فَرَّقَ بينهما مشركو العرب ، مشركو العرب فرقوا بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، ثم يأتي المتأخر فيقول : هما بمعنى سواء ، شتَّان شتان بين الطائفتين والفرقتين ، (**وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا**) هنا أراد أن ينتقل إلى مسألة ، عرفنا الآن أن مشركي العرب فسروا الإله بمعنى المعبود ولم يفهموا من الإله معنى الربوبية ، بل فرقوا بين الإله ، والرب عند المتأخرين حرفوا اللفظ مع اتحاد المعنى لم يسموا المعبودات بالآلهة ، وإنما أحدثوا لها أسماء غيروا وبدلوا وحرفوا ، سمَّوْا من ص...# 36.00 والشيخ والولي ونحو ذلك ، هل بتغير هذه الألفاظ تتغير الحقائق أم لا ؟

الجواب : لا ، فلا فرق بين من سمى المعبود إلهًا أو غير وحرف فسماه سيدًا ما دام أنه تُصرف إليه نوع أو أنواع من العبادات فالحكم هو الحكم ، يعني : لا ينتقل الحكم من كونهم ليسوا بمشركين لأن أولئك الأقوام أثبتوا الآلهة وهؤلاء لم يثبتوا الآلهة نقول : هؤلاء أثبتوا الآلهة مع إثبات المعنى الحقيقي الوضعي له في لسان العرب ، وهؤلاء أثبتوا الآلهة لكن من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، فغيروا وبدلوا وحرفوا والعبرة بالمعاني والحقائق لا بالألفاظ والأسامي ، فهذه وإن تبدلت وتغيرت حينئذٍ ننظر إلى المعنى ، ولذلك قال هنا مقارنة بين المشركين المتأخرين وبين المتقدمين ، فالمتقدمون عرفوا معنى الإله وأنه المعبود وفرقوا بين الإله وبين معنى الرب ، وأما المتأخرون قال : (**وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد**) . فالسيد من جهة المعنى مرادف للإله ، والسيد هو المتولي للسواد أي : الجماعة الكثيرة . وينسب إلى ذلك فيقال : سيد القوم . ويقال : ساد القوم يسودهم . هذا من جهة اللغة . ليس فيه معنى العبودية ، ولا المعبودية ، ليس بمعبود هذا في لسان العرب لكنهم ما دام أنهم نقلوا هذا اللفظ وجعلوا له حقيقة عرفية عندهم وهو أن السيد هو الذي يذبح له ، إذًا ما الفرق بين الإله والسيد ؟ لا فرق بينهما ، إذا جعلوا الشيخ هو الذي يُنْذَرُ له ويُطَافُ بقبره ويستغاث به ، ما الفرق بين الإله والسيد والشيخ ؟ لا فرق بينهما .

هل استعمل العرب لفظ الشيخ في المعبود ؟ الجواب : لا ، هل استعمل العرب لفظ السيد في معنى المعبود ؟ الجواب : لا ، إذًا أحدثوا ألفاظ وجعلوا لها معنًى هذا المعنى هو حقيقة الشرك ، والشرك شركٌ حيث ما تقلبت به الألفاظ وبدلت وتغيرت ، لا ينتقل إذا غيرنا اللفظ يعني : الخمر خمر لو سُمِّيَتْ ماذا تسمى ؟ مشروبات روحية أو روحانية هل انتقل الحكم ؟ لا ، سَمِّهَا ما شئت ، أم الأفراح أم الخبائث هي هِي عينها عينهَا ، الحرام حرام سَمِّ الزنا

نكاح متعة أو سميه مسيار أو سميه ما شئت ، نقول : هذا كله لا يخرج الشيء عن حقيقته ، فالربا ربا ولو سميته معاملات معاصرة ، أو بنكية نقول : الربا ربا عينه ربا ، ولكن الأسماء لا تبدل الحقائق ، فالنظر حينئذٍ يكون إلى الحقيقة ، قال : (**وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد**) . والسيد هو المتصرف المطاع في ملكه وهو بمعنى الرب في الجملة ، ويريد المشركون بلفظ السيد الذي بيده التوسط ، ولذلك يقولون : السيد البدوي ، والسيد الجيلاني ، والسيدة زينب ، والسيد الرفاعي ، والتيجاني . وغيرهم والحسين والحسن كل هؤلاء الأسياد مرادفة لقول المشركين السابقين آلهةً ، فالسيد البدوي معناه الإله البدوي ، والسيد الحسين معناه الإله الحسيني ، لماذا ؟ لأن المراد من لفظ السيد هو الذي يُراد من لفظ الإله ، وهو الذي تصرف إليه أنواع من العبادة ، وهذا هو حقيقة الشرك ، فيطلقون على الإله لفظ السيد ، والعبرة بالحقائق لا بالألفاظ ، فالسيد يُعنى بهذا اللفظ ما يَقْصِدُ أو يُقْصَدُ بلفظ الإله عند العرب ، يُعْنَى بالسيد عند المتأخرين ما يُعنى بلفظ الإله عند مشركي العرب . إذًا السيد هو الذي يقصد لأجل التوسط عند الله ، فالمشركون الأولون يسمون هذه الأشياء آلهة ، والمتأخرون يسمونها السيد أو وسائط أو وسائل أو شفعاء أو الشيخ أو السر أو نحو ذلك ، فهذه كلها ألفاظ وإن تغيرت وكثرت إلى أن مردها أنه الذي تُصْرَفُ إليه أنواع من العبادات ، الذي يجعل واسطةً بين الخلق وخالقه فتصرف له أنواع من العبادات لأجل ذلك . إذًا لا فرق بينهم وبين أولئك .

(**فأتاهم النبي**) صلى الله عليه وآله وسلم (**يدعوهم إلى كلمة التوحيد**) أي إلى تحقيقها . لأنهم علموا معناها ، المشركون علموا معنى لا إله إلا الله ، يعني : لا معبود إلا الله . لكن ما الذي انتفى عندهم هو العمل علموا فخالفوا لم يعملوا وهذا يدل على أن العمل ركن في مسمى التوحيد ، وسيعقد المصنف في آخر الرسالة هذه المسألة أن التوحيد اعتقاد وقول وعمل ، لا بد من اجتماع الأركان الثلاثة وإلا فالمشركون علموا معنى لا إله إلا الله ولكنهم لم يعملوا ، هنا قال : (**فأتاهم النبي**) ﷺ (**يدعوهم إلى كلمة التوحيد**) . أي : إلى تحقيقها . (**وهي (لا إله إلا الله)**) وتحقيق كلمة التوحيد هو : العمل بمدلولها لا معبود إلا الله أن لا يعبد إلا الله جل وعلا (**وهي**) أي : كلمة التوحيد . (**(لا إله إلا الله)**) والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ، ليس المراد أن يَنْطِقَ بها فحسب دون أن يعرف معناها أو يعمل بمقتضاها ، بل لا بد من معرفة معناها ،العلم بمعناها ، والعمل بمقتضاها ، والكفر بما يعبد من دون الله ، لا بد من هذه الأمور الثلاثة فإن قالها لفظًا فحسب نقول : لم تنفعه . لأن المنافقين علموا معناها وقالوها هل نفعتهم ؟

لا ، بإجماع أهل العلم ، المنافقون يقولون : لا إله إلا الله . ويعلمون معنى هذه الكلمة ومع ذلك قال الله تعالى فيهم : (**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**) [النساء : 145] . هم شر من الكفار الذين أظهروا الكفر ، يعني : كفروا ظاهرًا وباطنًا . وهؤلاء كفروا باطنًا لا ظاهرًا فقالوها هل نفعتهم ؟ الجواب : لا ، إذًا نأخذ من هذا أنه لا يكفي مجرد التلفظ بـ لا إله إلا الله .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : من اعتقد أنه بمجرد تلفظه بالشهادة يدخل الجنة ولا يدخل النار فهو ضال مخالف للكتاب والسنة والإجماع ؟

لأن الإجماع منعقد على أن المنافقين قالوها ولم تنفعهم ، وكذلك لو كان ثَمَّ كافر مجنون ، ثم قال : لا إله إلا الله . هو في الأصل قبل قولها تبع لوالديه كافر مثلهم لو ولد مجنونًا ، ثم بلغ فقال : لا إله إلا الله . دخل في الإسلام ؟ دخل أو لا ، كيف مترددين دخل أو لا ؟ بالإجماع لا ، لا يحكم عليه بالإسلام لفقد شرطها العلم بمعناها المنافي للجهل ، لا بد من هذا ، لا بد أن يعلم معناها ، وأما مجرد التلفظ فهذا لا يكفي بدليل ما ذكرناه ، وكذلك جاء في السنة « **من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه** » . لم يجعل التلفظ بها فحسب كافيًا في العصمة عصمة الدم والمال لماذا ؟ لأنه قال : « **من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله** » . إذًا لو قالها فقط يكفيه ؟ لا تكفيه ، لو قالها مع العلم بمعناها تكفيه ؟ لا تكفيه ، لو قالها مع العلم بمعناها والعمل بمقتضاها تكفيه ؟ لا تكفيه ، حتى يضم إليه الكفر بما يعبد من دون الله ، لأنه داخل في مفهوم كلمة لا إله إلا الله ، الكفر بالمعبودات لا بالعابدين هذا من لوازمها ، الكفر بالمعبودات بغضها والبراءة منها هذا داخل في مفهوم لا إله إلا الله ؛ لأنه جزئها الأول وهو النفي . والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها لما ذكرناه من أن المشرك المجنون إذا قال : لا إله إلا الله . لا تكفيه بالإجماع ، وكذلك المنافق قالها لفظًا وعلم معناها ومع ذلك فهو في الدرك الأسفل من النار .

ثم قال رحمه الله تعالى : (**والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي**) ﷺ (**بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق**) . الكفار الجهال ، الكفار هنا عبر عن المشركين هو أراد المشركين الأُوَل الذين بُعِثَ فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا يدل أن المصنف يتوسع في إطلاق الكفر على الشرك والعكس بالعكس . (**والكفار الجهال يعلمون**) جهال يعلمون ، صحيح هذا ؟ الكفار الجهال ما هو الجهل ؟ عدم العلم نقيض العلم (**الجهال يعلمون**) والعلم نقيض الجهل ، هذا التعبير صحيح أو لا ؟ أن الكفار الجهال يعلمون ؟ نقول : نعم تعبير صحيح وليس المراد هنا بالجهل نقيض العلم لأنه ثبت أنهم يعلمون معنى لا إله إلا الله ، عرفوا التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ ولذلك أنكروه ، جحدوه ، جحدوا عن علم ، وأما كونهم جهال فمن ترك العمل يصح أن يوصف بكونه جاهلاً ، ولذلك - سبق معنا - قول الفضيل : لا يزال العالم جاهلاً - العالم جاهلاً - حتى يعمل بما علم . فإن عمل حينئذٍ سمي عالم أما مجرد علم معلومات تخزن في الذهن ولا عمل ولا دعوة ولا تبصير هذا ليس من أهل العلم حتى يضم إلى العلم العمل .

هتف العلم بالعمل ** - أليس كذلك ؟ - فإن أجابه وإلا ارتحل

يُطلق الجهل مرادًا به فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل ، يطلق الجهل في لسان العرب مرادًا به فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادًا صحيحًا أو فاسدًا ، (**قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**) [البقرة : 67] أطلق على فعل الهزأ 48.34 بماذا ؟ أنه جهل لأنه لا ينبغي أن يُفعل ، ليس من حقه أن يفعل ، وكذلك إذا كان من حقه أن يفعل فتركه حينئذٍ نقول : هذا جاهل . إذًا (**والكفار الجهال**) وهم إن كانوا أميين لا يقرؤون إلا أنهم يعلمون من لسانهم ما خاطبهم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، (**يعلمون أن مراد النبي**) ﷺ (**بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق ، والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه**) هكذا علموا قطعًا نجزم بهذا ، أنهم علموا وأدركوا من هذه الكلمة لا إله إلا الله أنه يجب أن تنفى الألوهية عن ما سوى الله عز وجل ، وأن يفرد سبحانه بالعبادة وحده دون ما سواه ، (**هو إفراد الله تعالى**) علمنا أن الإفراد لا يتم إلا بشيئين وهما :

إثبات تام ، ونفي عام .

إثبات تام إلا الله ، ونفي عام لا إله . حينئذٍ يصح الإفراد ، ولذلك قلنا : التوحيد لا بد من ركنين اثنين إن وُجِدَ أحدهما لا يكون موحدًا لا بد من إثبات تام إلا الله ، ولا بد من نفي عام ، هو : (**هو إفراد الله تعالى**) . إذًا مأخوذ من نفي والإثبات نفي الإلهية عما سوى الله تعالى وإثباتها كلها لله وحده لا شريك له ، (**بالتعلق**) هذا جار ومجرور متعلق بقوله : (**إفراد**) . يعني : أفردته بأي شيء ؟ بالتعلق ، وعبر هو في أول الله الكتاب (**إفراد الله تعالى بالعبادة**) والتعلق المراد به هنا التعلق القلبي بمعنى التعبد القلبي ، لأن العبادة تكون باعتقاد وتكون بالقول وتكون بالعمل والجوارح والأركان ، وإذا وجد الاعتقاد التام والتعلق التام لزم منه وجود العمل ، فإن لم يوجد العمل دلّ على انتفاء الاعتقاد التام الذي يكون في القلب ، بينهما تلازم لا بد من وجود الاعتقاد في القلب إن وجد فحينئذٍ لزم منه وجود العمل الظاهر ، فإن انتفى العمل الظاهر دل على انتفاء الباطل ، (**هو إفراد الله تعالى بالتعلق**) يعني : التعلق القلبي التعبد . (**والكفر بما يعبد من دونه**) هذا داخل في مفهوم الكلمة ، ليس بشيء زائد عليها ، يعني : مفهوم الكلمة معاني الكلمة مركب .

الأول : (**إفراد الله تعالى بالعبادة**) .

الثاني : (**والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه**) .

البراءة أصلها البغض ، أن يبغض بقلبه وبلسانه وبجوارحه هذه المعبودات ، وأن يكفر بها ، ويعتقد أنها آلهة باطلة لا تستحق شيئًا من العباد ، ولذلك مضى حديث « **من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله** » . والمراد هنا الكفر بالمعبودات والعبادة نفسها ، وليس المراد الكفر بالعابدين يعني : البراءة من أهل الشرك هذا من لوازم لا إله إلا الله ، وليس من معنى لا إله إلا الله ، وأما البراءة من المعبودات أنفسها نفس الأصنام القبور البراءة منها والكفر بها هذا داخل في معنى لا إله إلا الله ، ففرق بين النوعين ، (**والبراء منه**) يعني : من تلك المعبودات . قال الله تعالى : (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ**) [الزخرف : 26 ، 27] . هذا شرح وإيضاح وتفسير بَيِّن يفهمه كل صاحب لسان وصاحب تجرد عن الباطل أن المراد بهذه الكلمة (**إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي**) أنه هو معنى لا إله إلا الله ، كل صاحب عقل سليم ومتجرد للحق يعلم أن المراد بهذه الآية تفسير وإيضاح وبيان معنى لا إله إلا الله (**بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ**) يعني : من المعبودات

، (**إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي**) يعني : خلقني وهو الله جل وعلا . وقال سبحانه : (**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ**) يعني : الأنبياء والمرسلين . (**إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ**) كل رسول يخاطب قومهم (**إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**) [الممتحنة : 3] ومضى معنا أن كل رسول يقول لقومه : لا إله إلا الله ، (**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**) القرآن يفسر بعضه بعضًا ، ولذلك تعجب أن يأتي عالم كبير من الأشاعرة ثم يضل في هذا المعنى ، والسبب في هذا - ولا تعجب - أنهم انطلقوا من غير الكتاب والسنة ، لو بدأوا بالنظر في الكتاب والسنة ما ضلوا ، نعم لأن إيضاح وبيان معنى لا إله إلا الله وعقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات والقدر هذه كلها كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى ليست من المحكم فحسب ، بل من أحكم المحكم ، يعني : لا يلتبس على أحد قرأ القرآن أن معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله ، لا يلتبس هذا ، من أظهر ما يكون كالشمس بل هي أظهر من الشمس في كبد السماء ، لكنهم لما انطلقوا من علم الكلام وتتلمذوا على أصحاب الكلام ونظروا في كتب أهل البدع حينئذٍ ضلوا وأضلوا ، وإلا المسألة واضحة بينة .

إذًا معنى لا إله إلا الله إفراد الله تعالى بالتعلق القلبي التعبد والكفر بما يعبد من دونه ، وهذا مأخوذ من النفي لا إله ، نكفر بكل معبودات الآلهة غير الله جل وعلا والبراءة منه يعني : من تلك المعبودات ومن الشرك نفسه ، إذًا يكفر بماذا ؟ يكفر بالشرك نفسه ، وبالمعبود ، وأما العابد فهذا من لوازم لا إله إلا الله (**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا**) [البقرة : 256] والعروة الوثقى هي لا إله إلا الله .

إذًا آيتين أو ثلاث توضح لك معنى التوحيد ، حينئذٍ لا يلتبس عليك هذا الفهم ، (**فإنه لما قال لهم**) ما الدليل على أنهم فهموا معنى لا إله إلا الله لا بد من دليل لأنه الحال والشأن . (**فإنه**) أي : الحال والشأن . (**لما قال لهم**) النبي ﷺ (**« قولوا : لا إله إلا الله » .**) لما قال له عمه : كلمة واحدة يقولنها تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية ففزعوا لكلمة يعني لكلمة واحدة قال : نعم وعشرًا وأبيك وعشرة . إذا كانت الكلمة فقط من أجل قولها ما بكلمة واحدة نقول : عشرًا قال :(**« قولوا : لا إله إلا الله ».**) فهموا المراد ، فهموا لا خالق إلا الله ؟! لا ، فهموا لا معبود ، يتبرءون من جميع المعبودات لا هبل ولا العزى ولا مناة ولا غيرها ، ففزعوا فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون أو يقول بعضهم : (**(أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) [ص : 5]**) . يتعجبون كيف آلهة تصل إلى الأربعمائة والخمسمائة كلها معبودات من غير الله جل وعلا كيف تجعل إلهًا واحدًا ؟! بهذه الكلمة الواحدة تبطل بها جميع هذه المعبودات ، قالوا : لا . رفضوا جحدوا فأنكروا هذا التوحيد مع كونهم يعلمون أن الإله ليس المراد به الخالق الرازق المدبر ، ويعلمون أن الإله المراد به من يتقرب إليه بسائر العبادات من الذبح والاستغاثة والطواف وغير ذلك ، هذا يدل على أنهم أفقه من المتأخرين (**فإنه لما قال لهم : « قولوا : لا إله إلا الله » . قالوا : (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) [ص : 5]**) إذًا كل ما صُرِفَ لغير الله تعالى من العبادات واتخذ معبودًا سُمِّيَ إلهًا بهذا النص ، وآية واحدة تكفي في إثبات الحكم الشرعي ، سُمِّيَتْ آلهة هم سموها آلهة ، هم اعترفوا أنها معبودات من دون الله جل وعلا ، ومع ذلك أقرهم الله عظ وجل بل سماها في غير آية آلهة (**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**) [الفرقان : 3] ، (**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً**) سماها آلهةً وهم اعترفوا أنها آلهة ، وفهموا أن الآلهة المراد بها المعبودات ، وأن المراد من التوحيد الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نفي لاستحقاق هذه المعبودات الألوهية وأن يفرد الله تعالى بالعبادة ، وأن يكفروا بسائر هذه المعبودات ، فتعجبوا منها ورفضوا وأبوا ، إذًا علموا المعنى الصحيح لـ لا إله إلا الله ولكنهم لم يمتثلوا وخالفوا .

يقول المصنف رحمه الله تعالى : (**فإذا عرفت أن جهال الكفار**) . جهال إذًا سماهم جهال لماذا ؟ لأنهم علموا فلم يَعْمَلُوا ، بعدم العلم يسمى جاهلاً ، إذًا من لم يعلم فهو جاهل ، ومن علم فلم يعمل فهو جاهل ، انتبه يا طالب العلم إذا لم تعمل بما تعلم فأنت جاهل ، وأنت شر من ذاك الذي لا يعلم أصلاً ، لأن هذا يكون فيه نوع عناد الذي يعلم ولم يعمل فيه نوع عناد واستكبار ، لأنه ما ترك إلا من أجل الاستكبار ، (**فإذا عرفت أن جهال الكفار**) الذين علموا وخالفوا (**يعرفون ذلك**) ما هو ذلك ؟ أن المعنى من لا إله إلا الله هو إفراد الله تعالى بالعبادة والكفر بما يعبد من دونه ، (**فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرف جهال الكفار**) ، (**فالعجب**) يتعجب المصنف رحمه الله تعالى ، والعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ، ويقال للشيء

الذي يُتَعَجَّبُ منه عَجَبٌ ، (**فالعجب**) يتعجب رحمه الله تعالى ممن يدعي الإسلام ينتسب إلى الإسلام (**وهو لا يعرف من تفسير**) وإيضاح وبيان كشف هذه الكلمة لا إله إلا الله (**ما عرف جهال الكفار**) نفيًا وإثباتًا ، فهموا المراد ولم يفهمه ذلك المتأخر ، يُتَعَجَّبُ منه أو لا ؟ يُتَعَجَّبُ منه ، كيف أنت تتدعي الإسلام ، أولئك مشركون قاتلوا النبي ﷺ وكذبوه وادَّعوا إليه ونسبوه إلى ما ينزه عنه أفضل البشر شاعر مجنون ساحر .. إلى آخره ومع ذلك فهموا المراد ، وأنت تقول : لا إله إلا الله . وتدَّعِي الإسلام ولا تعرف معنى لا إله إلا الله ؟ هذا سبب للتعجب ، تَعَجَّب نعم (**فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرف جهال الكفار**) يعني : جهلوا وخالفوا هل تنفعهم لا إله إلا الله ؟

تخافون أنتم من الإجابة أراكم كذا ، هذه مدارسة ، هل تنفعهم لا إله إلا الله ؟ إذًا ما عرفوا المعنى هل تنفعهم ؟

لا تنفعهم ، لأن من شروط لا إله إلا الله العلم المنافي للجهل ، فإنه لم ينتفع قائلها بالنطق إلا حيث يستكملها ، لا ينتفع قائلها ، إذًا لا تنفعه لا إله إلا الله ، إذا كان لا يدري معنى هذه الكلمة معناها ما يدري معناها ، نقول : هذا لا تنفعه لا إله إلا الله لأن المنافقين علموا معناها وقالوها أيضًا ، ومع ذلك لم تنفعهم ، علموا المعنى وتلفظوا بها ومع ذلك ما نفعتهم ، بل يَظُنُّ أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني هذا صنف ثاني .

الأول : تلفظوا بها ولم يعرفوا معناها ما نفعتهم .

الصنف الثاني : ظن أن التوحيد هو مجرد التلفظ فحسب .

وهذا الكُرَّامية ومن على شاكلتهم ظنوا أن التلفظ هو التوحيد ، تقول : لا إله إلا الله . فأنت مسلم وافعل ما شئت « **من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة** » . يستدلون بهذه الأحاديث « **من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة** » . نقول : هذا مفتاح ولكل مفتاح أسنان أين هي ؟

لا بد من معنى ، ولا بد من شروط ، ولا بد من صلاة ، ليست القضية هكذا (**بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني**) التي دلت عليها لا إله إلا الله ، بعض الشراح لـ ((**كشف الشبهات**)) قال : هذه الجملة يفهم من كلام المصنف - وإن كان ليس بظاهر من كلامه رحمه الله - أنه لا يُقْبَلُ التقليد في التوحيد . أن توحيد المقلد لا ينفعه ، وهذه مرت معنا في شرح ((**الأصول الثلاثة**)) وقلنا : الصواب أن هذه المقولة منسوبة للإمام أبي الحسن الأشعري وكثير من المعتزلة وبعض المتكلمين ، ولا يعرف عن السلف من اشترط في صحة إيمان المقلد والموحد المقلد أنه لا بد من الدليل ، بل إجماع السلف إجماع الصحابة على أنهم فتحوا الفتوحات ودخل في زمانهم من دخل في الإسلام وبلغوه التوحيد ولم يطالبوا واحدًا منهم بصحة إسلامه إذا عرف الدليل ، نقول : هذا فيه نظر ، ولذلك قال : وهذا فيه إبطال التقليد في التوحيد ، فإن توحيد الله جل وعلا لا يصلح على جهة التقليد ، بل لا بد أن يعتقد المرء الحق بدليله مع علمه بمعنى كلمة التوحيد . نعم العلم بالمعنى لا يستلزم الدليل ، ولذلك تجد من العوام عنده من الجزم قد لا يوجد عند بعض طلاب العلم في سائر المسائل ليس في التوحيد فحسب ، ولذلك إذا علموا مسألة عضوا عليها بالنواجذ ، ولو جئت أن تغيرهم عنها ما قبلوا ، هذا لما اعتقدوه في قلوبهم من صحة هذه المسألة والجزم بها ، فالجزم قد يكون عن تقليد يُشترط الجزم لا شك ، لأن الشك والظن لا يكفي هنا ، لا يكفي لا بد أن يكون عن يقين وعن جزم ، فحينئذٍ إذا كان العامي مُقِرًّا بمعنى لا إله إلا الله جازمًا بهذا المعنى نقول : كفاه . نعم معرفة الدليل تزيده يقينًا وعلمًا وإيمانًا ولكن هل يشترط في صحة إسلامه وتوحيده وإيمانه لا بد أن يكون ذا دليل ؟ نقول : لا ليس بصواب . وهذه مسألة دخيلة عن المعتزلة .. إلى أن قال : (**ومن قلد في التوحيد فإنه لا ينفعه**) . والصواب أنه يجوز بإجماع ، قال الله تعالى : (**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ**) [النحل : 43 ، 44] . (**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**) أطلق لا تعلمون ماذا ؟ كل ما يمكن السؤال عنه من الأصول والفروع ويدخل فيه التوحيد والإيمان ، فسرها ابن عباس بقوله : هن الحجج والدلائل .

(**إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ**) قال ابن عباس : هن الحجج والدلائل . وكذلك جاء قوله : (**وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**) [التوبة : 122] فيقبل قول المنذر إذا رجع إلى قومه ويُكْتَفَى بسؤاله ، قال ﷺ : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله . فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها** » . رتب الحكم على القول فقط ولم يتعرض لإقامة الأدلة والبراهين ، كذلك إجماع الصحابة قد نقله النووي وغيره ، وكذلك العلم بالأدلة فيه مشقة ، يعني : تأتي لعامل الآن كبير في السن لا إله إلا الله لا بد أن يعلم لا إله لا نافية

للجنس ، وإله فعال بمعنى مفعول وإلا استثناء يفيد الحصر ، ما يعرفون ، يمكن ؟ هذا صعب لا يمكن هذا ما يعرفون ، فلا بد أن يفهم (**إِنَّنِي بَرَاء**) براء صفة مشبهة والمراد بها كذا ، هذا كله متعسر ففيه مشقة ، ولا شك أن هذا القول له باطن من أصله بل هو محدث .

(**بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني**) وهذا صنف ثاني وهو أيضًا خاطئ ولا تنفعه لا إله إلا الله ، لو قالها دون علم بمعناها أو اعتقد أن التوحيد هو التلفظ بـ لا إله إلا الله لا تنفعه البتة .

والصنف الثالث أشار إليه بقوله : (**والحاذق منهم**) . هؤلاء علماء الكلام ، الحاذق الذي يتصف بالحذق والمهارة منهم ليس عاميًا بل هو عالم ، يعني : له علم كالأشاعرة ونحوهم ، (**والحاذق**) المتكلمون والصوفية مثلهم لأنهم أشاعرة ، ولذلك هناك قاسم مشترك بين الأشاعرة والصوفية ، قَلَّ أن يوجد أشعري إلا وهو صوفي لأن الصوفية إيش حديثهم ؟ في الخلق والملكوت وزيادة الإيمان ونحو .. مثل جماعة التبليغ ، هؤلاء عندما يتأملون في التوحيد وجماعة التبليغ على جهة الخصوص هذه توحيدهم توحيد الأشاعرة ، قد وقفت على بعض الأوراق لهم سرية تفسر لا إله إلا الله بما يقوله الأشاعرة ، فالشاهد نقول : إذا قال بأن لا إله إلا الله هو : الخالق الرازق . هذا كلامنا ؟ بأن لا إله إلا الله هو الخالق الرازق حينئذٍ نقول : هل بهذا التفسير قد جاء بشيء جديد عما اعتقده المشركون ؟

نقول : لا . (**والحاذق منهم**) يعني : من المتكلمين والصوفية ، يظن أن معناها الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر إلا الله هذا توحيد من ؟

توحيد المشركين ، من اعتقد أن هذا هو التوحيد فلا فرق بينه وبين أبي جهل ، لا فرق بينهما ، لماذا ؟

لأن التوحيد عند أبي جهل هو : لا خالق إلا الله ، ولا رازق إلا الله . بدليل قوله تعالى : (**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**) [يوسف : 106] . فأثبت لهم الإيمان ونازعوا في قبول توحيد العبادة ، والأشاعرة من المتكلمين ونحوهم هؤلاء أبطلوا توحيد العبادة ليس شيء عندهم اسمه توحيد العبادة ، وإنما مرده إلى توحيد الربوبية ، (**والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله ، ولا يدبر الأمر إلا الله**) . حينئذٍ قال المصنف رحمه الله تعالى : (**فلا خير في رجل**) . يعني : يدعي الإسلام لا خير في رجل يدعي الإسلام (**جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله**) ، (**جهال الكفار**) الكفار المشركون يعلمون لا إله إلا الله أكثر من هذا الذي يدَّعِي الإسلام هذا لا خير فيه ، لأن هذه الكلمة لا تنفعه لم تنفعه كما أن أولئك الأقوام لم يقولها لأنهم لو قالوها لوقعوا في التناقض ، لأنهم يعتقدون أن هذه المعبودات التي يصرفون إليها العبادة أنواعًا من العبادات أنها آلهة ، وإذا قالوا : لا إله إلا الله . نفوا عنها الألوهية ، هذا تناقض كيف تصرفون العبادة لهذه المعبودات ثم تقولون أنها ليست بآلهة ؟

هذا نوع تناقض ، تبرأ منهم المشركون الأول ووقع فيه المشركون المتأخرون ، (**فلا خير في رجل** - يدَّعِي الإسلام - **جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله**) ، فلا يكفي التلفظ بـ لا إله إلا الله دون علم لمعناها وعمل بمقتضاها والكفر بما يعبد من دون الله ، ولا بد من تحقيق الشروط السبعة أو الثمانية - التي مرت معنا في شرح ((**الأصول الثلاثة**)) - إذا كان الكفار مع علمهم بمعنى لا إله إلا الله كفروا فكيف يكون حال الذي لا يعلم المعنى أصلاً ، أو ذكر معنًى ليس هو معناها هذه مسألة عظيمة .

ثم قال : (**إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب**) .. إلى آخره يأتي الحديث عنه . والله أعلم .

وصلَّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أسئلة :

س : ما رأيك في تفسير الشعراوي هل تنصحني بسماعه ؟

ج : عليك بتفاسير السلف . رجل أشعري ، والمسجد الذي فيه فِيه قبر الذي يفسر فيه .

س : هذا يقول : قررت أمس أن توحيد الأشاعرة هو توحيد المشركين ؟

ج : نعم .

س : ومع ذلك لا تكفرهم .

ج : هذا #... 1.12.19 ليس إليَّ .

س : أليس عوام عباد القبور الذين لم يبلغهم التوحيد الصحيح أولى بالعذر ؟
ج : أنا ما عذرت ، ما تكلمت عن مسألة علماء الأشاعرة ، أنا أسكت ، هذا أضعه في نفسي لي ، وأما أنت تأخذ أن عقيدتهم أو توحيدهم ليس هو توحيد السلف .
س : قال : قررتَ أن من تلبس بوصف يشتق له منه اسم فعل .
ج : اسم فاعل وليس اسم فعل اسم فاعل .
س : وهنا وقع في الشرك يقال له : مشرك .
ج : نعم ، يقال له : مشرك . سواء نُزِّلَتْ عليه الأحكام أو لا .
س: أليس هذا بهذا الإطلاق ينفي العذر بالجهل ؟
ج : لا ، فرق بين الأسماء وبين الأحكام ، فرق بين الاسم وبين الحكم ، كل من وقع في الشرك فهو مشرك ، كل من وقع في الكفر وكان معلومًا من الدين بالضرورة فهو كافر هذا قطعًا ، ثم في الدنيا يعامل معاملة الكفار يعني : لا يصلى عليه . هذا في الكافر المرتد ، الأصلي ليس داخل معنا يعني : الذي نشأ في بلاد الإسلام ثم وقع في الشرك ذبح لغير الله مثل الموجود الآن هؤلاء مشركون نحكم عليهم بأنهم مشركون هذا قطعًا محل وفاق ، ليس بالمسألة خلاف ، ثم يعاملون في الدنيا معاملة الكفار لا يصلى عليهم لا يُورَثُون ولا يَرِثُون ... إلى آخره كأنه كافر ، وأما في الآخرة كونه في النار أو لا ، حينئذٍ هل بلغته الحجة أم لا ؟ إن كان بلغه الإسلام وسمع بالإسلام حينئذٍ هو كافر مشرك في الدنيا وفي الآخرة ، وإن لم يكن كذلك وعلى قول الكثيرين بإثبات أهل الفترة الذين لم يبلغهم التوحيد فهو : كافر في الدنيا ، مشرك في الدنيا تقام عليه أحكام الكفار والمشركين وأما في الآخرة فمرده إلى الله عز وجل ، لا نحكم له بجنة ولا نار ، هذا التفصيل هو الصحيح في المسألة هذا على إثبات أهل الفترة وأنهم موجودون .
س : يقول : نريد أن تدلونا على طريقة تقلل النوم لأني أريد طلب العلم وحفظه .
ج : هذا الشيخ ابن عثيمين سئل هذا السؤال فقال : راجع الطبيب . قال له الطالب : أنام ثمان ساعات . قال : لا ، لا ن لا ، أعرض نفسك للطبيب ثمان ساعات ماذا بقي ؟
س : المقلد هل تنفعه لا إله إلا الله مع عدم معرفة معناها ؟
ج : لا ، إذا عرف معناها هنا الكلام ، حينئذٍ تقليده في التوحيد صحيح ، وأما إذا لم يعرف معناها قلنا : هذا ما تنفعه في الأصل ، لأنه لا بد أن يقع فيه ، التوحيد والشرك نقيضان إذا انتفى أحدهما وُجِدَ الآخر ، يعني : لا تتصور أنه إذا ما عرف معنى التوحيد ما عرف معنى لا إله إلا الله ولا عرف معنى الشرك أنه يسلم من الشرك ، لا ، لا بد أنه وقع في الشرك ، قد يكون شيئًا عمليًّا ، قد يكون أمرًا قلبيًّا ، قد يكون باللسان .. إلى آخره ، فهما نقيضان لا بد من وجود أحدهما ، إذا وُجِدَ التوحيد بكماله أصلاً وفرعًا انتفى الشرك بكماله ، وإذا وجد انتفى التوحيد من أصله لا بد وأن يكون مشركًا ، لا تضع في ذهنك أنه يمكن أن يكون لا مشرك ولا كافر ولكن موحد ، لا ، ليس عندنا منزلة بين منزلتين ، موحد مشرك ، لا موحد ولا مشرك ، هذا ليس له وجود ، إذا انتفى عنه التوحيد معنى لا إله إلا الله ولم يأت بمقتضاها لا بد وأنه قد وقع في الشرك . انتبه لهذا .
وصلِّ الله وسلم على نبينا محمد .

الدرس الثامن
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :
وقفنا عند قول المصنف رحمه الله تعالى : (**إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ) [النساء : 48]** ، (**إذا عرفت**) المعرفة عند المصنف رحمه الله تعالى ترادف العلم ، وهذا مذهب كثير من أهل اللغة ، أن العلم والمعرفة مترادفان ، يعني كل منهما يستعمل بمعنى الآخر ، ولكن في حق الرب جل وعلا لا يطلق عليه أنه عارف ، لأن المعرفة في الغالب يسبقها جهل ، المعرفة يقال عرفت كذا وأنت عارف لكذا هذا يستلزم أنك لم تعرف أولاً فأنت جاهل ثم حصلت لك المعرفة وهذا منتف في حق الرب جل وعلا ، وإنما يطلق عليه العلم ، وأما في حق المخلوق فالمعرفة والعلم مترادفان يعني في الجملة ، وإن فرق بعضهم كابن القيم وغيره رحمهم الله تعالى بثم فوارق لكنها من جهة الأسرار استعمال اللفظ يعني فقه اللفظ التعمق في معرفته ، لكن في الجملة هما بمعنى واحد ، وذكرنا فروق ابن القيم في شرح ((**الأصول الثلاثة**)) : (**إذا عرفتَ**) وأيقنت وعلمت (**ما قلت لك**) من أول الرسالة إلى هذا الموضوع من أول التأليف إلى هذا الموضع ، لماذا ؟ لأن المراد من هذه المسائل الأصول ولذلك الذي ذكرتُ لكم أنه ذكر في هذه المقدمة أصولاً وقواعد وآيات محكمات ، بمعنى أنه يُرْجَعُ إليها عند الاشتباه ، وكل ما ذكره في المقدمة فهو مقطوع به ، لا مجال للاجتهاد فيه وهو محل إجماع بين السلف الصالح ، ولذلك قال : (**إذا عرفت ما قلت لك**) من معنى توحيد العبادة وهو إفراد الله تعالى بالعبادة وأنه دعوة الرسل وأن المشركين الذين بعث إليهم الرسل كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ، هذا مقطوع به ، وكانوا يتعبدون عندهم أنواع من العبادة ، بل كانوا يعبدون الله تعالى يدعون الله ويحجون ويتصدقون وينذرون لله تعالى ويصومون ونحو ذلك ، ومع ذلك جعلوا وسائط بينهم وبين الله تعالى ، إما بدعوى القربى وإما بدعوى الشفاعة ، وبَيَّنَ النبي ﷺ أن هذا هو عين الشرك الأكبر الذي حاربهم من أجله .
ثم بين المصنف رحمه الله تعالى أن العرب المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ كانوا على علم بمعنى لا إله إلا الله ، وعرفوا أن المراد من الإله هو الذي يُقْصَدُ للتوسط بين الخالق والمخلوق ، وهو الذي يتوجه إليه بأنواع من العبادات ، وهذا قد أدركه المشركون عرفوا معنى لا إله إلا الله ، ولذلك لَمَّا اتخذوا الله تعالى إِلَهًا يعني جعلوه إِلَهًا وهم يقرون بهذا ، وجعلوا هُبَل إله ، وجعلوا العزى إله ، وجعلوا مناة إله .. وغير ذلك من المعبودات ، لما قال لهم : « **قولوا لا إله إلا الله** » . قالوا : أجعل الآلهة إلهًا واحدًا . فدل على أنهم يعتقدون أن الله تعالى إله بمعنى أنه معبود يُعْبَد جل وعلا ، وهذه يقرون بذلك ، ولذلك جاء في حديث عمران بن حصين كما ذكرناه سابقًا النبي ﷺ قال له [19] : « **كم تعبد** » ؟ قال : سبعة ، إله في السماء ، وستة في الأرض . إله في السماء هو الله جل وعلا ، وستة في الأرض ، وإذًا أطلقوا على الرب جل وعلا أنه إله ، وأنه معبود ، وصرفوا إليه نوعًا من العبادة ، لكن لَمَّا شَرَّكُوا غيره غير الله تعالى معه في أنواع من العبادات وقعوا في الشرك الأكبر .
حينئذ يَرِدُ السؤال هل الذي أقروا به - أعني المشركين العرب - هل الذي أقروا به هو توحيد الربوبية أو توحيد العبادة ؟

هو توحيد الربوبية ، والذي جحدوه - نقول : جحدوه - لأنه عن علم عرفوا المعنى ثم خالفوا ، والذي جحدوه هو توحيد العبادة توحيد الإلوهية ، إفراد الله تعالى بالعبادة ، هذا الذي أَبَوْا أن يعترفوا به ؛ لأنهم فهموا من الإله أنه مغاير لمعنى الرب ، فرق بين الإله والرب ، فهموا أن الإله هو المعبود الذي تصرف إليه أنواع من العبادات ، وأن الرب هو المالك المتصرف ، وهم يقرون بالثاني ، بل لا يُعْرَف من بني آدم ولا من غيرهم أنهم أنكروا أن الله تعالى هو الخالق إلا على سبيل المكابرة ، إما على جهة التعطيل ، وإما على جهة التشريك ، ولذلك إبليس أقر بمفردات من توحيد الربوبية (**قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**) [الحجر : 36] ، [ص : 79] ، (**قَالَ رَبِّ**) هذا اعتراف

---

(19) المعني بلفظ (له) : هو والد عمران وهو الحصين كما جاء في الشريط الخامس ص 8 بلفظ : ولذلك جاء في حديث عمران بن حصين عن أبيه حصين قبل إسلامه لما سأله النبي ﷺ كم تعبد من آلهة ؟ . وهنا الشيخ قال : كما ذكرناه . فساقه مختصرًا .

بالربوبية ، (**قَالَ رَبِّ**) يعني يا رب ، فدعا الله عز وجل يعني صرف نوعًا من العبادة لله ، (**قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي**) طلب من الله تعالى الإنظار ، وعلم أن الذي يملك الإنظار هو الله عز وجل ، إبليس يعرف هذا ، (**إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**) اعترف بالبعث ، عرف أن يومًا سيأتي ويجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته يعترف بهذا ، (**قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**) قال : (**خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**) [الأعراف : 12] ، [ص : 76] فاعترف أنه مخلوق وأن الذي خلقه هو الذي خلق آدم عليه السلام ، إذًا إبليس يعترف بهذا ، ومشركو العرب يعترفون بهذا ، وإنما الخلاف بين الرسل وأقوامهم في تجريد العبادة لله عز وجل ، تجريد التوحيد للرب سبحانه وتعالى ، لئلا يصرف نوع من أنواع العبادات وإن قل لغير الله سبحانه ، وهم مع إقرارهم بتوحيد الربوبية وإقرارهم بأن الله تعالى إله إلا أنهم شَرَّكُوا بين الآلهة وصرفوا إليها شيئًا من العبادات ، جهال المشركين المتقدمون هؤلاء يعلمون معنى لا إله إلا الله ، وأما المشركون المتأخرون فحصل عندهم خلل مع كونهم خالفوا مقتضى لا إله إلا الله ، خالفوها ، أولئك خالفوا لكن عن علم ومعرفة وهؤلاء المتأخرون خالفوا كذلك لكن عن جهل ، فلم يعذرهم هذا الجهل في تنزيل الأحكام عليهم لأنهم مشركون ، ولذلك تنوعوا في مفهوم الإله والمشهور الذي عليه جماهير المتأخرين أن الإله مرادف للرب ، حينئذ حصل الخلل حصل الفساد ، فساد في التصور ، وفساد في العلم التصديق ، فضلوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم من أمة محمد ﷺ حيث فسروا الإله بأنه القادر على الاختراع ، وهذا ردوه إلى ماذا ؟ إلى توحيد الربوبية ، فكل ما فُسِّرَ به الإله بآحاد توحيد الربوبية نقول : هذا ليس هو المعنى المطابق لا إله إلا الله ، لا نقول هذا لا يدل عليه لا إله إلا الله لا ، نقول : لا خالق إلا الله تدل عليه لا إله إلا الله ، لكن إذا ادَّعَوْا أن هذا هو المفهوم بالمطابقة من لا إله إلا الله نقول : هذا باطل ؛ لأن هذا جزء من لا إله إلا الله ، ولا إله إلا الله تدل على توحيد الربوبية بدلالة التضمن ، حينئذ لا إله إلا الله لا خالق إلا الله لا رازق إلا الله نقول هذا جزء من مفهوم لا إله إلا الله ، وليس هو الذي دلت عليه لا إله إلا الله مطابقة ، بمعنى المفهوم الذي يدل عليه مطابقة ، يعني الوضع في لسان العرب وكذلك الوضع الشرعي الحقيقة الشرعية دلت على أن المراد بالإله هو المعبود ،وهذا يستلزم أن يكون المعبود الذي استحق أن يعبد هو الذي تفرد بالخلق ، وهو الذي تفرد بالرزق وهو الذي تفرد بسائر التصرف والتدبير في الملكوت ، هذا يلزم منه وإلا صار ناقصًا ، إذا كان هو المعبود وغيره يخلق معه هذا نقص وعجز ، إذا صار هو المخلوق وغيره يُدَبِّرُ ويتصرف معه هذا صار عجز ونقص ، فإذًا نقول : لا إله إلا الله المراد بها لا معبود حق إلا الله عز وجل ، (**والحاذق منهم**) كما قال المصنف هنا : من يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر إلا الله ، وهذه لا تنفعه لا إله إلا الله ، من اعتقد أن معنى لا إله إلا الله هو هذا المراد حينئذ لا فرق بينه وبين المشركين الذين بُعِثَ فيهم محمد ﷺ لأنهم أقروا بذلك ، بل إبليس أقر بذلك ، ومع ذلك فهو كافر كفر إباء واستكبار ، وكذلك المشركون أقروا بذلك ومع ذلك نحكم عليهم بالشرك والكفر ، وثَمَّ مذاهب أخرى إما أنه يتلفظ بها ويثبت لها معنى لكن ما يدري هذا المعنى ما هو ، يعني يقول لا إله إلا الله ولها معنى لكن ما هو هذا المعنى ؟ لا يدري ، أو يظن أن التوحيد المطلوب من الخلق هو أن يقولوا لا إله إلا الله وهذا مذهب الْكُرَّامِيَّة ومن على شاكلتهم من أهل الفرق المنحرفة ، من قال لا إله إلا الله دخل الجنة . إذًا كل من قال لا إله إلا الله ولو فعل ما فعل ما دام أنه تلفظ بهذه الكلمة فهو مسلم تجري عليه أحكام المسلمين ، ولو فعل ما فعل نقول : ليس هذا هو التوحيد الذي جاء به محمد ﷺ وسيأتي أن من المحكمات في الدين ومن آي القرآن تفسير لا إله إلا الله ، كل الآيات التي أثبتناها فيما سبق من تفسير لا إله إلا الله كقوله (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**) [النحل : 36] نقول : هذه الآية محكمة يعني معناها واضح ولا تحتمل غيره ، وإذا كان كذلك حينئذ من صفة الراسخين في العلم أنهم يَرُدُّوا المتشابه إلى المحكم - وهذا سيأتي بيانه في محله - ولذلك قال المصنف : (**فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله**) يعني لا خير فيه لأنه يَدَّعِي الإسلام ثم يخالف مقتضى هذه الكلمة بمعنى أنه يُقِرُّ بها والأصل فيه أن يكون المعنى موافقًا للفظ ولكنه حرف المعنى ولم يجعله موافقًا للفظ فَضَلَّ وأَضَلَّ ، ولذلك كل ما يفعله من الشرك لا يكون مناقضًا للا إله إلا الله ، لماذا ؟ لأنه فهم منها ما لم يفهمه السلف الصالح وما لم يفهمه مشركو العرب الذين أرسل فيهم النبي ﷺ ، وهذا نقول من الباطل ولذلك قال رحمه الله : (**فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله**) ولذلك المنافقون نافقوا وتلفظوا بلا إله إلا الله وعلموا معناها لكن لم يعملوا بمقتضاها هل نفعتهم ؟ لا ، ما نفعتهم ، فكل من قال لا إله إلا الله ولم يعلم معناها أو حَرَّفَ المعنى أو أثبت المعنى مع اللفظ ، ولكنه لم يعمل بمقتضاها ، أو أثبت المعنى مع اللفظ وعمل بمقتضاها ولم يكفر بما يعبد من دون الله فليس بمسلم ، لا تنفعه لا إله إلا

الله ، كل هذه المسائل التي ذكرها المصنف لا بد أن تكون معروفة ومعلومة عندك علم يقين ، يعني لا بد أن يكون القلب قد عَقَدَ عليها الجزم ، أمرًا مجزومًا به ، ولذلك العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا بحيث لا يحتمل النقيض ، كل هذه المسائل من الْمُحْكَمَات في الدين ، بمعنى أنها من الواضحات الْبَيِّنَات التي لم يلتبس في فهمها الصحابة ولا من تابعهم من التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يومنا هذا ، لم يأت عالم سلفي المعتقد وينقض هذه الأصول أو واحدًا منها ، لا يعرف هذا البتة ، وإنما هو شأن أهل البدع الذين لم يُقْبِلُوا على كتاب الله تعالى ولم ينطلقوا من كتاب الله تعالى ، ولا يغرنك كثرة أولئك الأقوام الذين حَرَّفُوا لا إله إلا الله من الشاعرة والماتريدية وغيرهم ، لماذا ؟ لأن العبرة ليست بالكثرة ، العبرة باتباع الحق ، بل الكثرة في الشرع مذمومة (**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ**) [الأنعام : 116] ، (**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**) [لقصص : 13 وغيرها] ، (**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ**) [النمل : 73] في غير ما آية يُذَمّ فيها الكثرة ، فالكثرة ليست علامة على إصابة الحق ، بل قد يكون الحق ولو مع واحد ، حينئذ هو الجماعة ، هو يعتبر الجماعة لأنه قد يفهم جماعة الطائفة المنصورة الفرقة الناجية جماعة أهل السنة والجماعة ، نقول : هؤلاء ولو كان المعتقد للحق واحدًا فهو من أهل السنة والجماعة ، لماذا ؟

لأن الحق لا يعرف بالكثرة ، لا يعرف بالرجال ، وإنما ينطلق من الكتاب والسنة ، وهذا ينبغي أن يكون أصلاً مع طالب العلم في باب المعتقد وفي باب الفقهيات ، أن ينطلق من الكتاب والسنة ، وأن يجعل ما ذكره الفقهاء وغيرهم في فهم نصوص الأحكام الشرعية الفرعية معينًا له على فهم الكتاب والسنة ، ولا يجعله أصلاً ينطلق منه ليقرر مسألة ، ثم إذا جاء إلى الكتاب والسنة أراد أن ينزل الكتاب والسنة على ما اعتقده من أقوال الفقهاء ، وهذا هنا المحك ، أن يعتقد قولاً دلّ عليه دليل إيمانه ، ثم إذا قرأ القرآن أو نظر في السنة وفي أحاديث الأحكام فإذا به لا يفهم منها إلا ما قد فهمه وحفظه وأتقنه قبل أن يقرأ الكتاب والسنة ، فإذا قرأ الآيات وسرد الأحاديث لم يفهم منها إلا ما قد فهمه سابقًا ، هذا نقول : اعتقد أولا ثم استدل وهذا خطأ ، وإنما الدليل أولاً ثم يدل على المدلول ، فالمدلول يكون ثانيًا ، ولذلك نقول : نَتَبَصَّر بأقوال الفقهاء فَنَنْطَلِقُ منها إلى فهم الكتاب والسنة ، ولا نجعلها حاكمةً على الكتاب والسنة ، بحيث نبدل ونحرف الكلم عن مواضعه من أجل أن نوافق ما اختاره إمامي أو شيخي ، هذا باطل وينبغي أن يحترز عنه ومنه طلاب العلم ، وكذلك في المعتقد لكن المعتقد لما كان مجمع عليه ، حينئذ ما قد يقع فيه نزاع عند المتأخرين أو في مسائل عصرية الآن منهجية ونحو ذلك في التعامل مع المبتدع والمخالف ونحو ذلك حينئذ نقول : ينبغي الرجوع إلى الكتاب والسنة والنظر في فهم السلف الصالح كيف فهموا هذه الآيات وكيف تعاملوا مع المخالف وننطلق من ذاك ، ولا نضع في أذهاننا قواعد وأصول ثم نريد أن نطبقها على ما فهمه السلف .

إذًا كل ما مضى ينبغي أن يُعرف ويُعلم من القلب يعني لا يكفي أن يردده الإنسان وطالب العلم المسلم بلسانه فحسب ، ثُمَّ إذا جاءت الشبه وتواردت عليه التبس عليه الحق ، لا ، لا بد أن ينطلق من القلب لا البصيرة أن يكون علمه علم بصيرة بحيث يكون يقينًا لا تتزلزل المعلومات عنده لكثرة الواردين للشبه ، ولا تتبدل ولا تتغير بتغير الأزمان والناطقين بما قد يُزَلْزِلُ ما في الباطن ، أعني بهم الذين يريدون الشبه في كل زمان ومكان ، لا ، لابد أن تستيقن أن هذه المعلومات التي ذكرها المصنف لأنها مهمة تفيدك في كل زمن وكل مسألة عصرية الآن منهجية تستطيع أن تردها إلى هذا الذي ننطلق منه ، (**إذا عرفت ما قلت لك**) من المعاني السابقة كلها والأصول العامة والقواعد الشرعية اليقينية القطعية التي دلت عليها الآيات المحكمات (**معرفة قلب**) يعني معرفة من القلب فالإضافة هنا ما نوعها ؟ بيانية إضافة بيانية ، (**معرفة قلب**) أي فهم وعلم ، وهو ما يعبر عنه بالبصيرة (**قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي**) [يوسف 108] على علم لأن مصدره القلب وَقَرَ في القلب فصار يقينًا .

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى : البصيرة للقلب كالبصر للعين . كما أنك ترى وتدرك المحسوسات ببصر العين ، كذلك تدرك المسائل المعقولة والمعنوية ببصر القلب ، فالقلب يبصر ولكن بالعلم ، والعين كذلك تبصر ، والعين تبصر المحسوسات والقلب يبصر المعنويات ، إذًا (**معرفة قلب**) أي فهم وعلم إذ يعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة ، يعني قد يراد بالقلب نفس القطعة اللحمة وهذه غير مرادة هنا ، وإنما المراد بها بالمعرفة هنا معرفة القلب مراد بها ما يكون في القلب وهو العلم ، فالقلب تلك القطعة الصنوبرية هذه ظرف والعلم مظروف ، أليس كذلك ؟ العلم مظروف كالماء في الكوز في الكاس ، فالكأس ظرف والماء مظروف ، كذلك العلم مظروف والقلب ظرف ، والمراد هنا ما كان في القلب ، ويعبر بالقلب عن تلك المعاني عن العلم والشجاعة

والروح ، (**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ**) [ق : 37] أي علم وفهم ، ليس المراد قلب ، كل الناس لهم قلوب ، (**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ**) يعني له قطعة لحم أو فَهْمٌ وعَلِم ؟

فهم وعلم ، إذًا أطلق القلب مرادًا به الفهم والعلم ، وسمي القلب قلبًا لكثرة تقلبه ، ونسب المعرفة هنا إلى القلب لأنها هي المعرفة النافعة ، هي التي تؤثر ، إذا وَقَرَ الشيء في القلب صار له أثر في الجوارح بخلاف ما إذا كانت المعلومة على اللسان يرددها بلسانه ولا يدري ما يقول ، نقول : هذه لا تؤثر فيه لأنها هي المعرفة النافعة وهو أن يوفق الإنسان لمعرفة المعنى الصحيح ثم العمل والامتثال ، ويشمل ذلك شروط لا إله إلا الله كلها السبعة أو الثمانية [**العلم المنافي للجهل ، واليقين المنافي للشك ، والقبول المنافي للرد ، والانقياد المنافي للترك ، والإخلاص المنافي للشرك ، والصدق المنافي للكذب ، والمحبة المنافية لضدها ، والكفر بما سوى الله تعالى**] هذه كلها لا بد أن تكون مستيقنة في القلب ، ولذلك نقول : العلم بمعنى المعرفة فلا فرق بينهما ، حينئذ يكون ما يكون في القلب مُدْرَكًا إدراكًا جازمًا لا يحتمل النقيض ، هذا تنبيه وإشارة من المصنف رحمه الله تعالى أن هذه المسائل لا ينبغي أن يُمِرَّهَا المسلم على لسانه فحسب ، بل لا بد أن يقف معها ويتدبرها وأن يعيها وأن تكون عنده بمنزلة اليقين كالشيء المحسوس الذي لا يختلط عليه البتة ، لأن كل شبهة مما سيأتي بيانه مما سيذكره المصنف أكثر من الجواب يكون من هذه المقدمة ، فإذا كنت على يقينٍ منها حينئذ لا تزلزلك الشبهات .

(**وعرفت الشرك**) ، إذًا هذه المعرفة الأولى ، معرفة قلب لا باللسان ، لأن ما عرف باللسان هذا ينسى ولا يستحضر ، وكم من إنسان يؤصل مسألة ثم إذا جاءت النوازل فإذا به جوابه في وادٍ وما تعلمه في وادٍ آخر ، وهذا محل إشكال ، (**وعرفت**) هذه معرفة ثانية ، (**عرفت الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**) الشرك نقيض التوحيد ، وإذا عرفنا أن التوحيد يقينًا لا بد أن يكون مستيقنًا بالقلب هذا لا يمكن أن يتم إلا بمعرفة نقيضه وهو الشرك ، لا يمكن أن يتم إذا ادَّعَى مُدَّعٍ أنه عرف التوحيد وأنه تعلم التوحيد وأتقن شروط لا إله إلا الله بالأدلة لكنه لم يعرف مفردات الشرك ، حينئذ هل يسلم من الوقوع في الشرك لا يمكن ، لا يمكن أن يسلم ، لماذا ؟

لأنه إما توحيد وإما شرك ، قد يكون الشرك منازعًا ومفاصلاً للتوحيد من أصله ، وقد يكون منازعًا ومفاصلاً للتوحيد في كماله الواجب ، وقد يكون منازعًا ومفاصلاً له في كماله المستحب ، لأن التوحيد له أصل ، إذا لم يوجد في القلب لا يحكم على صاحبه بالإسلام وليس بموحد ، وقد يكون التوحيد موجودًا وثَمَّ ما يفعله من بعض الشركيات كالشرك الأصغر نقول : هذا مناف لكمال التوحيد الواجب ، وقد يفعل بعض الأمور كالمعاصي مثلاً ونحوها الكبائر ولو لم تكن من الشرك وإن عبر بعضهم أنها من جنس الشرك ، لو فعل المعاصي حينئذ نقول : هذه تقدح في كمال التوحيد المستحب ، لأنه كما سبق أن الأمر والنهي من حقوق التوحيد ، من حقوق لا إله إلا الله ، أليس كذلك ؟ فكل أمر في القرآن أمر إيجاب أو سنة أمر إيجاب ، وكل نهي نهي تحريم في الكتاب أو في السنة إذا لم يمتثل الواجب ولم يترك المحرم ، حينئذ نقول : هل له تأثير في التوحيد أم لا ؟

له تأثير قطعًا ، لأن الأوامر كلها من حقوق التوحيد ومكملاته ، وكذلك النواهي كلها من حقوق التوحيد ومكملاته ، فإذا انتقص واجب نقص من التوحيد بقدر ذلك الواجب ، وكذلك إذا ارتكب منهي عنه قد نقص من التوحيد بقدر ما فعل من المنهيات . إذًا ثم تلازم بينها ، ولا يتصور أن يوجد رجل لا موحد ولا مشرك ، هذا لا وجود له إلا في الذهن إذا سُلِّمَ ، وأما في الخارج فلا وجود له ، إما أن يكون من أهل التوحيد ، وإما أن يكون من أهل الإشراك ، وأما منزلة بين المنزلتين هذا لا وجود له . (**وعرفت الشرك بالله**) يعني حقيقته وحكمه ، حقيقته يعني معناه في اللغة ومعناه في الشرع ، هذا لفظ شرعي كما أن التوحيد لفظ شرعي ، أليس كذلك ؟ والألفاظ الشرعية حينئذ يُنْظَرُ في معانيها أين في كتب المتكلمين في الصحف ؟ أين نبحث عن معنى الشرك ؟ في الشرع نفسه ، لماذا ؟ لأن اللفظ شرعي فلا نبحث عن معنى هذا اللفظ إلا في الكتاب والسنة فما دل عليه الكتاب والسنة حينئذ نقول : هذا هو المعنى الشرعي ، وهل الشرك ومعناه الشرعي من الأمور الاجتهادية الظنية أو من الأمور القطعية ؟

الثاني ، أعظم أَمْرٍ أَمَرَ الله تعالى به هو التوحيد ، وأعظم نهي نهى الله تعالى عنه هو الشرك ، وليس من الحكمة أن يُتْرَكَ أعظم أمرٍ يأمر الله تعالى به ، بل خلق الخلق من الجن والإنس وخلق الجنة والنار وخلق السماوات والأرضين خلق هذه كلها من أجل ماذا ؟ من أجل إقامة التوحيد ثم يترك هذا المعنى لعقول البشر . هذا محال ، محال أن يكون ، حينئذ نقطع بأن معنى التوحيد مقطوع به في الشرع ليس مجالاً للاجتهاد ، ولذلك نبدع من خالف في معنى التوحيد إن لم يُحْكَمْ عليه بالشرك ، وكذلك الشرك لفظ شرعي وله معنى شرعي وهو أعظم ما نهى الله

تعالى عنه ، وحينئذ نقول : لا ، ليس من الحكمة أن يترك الرب جل وعلا الخلق ليتصرفوا في هذا اللفظ ، لأنه نقيض للأول ، وإذا ثبت الأول معناه من جهة القطع حينئذ نقيضه يثبت معناه من جهة القطع أيضًا ، فليست المسائل اجتهادية ، بل هي مقطوع بها ، وهذا يفيدك في باب المناظرات والجدل مع أهل الشبهات ، يُطلق الشرك في اللغة على المصير والحول والحصة أو على التسوية يقال طريق مشترك أي يستوي فيه الناس ، واسمه مشترك أي تستوي فيه معاني كثيرة . إذًا مصير وحول وتسوية ، وكلا المعنيين موجود في الشرك الشرعي ، ولا أعني الشرك الشرعي أنه أمر به الشرع ، لا ، إنما فسره ، انتبه ! فصرف العبادة لغير الله هذا نصيب ، نصيب مِمَّ ؟ من العبادة التي يستحقها الله جل وعلا ، صُرِفَتْ لِمَنْ ؟ لغيره ، إذًا حظ ونصيب ، وفيه معنى التسوية تسوية المخلوق بالخالق لماذا ؟

لأن صرف شيء من العبادة لغير الله اتخاذ له بأنه معبود ، والمعبود هو معنى الإله ، والإله في الأصل هي صفة لله تعالى ، فحينئذ إذا صرف العبادة لغير الله قد سَوَّى غير الله تعالى بالله ، إذا صرف العبادة لغير الله نقول : قد سوى غير الله تعالى بالله . وأما في الشرع فتعريفه : أن الشرك الكبر اتخاذ النِّدّ مع الله تعالى . اتخاذ : يعني جعل وتصيير النِّدّ ، والمراد بالنِّدّ هنا كل ما وجهت إليه نوع من أنواع العبادة ، يعني معبود ، اتِّخَاذُ النِّدّ مع الله تعالى ، اتخاذ الصنم مع الله تعالى ، اتخاذ الملك مع الله تعالى ، في ماذا ؟ في صرف نوع من أنواع العبادة لذلك النّدّ ، قال الله تعالى (**فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**) [البقرة : 22] هذا هو حقيقة الشرك جعل الند مع الله تعالى ، وهذا أنسب تعريف لأنه يكاد أن يكون مطابقًا للفظ الآية مع حديث ابن مسعود : سئل النبي ﷺ أي الذنب أعظم ؟ قال : « **أن تجعل لله ندًا وهو خلقك** » . وهذا هو حقيقة الشرك الأكبر ، جَعْلُ النِّدِّ مع الله تعالى وهذا أنسب ما يكون من التعاريف ، أو يقال الشرك دعوة غيره معه ، دعوة غيره يعني غير الله تعالى معه يدعوه ، والدعاء هنا بالمعنى الأعم الشامل لدعاء المسألة ودعاء العبادة ، وهذا قد يشار إليه بقوله تعالى (**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً**) [الجن : 18] . إذًا له نصيب من موافقة الشرع ، وكل ما كان التعبير عن حقيقة شرعية قريبًا من ألفاظ الشرع فهو أعلى الدرجات ، إذا أردت أن تعبر عن الصلاة ، أو عن التوحيد ، أو عن الإيمان ، فأفضل ما يجري به لسانك وتتحرك به شفتاك هو ما جاء في الكتاب والسنة ، هذا أولى ما يكون ، ولذلك نقول : أولى ما يعرف به الشرك هو اتخاذ النِّدِّ مع الله تعالى ، لأن الجعل في قوله (**فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً**) الجعل هنا بمعنى التصيير ، أو يقال الشرك صرف نوع من العبادة إلى غير الله تعالى ، وهذا هو تفسيره للجعل وتفسير للدعوة دعوة غيره معه ، ما المراد به ؟ صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى .

وصرف بعضها لغير الله   شرك وذاك أقبح المناهي

إذًا يفسر اتخاذ النِّدّ لصرف نوع من أنواع العبادة لغير الله ، ويفسر دعوة غيره معه بماذا ؟ بصرف نوع من أنواع العبادة لغير الله ، لكن هذا اللفظ لم يأت هكذا في الشرع ، ولذلك الأولى أن يعبر بالأول ثم الثاني ، والعبادة لا تصح إلا باجتناب الشرك قليله وكثيره فهو شرط لصحة العبادة ، وهذا ما يعبر عنه بالإخلاص لله عز وجل ، وأصرح آية في ذلك هي قوله تعالى (**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً**) [النساء : 36] جعل النهي عن الشرك قليله وكثيره مقرونًا بالأمر بالعبادة (**وَاعْبُدُواْ اللّهَ**) يعني تذللوا له بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، مع ماذا (**وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً**) هذا نهي عن الشرك ، و (**تُشْرِكُواْ**) هذا فعل مضارع منسبك من مصدر ، يعني مشتق من مصدر وجاء في سياق النهي ، نكرة في سياق النهي ، فيعم أي شرك قليلاً كان أو كثيرًا ، [(ولا تشركوا مع الله أحدا) كذا الآية][20] (**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً**) شيئًا هذا نكرة في سياق النهي فيعم كل مُشْرَكٍ به يعني النِّدّ سواء كان مَلَكًا مقربًا أو نبيًّا مرسلاً ، سواء كان معبودًا علويًّا أو معبودًا سفليًّا ، وسواء كان من الصالحين أو من الجمادات ، فهو عام . إذًا لا تصح العبادة إلا باجتناب الشرك ، ولذلك يتعين العلم بحقيقة الشرك وحكمه ، هذا واجب ، لماذا ؟ لأنه لا يتم الحذر منه إلا بمعرفته ، لو قيل لك : احذر كذا . تسأل ما هو ذا ، عَيِّنْهُ لي ، ما هو حقيقته أو ما هي حقيقته ، وما هي أفراده وآحاده ، وماذا يترتب عليه إن وُجِدَ ، حينئذ لا بد أن تعرف الشرك ،

([20]) سبق .

وتعرف حقيقة الشرك ، ومفردات الشرك ، وتعرف حكم الشرك ، ما الذي يَنْبَنِي عليه إذا وُجِدَ ، لا تصح العبادة إلا باجتناب الشرك للآية التي ذكرناها ، والشرك قسمان : الشرك الأكبر وهو الذي عرفناه ، وشرك أصغر وهو دونه لكنه لا يخرج من الملة ، والأول من تلبس به فليس بمسلم ، والشرك الأصغر كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ، وجاءت تسميته شركًا يعني في النصوص كالحلف بغير الله ويسير الرياء وبعض الألفاظ « **أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** » . فسئل عنه فقال : « **الرياء** » . إذًا سماه النبي ﷺ ماذا ؟ شركًا أصغر ، والآية التي ذكرها المصنف هنا رحمه الله تعالى أراد أن يبين لك أن هذا الشرك الذي يجب أن تعرفه حكمه أنه لا يغفر لمن مات عليه ، وهذا شيء عظيم يجعل المرء المسلم فضلاً عن غيره في حذر وحيطة من أن يزيغ قلبه فيقع في هذا الشرك الذي توعده الله عز وجل بأنه لا يغفره لمن مات عليه ، وأما التائب فمن تاب تاب الله عليه (**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**) . إذًا الشرك حكمه عدم المغفرة ، لا يغفر الله تعالى لصاحبه إن مات عليه ، لأنه أظلم الظلم (**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**) [لقمان : 13] هذا دلّ على أنه أظلم الظلم وأجهل الجهل وهضم للربوبية وتنقص للإلوهية ، وسوء ظن برب العالمين . (**إِنَّ اللّهَ**) هذا خبر مؤكد (**إِنَّ اللّهَ**) تعالى المعبود المطاع (**لاَ يَغْفِرُ**) يغفر المغفرة والغفران من الله تعالى هو أن يصون العبد من أن يمسه أذى بمعنى أنه لا يتجاوز ولا يصون العبد من أن يمسه العذاب الأليم الذي هو الخلود في النار وحبوط العمل (**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ**) إذًا يغفر هذه في سياق النفي ، إذًا لا مغفرة كثيرة ولا قليلة وإن قلت المغفرة ، ليس له نصيب من المغفرة البتة ، لا نصيب له أبدًا ، لا يتجاوز الله تعالى عنه ولا يمحو ذنبه وخطأه ، لأنه أعظم ذنب عُصِيَ الله تعالى به (**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر ، وهو إشراك ، وبعضهم يأوله بالشرك وهذا غلط لأنه يُشرك هذا مضموم الياء فدلّ على أنه من الرباعي ، ومصدر الرباعي هو إِشْرَاك ، مثل أَكْرَمْ يُكْرِمُ إِكْرَامًا ، أَشْرَكَ يُشْرِكُ إِشْرَاكًا ، فلا تقول : إن الله لا يغفر شركًا هذا غلط ، أو لا تقل : إن الله لا يغفر الإشراك أو الشرك هذا أيضًا غلط ، لماذا ؟ لأن المصدر الأصل فيه أنه نكرة ولا يُعَرَّفُ إلا لغرض ، ونحن نستدل هنا بالعموم من جهة كونه نكرة ، فكيف تقدره بمعرفة ، هذا فاسد ، إذًا التقدير السليم الصحيح **إن الله لا يغفر إِشْرَاكًا** ، إِشْرَاكًا إِفْعَال لأنه مصدر ، أَشْرَكَ يُشْرِكُ إِشْرَاكًا ، وهنا يُشْرَك فتحت الراء لماذا ؟ لأنه مغير الصيغة ، يعني لم يُسند إلى فاعل وإنما إلى نائب فاعل ، ولم يذكر الفاعل لإفادة العموم يعني أيًّا كان ذلك الفاعل (**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**) [الزمر : 65] هذا من ؟ النبي ﷺ ، فغيره مَهْمَا عَظُمَ ومهما علت مكانته فهو من باب أولى وأحرى ، (**أَن يُشْرَكَ بِهِ**) إذًا يَعُمّ الشِّرْكَ ، هل العموم هنا عموم في الشرك الأكبر أو عموم يشمل الشرك الأكبر والأصغر النوعين ؟ هذا محل خلاف بين أهل العلم والمسألة اجتهادية ، المسألة اجتهادية ، هل الشرك الأصغر داخل تحت المشيئة أو لا ؟ بمعنى أنه إذا مات من غير توبة إذا تاب من الشرك الأكبر غفر الله له والأصغر من باب أولى وأحرى ، لكن لو مات من غير توبة ؟ عندنا معتقد أهل السنة والجماعة أن فاعل الكبيرة إذا مات من غير توبة تحت المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء آخذه وعذبه ، أليس كذلك ؟ هل الشرك مثله أو أنه لا يقبل المغفرة لا يدخل تحت المشيئة لا بد وأن يعذب أو يوازن بين الحسنات والسيئات ، هذا محل النزاع بين أهل العلم ، ولذلك أجمعوا على أن من وقع في الشرك الأصغر لا يخرج به من الملة ، مسلم بإجماع من وقع في الشرك الأصغر بالإجماع لا يخرج من الملة ، وأجمعوا على أن من وقع في الشرك الأصغر أنه لو دخل النار غير مخلد فيها إجماعًا في الطرفين في الدنيا وفي الاخرة ، واضح هذا ؟ واختلفوا هل لا بد أن يعذب أو لا ؟ هذا محل نزاع منهم :

من رأى أنه لا بد وأن يصيبه شيء من العذاب لقوله تعالى (**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**) أن يُشرك لا يغفر إشراكًا فيعم الشرك الأكبر والأصغر ، هذا قول ، وهو أحد قولي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وأئمة الدعوة على هذا : إن الشرك الصغر غير داخل تحت المشيئة وإنما هو لا بد وأن يعذب ، مع الإجماع على ما ذكرناه أنه مسلم وأنه غير مخلد في النار .

والقول الآخر : أنه داخل تحت المشيئة ، وأن حكمه حكم سائر الكبائر ، يعني قد يغفر الله تعالى له وقد لا يغفر الله تعالى له ، يعني حكمه حكم الكبائر ، لا فرق بين الشرك الأصغر والكبيرة ، يُلحق بالكبائر الشرك الأصغر وإن سميناه شِرْكًا ، وأما عموم هذه الآية نقول : نعم الآية عامة ، فالآية عامة لكنه من العموم الذي أريد به الخصوص ، ثَمَّ ما هو عام يطلق اللفظ ابتداءً ويراد به ماذا ؟ الخصوص (**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ**) [آل عمران : 173]، (**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ**) [النساء : 54] النبي ﷺ ، (**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**) [الأنعام

: 82] ، " أينا لم يظلم نفسه " ؟ قال : « لا » ليس ذاك الذي فهمتموه ، - الظلم جنس الظلم فيعم الكبائر والصغائر - « ألم تسمعوا إلى قول الرجل الصالح - أو لقمان الحكيم - (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) » . إذًا (بِظُلْمٍ) هذا نكرة في سياق النفي (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ) لم يلبسوا (إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ) ظلم هذا نكرة في سياق النفي فيعم ، يعم الظلم الأكبر وهو الكفر والشرك ، ويعم الظلم الأصغر وهو الكبائر وما دونها ، لكننا نقول : هذا عام أريد به الخصوص ، يعني ابتداءً عُومِلَ اللفظ ووضع في الجملة مرادًا به الخصوص وهو الظلم الأكبر ، هذه الآية مثلها ، فنقول : (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ) [النساء : 48 ، 116] أي إِشْرَاكًا ، والمراد بالشرك هنا الشرك الأكبر ، بدليلين :

الدليل الأول : خاتمة الآية أن المراد به الشرك الأكبر (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً) [النساء : 48] وهذا شأنه شأن مَنْ ؟ مَنْ وقع في الشرك الأكبر وليس في الشرك الأصغر ، فالخاتمة خاتمة الآية تدل على هذا الترجيح ، كذلك يقال : إن القرآن من أوله إلى آخره إذا أطلق الشرك فالمراد به الشرك الأكبر ، فصار كالحقيقة العرفية ، إذا استعمل القرآن حقيقة عرفية شرعية إذا استعمل القرآن الشرك فإنما ينصرف إلى الشرك الأكبر ، فما غلب استعماله في القرآن إذا ورد لفظ يحتمل الأمرين فحمله على الغلب أولى من حمله على ما هو دونه ، وهذه قاعدة قررها الشيخ الأمين رحمه الله تعالى في أضواء البيان ، إذا تردد لفظ بين أمرين ننظر ما هو الغالب في استعمال الشرع ، إذا نظرت في القرآن (إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ) [المائدة : 72]، (مَن يُشْرِكْ) أطلق الشرك مع كونه (مَن يُشْرِكْ) مَنْ شرطية يُشْرِك فعل مضارع منسبك من مصدر وقع في سياق الشرط والنكرة في سياق الشرط عموم ، صحيح ؟ لكن نقول : المراد هنا الشرك الأكبر المراد به الشرك الأكبر لماذا ؟ لأنه بالإجماع أن الحكم المرتب هنا في الآية على الشرك المراد به الشرك الأكبر ، فجُعِلَ خاتمة الآية أو النظر إلى الحكم المرتب كالقرينة الصارفة أو الجاعلة لكون العام هنا مرادًا به الخصوص ، فليس هو بعام مخصوص ، وفرق بينهما محله كتب الأصول ، وإنما المراد هنا العام الذي أريد به الخصوص ابتداءً أول ما استعمل اللفظ أريد به بنية المتكلم أراد به شخصًا واحدًا (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ) قيل : النبي ﷺ ، حينئذ أول ما استعمل لفظ الناس ، الناس يشمل الكل النبي ﷺ وغيره كل الآمة تدخل في لفظ الناس ، لكن المراد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينئذ نقول : الصحيح أن قوله (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ) المراد به الشرك الأكبر بدليل خاتمة الآية ، (وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ) والأنسب أن يُجْعَلَ الخاتمة بل هو ظاهر القرآن أن الخاتمة مناسبة للحكم المذكور السابق وهذا أمر مطرد في القرآن ، وإذا قيل (وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً) هذا خاص بالمشرك الشرك الأكبر حينئذ يُجْعَلُ صارفًا لأن يشرك من كونه عامًا يشمل النوعين إلى كونه عامًا أريد به الخصوص ، ثم الحقيقة العرفية الشرعية في استعمال لفظ الشرك إذا أطلق في القرآن المراد به الشرك الأكبر ، وإذا احتمل هنا الأمرين أن يجعل خاصًا بالشرك الأكبر أو يشمل النوعين حينئذ نقول حمله على الأغلب أولى من حمله على ما هو دونه .

(وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه : إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ) وهذا أمر يحدث في النفس ماذا ؟ الخوف الإنسان لا يثق في نفسه لأنك غير معصوم ، قد تسمع شبهة فتقع في قلبك فينحرف الإنسان من جراء هذه الشبهة ، فلذلك السلف كانوا ماذا ؟ مبتدع يجلسوا معه ؟ يحادثونه ؟ أصحاب وأحباب ؟ وأخلاء ؟ أم كانوا يبتعدون عن مجالسته ، لماذا ما الحكمة ؟ حتى بعضهم ورد عنه أنه إذا أراد أن يكلمه وضع أصبعيه في أذنيه ، ولا كلمة ، ولا كلمة حتى من القرآن لماذا ؟ لأنه غير معصوم ، قد يتكلم بكلمة ويسمع كلمة شبهة ، والشبهة كما سبق أنها باطل مغلف بحق ظاهره حق بشيء من الحق ، فقد يلتبس على الإنسان حينئذ معرفة الشرك توجب للمرء أن يخاف - كما سيأتي في الفائدتين المترتبتين - (وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم من أولهم) نوح عليه السلام (إلى آخرهم) محمد ﷺ ، وما هو دينهم ؟ تفكرون ؟ نحن نقول : لا بد هذه تكون معرفة قلب التوحيد عبادة الله تعالى بالإخلاص ، هذه هي دعوة الرسل ، دعوة الرسل (أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) اصرخ بها هكذا ! (أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) لا تتردد لا تخف ولا تحزن من قلة السالكين ، نقول : هذا دين الله عز وجل وهو الذي بعث به الرسل من نوح عليه السلام إلى خاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام (الذي لا يقبل الله من أحد سواه) لأنه إذا لم يأت بالتوحيد حينئذ مات على الشرك الأكبر ، وإذا كان كذلك فحينئذ هو داخل في قوله (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ) وهذا الذي لا يقبل الله من أحد يعني من مخلوق سواه غيره هو ما يُصْطَلَحُ عليه باسم الإسلام العام ، اصطلاح شرعي ، الإسلام العام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله

، قال تعالى (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن) فلن تأبيدية هنا ، والرد على الزمخشري بأن لن ليست تأبيدية لذاتها ، يعني الذي يُخَطِّئُ من قول كلام الزمخشري (أن لن تراني) في الآية قال ماذا ؟ قال : إنها للتأبيد لن تراني مطلقًا لا في الدنيا ولا في الآخرة ، نقول : لا ، هذا باطل ، لماذا ؟ لأن لن قد تفيد التأبيد بخارج ، أما من جهتها فلا ، لا تفيد ، (لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً) [الحج : 73] تأبيد ؟ لا ؟! للتأبيد نعم (لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً) للتأبيد أو لا ؟

للتأبيد قطعًا ، (لَن يَخْلُقُوا) أبدًا ولا في جزء من أجزاء الدنيا ولا في الآخرة ، نقول : هذه لن للتأبيد ، لكن من خارج وهو دليل أنه لا خالق إلا الله عز وجل ، فبهذا الدليل صَلُحَ أن تكون لن للتأبيد ، وقد تكون ماذا ؟ لن ليست للتأبيد ، وهذا هو الأصل فيها كقوله (لَن تَرَانِي) [الأعراف : 143] لموسى عليه السلام نقول : الرؤية دلت الأدلة على أنه على أن الرب جل وعلا يُرَى في الجنة فحينئذ نقول : (لَن تَرَانِي) هذه ليست للتأبيد قطعًا ، وما عداه فهي محتملة ، الرد على الزمخشري فيه تفصيل ، إذًا (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ) [آل عمران : 85] نقول : هذه لن للتأبيد هنا ، لأنه لم يأت بالتوحيد ، وإذا لم يأت بالتوحيد حينئذ وقع في الشرك الأكبر ، وقد حكم الله تعالى بأن الجنة حرام على المشرك ، وبأن المغفرة لا نصيب له فيها البتة ، وهذا واضح بين ، إذًا (فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ) نقول هذا للتأبيد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وهو الإخلاص له وحده دونما سواه ، (**وعرفت**) هذه معرفة ، كم معرفة الآن ؟ و (**عرفت ما قلت لك معرفة قلب**) ، ما سبق ، (**وعرفت الشرك**) ، (**وعرفت دين الله**) ، (**وعرفت ما أصبح غالب الناس عليه من الجهل بهذا**) يعني انظر في واقعك ، وهو في زمنه رحمه الله تعالى إلى هذه الزمن ، فالشرك عَمَّ وطَمَّ وما تخلو بقاع من أرض إلا وفيها الشرك وفيها القبور التي تعبد من دون الله إلا هذه البلد عصمها الله تعالى ، (**وعرفت ما أصبح غالب الناس**) كثير لأن الكثرة كما ذكرنا ليست بميزان ، ليست بمعيار يقاس الحق به ، لا ، (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ) [الأنعام : 116] ولذلك صح الخبر أنه يأتي النبي وليس معه أحد ، ويأتي النبي ومعه الرجل والرجلان ، النبي الذي معه الرجل والرجلان هل بلغ الرسالة على وجه الكمال أو لا ؟ بَلَّغَ ، يقين ؟ نعم ، والذي ليس معه أحد هل بلغ الرسالة بلاغًا تامًّا كاملاً ؟ لا شك في هذا ، لا شك وإلا كان طعنًا في رسول وإن لم نعرف اسمه ، قل : هذا بَلَّغَ البلاغ المبين وبَلَّغَ الرسالة على وجه الكمال ، لكن أين الأتباع ؟ ليس معه أحد ، معه رجل ورجلان ، إذا لم تقرأ جَمِّع جَمِّع ، هذه ليست بميزان لمعرفة ما عند ذاك من حق بل هو دليل على الباطل ، ولذلك قال بعض السلف : إذا نظرت إلى متكلم ووجدت عنده كثرة انتبه ! لعله يعطيهم ما يوافق أهواءهم . يعني الناس لهم أهواء ولهم مطامع من يعارضهم في أهوائهم ومطامعهم وشهواتهم غالبًا أنه لا يسلم منهم ، كما سيأتي أنه لا بد من العداوة ، فكل من خالف أهواء الناس سواء كان في أصل المعتقد أو في الفروع نقول : لا بد وأن يحارب . هذا متشدد ، أليس كذلك ؟ حرام ، حرام ، حرام ، نقول : لأنه خالف ما عند الناس . (**وعرفت ما أصبح غالب الناس عليه من الجهل بهذا**) المشار إليه التوحيد ومعرفة الشرك ، لأنه إذا التبس التوحيد بالشرك حينئذ جاءت الطامة ، لا بد وأنه يقع في الشرك ولا يسلم منه ، (**من الجهل بهذا**) يعني التوحيد شرح التوحيد ومفهوم التوحيد وما يضاده الجهل بالتوحيد والجهل بالشرك ، والجهل هنا قال : (**من الجهل بهذا**) هل يفهم منه أنه لا شرك أو لا يُحْكَمُ بالشرك على الشخص إلا لكونه جاهلاً ؟ ليس هذا المراد ، وإنما المراد أن من عَلِمَ فلم يَعْمَل ، أو وقع في الشرك ولم يَعْلَم كلا النوعين يحكم عليهما بالشرك والكفر ، لماذا ؟ كما ذكرناه البارحة أن كل من وقع في الشرك الأكبر فهو المشرك ، وكل من وقع في الكفر الأكبر ونحن نرى الترادف بينهما حينئذ فهو كافر ، لا بد من إطلاق الاسم عليه ، لأن القاعدة اللغوية والشرعية : أن كل من تلبس بحدث لا بد وأن يشتق له اسم من ذلك الحدث . فمن تلبس بالنوم يقال نائم ، ومن تلبس بالقيام يقال له قائم ، ومن تلبس بالضرب أحدث الضرب فهو ضارب ، ومن تلبس بأن وقع عليه الضرب فهو مضروب ، لا بد من هذا ، فلا يقال لمن لم يضرب ضارب ، صحيح ؟ لا يقال لمن لم يضرب ضارب ، كما أنه لا يقال لمن هو ضارب لست بضارب ، قضية عكسية ، صحيح ؟ لا يقال : لمن لم يضرب - ما ضرب - أنت ضارب ، كذبت عليه ، كذلك لا يقال لمن ضرب بأنه ضارب لا يقال له لم تضرب ، فإثبات الحدث لمن وقع منه الحدث نقول : هذا هو الأصل في اشتقاق العرب ، لأن معنى الاشتقاق ما هو أخذ كلمة من كلمة ، ولا يمكن أن يكون إلا إذا تلبس ما اشْتُقَّ له من ذلك الْمُشْتَقِّ منه بذلك الحدث ، وأعوز المعتزلي الحق لما قال : عليم بلا علم ، سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر . لا يقوله إلا جاهل ، لا يقوله من عرف لسان العرب ، ولذلك قال هناك في المراقي :

وأعوز المعتزلي الحق

أعوزه حنقه بمعنى أنه قد قُصِمَ بهذه القاعدة وليس له جواب البتة ، لأنه في لسانه هو إذا تكلف لا يقول سميع ، فلان يعلم قال عالم ، لماذا عالم ؟ لأنه تلبس بالعلم ، والله عز وجل عالم عليم بذات الصدور ، قال : لا عليم بلا علم . تناقض أو لا ؟

تناقض ، هذا فاسد ، هذا فاسد ، إذًا كل من وقع في الشرك فالأصل أن نحكم عليه بأنه مشرك وأنه كافر ، والجهل قد يكون لعدم وجود مَنْ يُعَلِّم ، قد يكون الجهل سببه ماذا ؟ عدم من يُعَلِّم ، يعني لا يوجد من يُبَيِّنُ للناس التوحيد ، ما وجد ، قد توجد قرية لا يوجد من يُنَبِّهُ ويُعَلِّم الناس أن التوحيد هو إفراد الله تعالى بالعبادة فيقعون في الشرك ، مشركون أو لا ؟

مشركون ، مع عدم وجود من لم يعلم التوحيد ، وهؤلاء جهال بمعنى أنهم اتصفوا بالجهل الذي هو ضد العلم ، وقد يكون للإعراض عنه يعلم ، لكنه يعرض عنه ، وهذا كفر مَنْ ؟ كفر المشركين الذين وقفوا في وجه النبي ﷺ يعلمون المعنى ولكنهم أعرضوا ، وقد يكون الكفر لغير الجهل بالعناد ، فهذا يكون مع العلم وإقامة الحجة ، وكلا النوعين يعتبران مكفر ، الذي هو الجهل بنوعيه ، والعناد ، وكل منهما يعتبر من المكفرات ولذلك في آخر النواقض شيخ الإسلام رحمه الله تعالى عمم الحكم ، كل مَنْ أَتَى بهذه إما معاندًا ، إما مستهزأ ، وإما مجاهر .. إلى آخره فالحكم عليه أنه قد انتقض إسلامه ، حينئذ التوحيد له نواقض كما أن الوضوء له نواقض ، وكما أن الصيام له مفسدات ، لا شك في هذا ، هذا الأمر باستقراء كلام الشرع ، فهذا يكون مع العلم وإقامة الحجة وكلاهما يكون مكفرًا ، فمن لم يأت بالتوحيد عن إعراض منه وجهل فهو كافر ، ومن لم يأت بالتوحيد عن عناد واستكبار فهو كافر ، لأن إبليس إنما كفر بماذا ؟ بالعناد والاستكبار (**إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**) [البقرة : 34] (**أَبَى**) يعني امتنع ، والثاني كفر إعراض كما قال تعالى (**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ**) [الأنبياء : 24] فالمعرض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به حينئذ نقول : هذا كفر . وإن وقع في الشرك حينئذ لا يُعْذَرُ إلا حديث عهد بإسلام ، أو من نشأ ببادية ، فحينئذ الحكم في العذر ليس في الدنيا وإنما هو في الآخرة ، أما في الدنيا القاعدة عامة كل من وقع في الشرك فهو مشرك ، ولا تترتب عليه أحكام الإسلام ، بمعنى أننا لا نُغَسِّلُهُ ، ولا نُكَفِّنُهُ ، ولا نصلي عليه ، ولا يرث ولا يورث ، لماذا ؟ لأنه مشرك ، قد يكون مشركًا ظاهرًا وباطنًا وقد يكون مشركًا ظاهرًا ، مشركًا ظاهرًا وباطنًا متى ؟ إذا علم التوحيد وعرف أن دعوة الرسل المراد بها كذا وكذا ثم اتبع هواه فحرف وبدل ونصر الشرك ودعا إليه وألف وصنف وبارز وحارب دعاة التوحيد ، حينئذ نقول هذا مشرك ظاهرًا وباطنًا لماذا ؟ لأن الحجة قد أُقِيمتْ عليه على رُغْمِ أنفه شاء أم أبى ، الحجة قد قامت عليه ، وأما من كان حديث عهد بالإسلام مثلاً ووقع في الشرك ثم مات مباشرة حينئذ نحكم عليه في الدنيا كسابقه أنه مشرك وتترتب عليه أحكام المشركين ، أما في الباطن فالله أعلم به ، الله أعلم به لا نحكم له بجنة ولا بنار .

(**إذا عرفت**) ما سبق (**معرفة قلب**) (**أفادك فائدتين**) تثنية فائدة ، والفائدة هي ما استفيد من علم أو مال أو جاه ، (**الأولى : الفرح بفضل الله وبرحمته**) ، (**الفرح**) وهو انشراح الصدر بلذة عاجلة ، هذا هو الفرح (**بفضل الله وبرحمته**) بأن جعله من أهل التوحيد ، عرف التوحيد ، أليس بنعمة ؟ بلى ، من النعم العظيمة التي تستوجب الشكر ، ومن شكر الله تعالى على نعمه الاعتراف بها والفرح بها ، هذا من شكر النعمة أن يعترف بهذه النعمة التي اسداها الله تعالى إليه ، فعرف التوحيد وعرف معنى التوحيد الذي دعت إليه الرسل وعرف أقسام التوحيد وعرف المعاني التي جعلها الشارع أو الشرع لكل قسم من هذه الأقسام على حدة ، وعرف نقيضه الشرك حقيقته وحكمه وأقسامه ، حينئذ يفرح أو لا ؟

يفرح ، بأن علم التوحيد وصار من دعاة التوحيد ، نقول : هذا من أعظم ما يُفْرَحُ به « **من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين** » . بأن جعله من أهل التوحيد الخالص ، التوحيد السلفي ليس التوحيد الأشعري ولا الصوفي ، وإنما التوحيد الذي عرفه السلف ، ولذلك يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : أهل التوحيد هم خلاصة الوجود - الله أكبر - أهل التوحيد هم خلاصة الوجود ، وهم صفوة الله في الأرض . خلاصة الوجود وهم صفوة الله في الأرض ، هذه كلمة جميلة من ابن القيم رحمه الله تعالى تجعل المرء يتحمس إلى لأن يكون عنده همة إلى معرفة هذا العلم الجليل ، لأنه أعلى ما يمكن أن يطلبه المرء ، وأن يعتني به عناية فائقة من جهة معرفة ما يؤصل به هذا العلم ، ومن جهة ما يُدافع به عن هذا العلم ، لأن من العلم أن تعرف الشبه التي أدلى بها أولئك المشركون ، لأنهم أرادوا الانتقاص من هذا التوحيد ، أرادوا إبطاله هم يسعون إلى إخماده ، ويَدَّعُونَ أن هذا التوحيد توحيد السلف ليس هو التوحيد الذي

جاءت به الرسل ، وهذا باطل حينئذ لا بد أن تشمر وأن تعرف هذا التوحيد وتدرسه دراسة موسعة وأن تكون عندك عناية فائقة به ، ثم معرفة الشرك وأفراده وكل النصوص الواردة في التحذير من الشرك ليكون عندك سلاح أولاً في العمل بما تعلم لأنك تنجي نفسك أولا ، أنت لست معصومًا ، ثم بعد ذلك في رد الشبه التي يعترض بها المشركون في كل زمان وفي كل مكان ، قد تكون الشبه صادرة من مشرك ، وقد تكون الشبه صادرة من مبتدع ، قد تكون صادرة من مشرك متلبس بالشرك ، وقد تكون صادرة من مبتدع لا يرى للتوحيد وزنًا تهوينًا من أمره لأن التوحيد كما هو موجود الآن عند بعض الجماعات أنه يُفَرِّقُ ولا يُجَمِّعُ ، وهذه مصيبة عظيمة ، هل هؤلاء عرفوا التوحيد ؟ هل هؤلاء من أهل التوحيد ؟ لا والله ، من قال بأن التوحيد توحيد السلف يفرق ولا يجمع بمعنى أنه خالف السنة الإلهية وخالف الشرع ، الشرع جاء ليجمع وحينئذ التوحيد يفرق ، إذًا دعونا من هذه الدعوة اتركوها انبذوها اجعلوها وراء ظهوركم ، من أجل ماذا ؟ من أجل اتحاد الصفوف وتسوية الصف . نقول : هذا كله من البطلان وهذا لا يصدر إلا مِمَّنْ لم يعرف قدر التوحيد ، ولا يصدر إلا من مبتدع صاحب هوى ، هذا لا بد من معرفته معرفة قلب ، كأننا إذا درسنا التوحيد وعرفنا أنه أعظم ما أمر الله تعالى به ، هل من العقل ومن الدين أن تجعل لمن يريد أن يُهَوِّن من هذا الأمر هل لك أن تجعل له سبيل ؟ لو أراد أن يسطو على مالك هل تمكنه ؟ لا ، لو أراد أن يسطو على عرضك هل تمكنه على ولدك ؟ لا ، ما تمكنه ، فكيف ترضى بأن يأتي من يأتي ويطعن في التوحيد ، وترى وتتفرج وتشاهد ، قل : لا ، لا بد أن تعرف التوحيد وأن تكون من دعاة التوحيد .

(**الفرح بفضل الله وبرحمته**) أن جعله من أهل التوحيد الذين هم خلاصة الوجود وهم صفوة الله تعالى في الأرض ، بفضل الله ورحمته هذا جاء النص فيه كما قال تعالى (**قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ**) [يونس : 58] قل يا محمد - هكذا قال ابن جرير الطبري - : قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بك وبما أُنْزِلَ إليك من عند ربك قل بفضل الله أيها الناس الذي تفضل به عليكم وهو الإسلام - إذًا فضل الله ما هو ؟ الإسلام - وهو الإسلام فبينه لكم ودعاكم إليه ، وبرحمته التي رحمكم بها فأنزلها إليكم فعلمكم ما لم تكونوا تعلمون - هذه نعمة عظيمة - فعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه وبصركم بها معالم دينكم وذلك القرآن . إذًا لفضل الله الإسلام ، والرحمة المراد بها القرآن ، وأعظم ما يفرح به هو طاعة الله عز وجل والعلم النافع والعمل الصالح ، والفرح بذلك يُعْتَبَرُ من شكر النعمة لله تعالى ، وليس هو بالفرح المذموم الذي جاء في قوله تعالى (**وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ**) [الرعد : 26] . تقول : المراد بالفرح هنا الفرح بزخرف الدنيا وليس بالعلم الشرعي النافع ، يفرح المسلم . ولذلك إذا تعلم الطالب ولو مسألة واحدة نقول : من شكران النعمة أن يعترف . ونرى من الطلاب من يحفظ خمسين بيتًا وقد يتعلمها ، ثم يَهُزُّ رأسه يقول : ما أخذنا شيئًا وما تعلمنا شيئًا ، هذا من الشكران أم من الكفران ؟

نقول : لا ، لو تعلمت معنى آية واحدة ، قل الحمد لله ، النعم إنما تزاد بماذا ؟ بالشكر ، تعترف من قلبك أن هذه نعمة عندما تجلس مجلس علم وتسمع حكمًا شرعيًّا وتعرفه ، ثم تذاكره وتحفظه ، تقول : الحمد لله أنا اليوم أحسن من أمس ، أمس ما كنت أعلم هذا الحكم واليوم أنا أحسن ازددت علمًا ولو مسألة واحدة ، فتجد هذا جلس ساعة أو ساعة ونصف ، نقول : هذا ليس من شكران النعمة ، لا بد أن يعترف ، [فالقرآن هو فضل الله] [21] ، الإسلام هو فضل الله ، ورحمته هي القرآن (**فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**) [يونس : 58] من حطام الدنيا ، فإن الإسلام الذي دعاهم إليه ، والقرآن الذي أنزله عليهم (**خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**) من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها ، والعجب أن بعضهم قد يفرح بأمر دنيوي أشد من فرحه بأمر شرعي ، كطاعة وعلم نافع وعمل صالح .

إذًا الأول الذي يستفاد من معرفة التوحيد ومعرفة الشرك ومعرفة ما بعث الله تعالى به الرسل هو أن يفرح أن يكون ممن عرف التوحيد وعرف الشرك ، وهذه نعمة عظيمة تحتاج إلى شكر ، فالجمع بين معرفة التوحيد وضده هو النافع ، وأما معرفة التوحيد فحسب ليس بنافع .

وأفادك أيضًا يعني فائدة ثانية أيضًا هذا مفعول مطلق آضَ يَئِيضُ أَيْضًا ، نرجع رجوعًا إلى ذكر الفوائد .

(**وأفادك أيضاً الخوف العظيم**) ، (**الخوف**) هو الذعر ، وهو قلق واضطراب يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى ، (**العظيم**) يعني الشديد يخاف من ماذا ؟ من الوقوع في الشرك ، يخاف أن يقع في الشرك ولا

([21]) سبق .

يزكي نفسه بأنه معصوم ، وبأنه حفظ وعالم وحفظ القرآن ، وقرأ الواسطية ، وكتاب التوحيد على فلان وفلان ، هذا ليس بعاصم لك لماذا ؟

لأن الإنسان قد يسمع الشبهة وقد تقع في قلبه ، حينئذ تؤدي به إلى الزيغ والعياذ بالله ، (**وأفادك أيضاً الخوف العظيم**) من أن يزيغ قلبك فتقع في الشرك ، لأنك لست معصومًا ، ليس معصومًا إلا الرسل والأنبياء وأما أنت فلا ، أنت معرض لأن تقع في الشرك ، وخاصة إذا رأيت أغلب المتأخرين قد انحرفوا في معنى التوحيد وفي معنى الشرك ، لأن الانحراف في معنى التوحيد يستلزم الانحراف في معنى الشرك ، ولذلك الشرك عند القبوريين الشرك الأكبر هو الشرك في الربوبية وليس هو الشرك في الإلوهية والعبادة ، حينئذ حصل انحراف في مفهوم التوحيد ومفهوم الشرك ، أنت إذا عرفت الشرك بأنه دعوة غير الله معه ، أو صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى ، وعلمت أنك لست معصومًا وأن قلبك بيد الله تعالى ، حينئذ تخاف أن تقع مثل ما وقع أولئك ، وخاصة إذا كانوا ممن جمعوا بين العلم النظري علماء بعضهم مفسرون ونحاة وبعضهم لهم انتماء بالحديث ومع ذلك فهم من دعاة الشرك ، من دعاة الشرك يعني كون الشخص يقع في الشرك أخف من أن يدعو إلى باطله ، أخف الكفر ملل وبعضه أخف من بعض ، والذنب كذلك أو العقاب المترتب على الكفر أيضًا يتنوع (**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ**) [التوبة : 37] فالكفر يزيد وينقص كما أن الإيمان يزيد وينقص ، (**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ**) إذًا هم كفار ازدادوا كفرًا بالنسيء وهو التأخير .

(**وأفادك أيضاً الخوف العظيم**) وخاصة إذا علمت أن إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام قد قال وحكى الله تعالى عنه أنه قال (**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ**) [إبراهيم : 35 ، 36] لما رأى أن كثير من الناس قد تعلقوا بهذه الأصنام وعلم أنه بشر حينئذ خاف على نفسه وعلى بنيه (**وَاجْنُبْنِي**) باعد اجعلني في جانب وهذا الشرك في جانب (**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**) فإذا كان إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام الذي أُوذِي من أجل دعوة التوحيد وأُلْقِيَ في النار من أجل دعوة التوحيد قد خاف الشرك على نفسه ، فكيف بنا ؟ من باب أولى وأحرى ، بل النبي ﷺ يخاطب الصحابة : « **أخوف ما أخاف عليكم** » . عليكم الصحابة الشرك الأصغر فسئل عنه فقال : « **الرياء** » . فهذا يجعل المرء أن يخاف وأن يحترز من هذا الشرك .

(**وأفادك أيضاً الخوف العظيم**) الكبير ، ثم تطرق إلى مسألة تحتاج إلى وقفة ، وهي أنه إذا قال كلمة وكفر بها ومسألة العذر بالجهل ونحو ذلك .

نقف على هذا ، والله أعلم ، وصلَّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

س : الذي ارتكب البدعة هل هذا مناف للتوحيد ؟

ج : أجيبوا . المبتدع هل وقع فيما ينافي التوحيد ، نعم « **كل بدعة ضلالة** » . « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** » . وقد وقع في محذور ، وكل من وقع في محذور أو ترك واجبًا فحينئذ ....

س : يقول : جاء في حديث الرجل الذي قال لأولاده : إذا مت فحرقوني وذروني في .. البر ، والنصف .. ويقال : لئن قدر الله علي ليعذبني ؟

ج : هذا يعتبر من المتشابه - وسيأتي في الرد المجمل قاعدة عامة مفيدة لك في سائر أحكام الدين سواء كان في المعتقد أو كان في الفروع - إذا ثبت عندك أدلة عامة واضحة بينة حينئذ إذا جاءك حديث مشتبه محتمل ترده إلى هذا المعنى ، هذه قاعدة عامة كما سيأتي في الرد المجمل . ثم هذا ما شك في القدرة هذا شك في عموم القدرة ، وهذا مما قد يخفى ، ولذلك نقول : الكفر إذا كان بشيء أو من أنكر معلومًا من الدين بالضرورة كفر ، ومنه عبادة الله تعالى وإفراده بالعبادة ومعنى الشرك ، نقول : هذا معلوم من الدين بالضرورة لأنه من القطعيات المحكمات ، لكن إذا أنكر شيئًا قد يخفى ولو في أطراف أو فروع بعض ما يتعلق بالمعتقد ، فحينئذ نقول : هذا لا بد من إقامة الحجة عليه أولاً ، ولا ينزل عليه الحكم ابتداءً ، لماذا ؟

لأن هذه المسألة ليست بظاهرة ، وإنما هي من المسائل الخفية ، فإذا كان كذلك لا بد من إقامة الحجة عليه ، ولا إشكال ، لكن لا ينبغي للطالب أن يسلك هذا المسلك ، كثير منن الطلاب الآن قد يتتبع بعض الأحاديث ويسمع بعض ممن يورد بعض مثل هذه المسائل فيقع في ارتباك ، إذا عرفت أن إجماع السلف أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل ، البخاري أدرك ألف من العلماء كلهم على هذا المعتقد ، ألف ، لماذا تنظر في كتب المعاصرين ؟ وتقرأ فيما يردون ، ولعلهم عنده حق ، لا ، ليس عنده حق أبدًا لا يمكن أن يأتي بحق مادام أن المسألة إجماعية فهو معلوم من الدين

بالضرورة ، ولذلك ترك جنس العمل في الإيمان كفر بالإجماع ولا تتعلق بكتب المتأخرين ، حينئذ البحث في هذه في نظري الخاص إن لم يكن ثم ردود ودفاع عن هذه المسألة البحث فيها لا أراه لطالب العلم إلا إذا كان له منصب وله كلمة فيبين ما تمسك به أولئك المبتدعة المرجئة ونحوهم حينئذ لا إشكال ، أما طالب العلم يبحث في هذه الكتب وينظر ، لا ، هذا ضياع الأوقات ، مسألة مجمع عليها وآيات محكمة من كون العمل داخل في مسمى الإيمان اقرأ لزيد وعبيد المعاصرين لماذا ؟

س : هل نستطيع أن نقول : إن المشرك الجاهل الذي لم يبلغه العلم أنه مخلد في النار ؟

ج : لم يبلغه العلم ما المراد ؟ جاهل قد يكون جاهلاً بالفعل بحيث لو أراد أن يتعلم ما استطاع ، ليس عنده إذاعة وليس عنده ما يرحل به إلى مدن العلماء والدروس ونحو ذلك ، هذا نقول : معذور هذا معذور ، بمعنى أنه لا نحكم عليه بخلود في النار ، وأما في الدنيا في الدنيا نحكم عليه بأنه كافر ومشرك ، لماذا ؟ لأنه حقيقة الشرك وُجِدَتْ وهذا قد انتفى عنده الشرط الأول من شروط لا إله إلا الله وهو العلم المنافي للجهل ، إذا العلم المنافي للجهل إذا وجد الجهل انتفى الشرط ، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط وهو لا إله إلا الله .

س : من عقيدة أهل السنة والجماعة عصمة الأنبياء فكيف يُسحر النبي ﷺ ؟ هذا إشكال وقع في نفسي أرجو الإفادة ؟

ج : أولاً : سحر النبي ﷺ ليس متعلقًا بالبلاغ ، وهذا محل وفاق ، يعني لم يكن السحر مؤثرًا عليه في تبليغ الشرع ، وإنما قد يظن الشيء قد فعله من أمور الدنيا ولم يفعله كما صح عن عائشة رضي الله تعالى عنها فلا إشكال حينئذ ، لأنه من هذه الجهة قد يقال بأن ولذلك لا يطلق عصمة الأنبياء مطلقًا ، وإنما هو في الكبائر والشرك والصغائر التي تخل بالمروءة هذا محل وفاق بين أهل السنة والجماعة ، وإلا جاء أن النبي ﷺ أن يستغفر مائة مرة ؟ من ماذا يستغفر ؟ من وقوعه في ذنب ، لكن هذا الذنب يكون صغيرًا ولا يستمر عليه ، بل كما هو الشأن في الخطأ في الاجتهاد أما أن نقول النبي ﷺ يجتهد ، فإذا اجتهد عليه الصلاة والسلام فإن كان حقًا أقره الرب من السماء ، فإن كان فيه خلاف الأولى حينئذ جاء التصحيح من جبريل عليه السلام ، هذا مثله هل يستمر النبي ﷺ على ذنب ليس من الصغائر أو قد يعبر بعضهم تأدبًا يقال خلاف الأولى ، هذا أو ذاك هل يستمر عليه ؟

الجواب : لا ، وإنما مباشرة تحصل منه التوبة عليه الصلاة والسلام .

وصلّ الله وسلم على نبينا محمد .

الدرس التاسع
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد .
فهذه عودة بعد أن توقفنا في شرح ((**كشف الشبهات**)) بدأنا فيه قبل الصيف من أجل أن ننتهي منه ولكن لم نتمكن من ذلك ، وكنا قد وقفنا في الصيف في الدورة ، ثم بعد ذلك الأصل في مثل هذا الوقت ما بين رمضان والحج كما سبق أنه لا يكون فيه دروس ، لكن هذا كما يقال من باب قضاء الديون فحسب ، وعندنا ((**الجوهر المكنون**)) ، و ((**كشف الشبهات**)) .
((**كشف الشبهات**)) لا زال الحديث فيه المقدمة ، عرفنا أن المصنف رحمه الله تعالى شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب إنما صنف هذا الكتاب لما دعا إلى التوحيد وبين التوحيد الذي جاء به الرسل ، حينئذ نَصَبَ لَهُ الْعِدَا كثير من المنتسبين للعلم وأوردوا عليه شبهات ، وهذه الشبهات منها ما هو ظاهر البطلان أنه لا يمت إلى الكتاب والسنة بصلة ، ومنها ما هو مزين ومزخرف بالحق يعني فيه شبه بالحق ، لذلك قيل سميت الشبهة شبهة لأنها مما يَرُوجُ على بعض الناس قد يَتَلَبَّس بعض المبتدعة بذكر شبهته بنصٍ إما من قرآن وإما من سنة وإما من إجماع ، لكنه متأخر وهذه كلها وإن حُكِي عليها النصوص من كتاب أو سنة أو الإجماع لا تخرج عن كونها شبهة ، وسبق أن المراد بالشبهة : هو القول الباطل الذي يكون في صورة الحق ، ثم هذا القول الباطل قد يكون باطلاً أصلاً وفرعًا ، يعني من أصله هو قول مفترى ، وقد يكون فيه نوع حق يعني فيه تلبيس ، ولذلك الشبهة مأخوذة من الاشتباه وهو الالتباس ، التباس ماذا بماذا ؟
التباس الباطل بالحق ، ولذلك يزخرفه صاحبه بقول الله جل وعلا وقول رسوله ﷺ ، بل قد يَدَّعِي الإجماع على ذلك .
المصنف رحمه الله تعالى أراد أن يبين أن الشبه وردَّها إنما يكون بطريقين :
طريق إجمالي .
وطريق تفصيلي .
كلها سيذكرها ، ولكنه قدم بمقدمة نفيسة جدًا ، وهي أصول وقواعد ومهمات كلها مجمع عليها بين السلف ، وإن كان بعض المتأخرين قد نازع في بعضها ، هذه الأصول والمقدمات إن اعتنى بها الطالب وعرف المراد مراد السلف مراد العلماء من السنة والجماعة بهذه الأصول وهذه القواعد سَهُلَ عليه أن يَرُدَّ أي شبهة من أي عالم كان ، لأن الشبه إنما تصدر من أهل العلم هذا الأصل ، أما العامي فهو مقلد لعلمائه ، فحينئذ الأصل في إِيرَادِ الشبه إنما يكون من أهل العلم ، ولذلك سيأتي أن المصنف يذكر أن أعداء التوحيد لديهم علوم كثيرة وحجج ، بل لهم تصانيف ، ولهم علم ، إما في التفسير ، وإما في لغة ، وإما في الحديث ، وإما في غير ذلك ، وهذا كله لا يضع عليهم الحاجز الرد ولا يدفع عنهم القول بالبدعة بل بالشرك .
وأول هذه الأصول التي ينبغي معرفتها على حقيقتها قد أطنب المصنف في كتبه كلها بيان حقيقة التوحيد ، ما هو التوحيد الذي جاءت به الرسل ؟ لأن مفهوم التوحيد هذا أصل أصيل أول ما يُبَيَّنُ للمشرك أو لِمَنْ يجادل عن بدعته إن كانت متعلقة بالتوحيد ، ما هو التوحيد ؟ لأن مفهوم التوحيد يختلف من طائفة إلى أخرى ، المعتزلة لهم تعريف ولهم اصطلاح ، والأشاعرة لهم اصطلاح ، والجهمية ، والخوارج .. وغير ذلك من أرباب الطوائف المتفرقة ، كلٌّ منهم يَدَّعِي أن معه الفهم الصحيح للتوحيد الذي جاءت به الرسل ، ولكن السلف الصالح الصحابة والنبي ﷺ إمامهم ، ومن تبع السلف الصحابة ، والتابعين ، لهم قول واحد وهو مجمع عليه ، وهو أن التوحيد إذا أطلق إنما ينصرف إلى توحيد الإلوهية ، لأن هذا النوع هو الذي حصلت فيه الخصومة بين الرسل وأقوامهم ، حينئذ إذا قيل : الرسل إنما بعثت بالتوحيد هذا في فهمه طرفان ، يقال التوحيد الذي جاءت به الرسل وحصلت به الخصومة أو فيه الخصومة إنما هو توحيد الإلوهية ، والرسل دعت إلى التوحيد بأنواعه الثلاثة ، حينئذ لا خلاف بين الطرفين ، أن يقال الرسل دعت إلى التوحيد بأنواعه الثلاث ، ويقال بأن الخصومة إنما وقعت في نوع واحد وهو توحيد الإلوهية ، لماذا ؟

لأن المشركين وإن أقروا في الجملة بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات إلا أن ثم خَلَلاً وقع عندهم فيه ، ولذلك لما سبق معنا قول المصنف : أن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية . وهذا نص عليه الرب جل وعلا في قوله (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ) [يوسف : 106] أثبت لهم الإيمان وأثبت لهم الشرك . إذًا هم مؤمنون مشركون هل يجتمع مطلق الإيمان مع إثبات الشرك ؟

الجواب : لا ، إنما يقال (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ) يعني هنا إثبات للإيمان الذي متعلقه أفراد الربوبية وهو الخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحو ذلك من مفردات الربوبية ، (إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ) في ماذا ؟ في توحيد الإلوهية ، يعني صرفوا نوعًا أو أنواعًا من أنواع العبادة لغير الله عز وجل ، حينئذ يقال : بأن الرسل دعت إلى التوحيد بأنواعه الثلاثة ، والخصومة إنما وقعت في توحيد الإلوهية ، لأن هذا النوع الثاني وهو توحيد الإلوهية هو الذي أنكره من أنكره من المشركين - كما سينص عليه المصنف - .

إذًا لماذا صَدَّرَ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ((**كشف الشبهات**)) بتعريف التوحيد ؟

نقول : لأن هذا أصل أصيل ينبغي لمن أراد أن يرد على المبتدعة أن يَعَضَّ عليه بالنواجذ أن يعرف ما هو التوحيد الذي جاءت به الرسل لماذا ؟

نقول : لأن بعض المتأخرين من الأشاعرة - وهم علماء - قد وقع عندهم خلل في فهم التوحيد ، فالتوحيد الذي نتحدث عنه ليس هو التوحيد الذي عند الأشاعرة والمعتزلة والجهمية . إذًا لابد من فَيْصَلٍ وهو الرجوع إلى الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة وهذا أمر متفق عليه لا خلاف بين السلف ، أن التوحيد توحيد الإلوهية هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، ومفهوم العبادة كذلك أمر مجمع عليه عند السلف ، وهو امتثال ما أمر الله تعالى به واجتناب ما نهى عنه ، وهذه العبادة منها ما هو متعلق بحق الله عز وجل ، ومنها ما هو متعلق بحق المخلوق .

إذًا هذا الأصل الأول أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة . وبينا مفردات هذا النوع ، وقلنا : هذا أصل ، وهو مجمع عليه .

قال : (**وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده**) من نوح عليه السلام إلى خاتم الرسل وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم ماذا أراد أن يشير بهذه الجملة ؟

نقول : أشار إلى أصل ثاني وهو أن هذا التوحيد مجمع عليه بأعلى أنواع الإجماعات القطعية ، إجماع من ؟ أصوليين ! فقهاء ! محدثين ! ، لا ، إجماع الرسل ، فهو دين الرسل كلهم من أولهم وهو نوح عليه السلام إلى خاتمهم وهو محمد ﷺ إذًا هذا أصل ثاني تضمه إلى الأول .

(**أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله** [**كثيرًا**] كما في بعض النسخ) هذا أصل ثالث ، وهو أن الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ لم يكونوا في مَعْزِلٍ عن عبادة الله جل وعلا ، لا ، وإنما كانوا يعبدون الله تعالى ، ومع ذلك قد وصفوا بماذا ؟ بالشرك ، إذًا #9.48.. هذا أمر متفق عليه لأنه منصوص في القرآن وفي السنة ، وبالرجوع إلى التعريف نعرف أن المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ كانوا يتصدقون وكانوا يحجون ويتعبدون في الجملة وذكر بعضهم أنهم كانوا يغتسلون من الجنابة ونحو ذلك ، ذكرنا أدلة ذلك فيما مضى ، هذا أصل نتمسك به فيما إذا نُفِيَ الشرك عن من صلى ، هؤلاء أهل القبلة صَلَّوْا كيف يوصفون بالشرك ؟

نقول : أولئك القوم الذين كفرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحكم عليهم بالشرك ونزلت فيهم الآيات ، كانوا كذلك (**يتعبدون**) كانوا يصلون - كما في بعضهم .. - ويحجون إلى البيت (**ويتصدقون ويذكرون الله كثيرًا**) . إذًا إذا وصف الشخص بكونه صالحًا عابدًا ناسكًا وقد وقع في الشرك نقول : عبادته لا ترفع عنه وصف الشرك . هذا قاعدة أصل عام ، يأتيك عالم يأتيك .. إلى آخره يطوف بالقبر ، يسجد للقبر ، ينذر ، يستغيث بالنبي ﷺ ، صلاحه نقول : هذا قد أفسده الشرك ، لأن الشرك إذا دخل العبادة أفسدها ، ومن شرط صحة العبادة اجتناب الشرك ، ودليله قوله جل وعلا (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً) [النساء : 36] ، (وَلاَ تُشْرِكُواْ) هذا نهي ، و (شَيْئاً) هذا نكرة في سياق النهي فيعم ، و (تُشْرِكُواْ) هذا فعل مضارع وقع في سياق النهي فيعم ، العموم في الشرك وفي الْمُشْرَكِ به (وَلاَ تُشْرِكُواْ) مطلقًا لا شركًا أكبر ولا شركًا أصغر ولا شركًا خفيًا - على القول به - (شَيْئاً) لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً فضلاً عن أن يكون وليًّا أو قبرًا أو جنيًّا أو صنمًا أو حجرًا .. إلى آخره . قال : (وَاعْبُدُواْ اللّهَ) . هذا أمر بالعبادة ، وأول ما يدخل في الأمر بالعبادة هو الأمر بالتوحيد لأنه أعلى وأعظم الأوامر ، فأعظم ما أمر الله به هو توحيده جل وعلا ، وأعظم ما نهى عنه هو الشرك ، ولا يصح الأول إلا باجتناب الثاني ؛ لأن الشرك

والتوحيد نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان ، لا يجتمعان يعني لا يكون الرجل في الوقت نفسه موحدًا مشركًا ، إذا وُجِدَ التوحيد وهو مضمون لا إله إلا الله بشروطها السبعة لَزِمَ من ذلك انتفاء الشرك ، وإذا وُجِدَ الشرك حينئذ لَزِمَ منه انتفاء التوحيد ، لأنه إما أنه لم يعلمِ مضمون لا إله إلا الله ، وإما أنه قد انتقض عنده شرط أو شروط أو كل الشروط التي ذُكِرَتْ في لا إله إلا الله ، إذًا لا يمكن أن يستقيم التوحيد إلا باجتناب الشرك ، فإذا كان المشركون الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ قد حصل عندهم نوع صلاح في الجملة بنوع من أنواع العبادات ، نقول : ذلك لا يرفع عنه وصف الشرك . فإذا حاجّ محاجّ عن المشركين أو أورد شبهة هذا عالم هذا ولي هذا صالح هذا .. هذا .. إلى آخره ، نقول : هذا صلاحه قد أفسده بماذا ؟ بوقوعه في الشرك ، فإن قالوا : أولئك الأقوام الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ كانوا يعبدون الأصنام . نقول : أيضًا كانوا يتعبدون ويحجون ويتصدقون ونحو ذلك ، هذا أصل ثالث اجعله معك ، ولذلك قال (**ولكنهم**) يعني مع تعبدهم لله عز وجل يجعلون بعض المخلوقين وسائط بينهم وبين الله عز وجل ، هذه المعبودات التي صرفوا لها نوعًا من العبادة ، هذا أراد المصنف أن يبين لنا حقيقة الشرك ، ماذا صنع أولئك الأقوام ؟ ماذا صنعوا ؟

تعبدوا لله عز وجل ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقين وسائط ، أراد أن يبين لنا حقيقة الشرك الذي حكم الله عز وجل على أولئك القوم الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ بأنهم مشركون ، لم يجعلوا تلك المعبودات أصلاً في توجه العبادة إليهم . إذًا هم عبدوا الله حتى بصرفهم لنوع من أنواع العبادة لتلك المعبودات لم تقصد لذواتها ، لم يقصد الصنم لذاته ، لم يقصد الْمَلَك لذاته ، لم يقصد الْوَلِيّ الذي دُفِنَ في القبر لذاته ، وإنما جعل واسطة بين العابد وبين المعبود الحقيقي في ظنه وهو الله عز وجل ، إذًا حتى مع صرفه لنوع من أنواع العبادة يعني وقوعه في الشرك لم يعتقدوا أن هذه المعبودات تنفع بذاتها بنفسها أو أنها تضر ، بل جعلوها ماذا ؟

وسائط بينهم وبين الله عز وجل ، فإذا ادَّعَى مُدَّعٍ فيما إذا وقع الشرك لأنه لم يستغث بذلك الولي بذات الولي فإنه يعلم أنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فضلاً عن غيره وإنما جعله شفيعًا ووسيطًا بينه وبين الله ، نقول : أولئك القوم الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ لم يجعلوا تلك الأصنام معبودات بذواتها ، وهذا منصوص عليه أمر مجمع عليه ، فإن كان الصوفية والمتأخرون لا يُسَلِّمُون بهذا (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) هذا نص أو لا ؟ نعم نص ، **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا**) إذًا أثبتوا العبادة وأثبتوا جهة نسبة العبادة إليهم ، وهو أنهم وسطاء وشفعاء بينهم وبين الله جل وعلا ، يقولون : نريد منهم التقرب إلى الله تعالى ونريد شفاعتهم عنده ، مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين . إذًا لو ادَّعَى مُدَّعٍ بأن أولئك القوم الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ إنما عبدوا الأصنام وهي أحجار ، نقول : كذلك ثبت أنهم عبدوا الصالحين كعيسى ابن مريم ، وعبدوا الملائكة ، وعبدوا اللات - وهو رجل صالح كما في بعض الأقوال - ، حينئذ توجهوا بأنواع من العبادات لمعبودات ظنوا صلاحها وأنها تقربهم عند الله تعالى زلفى ، (**فَبَعَثَ الله تعالى محمدًا ﷺ يُجَدِّدُ لهم دينهم دين أبيهم إبراهيم ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى لا يصلح منه شيء لغيره لا لملك مُقَرَّب ولا نبي مُرْسَلٍ فضلاً عن غيرهما**) .

إذًا هذا فيه بيان حال المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ ، قد اشتملوا على أمور :

أولاً : يتعبدون ويحصل عندهم نوع تعبد من حج وصلاة وذكر لله تعالى .

ثانيًا : تلك المعبودات ليست كلها أصنامًا حجرًا أو أنهم مشركون ، لا ، وإنما فيهم من هو صالح متفق على صلاحه كالملائكة وعيسى ابن مريم أليس كذلك ؟

ثالثًا : لم يتوجهوا إلى تلك المعبودات لذوات المعبودات ، بل جعلوها ماذا ؟ واسطة بينهم وبين الله تعالى ، وهذا الشرك بعينه هو الموجود عند المتأخرين ، وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده - وهذا أصل - .

رابع أو خامس تجعله معك أيضًا : أن أولئك المشركين كانوا يُقِرُّون بما ثبت أنه هو التوحيد عند المتأخرين ، وهو أن التوحيد الذي بُعِثَ به الرسل إنما هو أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر .. إلى آخره ، وهل هذا التوحيد هو الذي وقع فيه الخصومة بين الرسل وأقوامهم ؟

الجواب : لا ؛ لأن أولئك القوم كانوا مُقِرِّين بما أقرَّ به المشركون المتأخرون من كون الله عز وجل هو الخالق المدبر .. إلى آخره ، فإذا فسر لا إله إلا الله لا قادر على الاختراع إلا الله ، هل هذا جاء بالتوحيد ؟

الجواب : لا ، لم يأت بالتوحيد ، لا إله إلا الله ، لا خالق إلا الله ، نقول : لم يأت بالتوحيد ، لماذا ؟

لأن هذا التوحيد الذي فُسِّرَ به لا إله إلا الله وقد وقعت الخصومة في مفهوم لا إله إلا الله قد أَقَرَّ به المشركون ، في الآية التي ذكرناها آنفًا (**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**) ، (**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن**

يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ) [يونس : 31] هذا اعتراف بتوحيد الربوبية ، إذًا لو قال قائل من المتأخرين - لأن الشبه إنما تَرِدُ من طرفهم بأن التوحيد هو إفراد الله تعالى بالخلق ؟ نقول : أولئك القوم الذين أُرْسِلَ فيهم النبي ﷺ وقاتلهم وحكم عليهم بالشرك والخلود في النار إن ماتوا على ما هم عليه ، نقول : كانوا مُقِرِّين بما ذكرتَ أنه هو التوحيد ولم تقع الخصومة بين الرسل وأقوامهم فيما ذُكِرَ من مفردات توحيد الربوبية ، ولذلك قال المصنف هنا في أصل أصيل : أن هؤلاء المشركين مع اعتقادهم في الوسائط التي اتخذوها الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم يشهدون يقرون يعني يعتقدون عبر بالشهادة لأن الشهادة ماذا ؟ اعتقاد ، ما هي الشهادة ؟

ما هي الشهادة ؟!

يشهدون أن الله ، ما هي الشهادة ؟

شَهِدُوا ما معنى شَهِدُوا ؟

أَقَرُّوا بقلبهم ؟!

اعْتَقَدُوا بقلوبهم ونَطَقُوا بألسنتهم ، إذًا ليس هو مجرد اعتقاد بل كانوا يقرون وينطقون بألسنتهم ما اعتقدوه بقلوبهم ، وهو أن الله الخالق وحده لا شريك له في الربوبية وأنه لا يرزق إلا هو يعني أفردوه بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير ، وأن جميع السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيها كلهم عبيده معبدون لله عز وجل وتحت تصرفه وقهره ، هذا اعتقاد من ؟

اعتقاد المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ ، حينئذ إذا وقع هذا في الأزمنة المتأخرة ولو صَدَرَ من علماء الشرك نقول : هذا هو عين الشرك الذي نَبَذَهُ النبي ﷺ وقاتل أصحابه ، فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فاقرأ عليه الآية السابقة فقوله : (**قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا**) .. إلى قوله : (**فَأَنَّى تُسْحَرُونَ**) [المؤمنون : 84 : 89] كثير في القرآن ، إقرار المشركين بمفردات توحيد الربوبية .

ثم قال رحمه الله تعالى : (**إذا تحققت أنهم مقرون بهذا**) - أي بتوحيد الربوبية وأنه لا خالق إلا الله - (**وأنه لن يدخلهم في التوحيد الذي دعت إليه الرسل**) . إذًا أقروا بتوحيدٍ لم يدخلهم في التوحيد الذي دَعَتْ إليه الرسل ، أقروا بتوحيد الربوبية وهذا لا ينفعهم البتة ، لماذا لا ينفعهم ؟ لأن هذا المعنى قد وُجِدَ مع اعتقاد النفع والضُّرِّ في غير الله عز وجل ، ولو كانت متخذة من جهة الوساطة ، فإذا إقراره بتوحيد الربوبية واعتقاد ذلك والإقرار باللسان أنه لا خالق إلا الله وما عُطِفَ عليه ، نقول : هذا لا يدخلهم في التوحيد الذي دَعَتْ إليه الرسل ، ولذلك مع كون القرآن يَتَنَزَّل لأنهم مقرون بهذا التوحيد مع ذلك النبي ﷺ لم يرفع عنهم السيف حتى يقروا لا إله إلا الله بالمعنى الذي جاءت به الرسل ودعاهم إليه رسول الله ﷺ ، (**وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه**) أي المشركون (**هو توحيد العبادة**) ألا يعبد إلا الله ، ولذلك لما قال لهم : « قولوا لا إله إلا الله » . قالوا : أجعل الآلهة إله واحدا ، إذًا يعتقدون أن الله إله أليس كذلك ؟ (**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ**) [ص : 5] ما هي الآلهة ؟

الله ، وهبل ، والملائكة ، وعيسى .. إلى آخره إله واحدًا محصورًا في الله عز وجل ، نفوا هذا ، أن تتحد الآلهة ويكون الإله واحدًا ، قالوا : هذا لا نُسَلِّمُ به . هو توحيد العبادة الذي يُسَمِّيهِ المشركون في زماننا الاعتقاد ، وكانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ليلاً ونهارًا . إذًا توجهوا بالعبادة لغير الله عز وجل وهذا هو الشرك ، وإن سماه المشركون المتأخرون بالاعتقاد مع كونهم يذكرون الله تعالى كثيرًا .

(**ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله عز وجل يشفعوا لهم أو يدعو رجلاً صالحًا مثل اللات أو نبيًا مثل عيسى**) . هذا الجملة أراد بها المصنف أن يَرُدَّ على من يقول بأن أولئك الأقوام : إنما عبدوا الأحجار . نقول : هذا باطل ؛ لأنهم لما توجه المتأخرون إلى الحسن والحسين والجيلاني ونحو ذلك ممن اعتقدوا فيهم الصلاح قالوا : هذا ليس هو عين الشرك السابق فعندنا المشركون قسمان :

مشركون متقدمون .

ومشركون متأخرون .

الصنف غير الصنف ، لا شك المتأخر غير المتقدم ، هذا مخلوق وهذا مخلوق ، وإنما العمل هو العمل والاعتقاد هو الاعتقاد ، والحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا ، فإذا وقع الشرك عند الأوائل المتقدمين في اعتقادهم الوساطة في الصالحين نقول : هذا عينه موجود عند المتأخرين ، فإذا نَفَوْا تعلق الوسائط أن تكون عند المتقدمين في غير

الصالحين ، أثبتناه بما جاءت فيه الآيات من إدعاء الإلوهية في عيسى ابن مريم أو في الملائكة ونحو ذلك أو في الجن الصالحين وغيرهم . إذًا أراد المصنف بهذه الجملة أن يبين أن المتأخرين إن ادَّعَوْا أن شركهم وتعلقهم بالأموات لكونهم صالحين وأن المشركين الأوائل أسلافهم إنما عبدوا الأحجار . نقول : لا ، هذا الذي وقعتم فيه موجود فيما حاربه النبي ﷺ وقاتل أصحابه . (**أو يدعو رجلاً صالحًا مثل اللات أو نبيًا مثل عيسى**) .

ثم قال : (**وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك**) الذي هو صرف العبادة لغير الله ، وإن سموه بغير اسمه ، لأن تبدل الأسماء وتغير الأسماء لا تغير الحقائق ، فالنظر للحقيقة ، ماذا صنع ، ماذا فعل ، ماذا قال ، ماذا اعتقد ؟ اعتقد في غير الله النفع والضر ، إذًا هو الشرك سَمِّهِ توسلاً سَمِّهِ اعتقادًا سَمِّهِ ما شئت من أسماء مُزَخْرَفَةٍ ، نقول : الحقيقة هي صرف العبادة لغير الله . والعبادة كما سبق قد تكون اعتقادية وقد تكون قولية وقد تكون عملية ، فأي نوع من أنواع العبادة الثلاثة المذكورة الاعتقادية والقولية والعملية صرفها لغير الله يعتبر شرك ، وإن بُدِّلَتْ أو غُيِّرَتْ الأسماء فالعبرة بالحقائق .

(**وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله ألا يعبد إلا الله عز وجل كما قال تعالى (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً) [الجن : ١٨]**) أحدًا ميتًا كان أو حيًّا . **وقال تعالى : (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ)** [الرعد : ١٤]) ، (**وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله**) . هم دَعَوْا الله عز وجل ، أليس كذلك ؟ هم يتعبدون يدعون ويصلون كما في بعض الروايات ويذكرون الله تعالى لكن عبدوا الله وعبدوا معه غيره ، إذًا صرفوا نوعًا من أنواع العبادة لغير الله عز وجل ، دعاهم النبي ﷺ أن يكون الدعاء كله لله لا بعضه لله وبعضه لآلهتهم ، والذبح كله لله لا أن يذبح لله ويذبح للصنم ، فإن ذلك شرك وإن ذبح لله ، لأنه قد يتقرب لله عز وجل قد ينذر حينئذ نقول : نذره وذبحه لله . هذا باطل فاسد لماذا ؟ لكونه مشركًا قد وقع في الشرك ، ولو كان من غير جنس العبادة ، يعني لا يشترط أنه يذبح لله ويذبح لغير الله من جنس واحد ، لا ، لو ذبح لله ووقع في صرف عبادة أخرى غير الذبح نقول : هذا شرك وهو مفسد ومحبط للعمل ، وجميع أنواع العبادة كلها لله . (**وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام**) هذا تأكيد من المصنف رحمه الله تعالى لأن كثيرًا من المتأخرين ينازعون في هذا ، يقول : لا المشركون الأولون لم يقروا بتوحيد الربوبية . ولذلك إذا عرف الأشعري وغيره التوحيد بأنه إفراد الله تعالى بالخلق ، لا خالق إلا الله ، لا قادر على الاختراع إلا الله يشكك في هذه القاعدة وهو أن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ، نقول : هذا بالإضافة قد ذكرنا ذلك فيما سبق . (**وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لن يدخلهم في الإسلام وأن قصدهم الملائكة والأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم أو التقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم**) هذه الوساطة والشفاعة هي الشرك ولو لم يقصدوا عين الْمُشْرَكِ به ، يعني لم يقصدوا الصنم نفسه أو الملك أو النبي أو الرجل الصالح ، لأنهم يقرون بأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا ، وإنما لصلاحهم وقربهم من الله عز وجل أرادوا أن يجعلوا أولئك وسائط ، يعني قاسوا كما سبق قاسوا الرب جل وعلا على الخلق ، وهذا من أفسد أنواع القياس . إذا تحققت مما ذكرناه لك (**عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون**) . وما هو هذا التوحيد ؟

هو الذي صَدَّرَ به هذه الجملة : (**إفراد الله تعالى بالعبادة**) أراد أن يُدَلِّلُ على ما سبق فذكر تلك القواعد ، وزاده إيضاحًا قال : (**هذا التوحيد** - توحيد الإلوهية - **هو معنى قولك لا إله إلا الله**) نفيٌّ وإثبات ، لا إله ، لا معبود حَقٌّ أو بِحَقٍّ إلا الله عز وجل ، فلا هذا نفي للجنس ، إلا الله هذا فيه إثبات ، لا إله هل هو نفي للمعبودات أو نفي لاستحقاق العبادة ؟

للاستحقاق ، وليس للمعبودات ، لأن المعبودات موجودة ، لو قيل لا معبود ، يعني لا ملك يُعْبَد ، ولا نبي يعبد ، ولا صالح يعبد ، هل هذا يستقيم ؟

لا ، لا يستقيم ، وإنما استحقاق العبادة ، هذه المعبودات التي توجهوا إليها بصرف العبادة إليها نقول : لا تستحق أن تعبد ، لأنها لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت ، والذي يستحق العبادة هو من اتصف بهذه الصفات ، وهو الله جل وعلا ، إذا نفوا عن هذه المعبودات الخلق والرزق والتدبير لزمهم ماذا ؟ نفي العبادة عن هذه المعبودات ، أليس كذلك ؟ إذًا نفوا عن هذه المعبودات صفة الخلق والرزق والتدبير لزمهم أن يَنْفُوا عنها العبادة لأنه لا يستحق العبادة إلا من اتصف بهذه الصفات ، وأنتم لقد أثبتم أثبتموها لله عز وجل وحده ، حينئذ لَزِمَكُم أن تصرفوا العبادة كلها لله عز وجل ، هذا أمر واضح بَيِّن ، لكن التقاليد والهوى ، وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله ، فإن الإله عندهم عند العرب في لسان العرب لأن النظر هنا نظر لُغوي وشرعي يعني في معنى الإله كيف نفسر الإله ؟ لأن

هذا مما وقع فيه النزاع عند المتأخرين ، لا إله لا خالق ، قل لا خالق لا إله ، هل في لسان العرب إله يأتي بمعنى [الخلق والرزق الجواب] [22] الخلق ؟ نقول : لا ، لا يأتي ، وأهل اللسان العرب الذين بُعث فيهم النبي ﷺ أعرف وهم حجة في هذا أليس كذلك ؟ نعم ولو كانوا مشركين ، وكذلك الشرع فَسَّرَ الإله بمعنى المعبود ، وقد قررناه فيما سبق بأدلة من الكتاب والسنة ، فإن الإله عندهم - عند العرب - هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور ، يعني لقضاء الحاجات ، وكشف الكربات ، الذي يعبد ويستغاث به ويلجأ إليه هو الله عز وجل ، وهذا هو معنى الإله عند العرب ، وهذا متفق عليه مجمع عليه في لسان العرب بل وأهل التفسير والفقهاء ، سواء كان مَلَكًا يعني المألوه أو نبيًّا أو وليًّا أو شجرة أو قبرًا أو جِنِّيًّا ، هذا معنى الإله هو الذي يُقْصَدُ بالتوجه بأن يكون واسطة بينه وبين الله ، بقطع النظر عن نوعه ، لأن الإله هذا مألوه جنس ، يدخل تحته أفراد ، ذكر منها المصنف هنا مَلَكًا أو نَبِيًّا أو وليًّا - يعني ليس نبي - أو شجرة أو قبرًا أو جِنِّيًّا ، فمتى ما صُرِفَتْ العبادة لأي نوع من هذه الأفراد صار - معي ولا لا ؟! - صار إِلَهًا مَأْلُوهًا لأن الإله عند العرب هو الذي يُقْصَدُ لأجل هذه الأمور ، ما هي هذه الأمور ؟ أنواع العبادة : تفريج الكربات ، وكشف الملمات ، تقول : هذه كلها إنما تكون لمن ؟ لِلإلهِ . إذًا الإله هو المألوه ، قلنا : هذه يدخل تحته ما ذكره المصنف هنا للأنواع ، (**لم يريدوا** - يعني العرب الأوائل – **أن الإله هو الخالق الرازق المدبر**) كما فَهِمَ المتأخرون فَضَلُّوا وأَضَلُّوا ، فهموا الإله بمعنى الخالق القادر المدبر ، وهذا تفسيرٌ للا إله إلا الله بتوحيد الربوبية وهذا باطل ، يعني تفسير مطابقة ، (**فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قَدَّمْتُ لكم**) . وهذا معنى الرب السابق ، ففرق بين الرب وبين الإله ، (**وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد**) يعني الذي يُقْصَدُ لأجل التوسط عند الله تعالى ، فالمشركون الأولون يسمون هذه الأشياء آلهة ، يسمونها ماذا ؟ آلهة ، إذا قصدوا الوساطة بينهم وبين الله سموه ماذا ؟ إلهًا ، كانوا صادقين مع أنفسهم سَمَّوْهُ إِلَهًا ، وأما المشركون المتأخرون ينفون كونها آلهة ويسمونه اعتقادًا أو توسلاً ونحو ذلك ، إذًا بدلُّوا وغيَّروا في الأسماء والحقيقة هي الحقيقة ، فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد يعني إلى تحقيقها ، يعني ليس قولَها فقط وإنما أن يقولوها وأن يعملوا بمضمونها ، وهي لا إله إلا الله ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ، إذًا ليست اسمًا لا مُسمًّى له ، وليست لفظًا لا مضمون له ، بل هي لفظ ومعنى ، فاللفظ النطق بها دون العلم بمعناها لا يكفي أليس كذلك ؟ فلا بد أن يَتَلَفَّظَ بها وأن يعرف يعلم معناها ، وأن يعمل بمقتضاها ، فإن لفظ بها دون علم بمعناها فضلاً عن عمل بمقتضاها لا تنفعه ، فإن لفظ بها وعلم معناها ولم يعمل بمقتضاها كذلك لا تنفعه ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ، (**والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق** - يعني التعبد - **والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه فإنه لما قال لهم : قولوا لا إله إلا الله قالوا : (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ)** [ص : 5]) . إذًا فهموا معنى لا إله إلا الله ، وعَرَفُوا أن المراد هو إفراد الله تعالى بالتعبد والتعلق والتأله ، وأن ينفى التعلق والتعبد والتأله عن غير الله تعالى ، لأنهم عرفوا أن قوله لا إله - إله أن المراد به المعبود يعني لا يُصْرَفُ شيء من العبادة لشيء غير الله عز وجل ، فيفرد سبحانه بالتعبد والتعلق ، وأن هذه المعبودات التي صُرِفَتْ إليها أنواع من العبادة ليست آلهة ، وهم قد جعلوها آلهة ، (**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ**)إذًا اعترفوا بأنها آلهة ، وأرادوا أن يعددوا الآلهة فمضمون لا إله إلا الله هو الكفر بما عدا الله تعالى من الآلهة ، إذًا فهموا المراد بخلاف المتأخرين . (**فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يَدَّعِي الإسلام**) هم كفار أصلاً كفر أصلي نشئوا على الكفر ، ولما قال لهم النبي ﷺ : « قولوا لا إله إلا الله » . فهموا المراد ، ولذلك أَبَوْا أن يلفظوا بها امتنعوا ، لماذا ؟ لأنهم إذا لفظوا بها مع معناها - وهو الكفر بما سوى الله تعالى من المعبودات - لزمهم العمل بمقتضاها بخلاف المتأخرين المنتسبين إلى أهل الإسلام ، (**فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك ، فالعجب ممن يَدَّعِي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرف جهال الكفار**) يعني جهلوا أو خالفوا (**بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني وهذا باطل**) لأنه - كما ذكرنا - أن لا إله إلا الله ليست لفظًا مجردًا ، ولذلك المنافقون قالوا : لا إله إلا الله في زمن النبي ﷺ لكن هل نفعتهم ؟

لا تنفعهم ، لماذا ؟

لأن المقصود هو اعتقاد معنى هذه الكلمة والعمل بمقتضاها ، أما مجرد حروف ولفظ يكرر فهذا ليس المراد ، (**بل يظن أن ذلك التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني**) من المعاني من المعاني المنسجمة أو

---

(22) سبق .

المستلزمة لعمل الظاهر ، لأن المصنف هنا قال : (**التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني**) اعتقاد القلب لا بد وأن يلزم منه العمل الظاهر ، ولذلك تقول : العمل بمقتضى هذه الكلمة ، ثم المقتضى هذا قد يكون باطنًا وقد يكون ظاهرًا ، هل ينفك الظاهر عن الباطن ؟

نقول : لا ، لا ينفك . فإذا وجد الباطن دون الظاهر نقول : هذا ليس بمسلم . إذا وجد الباطن دون الظاهر نقول : ليس بمسلم . وإذا وجد الظاهر دون الباطن نقول : هذا ليس بمسلم .

إذًا الأقسام كم ؟

أربعة ؟ ما هي ؟

ظاهرًا وباطنًا هذا الموحد الحقّ والصدق .

باطنًا لا ظاهرًا . لا يوجد [أحسنت نعم] يوجد عقلاً وهو الذي أراد المرجئة إثباته أن يؤمن باطنًا لا ظاهرًا بقي ماذا ؟

ظاهرًا لا باطنًا ، هذا المنافق .

والكافر ...

إذًا الأقسام من حيث العقل أربعة ، ومن حيث الشرع ثلاثة ، ولذلك جاء تقسيمه في أول سورة البقرة (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ**) [البقرة : 6] ثم قال (**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ**) [البقرة : 8] وقبل ذلك قدم حال المؤمنين ، فالقسمة ثلاثية :

مؤمن ظاهرًا وباطنًا .

كافر ظاهرًا وباطنًا . وهذا لا إشكال فيه .

مؤمن ظاهرًا كافر باطنًا . هذا المنافق .

أما مؤمن باطن وكافر في الظاهر ، نقول : هذا لا وجود له إلا عند المرجئة .

(**والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر إلا الله ، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعاني لا إله إلا الله**) فلا خير في رجل يعني يَدَّعِي الإسلام يفهم أن لا إله إلا الله لا خالق إلا الله ، لا رازق إلا الله ، لا قادر على الاختراع إلا الله ، تقول : هذا جاهل أو عالم ؟

جاهل ، [نعم] جاهل ، والكافر فهم من لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله . قل : الذي علم المعنى الصحيح هو الكافر المشرك الأول ، ولذلك كما ذكرنا أنه لم يسلم بها لفظًا فضلاً عن أن يعتقد معناها وأنه صحيح ، بخلاف المتأخر فإنه سَلَّمَ بها لفظًا وخالف معناها . (**إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب**) بصيرة قلب يعني هو محل العلم أي فهم وعلم إذ يعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك ، لذلك جاء قوله تعالى (**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ**) [ق : 37] يعني هو الأصل ، العلوم إنما تكون في الأصل محلها القلب ، ثم تنبثق على الجوارح .

(**إذا عرفت ما قلت لك**) السابق من معنى الإلوهية وما يتعلق بحال المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ من إقرارهم بتوحيد الربوبية ، وأن ذلك لم ينفعهم في رفع السيف عنهم ، وأنهم إنما جحدوا توحيد العبادة ، وأنهم قد فهموا من لا إله إلا الله المعنى الذي أراده النبي ﷺ ، وهو لا معبود بحق إلا الله ، وأن المشركين المتأخرين لم يفهموا من لا إله إلا الله ، ما فهمه أسلافهم ، حينئذ (**إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب**) وزدت على ذلك بأن عرفت الشرك ، لأن الشرك نقيض التوحيد ، وبضدها تتميز الأشياء وتتبين الأشياء ، لا يمكن أن يفهم التوحيد على وجه الكمال والتمام إلا إذا عُرِفَ الشرك ، [لأن الشرك] [23] لأن تحقيق التوحيد هو اجتناب الشرك بحذافيره كبيره وصغيره قليله وكثيره ، فإذًا لم تعرف الشيء كيف تجتنبه ؟ هل يتصور هذا ؟

لا يتصور ، إذًا قد اجتنب الشرك الأكبر لكن قد يقع في الشرك الأصغر ، وقد يجتنب الشرك الأصغر ولكنه قد يقع في الشرك الخفي ، ونحو ذلك ، حينئذ قال : (**وعرفت الشرك بالله**) يعني عرفت حقيقته ما هي ؟

ما حكمه ؟ ما حال أهله الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ ؟

ماذا كانوا يصنعون ؟

لأنه قد يلتبس يظن الظَّانّ أن المشرك ولو وقع في الشرك لكن إذا وجد معه نوع صلاح من تعبد ونحوه يظن أن هذا الصلاح وهذا التعبد يرفع عنه وصف الشرك ، نقول : لا ، لا يلتبس لأنك لو نظرت في حال أولئك المشركين

---

(23) سبق .

وعلمت أنهم قد يحصل عندهم نوع تعبد ومع ذلك كفرهم وحكم عليهم بالشرك وقاتلهم ، حينئذ نقول : وصفهم بنوع صلاح لا يرفع عنهم وصف الشرك . (وعرفت الشرك بالله) يعني بنوعيه الشرك الأكبر والشرك الأصغر حقيقته وحكمه وحال أهله ، الذي قال الله تعالى فيه محذرًا منه مبينًا حكمه (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ) ، (إِنَّ اللّهَ) هذه جملة مؤكدة (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ) المغفرة والغفران من الله وأن يصون العبد من أن يمسه العذاب ، (لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ) لا يغفر إشراكًا به ، إشراكًا به إشراكًا كما سبق معنا أنه نكرة في سياق النفي حينئذ هل يعمَّ أو لا ؟ قولان : هل يعم الشرك الأصغر أم أنه خاص بالشرك الأكبر ؟ قولان والظاهر أنه خاص بالشرك الأكبر ، لأن هذا هو الظاهر من نصوص الوحي وهو أنه إذا أطلق الشرك في القرآن انصرف إلى الشرك الأكبر ، ولذلك لما قال النبي ﷺ : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » . فسئل عنه ، سئل عنه ما هو ؟ يعني ما عرفوه ، إذًا إذا أطلق الشرك انصرف إلى الأكبر ، سئل عنه فقال : « الرياء » . هذا الأصل ولذلك يحتاج إلى قيد فيقاتل هذا شرك وهذا شرك أصغر ، إذًا نحتاج إلى قيد نقول : هذا فرع وحكمه يكون مخالفًا ، يكون مخالفًا لما سبق على التفصيل الذي ذكرناه في هذه الآية . إذًا (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ) يعني أن تصرف العبادة لغيره ، فحينئذ إذا وقع في هذا الشرك الذي حكم الله عليه بأن صاحبه لا يغفر له البتة ، فقال في شأنه : (إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ) كما أطلق انظر إطلاق هنا وإطلاق هناك (إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ) [المائدة : 72] أي شرك هذا ؟ هذا بالإجماع لا خلاف فيه ، ومع ذلك أطلقه ، ومع ذلك (إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ) نكرة في سياق الشرط فتعمّ ، وبالإجماع أنه لا يعم الشرك الأصغر ، أليس كذلك ؟ يعمّ أو لا يعمَ ؟ بالإجماع في هذه الآية لا يعم الشرك الأصغر وإنما هو خاص بالشرك الأكبر . إذًا (إذا عرفت ما قلت لك) من معنى الإلوهية ، وعرفت نقيض التوحيد ، وهو الشرك بالله عز وجل ، (وعرفت دين الله الذي بَعَثَ به الرسل من أولهم إلى آخرهم) وهذا قلنا : أعلى إجماع قطعي هو إجماع الرسل كلٍّ علي مسألة واحدة ، وهو أنهم إنما بُعِثُوا لتحقيق توحيد الرب جل وعلا ، وهو إفراده سبحانه بالتعبد .

إذًا دين الله الذي بعث به الرسل المراد به الدين الذي هو محل وفاق بينهم ، وهو تحقيق التوحيد (من أولهم) وهو نوح عليه السلام كما ذكرناه سابقًا (إلى آخرهم) وهو نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (الذي لا يقبل الله من أحد سواه) (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ) [آل عمران : 85] وهو عبادة الله وحده لا شريك له وهو الإخلاص له وحده دون ما سواه . (وعرفت) هذه معرفة ثالثة (عرفت ما قلت لك معرفة قلب) يعني توحيد الإلوهية ما هو ، (وعرفت الشرك) هذه معرفة ثانية ، (وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل) وهو التوحيد مضمون لا إله إلا الله وهي محل وفاق هذه معرفة ثالثة ، (وعرفت - هذه معرفة رابعة - ما أصبح غالب الناس عليه من الجهل) بهذا التوحيد وما يضاده وهو الشرك بالله ، فلما صار المتأخرون في بُعْدٍ عن الوحيين ومنهج الوحيين في تلقي العلوم قد غاب عنهم معنى التوحيد الصحيح الذي ذكرناه سابقًا ، ولذلك افترقت الطوائف في مفهوم التوحيد ، فيختلف توحيد الجهمية عن توحيد المعتزلة عن توحيد الأشاعرة عن توحيد الصوفية وغيرهم ، (عرفت ما أصبح غالب الناس عليه) يعني كثير من الناس لأن الأكثر دائمًا يكون في ضلال (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ) . إذًا الكثرة ليست محمودة . (إذا عرفت - هذه المقدمات الأربعة والمعارف الأربعة - أفادك فائدتين :

الأولى : الفرح بفضل الله ورحمته) . الفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة بفضل الله ورحمته كما قال الله تعالى (قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ) - وهو الإسلام - (وَبِرَحْمَتِهِ) - وهو القرآن - (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ) [يونس : 58] فليفرحوا فَرَح الشُّكْرِ لأن النعم إنما تقيد وتدوم بماذا ؟ بالشكر ، والكفر يزيل ويفقد النعم . إذًا الفرح بفضل الله ورحمته حيث مَنَّ عليك بمعرفة الحق من الباطل ، وهذه نعمة عظيمة ، فإن كان حُرِمَ منها كثير من الناس ، ولذلك ابن القيم رحمه الله تعالى يقول : # 52.32 أهل التوحيد هم خلاصة الوجود . أهل التوحيد الذين عرفوا التوحيد الصحيح توحيد الإلوهية أنه هو المطلوب منهم ، وإنما كُلِّفُوا بهذا الفهم الذي فهمه السلف أهل التوحيد هم خلاصة الوجود ، وهم صفوة الله في الأرض ، ولو كانوا مُخَلِّطِين يعني لو كانت عندهم معاصي وعندهم كبائر ما دام أنهم على التوحيد فهذه المعاصي وهذه الذنوب لا تخرجهم عن وصف التوحيد ، بل هم موحدون ، ومع ذلك هم خلاصة الوجود لأن الفاسق الملي هذا خير من المشركين الكفرة بأجمعهم ، لا إشكال في هذا ، أنٍ الفاسق الملي الموحد إذا وقع في معاصي ولو كثرت ولو عمّ فسقه وضرره نقول : هذا خير من أولئك المشركين . إذًا الفرح بفضل الله ورحمته - وقد ذكرنا تفسير ذلك في ما سبق عن الطبري وغيره - . (أفادك أيضًا الخوف العظيم) الخوف العظيم من ماذا ؟ من أن يزيغ قلبك فتقع فيما

وقع أولئك القوم ، وخاصة إذا رأيت المتأخرين المشركين وقد أُوتُوا علومًا كثيرة ، وكما يأتي أنهم أهل فصاحة وحجج ولهم كتب ومصنفات .. إلى آخره ، ومع ذلك وقعوا في الشرك حينئذ يَعْظُمُ الخوف ، ولذلك قال جل وعلا مخبرًا عن إبراهيم عليه السلام وهو إمام الموحدين (**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**) [إبراهيم : 35] يدعو الله عز وجل أن يجنبه الوقوع في الشرك (**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ**) [إبراهيم : 36] هذا تعليل يعني لماذا دعا بما ذكر . لأنه لما رأى كثيرًا من الناس قد ضلوا بعبادة هذه الأوثان خَشِيَ على نفسه وولده ، ولذلك قال النبي ﷺ : « **إن أخوف ما أخاف عليكم** » - وهو يخاطب الصحابة فمن بعدهم من باب أولى وأحرى - (**وأفادك أيضًا الخوف**) الخوف وهو الذعر وهو قلق واضطراب يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى ، (**فإنك**) هذا تعليل لما سبق (**إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يُخْرِجُهَا من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يُعْذَرُ بالجهل ، وقد يقولها وهو يَظُنُّ أنها تقربه إلى الله كما ظَنَّ الكفار خصوصًا إن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى عليه السلام مع صلاحه وعلمه أنهم أتوه** - يعني أتوا موسى - **قائلين (اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) [الأعراف : 138] حينئذ يَعْظُمُ خَوْفُكَ وحرصك على ما يُخَلِّصُكَ من هذا وأمثاله**) ، هذا تعليل للفائدة الثانية ، وهي الخوف العظيم من أن يزيغ قلبك ، حينئذ تحصل لك النكسة وهو الخروج من التوحيد والدخول في ملة المشركين . فإنك إذا عرفت كذلك معرفة قلب وبصيرة لأن العلم محله القلب ، هذا هو الأصل (**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ**) [ق : 37] فالإدراك إنما يكون محله القلب ، ثم يفيض على الجوارح . (**فإنك إذا عرفت أن الإنسان**) من حيث هو إنسان (**يكفر بكلمة يُخْرِجُهَا من لسانه**) يعني قد يقع الكفر بكلمة ، ولذلك نقول : الكفر هذا نقيض الإيمان . وإذا قلنا بالفرق بين الشرك والكفر حينئذ نقول : الشرك نقيض التوحيد . والكفر نقيض الإيمان . وإن قلنا بالترادف حينئذ كل من الشرك والكفر نقيض للإيمان والتوحيد ولا إشكال ، وكما ذكرنا سابقًا أن الصواب أن الكفر والشرك بمعنى واحد ، إلا إنه يغلب استعمال الشرك في صرف العبادة لغير الله ، والكفر فيما عدا ذلك ، ولذلك جاء إطلاق الشرك في مقام الكفر عند من فرق ، وجاء إطلاق الكفر في صرف العبادة لغير الله تعالى .

الكفر لغة الستر والتغطية ، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص ، والزراع كذلك وصف بالكفر لستره البذر في الأرض ، وفي الشرع الكفر ضد الإيمان ، والمراد بالضدية هنا النقيض ، [لأن الضد ضدان] [(24)] لأن الضدين لا يجتمعان وقد يرتفعان ، فإذا قلنا : الكفر ضد الإيمان ، حينئذ لا يجتمعان هذا واضح ، لكن هل يرتفعان ؟

لا يرتفعان . يعني هل يقال بأن هذا الإنسان ليس بكافر ولا مؤمن ، لا ، وجود أحدهم على وجه الكمال ينفي أو يلزم منه نفي الآخر ، والعكس بالعكس ، وأما أن يجتمعان معًا يكون مؤمنًا كافرًا هذا على التفصيل ، قد يكون لكن الكفر لا يكون كفرًا أكبر ، وأما ألا يكون مؤمنًا ولا كافرًا هذا لا وجود له .

إذًا مراده وهذه عبارة شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : الكفر ضد الإيمان . المراد بالضد هنا النقيض ، لأن النقيض مع النقيض لا يجتمعان ولا يرتفعان ، فلا يكون مؤمنًا كافرًا كفرًا أكبر في وقت واحد ، ولا يرتفع وصف الإيمان أصله ولا وصف الكفر من حيث الأصل ، حينئذ نقول : لا يجتمعان ولا يرتفعان . هذه حقيقة الإيمان مع الكفر من حيث التلازم والوجود ، يعني تلازم في الوجود والانتفاء ، فضد الإيمان إذًا هل هذا تعريف ؟ قل : نعم تعريف ، لأنه إذا كان نقيضه حينئذ معرفة النقيض إنما يُدْرَكُ بمعرفة نقيضه ، وما هو الإيمان ؟ الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو : اعتقاد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح والأركان . هذه ثلاثة أركان كل واحد منها ركن ، الكفر ضده نقيضه ، إذًا الكفر نقيض الاعتقاد الذي هو إيمان كفر اعتقادي ، ونقيض القول باللسان الذي هو إيمان كفر باللسان ، ونقيض العمل الذي هو الركن الثالث من الإيمان كفر العمل ، ولذلك كل جزء من هذه الأجزاء الثلاثة يقابلها نوع من أنواع الكفر ، أما الإيمان من حيث الوجود فلا يوجد الثاني والثالث إلا مع الأول ، ولا الثاني إلا مع الأول والثاني ، ولا الثالث إلا مع الأول والثاني ، يعني هذه متلازمة في الوجود اعتقاد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح والأركان ، هل يوجد اعتقاد دون قول باللسان ؟

الجواب : لا .

هل يوجد اعتقاد بالقلب ، وقول باللسان ، دون عمل بالجوارح ؟

لا يوجد .

---

(24) سبق .

هل يوجد عمل بالجوارح دون اعتقاد بالقلب أو قول باللسان ؟
لا .
إذًا متلازمة في الوجود ، فإذا انتفى واحد منها حينئذ نقول : انتفاؤه دليل على وجود نقيضه ، فإذا انتفى الاعتقاد الذي هو إيمان نقول : انتفاؤه لوجود نقيضه ، ما هو نقيضه الكفر الاعتقادي . وإذا انتفى القول باللسان لأنه أصل في إثبات الإيمان نقول لوجود نقيضه ، ما هو نقيضه كفر قولي ، والثالث كالأول والثاني ، يعني قد يكون الكفر - هذه خلاصة - كما أن الإيمان ثلاثة أنواع متلازمة نقول : كل واحد من هذه الأركان الثلاثة يقابلها نوع من أنواع الكفر ، وقد يكون الكفر اعتقاديًّا ولو لم يصاحبه قول باللسان ولا عمل بالأركان ، اعتقاد فقط ، وقد يكون الكفر قوليًّا ولو لم يكن معه اعتقاد أو عمل بالأركان ، وقد يكون الكفر ماذا ؟ عمليًّا ولو لم يكن معه اعتقاد ، أو قول باللسان ، واضحة هذه ؟ إذًا الكفر ضد الإيمان ، ما هو الإيمان اعتقاد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح والأركان ، كل واحد من هذه الأركان الثلاثة يقابلها نوع من أنواع الكفر ، ولذلك في باب حكم المرتد أو الكلام عن النواقض يذكرون أن النواقض إنما تكون اعتقادية وقولية وعملية ، ويزاد عليها الشك .
إذًا الكفر في الشرع ضد الإيمان ، والكفر نوعان :
كفر أصلي .
وكفر ليس أصليًّا .
كفر أصلي هو من نشأ على الكفر كاليهودي والنصراني والمجوسي ، يعني من نشأ كافرًا .
وأما غير الأصلي ، وهو الذي يعبر عنه بالمرتد ، وهو المسلم الذي كفر بعد إسلامه . هنا المصنف قال : (**إذا عرفت أن الإنسان يكفر**) ماذا يريد أي النوعين الكافر الأصلي أو المرتد ؟
الثاني المرتد وهو من كفر بعد إسلامه ، وهو مراد المصنف رحمه الله تعالى هنا . قال تعالى (**وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) [البقرة : 217] . قال : (**وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ**) يعني وهو الإسلام فبين حكمه في الدنيا والآخرة ، ولذلك قال النبي ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » . (**أن الإنسان يكفر بكلمة**) الباء هنا سببية أو للتصويب يعني بسبب كلمة يخرج من الملة بسبب كلمة قد قالها هذا كفر قولي ولو لم يصاحبه اعتقاد ، أليس كذلك ؟ لأنه قال : (**بكلمة**) والكلمة المراد بها هنا الجملة سواء كانت فعلية أو اسمية ، مثل الكلمة عند النحاة (**بكلمة يخرجها**) يعني يكفر بكلمة ، يعني بسبب كلمة (**يخرجها من لسان**) عَبَّرَ هنا بقوله : (**من لسانه**) للتأكيد على أن الاعتقاد لم يصاحبها ، بمعنى أن الكفر يكون قوليًّا فحسب ولو لم يكن معه اعتقاد القلب ، وهذا كما ذكرناه سابقًا أن الكفر ضد الإيمان ، بمعنى أنه يكون الكفر مقابلاً لكل نوع من الأنواع الثلاثة التي هي مسمى الإيمان ، اعتقاد بالقلب إذًا يقابله كفر الاعتقاد بمجرد الاعتقاد ، حينئذ من اعتقد الشرك ولو لم يتقرب إلى المعبودات بصرف نوع من أنواع العبادة ما حكمه ؟ ما حكمه ؟
مُشْرِكٌ . ردة عن الإسلام ، لماذا ؟
لأنه وُجِدَ ناقض اعتقاديّ ، ومعنى كونه الناقض اعتقاديًّا أنه لم يصاحبه قول ولا عمل ، هذا المراد به .
وقد يكون قوليًّا بمعنى أن الحكم مُنْصَبٌّ على القول ولو لم يصاحبه اعتقاد ، ولذلك قال تعالى هناك : (**وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ**) [التوبة : 74] ، (**قَالُواْ**) القول باللسان (**كَلِمَةَ الْكُفْرِ**) فكفروا ، إذًا بكلمة يُخرجها من لسانه لا من قلبه ، (**وقد يقولها وهو جاهل فلا يُعْذَرُ بالجهل**) قد يقول هذه الكلمة التي تعتبر كفرًا وردة عن الإسلام لا يُلْقِي لها بالاً وهو جاهل ، جَاهِلٌ بمضمونها أو بحكمها ؟ بمعناها أو بحكمها ؟
وهو جاهل ، هل يجهل معنى هذه الكلمة لو سبّ الله تعالى وأتى بلفظ هو سبّ ، لكن لا يدري أنه سبّ ، أو يدري أنه سبّ ولا يدري أنه كفر ؟
فرق بين النوعين أو لا ؟
فرق بين النوعين ، يعني تكلم بكلمة ولا يدري أنها سبّ هذا حينئذ نقول : لا يؤاخذ حتى يعلم . أما إذا علم أن سبّ وجهل ما حكمها أنها مكفرة حينئذ يبقى الحكم ، وهو الذي نص عليه (**فلا يعذر بالجهل**) يعني هل يعذر أو لا يعذر ؟

ظاهر كلام المصنف هنا رحمه الله تعالى أنه لا يعذر بالجهل ، وهذه المسألة طويلة الذيل ، وهو من وقع في الشرك أو الكفر وهو جاهل هل يُعذر أو لا يعذر ، وسبق معنا مرارًا أن الصواب في المسألة التفصيل بين المسائل التي تعتبر شركًا ومتعلقة بأصول الدين ، وهي المسائل التي يُعَبَّر عنها بأنها المسائل الظاهرة ، وبين ما يمكن أن يكون خَفِيًّا ، فالمسائل الظاهرة المتعلقة بالتوحيد مفهوم لا إله إلا الله وما يضادّ شروط لا إله إلا الله أو الأمور المعلومة من الدين بالضرورة فهذا لا يعذر فيه بجهل البتة ، فكل من وقع في الشرك فحينئذ نقول : قد وقع عليه الشرك ويحكم عليه بكونه مشركًا ولو كان جاهلاً ، وهذا يُنْظَرُ فيه إلى الحكم الدنيوي ، وأما الأمر الأخروي فهذا هو الذي قد يَنْصَبُّ عليه قول بعض المتأخرين بأنه لا يمكن أن يحاسب العبد إلا إذا بلغته الحجة الرسالية ، لقوله تعالى (**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**) [الإسراء : 15] حينئذ من بلغته الحجة الرسالية وهو بلوغ النبي ﷺ الكتاب والسنة حينئذ نقول : هذا البلوغ مسقط للعذر بالجهل ، وأما من لم تبلغه الحجة الرسالية حينئذ نقول : هذا فيه نظر من جهتين :

من جهة الأحكام الدنيوية .

ومن جهة الأحكام الأخروية . يعني الثواب والعقاب - كما سيأتي كلام ابن القيم .

أما في الدنيا فنحكم عليه بالشرك والكفر ونُنَزِّلُ عليه أحكام الكفار ، يعني لا يُصلى عليه ولا يُورث ولا .. إلى آخره ، وأما في الآخرة فنقول : هذا مرده إلى الله تعالى . وهذا يُضْرَبُ له مثل بأطفال الكفار ومجانين الكفار وأهل الفترة ومن مات ولم تبلغه دعوة الرسل ، حينئذ نقول - على هذا التفصيل - : ننظر إلى من أمكنه بلوغ الحجة الرسالية إليه أو لا ، فمن أمكن بلوغ الحجة الرسالية الكتاب والسنة إليه ولو لم يَسْعَ في تَعَلُّم ما جاءت به الرسل حينئذ إذا وقع في الكفر نوقع عليه حكم الكفر ، فنقول : هو كافر وهو مشرك كذلك ، ونُنَزِّلُ عليه الأحكام المتعلقة بالكفار وأهل الشرك ، وأما ما كان دون ذلك من المسائل التي قد يقع فيها نوع خفاء التي يُعَبَّرُ عنها بالمسائل الخفية فهذه قد يقال بأنه لا بد من إقامة الحجة أولاً ثم بعد ذلك ينصب عليه الحكم بالكفر .

هنا المصنف رحمه الله تعالى كثير من الشراح أَوَّلُوا العبارة لأنه لم يُرِدْ بقوله : (**فلا يعذر بالجهل**) لأنه يُعفى عنه مطلقًا العذر بالجهل ، لأنه في بعض المواضع ذكر أن المشرك إذا وقع في الشرك قد يُعْذَرُ بالجهل ، وثم تعبيران للمصنف رحمه الله تعالى في بعض المواضع أنه يُعذر ، وفي بعض المواضع أنه لا يُعذر ، وقد ذكر المحقق شيئًا من ذلك ، والصواب أن يقال : بأن المصنف قوله متحد ، وهو أنه لا يعذر بالجهل في أحكام الدنيا سواء بلغته الحجة الرسالية أو لا ، وأما في الآخرة في تَنْزِيلِ الثواب والعقاب فمن بلغته الحجة الرسالية لا يُعْذَر ، وأما من لم تبلغه هذا شأنه وأمره إلى الله تعالى ، هذا التفصيل هو الذي ينبغي أن يعتمد .

(**فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه**) ولذلك جاء في الحديث الصحيح « **أن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفًا** » . وجاء كذلك في الرجل الذي قال : « **والله لا يغفر الله لفلان فقال الله : من ذا الذي يتألى عليَّ ألا أغفر لفلان إني قد غفرت له وأحبطت عملك** » . ولذلك جاء كذلك في قصة أولئك النفر الذين كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك لما قالوا : ما رأينا مثل أصحابنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء ، نزل مباشرة قوله تعالى (**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**) [التوبة : 65 ، 66] قوله (**بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**) دل على أنهم كانوا مسلمين وليسوا منافقين كما قال بعض المفسرين ، بل هم مؤمنين بنص الكتاب (**قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**) كفروا بماذا ؟ بكلمة : ما رأينا مثل أصحابنا هؤلاء . يقصدون به النبي ﷺ هذا سبّ لله تعالى تنقص بالنبي ﷺ ، ولذلك بعضهم حمل قوله : (**بكلمة يخرجها من لسانه**) على أن المراد به السبّ سبّ الله تعالى أو سبّ الدين مثلاً ، وقيل : يحمل كلامه على من سبّ الله تعالى أو سبّ رسوله ﷺ فإن لا يعذر كما في قصة النفر الذين نزل فيهم قوله (**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ**) الآيات . أو يحمل على الذي فَرَّطَ وقَصَّرَ في التعلم ، يعني الجاهل الذي يعذر هو الذي لم يتمكن من العلم ، وأما الجاهل الذي أمكنه العلم وقَصَّرَ وفَرَّطَ قالوا : هذا لا يُعذر .

إذًا قول المصنف : (**وقد يقولها**) يعني تلك الكلمة المكفرة (**فلا يعذر بالجهل**) يعني ينزل عليه الحكم ولا يكون الجهل عذرًا له ، متى مطلقًا ؟

نقول : لا ، لا بد من التفصيل ، وهو أن تكون هذه من المسائل الظاهرة الواضحة البيِّنة فيحكم عليه بالكفر ولا يعذر بالجهل ، أو يكون جاهلاً ولكنه قد قَصَّرَ في التعلم ونحو ذلك .

والجهل الذي هو بمعنى عدم العلم هل هو عذر رافع للإثم أو لا ؟
هذا الذي ذكرنا أنه محل خلاف عند المتأخرين ، والحكم على صاحبه بما يقتضيه عمله ، قال القرافي في ((**الفروق**)) : القاعدة الشرعية دلت على أن كل جهل يمكن المكلف دفعه لا يكون حجة للجاهل . يعني الجاهل ، من هو الجاهل الذي قد يقال بأنه يعذر ؟
نقول : هو الذي لو بذل ما في وسعه لتعلم الدين فلم يتمكن ، هذا معذور أو لا ؟
معذور في الآخرة على القول بأنه المحل محل الثواب والعقاب ، وأما في الدنيا فلا ، ولذلك قال : القاعدة الشرعية دلت على أن كل جهل يمكن المكلف دفعه لا يكون حجة للجاهل ، فإن الله تعالى بعث رسله إلى خلقه برسائله ، وأوجب عليهم كافة أن يعلموها ، ثم يعملوا بها ، فالعلم والعمل بهما واجبان ، فمن ترك التعلم والعمل وبقي جاهلاً فقد عصى معصيتين بتركه واجبين . وهذا كلام حق وهو أن كل من أمكنه العلم فترك التعلم حينئذ لا يكون العذر مطلقًا في الأصول والفروع ، لا يكون حجة له البتة ، بل إمكان التعلم حجة عليه ، إمكان التعلم يعتبر حجة عليه .
وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : فكل من تمكن من معرفة ما أمر الله ونهى عنه فقَصَّرَ عنه ولم يعرفه فقد قامت عليه الحجة . وهذا المراد به ما يُعَبَّرُ عنه ببلوغ الحجة الرسالية ، يعني لا يشترط في بلوغ الحجة أن يَعْرِفَ الآيات وأن يعرف النصوص من السنة تتلى عليه ويعرف معناها ، نقول : لا ، متى ما بلغه أن الله تعالى بَعَثَ محمدًا ﷺ بكتاب وسنة ، ثم لم يبذل الوسع في تعلم هذين الأمرين حينئذ نقول : هذا قد قامت عليه الحجة . فكل من تمكن من معرفة ما أمر الله ونهى عنه فقَصَرَ عنه أو قَصَّرَ عنه ولم يعرفه فقد قامت عليه الحجة ، يعني ثبتت عليه مقتضاها .
والقول بالعذر بالجهل لا ينفي عنهم الوصف بالكفر لمن أظهره ، يعني إذا قيل بأنه يعذر أو لا يعذر ، قلنا : في المسائل الظاهرة لا عذر ، حتى لو قيل بالعذر بالجهل في حقه نقول : هذا لا يمنع أن يوصف بكونه مشركًا وكافرًا ، لماذا ؟
لأن الحكم مُنْصَبٌ على الأمر الدنيوي ، وأما الأمر الأخروي فهذا شأنه وأمره ومرده إلى الله تعالى . ولذلك يقول ابن القيم في ((**طريق الهجرتين**)) : الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دَانَ بدين غير الإسلام فهو كافر . وأن الله لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول . - هذا في الجملة - والتعيين موكول إلى علم الله وحكمه - هذا في أحكام الثواب والعقاب - . نقول : بلغته الحجة أو لا ، وأما في أحكام الدنيا فلا فرق بين المسألتين ، فنُنَزِّلُ عليه أحكام الكفار مطلقًا ، كل من تَلَبَّسَ بالشرك فهو مشرك ، كلّ من وقع في الشرك فهو مشرك سواء كان عالِمًا أم جاهلاً ، وأما كونه جاهلاً هل يعذر في الآخرة عند الله تعالى أو لا ؟ هذا محل النظر . هذا في أحكام الثواب والعقاب ، وأما في أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر ، فأطفال الكفار ومجانينهم في أحكام الدنيا حكم أوليائهم ، لأن المرد إليهم . وقال الصنعاني في ((**تطهير الاعتقاد**)) : ((**فإن قلت هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه - لما بليت الأمة في الآونة الأخيرة بالرجوع إلى الشرك والطواف حول الأضرحة والذبح والنذر والاستغاثة**)) . وهذا موجود إلى يومنا هذا هل هؤلاء مشركون أم لا ؟
نقول : مشركون لا شك ، سواء بلغتهم الدعوة أم لا ، ولا نقول : هم جاهلون ، وجهلهم عُذر في رفع الشرك عنهم ، لا ، نقول : هم مشركون ، وهم كفار ، ولذلك قال الصنعاني هنا : فإن قلتَ هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه ، قلتُ : قد خَرَّجَ الفقهاء في كتب الفقه في باب الردة : أن من تكلم بكلمة الكفر يكفر وإن لم يقصد معناها . وهذا دال على أنهم لا يعرفون حقيقة الإسلام ولا ماهية التوحيد ، فصاروا بذلك حينئذ كفارًا كفرًا أصليًّا . وهذا يدل على ما ذكرناه من أن كل من وقع في الشرك فهو مشرك بقطع النظر عن كونه عالِمًا أو جاهلاً ، وإنما إذا قيل بأنه لم يبلغه شيء من نصوص الوحيين ، حينئذ نقول : هو في الدنيا مشرك ، وأما في الآخرة فمرده إلى الله تعالى .
إذًا قوله : (**فلا يعذر بالجهل**) . العذر هو تَحَرِّي الإنسان عمَّا يمحو به ذنوبه ، وبالجهل كما سبق معنا مرارًا هو عدم المعرفة ، حينئذ لا يمنع من تكفيره كونه جاهلاً ، هذا مراد المصنف رحمه الله تعالى ، قد يقول كلمة الكفر وهو جاهل ومع جهله نحكم عليه بكونه كافرًا مرتدًا عن الإسلام على التفصيل الذي ذكرناه ، (**وقد يقولها**) يعني يقول هذه الكلمة (**وهو يظن أنها تقربه إلى الله**) يعني يظُنُّ أنها قربة وطاعة كما قال تعالى عن شأن الكافرين (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) يعني يذبحون للأصنام ويعتقدون أنها قربة ويستغيثون بالأولياء ويعتقدون أنها قربة ، إذًا فرق بين الطرفين من يعتقد أن هذه الكلمة كفر وبين أن يعتقد أنها طاعة وهي في نفسها كفر . إذًا تسميتها طاعة وقربة هل يخرجها عن أصلها ؟

الجواب : لا ، وإلا هم المشركون الأولون يعتقدون أن ما يفعلونه من النذور والذبائح والاستغاثة يعتقدون أنها طاعات ، ومع ذلك نقول : تبديل الأسماء وتغيير الأسماء لا يبدل الحقائق ، فالعبرة بحقيقة الشيء ، إذًا إذا ظن أن هذه الكلمة التي كفر بسببها ظن أنها تقربه إلى الله تعالى نقول : هذا لا يرفع عنه وصف الكفر والشرك ، (**كما ظن الكفار**) يعني السابقين الذين حكينا عنهم قوله جل وعلا ، وفي بعض النسخ (**كما ظن المشركون**) (**خصوصًا**) هذا مفعول مطلق يعني إذا عرفت ما سبق أن الإنسان يكفر بكلمة .. إلى آخره (**خصوصًا إن ألهمك**) - خصوصًا هذه مفعول مطلق – (**إن ألهمك الله**) ، كلها الضمائر كلها عائدة بمفرد إن ألهمه ، وفي التحقيق وفي س و ع و ه و م و ص و ط و ق يعني سبع نسخ كلها بكاف الخطاب ، وثلاث بالهاء ، والمعنى يستقيم بماذا بالكاف أو بالهاء ؟ ألهمك أو ألهمه ؟

ألهمكَ أنتَ المخاطب ، هذا أولى (**خصوصًا إن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى**) . (**ألهمك**) الإلهام إلقاء الشيء في الروع ويختص ذلك بما كان من جهة الله تعالى وجهة الملأ الأعلى ، ولذلك كما قال سبحانه (**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**) [الشمس : 8] . (**إن ألهمك الله ما قص**) ما قصه (**عن قوم موسى**) وهم بنو إسرائيل عليه السلام (**مع صلاحهم وعلمهم**) يعني هم آمنوا وخرجوا مع موسى فرارًا بدينهم من فرعون وملأه ، إذًا عندهم إيمان وعندهم صلاح هجرتهم هذه صلاح وتكفي (**مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين (اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**)) . (**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً**) انظر الجهل بالشرك وحقيقة الشرك قد يوقع الإنسان في الشرك من حيث لا يشعر ، هم فروا من دين فرعون ولم يكن في دين فرعون الأصنام وعبادة الأصنام ، فلما رأوا هؤلاء يعكفون على أصنام لهم استحسنوا هذا الأمر ، فلما لم يعرفوه سابقًا من دين فرعون حينئذ أرادوا أن يجعل موسى عليه السلام لهم مثل هذه الأصنام ، وهذا كله من باب الاستحسان ! قالوا : (**يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**) [الأعراف : 138 ، 139] . قال ابن كثير رحمه الله تعالى : يخبر تعالى عما قاله جهلة بني إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاوزوا البحر وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا ، فأتوا - أي فمروا - على قوم يعكفون على أصنام لهم قال بعض المفسرين : كانوا من الكنعانيين ، وقيل كانوا من لخم . قال ابن جرير : وكانوا يعبدون أصنامًا على صور البقر . فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك ، لماذا اتخذوا العجل ؟ لأنهم رأوه لما مروا مع موسى . فـ (**قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**) أي تجهلون عظمة الله وجلاله وما يجب أن يُنَزَّهَ من الشريك والمثيل (**إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ**) أي هالك وباطل ما كانوا يعملون ، وكذلك ذكر حديث أبي واقد الليثي لما الصحابة مروا على سدرة ذات أنواط قالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط قال : « **الله أكبر إنها السُّنَن** » .. الحديث . إذًا (**مع صلاحهم وعلمهم**) قد خفي عليهم بعض أفراد الشرك) وهم من أصحاب موسى وأصحاب محمد ﷺ بعضهم ليسوا في كلهم ، قد خفي عليهم بعض أنواع الشرك ، إذًا من بعدهم من باب أولى وأحرى (**أنهم أتوه قائلين اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فحينئذ يعظم خوفك**) حينئذ عرفت ما سبق من هذه القصة (**يعظم خوفك**) من الوقوع في الشرك ، و(**حرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله**) يعني من الشرك الأكبر وأمثاله مما يكون طريقًا موصلاً إليه . إذًا هذه القصة تفيد أن الموحد قد يخفى عليه بعض أفراد التوحيد أو بعض أفراد الشرك فيترك بعض تلك الأفراد من التوحيد ويقع في أفراد من الشرك وهذا يفيده الخوف من الوقوع فيه ، لذلك قال : (**فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله**) .

إذًا في هذه الجملة أراد المصنف أن يبين علة الخوف من الشرك ، لذلك قال : (**أفادك أيضًا الخوف العظيم**) لأن الإنسان قد يقع في كفر من حيث لا يشعر ولا يشترط في الكفر قصد الكفر بل قد يقع في الكفر وهو لا يشعر ، وإذا كان الأمر كذلك بأنه يكفر بكلمة واحدة ، فضلاً عن أن يعمل ، فضلاً عن أن يذبح أو يستغيث أو نحو ذلك ، كلمة واحدة تخرجه من ملة الإسلام حينئذ يعظم خوفه .

ونقف على هذا ، والله أعلم .

وصلَّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

الدرس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

كان الدرس السابق شبه مراجعة لكل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ، ويعتبر ملخص لجميع الدروس الماضية .

تبقى مسألة التي ذكرها المصنف هنا وهي : ما يتعلق بالعذر بالجهل أو لا ، وهذه مسألة مستقلة لما ذكرناها تبعًا أو استطرادًا وإلا لها تفصيل ذاتي في وقتها في المستقبل بإذن الله تعالى .

لكن الخلاصة ما ذكرناه فيما سبق أن المسائل التي يتعلق بها الدخول في الدين كمعرفة لا إله إلا الله شروطها وما يضاد التوحيد ، هذه لا يُعْذَرُ أحد بالجهل البتة ، فكل من وقع في الشرك الأكبر فهو مشرك كافر مرتد على الإسلام ، سواء كان عالمًا أو جاهلاً ، وأما المسائل الأخرى حينئذٍ ينظر فيها فما كان متواترًا أو ما يطلق عليه من أنه من المعلوم من الدين بالضرورة فهذا كذلك ، وأما المسائل التي يكون فيها نوع الخفاء حينئذٍ ينظر في حال قائل الكلمة أو فاعل الفعل .

وأما الجهل فهو نوعان :

جهل قد يعذر صاحبه بالجهل وهو فيما إذا لو أراد العلم لم يتمكن ، وهذا هو الذي يقع فيه النزاع .

وأما من تمكن من العلم فترك هذا لا يسمى جاهلاً ، وإنما يسمى معرضًا ، فكل ما وقع سواء كان في المسائل المتعلقة بالدين التي هي أصول الدين الإيمان والتوحيد والوقوع في الشرك ونحو ذلك ، فهذه إن أمكنه العلم فترك هذا لا يسمى جاهلاً وإنما يسمى إعراضًا ، هذا لا يعذر البتة . قد نقل ابن القيم رحمه الله تعالى الإجماع على ذلك ، ولذلك مسألة الخلاف في أهل الفترة هل يعذرون أو لا يعذرون ؟

إنما هي في الآخرة ، وأما في الدنيا فمن وقع في الشرك فهو حكمه حكم المشركين .

إذًا قوله : (**فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها**) . (**بكلمة**) إذًا قد يكون الكفر قوليًّا ولو لم يصاحبه اعتقاد ، يعني : لا يشترط في كون القول مكفرًا أن يكون ثَمَّ اعتقاد معه ، ولا يشترط في الفعل في كونه مكفرًا أن يشترط الاعتقاد معه ، إنما هذا قول المرجئة ، وأما قول أهل السنة والجماعة فالكفر مقابل أو ضد للإيمان ، الإيمان قول واعتقاد ، وقول وعمل فكذلك الكفر يكون اعتقاد ويكون قولاً ويكون عملاً ، ومرادهم بكون الكفر يكون قولاً يعني : لا يشترط فيه الاعتقاد ، إذ لو كان كذلك لما تنوع الكفر ، لَجُعِلَ قسمًا واحدًا (**وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل**) يعني : قد يقول تلك الكلمة وهو جاهل ، ومراده هنا بالكلمة التي لا يعذر أحد بجهلها في القسم الذي ذكرناه سابقًا ، وهو أن يكون مما يناقض التوحيد ، ولذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لما ذكر النواقض العشرة قال : هذه يستوي فيها العالم والجاهل . وهذا محل وفاق بين أهل السنة والجماعة (**وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله كما ظَنَّ الكفار خصوصًا إن ألهمه الله ما قص**)... إلى آخر ما ذكره . إذًا الكلمة التي تخرج من فم الإنسان قد تكون مكفرة وقد لا تكون كذلك ، ولكلٍّ شرطه ، وهذا قد يأتي مفصلاً معنا في الدروس القادمة أو فيما يأتي من كتب أخرى .

وقفنا عند قوله : (**وأعلم أنه سبحانه من حكمته لم يبعث نبيًا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ) [الأنعام : 112])** . أراد في هذه القطعة أن يبين أن أصحاب الحق وأن أهل التوحيد إنما جعل الله عز وجل - وهذه من حكمته للابتلاء -جعل لكل من الأنبياء والرسل ومن كان وارثًا للأنبياء والرسل في دعوتهم وما وَرَّثُوه ، وقد جعل الله عز وجل لهم أعداءً ، وهذه سنته في خلقه ، صراع بين الحق والباطل ، سنة قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

(**وأعلم**) علمًا جازمًا (**أن الله سبحانه من حكمته**) مِنْ بيانية أو تبعيضية ، ومعنى الحكمة - عند أهل السنة والجماعة - صفة لله عز وجل هي وضع الأشياء في مواضعها الموافقة للغايات المحمودة منها ، إذا وضع الشيء في موضعه الموافق للغاية التي تترتب عليه يسمى حكمةً ، فمن حكمته جل وعلا أنه لم يبعث نبيًّا ولا رسولاً وكذلك الحكم ليس خاصًا بالأنبياء والرسل وإنما كما هو في النص النبوي : « **العلماء ورثة الأنبياء** » . حينئذٍ كل من ورث الأنبياء في دعوة التوحيد على جهة الخصوص فلا بد وأن يكون ثَمَّ من يعاديهم ويقف في وجوههم (**لم يبعث نبيًا ولا رسولاً بهذا التوحيد**) ، (**بهذا التوحيد**) ما هو المشار إليه ؟ توحيد الألوهية ؛ لأنه هو الذي وقعت فيه

الخصومة بين الرسلِ وأقوامهم ، وليس التوحيد الذي وقع فيه الخصومة هو توحيد الربوبية ، وقد سبق بيان أن حال المشركين الذي بُعِثَ فيهم النبي ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية في الجملة ، وذكرنا بعض الأفراد أو المسائل المتعلقة بهذا في أول الكتاب .

إذًا قوله : (**بهذا التوحيد**) . (**بهذا**) جار ومجرور متعلق بقوله : (**يبعث**) ، (**لم يبعث**) أن الله عز وجل نبيًّا كذلك ولا رسولاً (**بهذا التوحيد**) الذي هو : توحيد الألوهية . (**إلا**) إلا للإثبات هنا لِمَا بعدها ، (**إلا جعل له**) ، (**له**) أي : لذلك النبي . (**أعداء**) (**جعل له**) الجعل هنا قدري كوني كما في قوله تعالى : (و**جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**) [الحجرات : 13] . الجعل كالإرادة قد تكون كونية الإرادة وقد تكون شرعية ، كذلك الجعل قد يكون قدريًّا كونيًّا وقد يكون شرعيًّا ، وهذا الْجَعْلُ هنا المراد به الجعل القدري الكوني لأن الله تعالى لا يحبه ولا يرضاه أن يُعَادَى الرسل والأنبياء . إذًا (**إلا جعل**) نقول : المراد بالجعل هنا الجعل القدري الكوني كما في قوله : (**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**) . قال سبحانه : (**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا**) [الفرقان : 47] . هذا الجعل قدري كوني ، حينئذٍ لا يلزم محبته له جل وعلا لكنه مرتبط بالمشيئة ، وقد يكون الجعل شرعيًّا حينئذٍ تلزم محبته له جل وعلا ، فمما يحبه الله جل وعلا كما قال سبحانه : (**جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ**) [المائدة : 97] . نقول : الجعل هنا شرعي وهو محبوب ومَرْضِيٌّ له جل وعلا . (**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**) [الزخرف : 28] نقول : الجعل هنا جعل شرعي وهو محبوب ومرضي لله عز وجل . إذًا (**إلا جعل**) نقول : الجعل نوعان ، والمراد بالجعل هنا الجعل الكوني القدري وهو مرادف للمشيئة ، ولا يكون محبوبًا له جل وعلا يعني : لا يلزم محبته . قد يكون كوني محبوبًا وقد لا يكون ، وأما الشرعي فلا يكون إلا محبوبًا ، (**إلا جعل**) يعني : لذلك النبي . (**أعداء**) جمع عدو ، [وهو ما يسره ما يسره لا يسوؤه#8.38] يعني : الذي يسره ما يسوئه . ويسوئه ما يسرك ، إن سرَّك شيء أساءه ، وإن أساء إليك شيء سرَّه ، فهو على عكس مما تريده من نفسك (**إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بها**) [آل عمران : 120] هذا شأن الأعداء . إذًا (**أعداء**) المراد به هنا جمع عدو وهو ما ذكرناه سابقًا (**إلا جعل له أعداءً**) في كل زمان ومكان (**كما قال تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ والجن) [الأنعام : 112]**) قبل الاستدلال والنظر في الآية نقول : هذا الحكم عام في كلِّ نبيّ ورسول لأنه قال : (**لم يبعث نبيًا**) . نبي هذا نكرة في سياق النفي حينئذٍ يعمّ ، وكذلك من كان وارثًا للأنبياء حينئذٍ لا يسلمون من الأعداء وهذا كما ذكرنا عام في كل زمان ومكان . والحكمة في جعل الأعداء للرسل والأنبياء والعلماء ليحصل الابتلاء والتمحيص ، وليظهر نوره وترسخ قدمه . قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : " من أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين وبيان حقيقة أنباء المرسلين ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين " . يعني : لا يتمكن الدين ويظهر نوره وترسخ قدمه إلا إذا وُجِدَ الأعداء ووجد المعارضون ، من أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين وبيان حقيقة أنباء المرسلين ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين ، وذلك أن الحق إذا جُحِدَ وعورض بشبهات أقام الله تعالى له ما يُحِقُّ به الحق ويُبْطِلُ به الباطل ، لأن الباطل لا بد ممن يقيمه ، لا بد ممن يدعو إليه ، وكذلك الحق لا بد ممن يقيمه وممن يدعو إليه ، فإذا وقع الباطل وحصل ووُجِدَ أدعياؤه وأولياؤه وكذلك الحق وُجِدَ وحصل ووجد أهله وأصحابه حينئذٍ لا بد من وقوع المعركة بين الحق والباطل ، أقام الله تعالى له ما يحق به الحق ويبطل به الباطل من الآيات البينات لما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة . إذًا الحكمة من وجود هؤلاء الأعداء - وهذا كما ذكرناه جَعْلٌ قدري يكون في كل زمان ومكان ، الجملة التي نعبر بها هي : حصول الابتلاء والتمحيص . لأنه لا بد من الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ولا بد من وجود حزبين حزب الله تعالى وحزب الشيطان ، ولذلك ظهر أو ذكر ابن السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره في قوله تعالى : (**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ**) [الأنبياء : 18] . قال رحمه الله : " يُخبر تعالى أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل " . تكفل سبحانه وتعالى بإحقاق الحق وإبطال الباطل ، هذه الجمل وهذه التعبيرات من أهل العلم والنصوص من الوحيين تجعل المؤمن في راحة واطمئنان ولا ينزعج إذا وجد صولة وجولة لأهل الباطل ، وإنما النصر إنما يكون لأهل التوحيد وأهل الحق . يخبر تعالى أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل ، وإن كان باطل يعني : وُجِدَ باطل . وإن كان باطل قُبِلَ وجُودِلَ به فإن الله ينزل من الحق والعلم والبيان ما يدفعه فيضمحل ، يذهب يزول ، ويتبين لكل أحد بطلانه ، هذه سنة إلهية الله ، عز وجل تكفل بحفظ الدين ، فما من باطل إلا ويجعل الله عز

وجل من الحق وأهل الحق ما يدحض ذلك الباطل ، (**فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**) فإذا فجائية (**فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**) أي : مضمحل . فإن هذا عام يعني : إحقاق الحق وزهوق الباطل عام في جميع المسائل الدينية ، لا يورد مبطل شبهة عقلية ولا نقلية في إحقاق باطل أو رد حق إلا وفي أدلة الله من القواطع العقلية والنقلية ما يُذْهِبُ ذلك القول الباطل ويَقْمَعُ ، فإذا هو متبين بطلانه لكل أحد ، وهذا يتبين باستقراء المسائل مسألة مَسألة ، فإنك تجدها كذلك . إذًا الحكم عام سواء كان في البدع المتعلقة بالتوحيد أو بالبدع المتعلقة بالفروع فالله عز وجل ما من باطل يقيمه أصحابه إلا وجعل في الكتاب والسنة وأهل الحق المتمسكين بالكتاب والسنة من يقمع تلك البدعة في كل زمان ومكان .

إذًا الحاصل نقول : الله عز وجل (**لم يبعث نبيًا بهذا التوحيد إلا وجعل له أعداء**) قلنا : هذا عام في كل زمان ومكان ، والحكمة من ذلك هو حصول الابتلاء والتمحيص . (**كما قال تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً) [الأنعام : 112]**) . قال ابن كثير رحمه الله : يقول تعالى وكما جعلنا لك يا محمد أعداءً يخالفونك ويعادونك ويعاندونك - هذه وظيفة الأعداء - لا يقبلون الحق وإنما العناد شأنهم والمخالفة والمعاداة ((**جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ**)) من قبلك أيضًا أعداءً حينئذٍ فيه تسلية للنبي ﷺ لأن هذه المعاداة لا تحزنه ، وإنما شأن الأنبياء من قبلك كذلك ((**جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ**)) من قبلك أيضًا أعداءً فلا يحزنك ذلك كما قال تعالى : (**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا**) [الأنعام : 34] . وقال تعالى : (**مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ**) [فصلت : 43] . وقال تعالى : (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ**) [الفرقان : 31] . هذا أمر أو أصل من الأصول التي مهد بها المصنف رحمه الله تعالى أن تلك الشبه التي تُورَدُ على أهل التوحيد ليست دليلاً على ضعف معتقدهم أو أن دينهم يمكن أن يُدْخَلَ عليه الخلل ، لا ، وإنما هي سنة إلهية . وقال ورقة بن نوفل - قال ابن كثير و القول له - : وقال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ : " إنه لم يأت أحدٌ بمثل ما جئت به إلا عُودي " . وهذا كما ذكرناه موجود في كتاب الله بل هو أمر محكم متفق عليه ولا خلاف فيه بين أهل العلم . وقوله تعالى : ((**شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ**)) . بدل من قوله : ((**عَدُوّاً شَيَاطِينَ**)) . شياطين بالنصب بدل من عدو ، أي : لهم أعداء من شياطين الإنس والجن ، والشيطان كل من خرج عن نظيره بالشر ، ولا يُعَادِي الرسل إلا شياطين من هؤلاء وهؤلاء يعني : من شياطين الإنس والجن قبحهم الله ولعنهم .

وعن قتادة رحمه الله تعالى في قوله : (**شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ**) . قال : " من الجن شياطين . كأنه لم يجعله مرادفًا له من الجن شياطين ومن الإنس شياطين (**يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**) وقوله : (**يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً**) . أي : يُلْقِي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف . وسيأتي المصنف هنا رحمه الله تعالى ينص على أن من صفة هؤلاء الأعداء أو منهم من هو أهل فصاحة وحجج وعلم - كما سيأتي - يُلْقِي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف وهو المذوق الذي يَغْتَرُّ سامعُه من الجهلةِ بأمره ، يعني : من سَمِعَهُ « إن من البيان لسحرًا » . يعني : إذا سمعه وما قد يكون حلاه بكلمات وزخرفه بمنطقه ونحو ذلك الجاهل يظن أنه حق لذلك الأمر ، (**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ**) أي : وذلك كله بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيئته أن يكون لكل نبي عدوًا من هؤلاء الإنس والجن ، (**فَذَرْهُمْ**) أي : فدعهم . (**فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**) أي : يَكْذِبُون . أي دع أذاهم وتوكل على الله في عداوتهم فإن الله كافيك وناصرك عليهم .

إذًا استدل المصنف هنا رحمه الله تعالى بآية واحدة من عشرات الآيات التي تدل على أن الأنبياء قد جعل الله عز وجل لهم أعداءً من البشر من الإنس وكذلك من الجن ، والحكمة من ذلك كما ذكرناه هي الابتلاء والتمحيص ، وليكون ثَمَّ حزبَيْن : حزب الله جل وعلا وهم أهل توحيده ، وحزب الشيطان وهم أولياء الشيطان وناصروه .

(**وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وحجج**) هذا بيان عرفنا كأنه قَعَّدَ لك أو أَصَّلَ لك أصلاً عام وهو : وجود الأعداء . ثم هؤلاء الأعداء هل هم عوام مقلِّدُون فقط أم بعضهم علماء لأن الذي يورد الشبه ويجادل ويدافع ويؤلف ويكتب ويحَذِّر إنما الأصل فيه إنما يكون من أهل العلم ، حينئذٍ كونه من أهل العلم لا يلزم منه أن يكون مُحِقًّا ، قد يكون من أهل العلم ويكون مشركًا ، قد يكون من أهل العلم ويكون مبتدعًا ، قد يكون من أهل العلم ويكون في ضلال مبين ، إذًا قد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وحجج ، قد يكون ، وقد لا يكون ، حينئذٍ الأعداء قسمان : رؤساء ، وأتباع .

رؤساء وهم : العلماء الذين يؤصلون الشبه ويردونها على أهل الحق .
وأتباع : وهم المقلدون ، أتباع كل زاعق وناعق الذين يأخذون هذه الشبه ويروجونها بين الناس . نقول : هؤلاء كذلك ويكونون أعداء ، فالحكم عام فليست العداوة للتوحيد أو للرسل والأنبياء والتوحيد وأهل التوحيد ليست خاصة بأهل العلم وإنما هي عامة في كل من أتى بقول مخالف سواء كان مُؤَصِّلاً لهذا القول أو ناشرًا له يعتبر عدوًا للأنبياء ،إذًا أعداء التوحيد نوعان :
نوع مقلد فليست عنده حجج ولا بينة ، وهذا شأن العوام ، وهم أعداء يُسَمَّوْنَ أعداء .
والنوع الثاني : نوع على علم وحُجَج .
وقد أشار الشيخ هنا رحمه الله تعالى إلى هذا لبيان أنه ينبغي للموحد أن يعلم أن لهؤلاء علومًا وحججًا قد تروج على العامي ومن غلبه الجهل ، ولذلك لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمين معلمًا قال : « **إنك تأتي قومًا أهل كتاب** » . بين له ابتداءً حال المدعو أنك تدعو أهل كتاب ، قال القرطبي رحمه الله تعالى : وإنما نبهه على هذا ليتهيأ لمناظرتهم ويُعِدُّ الأدلة لامتحانهم ، لأنهم أهل علم سابق بخلاف المشركين وعبدة الأوثان ، إذًا بَيَّنَ له النبي ﷺ أول الأمر « **إنك تأتي قومًا أهل كتاب** » . لِيُعِدّ الأدلة ولِيُزَوِّرَ ما قد يكون من شبهٍ لهم في نفسه ويُعِدُّ الجواب لذلك . إذًا نقول : أهل الكتاب أهل علم وحجج . حينئذٍ نحتاج إلى ردِّها ، إذًا (**وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة**) ليست علوم فحسب (**وحجج**) وليس المراد هو علوم علوم التوراة الإنجيل ، لا ، مراده علوم التي تتعلق بالوحيين يعني : قد يكون مُفَسِّرًا وكبيرًا في علم التفسير ، وقد يكون محدثًا وكبيرًا في علم الحديث ، وقد يكون لغويًّا أو أصوليًّا وكبيرًا في هذا العلم ، هو يتحدث عمن يناوئ دعوة التوحيد ، وهو إنما دعا بين أظهر المسلمين في الأصل ، فحينئذٍ العلوم الموجودة بينهم ليست هي علوم التوراة والإنجيل ، وإنما هي العلوم المتعلقة بالوحيين ، إذًا كونه مفسرًا كونه محدثًا كونه فقهيًا كونه لغويًّا نقول : هذا لا يمنع من أن يكون مُشْرِكًا ، ولا يمنع من أن يكون مُبْتَدِعًا ضَالاً مُضِلاً ، لا يمنع أن يُتَكَلَّمَ فيه بالحق (**علوم كثيرة وحجج**) عند صاحبها ، إذا تكلم - كما ذكرناه سابقًا - كل من تكلم بباطل وخاصة من أهل هذه الملة إنما يستند فيما يتمسك به ظاهرًا إما إلى كتاب وإما إلى سنة ، ولذلك الشبه التي يُوْرِدُها أهل البدعة قديمًا وحديثًا لا تُورَد هكذا مستقلة رأي مستقل ، وإنما لا بد أن تصدق إما بآية وإما بنص نبويّ دون نظر في صحة هذا النص ، أو بقول لعالم حينئذٍ نقول : هذا كله لا يكفي . (**وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وحجج**) جمع حجة المراد بها البراهين يعني : ما يقيمه برهانًا لقوله : سواء كان شِرْكًا أو كان دون ذلك (**كما قال تعالى : (فَلَمَّا جَاءتْهُمْ)**) يعني : الكفار (**(فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ) [غافر : 83]**) (**(فَلَمَّا جَاءتْهُمْ)**) الكفار (**(رُسُلُهُم)**) جمع رسول مراده (**(بِالْبَيِّنَاتِ)**) أي : بالحقائق البَيِّنَة (**(فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ)**) قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر وماذا حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وما أثروه من الأرض وجمعوه من الأموال ، فما أغنى عنهم ذلك شيئًا ، ولا رد عنهم ذَرَّةً من بأس الله ، وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات والحجج القاطعات والبراهين الدامغات لم يلتفتوا إليهم ، ولا أقبلوا عليهم واستغنوا بما عندهم من العلم الذي في زعمهم ، زعموا أنهم على عِلْم واغتروا بذلك ، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل . قال مجاهد : قالوا : نحن أعلم منهم لم نُبْعَثْ ولن نعذب . [وقال السدي] [25] يعني هذا هو العلم لم نبعث ولن نعذب ، وقال السُّدِّيّ : (**(فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ)**) بجهالتهم فأتاهم من بأس الله تعالى ما لا قِبَلَ لهم به . (**(وَحَاقَ بِهِم)**) أي : أحاط بهم . (**(مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون)**) أي : يكذبون ويستبعدون وقوعه . إذًا (**(فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ)**) فأثبت الله عز وجل أن عندهم علم ، وهذا العلم قد توارثوه عن آبائهم وأجدادهم ولكنه ليس بعلم نافع لأنهم قد عارضوا به ما جاءت به الرسل .
إذًا مراده بهذه القطعة السابقة تأصيل أصل أصيل وهو أن من تكلم بالتوحيد ولا بد من معارض ولا بد من أعداء يقعدون لهم في طريقه وقد يكون هؤلاء القاعدون أصحاب علم وحجج .
(**إذا عرفت ذلك**) ما هو ذلك ؟ المشار إليه أن أعداء الرسل قد يكون لهم علوم وكتب وحجج أليس كذلك ؟ (**إذا عرفت ذلك وعرفت**) عطف معرفة على معرفة ، المعرفة السابقة متعلقة بالنبي وأتباعه ، النبي ﷺ وأتباعه (

(25) عدل الشيخ عن ذكر القول ليؤكد الكلام السابق ثم ذكر قوله .

وعرفت أن الطريق إلى الله) هذه معرفة خاصة متعلقة بالطريق والسبيل إلى الله (**إذا عرفت ذلك**) من أن أعداء الرسل قد يكون لهم علوم وكتب وحجج (**وعرفت**) معرفةً متعلقة بالطريق وهي : أن الطريق والسبيل إلى الله تعالى وهو : التوحيد . لا طريق إلى الله جل وعلا إلا ما نصبه الله سبحانه وجعله طريقًا إليه وهو : التوحيد . (**لا بد له من أعداء قاعدين عليه**) ، (**لا بد**) لا فرار ولا محيص ولا فكاك ، إذًا شيء لازم لا ينفك ، ولذلك قلنا : هو جَعْلٌ قدري يكون في كل زمان ومكان . (**لا بد له**) لا فراق له (**من أعداء قاعدين عليه**) عليه استعلاء هنا يعني : تمكنوا من هذا الطريق وقعدوا لأهل التوحيد (**من أعداء قاعدين**) سيأتيك كلام ابن القيم رحمه الله تعالى أن القعود فيه معنى اللزوم يعني : لازَمُوا هذا المحل وهو : الصَّدُّ عن سبيل الله (**أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحُجج ، فالواجب**) هذا جواب لقوله : (**إذا عرفت**) (**فالواجب**) . إذا عرفت ما ذكر أن هذا الطريق وهو : طريقُ التوحيد . قد جعل الله عز وجل له أعداء (**أهل فصاحة**) حينئذٍ لا يقال في رد شبهةٍ قالها المفسر أو العالم الفلاني أو الإمام الفلاني أو المحدث الفلاني نقول : هذا كله لا يُغني عن رد البدعة شيئًا البتة ، لأن علمنا قاعدة وهو : أن أهل العلم قد يقع منهم ما هو شِرْك ، وقد يقع منهم ما هو بدعة ، حينئذٍ إذا رُدَّ الشرك أو رُدَّة البدعة لا يُرَدُّ بكونه عالمًا أو مفسرًا ونحو ذلك هذا الذي أراده بالتنصيص على كون هؤلاء القاعدين أهل فصاحة (**أهل فصاحة**) يعني : بيان وبلاغة ، فليست الفصاحة حينئذٍ هي المعيار ، هذا فصيح هذا بليغ إذًا يقبل منه كل ما قاله ، لا ، إنما يُعْرَضُ على الكتاب والسنة فإن كان فصيحًا بليغًا [فليس كل من أتى به] [26] فليس كل ما أتى به يعتبر حقًا ، الميزان حينئذٍ العروض أو العرض على الكتاب والسنة ، فما وافق فهو الحق ولو جاء ممن لم يفصح كلمة واحدة ، وما كان من باطل حينئذٍ رُدّ عليه صاحبه ولو كان من أفصح الناس ، فلا يقال في رَدِّ شبهة قالها العالم أو المحدث أو الإمام الفلاني فليست الفصاحة هي المعيار ، وليس العلم في نفسه هو المعيار ، يعني : حفظ العلم نفسه ليس معيارًا في قبول الحق ، يعني : كونه يحفظ الصحيحين أو يحفظ السنن إلى آخره وما يُعَدُّ من أبيات أو دواوين ونحو ذلك نقول : هذا العلم في نفسه ليس هو المعيار ، وهذا قد يغلط فيه البعض ، ليس هذا العلم هو المعيار في قبول الحق ورد الباطل ، وإنما كل من نطق بحرف واحد فيُعْرَضُ قوله على الكتاب والسنة بقطع النظر عن قائله ، فإن وَافَقَ قُبِلَ وإلا رُدَّ على قائله أيًّا كان نوعه ، فليست الفصاحة هي المعيار ، وليس العلم في نفسه هو المعيار ، بل لا بد أن يكون العلم نافعًا ، ولا يكون كذلك إلا إذا كان موافقًا للكتاب والسنة ، وإنما يكون كذلك إذا كان مستنده الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة ، وليست الحجج الحجج والإيرادات هي المعيار لذلك قال : (**أهل فصاحة وعلم وحُجج**) . حجج يعني : يجادل ويحاجّ ، حاجّ إذا أورد حُجَّتَهُ ، وحاجَّهُ إذا غَلَبَهُ بِحُجَّته ، حينئذٍ إيراد الحجج والشبهات والتأليف والتصنيف هذا ليس معيارًا لقبول الحق ، ليس كل من كتب ردًا حينئذٍ نقول : هذا دليل على أنه صاحب حق ، لا ، لا بد أن يُعْرَضَ ذلك الرد على الكتاب والسنة .

إذًا خلاصة ما ذكره ليس لأحد في نفسه حجةً على الكتاب والسنة ، بل الكتاب والسنة وما نقله سلف الأمة هو الحجة على الخلق ، بقطع النظر عن صفة الخلق كانوا علماء كانوا جهلاء كانوا متخصصين كانوا .. كانوا .. إلى آخره ، نقول : هذه الأمور كلها ليست معيارًا في قبول الحق أو رده ، وإنما المعيار والميزان هو أن يعرض القول والعمل على قول الله جل وعلا وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فما وَافَقَ قُبِلَ ، وما خَالَفَ رُدَّ على صاحبه أيًّا كان ذلك الصاحب .

(**فالواجب عليك أن تعلم من دين الله**) ولذلك ابن القيم رحمه الله تعالى يقول في الآيات السابقة (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً**) قال : فتأمل هذه الآيات وما تحتها من هذا المعنى العظيم القدر الذي فيه بيان أصول الباطل - الباطل له أصول وله فروع - والتنبيه على مواقع الحذر منها وعدم الاغترار بها ، وإذا تأملت مقالات أهل الباطل رأيتهم قد كسوها من العبارات وتخيروا لها من الألفاظ الرائقة ما يُسْرِعُ إلى قَبُولِه كل من ليس له بصيرة نافذة وأكثر الخلق كذلك ، حتى إن الفجار ليسمون أعظم أنواع الفجور بأسماء لا ينبوا عنها السمع ويميل إليها الطبع فيسمون أم الخبائث أم الأفراح ، إذًا ما يُكْسَى الباطل بالعبارات الرائقة نقول : هذا لا يجعل الباطل حقًا ، والباطل إنما هو العبرة بحقيقته لا بقائله ولا بألفاظه . (**فالواجب عليك أن تعلم من دين الله**) إذا عرفت ذلك ما سبق من أنهم أصحاب علم وفصاحة وحجج فالواجب حينئذٍ واجب واجب يعني : ما أمر به الشارع أمرًا جازمًا ، فكل من أراد أن يَرُدّ شبهةً من شبه الأعداء سواء كانوا مشركين أو مبتدعين حينئذٍ الواجب أن تعلم من دين الله ما يَصِيرُ سلاحًا تقاتل به هؤلاء

---

(26) سبق .

الشياطين ، إذًا هم معهم أسلحة أليس كذلك ؟ نعم معهم أسلحة ، فصاحة وعلم وحجج ، إذا أردت مجابهتهم ومقاتلتهم - والمقاتلة هنا معنوية - بماذا تقاتلهم ؟ لا بد أن يكون معك السلاح ، وما هو هذا السلاح ؟ ليس عندنا إلا عِلْم الكتاب والسنة (**فالواجب عليك**) شرعًا (**أن تعلم مِنْ دين الله**) ليس المراد كل دين الله تعالى (**مِنْ**) هنا للتبعيض ، لأن مراد المصنف هنا المعركة في الشرك وضده ، في التوحيد وضده 35.00 [$$ هل تحذف الأولى] يعني : ما يتعلق بعبادة القبور وصرف العبادة لغير الله تعالى . فهذه أمور معلومة من الدين بالضرورة ، أمور قطعية حينئذٍ صارت من العلم العيني ، ولذلك قال : (**فالواجب عليك**) شرعًا (**أن تعلم من دين الله**) . فمن هنا تبعيضية لأن العلم الشرعي منه واجب عَيْنِيّ ، ومنه واجب كفاية ، والمراد في كلام المصنف ما كان من الدين فرضًا عَيْنِيًّا على كل أحد ، ولذلك سيذكر أن العامي له دخل في هذه المسائل ، وإنما هو عامي لما معه من التوحيد المعلوم بالأدلة حينئذٍ له سلاح ، تمكن من عرفة شيء من دين الله وهو الواجب العيني ، حينئذٍ صح أن يقال بأنه قد قاتل أولئك المشركين (**أن تعلم من دين الله**) قلنا : من هنا للتبعيض . (**من دين الله تعالى ما يصير**) ما اسم بمعنى الذي تعلم علمًا يصير سلاحًا (**أن تعلم من دين الله ما**) نقول : اسم موصول بمعنى الذي يصدق على العلم ، أن تعلم علمًا يصير هذا العلم سلاحًا ، والسلاح المراد به هنا السلاح المعنوي وإلا فالأصل السلاح كل ما يُقَاتَلُ به ، كل ما يقاتل به يسمى سلاحًا وهو المحسوس ، ولكن أراد المصنف هنا المقاتلة المعنوية (**تقاتل به هؤلاء الشياطين**) انظر أطلق على أصحاب الفصاحة والعلم والحجج شياطين موافقة للكتاب (**عَدُوّاً شَيَاطِينَ**) فسماهم الله عز وجل أعداءً شياطين حينئذٍ موافقة للكتاب يطلق عليهم هذا الوصف ولو كانوا علماء (**الذين قال إمامهم**) تقاتل به مقاتلة إما ابتداءً وإما دفاعًا يمكن أو لا ؟

يمكن ، يقال ابتداءً تدافع أنت تدعو إلى الله عز وجل ، يعني : تفتوا وتألف وتنصر التوحيد ولو لم تسمع مخالف هذا ابتداءً ، فإن وُجِهَ أهل التوحيد فحينئذٍ لا بد من الدفاع وهو : جهادهم . (**هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم**) إمَام فِعَال بمعنى المؤتم به يعني : الذي يُقْتَدَى به . (**ومقدمهم لربك**) يعني : الذي تقدمهم في ماذا ؟ في الشيطنة ومعاداة الحق نعم (**هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم**) إمام الشياطين شيطان مثلهم (**ومقدمهم**) الذي تقدمهم في الشيطنة ومعاداة الحق ونصرة الباطل (**لربك عز وجل : (لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ)**) هذا قول من ؟ قول إبليس الشيطان الأكبر قال ماذا ؟ (**(لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ)**) يعني : لبني آدم . (**(صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ)**) قال ابن كثير رحمه الله تعالى : يخبر تعالى أنه لما أنظر إبليس إلى يوم يبعثون واستوثق إبليس من ذلك أخذ في المعاندة والتمرد يعني : زاد شيطنة . فقال (**(فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي)**) يعني : بسبب إغوائك إياي . انظر هذا فيه قول الجبرية (**(فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي)**) أي : كما أغويتني . قال ابن عباس : كما أضللتني . فنسب الإضلال لله عز وجل - تعالى الله - . وقال غيره : كما أهلكتني لأقعدن لعبادك الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه على صراطك المستقيم ، أي : طريق الحق وسبيل النجاة ولأضلنهم عنها لئلا يعبدوك ولا يوحدوك بسبب إضلالك إياي . وقال الطبري رحمه الله تعالى : المقصود بالآية أي : عندما يأتي الشيطان من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم يتربص بعباد الله من جميع الطرق فيقف على طرق الخير ليصدهم عنها ، ويقف على طرق الشر يدعوهم إليها . إذًا هذا سبيل من ؟ الشيطان وأولياء الشيطان وهو القعود لأمة التوحيد على الصراط المستقيم وهو : صراط الحق .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى فيما يتعلق بهذه الآية : " القاعد على الشيء ملازم له . (**(لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ)**) يعني : ألازم هذا الصراط الذي هو الصراط المستقيم في الصد عنه وفتح أبواب الشر التي تدعو إلى مخالفة هذا الصراط المستقيم " . قال رحمه الله : " القاعد على الشيء ملازم له " . فكأنه قال : لألزمنه ولأرصدنه ونحو ذلك . إذًا حاصل ما ذكره المصنف هنا رحمه الله تعالى أنه إذا عُلِمَ أن هؤلاء الأعداء لهم كتب ولهم فصاحة ولهم حجج وبينات وبراهين فيما يظنون حينئذٍ وجب على من أراد أن يَرُدَّ عليهم أن يكون عنده شيء من العلم يَدْفَعُ به مقولتهم ، ولأنه من قبيل الجهاد والقتال . (**ولكن**) هذا أشبه ما يكون باستدراك ، لما قال أنهم أصحاب فصاحة وعلم وحجج والمسألة تحتاج إلى سلاح ومقاتلة قد يحصل عند الموحد نوع تدبير في ظنه وفيما إذا اعتمد على الأسباب لأن التوفيق بيد الله عز وجل سواء كان في تلقي العلوم الشرعية أو في الفهم الصحيح للكتاب والسنة ، أو في الدعوة إلى الله عز وجل هذا يحتاج إلى توفيق من الرب سبحانه وتعالى ، فإذا نظر الناظر في كون هؤلاء الأعداء مع كثرتهم سيتربصون به قد يكون ثَمَّ تخدير له إذا وقف مع نفسه ، ولكن إذا أقبل على الله عز وجل فحينئذٍ يكون معه القوة التي لا تغلب (**ولكن إن أقبلت**) هذا اطمئنان للموحد (**ولكن إن أقبلت إلى الله**) يعني : على الله أقبلت (**إن**) لو قال : إذا [هي فعلاً في نسخ إذا $$]] لكان أولى ، (**ولكن إن أقبلت إلى الله**) يعني : على الله عز وجل بصدق

وإخلاص (**وأصغيت**) الإصغاء مأخوذ من الصَّغْوِ وهو : الميل . يقال : أَصْغَيْتُ إلى فلان مِلْتُ بسمعي نحوه . (**وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ**) [الأنعام : 113] (**وأصغيت**) يعني : استمعت بقلبك . (**إلى حجج الله**) أصغيت يعني : سمعت بقلبك لأن القلب هو مصدر تلقي العلم - هذا هو الأصل - أما السماع دون انشراح صدر فهذا علم ظاهر ، (**وأصغيت**) يعني استمعت بقلبك وهذا هو العلم النافع . (**إلى حججِ**) جمع حجة وهي : البرهان . (**حجج الله جل وعلا**) إذًا الله عز وجل له حجج في إثبات الحق ، وأهل الباطل لهم حجج كذلك في إثبات باطلهم (**إلى حجج الله وبيناته**) فالقرآن فيه البينة والحجة الواضحة ، حينئذٍ لا نخف (**فلا تخف**) منه ، (**ولا تحزن**) من قلة من معك إن أقبلت (**إذا أقبلت**) (**فلا تخف ولا تحزن**) ، لا تخف من كثرت الأعداء (**ولا تحزن**) من قلة من معك لأنهم أتباع الشيطان ، قد قال الله : (**(إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً) [النساء : 76]**) . قيل : الكيد ضرب من الاحتيال . قيل : هو المكر . وقد يكون مذمومًا وقد يكون ممدوحًا الكيد ، وإن كان يستعمل في المذموم أكثر (**كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ**) [يوسف : 76] (**(إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ)**) أضافه للتخصيص (**(كَانَ ضَعِيفاً)**) الضعف خلاف القوة ، يعني الذي يقابل القوة هو : الضعف . (**(كَانَ ضَعِيفاً)**) إذًا بين الله عز وجل أن الشيطان إذا كاد فكيده ضعيف فأولياؤه من باب أولى وأحرى ، هنا ضعيف هذا صفة مُشَبَّه حينئذٍ الضعف ملازم له ، وقوله : (**(كَانَ)**) . هذا فيه الدلالة على الاستمرار ، حينئذٍ أكد الضعف من جهتين :

أولاً : من إدخال كان لـ (**(إِنَّ)**) هذا حرف نصب توكيد وهذا مؤكِّد و (**(كَيْدَ الشَّيْطَانِ)**) هذا اسم إن (**(كَانَ ضَعِيفاً)**) الجملة هنا خبر إنّ وصدرت بـ كان الدالة على الاستمرار ، إذًا في كل زمن فكيد الشيطان موصوف بالضعف ، ثم أتى خبر كان صيغةً مشبه وهذا تأكيد على تأكيد .

ثم قال : (**والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين**) . هذا كذلك فيه نوع اطمئنان وهو : أن العامي . مَنْ هو العامي ؟ المراد به هنا سليم الفطرة أو من معه العلم الذي هو فرض العين ، يعني يُعَبَّرُ هذا ويُعَبَّرُ بذاك ، إذا قلنا بأن المراد به سليم الفطرة حينئذٍ يندفع الإشكال الذي في آخر هذا المقطع ، وإن عبر بأنه الذي معه فرض عين حينئذٍ وقع نوع إشكال ، وقد يفسر بهذا وذاك (**والعامي**) وهو : سليم الفطرة . عامي قيل : نسبة إلى العَمَى . لِمَا سُمِّيَ العامي عاميًّا نسبةً إلى العَمَى يعني : يحتاج إلى من يقوده كما أن الأعمى يحتاج إلى من يقوده ، كل منهما يحتاج إلى القيادة . (**والعامي من الموحدين يغلب الألفَ من علماء هؤلاء المشركين**) يعني : إن وقعت مجادلة بين عامي موحد وبين عالم مشرك حينئذٍ يغلبه لماذا ؟ لأن العامي قد عَلِمَ ما هو فرض العين ، وما يتعلق بالتوحيد توحيد الألوهية المسائل المتعلقة بها كلها محكمات ليس فيها شيء من المتشابه ، حينئذٍ العلم الذي استمسك به العامي هو المحكم - وسيأتي في الرد الإجمالي المجمل أن من استمسك بالمحكم نجا - وهذه قاعدة عامة (**مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**) [آل عمران : 7] أمر الله عز وجل بالاستمساك بالمحكم ورد المتشابه إلى ذلك المحكم . إذًا العامي لِمَا عنده من المحكمات وهو : العلم الواجب . ما يَرُدُّ به شبه هؤلاء علماء الشرك ، ما من شبه يُورِدُها عالم من علماء الشرك إلا والعامي يحفظ من آية أو حديث أو معنى وإن لم يحفظ النص يكون ذلك ردًّا لشبهته ، لأنه قد استمسك بالمحكم ، وذلك العالم المبطل إنما استمسك بالمتشابه ، ولا شك أن المحكم مقدم على المتشابه ، ومن استمسك بالمحكم فهو منصور على من استمسك بالمتشابه ، لأن الأول هو طريق أهل العلم الراسخين في العلم والثاني هو طريق من ابتغى الفتنة . (**والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء**) الباطل (**من علماء هؤلاء المشركين**) لأنه كما ذكرناه معه المحكم ومعه المتشابه (**يغلب الألف**) هنا أثبت له الغلبة لعموم النص ، قد يقول قائل : كيف يغلبه وهو عالم كيف يغلبه عامي ؟ نقول : النص عام (**وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**) [الصافات : 173] هذا نص وفيه عموم ، جند الله هم المؤمنون العالمون العاملون ، موحد وذلك العالم المشرك مشرك ليس على الملة ، قد وعد الله عز وجل الغلبة لمن ؟ لجنده لا لجند إبليس ، إذًا لعموم النص حينئذٍ العامي الموحد الذي معه المحكم يغلب أولئك الألف . فقوله : (**الألف**) . هنا ليس مراد به الحقيقة وإنما المراد به التكثير ، يعني : ألف وما زاد أو ما هو دونه . إذًا أثبت له الغلبة لعموم النص ، أي أنه يغلب مع أنه لا يقدر على الجدال قد لا يكون له نوع تفصيل يعني : جواب مفصل - كما سيأتي - قد لا يستطيعه العامي ، فحينئذٍ لِمَا معه من المحكم في الجملة يغلب الألف والأكثر وقد يكون الأقل من علماء الشرك . وقوله : (**الألف**) . لبيان الكثرةِ فحسب فلا مفهوم له أي : يغلب الكثير من الناس ، كما قال تعالى : (**(وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) [الصافات : 173]**)

يعني : بالحجة واللسان ، وكذلك يشمل السيف والسنان . قال تعالى : (**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**) [الصافات : 171 - 173] . هذا وعد من الله عز وجل والنص عامّ يشمل العامي الموحد ويشمل من كان قادرًا على الجدال ونحو ذلك .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير الآية : أي تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة . يعني : هم منصورون في الدنيا والآخرة ، أما في الحجة والبيان فهو دائم لازم لهم ، وأما بالسيف والسنان فهذا قد يكون وقد لا يكون ، كما قال تعالى : (**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**) [المجادلة : 21] وقال عز وجل : (**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**) [غافر : 51] . قال ابن عباس : بالغلبة والقهر . قال الضحاك : بالحجة ، وفي الآخرة بالعذاب . وقيل : بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة ، وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين . إذًا قول المصنف هنا : (**والعامي من الموحدين**) . هذا استدلال بعموم النص كما قال تعالى : (**وَإِنَّ جُنْدَنَا**) . إذًا أدخل فيه العامي ، فهو نص محكم عام يشمل العامي ويشمل العالم ، (**(وَإِنَّ)**) هذا توكيد (**(جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)**) هذا تأكيد بعد تأكيد ، وقوله : (**(الْغَالِبُونَ)**) . يعني : في كل زمان وفي كل مكان ، وهذا قلنا في الجملة باعتبار السنان ، وأما بالحجة واللسان فهو عام في كل زمان ومكان ، (**فجند الله تعالى هم الغالبون بالحجة واللسان**) ، (**فجند الله تعالى**) من هم جند الله ؟ جند الله جمع جندي وهو : المقاتل والمدافع عن دين الله تعالى . جند الله وهم : الذين عَلِمُوا وعَمِلُوا . ويقال لهم : حزب الله . (**أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) [المجادلة : 22] حينئذٍ المؤمنون أو من عَلِمَ وعَمِلَ أو الموحدون أو حزب الله أو جند الله كل هذه أوصاف والموصوف شيء واحد ، (**فجند الله**) الإضافة هنا للتشريف كما يقال : حزب الله ، حزب الشيطان . أضاف هناك الحزب للشيطان هذا فيه إهانة وتحقير ، وهنا أضاف حزب لله عز وجل وفيه تشريف قوله : (**نَاقَةَ اللَّهِ**) . (**فجند الله تعالى هم الغالبون بالحجة واللسان**) ، (**بالحجة**) يعني : إقامة الحجة على أو الدليل والبرهان على إثبات الحق (**واللسان**) يعني : المنطق الذي يقابل السنان . وهذه ثابتة في كل زمان ومكان (**كما هم الغالبون بالسيف والسنان**) (**كما هم**) يعني : جند الله ، (**الغالبون**) الذين يغلبون (**بالسيف والسنان**) ، وهذه ليست دائمة قد تكون وقد لا تكون ، وقصة الأحزاب ونحو ذلك وأحد معلومة لديكم ، لقوله تعالى : (**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**) [الروم : 47] . ولحديث : « **لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك** » . ، والظهور يشمل النوعين :

ظهور باللسان والحجة .

وظهور بالسيف والسنان .

فهو عام ، وإن كان بالحجة دائمًا وبالسيف أحيانًا ، هذا دائم بالحجة واللسان لأنه ما فَهِمَهُ العالم من الكتاب والسنة فهو باقٍ ، فهو حق ثابت من حيث الدلالة ومن حيث النص ، وأما بالسيف والسنان فهذا يختلف من زمن إلى زمن .

إذًا جند الله تعالى هم الغالبون بالحجة واللسان كما هم الغالبون بالسيف والسنان والمراد بالسنان الرماح .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " فقيام الدين بـ : العلم ، والجهاد " . قيام الدين يعني : الذي يقوم به الدين أمران : العلم ، والجهاد . الجهاد يعني : المقاتلة بالسيف . ولهذا كان الجهاد نوعين : جهاد باليد والسنان . وهذا يشارك فيه كثير ، أليس كذلك ؟ جهاد باليد والسنان وهذا المشارك فيه كثير من الخلق .

والثاني : الجهاد بالحجة والبيان . وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل ، وهو : جهاد الأئمة . وهو أفضل الجهادين لعِظَمِ منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه ، إذًا قيام الدين على أمرين : العلم ، والجهاد . والجهاد نوعان وأعظمها نفعًا هو : الجهاد بالحجة والبيان .

(**وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح**) ، (**وإنما**) هذا حصر قد لا يكون حصرًا يعني : ليس بظاهر . (**وإنما الخوف على الموحد**) هذا تحذير للعامي الموحد (**الذي يسلك الطريق**) يسير في الطريق طريق المجادلة (**وليس معه سلاح**) لماذا ؟ لأنه الآن كمن دخل معركة بغير سلاح ، معركة حسية ، الإنسان يذهب ويأتي ويريد أن يقاتل وليس معه سلاح ، قد لا يحسن ، ماذا صنع أحسن أم أساء ؟

أساء ، لو وقف أمام مجادل عالم كبير في فنه وأورد الشبه ، وجادل عنها وأتى بقرآن وسنة وأتى بأسانيد ونحو ذلك فحينئذٍ ماذا يصنع العامي ؟ يفتح فاه ويقبل ما عنده يأكله أكلاً أليس كذلك ؟ وتورد عليه الشبه ، ولذلك قال هنا :

(**وإنما الخوف على الموحد**) . يعني : من هو مُوَحِّد . يعني : أتى بالتوحيد . (**الذي يسلك الطريق**) طريق المجادلة (**وليس معه سلاح**) ، ولذلك إذا رجعت إلى أول قطعة قال : (**فالواجب عليك أن تعلم**) . إذًا هذا هو السلاح ، فإذا دخلت الساحة وليس معك سلاح حينئذٍ يخشى عليك من أن يلتقمك ذلك العالم ، لكن ثَمَّ تعارض أو فيما يبدو بين قوله : (**والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين**) . مع قوله : (**وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح**) . أدركتم ؟

في الأول قال : (**والعامي من الموحدين يغلب الألف**) . هو ليس معه سلاح .

ثم قال : (**الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح**) . قد يُفْهَمُ ثَمَّ تعارض بين الأمرين ، إن فسر العامي بصاحب الفطرة السليمة فلا تعارض ، إذ لا يلزم بين كونه صاحب فطرة سليمة أن يغلب بالفعل ، وإنما هذه غلبة بالقوة يعني : لو قدر أن عاميًّا موحدًا سليم الفطرة حينئذٍ يغلب في التصور يغلب العلماء الذين بلغوا ألف لماذا ؟

لأن فطرهم منتكسة ليست سليمة ، ولا شك أن صاحب الفطرة السليمة يغلب من كان ذا فطرة فاسدة ، هذا من جهة التَّجَوُّز العقلي ، إذًا إذا فسر العامي بصاحب الفطرة السليمة حينئذٍ الغلبة ذهنية ليس لها واقع ، وإن فُسِّرَ بالعامي الذي عنده العلم العيني حينئذٍ يقع نوع إشكال بين أول القطعة وآخرها .

وهنا الشيخ الفوزان في شرحه قال : وقد استشكل بعض الإخوان هذه العبارة وهي قول الشيخ : (**والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين**) . مع قوله : (**وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح**) . والجواب عن هذا الإشكال : أن الشيخ رحمه الله يقصد أن العامي عنده فطرة سليمة يستنكر بها الباطل . إذًا ليست غلبة بالفعل وإنما هي بالقوة ، أما علماء الضلالة فطرهم فاسدة وحججهم واهية ، فالعامي يغلبهم بالفطرة السليمة من حيث الجملة لا من حيث التفصيل ، هذا يجاب به عمَّا قد يكون ثَمَّ تعارض .

[ثم قال رحمه الله تعالى] [27] إذًا هذا تسلسل من الشيخ :

أثبت أن الأنبياء قد جعل الله تعالى لهم أعداء .

ثم هؤلاء الأعداء قد يكون لهم نوع علم وحجج وفصاحة .

ثم نبه إلى أن هذه الأمور لا تحزنك ولا تخفيك منه ، وإنما إذا أصغيت إلى الكتاب والسنة مع الاعتماد وسؤال الله عز وجل التوفيق - الاعتماد على الله عز وجل - حينئذٍ العامي يغلب الألف فلا تخف ولا تحزن . حينئذٍ إذا علمنا أنه لا بد من السلاح ما هو هذا السلاح ؟ وأين نجد هذه الحجج التي ندمغ بها حجج أهل الباطل ؟

فقال رحمه الله تعالى مؤصلاً أصلاً عظيمًا في بيان مَرَدٍّ من أراد أن يَدْفَعَ عن الإسلام على جهة العموم والتوحيد عن الخصوص أنه لا يمكن ولا يتصور أن توجد بدعة أو ضلالة إلا وردها يكون بالكتاب والسنة لا بغيره البتة ، (**وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله (تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ)**) ، (**وقد من الله**) ، (**وقد**) للتحقيق (**مَنَّ**) يعني : أنعم . والمنة هي : النعمة . (**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**) [آل عمران : 164] (**وقد من الله تعالى علينا**) نحن معاشر أمة محمد ﷺ (**بكتابه الذي جعله (تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ)**) كما قال : (**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا**) [النحل : 89] . (**تِبْيَانًا**) هذا حال من مفعول به كتابًا ، قال : (**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ**) ، (**الْكِتَابَ**) مفعول به و ((**تِبْيَاناً**)) هذا حال تِفْعَال وهذا من الأوزان القليلة التي وردت في كتاب على وزن تِفْعَال بكسر التاء ، والأكثر التَّفْعَال بالفتح (**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ**) كل شيء عام أو خاص ؟

عام ، كلّ من ألفاظ العموم و (**شَيْءٍ**) أضيف إليه كلّ يعم يدخل فيه التوحيد وهو أعظم ما يُستدل به أو عليه بالكتاب والسنة وما دونه من بابٍ أولى وأحرى ، (**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ**) وأعظمها التوحيد وضدّه ، (**وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**) قال ابن مسعود : قد بُيِّنَ لنا . قال ابن مسعود رضي الله عنه : " قد بُيِّنَ لنا في القرآن كل شيء " . يتعلق بأمور الدين فهي موجودة في القرآن : إمَّا نصًا ، وإمَّا ظاهرًا ، إمَّا بالمنطوق ، وإمَّا بالمفهوم . لا يخرج عنه شيءٌ البتة . " قد بُيِّنَ لنا في القرآن كل شيء " . وقال مجاهد : " كل حلالٍ وحرام " .

هذان قولان في تفسير الآية ، كل شي عام يشمل الحلال والحرام وغيرهما ، وقول مجاهد : كل حلالٍ وحرام . خاص أو عام ؟ خاص ، وأي التفسيرين أولى للتقديم ؟ قول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لأنه عام ، لأن القرآن نزل تشريعًا فهو عام يتعلق بالحلال والحرام وغير ذلك ، وقال مجاهد : كل حلالٍ وحرام . قول ابن كثير وقول ابن

(27) عدل الشيخ ليؤكد الفقرة السابقة .

مسعود أعمّ وأشمل وهو أولى بالقبول . قول ابن مسعود أعم وأشمل يعني : من قول مجاهد ، فإن القرآن اشتمل على كل علمٍ نافعٍ من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي ، إذًا هذا ليس حلال وحرام ، وقد اشتمل عليه القرآن ، فإن القرآن اشتمل على كل علمٍ نافعٍ من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي ، وكلّ حلال وحرام ، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم فهو عامٌ ، إذًا : قول ابن مسعودٍ أولى أو أحرى بالقبول ، (**وَهُدًى**) أي : للقلوب ، (**(وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) [النحل : 89] فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها**)

والنقض ضد الإبرام ، (**ويبين بطلانها**) [نعم] (**ويبين بطلانها**) والبطلان بمعنى الفساد يعني : فسادها (**كما قال تعالى : (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً) [الفرقان : 33]**) (**(وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ)**) أي : حجةٍ وشبهة ، أطلق المثل هنا على الحجة والشبهة لأن أهل الباطل - كما ذكرناه مرارًا - لا بد أن يقيم حجةً يعني : ما يحتج به على إثبات باطله ، لا يأتيك مبتدع ويطلق بدعةٌ قولية ، أو فعلية ويقول : هذا من كيسي ، هذا من رأسي ، هذا مِمَّا أوحاه إليّ الشيطان والهوى . أبدًا لا يمكن ، وإنما يقول : هذا فعله فلان من أئمة السلف ، هذا لازم لقول الإمام أحمد ، هذا مِمَّا يفهم من قول الله تعالى كذا ، أو يستدل بحديث ثم يثبت صحته أو تحسينه أو نحو ذلك . إذًا : لا بد أن يُقيم دليلاً على إثبات حجته ، وأما حجة هكذا مرسلة أو بدعة هكذا مرسلة دون دليل هذا لا يكاد أن يوجد إلا عند العوام ، أمَّا العلماء السوء فلا يكونوا كذلك ، فلا يأتي - هذه قاعدة عامة - من الأصول المحكمات قبل الدخول في رد الشبه : لا يأتي صاحب باطلٍ بحجةٍ إلا وفي القرآن كتاب الله عز وجل ما ينقضها ويبرهما ويبن بطلانها وفسادها .

إذًا : العلماء هم المرجع في رد البدع والشبه ، فإذا أردت أن ترد بدعةً حينئذٍ ترجع إلى علم الكتاب والسنة أليس كذلك ؟ (**كما قال تعالى : (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ)**) أي : حجةٍ وشبهة ، (**(إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً) [الفرقان : 33]**) أي : ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر وأَبْيَن وأوضح وأفصح من مقالته (**(وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً)**) تفعيل من الفَسْرِ وهو : الإيضاح والكشف .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى : (**(وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ)**) أي : بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول (**(إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ)**) أي إلا نزل جبريل من الله تعالى بجوابهم ، إذًا : (**(وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ)**) بحجةٍ أو شبهة (**(إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ)**) يعني : إحقاق الحق أينما يكون مَرَدُّه للكتاب والسنة ، إذ النبي ﷺ قوله مردودٌ إلى قول الله عز وجل ، كما قال سبحانه : (**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**) [النجم : 3 ، 4] . (**قال بعض المفسرين : هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة**) . ما من حجةٍ يأتي بها مبتدع إلا وفي القرآن ما يبطلها ويفسدها ، فالآية التي ذكرها المصنف (**عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة**) لأن الله تعالى جعل هذا الدين حجةً على العباد إلى قيام الساعة . قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : لو تدبر إنسانٌ القرآن كان فيه ما يرد على كل مبتدع وبدعته . إذًا القرآن حجة على كلِّ مبطلٍ إلى يوم القيامة . هذا أصل أصيل إذا أرت أن ترد بدعة فمردك إلى الكتاب والسنة . إذًا : لا علم صحف ، ولا علم مجلات ، ولا علم أناشيد ، ولا علم مسرحيات ، هذه كلها لا تفيد في إحقاق حقٍ ولا إبطال باطل ، بل هي باطلةٌ في نفسها ، وإنما المرد حينئذٍ يكون إلى قول الله عز وجل ، وقول رسوله ﷺ . فمن كان عالمًا بالكتاب والسنة كل ما عظم علمه في الكتاب والسنة كان أولى بالردِّ على أهل البدع ، وكان آكد عليه ذلك . ثم شرع المصنف رحمه الله تعالى في بيان طريقة كشف الشبهات لأهل الشبهات كيف نَرُدُّ الشبهات ؟

كل ما ذكره في السابق هذه مقدمة ، كلها محكمات ليس فيها خلاف بين أهل العلم ، وكلها مِمَّا أُخِذَ من الكتاب والسنة ، إما نصًا وإما إجماعًا على مدلوله ، حينئذٍ نقول : هذه المسائل السابقة كلها إذا ضبطها طالب العلم عرف كل ما سيأتي ، فكل ما سيأتي تكرارٌ لما سبق ، لأن السابق كله أصول وتأصيل وتقعيد للرد البدعة وخاصة في مقام الشرك .

(**وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا**) كأنه لما دعا إلى التوحيد قامت قيامة أهل البدعة من أهل الشرك ونحوه فردوا على شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بشبهٍ وألفوا الردود لإضعاف أو إبطال دعوته . قال : (**وأنا أذكر لك أشياء**) . يعني : قواعد وأصول (**مما ذكر الله في كتابه**) إذًا : لما بين لك أن الكتاب هو مرد العالم الذي يرد على الشبهات ، قال (**أنا أذكر لك**) من تلك الأصول المحكمات التي

يستمسك بها من أراد أن يرد على أهل البدع (**جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا**) . قال : (**لكلام احتج**) لم يسمه حقًّا ولم يسمه برهانًا ونحو ذلك لأنه كلام كاسمه (**فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين : مجمل ، ومفصل .**) يعني : إذا أردنا أن نَرُدَّ على أصحاب الشبه وأصحاب البدعة إنما يكون من طريقين لا ثالث لهما : إمَّا (**مجمل**) ، وإمَّا (**مفصل**) .

والمراد بالمفصل أن تأخذ كل بدعة ودليلها عند صاحبها وتأتي بدليلٍ خاصٍ من كتابٍ أو سنة فتنقضها من أصلها ، هذا يسمى ماذا ؟ يسمى جوابًا مفصلاً ، وهذا لا يكون إلا للعلماء ، لأنهم هم الذين يعرفون كل مسألة بخصوصها ، كل مسألة والنظر فيها لأنه قد يحتاج لحديث وهو موضوع من الذي يثبت أنه موضوع العامي لا يدرك ذلك ، وأمَّا الطريق الإجمالي فهذا مشترك يعني: قد يكون سلاحًا في يد العاميّ الموحد الذي لا يحسن طريق الجدال ، وقد يكون في يدي المبتدئ طالب العلم أو العالم الذي يكون قد نَسِيَ الجواب حينئذٍ : يستمسك بالمجمل ، والمجمل هذا عامٌ في باب الشريعة كامل في باب المعتقد ، وفي باب الفروق ، (**فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين : مجمل ، ومفصل**) وهذا مرده هو الاستقراء للكتاب والسنة ، (**مجمل**) المجمل هنا ليس هو المجمل عند الأصوليين ما لم تضح دلالته ، لا ، وإلا ما صح جوابه ، لو فسرناه بما عند الأصوليين لما صح جوابه ، بل المراد به المجمل يعني : القاعدة العامة ، ولذلك نحذر دائمًا من تفسير المصطلحات لفن لفن ، فلا ندخل مصطلح الأصوليين هنا في هذا المقام ، فالمجمل هنا هو : الجواب العام والبرهان العام الذي يصلح أن يكون جوابًا لكل حجةٍ يُرِدُهَا الخصم ، فكل بدعة يرديها الخصم نردها بهذا الجواب ، فهو عام يشمل ماذا ؟ كل بدعةٍ ، فالعموم هنا في هذا الدليل من جهتين : من جهة المتكلم به ، يدخل فيه العامي ، وطالب العلم المبتدئ ، والمتوسط ، والمنتهي ، ويدخل فيه العالم الذي قد نَسِيَ الجواب لا يستحضره ، لأنه لو استحضر الجواب لَزِمَهُ الطريق الثاني وهو : رد البدعة مفصلاً ، يعني : بدليله التفصيلي .. هذا عموم من جهة المتكلِّم بهذه الطريقة ، وعموم الآخر من جهة شموله لكل بدعةٍ ، ولذلك بدأ به المصنف فقال : (**أما المجمل**) قدمه على المفصل لماذا ؟

أولاً : لشموله للعامي ، يدخل فيه .

ثانيًا : لسهولته ، لأنه سهل يمكن أن يفهمه طالب العلم آية واحدة يحفظها ويعرف المحكم وينتهي فهو سهلٌ .

ثالثًا : الكلام فيه قصير ، ودائمًا عند أهل العلم إذا كان الصنف والقسم يقصر فيه الحديث فهو مقدمٌ على غيره .

إذًا : (**أما المجمل**) فالردّ المجمل قاعدة عامة تصلح لكل أحدٍ من المسلمين عاميًا كان أو طالب علم أو عالمًا لم يستحضر الجواب ، لا بد أن نقيده بأنه لم يستحضر الجواب ، لأنه لو استحضر الجواب لَزِمَهُ النوع الثاني ، لأنه آكد ، وهي عامةٌ في باب العقيدة وفي الفقه وغيرها - يعني : هذا الرد المجمل عام - وهذا دائمًا نَحُس به طالب العلم أن يستمسك بالمحكم حتى في باب الصلاة في باب الوضوء في باب الزكاة في باب .. إلى آخره ، إذا جاءت أحاديث نص في مسائل حينئذٍ إذا جاء نص محتمل لما يخالف هذا النص وغيره نحمل المحتمل على الواضح البَيِّن ، ولا نجعل هذا معارض لهذا ، يعني : الجمع بين النصوص يكون بهذا الطريق ، وهو نص عام أليس كذلك ؟ فنقول : المتشابه يرد إلى المحكم ، هذا خاصٌ بباب المعتقد أو أنه يشمل الفقه ؟

نقول : يشمل الفقه ، فيأتيك نص واضح في صفة صلاة النبي ﷺ مفصلاً ، ويأتي حديث آخر يؤكدها وثالث ورابع ، جاء نص بعيد يعني : ليس في تفصيل صفة الصلاة حينئذٍ : يكون محتملاً ، فلا نقول هذا معارضٌ لحديث كذا فنأتي بالمعارضات والإيرادات ، ونقول : لا ، هذا محتمل ، إذا عارضت شيء بشيء فانظر دليل المعارِض ، هل هو نصٌ أم ظاهر ، إذا كان نصًا حينئذٍ جاء وجه التعارض ونسلك المسلك الذي قرره أهل العلم ، إما نسخ ، وإما جمع ، عام خاص ، مطلق ، مقيد .. إلى آخره ، وإن لم يكن نصًا حينئذٍ : نقول : الظاهر ما له معنيان ، فنحمل الظاهر هذا على المعنى المرجوح ليوافق ذلك النص - وهذه قاعدة عامة في باب المعتقد ، وفي باب الفقه وفي غيره ، أمَّا أن يورد الإيرادات ونقول : يَرِد ، ويَرِد ، ويَرِد ويكون عندنا شغف لذكر الإيرادات والتعليلات دون أن نقف حتى على أقوال أهل العلم بعض طلَاب أهلَ العلم يُورِدُ إيرادات حتى من عنده هكذا يقول : هذا النص محتمل لكذا وكذا ، من سبق إلى هذا الإيراد ؟ لا أحد . نقول : هذا من التكلف وما أنا من المتكلفين .

(**أما المجمل فهو الأمر العظيم**) إذًا : قدم المجمل هنا لقلة الكلام عليه ، وأيضًا هو عامٌ لكل عالم وطالب علم ونحو ذلك كما ذكرناه ، وهو سهلٌ ميسر ولذلك قدمه ليفهمه العامي ، وهو عامٌ لكل شبهةٍ ففيه العموم من جهتين : من جهة المتكلِّم به ، ومن جهة ما يُرَدُّ به من البدعة فكل بدعةٍ ترد بهذا الطريق .

(**أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها**) لشموله كل شبهةٍ يردها الخصم (**وذلك**) ما هو ذلك الرد المجمل أو الجواب المجمل ؟ آية وتفسيرها (**قوله تعالى : (هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ)**) ، (**(مِنْهُ)**) بعضه (**(آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ)**) أي : هذه الآيات المحكمات (**(أُمُّ الْكِتَابِ**) يعني : الأصل الـ (**أُمُّ**) بمعنى الأصل التي على أمات (**(أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)**) إلى آخر الآية ، هذه الآية جعلها المصنف قاعدة عامة ، ولذلك من توفيق الله عز وجل لشيخ الإسلام أنه لا يتكلم في الغالب أو في ما يطرد من أحوال وخاصة في مقام الردود إلا بنصٍ ، فهذه الآية (**قوله جل وعلا : (هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)**) قسم الله عز وجل لنا الآيات ، ما هي الآيات هنا ؟ القرآنية المتلوة منطوق بها قسمها إلى قسمين : محكمات ، ومتشابهات .

وبَيَّنَ سبيل أهل العلم أو المسلمين الذين يستمعون إلى الآيات المحكمات والآيات المشتبهات ، ما موقف الراسخين في العلم من الآيات المحكمات والمتشابهات ؟

أمَّا المحكم فهو : متفق عليه . وما موقف أهل الباطل ومن من يبتغي الفتنة من المتشابه ؟ ماذا قال تعالى ؟

(**فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ**) [آل عمران : 7] هؤلاء الذين يتبعون ما تشابه منه سيأتي كلام ابن كثير في تفسير المحكم والمتشابه هم علماء السوء الذين ذكرهم المصنف فيما سبق ، والعاميُ من الموحدين الذي يستمسك بالمحكمات هو الذي اتبع سبيل الراسخين في العلم . إذًا : بين الله عز وجل أن الآيات منها ما هو محكم وهو : ما اتضحت دلالته ولا يحتمل معنًى آخر إلا ما نطق به ، وآياتٌ متشابهات لم تضح دلالته ومحتمل للمحكم ولغيره ، طريق أهل العلم والراسخين في العلم رد المتشابه يعني : الذي لم تضح دلالته المحتمل للمحكم ولغيره رده إلى المحكم ، وطريق أهل الفتنة ، وأهل البدعة : ردوا المحكم إلى المشابه .

إذًا : فرقٌ بينهما أو لا ؟

نقول : فرقٌ بينهما . يخبر تعالى أن في القرآن (**(آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ)**) أي : بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ، وهذا معنى المحكم هنا ما اتضحت دلالته ولا يحتمل معنًى آخر إمَّا بنفسه وإمَّا بغيره ، إمَّا بنفسه بأن يكون نصًا في المراد ، وإمَّا بغيره بأن تتوافر وتتوارد الأدلة على معنى واحد فصار قطعيًا في المعنى ولو كان كل نصٍ لوحده يكون فيه نوع احتمال ، أي : بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحدٍ ، ومنه آياتٌ أخر فيها اشتباهٌ في الدلالة على كثير الناس أو بعضهم ، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحَكَّمَ مُحْكَمُهُ على مُتَشَابِهِهِ عنده فقد اهتدى ، ومن انعكس انعكس . يعني : من ردّ المحكم إلى المتشابه انعكس يعني : صار من أهل الضلالة لأنه ابتغى الفتنة ، والله عز وجل نص (**(ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ)**) الذين يتبعون المتشابه هم الذي يبتغون الفتنة ، والفتنة قد تفسر بالشرك وقد تفسر من ما هو أعم من ذلك ، وقد قيل : بذا وذاك . حينئذٍ : طريق أصحاب الهدى هو تقديم المحكم على المتشابه ، يعني : مرد المتشابه فيفسر بالمحكم ، لا نقول : المتشابه ليس له معنًى البتة ، لا ، له معنى لكنه له معنيان أحد معنيين هو معنى المحكم ، والمعنى الآخر قد يكون مخالفًا لمعنى المحكم ماذا نصنع ؟ نقول : المتشابه المراد به ما يوافق المحكم والحمد لله ، ولا إشكال فيه . وأمَّا من في قلبه زيغ وفتنة وضلالة وابتغى الفتنة فحينئذٍ نقول : لا ، هذا نص ، وهذا قول الله عز وجل ، وهذا ظاهر ، وهذا باطن ، وهذا حرف ، و.. إلى آخره ، حينئذٍ يقدم المتشابه وهو : المعنى الذي لا يوافق المحكم على المحكم ، نقول : هذه طريقة من ؟ أهل الزيغ يعني : الذي في قلبه ميل وهوى ، وهذا عامٌ في العقيدة وفي غيرها ، ليس خاصًا بباب المعتقد . إذًا : قال هنا : فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن انعكس انعكس ، ولهذا قال تعالى : (**هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ**) [آل عمران : 7] . أي : أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه (**(وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)**) أي : تحتمل دلالتها موافقة المحكم ، يعني : له معنيان : مشتبه يعني : المحتمل له معنيان : معنًى : موافق للمحكم . ومعنًى : قد يخالفه . حينئذٍ : نقول : نرده إلى المحكم فنفسره بما يوافق المحكم ، لأننا لو فسرنا بما يخالف المحكم حينئذٍ : ناقضنا الكلام بعضه لبعض ، وكلام الله عز وجل كله حق لا يتناقض ، (**(وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)**) أي : تحتمل دلالتها موافقة المحكم ، وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد ، من حيث اللفظ إذا وقفنا مع التركيب اللفظ فعل وفاعل ومبتدأ وخبر دون أن ننظر إلى سياق الآية من أولها إلى آخرها ودون أن ننظر إلى مقاصد الشريعة ودون أن ننظر إلى سائر الآيات نقول : هذا وقوفٌ مع اللفظ والتركيب . فحينئذٍ : بهذا الاعتبار ثم معنًى آخر يخالف المحكم ، وإذا نظرنا بأن الكلام كلام الرب جل وعلا كله واحدٌ لا يتناقض وهو حق ، حينئذٍ لا يظن أنه مخالفٌ من حيث اللفظ

والتركيب ونظرنا في المراد يعني : سياق الآيات وأدلة التوحيد حينئذٍ ننظر إلى المعنى الثاني فنجعله موافقًا للمحكم ، فنقول : مراد الرب جل وعلا من هذا المتشابه هو ما يوافق المحكم ، لا ما يخالفه ، وأما ما يظن بأنه مخالفٌ للمحكم فهذا بالنظر إلى اللفظ فقط وإلى التركيب فقط واضحٌ هذا ؟ إذًا : النظر في المتشابه من جهتين :

إما أن يُنْظَرَ إليه من حيث إنه مرادٌ لله عز وجل . كيف ينظر إليه من حيث إنه مرادٌ لله ؟ نقول : المراد لا يأخذ من اللفظ فحسب ، وإنما يُنظر إليه بسياق الآيات كلها ، والسورة كلها ، بل والقرآن كله من أوله إلى آخره ، فيقال مراد الرب جل وعلا من هذه الآية كيت وكيت ، هذا المراد لا يمكن أن يخالف المحكم ، وإذا نظرنا إلى اللفظ من حيث التركيب حينئذٍ : نقول : اللغة تحتمل . ونقول : هذا اللفظ في لسان العرب يحتمل كيت وكيت وكيت ، أحد هذه المعاني مخالفٌ للمحكم ، إذًا : حصل التعارض بالنظر إلى اللفظ والتركيب دون مراد الرب جل وعلا ، وطريقة الراسخين في العلم أنهم ينظرون إلى الأمرين معًا ، اللفظ والتركيب مع المراد فإن خالف اللفظ المراد قُدِّمَ المراد على اللفظ ، لأن القرآن ليس ألفاظًا فحسب وإنما هو جمل ، وهذه الجمل هي مفهوم التخاطب بين الرب جل وعلا والبشر ، إذًا : (**وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**)) أي : تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد .

إذًا : المتشابه نقول : هو موافق للمحكم ولا يخالفه ، متى ؟ إذا نظرنا إليه باعتبار المراد يعني : الآية من أولها إلى آخره ، أو القصة من أولها إلى آخرها ، إذًا : لا خلاف بين ما ظننا أنه متشابه مع المحكم ، وإذا نظرنا إلى اللفظ نفسه من حيث لغة العرب حينئذٍ : قد يقع نوع اختلافٍ . وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه لأن في تفسيره فروي عن السلف عباراتٌ كثيرة ، وأحسن ما قيل فيه : هو الذي قدمنا . يعني :

المحكم ما اتضحت دلالته .

والمتشابه ما لم تتضح دلالته .

وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار حيث قال : (**مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ**) وهنَّ : حجة الرب ، وعصمة العباد ، ودفعٌ لخصوم الباطل ليس لهن تصريفٌ ولا تحريف عما وُضِعْنَ عليه . قال : والمتشابهات في الصدق يعني : فيما يُنَزَّلُ عليه ليس لهن تصريفٌ ، وتحريفٌ ، وتأويل ، ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام أن لا يُصْرَفْنَ إلى الباطل . إذًا : لو قيل لما جعل الله عز وجل (**مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ**) ، (**وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**) ؟ أولاً نقول : (**لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**) [الأنبياء : 23] هذا جواب عام في كل مسألة ، وإن وجد من يبحث في الحكم وكذا نقول : الحكمة هي ابتلاء العباد كما هو الشأن في إحقاق الحق وإبطال الباطل ، ولا يحرفن عن الحق ولهذا قال تعالى : (**فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ**) . إذًا بين لنا النوعين الأدلة (**فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ**) أي : ضلالٌ وخروج عن الحق إلى الباطل . (**فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ**) إذًا : وقعت الفتنة أولاً في القلب ثم التمسوا الأدلة ، ولذلك حكم الرب هنا قال : (**فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ**) لماذا نصَّ على القلب : (**فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ**) . إذًا : وجد الهوى أولاً والميل عن الحق أولاً ثم بعد ذلك يبحثون عن الأدلة ، ولذلك يقال استدل ثم اعتقد ، ولا تعتقد ثم تستدل . لأن الاعتقاد قبل الاستدلال هذا تتعب نفسك تعتقد بأن هذا حلال وهذا حرام وأن الراجح كذا ثم تبحث شهرًا ما استفدتَ شيئًا أتعبت نفسك ، وأما إذا بحثت عن الحق وتجردت من الاعتقاد ونظرت في الأدلة ، فما كان نتيجة الأدلة اعتقدته ، فحينئذٍ تكون صاحب نجاةٍ . [نعم] .

ولهذا قال تعالى : (**فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ**). أي : ضلال وخروجٌ عن الحق إلى الباطل (**فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ**) أي : إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليه على احتمال لفظه لما يصرفونه ، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه ، لأن دافعٌ لهم وحجةٌ عليهم ، ولهذا قال الله تعالى : (**ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ**) . أي : الإضلال لأتباعهم إيهامًا لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن (**ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ**) يعني طلبًا للفتنة ، بعضهم فسرها بالشرك والظاهر أنها أعم ، تعني الشرك وغيره ، كل صاحب فتنة صاحب ضلالة إنما يلتمس الحجة من القرآن ، (**ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ**) أي : الإضلال لأتباعهم إيهامًا لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن فهو حجةٌ عليهم لا لهم . وقوله : (**ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ**) أي : تحريفه على ما يريدون . وقوله : (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ**) هذا تتمة للآية لها علاقة اختلف القراء في الوقف ها هنا فقيل على الجلالة ونسبه ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى جمهور السلف (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ**) ، (**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**) ابتداء ، جملة ابتدائية والواو حينئذٍ تكون ابتداءً ، على قول ابن عباسٍ أنه قال : التفسير على أربعة أنحاء :

فتفسيرٌ : لا يعذر أحدٌ في فهمه .

وتفسيرٌ : تعرفه العرب من لغاتها .
وتفسيرٌ : يعلمه الراسخون في العلم .
وتفسيرٌ : لا يعلمه إلا الله .
ولذلك اختار ابن تيمية هذا ونسبه إلى جمهور السلف أنه الوقف يكون على لفظ الجلالة ، واختار ابن جرير أيضًا هذا القول . ومنهم من يقف على قوله : (**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**) . يعني : (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ**) الله فاعل والواو حرف عطف (**وَالرَّاسِخُونَ**) معطوفٌ على لفظ الجلالة ، والمعطوف على المرفوع مرفوع . إذًا : ليس من عطف جملة على جملة ، وإنما هو من عطف المفرد على المفرد على هذا القول (**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**) ، وتبعهم كثيرٌ من المفسرين وأهل الأصول وقالوا : الخطاب بما لا يفهم بعيد (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ**) وقف ثم ابتداء جملة جديدة . إذًا : من القرآن ما لا يعلمه إلا الله وقد خوطب البشر كلهم بالقرآن هل خوطبوا بما لا يفهموا ؟ قالوا : لا . إذًا : لا يمكن . هكذا قالوا : الخطاب بما لا يفهم بعيد . وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله . وهذا يسانده ، وهناك ابن عباس قوله التفسير على أربعة أنحاء يساند ما سبق . إذًا لكل حجته .
وعن مجاهد (**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**) يعلمون تأوليه ويقولون : آمنا به . ثم رُدُّوا تأويل المتشابهات على ما عرفوا من تأويل المحكم التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد ، فاتفق لقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضًا فنفذت الحجة وظهر به العذر وانزاح به الباطل وَدَفَع أو دُفِعَ به الكفر ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس « **اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل** » . هذا عام ، تأويل يعني : تأويل القرآن كله . فهو قادر للتأويل ، حينئذٍ يكون الوصل مقدم عندهم ، أليس كذلك ؟ (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**) [آل عمران : 7] .
وثَمَّ قول ثالث وهو قول معتبر من فصل في هذا المقام وقال : التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان :
أحدهما التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه ، ومنه قوله تعالى : (**وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ**) [يوسف : 100] . (**تَأْوِيلُ**) يعني : حقيقة . (**رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ**) إذا وقع الشيء قيل : هذا تأويل للرؤيا . حينئذٍ حقيقة الشيء وكنه الشيء يطلق عليه أنه تأويل ، وقوله : (**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ**) [الأعراف : 53] . أي : حقيقة ما أُخْبِرُوا به من أمر المعادِ حينئذٍ إن أريد به هذا المعنى صار الوقف على لفظ الجلالة (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**) يعني : حقيقة الأمور لا يعلمها إلا الله عز وجل ، وهذا حق فيكون الوقف على الجلالة ، فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمها إلا الله ، ويكون قوله : (**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**) . مبتدأ و (**يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ**) خبر ، (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ**) الراسخون مبتدأ وجملة يقولون خبر ، إذًا عطف جملة على جملة .
وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو : التفسير ، والبيان ، والتعبير عن الشيء كقوله : (**نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ**) [يوسف : 36] يعني : بتفسيره . فإن أريد به هذا المعنى فالوقف على (**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**) يعني : العطف ، قول الأصوليين وكثير من المفسرين ، وهذا جيد لأنهم يعلمون ويفهمون ما خُوطِبُوا به بهذا الاعتبار وإن لم يحيطوا علمًا بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه ، وعلى هذا فيكون قوله : (**يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ**) . حال منه (**وَالرَّاسِخُونَ**) عطف على لفظ الجلالة عطف مفرد على مفرد (**يَقُولُونَ**) أي : حالة كونهم قائلين . يعتبر حال من المبتدأ على قول سيبويه ، وأما على قول الجمهور فلا . وقوله إخبارًا عنهم أنهم (**يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ**) أي المتشابه (**كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**) أي : الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق ، وكل واحد منهم يصدق الآخر ويشهد له ، لأن الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد ، ولهذا قال : (**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**) . أي : إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولي العقول السليمة والفهوم المستقيمة .
إذًا بهذه الآية نَرُدُّ بها على كل مبتدع بدعته على جهة الإجمال لأن الله تعالى قسم الآيات إلى قسمين : محكم ، ومتشابه . وبين أن طريقة الراسخين في العلم هي : رُدُّ المتشابه إلى المحكم ، وطريقة أهل الفتنة هي رد المحكم إلى المتشابه ، واضح هذا ؟ هذا قاعدة عامة مطردة .
قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " قسم الله سبحانه الأدلة السمعية إلى قسمين : محكم ، ومتشابه . وجعل المحكم أصلاً للمتشابه " . هو الذي قسَّم ، وهو الذي أمر كيف نتعامل مع المتشابه فنرده إلى المحكم ، حينئذٍ نقول : سمعنا وأطعنا . " وجعل المحكم أصلاً للمتشابه وأمًا له يُرَدُّ إليه فما خالف ظاهر المحكم فهو متشابه يُرَدُّ إلى المحكم ، وقد

اتفق المسلمون على هذا " . المسلمون أهل السنة والجماعة المتبرئون من البدع ، وأن المحكم هو الأصل والمتشابه مردود إليه . هذا ذكره في ((الصواعق)) المجلد الثاني الصفحة اثنين وسبعين وسبعمائة .

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إذا رأيتم الذين يتبعون المتشابه ويتركون المحكم فأولئك الذين سَمَّى الله في كتابه فاحذروهم** » . هذا واضح بين لا يحتاج إلى شرح « **إذا رأيتم** » . صح هذا في الصحيحين متفق عليه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إذا رأيتم الذين يتبعون المتشابه** » . رأيتم سواء كان الصحابة أو غيرهم في كل زمان وكل مكان ، « **الذين يتبعون المتشابه ويتركون المحكم** » . يعني : يقدمون المتشابه على المحكم . « **فأولئك الذين سَمَّى الله في كتابه** » . يعني : في سورة آل عمران . « **فاحذروهم** » . هذا المراد وهو : تحذير عام لكل صاحب شبهة . إذًا هذا نهي . قال النووي رحمه الله تعالى : فيه دلالة - يعني : في قوله : « **فاحذروهم** » . - فيه دلالة على أنه يجب الحذر من أهل الشرك وأهل البدعة والهوى . لأنه قال : « **فاحذروهم** » . وأصحاب البدعة كلهم بلا استثناء يتبعون المتشابه ويتركون المحكم . إذًا التحذير من المبتدعة ومجالسة أهل البدعة والحديث مع أهل البدعة ليس قولاً لشخص معين حتى يُجَادَل أو يُنْظَر فيه أو نحو ذلك ، بل هو نص في القرآن وسنة نبوية « **فاحذروهم** » . احذروهم عن ماذا ؟ هل خَصَّصَ النبي ﷺ أو عَمَّمَ ؟ عَمَّمَ أطلق ، ما قال فاحذروهم من مجالستهم فحسب أو من مكالمتهم أو السماع لهم أو قراءة كتبهم ونحو ذلك قال : « **فاحذروهم** » . فهو عام ،ولذلك النووي رحمه الله تعالى يقول : فيه دلالة بل نص على أنه يجب الحذر . واجب إذًا يأثم الإنسان إذا سمع لأهل البدعة أَثِم ، وإذا جالس مبتدعًا أَثِم ، وإذا هون من شأن البدعة وأهل البدعة أَثِم ، لأن النبي ﷺ قال : « **فاحذروهم** » . والحذر هنا عام ، على أنه يجب الحذر من أهل الشرك وأهل البدعة والهوى فلا يجابون ولا يجادلون ، عام لأن اللفظ والنص عام إلا إذا أرادوا الحق وظهر ذلك من قولهم وحالهم ، فإجابتهم واجبة ، حينئذٍ يجابون إلى المجادلة . إذًا ليس كل صاحب بدعة يجادل أو يجاب على بدعته ، بل يترك لأن هذا فيه تحقير له وعدم التفات إليه ، لكن إذا بان من حالهم أنهم يريدون الحق حينئذٍ يتصدى لهم أهل العلم فيردون عليهم .

وقال ابن حجر : المراد التحذير من الإصغاء إلى الذين يتبعون المتشابه من القرآن . يعني : السماع وهذا تخصيص ، ولفظ النووي في تفسيره عام الصواب أنه عام .

قال البغوي رحمه الله تعالى في ((**شرح السنة**)) : قد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا - وهو : الحذر من أهل البدعة . - مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم . إذًا حكى فيه إجماع ليست مسألة خلافية أو أنها قول زيد أو عبيد من الناس ، لا ، مجانبة البدعة وأهل البدعة هذا أمر مجمع عليه وليس أمرًا اجتهاديًا من شخص ، بل هو منصوص في الكتاب والسنة وكذلك أقوال سلف الأمة ، وفي ((**الاعتصام**)) للشاطبي كثير من الاستدلالات بالكتاب والسنة على ذلك ، إذًا هذا هو أو القاعدة العامة وحاصل هذه القاعدة الإجمالية أن الدليل القطعي والإجماع والقواعد والأصول والنصوص الصريحة لا تُعَارَض بدليل محتمل هذا أمر بَيِّن ، لا تُعَارَض بدليل محتمل ، فلا تترك القطعيات بل يثبت عليها المسلم ، ويلزمه حينئذٍ أن ينفي الاستدلال استدلال الخصم نفيًا إجماليًا ، يعني : ينفي استنباطهم من الدليل سواء كان كتابًا أو سنة .

من المحكمات في مقام التوحيد من المحكمات التي يستمسك بها من أراد المناظرة أو مجادلة أهل الباطل :

أولاً : الآيات التي فسرت التوحيد ، كل آية فسرت التوحيد في القرآن من أوله إلى آخره فهي محكمة ، وأن المراد بها لا معبود بحق أو حق إلا الله ، كل آية مضمونها تفسير لا إله إلا الله وأن المراد بهذه الكلمة لا معبود حق إلا الله فهي محكمة .

ثانيًا : الآيات التي بينت أن دين الرسل واحد كثيرة ، أن دين الرسل واحد فحينئذٍ نحتج بالقصص القرآني على إثبات ما يتعلق بالتوحيد ، بل ما ذكرت القصص إلا في المجادلة بين الرسل وأقوامهم في شأن توحيد ، لم يختلفوا في كيفية الصلاة ولا السبابة ولا .. إلى آخره ، إنما الخلاف في توحيد الألوهية فقط أليس كذلك ؟ هذا النوع الثاني .

الثالث : الآيات التي فيها بيان أن الكفار مقرون بتوحيد الربوبية هذا أمر محكم ، وأما نزاع الصوفية المتأخرة فهذا لا يلتفت إليه ، لأنه قد يقال : قال فلان . كما ذكرناه سابقًا محمد علي المالكي وغيره ، ينفون أن يكون شرك المشركين السابقين في صرف العبادة لغير الله فحسب ، بل يقول : لا بد أنه قد أشرك أولاً في توحيد الربوبية . نقول : هذا باطل مردود بالنصوص التي ذكرناها سابقًا .

إذًا النوع الثالث من المحكمات في بيان التوحيد توحيد العبادة الآيات التي فيها بيان أن الكفار مقرون بتوحيد الربوبية .

رابعًا : الآيات التي فيها أن الكفار ما أرادوا بعبادتهم الأصنام ونحوها إلا لأجل الشفاعة والزلفى . إذًا هذا في غير موضع في القرآن ، ما عبدوا هذه الأصنام وهذه الأرواح لذواتها أنها تملك النفع والضر ، وإنما لكونها تقربهم إلى الله زلفى نقول : الآيات التي تبحث في هذه الجملة من المحكمات .

خامسًا : الآيات التي فيها أن الأموات التي عُبِدَتْ لا تملك شيئًا وأنها تتبرأ يوم القيامة من عابدها . هذا من المحكمات .

سادسًا : الآيات التي فيها أن الله تعالى لم يتخذ ولدًا ولا شريكًا ولا وليًا ولا شفيعًا . لأنهم قالوا : (**هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**) [يونس : 18] والله عز وجل نفى الولي والشفيع ، إذًا هذا محكم ودعواهم باطلة مردودة على أنفسهم .

سابعًا : الآيات التي فيها بيان حال المشركين . من أن معبودات المشركين مختلفة عيسى ، وعزير ، مريم ... إلى آخره اللات ، والعزى ، ومناة . دلَّ الكتاب على أن المعبودات مختلفة ، منها ما هو معبود سماوي أرضي يعقل لا يعقل صالح طالح .. إلى آخره ، نقول : هذه من المحكمات . حينئذٍ إذا وَرَدَ المتشابه في كلام المبتدع فإننا نرده إلى هذه المحكمات .

ثامنًا : الآيات التي فيها أن عباد غير الله شرك أكبر (**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**) [النساء : 36] يقول : هذه آية . هو نص آية واحدة تكفي لكن كل آية تدل على هذا المعنى فهي من المحكمات .

تاسعًا : كل آية فيها إشارة إلى حقيقة العبادة . ما هي هذه العبادة ؟ تعريف العبادة .

عاشرًا : ما دلَّتِ النصوص في الكتاب أو في السنة على أن المسلم قد يرتد ويخرج من الملة ، لأن المشركين يُنَازِعُون في هذا ، مسلم يعني مسلم ، كونه قال : لا إله إلا الله فهو مسلم ، وانتهينا ، لا يمكن أن يكون مشركًا بحال من الأحوال وهذا فاسد .

فهذه محكمات وأصول في باب توحيد العبادة ، هذه لو أدركها كل واحد بأدلتها ما بقيت شبه للمشرك أبدًا ، ما تركت له شاردة ولا واردة .

إذًا الدليل الإجمالي ما ذكرناه . وذكر مثالاً المصنف رحمه الله تعالى سنأتي عليه الدرس القادم بإذن الله تعالى . والله أعلم .

وصلَّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

الدرس 11

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فلا زال الحديث في بيان ما تَعَرَّضَ له المصنف رحمه الله تعالى في رَدِّ شبه المشركين ومن جرى مجراهم ، وذكرنا أن المصنف رحمه الله تعالى قد قَسَّمَ الرد إلى قسمين :

قسم أطلق عليه بأنه مجمل .

ويقابله القسم الثاني وهو : المفصل .

ومراده بالمجمل هو القاعدة عامة لأنه قابله بالمفصل ، إذ المجمل له معنًى خاص عند الأصوليين وله معنًى عند أرباب الجدل ونحوهم ، وهذا الذي عناه المصنف هنا رحمه الله تعالى في قوله : (**مجمل**) .

قال رحمه الله تعالى : (**وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله تعالى في كتابه جوابًا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا**) بل منذ وُجِدَ الشرك وهذه الشبه موجودة لكن المصنف رحمه الله تعالى ذكر ما قد تَعَرَّضَ له هو بنفسه . (**فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين**) ، (**أهل الباطل**) هذا عمم المصنف رحمه الله تعالى إذ البطلان قد يقع على الشرك وقد يقع على ما دونه ، وهو : البدعة ونحوها ، حينئذٍ الجواب يكون عامًا ، وقد ذكرنا أن هذا الجواب المجمل يصلح أن يكون في باب المعتقد وأن يكون في باب الأمر والنهي أو ما يعبر عنه بالفروع أو الفقه . (**من طريقين : مجمل ، ومفصل**) مجملٌ مجملٍ يجوز فيه الوجهان (**من طريقين : مجملٍ**) هذا بدل مفصل من مجمل لأنه قال : (**من طريقين**) ويجوز أولاهما مجملٌ على أنه خبر مبتدأ محذوف (**ومفصل**) إذًا قابله بالمجمل علمنا أن المجمل المراد به القاعدة العامة التي تكون سلاحًا لكل من رد بدعة وضلالة ، والمفصل أن يعين لكل شبه ولكل بدعة رَدُّها الخاص أو النص الخاص الذي جاء به الكتاب والسنة .

(**أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها**) قلنا : قدم المجمل هنا لأنه سلاح عام يستوي فيه العالم الذي لم يستحضر الجواب ، وكذلك العامي ، وكذلك طالب العلم ، حينئذٍ يستمسكِ بهذا الجواب ، (**فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها**) لشموله رد كل شبهة يوردها الخصم . إذًا المراد بالمجمل هنا هو : الجواب العام والبرهان العام الذي يَصْلُحُ أن يكون جوابًا لكل حجة يُورِدُهَا الخصم وهو : قاعدة عامة تصلح لكل أحد من المسلمين . ولذلك ذكرنا أن فيها وجهين من العموم : جهة عموم من حيث المتكلِّم ، وجهة عموم من حيث ما يُرَدُّ به . فكل بدعة وكل شبه سواء كانت في مقام الشرك أو غيره تُرَدُّ لهذا الجواب إذًا هذا عموم لأنه لم يتعرض لعين الشبه لنوعها لخاصيتها ، وإنما ذكر جوابًا عامًا يصلح أن يكون جوابًا لكل شبه يوردها الخصم ، وعموم من جهة المتكلِّم به ، فحينئذٍ يتكلم به طالب العلم ، ويتكلم به العالم الذي لم يستحضر الجواب . ونقول : العالم الذي لم يستحضر الجواب لأنه لا يُنْتَقَلُ إلى هذا النوع العام المجمل إلا عند عدم إمكان المفصل لماذا ؟

لأن الخصم إذا أورد شبه خاصة أو مفصلة معينة فالأصل ماذا ؟ ما علاجها ؟

أن نُورِدَ عليه شيئًا عامًا يشمل تلك الشبه وغيرها أم الأولى أن نأتي بنفس الداء أو الداء فنعالجه ؟

لا شك أنه الثاني ، حينئذٍ نقول : العالم إذا استحضر الجواب المفصل حينئذٍ لا يعدل عنه إلى المجمل إلا على جهة بيان ما جاء به الشرع ، وهو : رد المتشابه إلى المحكم . إذًا فيه عمومان : عموم من جهة المتكلِّم ، وعموم من جهة ما يُرَدُّ به من البدع ونحوها .

قيل : إن هذه القاعدة ليس فيها فائدة متعدية . إذا قلنا : بأنه يرد المتشابه إلى المحكم قال بعضهم : ليس فيها فائدة متعدية . يعني : لا ينتفع بها الخصم ، إذا أورد شبهةً خاصة وقلت له : هذا متشابه يحتمل فنرده إلى المحكم . حينئذٍ هل حصل جواب تلك الشبهة ؟

الجواب : لا ، لم يحصل جواب تلك الشبهة وهذا واضح بين ، قيل : إن هذه القاعدة ليس لها فائدة متعدية وإنما فائدتها مقصورة على نفس الشخص لأن الهدف من هذه القاعدة التخلص من إيرادات الخصم وفائدتها فائدة دفاعية ، فالخصم لا ينتفع بها البتة ، فحينئذٍ هل يُسَلَّمُ هذا القول أم لا ؟

نقول : قد يُسَلَّم وقد لا يُسَلَّم . إذا أريد بأن الشبهة لا تزول إلا بذكر العلاج الخاص بها فحينئذٍ لا ينتفع بها الخصم من أورد الشبهة إذا لم تزل بهذا الجواب العام حينئذٍ نقول : هو لم ينتفع بها ، وإنما استفاد بها المتكلم في دفع تلك الشبهة أو في دفع ذلك الهجوم عليه ؟ حينئذٍ نقول : يُسَلَّمُ هذا القول . وأما إذا كان الخصم قد أكثر في رد المتشابه

إلى المحكم وعلم أن ما استدل به أنه من المتشابه ، وأن ما رُدَّ إليه وهو المحكم - على ما ذكرناه من الأنواع السابقة - وسلم به حينئذٍ نقول : انتفع أو لا ؟ لا شك أنه قد انتفع . إذًا لا يقال : بأن هذه القاعدة ليست ذات ثمرة بالنسبة للخصم ولا يُنفى ذلك ، يعني : لا يثبت مطلقًا ولا ينفى مطلقًا ، وإنما يقال بالتفصيل ؛ لأن القضية هنا قضية علاج ، قضية معالجة لشبهة ومرض في نفس أو ذهن ذلك الخصم ، حينئذٍ إن تأثر بهذا الجواب وعلم أن ما استدل به من المتشابه وكان واجبه أن يرده إلى المحكم حينئذٍ نقول : قد استفاد من هذه القاعدة لأنه سيتلو عليه قوله جل وعلا : (**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**) [آل عمران : 7] . وبين طريقة أهل الزيغ وبين طريقة أهل العلم الراسخين في العلم في التعامل مع المتشابه ، فإن انتفع بهذه الآية وبهذا الإيراد ورَدَّ المتشابه إلى المحكم وقال : الله أعلم بالمتشابه قد لا أعلم معناه ونحو ذلك ، حينئذٍ يكون قد انتفع . إذًا هذا القول ليس على إطلاقه .

(**وذلك قوله تعالى : (هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ)**) بعضه آيات محكمات وعرفنا المراد بالمحكم ما هو ؟ ما اتضحت دلالته أو ما يحتمل إلا معنًى واحدًا ، نقول : هذا محكم . والمتشابه : هو الذي لم تتضح دلالته أو ما احتمل معنًى آخر غير المعنى الذي هو ظاهر من النص سواء كان كتابًا أو سنةً . حينئذٍ نقول : ما احتمل معنًى آخر قلنا : من حيث اللغة والتركيب لا من حيث المراد ، وهنا يَتَعَيَّن هذا القول لماذا ؟ لأن المشرك والمبتدع إذا جاء يستدل بآية أو نص نبوي حينئذٍ الوجه الذي استدل له به بذلك النص له لما قام في ذهنه من بدعة ونحوها نقول : ذلك المعنى [قد يكون مرادًا من النص] [28] قد يكون مأخوذًا من النص لا أقول مراد قد يكون مأخوذًا من النص ، يعني : إذا وقف مع كلمة واحدة من القرآن وقال : هذه عامة تشمل ما ذهبتُ إليه وما ذهبتَ إليه أنت إذًا هو محتمل ، كذلك التركيب الجملة نفسها دون مراعاة سياق الآية من أولها إلى آخرها أو القصة من أولها إلى آخرها أو السورة من أولها إلى آخرها دون مراعاة المراد ، حينئذٍ نقول : من حيث اللفظ ومن حيث التركيب نعم هو محتمل ، لكن هذا الاحتمال ليس من حيث المراد يعني : ليس مرادًا للرب جل وعلا ، وإلا لو سوغنا ذلك لو قلنا : هذا المعنى المحتمل الذي استدل بالنص ذلك المشرك له حينئذٍ نقول : قد جاء في النص ما يؤيد الشرك والبدع وهذا باطل ، أليس كذلك ؟ فكل معنى يحتمل ما يوافق في ذهن المشرك ويجعله دليلاً له نقول : هذا المعنى إذا نظرنا له من حيث النص لوحده دون أن يكون ثَمَّ مراد للرب جل وعلا من النص أو للنبي ﷺ نقول : من حيث التركيب ومن حيث اللفظ قد يحتمل ذلك المعنى ، وأما حيث المراد بالسياق أوله وآخره نقول : لا يمكن محال أن يكون الشرك الذي استدللت له بهذا النص أن يكون مرادًا للرب جل وعلا ، لأننا عندنا أمرًا مقطوع به وهو أن الشرك محرم ، بل هو مردود بالشرع وبالعقل كما نص على ذلك ابن القيم وغيره ، إذًا لا يمكن أن يكون المتشابه الذي استدل به ذلك المشرك أو ذلك المبتدع أن يكون المعنى مرادًا للرب جل وعلا هذا محال ، وإنما قد يتمسك بلفظ أو بتركيب نعم لوحده يحتمل ذلك المعنى الذي استدل له ، والعبرة هنا بالمراد لا باللفظ من حيث هو ، إذًا (**(آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ)**) قلنا : هذا قسم من البراهين من الأدلة وهو : المحكم . وهو : ما لا يحتمل إلا معنًى واحدًا . (**(هُنَّ)**) أي : هذه المحكمات . (**(أُمُّ الْكِتَابِ)**) أي : الأصل الذي يُرْجَعُ إليه في الكتاب القرآن يعني . (**(وَأُخَرُ)**) يعني : آيات أُخر . (**(مُتَشَابِهَاتٌ)**) جمع متشابه وهو : ما لم تتضح دلالته وقد يكون المتشابه داخلاً في باب الأخبار وهو العقائد ونحوها ، وقد يكون داخلاً في باب الأمر والنهي ، ولذلك قعدنا لكم قاعدة فيما سبق في شرح ((**الزاد**)) وفي غيره أن المحكم يُتَمَسَّك به مطلقًا ، النص الواضح البَيِّن أو الإجماع ونحو ذلك يُسْتَمْسَك به ، وكل نص جاء يحتمل معنى خلافًا لذلك الإجماع أو النص حينئذٍ نقول : هذا من المتشابه ، لا يترك المحكم إلى المتشابه ، ولا يلزم أن يكون عندك جواب لذلك المتشابه لا يلزم ، إنما تقول : هذا محكم وهذا متشابه أمر محتمل لا يمكن أن أترك المحكم إلى المتشابه ، بل أقول : المعنى الذي استدللتَ به بهذا النص المتشابه سواء كان في الفقه أو غيره نَرُدُّهُ إلى ذلك المحكم ، فنقول : المعنى المراد هنا ليس المعنى الذي جعلته خلافًا للمحكم ، بل المعنى هنا هو المعنى الموافق لذلك المحكم لأن القرآن يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بعضًا ، وكذلك السنة مفسرة وموضحة للقرآن ، وكلام الله تعالى لا يتناقض ، كذلك كلام النبي ﷺ لا يخالف الشرع .

إذًا (**(وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)**) إذًا في القرآن ما هو متشابه وفي السنة ما هو متشابه ، لكن المراد هنا بالمتشابه هل هو المتشابه المطلق أو النسبي ؟ يعني : الذي لم تتضح دلالته قد يقول عالم : لم أفهم المراد بهذه الآية ، لا أعرف

[28] سبق مستدرك بعده .

معنى هذه الكلمة لا أعرف معنى هذه السورة مثلاً ، حينئذٍ نقول : هذا متشابه أليس كذلك ؟ لأنه جهل معناه تشابه عنه ، حينئذٍ نقول : هل هذا المعنى الذي التبس على شخص بعينه هل هو مستوٍ في حق العلماء والأمة كلها ؟

نقول : هذا لا وجود له ، لا يمكن أن يكون في القرآن ما هو متشابه مطلقًا على كل أحد منذ أن نزل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لا ، وإنما هو باعتبار شخص دون آخر ، فهو متشابه نسبي إضافي باعتبار الشخص ، فقد تجهل أنت معنى حديث ويعلمه غيرك ولو كنت من الراسخين في العلم ، إنما تقول : فيما لا تعلم : الله أعلم . وفيما علمت تتكلم بما علمتم ، حينئذٍ نقول : المشتبه هنا في قوله : ((مُتَشَابِهَاتٌ)) المراد به المتشابه النسبي الإضافي ، وأما المتشابه المطلق من كل وجه لا يفهمه عالم من العلماء ، الأمة كلها تجهله ، نقول : هذا لا وجود له في القرآن لأن الله تعالى أمر الأمة بالتدبر القرآن ولم يستثنِ (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) كلاً وجزءًا كلاً وبعضًا ، يعني : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) هذا أمرٌ أو حسٌّ على تدبر القرآن ، كل القرآن ، وهل ما لا يفهم معناه يمكن تدبره ؟ لا ، إذًا بالأمر بالتدبر علمنا أن كل القرآن يمكن فهمه ، لكن قد يخفى بعض دون آخر .

إذًا قسمت هذه الآية وقسم الرب جل وعلا لنا الأدلة والبراهين إلى نوعين ، قال ابن القيم وهذا أوردناه فيما سبق : قسَّم الله سبحانه الأدلة السمعية إلى قسمين : محكم ، ومتشابه . وجعل المحكم أصلاً للمتشابه أصلاً وأمًا لأنه قال : (هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ) . إذًا من الذي قسّم ؟ الله عز وجل ، إذًا لا مجال لردِّ التقسيم ، معنى التقسيم كيف نتعامل مع المتشابه الذي لم تتضح دلالته ، هل بين الله عز وجل لنا الطريق في التعامل أم تركنا وشأننا ؟ بَيَّنَ لنا ، إذًا قسم وبين لنا كيف نتعامل مع المتشابه . قال : (هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ) . أصل الكتاب إذا كان أصلاً حينئذٍ وجب رد الفرع إليه وهو : المتشابه . قال ابن القيم : قسّم الله سبحانه الأدلة السمعية إلى قسمين : محكم ، ومتشابه . وجعل المحكم أصلاً للمتشابه وأمًا له - أم - يردُّ إليه فما خالف ظاهر المحكم فهو متشابه يردُّ إلى المحكم - هذه جملة مهمة من ابن القيم رحمه الله تعالى - فما خالف ظاهر المحكم - إذًا علمنا ما هو المحكم ما اتضحت دلالته أو ما لا يحتمل إلا معنًى واحد ، إذا خالفه أي نص آخر خالف ظاهر هذا المحكم فهو متشابه ، كيف نفسر هذا المتشابه ؟ بظاهر المحكم ، كيف نفسر هذا المتشابه بماذا ؟ بظاهر المحكم . إذًا رددنا المتشابه إلى المحكم ، فما خالف ظاهر المحكم فهو متشابه يُردُّ إلى المحكم . وقد اتفق المسلمون على هذا ، ما هو ؟ التقسيم الثنائي ورد المتشابه إلى المحكم فما خالف ظاهر المحكم فهو متشابه يُرَدُّ إليه بمعنى أنه يُفَسَّرُ بمعنى المحكم ، فنقول : معنى هذا النص ومراد الرب جل وعلا من هذه الآية ومراد النبي ﷺ من هذا الحديث نقول : مراد الرب هو المراد بهذه الآية التي حكمنا عليه بأنها من المحكم ، وإن كانت في نفسها متشابه . وهذا كما ذكرنا عام في باب الفقه وغيره . وأقول : من استمسك بهذا في الفقهيات خف عنده الاضطراب في الفقه كثير جدًا لا يحتاج كل يوم يكون على قول أو على مذهب ، لماذا ؟ لأنه سيعلم أن هذا أمر محكم . كم من نص يدل على أن قراءة الفاتحة في الصلاة ركن كم من نص ، « **خداج** » . « **لا صلاة** » . متواتر كما نص على ذلك البخاري في جزء القراءة خلف الإمام . حينئذٍ نقول : كل نصٍّ أَوْهَمَ خلاف هذا المحكم الواضح البين فهو مردود إليه نجعله من المتشابه ، حينئذٍ لا نأتي نقول : هذا يحتمل ، نقول : « **لا صلاة** » . هذا نفي « **لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب** » . الصلاة مطلقًا فرض ونفل ، ويصدق على الركعة الأولى والثانية والثالثة والرابعة إذًا هذا واضح بين محكم وجعله البخاري من المتواتر وهو كذلك ، حينئذٍ كل نص يأتي يحتمل أن الفاتحة ليست بركن ماذا نقول ؟ نقول : معنى هذا المتشابه هو معنى ذلك الظاهر « **لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب** » . وهلم جرا وقد اتفق المسلمون على هذا ،وأن المحكم هو الأصل والمتشابه مردود عليه ، مردود عليه يعني : يفسر معناه بمعنى المحكم .

(**وقد صح عن رسول الله أنه قال : « إذا رأيتم الذين يتبعون المتشابه »**) هذا تحذير ، إذًا ليست قضية فقط تقسيم ثم أنت مخير أو مسألة اجتهادية ترد المحكم للمتشابه وتعكس ، لا ، أنت مأمور شرعًا بأن ترد المتشابه إلى المحكم ؛ لأن الوقوف مع المتشابه هذا من علامة أهل الزيغ (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ) [آل عمران : 7] يجعلونه أصلاً يقفون معه ويتركون ذلك المحكم ، وهنا النبي ﷺ يقول : (**« إذا رأيتم الذين »**) وهذا متفق عليه (**« إذا رأيتم الذين يتبعون المتشابه »**) المتشابه ضد المحكم ويتركون المحكم حينئذٍ قال : (**« فأولئك الذين سمى الله في كتابه »**) . (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ) يعني : قصد الفتنة أو كل من اتبع المتشابه فهو مبتغٍ للفتنة قصد أو لا ؟

الثاني ، وهو : أن كل من وقف مع المتشابه سواء قصد الفتنة لنفسه أو لغيره أو هما فهو مبتغٍ للفتنة لماذا ؟

لأنه قد ترك الطريق الشرعي المأمور به في التعامل مع هذا المتشابه ، وهو أنه لا يقف معه ، فلما خالف ولو لم يقصد الفتنة - انتبه ! - ولو لم يقصد الفتنة فإذا خالف هذا الأمر ووقف مع المتشابه وترك المحكم حينئذٍ نقول : هو مبتغٍ للفتنة شاء أم أبى رضي أم لم يرضَ (**« فأولئك الذين سمى الله في كتابه فاحذروهم »**) احذروهم في ماذا ؟ فيما ذكرناه عَمَّمَ هنا (**« فاحذروهم »**) يعني : في أي شيء ؟

نعم .

....

(**« فاحذروهم »**) . يعني : لا ترونهم .

....

لفظ عام يشمل عدم مجالستهم ، ويشمل عدم السماع لهم ، وإن أمكن عدم الرؤية أليس كذلك ، لأنك قد لا تجالسهم قد تشاهدهم في الفضائيات ، فهو عام فالنص حينئذٍ يكون عام ، (**« فاحذروهم »**) مطلقًا يعني : لا تجالس المبتدع ولا تسمع لقوله أبدًا ، وهو منهي كذلك يعني : النص شامل للمجادلة والمناقشة أيضًا ، كما ذكرناه عن النووي ولذلك قال النووي : فيه دلالة على أنه يجب الحذر من أهل الشرك وأهل البدع والهوى . - كما ذكرناه - أن إتباع المتشابه ليس من خصائص المشركين فحسب ، لا ، كل مبتدع حينئذٍ لا بد أن يستمسك بنص ، وهذا النص يكون صادقًا عليه هذا الوصف أنه من المتشابه ، ثم الوقوف مع ذلك النص لا من حيث المراد قطعًا وإنما من حيث ماذا ؟ إذا استمسك المبتدع بنص قرآني قال الله تعالى : (**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**) [الأنعام : 103] . إذًا نفى الرؤية ، استمسك بدليل أو لا ؟

استمسك بدليل معه نص قرآني ، لكن وجه الاستدلال حق أو باطل ؟

باطل ، وكون الاستدلال بالنص الشرعي باطلاً لا يلزم منه بطلان الأصل ، وهو : دليل . لأنه حق قرآن ، حينئذٍ نقول : هذا الذي استمسك بالنص القرآني مستدلاً به على نفي الرؤية مثلاً هل نفى الرؤية بمراد الرب من الآية أو بالوقوف مع المفردات والتراكيب ؟

الثاني ، لأن اللغة حمَّالة تحتمل ، كم من لفظ تجده في القاموس ثلاثة أربع صفحات كلها من لفظ واحد ، إذًا يمكن أن تأتي إلى لفظ واحد وتفتح القاموس واللسان تقول : هذا يحتمل ويحتمل وَيحتمل . لكن هل هو المراد من الآية ؟ هل هو مراد الرب جل وعلا ؟ هنا يأتي البحث والحديث . إذًا قول النووي : من أهل الشرك وأهل البدعة والهوى . إذًا المتبع للمتشابه لا يلزم أن يكون دائمًا مشركًا ، قد يكون مبتدعًا ، وقد يكون صاحب هوى ، فلا يجابون ولا يجادلون إلا إذا أرادوا الحق وظهر ذلك من قولهم وحالهم ، فإجابتهم واجبة .

قال ابن حجر : المراد التحذير من الإصغاء إلى الذين يتبعون المتشابه من القرآن . الإصغاء لا تصغِ لا تستمع ، وإنما يجب الحذر ، وهذا نص قرآني واضح بَيِّن ، ولذلك ذكرنا قول البغوي : " قد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم " .

إذًا (**« فأولئك الذين سمى الله في كتابه فاحذروهم »**) . وهذا تحذير عام من كل صاحب شبهة وهو منهي عنه ، حينئذٍ إذا خالف يكون قد وقع في النهي [ولا تُخْشَى عليه] [29] ، ويَخْشَى عليه من الفتنة .

إذًا هذه القاعدة العامة والقاعدة الإجمالية مضمونها أن الدليل القطعي والإجماع والقواعد والأصول والنصوص الصريحة لا تعارض بدليل محتمل ، فلا تترك القطعيات بل يثبت عليها ويلزمه حينئذٍ أن ينفي الاستدلال استدلال الخصم نفيًا إجماليًّا ، يعني : ينفي استنباطه من الآية ، والاستدلال بالنص من حيث الاستمساك هذا واضح أنك لم تُحَكِّمْ غير الشرع هذا الأصل ، يعني : جئت بدليل من كتاب أو سنة وهذا حال كل مسلم ، لكن وجه الاستدلال بهذا النص نقول : هذا استدلال يجب نفيه .

ثم مَثَّلَ المصنف رحمه الله تعالى مثال تطبيقي لاستخدام هذا الأسلوب وهو القاعدة العامة ، (**مثال ذلك**) المثال كما ذكرناه جزئي يذكر لإيضاح القاعدة فأراد أن يوضح القاعدة بهذا المثال (**مثال**) تطبيقي (**إذا قال لك بعض المشركين : (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * [الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ] [30]) [يونس : 62 ، 63]**)

هذه آية يستدل بها أرباب الشرك في الاحتجاج لعقيدتهم الشركية إذًا استدل .

([29]) سبق .

([30]) الآية الثانية ليست واردة في استدلال الشيخ محمد عبد الوهاب وذكرها الشيخ هنا ليبين الرد عليهم وأن احتجاجهم مبتور .

....

أي نعم أنا كملتها من أجل أن نرد عليهم سيأتي (**(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)**) هذا نص قرآني يستدل به المشرك على عقيدته الشركية هو يتبع ماذا ؟ يتبع هواه في الوقوف مع هذه الآية ، فيستدل بها على أن ذبحه عند قبر الولي ، وكذلك طوافه ، وكذلك استغاثته بالولي .. ونحو ذلك ، أنه ليس بشرك ، ما وجه الاستدلال عندهم بهذه الآية ؟ نقول : (**أَوْلِيَاء**) هذا جمع ولي ، والولي مثل اللفظ الذي سبق معنا مرارًا وهو لفظ الصالح يعني : يُطلق ويراد به من أقام حدود الله جل وعلا حقوق الله جل وعلا وحقوق عباده يعني : المطيع الممتثل أم الصالح الذي يعبر عنه بالشهيد ، فيشمل حينئذٍ الصديق ويشمل النبي ويشمل الشهيد ويشمل كل مطيع لله عز وجل ، حينئذٍ الولي قال الله عز وجل : (**لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**) . (**لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**) قيل : في الدنيا . (**وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**) في الآخرة ، ثبت بهذا النص أن للأولياء مكانة وجاه عند الله تعالى أليس كذلك ؟ يُسَلَّم أو لا يُسَلَّم ؟

نقول : نعم يُسَلَّم لأن الله عز وجل أكرمهم وبين منزلتهم عنده ، وهو أنه (**لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**) حينئذٍ يزيد عليها المشرك فيجعل هذه المكانة وهذه المنزلة سببًا في الوصول إلى ما عند الله تعالى إذا سأل ذلك الولي ، حينئذٍ نقول : كون النص دالاً على مكانة ومنزلة للولي عند الله تعالى لا يَسْتَلْزِم أن يتقرب إلى الله سبحانه بذلك الولي ، ولكنه قد زاد على النص شيئًا آخر من عند نفسه وهو أن هؤلاء الأولياء لهم جاه عند الله - وهذا حق - إلا أنه يُسأل الرب جل وعلا بهذا الجاه . نقول : هذا باطل . إذًا دلت الآية على أن الأولياء لهم منزلة عظيمة عند الله تعالى ، ثم يقول : الشفاعة حق . هذا تابع لدليله (**أو إن الشفاعة حق**) ، (**أو إن الأنبياء لهم جاه عند الله**) ، والثانية إن الشفاعة حق هذه مأخوذة من نصوص أخرى (**أو إن وأن الأنبياء لهم جاه عند الله**) هذا مأخوذ من النص الذي ذكره ، لأن الولي هذا عام يشمل النبي ويشمل الصديق ويشمل الصالح ويشمل الشهيد وكل من أطاع الله جل وعلا . (**أو ذكر كلامًا للنبي يستدل به على باطله**) يعني : جاء بنص يستدل به على أن التقرب إلى الأولياء لا يعتبر شركًا (**وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره**) . إذًا هذه كلها مقدمة واحدة وإن شئت اجعلها مقدمات ، لكنها كلها مركبة بعضها على بعض (**(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)**) هذه قلنا : استدل بها على أن الأولياء لهم جاه عند الله تعالى - وهذا حق - بمعنى جاه أقصد بالجاه المراد به المنزلة والمكانة ، ودليل ذلك أن الله تعالى رتب الأجر الذي ذكره في الآية (**(لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)**) قيل : في الدنيا . **((وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)**) في الآخرة هذا فضل أو لا ؟ نقول : نعم فضل ، وهذا لا يكون لمن يكون وليًّا وغير الولي ، لا ، بل هو خاص بالأولياء وهم المطيعون للرب جل وعلا ، حينئذٍ لهم منزلة ولهم مكانة ولهم جاه ، هل أذن الرب بأن يُتَقَرَّبَ إليه بجاه أولئك الأولياء ؟

نقول : لا ، المشرك وقف مع هذه الجزئية الأخيرة وأفتى نفسه بأنه يجوز أن يأتي إلى الولي فيسأله أن يسأل الله تعالى المغفرة أو الحاجات أو دفع الكربات ، نقول : هذا زيادة على النص ، وأما النص نفسه فليس فيه ما ذهب إليه ، دلت الآية على أن الأولياء لهم منزلة عظمية عند الله تعالى ، ثم يقول : الشفاعة حق . أو يقول : الولي له جاه والشفاعة حق ، والأنبياء لهم جاه حينئذٍ هل هذا شرك أو لا ؟ يقول : ليس بشرك . فهو زاد حينئذٍ على أن هذا الجاه لا يُرَدّ إذا توسطوا به ، فالآية أثبتت وجود الجاه للأولياء عند الله تعالى ، هو زاد على النص بأن هذا الجاه إذا توسطوا به إلى الرب جل وعلا لا يُرَدُّ لمكانتهم ومنزلتهم ، وهذا كما سبق معنا في علة الشرك وهو أنهم قاسوا الرب جل وعلا أو المخلوق على الرب جل ، قاسوا الرب جل وعلا على ملوك الدنيا ، قالوا : ملوك الدنيا من لهم منزلة عنده حينئذٍ يقضون الحوائج لهم لأنهم ملوك وهؤلاء وسطاء فيأتي الناس إلى أولئك الوسطاء فيسألونهم ويقضي الملوك حاجتهم ، قاسوا الرب جل وعلا على ملوك الأرض فقالوا : هؤلاء لهم منزلة ومكانة كما أن حاشية الملك لهم منزلة ومكانة . فذهبوا إلى هؤلاء الأولياء الذين دلّ النص على أن لهم مكانة ومنزلة عند الله تعالى فتوسطوا بهم إلى الرب جل وعلا ، فنقول : هذا هو عين الشرك - كما سيأتي - .

إذًا (**إن الشفاعة حق أو إن الأنبياء لهم جاه عند الله**) هذه مرتبة على الآية ، أو جاء بدليل يستدل به على أن التقرب إلى الأولياء ليس بشرك ، (**وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره**) يعني : لا تدري ما معناه . وليس المراد أنه ليس له معنى ، لا ، لأنه سيستدل بنص إما قرآن وإما سنة ، وهذا كما ذكرناه لو كان متشابهًا إنما يكون نسبيًا يعني : لا يعرف بعضه بعض العلماء معناه ، ويعرفه الآخر حينئذٍ يكون المتشابه هنا نسبيًّا ، فيستدل الخصم بهذه الآية على أن الأولياء يُدْعَوْنَ ويُسْتَغَاثُ بهم ويُنْذَرُ لهم لِمَا لهم من المكانة والجاه عند الله تعالى ، وهو لو وقف مع النص ولم يزد عليه شيئًا من عنده لَمَا وقع فيما وقع فيه ، لأن الآية دلت على أن لهم مكانة ومنزلة ، لكن الله جل

وعلا لم يخبرنا بهذا من أجل أن نجعلهم وسطاء بين الخلق وبين الرب جل وعلا ، وهذه المقدمة الثانية أو الثالثة إنما زادها المشرك ووقع في الشرك ، حينئذٍ استدلالهم بالآية نقول : هذا استدلال ظني وهمي ، يعني : لا يمكن أن يقيم مشرك على صحة شركه بآية ، هذا محال ، لو أقام على دعوى شركه وعقيدته الفاسدة بنص قرآني لقلنا : الشرك قد جاء به الشرع ، وهذا باطل ، لأنه محرم ومجمع على تحريمه بل هو باطل ومن أبطل الباطل ، وظلم ومن أظلم الظلم ، حينئذٍ لا يمكن أن يأتي بآية ، ولذلك قد يستدل بآيات وإذا أردت أن تقف أنت معه مع المعنى الذي في ذهنك قد لا تستطيع الجمع بينهما لماذا ؟ لأنك لا بد وأن تجعل ما قَدَّرَهُ في ذهنه إنما هو وَهْمٌ ليس في النص ما يَدُلُّ عليه وإلا النص الذي وقفنا معه الآن (**(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)**) ليس فيه ما يعتقده المشرك وهو أن يتوسط بهؤلاء الأولياء ويجعلهم قربة بينه وبين الله تعالى ، إذ لو دلَّ النص على هذا المعنى حينئذٍ لا يمكن أن نقول : بأن الشرك مطلق أو محرم ، وهذا باطل . إذًا كل نصٍّ يتمسك به المشرك لا يمكن أن يكون فيه رائحة ما استدل به إلا اللهم ما ذكرناه سابقًا من أن يقف مع لفظ لوحده ويقول : هذا يحتمل وهذا يحتمل . حينئذٍ نردُّه بالنصوص الأخرى .

إذًا يستدل الخصم بهذه الآية على أن الأولياء يُدْعَوْن ويُسْتَغَاث بهم ويُنْذَرُ لهم لِمَا لهم من المكانة والجاه عند الله . وهذا الاستدلال نقول : هذا باطل .

قال : (**فجاوبه**) . يعني : أجبه . (**بقولك : إن الله تعال ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه**) هل في الآية محكم ومتشابه ؟ الآية هذه هل فيها محكم ومتشابه ؟ (**(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)**) هل فيها محكم ومتشابه ؟ المتشابه باعتباره هو الْمُسْتَدِل الْخَصْم ، وأما باعتبار صاحب العقيدة الحق فليس فيها متشابه لماذا ؟ لأنه ينظر إليها بنظر مراد الرب جل وعلا ، ولا يمكن أن تكون الآية هذه إلا موافقةً لقوله تعالى : (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) [الجن : 18] . ولا بد وأن يُنظر إليها وهي موافقةً لقوله تعالى : (**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**) [النساء : 36] . ومع قولهم : (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) [الزمر : 3] . في بيان حقيقة شركهم . إذًا لا يمكن أن يُنظر لنص واحد ويُوقف معه ويُترك وتُهجر بقية النصوص . إذًا استدلاله بهذا النص على عقيدته استدلال وهمي ولا وجود له في الحقيقة ، لماذا ؟ لأنه كما ذكرناه ما من صاحب بدعة إلا ولا بد وأن يستمسك بنص ليدل على أن هذا الذي فعله أو قاله إنما هو مأخوذ من كتاب أو سنة ، فحينئذٍ لا بد أن يزيد من مدلول النص ، لا بد أن يزيد على مدلول النص هنا قال : (**فأجبه**) . (**إن الله تعالى ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ**) وهو : الميل عن الاستقامة . (**يتركون المحكم ويتبعون المتشابه**) ، فأنت تركتَ حينئذٍ المحكم كالآية التي ذكرناها ولذلك لا بد أن نعرف المحكمات في باب التوحيد توحيد العبادة ، وهذه ذكرناها فيما سبق ، بل كل ما ذكره المصنف من أول الكتاب إلى الشروع في رد الشبه كله من المحكمات ، فمن أتقن تلك المقدمة حينئذٍ عرف الجواب عما يُورِدُهُ أرباب الشرك ، فأنت تركت المحكم في قوله : (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) . وأخذتَ بالمتشابه ، أي متشابه ؟ المتشابه النسبي ، إذا التبست عليك آية وظننت أنها تدل على جواز التقرب [إلى الأولياء] [31] إلى الله تعالى بواسطة الأولياء حينئذٍ هذا في حقك متشابه لأنه صار محتمل لمعنيين (**(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)**) محتمل أنك تتوسط بهم إلى الله ، ويحتمل معنًى آخر ، المعنى الأول نذكره من باب التنزه فقط في الجدل وإلا لا وجود له ، حينئذٍ نُثبت له بأن استدلالك ووقوفك مع هذه الآية وقوف مع المتشابه ، وأما باعتبارنا نحن أهل الحق نقول : ليس عندنا هذا النص من المتشابه ، وإنما ننظر إليه بنظر المشرك الخصم الذي استدل بهذا النص ، فقوله : (**(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)**) . محتمل لمعنيين :

أن تجعلهم واسطة بينك وبين الله وهذا من باب التنزه .

أن لا يحتمل ذلك .

إذًا احتمل معنيين ماذا نصنع ؟

نرده إلى المحكم (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) هذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية (**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**) معنى محكم مجمع عليه وهو قطعي ، وإذا كان كذلك حينئذٍ وقوفك مع هذا المتشابه وترك المحكم هذا من إتباع الهوى ، وهو من طريقة أهل الزيغ .

إذًا عرفنا المراد بكون هل الآية من المتشابه أو لا ؟

([31]) سبق .

عرفنا ؟

المتشابه ما احتمل معنيين ، أو ما لم تتضح دلالته ، أنت لا تنظر إليه النص بنظرك أنت الموحد ، وإنما تنظر إليه تنزلاً بنظر المشرك فتقول : هذا يحتمل المعنيين : تُشرك ، لا تُشرك من باب التنزل . فحينئذٍ تجعله من المتشابه النسبي عنده فترده إلى المحكم .

(وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية ، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء مع قولهم : (هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ) [يونس : 18] وهذا أمر محكم لا يقدر أحد أن يغير معناه) .

إذًا المقدمة الأولى تثبت أن هذه الطريقة وهي : إتباع المتشابه وتجعل الآية من المتشابه أن هذه الطريقة من طريقة أهل الزيغ ، ثم أولئك القوم الذين كفرهم الله عز وجل وأمر نبيه بقتالهم كانوا مقرين بربوبية الرب جل وعلا ، وأنه منفرد بالخلق والرزق والتدبير ونحو ذلك ، وهذا سبق أنه من المحكمات ، وإنما جعلوا تلك الأصنام أو الملائكة أو الأنبياء وسائط بينهم وبين الله تعالى ، ما الفرق بينك أنت الذي جعلت الأولياء قربة وواسطة بينك وبين الله وبين أولئك المشركين ؟

لا فرق .

إذًا ما ادَّعَيْتَهُ من أنه ليس بشرك استدلالاً بهذا النص هو عين ما أمر الله تعالى به نبيه عليه الصلاة والسلام قتال المشركين عليه ، مع إقرارهم بتوحيد الربوبية ، وكونهم تعلقوا بالصالحين . إذًا (**وما ذكرت لك**) ترد عليهم بما ذكرت لك سابقًا من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية إذًا بيان حال المشركين هذا قلنا يؤخذ من جهتين ، حال المشركين يؤخذ من جهتين :

الجهة الأولى : النص القرآني .

الجهة الثانية : التأريخ .

إذًا ننظر في التاريخ وننظر في معاملة النبي ﷺ لأولئك الأقوام ، وننظر في ما حكى الله تعالى عنهم من بعض الأقوال أو الأعمال وحكم عليهم بكونهم مشركين .

إذًا نفي الفارق بين المشركين المتأخرين والمتقدمين نقول : هذا يَسْحَب الحكم بالشرك الذي حكم به الرب جل وعلا على المتقدمين نَسْحَبُهُ على المتأخرين . إذ الفعل واحد والحكم واحد ، والحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا . إذًا تمسكهم بهذه الآية بأنهم أولياء حينئذٍ لا يُخْرِجُهم عن عقيدة المشركين .

إذًا هذا المثال عرفناه ونقول توضيح المثال : أن من شبه المشركين قولهم أن الأولياء لهم مكانة وجاه عند الله ونحن إنما نسأل بجاههم ومكانتهم أو يقول : نحن لا نريد منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات من دون الله ولكن الشفاعة حق ونريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله لأنهم أهل صلاح وجاه عنده سبحانه ، ونحن نريد من الله بجاههم وشفاعتهم . نقول : هذا هو عين الشرك الذي قاتل النبي ﷺ المشركين .

(وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن) الآية السابقة **(أو كلام رسول الله ﷺ لا أعرف معناه)** يعني : مما تدَّعِي أنه حق ، أنا لا أعرف معناه ، قد يجهل عامي مثلاً هذه الآية فلا يدري المراد يقول : الله أعلم بها لكن عندي ما أقطع بأنه حق وهو : أن التقرب إلى الأولياء بالذبح أو الاستغاثة هذا هو عين الشرك ومحرم ، وأما هذه الآية فالله أعلم بها . إذًا رد المتشابه إلى المحكم (**لا أعرف معناه ، ولكن أقطع وأجزم أن كلام الله لا يتناقض**) يعني : لا يناقض بعضه بعضًا لأنه حق كله حق ، (**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**) [النساء : 82] (

وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله تعالى عز وجل) لأنه (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**) [النجم : 3 ، 4] إذًا رد المتشابه إلى المحكم إذا استدل بأي آية سواء كانت تتعلق بالشفاعة أو تتعلق بمكانة الأولياء والأنبياء ونحو ذلك وأراد أن يُطَوِّعَ هذه الآية لِمَا في ذهنه من عقيدة الشرك والمشركين ، حينئذٍ إذا جهلت الجواب عن هذا النص المعين فماذا تصنع ؟ تكل علمه إلى الله تعالى ، تقول : (**لا أعرف معناه**) . ولكن عندي قاعدة وعندي آية وعندي إجماع أن هذا من العبادة وأن صرف العبادة شرك أكبر ، وأن الله تعالى حكى لنا في القرآن حال المشركين وأنهم اتخذوا الأنبياء والملائكة والأصنام وسائط بينهم وبين الله تعالى وجعلوهم شفعاء وزلفى ولم يعبدوها لذواتها وإنما للتوسط عند الله بما طلبوه منها وهذا هو عين الشرك ، وما تفعله أنتَ هو الذي حكم الله تعالى على المتقدمين بأنه شرك أكبر وقاتلهم النبي ﷺ ، وما فعلتَه هو عين ذلك الفعل والحكم هو الحكم والفعل هو الفعل .

وبعضهم جعل المحكم من الآية السابقة (**(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)**) أن الأولياء المؤمنين لا يرضون بالشرك والمحكم هو تتمة الآية (**(الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)** [يونس : 63] فكل مؤمن تقي لا يرضى بالشرك البتة ، حينئذٍ هذا محكم أو لا ؟ نقول : هذا محكم .

إذًا الجواب يكون من طريقين :

أولاً : أن إتباع المتشابه طريق أهل الزيغ وهذا نص القرآن كما في آية آل عمران .

الثاني : أن كلام الرسول لا يعارض ولا يناقضه وهذا محكم ، والقرآن كذلك لا يتناقض وهذا أمر محكم .

وقال الشيخ هنا في تتمة هذا الجواب : (**وهذا جواب جيد**) . هذا يعني : جواب مجمل وهو : رد المتشابه إلى المحكم . (**جواب جيد**) يقال : هذا شيء جيد . يعني : إذا كان حسنًا (**سديد**) أمر سديد وأَسَدّ أي : قاصد . لماذا هو جواب سديد ؟ من أجاب بهذا الجواب نعم .

....

لأنه امتثل الأمر ، وكل من امتثل الأمر حينئذٍ فعله أو قوله جيد سديد ، فإذا أشكل المعنى على الشخص حينئذٍ لا يتكلم ويأتي بمعنى من ذهنه ، وإنما يَرُدُّ ذلك إلى المحكم وهذا جواب جيد سديد ، لأنه هو الذي أمر به الرب جل وعلا ، وهو رد المتشابه إلى المحكم (**ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله**) وأعانه وسدده لا يفهمه بحيث يطبقه أما من حيث الفهم العام هذا قد يفهمه العامي لذلك قلنا قدمه المصنف على المفصل لأن العامي قد يجيب بهذا الجواب ، بل هو السلاح الذي يمكن أن يعتمد عليه العوام يحتاج إلى توفيق لماذا ؟

لأن النفس قد تُنَازِع ، قد يكون عندها نوع هوى ، وقد يكون عندنا نوع سلطان وخاصة إذا كان عالم أو طالب علم قد لا يستطيع أن يقول : الله أعلم . أو ما أدري ، قد يعجز قد يسقط قد يزل ، حينئذٍ قد يتكلف ما لا يعنيه ، وقد يتسلط على نص فيأتي بما يوحيه إليه ذهنه دون أن يرجع إلى أقوال العلماء ، حينئذٍ هذا العمل أو التطبيق لهذا الجواب العام يحتاج إلى تقوى إلى ورع أن يقول : هذا النص لا أدري ما معناه نحتاج سؤال أهل العلم ، نسيت مراد الرب جل وعلا من هذا النص ، وهذه دعاوى قد تضعف النفس عن الإتيان بها . إذًا (**ولكن لا يفهمه**) يعني : ليس المراد به الفهم العام وهو إدراك معنى الكلام ، وإنما الفهم الذي يُثْمِرُ العمل لأنه قد يعجز ويأتي ويَشْرَع في الردِّ التفصيلي وهو أحوج ما يكون إلى الرد العام الجواب العام ، فيشرع في الرد التفصيلي فيزل لأنه إذا دخل في تفسير المتشابه دون علم حينئذٍ لم يتبع طريقة الراسخين في العلم ، وإنما اتبع طريقة أهل الزيغ والضلال ، (**ولا تستهونه**) يعني : لا يُستهان به لأنه شيء عظيم كما ذكره في أول الجواب (**فإنه كما قال تعالى : (وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) [فصلت : 35]**) أي : وما يلقى هذه الفعلة والخصلة الشريفة التي هي : الدفع بالتي هي أحسن . (**(إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)**) لكونها من خصال الخير ومكارم الأخلاق التي هي من خصال خواص الخلق ، وهنا يحتاج إلى صبر يعني : يصبر على أن يقول : الله أعلم . وهذه ما أبردها عند بعضهم وما أثقلها عند كثيرين ، يقول : الله أعلم أو لا أدري أو لا أعرف أو نسيت أو لم أبحث هذه المسألة لم أنظر ، حينئذٍ هذه تحتاج إلى صبر ، لكن كما قال تعالى هنا : (**(وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)**) . إذًا هذا هو الرد الإجمالي الذي يستمسك به كل عامي ، أو طالب علم ، أو عالم قد نسي الجواب وهو : رد المتشابه إلى المحكم .

(**وأما الجواب المفصّل : فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه**) .

(**الجواب المفصّل**) من التفصيل وهو : أن يوضع لكل شبهةٍ ردّها من كتاب وسنة ، كل شبهة يأتي بها ويستدل عليها الخصم حينئذٍ يكون لها جواب في الكتاب أو السنة :

إما جواب خاص بأن تكون تلك الواقعة وتلك الشبهة وردت في زمن النبي ﷺ وردها الله تعالى بنص قرآني أو النبي ﷺ .

وإما أن يدل عليها لفظ عام .

(**فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة**) . (**أعداء الله**) المراد به المشركون هنا لأنه واجهة منهم (**لهم اعتراضات**) والمراد بالاعتراضات هنا شبه (**كثيرة على دين الرسل**) لم يقل علينا أو على العلماء ، وإنما قال : (**على دين الرسل**) . لأنه كما سبق من المحكمات أن التوحيد بالمفهوم الحق أنه مجمع عليه بين الرسل ، ولا خلاف لا قوي ولا ضعيف ولا متوسط كلها غير معتبرة هنا ، في فهم التوحيد الذي جاءت به الرسل ، إذًا أجمعوا وقلنا :

هذا أعلى درجات الإجماع القطعي ، وهو أن التوحيد هو لا إله إلا الله لا معبود حق إلا الله ، وأن كلمة المرسلين الأنبياء اتفقت على هذا المعنى ولا خلاف بين الرسل في هذا المعنى ، حينئذٍ نقول : من عادى العلماء الدعاة إلى التوحيد الحق فهو معادٍ للرسل ، ولذلك المصنف هنا قال : (**اعتراضات كثيرة على دين الرسل**) يعني : إذا نصصنا على حكم قلنا : هذا محكم مجمع عليه . نقول : يَرِدُ عليك . لا ، ما يرد عليّ ، أنت لا تورد عليه المتكلم يرد عليك كذا نقول : لا ، انتبه هذا لا يرد عليَّ أنا ، أنت تقول : يَرِدُ على الله أليس كذلك ؟ إذا كان الأمر مجمع المسائل المستنبطة التي يقع فيها خلاف ، نعم ، يَرِدُ عليك يعني : على استدلالك أنتَ على فهمك للنص لا إشكال فيه ، أما الأمور المجمع عليها والمحكمات في مقام التوحيد والعقيدة لا يقول قائل : يَرِدُ عليك لأنه إذا قلت : يَرِدُ عليك . معناه أوردته على النبي ، وأوردته على الرب جل وعلا ، وهنا لعل النكتة في تَحَوُّل النص هنا المصنف رحمه الله تعالى قوله : (**اعتراضات كثيرة على دين الرسل**) . ولم يقل علينا لأنه في الأول قال : (**وأنا أذكر أشياء مما ذكر الله في كتابه جوابًا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا**) . يعني : على دعوتنا . والدعوة هنا دعوة التوحيد وهذه الدعوة كما ذكرنا لا خلاف فيها ، وهنا عدل عن تلك العبارة فقال : (**على دين الرسل**) . للمعنى الذي ذكرناه ،

لأن الأمر محكم ومجمع عليه ، فمن رَدَّهُ على العالم فقد رَدَّهُ على الرب حل وعلا ، (**يصدون بها**) يعني : بهذه الاعتراضات وبهذه الشبه يصدون الناس عنه ، وهذا ظاهر فيما إذ كان من أهل العلم ، إذا تكلم بالشبهة واتبعه أناس حينئذٍ حصل الصدُّ سواء كان قصدًا أو لا ، يكون صادًّا عن السنة ويكون صادًّا عن التوحيد سواء قصد أو لا ، لما ذكرناه سابقًا لأن كل متبعٍ للمتشابه وترك المحكم ، حينئذٍ هو مبتغٍ للفتنة ، سواء قصد أو لا ، وإن كانت نيته حسنة النية الحسنة والمقصد الحسن هنا لا أثر له في الحكم على قوله بأنه بدعة أو شرك ، أو عليه هو بأنه مشرك أو مبتدع ، لأن الذي يفعله المشرك عند القبر هو يقول : ليس بشرك لو اعتقد أنه شرك ما فعله . أليس كذلك ؟ مسلم موحد يقول : لا إله إلا الله . فالأصل على توحيده هو ويصلي ويعظم النبي ﷺ ويريد الجنة ويفرّ من النار ويعلم هذا كله ثم يتعمد ويتقصد الشرك ، هذا لا وجود له ، واضح ؟ قصد الشرك ليس شرطًا في الحكم على المشرك بأنه مشرك ، ومثله الكفر على القول بالتفريق يعني : لا يُشترط في الحكم على الكافر بأنه كافر إلا إذا قصد الكفر يعني : علم أن هذا القول كفر . حينئذٍ نُنَزِّلُ الحكم عليه ، نقول : لا ما دام أنه فعله ولو لم يعلم أنه كفر حينئذٍ نُنَزِّلُ الحكم عليه بأنه شرك أو كفر . إذًا قوله : (**يصدون بها الناس عنه**) . عن الدين دين الرسل فهذا الصدُّ قد يكون مقصودًا وقد لا يكون مقصودًا للعموم الذي ذكرناه في الآية السابقة ، (**منها**) من هذه الاعتراضات الكثيرة على دين الرسل (**قولهم : نحن لا نشرك بالله**) . (**منها**) يعني : إذا قلت لعباد القبور إذا قلت لهم : سؤال الأولياء والصالحين من الأموات ليشفعوا لك عند الله تعالى هذا شرك أكبر . الذبح عند القبر والاستغاثة بالنبي ﷺ نقول : هذا كله شرك أكبر . هو يقول : لا ، ليس بشرك . هو لا يقصد الشرك هذا قطعًا لا يقصد الشرك ، لكن نحن نقول له : هذا شرك أكبر . ماذا يجيب عنده شبهة يُرِدُهَا على أهل الحق (**نحن لا نشرك بالله شيئًا بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ، فضلاً عن عبد القادر أو غيره**) الحسين وغيره ، مما درسناه سابقًا الآن نطبق المقدمة السابقة هو يذبح عند القبر ، هذا شرك أكبر ، لا (**نحن لا نشرك بالله شيئًا بل نشهد**) ونقر (**أنه لا يخلق ولا يرزق**) إلا إذًا (**لا نشرك**) أي شرك هذا ؟ إذًا نفى شركًا ليس هو مرادنا ، المراد الوقوع في الشرك الذي هو شرك في العبادة وهذا أهم وأعظم شأنًا من الوقوع في الشرك في الربوبية ، حينئذٍ هذه المسألة مبناها على مسألة سابقة قلنا : هي التي أدت إلى وقوع علماء في مثل هذا وهي : تفسير لا إله إلا الله .

إذًا كل هذه الشبه لها ارتباط بالمقدمات السابقة ، إذا أردت ضبط الردود هنا لا بد من ضبط تلك المسائل ، لما فسروا لا إله إلا الله لا خالق إلا الله ، إذًا لا يقول : لا معبود إلا الله . لأن الذبح عند القبر والاستغاثة بالأموات هذا من العبادات ، فلو قال : لا معبود إلا الله . إذًا لا يُذْبَحُ إلا لله ولا يُسْتَغَاثُ إلا بالله ، فلو فَسَّر لا إله إلا الله بالمعنى الصحيح حينئذٍ لَمَا وقع في هذا الشرك ، لكن لَمَّا حصل انحراف في تفسير لا إله إلا الله وهو أنه لا خالق إلا الله ، إذًا لو ذبح لغير الله ليس هو الذي نفته لا إله إلا الله ، وإنما الذي نفته لا إله إلا الله أن لا يُدَّعَى مع الله تعالى خالق ، وهذا لا وجود له البتة ، لا وجود لمن يَدَّعِي أن ثَمَّ خالقًا مع الله تعالى ، أو رازقًا مع الله تعالى ، أو من ينفع أو يضر مع الله تعالى ، هذا المشركون المتقدمون مجموعون على عدم وجوده ، فهو إجماع قطعي أيضًا ، إجماع قطعي فحينئذٍ قوله : (**نحن لا نشرك بالله شيئًا**) . (**لا نشرك**) أي : لا نشرك به في الربوبية ، ولذلك انتقل إلى تفسير هذا الشرك فقال : (**بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق**) . وهذا نفي للوقوع في الشرك في الربوبية لا في العبادة ، إذًا

حصل عنده خلل في المقدمة الأولى وهي في مفهوم الشرك الشرعي الحقيقي ، ما هو الشرك ؟ (**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا**) [البقرة : 22] (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) [الجن : 18] وهذا قد جعل مع الله أندادًا ودعا مع الله أحدًا ، إذًا نقول : الشرك بالله عز وجل له حقيقة شرعية لأنه نقيض التوحيد ، وكما أن التوحيد ثلاثة أقسام : توحيد الألوهية ، والربوبية ، والأسماء والصفات . نقيضها الشرك في الربوبية ، والشرك في الألوهية ، والشرك في الأسماء والصفات . فمن لم يفهم التوحيد على الوجه الصحيح حينئذٍ : لا يمكن أن يفهم الشرك على الوجه الصحيح ، فكما أن التوحيد له حقيقةٌ شرعية جاء بها الشرع فكذلك الشرك له حقيقة شرعية ، بمعنى أن اللفظ لا ينظر إليه إلى المعنى اللغوي فحسب شرك توحيد فقط المعنى اللغوي ، إله المعنى اللغوي ، نقول : لا ، الله ، المعنى اللغوي لا ننظر إليه من جهة اللغة فحسب وإنما تكون اللغة معينة في فهم أصل المعنى الذي دلّ عليه لفظ الشرك إذا جاء في النص القرآني أو الحديث النبوي ، يكون الأصل بمعنى التشريك له إشارة من حيث المعنى اللغوي ، وأما المعنى العام الذي إذا أطلق في الشرع فينصرف إليه هذا نقول : حقيقة شرعية لا بد من استقراء النصوص نصوص الوحيين .

إذًا : الشرك بالله له حقيقةٌ شرعية لأنه نقيض التوحيد وكما أن التوحيد ثلاثة أقسام فكذلك الشرك ثلاثة أقسام :

شركٌ في الربوبية كقوله : (**وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ**) [سبأ : 22] . أي : من شركٍ في التدبير ، والتصريف .

والثاني : شركٌ في الألوهية (**وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**) [الكهف : 110] . والثالث : الشرك بالأسماء والصفات (**وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ**) [الإخلاص : 4] حينئذٍ قوله : (**نحن لا نشرك بالله**) . هذا بحسب اعتقاده هو ، فلا يُفهم من لفظ الشرك في قول المشرك : لا نشرك بالله شيئًا . الشرك الشرعي ، وإنما المراد به الشرك في الربوبية ، لأنه حصل عندهم انحرافٌ في معنى لا إله إلا الله في معنى التوحيد كلمة التوحيد لزم منه وقوع انحرافٍ في مفهوم ضد التوحيد وهو الشرك ، فإذا قال : أنا موحد ، انتبه ، وإذا قال : لست مشركًا ، انتبه . لا بد أن تعرف القائل من هو أليس كذلك ؟ فإذا كان مشركًا وعلى طريقة الأشاعرة والمعتزلة والماتريدية حينئذٍ يكون تفسير لا إله إلا الله لا خالق أو لا قادر على الاختراع إلا الله ، وهذا ليس بالتوحيد الذي جاءت به الرسل . إذًا : قوله : (**نحن لا نشرك بالله**) . أي : بحسب اعتقاده هو وأن الشرك إنما يكون في الربوبية فبناءً على التفسير الْبِدْعِي لكلمة التوحيد يفسر قوله : (**لا نشرك بالله ، بل نشهد أنه**) . (**نشهد**) هذا تعليل لنفي الشرك ، لماذا نفيت الشرك ؟ ما وجهه ؟ قال : لا نحن [نعم] ، (**نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق**) إلا الله وحده (**لا يخلق ولا يرزق**) يعني : استقلالاً أما بالوساطة فنعم ، كيف هذا ؟ استقلالاً يا عبد القادر أعطني ولدًا ، هذا ما يقوله المشرك ، أمَّا يا عبد القادر ادعوا الله لي أن يرزقني ولدًا ، بالواسطة وقع أو لا ؟ إذًا : قوله : (**بل نشهد**) . أي : نعتقد ونقرُّ ، هذا تعليلٌ لنفي الشرك عنه أنه لا يخلق ولا يرزق استقلالاً ، كذلك الرزق لا يكون منفيًا عنهم إلا على جهة الاستقلال ، فإذا قال المشرك الأموات نحن ندعوهم لكنها لا ترزق ، نعتقد أنها لا ترزق ، نقول : مباشرةً وواسطةً ؟ إن قالوا : نعم سَلِمُوا بَرِؤوا من الشرك ، أمَّا إذا قالوا : مباشرةً لا واسطةً . حينئذٍ نقول : وقعوا في الشرك لأنه يأتي يا رسول الله اغفر لي .

ما حكمه ؟

مشرك ، لماذا ؟ لأنه سأل المغفرة من النبي ﷺ فجعله مصدرًا للغفران ، وهذا شرك ، لو قال : يا رسول الله ادعو الله لي أن يغفر لي . شِرْكٌ ، جعل النبي ﷺ مصدرًا أو واسطةً للمغفرة ؟ واسطةً ، وكلا النوعين شركٌ أكبر مخرجٌ من الملة ، وإن كان الأول قد لا يقع ، هم ينفون هذا ، أن يكون النبي ﷺ مصدرًا للمغفرة ونحو ذلك . إذًا : (**لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع**) استقلالاً (**ولا يضر**) استقلالاً ، أمَّا بالواسطة فهذا هو حقيقة التقرب والزلفى ، (**إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا**) يعني : استقلالاً ، هذا مرادهم وإلا كيف يتوجهون إلى النبي ﷺ بالاستغاثة ، وطلب المغفرة ؟ هم يقولون : نحن لا نطلب منه مباشرةً ، وإنما نطلب منه أن يطلب من الله فجعلوه واسطةً . نقول : كلا النوعين يعتبر شركًا أكبر . إذًا : (**لا يملك لنفسه نفعًا**) يعني : استقلالاً (**ولا ضرًا**) استقلالاً فضلاً عن غيره عن عبد القادر أو غيره ، فحينئذٍ : نحن لا نعتقد في هذا هؤلاء المعبودات الربوبية ، لا نعتقد فيهم الربوبية ، (**لا نشرك بالله**) شيئًا (**بل نشهد أنه لا يخلق**) .. إلى آخره هذا اعتقاد ماذا ؟

...

نفوا أفراد الربوبية عن المعبودات ، وهل هذا ينفعه ، المشركون الأولون قال الله عز وجل عنه : (**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**) [لقمان : 25] . (**وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ**) [يونس : 31] .
إذًا : ما الفرق ؟ لا فرق بينهما .
إذًا : المقدمة الأولى التي ذكروها هنا في الشبهة الأولى التي ذكرها المصنف .
أولاً : أنهم نفوا الشرك عن أنفسهم وعللوا ذلك بصحة نفي الشرك إقرارهم بتوحيد الربوبية ، إقرارهم بإفراد توحيد الربوبية . إذًا : هذه المقدمة قبل المقدمة الثانية نقول : تُرَدُّ بماذا ؟ بتوضيح الحقيقة الشرعية للشرك ، لأنه وقع عنده لبسٌ في معنى الشرك فقال : (**نحن لا نشرك بالله**) . شيئًا يعني : لا نعتقد أن خالقًا مع الله ، ورازقًا مع الله ، ومن يملك النفع والضر مع الله ، هذا الشرك الذي عنوه بالنفي ، نقول : هذا ليس هو الشرك الحقيقي . وإنما الشرك الحقيقي هو : صرف العبادة لغير الله تعالى وهو أعظم من الشرك في الربوبية ، أو في الأسماء والصفات .
ثانيًا : أنواع الشرك في القرآن وما الذي كَثُرَ ذكره في القرآن . جاء ذكر الشرك في الأسماء والصفات ، وجاء ذكر الشرك في الربوبية في القرآن . وجاء ذكر الشرك في الألهية توحيد العبادة في القرآن . لكن أي هذه الأنواع كثرةً في القرآن ؟ هو : الشرك في العبادة .
إذًا : كان الاعتناء بنفي الشرك في العبادة أولى ، لماذا ؟ لأهميته وعظمته .
ثالثًا : ارتباط هذا الانحراف الواقع في مفهوم الشرك عندهم بتحريف معنى كلمة التوحيد ،يعني : نبين له أن هذه المقدمة أولاً باطلة من ثلاثة أوجه :
أولاً : مفهوم الشرك الحقيقي فاسدٍ في نظره .
ثانيًا : عدم معرفة الشرك الأعظم : وهو الشرك في العبادة .
ثالثًا : لِمَ وقع هذا الانحراف ؟
نقول : للانحراف في الأصل وهو : مفهوم لا إله إلا الله .
المقدمة الثانية قال : (**ولكن أنا مذنب**) . أنا مذنب له معاصي (**والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله بهم**) ، (**ولكن**) هذا استدراك عطف على المقدمة الأولى (**لا نشرك بالله**) شيئًا (**ولكن أنا مذنب**) والمذنب على اعتقاد المشرك ليس وليًا لله مُخَلِّط يعني : يظن أن الولاية هي التامة المطلقة التي لا تصدق إلا على من خلا من المعاصي ، وهذا الأنبياء والصالحين والصديقين والشهداء ونحو ذلك ، وأما المخلط فهذا ليس وليًا وهذا فاسد ، والولاية كالإيمان ، إيمانٌ مطلق ، ومطلق إيمان ، وولاية مطلقة ، والمطلق ولاية . حينئذٍ : يصدق عليه أنه ولي ، لكن هو اعتقد ماذا ؟ لوقوعه في الذنب أنه خرج من الولاية . إذًا : (**ولكن أنا مذنب**) . نقول : والمذنب على اعتقاد المشرك ليس وليًا لله حينئذٍ : ينبني عليه ليس مقربًا عند الله ، فليس أهلاً أن يسأل بنفسه ربه جل وعلا ، لأنه ليس له زلفى وليس له مكانة وليس له جاهٌ عند ربه لكونه مذنب ، وإذا كان مذنبًا خرج من الولاية فلا يمكن أن يصل إلى الله تعالى مباشرةً ، فلا بد من واسطةٍ ، من أو ما هي هذه الواسطة ؟ قال : (**والصالحون**) . الأولياء الذي سبق ذكرهم في الآية السابقة (**والصالحون لهم جاه عند الله**) (**والصالحون**) كما ذكرنا جمع صالح وهو القائم بحدود الله وحقوق عباده ، وابن تيمية رحمه الله تعالى يقول : ولفظ الصالح وشهيد يذكر مفردًا . يعني : صالح فقط ، وشهيد فقط ، فيتناول النبيين والصديقين والشهداء ، ويذكر مع غيره فيفسر بحسبه . يعني : إذا ذكر لفظ الصالح فقط دخل فيه النبي والصديق والشهيد ونحوه . وإذا ذُكِرَ الصالح والنبي دخل في الصالح الصديق والشهيد ونحو ذلك ، إذا قُرِنَ مع غيره يفسر بحسب ، يعني : الذي ذكر معه يخرج من اللفظ ويبقى ما عداه ، فإن أطلق شمل الكل . إذًا : (**والصالحون**) يشمل الأنبياء أو لا ؟ يشمل الأنبياء والملائكة ومن دونهم ، (**والصالحون لهم جاه**) يعني : قدرٌ (**عند الله تعالى**) فلو سأل يعني : هذا الصالح فلو سأل الله لا يُرَدُّ ، لو سأل الله تعالى هذا الصالح الذي هو ولي وسبق أنه : لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، ووصفهم بأنهم : الذين آمنوا وكانوا يتقون . إذًا : لهم منزلة ، ولهم مكانة . إذًا : لا يُرَدُّ إذ إن من عباد من لو أقسم على الله لأبره ، هذا حق لكن لا يجعل وسيلةً إلى الوقوع في الشرك ، يعني : جاء النص هكذا « **لو أقسم على الله لأبره** » . لو أدخلت تبركوا به تمسحوا به .. ما قال النص ، إذًا : هذه زيادة نقول : هذه زيادة من كيسك أنت وليست من النص . (**وأطلب من الله بهم**) هذا هو حقيقة الشرك ، إذًا : (**أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله**) و (**أنا مذنب**) هذا يترتب عليه ماذا ؟ لست وليًا ليس لي مكانة عند الله تعالى ، (**والصالحون**) هم الأولياء فلهم مكانة ، إذًا : لا يمكن أن أطلب الله عز وجل لذنبي منه مباشرةً ، إذًا : لا بد من

وساطةً بيني وبينِ الله تعالى ، نقول : هذه الوساطة هي عين الشرك الأكبر . انظر نفى الشرك وفسر فعله بماذا ؟ الشرك الأكبر ، إذًا : الحقائق إذا تبدلت هل تتبدل الأسماء ؟

...

[أي نعم] إذا تبدلت الحقائق تبدلت الأسماء ، وأمَّا تغيير الأسماء مع اتفاق الحقائق لا يغير الحقائق . يعني : تغير الأسماء لا أثر له في تغيير الحقائق ، وأما إذا تبدلت الحقائق وهذا فيه خلاف عند الفقهاء هل إذا سقط الاسم سقط الحكم معه أو لا ؟ ابن حزم له بحث جميل في ((**المحلى**)) ، إذًا (**والصالحون لهم جاه عند الله**) فلا يرد (**وأطلب من الله بهم**) (**وأطلب من الله**) وهذا هو حقيقة الشرك والعبرة بالحقائق لا بالأسماء ، (**وأطلب من الله**) إذًا : الطلب حصل مِنْ مَنْ ؟ من الله لم يحصل منهم هم ، وهذا ما سقناه في أول الدروس عن بعضهم بأنه يقول : نحن لا نسأل النبي ﷺ مباشرةً ، لا نقول : يا رسول الله اغفر لي . هذا لا يقوله مشرك ، فحينئذٍ ماذا تقولون ؟ يا رسول الله ادع الله أن يغفر لي ، إذًا سئل من الله بواسطة النبي ، نقول : هذا هو عين الشرك الأكبر .

إذًا قوله : (**من الله**) . لا منهم ، فلا أسألهم وقوله : (**بهم**) . ليس المراد به التوسل بهم أي : بجاههم يعني : قد يقال بأن التوسل إذا قال : اللهم إني أسألك بجاه فلان هنا سأل الله تعالى لم يتجه إلى قبر ، ولا إلى ولي ، ولا إلى ملك ، لا إلى معبود ، لم يتجه إليه فيسأله وإنما سأل الله تعالى مباشرةً بجاه فلان ، نقول : هذا توسلٌ بدعي لا شركي ، وأمَّا إذا اتجه إلى قبر فسأل نفس الميت أن يدعو الله له أو أو .. إلى آخره نقول : هذا توسلٌ (**بهم**) يعني : بذواتهم . وقوله : (**بهم**) . ليس المراد به التوسل بهم أي : بجاههم لأن سؤال الله بالصالحين بدعة وذريعةً إلى الشرك وليس شركًا أكبر ، ولكن مراده هنا أطلب من الله بواساطتهم وبشفاعتهم (**وأطلب من الله بهم**) إذًا : عرفنا أن هذه الشبهة وهي الشبهة الأولى التي ذكرها المصنف موضوعها أن الطلب من الأموات الصالحين على أنهم شفعاء ووسطاء ليس من الشرك في شيء ، لأنهم قد أقروا بأنه لا خالق إلا الله ، ولا رازق إلا الله ، ولا يملك النفع والضر إلا الله عز وجل ، لا للنبي ﷺ ، ولا لعبد القادر . إذًا : هذا لا يعتبر شركًا أكبر إذا كان لا يعتقد فيهم الربوبية ، وإنما لو اعتقد فيهم أنهم يخلقون أو يرزقون أن ينفعون بأنفسهم أو يضرون بأنفسهم فقد وقع في الشرك . (**فجاوبه بما تقدم وهو أن**) هذا شرك أن هذا الذي ذكرته وشرحته شركٌ بعينه وهو شركٌ أكبر (**وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقرِّون بما ذكرت**) لي ([**أيها المبطل**]) للحق ([**أيها المبطل**]) في أكثر النسخ ليست موجودة وإسقاطها أولى (**ومُقرِّون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً وإنما أرادوا**) مِنْ مَنْ قصدوا (**الجاه والشفاعة واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه**) معنى هذه الجملة أن تبين له حال المشركين ، وعقيدة المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ وأنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية وأن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الدين الذي أمر به الرب جل وعلا ، ولا بالتوحيد الذي هو محل الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم ، إذا هم مقرون بتوحيد الربوبية ، ماذا أرادوا من معبداتهم . أرادوا القربة والشفاعة إذا لم يعبدوها لذواتها ، وإنما قصدوا من هذه المعبودات أن ترفع حوائجهم إلى الله تعالى . نقول : هذا هو عين الشرك الذي وقعتَ فيه أنت ، حينئذٍ نقول : بيان حال المشركين وما كانوا عليه من عقيدة شركية وبيان أنواع التوحيد وما هو الذي وقعت الخصومة فيه هو الذي يصلح ردًّا لهذه المقدمة الثانية (**فجاوبه بما تقدم**) يعني : أجبه بما تقدم ، وهو أن هذا شرك قولك أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله بهم هم عين الشرك الذي وقع فيه الأولون هذا هو الشرك ، وهو أي هذا الشرك وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ - الجملة هذه تفسيرية بالجواب ، وهو هذا تفسير - أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرتَ لي أن لا خالق ولا رازق إلا الله يقرون بها وسبقت النصوص الدالة على ذلك ، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئًا لا تدبر شيئًا ، الْوَثن أوثان جمع وثنٍ ، وهو ما توجه إليه بالعبادة ، وفي الغالب لا يكون على صورة منحوتة ، ثَمَّ فرق بين الوثن والصنم . الصنم إنما يكون على هيئة منحوتة صورة منحوتة حجر أو شجر أو نحو ذلك ، وأما الوثن فهو أعم فكل صنم وثن ولا عكس . إذًا الوثن ما تُوجِّهَ إليه بالعبادة ، وفي الغالب لا يكون على هيئة صورة بخلاف الصنم وقد يقال للصنم وثنٌ باعتبار أنه معبود من دون الله تعالى . قال إبراهيم الخليل عليه والسلام (**إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً**) [العنكبوت : 17] (**أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً**) وقال في آية أخرى : (**مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ**) [الأنبياء : 52] . فهي أصنام وأوثان ، إذًا مقرون هؤلاء المشركون الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ وقاتلهم مقرون معترفون أن أوثانهم يعني : معبداتهم لا تدبر شيئًا (**وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ**) [يونس : 31] إذًا لا تدبر الأمر شيء ،

والتدبير هو أعم صفات أو من الصفات العامة في صفات [الخلق والملك والتدبير] من صفات الربوبية ، إفراد الله .. ولذلك بعضهم يعرف توحيد الربوبية بأن إفراد الرب جل وعلا بالخلق والملك والتدبير ، يخص هذه الثلاثة لماذا مع كون صفات كثيرة ؟ لأن هذه الأصل ، وكل الصفات الأخرى مردها إلا هذه ، إذًا (**وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ**) يعني : لا يدبر الأمر إلا الله عز وجل ، إذا لم يثبتوا لأوثانهم أنها تدبر شيئًا ، ولا تملك لا من الخلق ولا الرزق ولا النفع ولا الضر شيئًا البتة ، وإنما أرادوا ممن قصدوا يعني : من الأولياء والأصنام والملائكة الجاه والشفاعة ، أراد المنزلة والشفاعة وهي الوساطة بينهم وبين الله عز وجل ، (**واقرأ عليه ما ذكره الله في كتابه ووضحه**) كقوله سبحانه : (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا زُلْفَى**) [الزمر : 3] هذا فيه حصر كما سبق معنى ما نافية إلا هذا أداة استثناء وهي للإيجاب وفيه نفي وإثبات ، (**مَا نَعْبُدُهُمْ**) لغاية من الغايات أو لشيء من الأشياء إلا لغاية واحدة وهي التقرب إلى الله عز وجل ، فقلنا : القربة والشفاعة بمعنى واحد كما ذكره الشوكاني عن غيره ، وقوله : (**هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ**) [يونس : 18] (**هَؤُلاء**) يعني : المعبودات (**شُفَعَاؤُنَا**) ووسطائنا (**عِندَ اللّهِ**) عز وجل ، لِمَا لهم من الجاه والمكانة ، إذًا هذا الذي ذكرته عن نفسك من المقدمة الأولى والثانية لم تفارق به المشركين الأولين ، فالفعل الفعل وحينئذٍ يلزم أن يكون الحكم هو عين الحكم ، لأن هذه المذكورات من المقدمتين كفرهم الله عز وجل بها وأباح دماءهم .

أنت وقعت فيما وقع فيه الأولون فحكمك حكمهم .

إذًا خلاصة هذه الشبهة أن استمساكهم بمفردات توحيد الربوبية أنه لا يخرجهم عن التوحيد الذي هو توحيد الربوبية ، ونقول : هذا باطل لما ذكرناه سابقًا .

ونقول له أيضًا المشرك العرب كانوا أيضًا مقرين بأن أوثانهم لا تدبر شيئًا كقوله : (**وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ**) [يونس : 31] .

فالخطوة الأولى حينئذٍ بيان اعتقاد المشركين الأولين في الربوبية أنه هو المتفرد بالأمر .

والثانية : اعتقاد المشركين الأولين في الأوثان بما كانت ، إنما اعتقد أنها لا تدبر شيئًا والنتيجة أنهم أرادوا الشفاعة والقربةَ فقط كما قال الله عز وجل عنهم : (**هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ**) ، (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا زُلْفَى**) وهذا حصرٌ ينتج من هذا التقرير أن المشركين الأولين كان شركهم باعتقاد أن هذه الأوثان تقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عند الله لِمَا لهم من جاه ومكانة عنده فرد الشبهة حينئذٍ يكون بوصف حال المشركين ، وقلنا : هذا من الأمور المحكمة . وصف حال المشركين الذين نزل القرآن هذا أمر محكم بين لا مِرْيَةَ فيه ، ومرده مأخذه من جهتين :

إما من جهة النص القرآني وهذا أعظم .

وإما من جهة التاريخ .

من جهة إقرارهم التوحيد بالتوحيد يعني : توحيد الربوبية .

ثانيًا : إقرارهم بأن أوثانهم لا تدبر شيئًا .

ثالثًا : إنما أرادوا منها الزلفى والشفاعة وهذا كله بنصوص القرآن وهو أمر محكم قد ذكره المصنف رحمه الله تعالى : هنا .

ثم قال : (الشبهة هذه شبهة أخرى للمشرك فإن قال : إن هؤلاء الآيات نزلت في من يعبد الأصنام يعني : إذا تلونا عليه الآيات (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا زُلْفَى**) قال : هذه في الأصنام (**هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ**) هذه في عبادة الأصنام (**وَمَن يُدَبِّرُ**) هذه في عبادة الأصنام ، وهم ما عبدوا أصلاً ما عبدوا أحجار وإنما عبد أولياء صالحين ، ففرق كيف تجعل الصالح الولي التقي الصائم القائم تجعله صنمًا ، فتلك الآيات كلها التي وردت في القرآن إنما وردت في شأن عباد الأصنام ، وهم ما عبد الأصنام ، إذًا فرق بين المسألتين ، أرادوا أن يجعلوا لهم وصفًا مغاير لوصف السابقين فينفك الحكم عنهم ، يعني حيلة ، أرادوا أن يجعلوا لهم وصفًا مغاير لوصف المشركين الأولين الذين نزل عليهم الحكم بتكفيرهم وهو أن ثَمَّ فرق بين المعبودات ، هم اتجهوا إلى أصنام لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعًا ولا ضَرًّا ، ثم هذه الأصنام ليست لها جاه عند الله تعالى وليست لها مكانة ، وهؤلاء عبدوا الأولياء أنبياء الصالحين وهم لهم جاه ومكانة عند الله عز وجل ، ففرق بين الحالين .

إذًا الشبهة الثانية : التي عناها الناظم فإن قال : إن هؤلاء الآيات نزلت في من يعبد الأصنام هو منع الاستدلال بتلك النصوص على حال المشركين المتأخرين ، والسبب هو الفرق بين ، بين الوصفين أولئك عبد الأصنام والأحجار وليس لها جاه ولا مكانة عند الله وهؤلاء عبدوا النبي ﷺ وعبدوا عبد القادر وغيره ، حينئذٍ فرق بين المحلين ، فمحل تلك الآيات شيء ، ومحل هذه الأوصاف المتأخرة شيء آخر ، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام . كيف تجعلون الصالحين الذين أرواحهم طاهرة مطهرة ومقدسة والله عز وجل يقول : (**لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**) [يونس : 62] ثم يقول : (**لَهُمُ الْبُشْرَى**) [يونس : 64] تجعلونها مثل الأصنام ، أم كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا ؟

هذا فيه تلبيس ، يعني كأنه يقول : أنتم تتنقصون من الأنبياء ، إذا قلت النبي ﷺ لا يُعْبَد لا يُسْتَغَاث به قال : هذا سوء أدب من النبي ﷺ أليس كذلك ؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا ؟ من يرد على هذه الشبهة ؟

كل هذا مر معنى فيما سبق . إذًا تلك الآيات السابقة الذكر ليست خاصة بعباد الأصنام لأنه كما سبق من المحكمات تنوع معبودات المشركين الذين نزل عليهم القرآن ، بالنصوص الواردة في القرآن منهم من عبد الملائكة ، منهم من عبد الجن منهم من عبد الصالحين ، منهم من عبد الأنبياء ، منهم من عبد عيسى أمه .. إلى آخره ، حينئذٍ القول بأن تلك الآيات إنما هي خاصة بعباد الأصنام هذا افتراء وكذب محض ، وهو مخالف لنص محكم ، بل تلك الآيات عامة لمن عبد الصنم أو عبد الأرواح ، حينئذٍ هذه نقول طائرة من بدايتها يعني : لا وجه لها . فإن قال : إن هؤلاء الآيات نزلت في من يعبد الأصنام - جمع صنم وهو في اللغة صورة منحوتة يعنى : ما نُحِتَ على شكل صورة ، وخُصَّ به هنا الصورة المنحوتة يعني جماد وإذا كان جماد ليس له مكان عند الله تعالى ، إذًا انفك السبب ، هم تعلق بالأولياء لماذا ؟ لسبب رأوا أنه مؤثر وأنه نافع ، وهو أن هؤلاء الأولياء لمكانتهم وجاههم حينئذٍ يوصلون الحاجات إلى الرب جل وعلا ، وأما الأصنام فهي أصنام ، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام ، لأن الصالحين يدخل فيهم الأنبياء والرسل والملائكة وأرواحهم مطهرة مقدسة عند الله تعالى ولهم مكانتهم كما سبق ، مثل الأصنام لأن الأصنام لا روح لها ليست لها أرواح ، فحينئذٍ لا مكانة لها عند الله تعالى ، وتساوهم بها أم كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا ؟

حينئذٍ أرادا أن يفرق بين شرك الأولين وشرك المتأخرين ، يعني أن شرك الأولين إنما أشرك لصرف العبادة لكونهم صرفوا العبادة إلى أحجار وأشجار لا تملك لنفسها نفعا ولا ضر ، وهؤلاء إنما صرفوا تلك العبادات لأرواح ففرق بين الطائفتين .

(**فجاوبه**) يعني : أجبه بما تقدم ، ما هو الذي تقدم ؟

(**فجاوبه بما تقدم**) (**فجاوبه**) يعني : أجبه (**بما تقدم**) ما هو الذي تقدم ؟

الذي تقدم هو إقرار المشركين بتوحيد الربوبية ، وإنهم أراد ممن قصدوا الزلفى والقربة فحسب ولذلك قال : (**فإنه**) الفاء تفسيرية المصنف يأتي بأجبه ثم يفسر على جهة الإجمال ، إذا قوله : (**فجاوبه بما تقدم فإنه**) هذا تفصيل للجواب الذي تقدم أعاده لك مرة أخرى ، فإنه أي ما سبق إذا أقر (**فإنه**) أي : المشرك إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله ، يعني : بيان حال المشركين مع الربوبية ، وأنهم أقروا بمفردات الربوبية ، وأنهم ما أرادوا مما قصدوا إلا الشفاعة - كما مضي - لأن الشبه متولدة بعضها من بعض ، تلك الكبرى وهذه أصغر منها متفرعة عنها .

إذًا بيان حال المشركين مع الربوبية وبيان أنه ما أرادوا من الأصنام إلا القربة للنص السابق (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا**) [الزمر : 3] إذا قلت : ما نعبدهم أي الأصنام (**إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا**) إذا ما عبدوا الأصنام لذوات الأصنام .

إذًا إذا جعل قوله تعالى : (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا زُلْفَى**) إذا جعلها في عباد الأصنام أن هذه العبادة لما صرفت إلى صنم وقعوا في الشرك مع إقرارهم بتوحيد الربوبية ، حينئذٍ نقول : هم أقروا بتوحيد الربوبية وأقروا بنص هذه الآية أنهم ما أرادوا من هذه الأصنام إلا القربة والزلفى ، قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، إذا لم يقصد الأصنام لذواتها ، إن أقر بهاتين المسألتين حينئذٍ زال أكثر الشبه عندهم ، لكن بقي ماذا ؟ التفريق بين فعله وفعلهم هم ، بين فعله هو وفعلهم هم ، لذلك قال : (**فإنه إذا أقر**) بما ذكر حينئذٍ خُصِمَ ، لماذا ؟ لأن الفعل هو الفعل ، وخاصة إذا عَمَّمنا معبودات المشركين الأولين ، وأنها ليست خاصة بالأصنام ، ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم يعني فعل المشركين الأولين وفعله بما ذكر هو ، من كونهم عبادًا للأصنام وهو إنما عبد الأرواح ، (**فاذكر له أن الكفار**) تنوعت

معبداتهم ، منهم من عبد الأصنام ، ومنهم من عبد الأولياء ، ومنهم من عبد عيسى بن مريم وأمه ، ومنهم من عبد الملائكة ، ومنهم من عبد النبي ﷺ ، وهذا الأخير عند المتأخرين . حينئذٍ نقول : هذه المعبودات المتنوعة هل هو أمر محكم أو متشابه ؟

نقول : هذا أمر محكم وجعلناه من الأنواع المحكمة التي هي في مقام توحيد العبادة .

هل ثبتت نصوص من الوحيين بذلك أم لا ؟

نقول : نعم ، ثبتت ، ولذلك أورد المصنف لكل واحدة من هذه المعبودات دليلاً ونصًّا من القرآن بأن معبداتهم كانت متنوعة ، فكله عرفت (**أن الله كفر من قصد الأصنام ، وكفر أيضًا من قصد الصالحين**) أليس عيسى بن مريم من الصالحين ؟

أجيبوا : بلى ، أليس عيسى بن مريم من الصالحين ؟ بلى ، عُبِدَ أو لا ؟ عُبِدَ بالنصِّ ، أليس الملائكة داخلة في الصالحين ؟ بلى ، عبدت أو لا ؟

عبدت ، أليس عزير من الصالحين ؟ بلى ، عبد أو لا ؟ عُبِدَ . إذًا وقع التنويع في المعبودات حينئذٍ إذا أقر بما ذكر حينئذٍ نقول : لو عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام ، وهذا نوع واحد من أنواع المشركين الذين توجهوا بالعبادة إلى الأصنام ، وكفر أيضًا من قصد الصالحين كعيسى بن مريم وأمه وعزير ، وقاتلهم رسول الله ﷺ .

إذًا لا فرق وهذا يقال فيه قياس بنفي الفارق ، إذ الفعل هو الفعل ، والحكم هو الحكم ، والفاعل مختلف ، والأحكام إنما هي متعلقة بماذا ؟ بالفعل نفسه ، متى ما وقع هذا الفعل ترتب عليه الحكم ، لا بالأشخاص ، لأن النصوص إنما عمومها من حيث الأوصاف ، والوصف هذا مُتَّحِد والفاعل مختلف ، لأنه لا يمكن أن يكون النص عمومه من حيث الأشخاص باعتبار آحاد يعني زيد عبيد وعمرو .. إلى آخره ، وإنما يُنْكَرُ وصف وهو فعل ثم يعلق عليه الحكم كقوله تعالى : (**فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**) [البقرة : 22] نقول : جعل النِّدِّ للرب جل وعلا شرك في نفسه ، فهذا فعل وهو جعل النِّدّ حكمه أنه شرك أكبر ، بقطع النظر عن فاعله قي أي زمان وفي أي مكان ، متى ما وقع هذا الفعل نزل الحكم على فاعله وهو أنه مشرك ، فحينئذٍ نقول الأحكام معلقة على الأوصاف . (**عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام وكفر أيضًا من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله ﷺ**) ، فلا فرق ، فلا فرق هذا أخذناه من أين نفي الفارق ؟ اتحاد وصف مع اختلاف الفاعل ، نقول : لا فرق بين من اعتقد في الأصنام وبين من اعتقد في الصالحين . فقال : حكم الله عليهم بحكم واحد وكذا قاتلهم رسول الله ﷺ جميعًا بدون تفريق . وأيضًا كما سبق الإله هو المقصود بالعبادة سواء كان صنمًا أو وثنًا أو ملكًا أو جنيًّا أو حجرًا ، لأنه لا لإله أي لا معبود ، وقلنا : هذا يدخل فيه كل ملك وكل نبي وكل .. إلى آخر ما ذكرناه سابقًا .

ونقف على هذا . والله أعلم .

وصلَّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

الدرس 12

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :
فلا زال الحديث في ذكر ما تعلق به أهل الشرك من الشبهات التي أوردها المصنف رحمه الله تعالى ، ذكرنا أن المصنف رحمه الله قد ذكر طريق في رد الشبه ، وأنه على طريقين أو سبيلين :
إما أن يكون إجماليًّا .
وإما أن يكون تفصيليًّا .
الإجمالي المراد به القاعدة العامة التي تكون عامة من جهة الملقي المتكلِّم ، وأن هذا عموم ، حيث يشمل العالم الذي لم يستحضر الجواب ، وطالب العلم ، والعامي .
وفيه عموم أيضًا من جهة الشبه التي تُرَدُّ ، حيث ترد به كل شبه . ومثَّل المصنف رحمه الله تعالى - وهذا من جوابه المجمل الإجمالي - قلنا : رد المتشابه إلى المحكم . ومثَّل بقوله تعالى : (**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**) [يونس : 62] . هذه تمسك بها بعض أهل الشرك ، لذلك قال هنا : (**مثال ذلك إذا قال لك بعض المشركين**) . سماه مشركًا . (**(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) [يونس : 62] ، أو إن الشفاعة حق ، أو أن الأنبياء لهم جاه عند الله تعالى**) وهذه كلها مركبة على الآية ، فله فهم يختص به ذلك الواقع في الشرك ،فأثبتت هذه الآية أن أولياء الله تعالى لهم مكانة وقدر عند الله تعالى ، ولكنها لم تثبت أن هؤلاء الأولياء لهم سلطة أو لهم وساطة أو أنهم لا يُرَدُّون مطلقًا ، وهذه زيادة من عند المشرك وضعها على الآية ، ثم بعد ذلك استدل ولذلك قلنا : كل شبهة يأتي بها مشرك أو مبتدع أو ضال إنما يتمسك بها من حيث فهمه هو ، ولا بد من ثَمَّ زيادة من عنده ، أما النص فهذا لا يحتمل ما أورده ، لأننا إذا قلنا هذه الآية مثلاً محتملة للشرك الذي استدل به أو على فهمه وهو شرك ، حينئذٍ لزم من ذلك التسليم لأن النص يدل على ما هو محرم وهو الشرك وهذا باطل .
إذًا كيف نقول بأنها مشتبه ؟
نقول : هو زاد على ذلك الفهم شيئًا من عنده ، وهذا الذي زاده هو الذي حصل به الشرك ، وإلا الآية دلت على أن الأولياء - وهم من قام بحقوق الله جل وعلا وحقوق عباده - وهي قد تكون تامة كاملة ، وقد تكون ناقصة ، يدخل فيها الأنبياء والصديقون والشهداء ، وكذلك كل مُوَحِّدٍ ولو كان عنده ذنوب ، يعني : مقصر . مطلق الإيمان ، والإيمان المطلق وهو داخل في هذا النص . حينئذٍ نقول : هذا العموم لا شك أنه ثابت بالنص (**(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)**) ولذلك قال : (**الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ**) [يونس : 63 ، 64] . هذا فضل في الدنيا التزكية لهم ، وكذلك الثواب لهم في الآخرة ، حينئذٍ نقول : هذا دل عليه ، وهو يثبت ذلك بأن الأولياء لهم مكانة ولهم قدر ولهم جاه ، لكن إذا فُسِّرَ الجاه بأنه يُسأل ذلك الولي ثم لا يرد عند الله تعالى ، حينئذٍ نقول : هذه زيادة على النص حَصَلَ بسببها مفهوم للنص عنده هو ، وإلا النص لا يدل على ما ذهب إليه (**أو إن الشفاعة حق**) وهذه ثابتة (**أو أن الأنبياء لهم جاه عند الله**) وهذا داخل في نص الآية ، (**أو ذكر كلامًا للنبي ﷺ يستدل به على باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره**) يعني : لا تفهم معناه الصحيح ، لا تعرف ما المراد بهذا النص ، بهذه اللفظة من الآية ، ولا تعرف ما مراد النبي ﷺ ، هذا جهل نسبي وعدم للفهم بالنسبة إليك أنت ، وإلا لو رجع إلى كلام أهل العلم لوجد الجواب . قال : (**أجبه بقولك : إن الله ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه**) . وهذه طريقة أهل الزيغ أهل الميل عن الاستقامة ، فأنت تركتَ المحكم وهو قوله تعالى : (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) [الجن : 18] . وهذا محل وفاق وإجماع قطعي ، وهو أعلى درجات الإجماع لأن الشرك مناقض للتوحيد ، وقلنا : إن الأنبياء إنما جاءوا بماذا ؟ بدعوة التوحيد (**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**) [الزمر : 3] وهذا أمر متفق عليه بين الأنبياء ، حينئذٍ إذا فُهِمَ من نص ما يعارض ذلك الإجماع حينئذٍ نقول : هذا عند المستدِل مشتبه يُفَسِّره بماذا ؟ بقوله : (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) . حينئذٍ إثبات الولاية للشخص لا يلزم منه دعاؤه لماذا ؟ لأن الله تعالى قال في محكم كتابه : (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) . وقال سبحانه : (**وَاعْبُدُوا**

اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) [النساء : 36] . حينئذٍ نقول : هذا الذي أنت ذهبت إليه وهو : إثبات الوساطة بالأولياء هذا شرك أكبر مخرج من الملة ، إن كان فهمك يفهم من هذه الآية هذا الفهم السقيم ، حينئذٍ نقول : باعتبارك أنتَ هذا متشابه فوجب رده إلى المحكم ولذلك قال : (**وما ذكرت لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية ، وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء مع قولهم : (هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ) [يونس : 18] وهذا أمر محكم ، لا يقدر أحد أن يغير معناه**) . إذًا هذا مثال لرَدِّ المتشابه إلى المحكم . إذًا يستدل بعض المشركين بهذه الآية على إثبات شركه ، نقول : هذا باطل فيجب حينئذٍ رَدُّهُ إلى النصوص وإلى المحكمات .

ثم لا يُسَلَّمُ بأن مفهوم الآية هو ما فهمه ذلك المشرك ، وإنما نَتَنَزَّل معه في مقام الجدال وإثبات الحق بأنها من المتشابهات ، وإلا لا يدل على ما ذهب إليه .

أما الرد المفصل فهذه ذكر تحتها عدة شبه رحمه الله تعالى ، بدأ بالشبهة الأولى ، والمراد بالرد المفصل أو الجواب المفصل أن تذكر كل شبهة بعينها ، ثم يرد بجواب بعينه ينقض تلك الشبهة من أصلها ، هذا يسمى ماذا ؟ الجواب المفصل ، تفصيل يعني : يفصل لكل شبهة جوابًا يدحضها من أصلها .

الشبهة الأولى : وقلنا هذه موضوعها أن الطلب من الأموات الصالحين على أنهم شفعاء ووسطاء ليس شركًا إذا كان لا يُعْتَقَدُ فيهم الربوبية ، لأن الشرك هو اتخاذ الواسطة بينهم وبين الله تعالى . هم يقولون : هذا ليس بشرك . لماذا ؟ لأنهم لم يعتقدوا فيها الربوبية ، ولذلك يقول هذا الْمُشَبِّه : (**نحن لا نشرك بالله شيئًا**) . هذه مقدمة (**نحن**) يعني : أهل الشرك . (**لا نشرك بالله شيئًا**) نفى الشرك عن نفسه وعن غيره ، (**بل نشهد أنه لا يخلق**) ... إلى آخر كلامه ، هذا النفي أو الإثبات للشهادة والإقرار ، يدل على أن نفي الشرك في المقدمة الأولى إنما هو الشرك في الربوبية (**نحن لا نشرك بالله شيئًا**) يعني : في ربوبيته ، لا نَدَّعِي أن ثَمَّ خالقًا مع الله جل وعلا ، وأن ثَمَّ رازقًا مع الله تعالى ، أو نافعًا أو مضرًّا .. إلى آخر مفردات وآحاد توحيد الربوبية ، فلا يُثْبَت مع الله تعالى شيء من ذلك ، إذًا نفي الشرك هنا المراد به نفي الشرك في الربوبية ، حينئذٍ رد هذه المقدمة - لا بد من ردها - لأن مفهوم الشرك عنده غير واضح ، لأن الشرك له معنى لغوي ، وله معنى شرعي - وليس اصطلاحي - ، له معنى لغوي وله معنى شرعي ، له حقيقة شرعية ، من أين نأخذ هذه الحقيقة الشرعية ؟

من الكتاب والسنة . إذ الحقائق الشرعية كتفسير معنى الصلاة والزكاة والحج ونحو ذلك إنما تؤخذ من الكتاب والسنة ، كذلك لفظ الإيمان ، لفظ التوحيد ، لفظ الشرك ، مدلول لا إله إلا الله ، كل هذه لها حقائق شرعية ، يعني : لا يُنْظَرُ إلى مجرد ألفاظها اللغوية فحسب ، وإنما نجعل المعنى اللغوي أصلاً في فهم اللفظ أو الجملة أو التركيب ، ثم ننظر في الشرع هل استعمل هذا التركيب أو هذا اللفظ في معنى ليس هو أصله في المعنى اللغوي أو لا ؟

إن ثبت ، حينئذٍ نُثبت لهذا اللفظ الحقيقة الشرعية ، فإن لم يَثْبُتْ باستقراء نصوص الوحيين شيء من ذلك حينئذٍ نحمل اللفظ على معناه اللغوي ، ولذلك إذا تردد الأمر [ولم تكن للحقيقة] [32] ولم يكن للفظ حقيقة شرعية رجعنا إلى الأصل وهو المعنى اللغوي . هذه قاعدة أصولية ينبغي التنبه لها .

إذًا الشرك له حقيقة شرعية كما أن التوحيد له حقيقة شرعية ، مفهوم لا إله إلا الله فسرها الرب جل وعلا ،لم يقل لا إله إلا الله ثم بعد ذلك ترك للخلق أن يفسروا ما شاءوا ، بل فسرها من أول القرآن إلى آخره ، وكذلك فهم الصحابة لها بتفسير نقول : هو حقيقته الشرعية . الشرك نقيض التوحيد هل له معنى شرعي ؟ نقول : نعم ، لا بد من معرفته . من أين يُعرف ؟ من أين يُؤخذ ؟

نقول : لا من اللغة فحسب ، وإنما اللغة هي أصل في فهم اللفظ فحسب ، والرجوع حينئذٍ يكون إلى الشرع .

إذًا هذه المقدمة ترد بتوضيح الحقيقة الشرعية للشرك ، ما هو الشرك ؟ (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) [البقرة : 22]

.

أيضًا تُرَدّ ببيان أنواع الشرك في القرآن ، قلنا : الشرك نقيض التوحيد والتوحيد ثلاثة أقسام :

توحيد الربوبية وهذا له نقيض ، وهو : الشرك في الربوبية .

توحيد الإلهية وهذا له نقيض ، وهو : الشرك في الإلهية .

توحيد في الأسماء والصفات وله نقيض ، وهو : الشرك في الأسماء والصفات .

---

(32) سبق .

وكل من هذه الثلاثة إما شرك أكبر أو شرك أصغر . إذًا كما أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام كذلك الشرك ينقسم إلى ثلاثة أقسام . والشرك نوعان : شرك أكبر ، وشرك أصغر . يكون في كل واحد من نقيض تلك الأقسام الثلاثة ، شرك أكبر في الربوبية ، وشرك أصغر في الربوبية ، شرك أكبر في الإلهية وشرك أصغر في الإلهية ، وشرك أكبر في الأسماء والصفات وكذلك شرك أصغر في الأسماء والصفات .
هذا المرجع إنما يكون بالرجوع إلى الكتاب والسنة ذكرنا أمثلة لهذه الأنواع الثلاثة .
ثالثًا : تُرَدُّ هذه المقدمة بذكر ارتباط الانحراف الذي وقع في مفهوم لا إله إلا الله ، في مفهوم الإله والرب والفرق بينهما بمفهوم الشرك لأنه نقيضه ، فإذا وقع الانحراف في مفهوم لا إله إلا الله ، لا قادر على الاختراع إلا الله ، لا خالق إلا الله ، حينئذٍ إذا كان الشرك نقيضه ما هو إثبات مع الله خالق ، إثبات مع الله من ينفع ويضر ، إذًا لما حصل الانحراف في التوحيد الذي هو أصل لَزِمَهُ حصول الانحراف في مفهوم الشرك . إذًا لماذا وقع هذا المشرك في الشرك واعتقد أنه لا يشرك بالله شيئًا ؟
لأنه فسر الشرك بشرك الربوبية فحسب ، لماذا ؟ لأن التوحيد عنده هو توحيد الربوبية فحسب ، فلا ينقض لا إله إلا الله إلا ما ينقض إثبات أنه لا خالق إلا الله ، وهو : إثبات الخالقية مع الله عز وجل .
إذًا حصل ارتباط في انحراف فهم ذلك المشرك للشرك لوقوع الانحراف في مفهوم لا إله إلا الله ، لأنهما نقيضان . نقيضَان يعني : لا يجتمعان ولا يرتفعان . لا يجتمعان لا يقال : موحد مشرك . ولا يرتفعان بأن يقال : ليس معه توحيد ولا شرك . لا ، هذا لا يتصور هذا ، أن لا يكون موحدًا ولا مشركًا ، لا ، إذا نفي عنه التوحيد لَزِمَ منه في ثبوت الشرك ، وإذا نُفِيَ عنه الشرك بحذافيره لَزِمَ منه ثبوت التوحيد ، هذا أمر لازم بينهما تلازم في الوجود والعدم . إذًا قوله : (**نحن لا نشرك بالله شيئًا**) . يعني : لا نشرك في الربوبية . وهذا نَرُدُّه بالأمور الثلاثة التي ذكرناها سابقًا (**بل نشهد**) ونقر ونعتقد (**أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له**) هذا إثبات لتوحيد الربوبية ، وليس هذا محل النزاع بين الرسل وأقوامهم ، هذا يؤمن به أبو جهل بأنه لا خالق إلا الله ، وأنه لا ينفع إلا الله ، بل تدبير الأمر كله إنما يكون لله عز وجل (**وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ**) [يونس : 31] ، (**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**) . إذًا ما الفرق بين هؤلاء وأولئك ؟
أولئك أثبتوا أفراد توحيد الربوبية ، وهؤلاء جعلوا الشرك في ماذا ؟
في توحيد الربوبية ، نقول : هم لم يشركوا بالله تعالى في الخلق ولا في الرزق ولا غيره .
(**وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا ، فضلاً عن عبد القادر أو غيره**) الجيلاني وغيره أي : نحن لا نعتقد فيهم الربوبية ، فلما نفى مفردات الربوبية حينئذٍ كأنه جاء بالتوحيد بحذافيره ، نقول : هيهات هيهَات . لماذا ؟
لأن هذا الذي ذكرته قد أقرَّ به أولئك المشركون ولم يحصل نزاع بين الرسل وأقوامهم في أنه لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ولا نافع ولا ضارّ إلا الله ، وإنما حصل النزاع في توجه العبد بعباداته كلها لله عز وجل ، هم لم يرضوا بهذا (**أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا**) [ص : 5] إذًا هذه مقدمة أولى (**نحن لا نشرك بالله شيئًا**) وذكر أو فسر معنى هذه الجملة بنفي اعتقاد ثَمَّ شريك مع الله تعالى في مفردات توحيد الربوبية ، كأنه قال : لا نشرك بالله شيئًا في ربوبيته . (**ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله بهم**) ، و(**أنا مذنب**) والمذنب ليس وليًّا لأنه يريد أن يجعل ماذا ؟
أن يجعل للأولياء جاهًا عند الله ، وهذا ثبت كما سبق (**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**) [يونس : 62] إذًا ثبت القدر والمكانة والجاه عند الله تعالى ، والجاه بمعنى القدر والمكانة والمنزلة عند الله تعالى للأولياء ، من هم الأولياء ؟ الذين لم يقعوا في الذنوب مطلقًا ، هذا تفسير خاطئ أم صائب ؟
خاطئ لأن الولاية هنا كالإيمان نقول : ثَمَّ إيمان مطلق ، ومطلق إيمان ، ثَمَّ إيمان مطلق تام كامل وثَمَّ مطلق إيمان يجتمع مع كبيرة ، هو فاسق مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، كذلك الولاية تكون تامة وتكون ناقصة ، حينئذٍ قوله : (**ولكن أنا مذنب**) . هذا أيضًا خطأ لأنه أخرج بوقوع الذنب أخرج نفسه من وصف الولاية وهذا ليس بحق بل هو خاطئ ، إذًا والمذنب على اعتقاده ليس وليًّا لله تعالى ، حينئذٍ لا يكون مقربًا عندهم فلا يمكن أن يصل إلى الله تعالى مباشرة ، (**والصالحون لهم جاه عند الله**) الصالحون عرفنا المراد بالصالح ، وهو : القائم بحدود الله وحقوق عباده . وهو لفظ عام إذا أطلق شمل الأنبياء والصالحين والشهداء والصديقين ، لهم جاه وقدر ومكانة عند الله تعالى فلو سأل الله لا يرد ، هذه مقدمة ، (**ولكن أنا مذنب**) يعني : ليس وليًّا لله ، وهؤلاء الصالحون لهم جاه عند الله فلو

سألوه سألوا الرب جل وعلا لا يردهم ، إذًا ماذا يصنع هو نفى عن نفسه أن يكون وليًا فيسأل ربه مباشرةً ، والولي له مكانة عند الله حينئذٍ كما قررناه سابقًا في أن المشركين سرّ المسألة عندهم - وهذا سيأتي في آخر الكتاب - أنهم قاسوا الرب جل وعلا وهو ملك الملوك على ملوك الأرض في أنهم لا يتوصل إليهم إلا بمن له مكانة عندهم وجاه ومنزلة ، وأما الذي يكون بعيدًا أو حقيرًا أو نحو ذلك هذا ليس له مكانة إلا أن يصل إلى ذلك الملك بواسطة هؤلاء المقربين ، قاسوا الرب جل وعلا - قياس فاسد - على الخلق حينئذٍ لما كان مذنبًا وليس وليًا لا يمكن أن يكون له مكانة عند الرب جل وعلا لحقارة نفسه عند نفسه حينئذٍ لا يصل إلى ربه مباشرة جعل الأولياء واسطة بينه وبين الله تعالى ، وهذا هو عين الشرك ، (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) [الزمر : 3] ، (**مَا نَعْبُدُهُمْ**) أثبتوا لهم العبادة (**مَا نَعْبُدُهُمْ**) إذًا عبدناهم (**إِلَّا**) لحكمة وغاية واحدة ، وهي : التقريب والزلفى عند الله عز وجل . إذًا لم يعبدوهم مباشرةً لم يسجدوا للصنم لذات الصنم ، ولم يذبحوا لذات الصنم ، ولم يستغيثوا بذات الصنم ، وإنما ليكون ذلك الصنم واسطةً بينهم وبين الله تعالى . وهذا هو حقيقة الشرك عند الأوليين .

إذًا هذا الفعل وذاك الفعل هو عينه ، ولا فرق من حيث الوصف وركب الرب جل وعلا الحكم على أولئك وصفًا وحكمًا ، الوصف بكونه شركًا ونَزَّل الحكم عليهم وهو أنهم مشركون ، ثم ترتب على ذلك الحكم بإخراجهم من الملة إن كانوا أهل إسلام في الأول ، أو أنهم باقون على شركهم وأنهم يجب قتالهم وسبي نسائهم ونحو ذلك ، (**وأطلب من الله بهم**) يعني : بواسطتهم . فجعلهم واسطة ، وجعل الأولياء شفعاء له عند الله تعالى ، وهذا عين الشرك ، هذا حقيقة الشرك ، فحينئذٍ نقول : العبرة بالحقائق لا بالأسماء . سواء سماه توسلاً ، سماه شفاعةً ، سماه ولايةً ، سماه ما سماه نقول : هذا هو عين الشرك ، لأن تغير الأسماء لا يبدل ولا يغير الحقائق ، الشرك له حقيقة متى ما وجدت ؟ حصل الشرك ووقع صاحبه في الشرك ، متى ما انتفت نُفِيَ الشرك لا عبرة للاسم هنا أبدًا سواء سماه توسلاً أو شفاعة نقول : العبرة بالحقائق . إذًا كأنه قال : (**ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله بهم**) . كأنه قال : أشركت بالله العظيم . هل فيه فرق ؟

نقول : لا فرق . لأنه لو أريد أن يفسر الشرك لا يفسر بغير ما ذكره هذا بأنه مذنب وأنه أتى للصالحين لمكانتهم وجاههم عند الله عز وجل وطلب من الله بهم ، لم يطلبهم هم ، هذا لم يقع لا عند أبي جهل ولا غيره ، أنهم سألوا الأموات وسألوا الأصنام أو الملائكة أو عيسى أو .. أو .. إلى آخره أنهم سألوهم لذواتهم ، لأنهم يعلمون أنه لا يخلق إلا الله فأثبتوا صفة الخلق للرب جل وعلا ، ولا ينفع ولا يضر ولا يدبر ولا يحيي ولا يميت ، ولا يخرج الحي من الميت ولا العكس إلا الله عز وجل ، إذًا أثبتوا هذه الصفات وهي صفات الربوبية للخالق جل وعلا ، إذًا عرفوا ربهم لكن ماذا صنعوا ؟

جعلوا هذه الأصنام واسطة بينهم وبين الله عز وجل ، فهم سألوا الله ولم يسألوها وهذا حق ، لكن نقول : هما شِرْكَان إن سألوها بذواتها فهو شِرْك ، وإن سألوا الله بواسطة هذه الأصنام هؤلاء الأموات الأولياء نقول : هذا شرك . كلاهما شرك ، وإن كان الأول أعظم من الثاني ، لأن الأول يكون فيه شرك في الربوبية وشرك في الإلهية جمع بينهما ، والثاني شرك في الإلهية .

إذًا قوله : (**ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله**) . يعني : لا منهم فلا اسألهم مباشرةً ، وإنما أسأل الرب جل وعلا وهؤلاء يرفعون الحوائج والواسطة لله عز وجل . (**فأجبه**) إذًا عندنا مقدمتان (**نحن لا نشرك بالله شيئًا**) ثم فسر حقيقة الشرك الذي وقعوا فيه وظن هو ليس بشرك سماه ما سماه (**فأجبه بما تقدم**) وهو : أن هذا هو الشرك الذي بينه الله عز وجل في كتابه وأرسل الرسل لمحاربة أهله ، وأن القرآن من أوله إلى آخره يحكي حال العرب الأوائل وأنهم قد وقعوا في عين ما وقعتَ فيه أنتَ . حينئذٍ إما أن يُسَلِّم وإما أن يكابر ، إن كابر فعلى نفسه وإن سَلَّمَ فهو المراد (**فأجبه بما تقدم**) وهو : أن هذا شرك . (**وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بما ذكرت لي ، ومُقِرُّون أن أوثانهم لا تدبر شيئًا**) هذا واضح بين (**وإنما أرادوا**) ممن قصدوا من الأصنام والأولياء ونحو ذلك من الذبح والاستغاثة والدعاء كل هذا قصدوا ماذا ؟ الجاه والشفاعة ، وهذا هو حقيقة قوله : (**أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله لا بهم**) هذا هو حقيقة فعل أولئك المشركين ، (**واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه**) قوله : (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) . هذا فيه حصر (**مَا نَعْبُدُهُمْ**) نفي العبادة أولاً فيه إثبات أن ما فعلوه مع الأصنام من الذبح والاستغاثة والدعاء أنه عبادة ، إذًا أقروا بصرف عبادة لغير الله ، طيب لماذا صرفتم تلك العبادة لغير الله ؟ قالوا : من أجل التقريب والزلفى عند الله عز

وجل ، وهذا عين ما ذكرت ، كذلك قوله : (**هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**) [يونس : 18] . تعالى وتذكر له من النصوص الواردة في بيان حال العرب الذين بُعِثَ فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومما يُنَبَّهُ عليه أن أكثر من يورد الشبه في مقام الشرك إما لأنه لم يفهم التوحيد من أصله حينئذٍ وقع في نقيضه لأنه لازم له ، وإما أنه لم يفهم حال المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ ، ولذلك أوردوا لما قيل لهم قول المشركين (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) ، (**هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**) وقعوا في الشبه الثانية وهي : أن هذه الآيات نزلت فيمن عبد الأصنام . ما كأنهم قرؤوا القرآن البتة ، أولئك المشركين الذين كفرهم الله عز وجل وأُمِرَ النبي ﷺ بقتالهم حتى يقولوا : لا إله إلا الله . ما حالهم ؟ قالوا : هؤلاء عبدوا الأصنام . وهم ماذا عبدوا أولئك المتأخرون ؟ عبدوا الصالحين عبدوا عبد القادر الجيلاني ، عبدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، حينئذٍ فرق بين الأصنام وبين الصالحين الأموات ، هذا فرق بينهما ، لأن تلك الآيات الواردة التي تستدلون بها على أن هذا الذي وقعنا فيه أنه شرك أكبر وأنه هو حال المشركين الأوائل ، أولئك إنما عبدوا الأصنام ، فكل آية فيها (**مَا نَعْبُدُهُمْ**) قالوا : المراد به الأصنام . إذًا منع الاستدلال بتلك الآيات على إثبات أن [ما فعله أولئك المشركين] [33] ما فعله أولئك المشركون مع الصالحين الأموات هذا ليس مسلَّمًا عندهم ، ولذلك هنا قال : (**فإن قال : إن هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام**) وعرفنا المراد بالصنم أنه صورة منحوتة يعني : ما نحت على شكل صورة (**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**) [النجم : 19 ، 20] هذه نزلت في بيان هذه الأنواع الثلاثة ، وفيها من هو صالح في الأصل لكنها أحجار (**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ**) شجر حجر .. إلى آخره إذًا هذه الآيات كلها محمولة على هذا النص ، فما من آية ترد في شأن المشركين وأن الله حكم عليهم بالشرك إلا لأنهم توجهوا للأصنام ونحن ما توجهنا إلى الأصنام وإنما توجهنا إلى الأولياء الصالحين ، فرق بين من له روح مقدسة مطهرة عند الله تعالى وزكاه الرب جل وعلا (**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى**) [يونس : 62 - 64] إذًا هم مزكون وصفهم الله تعالى بالإيمان والتقوى (**لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**) حينئذٍ كيف يسوى بين صنمٍ حجرٍ منحوت أو شجر أو شمس أو قمر مع هذا الصالح ؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا ؟ - لأنه يعبدون النبي ﷺ - هذه شبه فيها نوع تصوف ، كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا ؟ فإذا استغيث بالنبي ﷺ قلت : هذا مشرك . فإذا عُبِدَ النبي ﷺ من دون الله قلت : هذا مشرك . ما وجه الحكم عليه بالشرك ؟

نُنَزِّلُ تلك الآيات عليه ، هو يمنع يقول : لا ، ثَمَّ فرق بين هذا وذلك . إذًا ماذا نجيب هذا المشرك بهذه الشبه ؟

الجواب : سهل هذا ما قرأ القرآن ، لو كان قارئًا للقرآن بالفعل ما جاءت عنده هذه الشبه ، لماذا ؟

لأن القرآن فيه إثبات أن المشركين منهم من عبد عيسى عليه السلام ، منهم من عبد الأولياء ، منهم من عبد الملائكة ، وهذا سبق تقريره في مقدمة الكتاب بأن الكفار تنوعت معبوداتهم ، تفهم ذاك الأصل من أجل هذه الشبهة ، تفهم ذلك الأصل من أجل رد هذه الشبه ، لم يعبدوا حجرًا فحسب بل منهم من عبد الملائكة منهم من عبد الصالحين من الأولياء - كما سيأتي - .

قال : (**فأجبه**) . هذا الجواب الأول ، (**فأجبه بما تقدم**) كل ما تقدم من بيان حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك ، حقيقة التوحيد في نصوص الوحيين المفهوم الشرعي الحقيقة الشرعية ،وحقيقة الشرك حقيقة الشرعية هذه المقدمة وهذا الجواب يكون مطردًا معك في كل شبهة لأنه قد وقع في الشرك ، سواء الشبهة السابقة أم اللاحقة ، كلها إنما تدل على أن من وقع في ما هو شرك لا يدري أنه شرك فإذا كان لا يدري دل على ماذا ؟ على أنه قد على أنه لم يفهم حقيقة التوحيد الذي بُعِثَ به الرسل ، وعلى أنه لم يفهم حقيقة الشرك الذي هو نقيض التوحيد ، فكل من أخل بفهم التوحيد شاء أم أبى لا بد وأن يقع في شيء من الشرك قل أم كثر ، لماذا ؟

لأن ما وقع فيه من الشرك لا يسميه شركًا ، فإذا كان لا يسميه شركًا حينئذٍ الشرك قد يقع ولو لم يفعله ، أليس كذلك ؟ هل يمكن أن يقال بأنه مشرك وهو لم يتلبس بالشرك ؟

[لا يمكن ؟ يمكن ؟!]

إذا اعتقد بقلبه جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ والذبح عند القبر لكنه لم يفعل ، قال : أنا ما أفعل هذه للعوام . مشرك أو لا ؟

---

(33) سبق .

مشرك ، قطعًا لماذا ؟ لأنه اعتقد الشرك عبادةً . نقول : هذا باطل من أصله إذًا (**فأجبه بما تقدم**) يعني المقدمات السابقة من بيان حقيقة التوحيد الشرعية وحقيقة الشرك وبيان حال المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ ، وكيف كان الجدال معهم (**فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله**) هذا بيان حال المشركين مع الربوبية (**وأنهم**) أي : المشركين الكفار الأوائل . (**ما أرادوا مما قصدوا**) من الأصنام (**إلا الشفاعة**) إذا أقر بهاتين المقدمتين :

أولاً : أن الكفار الأوائل يشهدون أنه لا خالق إلا الله ، ولا رازق إلا الله ، ولا نافع ولا ضار إلا الله ، ولا يدبر الأمر إلا الله ، إذا أقر المشرك المتأخر بأن المشركين المتقدمين يقرون بذلك خُصِمَ نوع خصومةٍ ، وإذا أقر أيضًا بأنهم ما تقربوا إلى تلك الأصنام لذواتها ، وإنما أرادوا الشفاعة ، لكن هذا الأمر الثالث أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر ، بأن أولئك حكم عليهم بالشرك لأنهم توجهوا إلى أحجار أصنام ، ونحن المتأخرين - أخص المتأخرين - إنما توجهنا إلى أرواح ، إذًا هل هذا الوصف يُعتبر فارقًا بين الفعلين أو لا ؟

نقول : لا ، لا يعتبر ، لماذا ؟

لأن تخصيصك أن أولئك المشركين الأوائل إنما عبدوا الأصنام فحسب هذا استقراء ناقص ، هذا باطل فاسد ليس بصحيح ، لماذا ؟

لأن الأولياء الذين نفيت بأن يكون الأوائل قد توجهوا بالعبادة إليهم من دون الله الذي أنت وقعت فيه ونفيت أنه شرك قد حصل عند أولئك المتقدمين ، قد حصل ووقع عند أولئك المتقدمين ، إذًا هذا الوصف الذي اعتبره فارقًا نقول : هذا وصف قاصر في فهمه هو لم ينظر في نصوص الوحيين ، إذ لو نظر إليه لما وجد فارقًا بينهما ، لأن أولئك المتقدمين الذين أراد أن يخصهم بعبادة الأصنام دون الأولياء نقول : هذا التخصيص باطل بنصوص الوحيين ، فحينئذٍ نقول : لا فرق بين الفعلين ، فما حُكِمَ عليه بأنه شرك في الأول هو عينه الذي وقعتَ فيه أنتَ ، وكونك تَدَّعِي أنهم أولياء أو أرواح طاهرة وأن أولئك لم يعبدوا إلا الحجر هذا ادعاء لا دليل عليه وبرهان ساقط من أصله ، ما الدليل ؟

نقول : إثبات تنوع المعبودات عند الأوائل ، وإليك ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى . إذًا إذا أقر بالمقدمتين السابقتين كفار يشهدون بالربوبية ، وأنهم قصدوا الأصنام المنحوتة الشفاعة لم يعبدوها لذواتها هذا مسلم ، لكن أراد أن يجعل تلك النصوص فيهم هم على جهة الخصوص لكونهم عبدوا الأصنام ، وهو قد انفرد بعبادة ما هو أرقى عندهم وهو الأرواح الطاهرة ، (**ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم**) يعني : فعل المشركين الأولين ، (**وفعله**) هو المتأخر (**بما ذكر**) ما هو الذي ذكر ؟ أن أولئك عبدوا أصنام منحوتة شجر حجر وهو لم يعبد الأصنام يعني هو بعقله ما زال لم يعبد إلا الأرواح ، (**فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام**) إذًا تذكر له ماذا ؟ تنوع معبودات المشركين ، هذا مراد المصنف أراد أن يذكر بعض المعبودات بنصوص القرآن من أجل أن يُخْصَمَ ذلك الْخَصْم لأنه إذا تليت عليه الآيات إما أن يُسَلِّم وإما أن يرفض ، فإن رفض فهي مكابرة ولا جدال معه ، وإن سَلَّم فهو المطلوب (**فاذكر له أن الكفار**) تنوعت معبوداتهم من دون الله (**فمنهم من يدعو الأصنام**) (**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**) ، (**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا**) [الإسراء : 56] (**ومنهم من يدعو الأولياء**) منهم يعني : من أولئك الذين نزل فيهم القرآن وأنت أردت تخصيص معبوداتهم بالأصنام ، منهم من يدعو الأولياء خُصِمَ أو لا ؟

خصم . انتهى الفارق بين المتأخرين والمتقدمين .

(**ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**] [34]) [**الإسراء : 57**]) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير الآية : يقول تعالى : قل يا محمد للمشركين الذين عبدوا غير الله . هذه الآية (**أُولَئِكَ**) المشار إليه ما هو ؟ لا بد من تمام الآية التي قبلها (**قُلِ ادْعُوا**) [الإسراء : 56] يا محمد للمشركين الذين عبدوا غير الله (**ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ**) من الأصنام والأنداد وارغبوا إليهم ، فإنهم لا (**يَمْلِكُونَ كَشْفَ**

(34) لا أدري أزاد الشيخ هذا الجزء من الآية من نسخة أم زادها للاستدلال .

الضُّرِّ عَنْكُمْ) أي : بالكلية . لا (يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ) أي : بالكلية (وَلَا تَحْوِيلًا) أي : ولا أن يحولوه إلى غيركم ، فإن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر .
قال العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في الآية : كان أهل الشرك يقولون : نعبد الملائكة والمسيح وعزيرًا وهم الذين يُدْعَوْن . كان المشركون يقولون ماذا ؟ نعبد الملائكة وهي أرواح طاهرة والمسيح وعزير وهم الذين يُدْعَوْن .
وروى البخاري في الآية تفسير الآية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ناس من الجن كانوا يُعْبَدُون فأسلموا . والجن أرواح ليست بجمادات ، إذًا ثبت .
وفي رواية : كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن فأسلم الجن وتمسك أولئك بدينهم . إنس يعبدون جماعة من الجن ، أسلم الجن ماذا يعبد الإنس ؟ يعبدون فراغًا فصاروا يعبدون متمسكين بالأصل يعبدون الجن متمسكين بالأصل وأولئك الجن أسلموا ولم يضرهم شيء . وقول ابن مسعود هذا قال ابن كثير : وقول ابن مسعود هذا يدل على أن الوسيلة هي الإسلام ، وهو كذلك على كلا القولين . يعني : على قول ابن عباس أنهم ملائكة والمسيح وعزير ، وعلى قول ابن مسعود أنه أناس من الجن . وعلى القولين الوسيلة المراد بها الإسلام ، وعلى القولين ثبت عبادة غير الله من غير الأصنام وهو : المسيح والملائكة وغير ذلك .
وقال السدي : عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية عيسى وأمه وعزير . يعني : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ) . نقول : هذه أولئك المشار إليه بهم هو : عيسى وما ذُكِرَ .
وقال المغيرة عن إبراهيم : كان ابن عباس يقول في هذه الآية : هم عيسى وعزير والشمس والقمر . إذًا أصنام جمعوا بين قولين . وقال مجاهد : عيسى وعزير والملائكة .
إذًا ثَمَّ أقوال في تفسير هذه الآية .
قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : وهذه الأقوال كلها حق ، فإن الآية تعمّ من كان معبوده عابدًا لله مطيع كالنبي عيسى أو النبي محمد ﷺ هي عامة ، يعني : قد يكون معبود للمشرك عابدًا لله ، تعمّ من كان معبوده عابدًا لله سواء كان من الملائكة أو من الجنّ أو من البشر . والسلف في تفسيرهم يذكرون جنس المراد بالآية على نوع التمثيل ، هذه قاعدة عند سلف في تفسير القرآن إلى أن قال رحمه الله : فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مَدْعُوًا وذلك الْمَدْعُو يبتغي إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه ، فكل من دعا ميتًا ، أو غائبًا من الأنبياء والصالحين ، سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية كما تتناول من دعا الملائكة والجن .. إلى آخر كلامه المذكور في ((**قاعدة التوسل والوسيلة**)) . إذًا الآية عامة (**فمنهم من الأصنام ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم**) ولذلك لم يمثل بقوله : الأصنام . لدخولها في الآية يعني : جمع بين النوعين الأصنام ومنهم يعني : بعضهم من يدعو الأولياء ثم مثل للنوعين بقوله تعالى (**الذين قال الله فيهم**) يعني : الأصنام والأولياء . ((أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) [الإسراء : 57]) والآية كما ذكرنا فيها أنواع من التفسير ، والخلاف فيه خلاف تنوع لا خلاف تضاد .
قال ابن القيم رحمه الله تعالى في هذه الآية : أي هؤلاء الذين يعبدونهم من دوني هم عبيدي كما أنتم عبيدي ، يرجون رحمتي ويخافون عذابي كما ترجون أنتم رحمتي وتخافون عذابي ، فلماذا تعبدونهم من دوني ؟ هذا النوع الأول (**ويدعون عيسى ابن مريم وأمه ، وقد قال تعالى : (مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ)**) هذا دليل ((انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [المائدة : 75 ، 76]) إذًا عيسى ابن مريم عُبِد ، وكذلك ادعت إلهية أمه . قال ابن كثير رحمه الله تعالى : وقوله تعالى : ((مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ)) . أي : له أسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه ، وأنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام . وقوله : ((وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ)) . أي : مؤمنة به مصدقة له وهذا أعلى مقاماتها ، وقوله تعالى : ((كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ)) . والإله لا يأكل الطعام إذًا ادَّعَوْا الإلهية في عيسى وقال تعالى : ((كَانَا)) . يعني : عيسى وأمه . ((كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ)) أي : يحتاجان إلى التغذية به وإلى خروجه منهما فهما عبدان كسائر الناس ، وليس بإلهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة ، ثم قال تعالى : ((انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ) أي : نوضحها ونظهرها ((ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)) أي : ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء أين يذهبون وبأي قول يتمسكون وإلى

أي مذهب من الضلال يذهبون ؟ ثم قال تعالى بعد هذه الكل : ((قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ)) . أثبت ماذا ؟ بعد أن قال : ((مَّا الْمَسِيحُ)) عيسى . قال ((أَتَعْبُدُونَ)) إذًا عبد عيسى وعيسى قبل النبي ﷺ إذًا ثبت ماذا ؟ ثبت أن أولئك المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ ومن جملتهم فرق من النصارى أنهم عبدوا غير الأصنام .

ثم قال تعالى : ((قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) . يقول ابن كثير رحمه الله : يقول تعالى منكرًا على من عبد غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ومبينًا له أنها لا تستحق شيئًا من الإلهية ، فقال تعالى : ((قُلْ)) . أي : يا محمد لهؤلاء العابدين لغير الله من سائر فرق بني آدم ودخل في ذلك النصارى وغيرهم يعني : الخطاب عام . ليس خاصًا بالنصارى ، بل كل من فعل فعلهم فهو داخل في الآية ((قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً)) أي : لا يقدر على دفع ضُرٍّ عنكم ولا إيصال نفع إليكم ((وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) أي : السميع لأقوال عباده ، العليم بكل شيء فلما عدلتم عنه إلى عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئًا ، ولا يملك ضرًّا ولا نفعًا لغيره ولا لنفسه .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في هذه الآية : وقد تضمنت هذه الحجة الدليلين يبطلان إلهية المسيح وأمه ، أحدهما حاجتهما إلى الطعام والشراب . ((كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ)) فيه كناية كما سيأتي أحدهما حاجتهما إلى الطعام والشراب وضعف بنيتهما عن القيام بنفسهما ، بل هي محتاجة فيما يقيمها إلى الغذاء والشراب ، ومعلوم أن المحتاج إلى غيره لا يكون إلهًا ، والمحتاج إلى غيره لا يكون إلهًا إذ من لوازم الإله أن يكون غنيًّا .

الثاني : أن الذي يأكل الطعام يكون منه ما يكون من الإنسان من الفضلات القذرة التي يستحي الإنسان من نفسه وغيره انفصالها عنه ، بل يستحي من التصريح بذكرها ، ولهذا والله أعلم كن الله عنها بلازمهما من أكل الطعام الذي ينتقل الدهن منه إلى ما يلزمه من هذه الفضلة ، هذه كناية هذه يسميها أرباب البيان كناية ، يعني : يذكر الشيء وينتقل الذهن إلى لازمه ((كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ)) والطعام معلوم أنه لا بد أن يخرج ، إذًا فيه كناية عن الفضلات فهذا النص دل على شيئين :

أولاً : الافتقار وأنهما لا يقيمان أنفسهما لحاجتهما إلى الطعام ، والمحتاج إلى غيره لا يكون إلهًا .

ثانيًا : هذا الطعام مآله إلى الفضلات وهذا باللازم ، لأنه ذكر الطعام وكنى به عن لازمه ، هذا الكناية وهو نوع من أنواع المجاز . ولهذا والله أعلم كنى الله عنها بلازمهما من أكل الطعام الذي ينتقل الذهن منه إلى ما يلزمه من هذه الفضلة فكيف يليق بالرب سبحانه أنه يتخذ صاحبةً وولدًا من هذا الجنس . إذًا هذا المقطع ذكر فيه المصنف دليلاً على أن عيسى ابن مريم وأمه قد عُبِدَا .

(**وإذكر له قوله تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ) [سبأ : 40 ، 41]**) هذا دليل على أن الملائكة قد اتخذت معبودات ، ومعلوم أن الملائكة أرواح طاهرة ، ولذلك بعض العرب يعتقد أنها ماذا ؟ أنها بنات الله ، الملائكة يعتقد بعض العرب أنها بنات الله ويقولون : إن أرواح الملائكةُ . ويقولون : إن أرواح الملائكةِ منتشرة في كل مكان ، فإذا طُلِبَ منها لَبَّت الطلب وأجابته . إذا طلب منها استغيث بها لبت الطلب وأجابته ، ولم يكن لها أصنام وتماثيل تَحُلُّ فيها تلك الأرواح الطاهرة ، وإنما يكون اتصالهم بهذه الأرواح بتوجيه العبادات إليها وبندائها والاستغاثة بها ، حينئذٍ تجيبهم الجن ولذلك قال : ((كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ)) . كيف هما ادعوا أنهم عبدوا الملائكة ، والملائكة تقول : ((كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ)) . لأنهم إذا استغاثوا بالملائكة محال أن الملائكة تجيب أولئك المستغيثين بغير الله ، هذا محال أليس كذلك ؟ حينئذٍ من الذي أجابهم ؟ من الذي فرج كربتهم ؟ الجن ، حينئذٍ نقول : ((كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ)) . فحينئذٍ تجيبهم الجن وتغيثهم فيظنون أنها الملائكة دل على ذلك قوله تعالى : ((وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً)) . ((يَحْشُرُهُمْ)) (نحشرهم) قراءتان ((جَمِيعاً)) يعني : هؤلاء الكفار ((ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ)) يعني : في الدنيا . قال قتادة : هذا استفهام تقرير لقوله تعالى لعيسى : (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) [المائدة : 116] . فتتبرأ منه الملائكة ((قَالُوا سُبْحَانَكَ)) تنزيهًا لك ((أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم)) أي : نحن نتولاك ولا نتولاهم ((بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ)) يعني : الشياطين . فإن قيل لهم كانوا يعبدون الملائكة فكيف وجه قوله : ((يَعْبُدُونَ الْجِنَّ)) . هذا ما ذكرناه قيل : أراد الشياطين . زينوا لهم عبادة الملائكة فهم كانوا يطيعون الشياطين في عبادة الملائكة فقوله : ((يَعْبُدُونَ)) . أي : يطيعون الجن . ((أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ)) يعني : مصدقون للشياطين . إذًا هذا دليل على أن الملائكة قد

عُبِدَتْ .   (**وقوله تعالى**) يعني : اذكر قوله تعالى . (**(وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ)**) هذا استفهام تقرير ، عيسى لم يقل للناس وإنما هذا استفهام تقرير (**(وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * [مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ]** [35]) **[المائدة : 116 ، 117]**) فتبرأ منهم عيسى عليه السلام ، واتخاذ عيسى إلهًا من جنس اتخاذ الأصنام آلهة ، يعني : كل نص ورد في معبود من دون الله جل وعلا فهو عام ، ولذلك نقول : اتخاذ عيسى إلهًا من جنس اتخاذ الأصنام آلهة ، فكل نص جاء في الأصنام ولو نص على الأصنام فحينئذٍ يشمل تلك الأرواح الطاهرة ، ومن جنس اتخاذ الصالحين آلهة لأنهم تعلقٌ بالأرواح واعتقدوا أن هؤلاء لهم مكانةٌ عظيمةٌ عند الله فتوجهوا إليها بالعبادة مع حصول شيءٍ من الاستجابة عن طريق الجن .

إذًا : هذه المقدمة التي أراد المصنف أن يثبت أن قوله : ثم فرقٌ بين أولئك المشركين وأولئك المتأخرين لأن الأوائل إنما عبدوا الأصنام والمتأخرين إنما عبدوا الأرواح الأولياء . نقول : لا بل جاءت النصوص وهي كثيرة في إثبات أن من الصالحين الأولياء والأنبياء وهم أعلى درجات الصالحين قد عُبِدُوا من دون الله تعالى ، إذًا : لا فرق بين الوصفين ، (**فقل له : عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام**) نحن نسلم لأن بعض الآيات جاءت في شأن الأصنام ، وجاءت آياتٌ في شأن الأولياء الصالحين (**أن الله كَفَّرَ من قصد الأصنام ، وكَفَّرَ أيضًا من قصد الصالحين ، وقاتلهم رسول الله ﷺ**) حينئذٍ لا فرق بين من اعتقد في الأصنام وبين من اعتقد في الصالحين ، وقد حكم الله تعالى عليهم بحكمٍ واحد ، فكذا قاتلهم رسول الله ﷺ جميعًا بدون تفريقٍ لم ينظر ماذا عبدت أنت ؟ أنا عبد عيسى ، إذًا أمرك يمشي ، لاً ، كلّ من صرف عبادةً لغير الله فهو مشرك ، بقطع النظر عن المعبود ، لأن الشرك له حقيقة قائمة بالمشرِك لا بالمشرَك به ، الحقيقة إنما تكون بماذا ؟ لذلك قال : (**وأنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله لا بهم**) . هذه الحقيقة أين قامت في المعبود أم في العابد ؟ في العابد ومحل الشرك والوصف أين يكون ؟

...

في العابد ، العابد المشرك نفسه هو الذي نقول : أنت مشرك بالله تعالى ، أمَّا المعبود فهذا من صُرِفَتْ له العبادة من دون الله جل وعلا سواءٌ كان   ملكًا ، أو نبيًا ، صالحًا ، طالحًا ، فاجرًا ، كافرًا ، مشركًا ، هذا لا فرق فيه بين الحكم عليه بأنه شرك . إذًا : لا فرق بين المتقدمين المشركين والمتأخرين ، ولذلك قال تعالى : (**وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء**)   [النساء : 89] . (**وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ**) يعني : ودوا كفركم ككفرهم   (**فَتَكُونُونَ سَوَاء**) أي : فإذا فعلتم فعلهم الذي ودُّوا أن تفعلوه كنتم في حكمه (**فَتَكُونُونَ سَوَاء**) في ماذا ؟ في كون الفعل الذي فعلتموه مثلهم أنه يُنَزَّلُ الحكم عليكم كما نزل عليهم (**وَدُّواْ**) أي : الكفار (**وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ**) يعني : أن يحصل منكم الكفر (**فَتَكُونُونَ سَوَاء**) في ماذا ؟ (**فَتَكُونُونَ سَوَاء**) في الفعل والحكم ، يعني : الوصف الذي فعلوه حينئذٍ ينزل عليهم الحكم ، إذًا : الكفر لا يختص بالأوائل ، وإنما هو حقيقة إذا وُجِدَتْ عن الأوائل ثم وجدت عند المتأخر ، متى ما وُجِدَتْ نقول : الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا . إنما كُفِّرُوا سابقًا لكونهم وقعوا في الشرك ، الذي هو صرف العبادة لغير الله جل وعلا ، متى ما وقع صرف العبادة لغير الله تعالى فثَمَّ الشرك ، في أي زمان وفي أي مكان ، أليس كذلك ؟ يعني لا يختص بزمنٍ دون زمن ، ولا مكانٍ دون مكان ، أي : فإذا فعلتم فعلهم الذي ودُّوا أن تفعلوه كنتم في حكمهم ولو كنتم من أهل القِبلة ، كونه مسلمًا ، نقول : هذا لا يلزم المسلم قد يرتد ، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم : « **من بدل دينه فاقتلوه** » . يعني : « **من بدل دينه** » يعني : رجع عن الإسلام ولذلك المرتد هو الذي كفر بعد إسلامه ، وكذلك حديث : « **من تشبه بقومٍ فهو منهم** » . حديث ابن عمر مرفوعًا ، وحديث أبي واقد الليثي « **قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى** » هذا في عهد النبي ﷺ ونَزَّلَ تلك الآية مع أنها في قصة موسى نَزَلَهَا على بعض من قال تلك المقولة (**اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**) [الأعراف : 138] قال [نعم] « **والذي نفسي بيده قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى** » . إذًا : الحقيقة هي الحقيقة ، كون ذلك مع موسى أو محمدٍ ﷺ فلا فرق فالحكم حينئذٍ يكون دائرًا مع الوصف ، متى ما وُجِدَ فثَمَّ حينئذٍ الشرك ، وكذلك حديث أبي سعيد « **لتتبعن سنن من كان قبلكم** » وذكر اليهود والنصارى وهذا متفقٌ عليه كذلك نقول : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

---

(35) لا أدري أزاد الشيخ هذا الجزء من الآية من نسخة أم زادها للاستدلال .

السبب ، يعني : كل نصٍ ذكر فيه أنه نزل بشأن عبادة الأصنام حينئذٍ نقول : العبرة باللفظ لأنه لم يأت نص إلا فيما ذكر (**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى**) [النجم : 19] وما عداها من النصوص التي ذكرت فهي عامة فيها صيغة عموم كقوله تعالى : (**قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم**) [الإسراء : 56] . (**الَّذِينَ**) هذا عام حينئذٍ لو قالوا : هذه نزلت في الأصنام نقول : نعم قد يُسَلَّم بأنها نزلت في الأصنام من باب التنزل ، طيب ، عندنا لفظٌ عام وعندنا سببٌ خاص ماذا نصنع ؟ المسألة أصولية دخل الأصول في التوحيد ماذا تصنع ؟ لو قال : لك هذا سببٌ خاص وهذا لفظٌ عام ماذا تصنع ؟

... ...

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، العبرة في الاستدلال بعموم اللفظ ، فكل لفظٍ عام ورد في سببٍ خاص وهو الأصنام ، حينئذٍ نقول : لا إشكال نستدل بهذه على ماذا ؟ على عبادة الأولياء والأضرحة ونحو ذلك ، ونستدل بتنزيل الحكم عليكم كما استدللنا بتنزيل الحكم عليهم ، فالحكم عام يدور مع علته وجودًا وعدمًا ، إذًا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

إذًا هذه الشبهة وهي الشبهة الثانية وهي منع الاستدلال بالنصوص الواردة في شأن المشركين الأولين مشركي العرب على من وقع في الشرك عند المتأخرين بحجة أن تلك النصوص إنما نزلت في عُبَّاد الأصنام وهم ليسوا بعبادٍ للأصنام ، وقلنا : نمنع الحصر بأنها نزلت فقط في عباد الأصنام ، بل نزلت كذلك آيات في شأن من عبد الأولياء وأعلى الأولياء درجة هم الأنبياء .

(**فإن قال**) وهذه شبهة ثالثة (**فإن قال : الكفار يريدون منهم : وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار والمدبر**) هؤلاء المشركون يدورون حول مسائل معينة يعني : إذا أثبتوا أفراد توحيد الربوبية ، ولذلك من أدخل المقدمة يجيب بنفسه ، لو وُرِدَتْ عليه الشبهة قد يجيب ، وخاصةً من كان ناشئًا في التوحيد ، (**الكفار يريدون منهم**) وهذه شبهة غريبة ، وهي أن الكفار إنما طلبوا من الأصنام أو من الأولياء إن سلمنا سلموا بذلك أن النصوص واردة كذلك في الأولياء ، إنما طلبوا منهم بذواتهم يعني : كأنه قال يا هُبل اغفر لي أو أدخلني الجنة أو أرزقني أو كذا وكذا ، ولم يجعلونا واسطةً بينه وبين الله تعالى ، وهم ما طلبوا منهم ، المتأخرون ما طلبوا بذواتهم ، نقول : هذا يرده ما سبق وهو قوله تعالى : (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) [الزمر : 3] . هذا نصٌ واضح ، لكن هم عندهم إجابات لكنها فاسدة (**فإن قال :**) هذا المشرك (**الكفار يريدون منهم**) يعني : يطلبون من تلك المعبودات مباشرة ، يعني : ما قصدوا الشفاعة أولئك المتقدمون الذين نزل فيهم القرآن ما قصدوا الشفاعة ولا التقرب بهم إلى الله ، يعني : ما طلبوا من الله بل طلبوا منهم من المعبودات ، وهذا فاسد هذا يرده القرآن ، (**وأنا**) يعني المشرك (**وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار** و**المدبر لا أريد إلا منه**) يعني : لا يسأل إلا الله عز وجل (**والصالحون ليس لهم من الأمر شيء**) يعني :

...

من أمر الربوبية ، نعم فـ (أل) هنا الأمر للعهد يعني : ليس لهم العهد الذكري السابق الذي ذكره في كل شبهة هم لا يقرون إلا بتوحيد الربوبية حينئذٍ إذا أثبتوا توحيد فمراده توحيد الربوبية ، إذا نفوا الشرك فمرادهم به شرك الربوبية ، هنا قال : (**والصالحون ليس لهم من الأمر شيء**) ، (**ليس لهم من الأمر شيء**) يعني : لا يخلقون ، ولا يرزقون ، ولا ينفعون ، ولا يضرون . (**ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم**) يعني : رجع إلى ما ذكرناه سابقًا من حال المشركين ، لا فرق بينهم هو يحكي الآن حالاً ينفيه عن المتقدمين ، والقرآن ثبت أن هذا حال المتقدمين ، صحيح ؟ هو الآن يحكي حالاً وقع هو فيه وينفي أنه شرك وينفيه عن المتقدمين ، ونحن عندنا من الْمُحْكَمَات أن هذا الحال هو حال المتقدمين ، إذًا : لا فرق بين الوصفين قال هنا : (**الكفار يريدون منهم**) . يعني : يطلبون منهم مباشرة (**منهم**) يعني : من الأصنام أو الأرواح والأولياء كاستغاثة ونحوها ، وهذا المشرك يقر بتوحيد الربوبية ولا يريد إلا من الله تعالى لا يسأل إلا الله تعالى ، وإنما يتوجه إلى هذه المعبودات لتكون واسطةً بينه وبين الله تعالى ، يعني : لا يسأل الله تعالى مباشرة وإنما يسأله بواسطة هذه المعبودات ، نقول : هذا هو عين الشرك عند الأولين ، (**وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار والمدبر لا أريد إلا منه سبحانه والصالحون ليس لهم من الأمر شيء**) لا خلقًا ولا رزقًا ولا نفعًا ، ولا ضرًا ولا .. ولا .. إلى آخره ، وهذا ذكرناه في أنهم إذا نفوا ذلك مرادهم استقلالاً وإلا يعتقدون أن لهم نفع لكن ليس على جهة الاستقلال ، وإلا لو لم يعتقد فيه النفع والضر لما لجأ إليه البتة ،

وإنما جعله واسطةً بينه وبين الله تعالى لكونه يعتقد أنه ينفع ويضر لكن لا على جهة الاستقلال وإنما على جهة التَّبَع ، (**ولكن**) هذا حرف استدراك (أنا) يعني : المشرك (**أقصدهم**) يعني : أطلبهم قصدًا عمليًا أو قوليًا لأنه قد يقصدهم بقلبه يخاف خوف السر مثلاً نقول : هذا شركٌ أكبر . أو عمليًا ، أو قوليًا كالاستغاثة . أو عمليًا كالذبح لهم ونحو ذلك ، (**أرجو من الله شفاعتهم**) يعني : أطلب بواسطة الصالحين لا مباشرةً منهم ، إذًا : أثبت فرقًا بين شرك المتأخرين ، وشرك المتقدمين بأن المتقدمين طلبوا مباشرةً من معبوداتهم وهو قد ارتقى فطلب من الله تعالى لكن بواسطة هؤلاء المعبودات والجواب ؟

(**أن هذا قول الكفار سواء بسواءٍ**) هذا الذي حكاه الرب جل وعلا عن المشركين الأولين ، ما جئتنا شيئًا جديدًا (**فالجواب : أن هذا قول الكفار سواء بسواءٍ**) لأنهم ما عبدوهم إلا ليشفعوا لهم عند الله تعالى (**فاقرأ عليه قوله تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء)**) ، (**(أَوْلِيَاء)**) لم يقل أصنام قال : (**(أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)** **[الزمر : 3]**) حصروا التوجه إلى تلك المعبودات مع إثبات أن ما فعلوه إنما هو عبادة ، حصروا تلك العبادة لسببٍ واحد وهو : قصد القربة إلى الله تعالى بهم فجعلوها واسطةً ، إذًا : هل توجهوا إليها لذواتها مباشرةً ؟

الجواب : لا ، لا يأتي إلى قبر يقول : يا عبد القادر اغفر لي . لا ، ما يقول هذا ، وإنما يقول : يا عبد القادر سل ربك أو أدعو ربك أن يدخلني الجنة هذا شركٌ أو لا ؟ شرك هو عين الشرك الذي حكاه الرب جل وعلا .

(**وقوله تعالى : (وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ) [يونس : 18]**) . وقلنا : الشفاعة والزلفى بمعنى واحد كما حكاه الشوكاني عن جماهير المفسرين ، إذًا : الجواب هنا محصور في أن هذا الوصف الذي ذكرته هو عين وصفٍ سابقٍ وتذكر له الآيات التي ذكرناها . إذًا : هذه الشبهة مبناها على ماذا ؟ على أن المتأخرين المشركين ما قصدوا من التوجه لتلك المعبودات إلا الشفاعة والقربة هذه شبه حينئذٍ : ردها هذا هو عين الشرك عن المتقدمين .

ثم قال المصنف : (**واعلم أن هذه الشبه الثلاث**) . (**واعلم**) هذا للتنبيه (**أن هذه الشبه الثلاث**) السابقة أل للعهد الذكري (**هي أكبر ما عندهم**) أكبر ما عندهم هي : هذه الشبه ما هي الشبه الأولى ؟

لا نشرك بالله ، لا ما ، هي الشبهة ؟

...

ارفع صوتك

...

ما أسمعك والله

...

لا هذه في الرد الإجمالي الشبهة الأولى ... نعم

...

أنهم

...

لا هذا مشكلة هذا ما فهمتم شيء نعم

...

أي

...

أي نعم (**نحن لا نشرك بالله** شيئًا) هذه مقدمة ليست هي شبهة (**بل نشهد**) أن الله كذا كذَا (**ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله**) لا بهم هذه هي النتيجة .

الشبهة الثانية :

...

نعم أيمن

...

فرق بينهم وجه آخر نعم تعبير آخر

...
هذا ثالث مرة أعيد الدرس

... ...
إذًا : منع الاستدلال بتلك الآيات التي نزلت في بيان حال المشركين منع الاستدلال بها عليهم هم يعني : لا يستدل عليهم بأنهم مشركون لكونهم قد عبدوا الأولياء ، وهذه الآيات كلها مخصوصة بماذا ؟ بالأصنام ، إذًا : منع الاستدلال بتلك الآيات على إثبات شركهم هذه الشبهة الثانية .
الثالثة :
... أي

...
نعم ، إذًا : أولئك المشركون إنما طلبوا من المعبودات مباشرة يعني كيف مباشرة ؟

...
يعني : سألوها

...
هي أن تغيثهم بنفسها ، يا عبد القادر اغفر لي ، هذا سؤال منه هو طلب مباشرة فرقٌ بين اللفظين ، أليس كذلك ؟ يا رسول الله أغثني يعني : يرفع الضرَّ أو يكشف الكربة بنفسه عليه الصلاة والسلام ، أو ادعو الله أن يكشف عني الضرِ فرقٌ بين اللفظين كلاهما شرك .
إذً : هذه ثلاث شبه ، (**واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم**) ما عند المشركين (**فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه ، وفهمتها فهماً جيداً فما بعدها أيسر منها .**) لماذا ؟ لأنها كلها تدور حول

...
جملٍ واحدة متحدة ، إما بيان حال المشركين وهو قد التبس عليه ، أو مفهوم العبادة عندهم فيه خلل ، أو مفهوم الشرك به خلل ، أو مفهوم التوحيد ، أو من جهة الاستدلال بالنصوص النازلة على المتقدمين بأنها نازلةٌ في المتأخرين .
نقف على هذا ، والله أعلم .
وصلَّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

الدرس 13

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

قد شرع المصنف رحمه الله تعالى في ذكر الجواب المفصل ، وذكر أن ثَمَّ شبه ثلاث هي أكبر ما عند القوم .

قلنا : هذه من وعاها وعى ما بعدها ، من أدركها أدرك ما بعدها .

قلنا : الشبه الأولى مضمونها .

....

نعم .

....

أي .

....

إذًا الطلب من الأموات الصالحين على أنهم شفعاء ووسطاء ، طيب مقدمتهم الأولى ذكروا مقدمتين المقدمة الأولى .

......

نحن مذنبون هذه الأولى .

.....

ما هي الأولى ؟ نعم يا سلطان .

....

نحن لا نشرك بالله شيئًا ، نفوا الشرك عن أنفسهم ، وهذه سيما كل من اتهم بأمر قيل : أنت مبتدع ؟ يقول : لا . أنت مشرك ؟ لا ، أنت صوفي ؟ لا ، ... إلى آخره ، كل ما نسب إلى شيء ولو كان هو واقعًا فيه لا بد أن ينفيه ، (**نحن لا نشرك بالله شيئًا**) ما مراده بالشرك هنا ؟ نعم .

....

شرك الربوبية ، ما الدليل ؟ ما الدليل على .... قالوا : (**نحن لا نشرك بالله شيئًا**) . إذا قلت : مرادك شرك الربوبية دون دليل من كلامه .. ، هاه يا نجيب .

....

أي نعم لذلك قال : (**بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق**) .. إلى آخره ،

وأن النبي ﷺ (**لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا**) وكذلك عبد القادر .. إلى آخره .

إذًا هذه المقدمة الأولى وهي : نفي الشرك عن أنفسهم ومرادهم به الشرك في الربوبية . قلنا : هذه نردها من ثلاثة أوجه : ... [هذه المقدمة قبل المقدمة الثانية] ردها من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول :

....

لا نحن في المفصل الآن .

....

بيان حقيقة الشرك ، لأنه لما وقع في الشرك ونفى عن نفسه الشرك وأراد به الشرك في الربوبية ، حينئذٍ وقع لبس في فهم حقيقة الشرك . إذًا الأول : توضيح الحقيقة الشرعية للشرك ، نقول له : الشرك هو كذا وكذا .. إلى آخره ، تجعل لله ندًا في الإلوهية أو الربوبية أو الأسماء والصفات . وأنت قد وقعت في الشرك في الإلوهية ونفيت الشرك عن نفسك بإثبات مفردات توحيد الربوبية هذا الأول .

الثاني - مما ترد به هذه المقدمة - :

......

بيان حال المشركين ... صحيح ؟

......

أي .. باعتبار ماذا ؟

......

طيب لا بأس ، بيان حال المشركين ، ولك أن تقول : بيان أنواع الشرك التي جاءت في القرآن ، لأنه لما نفى الشرك عن نفسه وأثبت أنه يقر بمفردات توحيد الربوبية معناه أنه ما فهم الشرك ، وأن الشرك أنواع إذا نفى عن نفسه الشرك في الربوبية لا يلزم منه ألا يقع الشرك في الإلوهية . إذًا لجهله بأقسام الشرك الواردة في القرآن
نقول : الشرك في الإلوهية ، والشرك في الربوبية ، والشرك في الأسماء والصفات كل واحد من هذه أما شرك أكبر وإما شرك أصغر . إذًا نبين له أنواع الشرك التي جاءت في القرآن .
الثالث : - وهو مهم أهم هذه الأنواع - الثالث : يرد هذه المقدمة هاه يا عبد الله .

.....

لا لا الآن في قوله : (**لا نشرك بالله شيئًا**) . وقع عنده لبس في فهم الشرك ، السؤال : ما سبب وقوع اللبس في فهم حقيقة الشرك الشرعية ؟ نعم .

.....

تفسير التوحيد ، إذًا ارتباط اللبس في مفهوم الشرك الشرعي عنده لأنه فسره بشرك الربوبية لماذا ؟ لأن الشرك نقيض التوحيد ، وما هو التوحيد عنده ؟

.....

لا خالق إلا الله ، ولا رازق إلا الله ، متى يكون قد خرج عن التوحيد ؟
إذا اعتقد أن ثَمَّ خالقًا مع الله ، ورازقًا مع الله ، وهو لم يعتقد هذا ، لم يعتقد أن الصنم يخلق أو يرزق أو يدبر من الأمر شيء ، وإنما جعل ذلك الصنم وذلك الميت واسطة بينه وبين الله تعالى .
إذًا ثلاث أوجه في رد هذه المقدمة الأولى وهي **:** بيان حقيقة الشرك الشرعي يعني : في شريعة النبي ﷺ .
ثانيًا : بيان أنواع الشرك الذي جاءت في القرآن .
ثالثًا : ارتباط هذا الانحراف في مفهوم الشرك بالانحراف في تفسير لا إله إلا الله ، لأنهما نقيضان كل منهما ينقض الآخر ، فإذا وقع الانحراف في مفهوم لا إله إلا الله لزم من ذلك وقوع الانحراف في الشرك .
طيب هذه المقدمة الأولى .
المقدمة الثانية :
أولاً قال : (**لا نشرك بالله شيئًا بل نشهد أنه لا يخلق**) إلا الله . ... إلى آخره هذه مقدمة ، المقَدمة الثانية [نعم] .

....

[أي] نحن مذنبون (**والصالحون لهم جاه عند الله**) مكانة ومنزلة وحظوة طيب ما الذي ينبني على هذا ؟

....

أي (**ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله تعالى وأنا وأطلب من الله بهم**) هذه ثلاث مقدمتان ونتيجة ، وهي كذلك مقدمة لـ المقدمة ثانية للمقدمة الأولى . إذًا (**أنا مذنب**) اعتقد نفي الولاية عن نفسه ، وهذا فيه خلل لأن الذنب لا ينافي الولاية (**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا**) [يونس : 62 ، 63]
ومعلوم أن الإيمان مرتبتان : مطلق الإيمان ، والإيمان المطلق . وقوع المسلم في الذنب المعصية ولو كانت كبيرة ما لم يستحلها لا يخرجه عن دائرة الإيمان ، لذلك نقول : هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، وهذا عقدة أهل السنة والجماعة . إذًا ولاية مثلها فإذا وقع في الذنب لا يخرج عن كونه وليًا لله تعالى ، بل هو ولي ولكن فيه نقص بقدر ما خرج عن المتابعة . (**ولكن أنا مذنب**) إذًا والمذنب على اعتقاده ليس وليًا (**والصالحون لهم جاه عند الله**) وهذا حق أو باطل ؟ الصالحون لهم مكانة عند الله ، لا شك ولذلك الآية السابقة تدل على هذا (**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**) (**وأطلب من الله بهم**) أطلب من الله بهم يعني : أطلب من الله لا منهم لم يطلب منهم مباشرة أن يغفروا الذنب وأن يفرجوا الكرب ، وإنما طلب من الله لكن مباشرةً أو بواسطة ؟ بواسطة ما الجواب عن هذه المقدمة الثانية ؟ (**أنا مذنب**) عرفناها باطلة لمخالفة ما سبق (**والصالحون لهم جاه عند الله**) هذه هي المثال الذي ذكرها لدليل الإجمال ، ماذا نقول في الجواب ؟ أيمن

....

نعم .

....

نعم .

....

جميل وأيضًا نقول .

.....

أي نعم ، ونقول : بيان حال المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ حينئذٍ نقول : هذا الذي فعلته أنتَ هو ما حكاه الله تعالى عن المشركين وحكم عليهم بالشرك والقتل والسبي ونحو ذلك ، وأنهم خالدون مخلدون في نار جهنم إن ماتوا على ما هم عليه .

حينئذٍ نقول : وصف حال العرب - وهذا أمر مهم - وهذا قلنا نأخذه من الكتاب والسنة ونأخذه كذلك من التاريخ ، فننظر في حال المشركين الذين بُعث فيهم النبي ﷺ ماذا كانوا يفعلون ؟

كانوا يتوجهون إلى هذه الأصنام وهذه المعبودات من الأصنام والأولياء ونحوها ، ولكن لا يجعلونها معبودات مباشرة ، وإنما يجعلونها واسطة بينهم وبين الله تعالى ، ولذلك قال الشيخ هنا في رد هذه الشبهة (**فجاوبه بما تقدم**) وهو أن هذا شرك يعني : عين الشرك الذي فعله أولئك المتقدمون (**وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقرّون بما ذكرتَ لي ، ومُقرّون أن أوثانهم لا تدبر شيئًا وإنما أرادوا**) ممن قصدوا (**الجاه والشفاعة واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه**) .

إذًا حاصله أن نقول : نبين له حال المشركين الذين بُعث فيهم النبي ﷺ وما ذكرته أنت (**وأنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب منهم لا بهم**) نقول : هذا هو عين الشرك الذي حكم النبي ﷺ به على أصحابه هذه هي الشبهة الأولى .

الشبه الثانية .

....

أي نعم .

......

نعم أحسنت . إذًا فرقوا بين مدلول تلك الآيات في زعمهم وبين عبادتهم أو معبوداتهم ، وقالوا : أولئك الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ ونزل القرآن في شأنهم إنما يفسر بالشرك بعبادة الأصنام لأنها لا أرواح لها ، وهم قد عبدوا الأولياء لا يقولون : عبدوا . يقولون : قد توجهوا إلى وتوسلوا إلى الأولياء . وفرق بين من له روح مقدسة مطهرة مزكى بشهادة الله تعالى (**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**) [يونس : 62] وبين جماد لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ، ولذلك يقولون : كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا . بماذا نجيب ؟

أولاً : منعوا الاستدلال بتلك النصوص . قالوا : لا تنزله علينا نحن ما نعبد أصنامًا لا هبل ولا اللات ولا غيرهم . وإنما توجهوا للأضرحة إلى الرسول ﷺ وغيره حينئذٍ نقول : الجواب ؟

....

قلنا : إن سلَّم بمقدمتين ثم إذا جئنا للثاني ، ماذا قال الشيخ ؟ (**فجاوبه بما تقدم**) المقدمات السابقة وهي : بيان حقيقة التوحيد ، وحقيقة الشرك ، وسبب الانحراف ، وبيان حال المشركين . ولذلك قال : (**إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله**) . وأن هذه مقدمة والثانية (**وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة**) . إذًا الكفار أقروا مثل ما أقر هو ، وكذلك ما أرادوا منها مباشرةً ، وإنما جعلوها واسطة بينهم وبين الله تعالى ، حينئذٍ إن أراد أن يفرق بين نوع المعبودات في كونهم قد عبدوا أصنامًا وهم قد عبدوا أضرحة أموات أرواح ، فحينئذٍ نقول : نأتي بالمقدمة الثالثة وهي .. نعم .

.....

أي نعم ، تنوع معبودات المشركين ، وهذا كما سبق معنا في القاعدة الثانية من القواعد الأربعة ، ولذلك دعوا الأولياء وعيسى والملائكة وغيرهم .

طيب إذا بيّنا له ذلك أن المعبودات متنوعة حينئذٍ ماذا نصنع معه ؟ ما الذي صنعوه الأصنام وما الذي صنعوه مع عيسى ابن مريم وأمه والملائكة ؟ هل هو شيء واحد أم لا ؟
شيء واحد ، إذا وُجِدَ الوصف المتعلق بالأصنام نفس الوصف هذا وهو : جعلها واسطة بينه وبين الله والتوجه إليها بأنواع من العبادات ، إذًا وُجِدَ في غير الأصنام ولو لم يرد نصٌ في عين المعبودات ، يعني : لو لم يفعلوا أولئك الأقوام بتوجه العبادات لغير الأصنام ما قولنا ؟

.....
ماذا نقول لهم ؟

.....
العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، لأنها عامة ألفاظ عامة ، ولو وردت في شأن الأصنام ولم يعبدوا تَنَزُّلاً يعني : المشركون الأولون لم يعبدوا إلا الأصنام وقد عبدوا أولئك الأضرحة حينئذٍ نقول : الوصف هو عين الوصف ، الفعل هو عين الفعل ، أليس كذلك والحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا .
ثانيًا : أن تلك النصوص من الوحيين ألفاظ في بعضها عموم ، وإذا كان كذلك فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كذلك قوله تعالى : (**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا**) [النساء : 89] . إذًا نقول له : عرفت أن الله كَفَّرَ من قصد الأصنام وكفر أيضًا من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله ﷺ ، إذًا منع الاستدلال بتلك الآيات فمن عبد غير الأصنام لا يُسَلَّم لوجود من عبد الصالحين وقد قاتلهم النبي ﷺ وكفرهم ، وكذلك الوصف هو عين الوصف هذه الشبهة الثانية .
ثالثًا : الشبهة الثالثة .

....
منهم .

....
أي نعم
قال : نحن ما جعلناهم معبودات مباشرة ما ذبحنا لذواتهم ولا سألنهم هم بأنفسهم . وإنما جعلوهم واسطة بينهم وبين الله ، وادَّعَوْا كذبًا وزورًا أن أولئك المشركين قد عبدوهم مباشرةً ، يعني : أرادوا منهم لا جعلوهم واسطة بينهم وبين الله تعالى ، نقول : هذا كذب . لذلك قوله : (**فإن قال : الكفار يريدون منهم**) . نقول : هذه من كيسك القرآن يرد هذا ، قال تعالى : (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) [الزمر : 3] . هذا نص (**هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**) [يونس : 18] وهذا نص ، من أين أن الكفار يريدون منهم ؟ ومع ذلك قد سَلَّمُوا (**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**) ... إلى آخره (**فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ**) [يونس : 31] سَلَّمُوا بمفردات الربوبية لله عز وجل ، ومع ذلك جعلوا هذه المعبودات الأصنام وغيرها واسطة بينهم وبين الله تعالى ، ولذلك قال هنا : (**الكفار يريدون منهم وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار والمدبر لا أريد إلا منه ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم**) . هذا داخل كذلك فيما سبق .
حينئذٍ نقول : الجواب أن هذا القول هو قول الكفار سواء بسواء كما قال المصنف ، والآيتين اللتين ذكرناهم .
ثم قال رحمه الله تعالى : (**واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم ، فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه ، وفهمتها فهمًا جيدًا فما بعدها أيسر منها**) . لأنها كلها تدور حول مسائل معينة ، ولذلك من ضبط حقيقة التوحيد وضده أو نقيضه وهو الشرك ، وعرف أنواع كل منها الثلاث ، وفهم المراد بلفظ الإله ولفظ الرب ، وعلم حال العرب المشركين الذين نزل فيهم القرآن ، لا يكاد تمر به شبهة إلا ويردها لأنها متداخلة ، وهؤلاء قوم ذرية بعضها من بعض ، يعني : لا يأتي أحدها إلا بما يأتي به سابقه ولذلك هي متداخلة .
(**فإن قال**) هذه شبهة رابعة (**فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله**) كما قال ذلك : (**لا نشرك بالله شيئًا**) . نفى (**لا أعبد إلا الله**) ، (**وهذا الالتجاء إليهم ، ودعاءهم ليس بعبادةٍ**) .
إذًا هذا نوع جديد عنده خلل في فهم العبادة ، ما هي العبادة ؟ يعني : نقول : لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله ، إذًا لا يتوجه بعبادة إلا إلى الله تعالى ، وقال سبحانه : (**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**) [النساء : 36] إذًا نفي

الشرك شرط في صحة العبادة ، (**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**) نفي الشرك وعدم الوقوع فيه شرط في صحة العبادة ، إذًا لا معبود (**وَاعْبُدُوا اللَّهَ**) ، (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) [الذاريات : 56] إذًا العبادة شأنها عظيمٍ هي : مفهوم لا إله إلا الله ،وهي الحكمة من خلق الإنس والجن ، وكذلك أمر الله تعالى بها وجعل نفي الشرك شرطًا في صحتها ، إذًا لها حقيقة شرعية أو لا ؟

لا بد أن لها حقيقة شرعية ، لأنه لا يمكن أن يقال بأن الله تعالى خلق الإنس والجن من أجل تحقيق هذه العبادة ، ثم لم يبين تلك العبادة ، لما يجعلها عقلية أو أمر عرفي ولا عقلي لماذا ؟ لأن هذه العبادة عبادة شرعية ، وليست بشيء مرده إلى العقل فخلق الإنس والجن ثم أمرهم بالعبادة (**إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) [الذاريات : 56] إلا لآمرهم وأنهاهم ، وبَيَّنَ لهم عن طريق الرسل حقيقة هذه العبادة ، فإذا كان الأمر كذلك حينئذٍ لا بد من وضع حدٍّ لهذه العبادة لِيُعْلَم أن هذا النوع وهذا الفرض إذا صدق عليه بأنه عبادة لا يجوز صرفه لغير الله ، فإذا صرفه لغير الله تعالى حينئذٍ يكون قد وقع في الشرك الأكبر ، والعبادة مطلقًا قليلها وكثيرها ، صرفها لغير الله تعالى شرك أكبر ، ولو في نوع واحد . هنا قال : (**أنا لا أعبد إلا الله**) . وهذا منقوض لما بعده لأنه قال : (**لا أعبد إلا الله**) . هذا نفي وحصر ، نفى العبادة عن غير الله وأثبتها لله وحده ، نفى العبادة يعني : كونها حاصلةً منه لغير الله وأثبتها لله وحده جل وعلا ، ثم قال : (**وهذا الالتجاء إليهم**) الالتجاء ولا اللوذ . (**ودعاءهم**) دعاءً لأصنام (**ليس بعبادةٍ**) ، إذًا استثنى نوعًا من أنواع العبادة وحكم عليه بأنه ليس بعبادة ، وهو من أجل العبادات وهو : الدعاء . فلم يجعل الدعاء الذي توجهوا به إلى هذه المعبودات عبادة ، وإذا كان الأمر كذلك إذا نُفِيَ عنه العبادة هل انصرف شيئًا لغير الله ؟ لم يصرف شيئًا لغير الله فلم يقع في الشرك ، لو سُلِّمَ بأن الدعاء ليس بعبادة يُسَلّم له أو لا ؟

لا ، لو سُلِّم بأن الدعاء ليس بعبادة - على كلامه - هل يكون في كلامه خلل ؟

لا ، لا يكون في كلامه خلل . إذًا من أين جاءه الخلل ؟

في فهم معنى العبادة شرعًا ؟ وهل الدعاء عبادة أم لا ؟

عنده ليس بعبادة ، وهذا غريب عنده ليس بعبادة ، حينئذٍ صرفه لغير الله تعالى لهذه المعبودات لم يجعله مشركًا ولم يجعله إلا موحدًا - في ظنه - . إذًا هذه الشبهة وهي الشبة الرابعة مضمونها أن دعاء الصالحين والالتجاء إليهم ليس عبادةً لهم ، والدعاء والطلب ليس بعبادة ، وهذه متعلقة يعني : الشبهة . متعلقة بجهل المشرك بحقيقة العبادة ، وإذا كان الأمر كذلك حينئذٍ لا بد أن نبين ونفسر له حقيقة العبادة ، حيث لم يجعل - هذا المشرك - الالتجاء ودعاء الصالحين عبادةً ، ورد المصنف هذه الشبهة بطريق التدرج ، يعني : جاء إلى شيء متفق عليه ثم جعله هو حجة على المختلف فيه لأنه يقر ببعض ويكفر ببعض ، يؤمن ببعض ويكفر ببعض ، وردَّ المصنف هذه الشبهة بطريق التدرج في التعليم والإلزام حيث استدل بالمجمع عليه على المختلف فيه ، والمتفق عليه بين المشرك وبين هذا هو ما أشار إليه بقوله : (**فقل له**) . قل أنت يعني الموحد للمشرك وأنت تجادله وتناظره تقول له : أنت تقر . يعني : هل (**أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك ؟**) هذا أمر متفق عليه أن الله تعالى أمر بإخلاص العبادة له جل وعلا ، أليس كذلك ؟ (**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**) [البينة : 5] هذا أمر متفق عليه ، (**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**) [الزمر : 3] وجاء في الحديث : « **أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه** » . رواه مسلم ، حديث صحيح ثابت ، فتقرر بهذا وجوب الإخلاص إخلاص كل عبادة لله لعموم قوله : (**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ**) . (**اللَّهَ**) مفعول به ، والعبادة واقعة عليه (**مُخْلِصِينَ**) هذا حال من فاعل يعبدوا ، إذًا الوصف الذي دل عليه الفعل وهو : العبادة . مقرونة بفاعلها يعني : هو فاعلها . أن يكون مخلصًا لله ، وهذا فيه عموم ، ما معنى العموم أن كل عبادة أُمروا بها لا بد وأن تكون مشتملة على الإخلاص ، ولذلك قال : (**مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**) . العمل يعني ، كذلك النص الآخر (**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**) .

إذًا تقرر بهذا وجوب إخلاص كل عبادة لله ، والدعاء من العبادة أو لا ؟ نقول : نعم من العبادة ، ولذلك المصنف أراد أن يسلك مسلك التفهيم لهذا المشرك ، لأنه جاهل إذا جهل معنى العبادة معناه يحتاج إلى أسلوب يَتَنَزَّل به المصنف من أجل أن يفهم ، ولذلك لم يأت بالحقيقة ، يقال : عبادة المعنى الاسمي والمعنى مصدري وهي اسم ... إلى آخره ، وإنما أتى بمثال ليدل به على أن ما وقع فيه النزاع بينه وبين ذلك المشرك إنما هو من العبادة (**فقل له أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك ؟**) ، (**إخلاص العبادة**) إذًا عبادة مع إخلاصٍ ، عبادة بدون إخلاص قلنا : ليست بعبادة . لأننا نفسر ماذا ؟ العبادة في المفهوم الشرعي ، وثَمَّ مقارنة وملازمة بين

الإخلاص والخضوع والتذلل لله تعالى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي ، فإذا انتفى الإخلاص انتفت العبادة لأنه شرط فيها كالصحة صحة الصلاة بالنسبة للطهارة ، فإذا انتفت الطهارة انتفت الصلاة ، لا تكون صلاةً شرعية ، كذلك العبادة إذا دخلها الشرك حينئذٍ انتقض لأنه إذا انتفى الإخلاص لزم منه الوقوع في الشرك . إذًا (**إخلاص العبادة**) أي : العبادة الخالصة لله عز وجل والإخلاص هو الخالص الصافي وهو : ما زال عنه الشوائب . يقال : هذا لبن خالص . أي : لم يشبه شيء . والإخلاص هو حب الله تعالى وإرادة وجه ، وقيل : الإخلاص هو : أن يتوجه المكلَّف بأعماله كلها لله تعالى وحده دون ما سواه ، فلا يقصد بعبادته مَلَكًا ولا شجرًا ولا حجرًا ولا نبيًّا ولا غيره . حينئذٍ تصدر هذه العبادة من المكلَّف ولا يريد بها إلا وجه الله تعالى ، فإذا حصل التشريك حينئذٍ نقول : خرج عن طريق الإخلاص . (**أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك ؟ فإذا قال : نعم**) ولا بد أن يقول : نعم . لأنه يقرأ (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**)

والآيات السابقة حينئذٍ (**فإذا قال : نعم**) فإذا قال : لا . صار مكابرًا ، وهذا انقطعت المناظرة معه ، إذا صار مكابرًا انقطعت المناظرة ، (**فقل له : بين لي هذا الذي فرضه**) يعني : يستدرج معه في أن أول أو أن إخلاص العبادة لله تعالى مما فرضه الله تعالى على كل أحد ، فسيقول : نعم الله تعالى أمر بإخلاص العبادة . طيب هذا حكم ، أليس كذلك ؟ والحكم على الشيء فرع عن تصوره ، إذًا حكمت بأن إخلاص العبادة فرض عليك ، ما هي هذه العبادة ؟ لأنك حكمت أولاً بأن الله تعالى فرض عليك هذه العبادة ، إذًا فَسِّر لي هذه العبادة ، حينئذٍ لا يخلو حاله من أحد أوجه ثلاثة :

إما أن يقول : الله أعلم ، لا أدري .

وإما أن يقول : العبادة هي : اسم جامع لكل ما يحبه الله .. إلى آخره أصاب ، وهذا بعيد لأنه مشرك .

وإما أن يفسرها تفسيرًا خاطئًا . وهذا هو الذي معنا ، إما أن يقول : لا أدري الله أعلم . وإما أن يفسرها تفسيرًا صحيحًا ، وإما أن يفسرها تفسيرًا خاطئًا ، هل ثَمَّ وجه رابع ؟

لا ، ما يمكن ، إما أن يعلم أو لا ، إن لم يعلم فهو جاهل لا أدري ، إن علم ننظر ماذا تعلم ؟ أعطنا . فإن أخرج ما عنده فإن وافق الصواب فهو تفسير صحيح ، وإلا فهو خاطئ ، التفسير الصحيح هنا لا يمكن أن يكون لأنه وقع في الشرك ، فلا يمكن أن يكون قد عرف العبادة من مفهوم الشرعي الحقيقي (**فقل له : بين لي هذا الذي فرضه الله عليك وهو إخلاص العبادة وهو حقه عليك**) وهو حقه عليك كما جاء في حديث معاذ « **أتدري ما حق الله على العباد** » ؟ ... إلى آخره ، فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها (**[فإذا] كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها**) هذا وجه في بعض النسخ أليس كذلك ، (**[فإذا] كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك : قال الله تعالى**) هذا أولى من قول : فإنه لا يعرف العبادة . لأنه ماذا ؟ هو يريد أن يستدرج معه في كونه يجهل هذه العبادة التي أقر واعترف بأن الله تعالى فرض فيها الإخلاص عليه ، حينئذٍ يجهل هذه العبادة ، فإذا كان لا يعرف هذه العبادة ولا أنواع العبادة وأنها تندرج تحتها اعتقاديات وقوليات وأقوال وعمليًا ، لأن العبادة - كما سبق - قد تكون بالاعتقاد وقد تكون بالقول وقد تكون بالعمل . (**فبينها له**) تقول العبادة ماذا ؟ اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، وسبق تقرير قاعدة في ((**شرح الأصول الثلاثة**)) أن كل ما أمر الله تعالى به سواء كان أمر إيجاب أو أمر استحباب أو رتب عليه ثوابًا في الدنيا أو في الآخرة أو مدح ذلك الوصف أو ذلك القول أو ذلك الفعل أو ذلك الترك ، أو مدح فاعليه فهو عبادة ، لأن الله تعالى لا يأمر بشيء إلا وهو يحبه ويرضاه ، ولا ينهى عن شيء إلا وهو يبغضه ويكره .

حينئذٍ نقول : كل ما أمر الله تعالى به فهو عبادة ، هنا مَثَّلَ له المصنف بمثال قال : (**فبينها له بقولك**) . ذكر المثال لأنه أقرب للفهم من غيره . (**قال الله تعالى : (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً) [الأعراف : 55]**) لماذا خص هذا المثال ؟ لماذا أتى بهذا ؟ لماذا لم يقول : (**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**) . هاه ؟

....

نعم ، لأنه في صميم ما هو فيه ، لأن الرجل يقول : هذا الالتجاء إليهم ودعاءهم ليس بعبادة . كيف تقول : الصلاة عبادة أو لا ؟ يقول : عبادة . لماذا ؟ لأن الله تعالى قال : (**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**) . أليس كذلك ؟ هو يقول هذا ، يقول : الصلاة عبادة . تسأله الصلاة عبادة ؟ يقول : نعم . لم ؟ لأن الله تعالى قال : (**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**) . الزكاة عبادة ؟ يقول : نعم . لماذا ؟ لأن الله تعالى قال : (**وَآتُوا الزَّكَاةَ**) . الصيام عبادة ؟ نعم لأن الله أمر به (**كُتِبَ عَلَيْكُمُ**

الصِّيَامُ) [البقرة : 183] ، (**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**) [البقرة : 185] الدعاء عبادة أو لا ؟ عبادة لأن الله تعالى قال : (**ادْعُواْ رَبَّكُمْ**) . (**ادْعُواْ**) فعل أمر مثل قوله : (**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ**) . ومثل قوله : (**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**) . هذا أمر (**فَلْيَصُمْهُ**) أمر أو لا ؟

....

أمر أو لا ؟ أمر ؟ (**فَلْيَصُمْهُ**) ، (**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**) أمر ؟ (**وَآَتُوا الزَّكَاةَ**) أمر ؟ نعم (**فَلْيَصُمْهُ**) ؟

....

نحن الآن نستدل باللفظ على إثبات كون الشيء مأمورًا ، حينئذٍ الاصطلاح يكون لغويًّا أم أصوليًّا ؟

أصوليًّا ، حينئذٍ (**فَلْيَصُمْهُ**) تقول : هذا أمر . والأصل في الأمر لأنه للوجوب ، كيف تقول : الأصل في الأمر أنه للوجوب ؟ مثل (**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**) أمر ، وكل مأمور به فهو واجب ، إذًا الصلاة واجبة (**فَلْيَصُمْهُ**) أمر ، وكل مأمور به أو أمر فهو للوجوب ، إذًا الصيام مأمور به فهو واجب ، إذًا هذا الفعل نقول : (**فَلْيَصُمْهُ**) هذا أمر . ((**ادْعُواْ رَبَّكُمْ**)) هذا أمر بالدعاء فهو : عبادة ولا شك . ((**تَضَرُّعاً**)) هذا حال يعني : متضرعين . ((**وَخُفْيَةً**)) عطف على (**تَضَرُّعاً**)) قال البغوي : ((**ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً**)) تذللاً واستكانة ((**وَخُفْيَةً**)) أي : سرًّا . إذًا ((**ادْعُواْ رَبَّكُمْ**)) ، ((**رَبَّكُمْ**)) قلنا : هذا مفعول به والرب هو المالك المتصرف الخالق الرازق النافع الضارّ ، ومن يملك هذا كله فهو المستحق للعبادة دون ما سواه ، و((**ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً**)) ولذلك ذكرنا قاعدة فيما سبق أن كل لفظ دعاء في القرآن يحمل على نوعين :

دعاء العبادة .

ودعاء المسألة .

إلا في مثل هذا النص ((**تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً**)) ، (**فإذا أعلمته بهذا**) الأمر السابق بأن الدعاء عبادة لأنه مأمور به كما أن الصلاة عبادة لأنها مأمور بها ، فلا فرق بين اللفظين والحكمين ، (**فإذا أعلمته بهذا**) فيقال له : إذا دعوت الله تعالى . إذا دعوت الله رفعت يديك وسألت ربك أو في سجودك ، هل تكون بذلك عبدت ربك أو لا ؟

الآن تقرر أن الدعاء عبادة للأمر به ((**ادْعُواْ رَبَّكُمْ**)) نأتي إليه ، هل إذا دعوتَ ربك عبدته أو لا ؟

عبدتَه نعم قطعًا أنك عبدته (**فلا بد أن يقول : نعم**) لأن الدعاء عبادة فيقال له : كذلك دعوت غير الله تكون قد عبدته ، كما يقال أنه إذا صلى لله فقد عَبَدَه ، وإذا صلى لغير الله فقد عبد ذلك المعبود الذي توجه إليه بالعبادة ، لأن الصلاة عبادة ، وإذا تقرر أن الدعاء عبادة ، فإذا دعا الله تعالى فقد عبده ، إذا توجه بهذه العبادة إلى غير الله فقد عبده . إذًا توجه بشيء من العبادات لغير الله تعالى (**فإذا أعلمته بهذا**) بأن الدعاء عبادة (**فقل له : هل هو عبادة لله تعالى ؟ فلا بد أن يقول : نعم ، والدعاء العبادة**) هذه جملة استطرادية ، أو الدعاء هو العبادة ، وفي بعض النسخ وهي أكثرها (**والدعاء مخ العبادة**) وهذا ظاهر أنه هو أولى لأن المصنف كثيرًا ما يستدل بهذا النص ، (**والدعاء مخ العبادة**) مخ العبادة هذا حديث أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرف إلا من حديث ابن لهيعة . وفيه ضعف ، والأصح منه حديث « **الدعاء هو العبادة** » . إذًا (**والدعاء من العبادة** والظاهر أنه (**والدعاء مخ العبادة**) يعني : أجل أنواع الطاعات والعبادة . (**فقل له : إذا أقررت أنه عبادة**) لأنه لا بد أن يقر أن دعاء الله وحده عبادة (**ودعوتَ الله ليلاً ونهارًا خوفًا وطمعًا ، ثم دعوتَ في تلك الحاجة**) بعينها (**نبيًّا أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره ؟**) إذا أقرّ بأنها عبادة ، بأن الدعاء عبادة ، فنقول له : إذا دعوت الله هل عبدته أم لا ؟ سيقول : نعم . إذا سألت الله تعالى ليلاً ونهارًا خوفًا وطمعًا في حاجة بعينها ثم توجهت بتلك الحاجة بعينها إلى غير الله تعالى هل صرفت العبادة لغير الله أو لا ؟ قطعًا سيقول : نعم . لذلك قال : (**فلا بد أن يقول : نعم**) . لأن عين الشيء سأله الله عز وجل ودعاه خوفًا وطمعًا ثم توجه به لغير الله تعالى في الحاجة بعينها ، وهذا مصداق قوله تعالى : (**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**) [النساء : 36] ، (**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) [الجن : 18] وهذا قد دعا غير الله تعالى (**فلا بد أن يقول : نعم**) (**فقل له**) مثال آخر لتشرح له معنى العبادة (**فقل له : قال الله تعالى : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) [الكوثر : 2]**) ، ((**فَصَلِّ لِرَبِّكَ**)) لا لغيره والأمر هنا للوجوب ((**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**)) عبادة أو لا ؟ عبادة ((**فَصَلِّ**)) عبادة أو لا ؟ نقول : عبادة لأنه مأمور بها . قال : ((**لِرَبِّكَ**)) . لمعبودك ((**وَانْحَرْ**) **[الكوثر : 2]**) أي : انحر لربك . حذف الجار مجرور من الثاني لدلالة ما

سبق عليه ، والأصل : فصل لربك وانحر لربك . كقوله تعالى : (**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) [الأنعام : 162] . إذًا : ((**وَانْحَرْ**)) هنا أمرٌ بالنحر وهو الذبح ، وهو آكد أنواع العبادة الظاهرة والمالية ، فإذا أطعتَ الله ونحرت له هل هذه عبادة أو لا ؟

عبادة ، لأنه امتثل قوله تعالى : ((**وَانْحَرْ**)) . لربك فإذا نحر لله عز وجل في الهدي ، والأضاحي ، ونحو ذلك نقول : هذا عبادة توجه بها لله عز وجل (**فلا بد أن يقول : نعم ، فقل له : فإذا توجهت**) بتلك العبادة وهي النحر التي حكمت عليها بأنها عبادةٌ لله تعالى وقد توجه بها لربه ، إذا توجهت بهذه العبادة لمخلوقٍ أيًا كان هذا المخلوق ، هل عبدت ذلك المخلوق أو لا ؟ (**لا بد أن يقول : نعم**) لماذا ؟ لأنه أقرَّ أن النحر إذا كان مرادًا به الرب جل وعلا فهو عبادة ، عين العبادة نفسها إذا صرفها لغير الله هو عين الشرك ، (**فقل له : فإذا نحرت لمخلوق**) . يعني : تقربت بهذا الدم (**لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما ، هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقول : ...**) ، قال : لا . فهو مكابر ولذلك يأتي هنا # 41.35... يريد الحق ، أما الذي ينفي ما هو متفقٌ عليه أو ما هو ظاهرٌ بين واضح فهذا مكابرٌ وتنقطع معه المناظرة والمجادلة ، فلا بد أن يقول : نعم ، لأن عين الفعل واحدة ، والعبرة بحقيقة الوصف أو الفعل لا بالأسماء ، يعني : الشرك لو سماه التجاءً ، أو سماه توسلاً ، أو تبركًا ، نقول : الشرك عينه هو صرف العبادة لغير الله تعالى أن يجعل لله ندًا فيصرف إليه شيئًا من العبادة ، ولذلك قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " فالشرك والكفر هو شركٌ وكفرٌ لحقيقته ومعناه لا لاسمه ولفظه " . لأنه إذا علق الحكم (**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**) [النساء : 48] علقوا على اسمٍ ، ومعنى ، أو اسمٍ فقط ؟

...

إنه (**مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ**) [المائدة : 72] ، هنا عندنا اسمٌ ومعنى ، والأصل فيما سماه الله عز وجل أن يبقى على حاله فلا يغير ولا يبدل ، فما وصفه الله عز وجل أو وسمه بأنه شركٌ فيبقى على ما وصفه الله عز وجل وسماه به ، فحينئذٍ يكون لفظًا شرعيًا ، هل له معنًى ؟ نعم . نضع هذا اللفظ بإيذاء معنًى خاص ، حينئذٍ لو بدلت الألفاظ وغيرت تبقى الحقائق على ما هي عليه ، فيبقى الكفر كفر ولم سُمِّيَ توسلاً وتشفعًا ، وسمي قربى أو زلفى .. إلى آخره ، مهما بُدِّلَت الأسماء فتبقى الحقائق على ما هي عليه ، ولذلك قال ابن القيم : " فالشرك والكفر هو شركٌ وكفرٌ لحقيقته ومعناه لا لاسمه ولفظه " . وإلا لا يلزم منه التغيير يعني : لا يلزم منه أنه يجوز أن تغير وتبدل ونسمي الشرك الذي هو المعنى بألفاظٍ أخر ، لا ، نقول : ما سماه الله تعالى شركًا حينئذٍ يجب أن يلتزم هذا اللفظ ، كما سمَّى الصلاة صلاة ، والزكاة زكاة ، والصيام صيام . حينئذٍ : لا يجوز أن نبدل ونغير ، فكذلك لفظ الشرك والإيمان ونحو ذلك فتبقى الألفاظ على ما هي عليه ، حينئذٍ لو بُدِّلَت نقول هذا خطأ وهو جورٌ وظلمٌ وتعدي ، لأنه حَرَّفَ أو بَدَّل ما سماه الله تعالى باسمٍ خاص ، ولو وَقَعَ وأُبْدَل اللفظ بلفظٍ حينئذٍ نقول : الأحكام لا تتغير ولا تتبدل بتبدل الأسماء . فالحكم يكون معلقًا بالحقائق . قال ابن القيم : " الشرك والكفر هو شركٌ وكفرٌ لحقيقته ومعناه لا لاسمه ولفظه " ، فمن سجد لمخلوقٍ وقال : ليس هذا بسجودٍ له - نفى أن يكون سجودًا هذا خضوعًا وتقبيل الأرض بالجبهة أو هذا إكرام سمى بأسماء أُخَر تكريم أو تقبيلٌ للأرض - لم يخرج بهذه الألفاظ عن كونه سجودًا لغير الله . لأن العبرة بالحقائق لا بالألفاظ ، وكون العبرة بالحقائق لا بالألفاظ لا يلزم منه جواز تغيير وتبديل الألفاظ ، لأنه تغييرٌ للشرع ، لأنك إذا بدلت وغيرت وقلت هذا جائزٌ حينئذٍ مع مرور الأيام والأزمان إذا قرأ القارئ (**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**) يقول : ما يوجد شرك ، وما هذا الموجود ليس بشرك هذا توسل . حصل انحراف أو لا ؟

حصل انحراف ، أي ، ولذلك لا يجوز التبديل ، وكذلك من ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب فقد عبده ، وإن لم يسم ذلك عبادة . إذًا : الدعاء عبادة فصرفه لغير الله شرك ، ولو سميت هذا الصرف صرف العبادة لغير الله توسلاً وشفاعةً والالتجاءً للصالحين ، نقول : هذه الأسماء لا تبدل ولا تغير الحقائق ، فهو مشركٌ شاء أم أبى ، واضحٌ هذا ؟

إذًا قوله : (**وهذا الالتجاء إليهم ، ودعاءهم ليس بعبادةٍ**) . ماذا سماه ؟ إنما هو توسلٌ وتشفعٌ بهم والتجاءٌ إليهم ونحو ذلك ، تبديل ، وتحريفٌ للألفاظ نقول : تحريف الألفاظ لا يخرج الشيء عن حقيقته فهو شركٌ .

إذًا : (**فلا بد أن يقول : نعم**) لأن عين الفعل واحدٌ ، هذا الجواب الأول ، أن يبين له حقيقة العبادة ، ما هي العبادة ؟ ومثَّل له المصنف هنا بمثالين ليبين له أن العبادة ما أمر الله تعالى بها ، فإذا حكمنا عليها بأنها عبادة وأتى

بمثالٍ يخص هذه الشبهة وهو : دعاء الله تعالى (**(ادْعُواْ رَبَّكُمْ)**) ثبت أنه عبادة ، حينئذٍ إذا دعا ربه فقد عبده ، وإذا صرف هذه العبادة لغير الله فقد أشرك بالله تعالى سواءٌ سماه شركًا أم لا .

الأمر الثاني أو الوجه الآخر في الجواب : (**وقل له أيضاً : المشركون الذين نزل فيهم القرآن ، كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟**) يعني : تنوعت معبوداتهم ، وهذه قد يسلم بها وقد لا يسلم ، لأنه - كما مر في الشبهة السابقة - أن بعضهم يرى أن تلك النصوص إنما وردت في شأن عبادة الأصنام ، وأما عبادة غير الأصنام فليست داخلةً في تلك النصوص ، هذا طرف آخر نوع آخر من المشركين ، وهو أنه يسلم بتنوع تلك العبادات ، [(**فقل له**) نعم] [36] (**فلا بد أن يقول : نعم**) هذا إن كان عالِمًا وإلا بين له على ما سبق ، وليس كل مشركٍ يقر بما ذكرناه ، لأن بعضهم يرى أن تلك النصوص إنما هي في شأن عباد الأصنام ، وأما الملائكة والصالحين وغيرهم قلنا : هذا فيه نزاعٌ عندهم ، (**فقل له : وهل كانت عبادتهم إياهم**) يعني : عبادة أولئك المشركين الذين نزل فيهم القرآن هل كانت تلك العبادة (**إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك**) حينئذٍ لا بد أن يُسَلِّم ، كانوا يدعونهم ولذلك جاء النص (**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) [الزمر : 3] (**مَا نَعْبُدُهُمْ**) أي : ما ندعوهم ، وأما الذبح فكما جاء في حديث ثابت بن الضحاك أن رجلاً نذر أن يذبح إبلاً لبوانة فسأل النبي ﷺ فقال له : « **هل كان فيها وثنٌ من أوثانهم ؟** » . إذًا : كانوا يذبحون لتلك الأصنام ، « **هل كان فيها وثنٌ من أوثانهم ؟** » قال : لا . قال : « **فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم ؟** » . قال : لا . قال : « **فأوف بنذرك** » . فسؤال النبي ﷺ هنا وفحصه دلّ على أنهم قد كانوا يذبحون لأوثانهم وكانت بعض أعيادهم تكون في ساحة الأصنام .

(**فقل له : وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء**) النص الذي ذكرناه ، (**والذبح**) الحديث الذي ذكرناه (**والالتجاء**) هو في معنى الدعاء لأنه بمعنى الاستغاثة والاستعانة كما سيأتي في كلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، (**ونحو ذلك**) ونحو ذلك مما ذكر يعني : في تنوع العبادات التي صُرِفَتْ لأولئك المشركين . (**وإلا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهر الله تعالى وأن الله هو الذي يدبر الأمر ، ولكن دَعَوْهُم**) حصل صرف العبادة وهو الدعاء لغير الله تعالى (**والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة ، وهذا ظاهر جدًا**) يعني : في الجواب الثاني فيه إحالةٌ على حال العرب المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذلك يكاد يكون لازم في كل ردٍ للشبهة أن يُبَين حال المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ فإن أكثر من يورد مثل هذه الشبه قد يدري أو لا يدري أن أولئك المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ، وكانوا قد اتخذوا هذه المعبودات واسطةً بينهم وبين الله تعالى وأنهم توجهوا إليها بأنواعٍ من العبادات كـ : اللجأ ، والدعاء ، والذبح ، ونحو ذلك . وهذا الذي يفعله المتأخر هو عين ما فعله ذلك المتقدم .

إذًا حاصل هذه الشبهة أن ثَمَّ انحرافًا وقع في مفهوم العبادة ، أن دعاء الصالحين والالتجاء إليهم ليس عبادة ، والالتجاء قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : " الاستعاذة والاستجارة والاستغاثة كلها من نوع الدعاء والطلب ، وهي : ألفاظ متقاربة " . إذا قال : استغيث أو استغاث أو استعان أو استجار هذه كلها نوع من أنواع الدعاء ، إذًا الدعاء جنس ويدخل تحته هذه الأنواع كلها ، فإذا كان كذلك حينئذٍ صرف أي نوع من هذه الأنواع بأي اسم من الأسماء المذكورة لغير الله تعالى يكون شركًا أكبر مخرجًا من الملة . إذًا الالتجاء من معاني الاستعاذة إذ هي طلب ، فهو دعاء وقد ذكرنا كلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، بعضهم فسر العبادة السابق الذي معنا وذكرنا حاله جاهل ما يدري معنى العبادة ، فقلنا له : العبادة هي قوله تعالى : (**ادْعُوا رَبَّكُمْ**) [الأعراف : 55] .. إلى آخره (**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**) [الكوثر : 2] ، وبعضهم فسَّر العبادة ، إذًا عنده علم لكنه علم غير صالح أو غير نافع ، فسَّر العبادة قال : العبادة هي السجود للأصنام . فقط هي السجود ، يعني العبادة التي صرفها لغير الله تعتبر شركًا أكبر هي : السجود للأصنام . وقيل : هي الذل والخضوع لمن يُعْتَقَد فيه النفع والضَّر أو الضُّرّ ، يعني : فيه صرف لشيء من مفردات الربوبية ، الذي هو الشرك عندهم ، لأن الشرك عندهم هو صرف شيء من مفردات الربوبية لتلك المعبودات . أن يعتقد فيه الربوبية وبالمعنيين يصدق عليه أنه لا نعبد إلا الله ، بالمعنيين السابقين أن العبادة هي : السجود للأصنام . وهل هو سجد للأصنام ؟ ما سجد ، هو دعا الأصنام واستغاث بها ، حينئذٍ لم يقع في الشرك ولم يعبد إلا الله تعالى ،

---

(36) سبق .

كذلك الذل والخضوع لمن يعتقد فيه النفع والضر يعني : يعتقد في الربوبية ، وهو ما اعتقد فيها الربوبية . إذًا دعاها لتكون واسطة بينه وبين الله تعالى ، هل وقع في الشرك ؟

لا .

هل عبد غير الله ؟

لا . على هذين التعريفين لم يعبد إلا الله تعالى ، وعندهم أن الطلب من الأولياء والأموات كالطلب من الأحياء أن يدعوا لهم ولا فرق بين الحي والميت . وكما ذكرنا أن الرد سواء كان يعلم أو لا يعلم الرد يكون طلب تفسير العبادة ما هي ؟ وهذا كما ذكرناه لا يخلو من ثلاثة أحوال :

إما أن يفسر العبادة بمعناها الصحيح ، وهذا فيه بُعْدٌ لأن الحوار هنا مع من أشرك ، إذًا حكمنا عليه بأنه قد وقع في الشرك فلا يمكن أن يفسر العبادة تفسيرًا صحيحًا .

الثاني : أن يقول : لا أدري . حينئذٍ يوبخ وينكر عليه ، كيف لا تدري ؟ كيف تصرف شيئًا أو كيف تنفي شيئًا عن نفسك بأنك لم تعبد إلا الله وأنت لا تدري ما هو .

الثالث : أن يخطئ في تفسيرها .

حينئذٍ يفسَّر له المعنى الصحيح للعبادة .

والمصنف هنا بين العبادة بمثالين كما ذكرنا .

ثانيًا - من الرد على هذه الشبهة أن يقال له : قصر العبادة على نوع معين هذا تحكم ، هذا فيه تحكم ، فمن دعا شخصًا يعتقد فيه الربوبية فقد عَبَدَه ، دعا شخصًا وجمع مع هذا الدعاء اعتقد فيه الربوبية مشرك أو لا ؟ مشرك . لو دعا شخصًا ولم يعتقد فيه الربوبية مشرك أو لا ؟ مشرك . على النوعين هو مشرك . إذًا العلة هنا ليست باعتقاد الربوبية ، وإنما العلة هنا في كونه قد صرف العبادة وهي : الدعاء . لغير الله تعالى ، كونه اعتقد الربوبية هذا شرك آخر وهو الشرك في الربوبية ، فمن دعا غير الله تعالى واعتقد الربوبية وقع في شركيين : شرك في الربوبية وهو أكبر ، وشرك في الإلوهية وهو أكبر كذلك ، من دعا غير الله ولم يعتقد فيه الربوبية حينئذٍ وقع في الشرك في الإلوهية ، فمن دعا شخصًا يعتقد فيه الربوبية فقد عبده وهذا صحيح ، وكذلك ولو دعاه ولا يعتقد فيه الربوبية فقد عبده وقد وقع في الشرك الأكبر ، واضح هذا ؟

(**فإن قال : أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها**) هذا شروع في شبهة خامسة وهذه متعلقة بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، يعني : وقوع الشرك ومحله النبي عليه الصلاة والسلام . يعني : استغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام . إذًا هذه الشبهة الخامسة وهي : متعلقة بدعاء النبي عليه الصلاة والسلام والاستغاثة به وهذه الشبهة متضمنة ماذا ؟

الادعاء بأن المصنِّف يُنْكِرُ الشفاعة ، ولذلك لما حاورهم قيل له : (**أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها**) ؟

هذا تحاور يعني : إذا أرادوا أن يردوا اتهموه بما هو بريء منه ، إذًا هذه الشبهة متضمنة الادعاء بأن المصنف ينكر شفاعة الرسول ﷺ ويتبرأ منها ، لماذا ؟ لأن من أنكر طلب الشفاعة من رسول الله ﷺ والصالحين فهو منكر لشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام وغيره ، عندهم تلازم إذا أنكرت وقلت : إن طلب الشفاعة من النبي ﷺ في البرزخ وهو ميت أنه شرك حينئذٍ لزم منك أن تنكر شفاعة النبي ﷺ ، هذا تلازم عندهم هو تلازم فاسد ، ولذلك إذا أُنْكِر عليهم بأن فعلكم هذا طلب الشفاعة من النبي ﷺ وهو في قبره أن هذا شرك أكبر مخرج من الملة لأنه نوع دعاء - كما سيأتي - فهو صرف دعاء لميت ، حينئذٍ يكون شركًا أكبر . قالوا : إذًا يلزم من هذا إنكار الشفاعة ، فيلزم المجيب حينئذٍ أن يبين موقفه من الشفاعة أولاً ، أن يبين موقفه من الشفاعة ، فأول خطوة في ردِّ هذه الشبه أن يبين حقيقة الشفاعة وهي : شفاعة النبي ﷺ . ولذلك قال المصنف في مقام آخر من مؤلفاته : يزعمون أننا نكر شفاعة الرسول ﷺ فنقول : (**سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**) [النور : 16] . افتراء كما قالوا : وهابية . قالوا : ينكر شفاعة النبي ﷺ . ولا يحبون النبي عليه الصلاة والسلام ، (**بل نشهد**) هكذا يقول المصنف رحمه الله تعالى - بل نشهد أن رسول الله (**الشَّافِعُ الْمُشَفَّع**) صاحب المقام المحمود نسأل الله رب العرش أن يُشَفِّعَهُ فينا . نسأل الله إذًا السؤال موجه لله عز وجل أن يشفعه فينا ، وهذا هو طريق الشرع في طلب شفاعة النبي ﷺ - وأن يحشرنا تحت لوائه هذا اعتقادنا ، وهذا الذي مشى عليه السلف الصالح وهم أحب الناس لنبيهم وأعظمهم في إتباع شرعه .

إذًا إذا قيل : أَتُنْكِرُ شفاعة النبي ﷺ وتَبْرَأُ منها ؟

الشفاعة أطلقوا هنا يشمل الشفاعة العظمى وغيرها من الشفاعات . (**فقل**) في الجواب (**لا أنكرها ولا أتبرأ منها**) يعني : ما ثبت أنه شفاعة حينئذٍ أثبت ما أثبته الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام (**لا أنكرها ولا أتبرأ منها ، بل هو ﷺ الشافع المشفع**) ، (**الشافع**) يعني : بما أعطاه الله تعالى . (**المشفع**) فيمن شفع الله له ﷺ . [حينئذٍ يقول : الشفاعة . نعم] [37] فهو شافع مشفع ، شافع لأن الله تعالى أعطاه ، ومشفع لأنه مقبول لتلك الشفاعة ، (**وأرجو شفاعته**) إذًا هذا تسليم بالشفاعة ، ثم سأل أو رجا ربه عز وجل أن يُشَفِّعَ نبيه فيه ، وهذا رد عملي يعني دعا الله وأرجو الله يعني شفاعته شفاعة النبي ﷺ ، ولكن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : (**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً**) [الزمر : 44] . كقول المصنف لبيان حقيقة الشفاعة . الشفاعة كلها لأنواعها العامة والخاصة ، وهذا سبق بيانه في شرح ((**القواعد الأربع**)) أنواع الشفاعة والتعريف .. إلى آخره ، ولكن الشفاعة كلها لله ، والشفاعة حينئذٍ ليست ملك لأحد لمخلوق لا لنبي ولا لغيره ، بل هي ملك لله تعالى ، ولذلك قال : (**قُل**)يعني : يا محمد (**لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ**) الشفاعة لله يعني : لا لغيره ، أخذناه من جهتين . أولاً : اللام هنا للملك ، وهذا محل أفاق يعني : ملكًا واستحقاقًا لله عز وجل ، ثم قدم الخبر وهو الجار والمجرور وتقديم ما محله تأخير يفيد الحصر والاختصاص القصر ، حينئذٍ الشفاعة لله لا لغيره ، ثم لما كانت ال في قوله : الشفاعة تفيد العموم ، وهي أنواع قال : (**جَمِيعاً**) يعني لا يخرج عنها نوع من الأنواع ، واضح هذا ؟ (**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً**) . (**لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً**) أصل التركيب الشفاعة لله جميعًا ، قدم الخبر لله جار مجرور متعلق محذوف خبر مقدم ، ما فائدة التقديم هنا والمبتدأ معرفة ؟ إذا ليس من أجل الابتداء بالنكرة ، إذًا لا بد من حكمة ، ما هي هذه الحكمة ؟ نقول : الحكمة بلاغية وهي إفادة أن الشفاعة منحصرة في الرب جل وعلا ، وأن المالك لها الله عز وجل وحده دون ما سواه ، إذًا (**لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ**) لا لغيره ، وقوله : (**الشَّفَاعَةُ**) أل هذه تفيد العموم ، شفاعة واحدة دخلت أل عليها (**أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ**) [النور: 31] - كما سبق بيانه - حينئذٍ نقول : الشفاعة أل دخلت عليها فأفادت العموم لأنه مفرد ، (**جَمِيعاً**) هذا يدل على ماذا ؟ على أن أل للعموم وأنه لا يخرج فرد من أفراد الشفاعة عن كونها ملكًا لله عز وجل ، فكل شفاعة من الشفاعة المثبتة للنبي ﷺ أو لغيره العامة والخاصة فهي ملك لله تعالى ابتداء وانتهاء ، وإذا كانت ملكًا لله حينئذٍ نقول : تطلب ممن ؟ من الله عز وجل ، لا تطلب من النبي ﷺ ولا غيره ، لأنه لا يملك تلك الشفاعة .

إذًا فالشفاعة ليست ملكًا للرسول ﷺ وإن كان أُعْطِيهَا . يعني : أعطي النبي ﷺ تلك الشفاعة ، وإلا لما احتاج يوم القيامة إلا الاستئذان من الله تعالى ، من الذي يستأذن ؟

النبي ﷺ يستأذن ، لكن من الذي يستأذن لو كان يملكها ملكًا تامًا ابتداء وانتهاء حينئذٍ هل يحتاج للاستئذان ؟ لا ، لأنه يكون شيء قد خرج عن ملك الله تعالى ، وهذا باطل فاسد ، وإن كان أعطيها وإلا لما احتاج يوم القيامة إلا الاستئذان من الله تعالى ، فقوله : (**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ**) لله ملكًا واستحقاقًا وهذا محل وفاق لأن اللام هنا للملك ، والإنسان إنما يسأل ممن يملك لا ممن لا يملك ، فكون النبي ﷺ يشفع نقول هنا : يشفع ، الله عز وجل أعطاه الشفاعة ، أعطاه شفاعة مطلقة أو مقيدة ؟ مقيدة بماذا ؟ بشرطين اثنين ، وهو الذي سيشرحه المصنف . إذا كون النبي عليه الصلاة والسلام أُعْطِيَ الشفاعة نقول : نعم أعطي الشفاعة ، لكن هل أعطي الشفاعة مطلقًا ؟ لا ، وإنما هي مقيدة ، فحينئذٍ مقيدة بماذا ؟ بالأذن (**أَن يَأْذَنَ اللَّهُ**) [النجم : 26] للنبي ﷺ أن يشفع ، إذًا تطلب ممن من الله تعالى لأن له الملك له الملك ابتداء وانتهاءً .

(**ولكن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : (قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً)**) فإنه لا يشفع في أحد يوم القيامة إلا أعطاه الله ما سأله وما شفع فيه ، هذا في شأن النبي ﷺ ولا تكون الشفاعة للنبي عليه الصلاة والسلام ولا لغيره إلا بعد إذن الله ، وهذا بيان لشرطي الشفاعة ، وهما الأذن ، والرضا عن الشافع والمشفوع له . الأذن للشافع ، والرضا عن الشافع والمشفوع له ، وسيبين المصنف هنا أن توحيد شرط فيهما ولا تكون الشفاعة إلا بعد أذن الله كما قال تعالى : (**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ**) [البقرة : 255] عند الله تعالى (**إِلاَّ بِإِذْنِهِ**) وسبق معنى أن الأذن نوعان :

أذن شرعي ، وأذن كوني قدري .

---

(37) سبق .

ويحمل في الآية هنا على المعنيين ، الإذن الشرعي وهو أن يكون الله أَذِنَ للشافع أن يشفع ، وكذلك إذن للمستشفع أن يطلب الشفاعة ، والإذن الكوني القدري هو أن الشافع لا يشفع ابتداء . يعني : لا بد وأن يستأذن ، لا تقع أبدًا ، لم تقع الشفاعة دون إذن من الرب تعالى ، حينئذٍ هذا إذن كوني قدري ، وأما الشرعي فهو أن يشفع أن يأذن الرب جل وعلا للشافع أن يشفع ، وكذلك للمستشفع يعني : طالب الشفاعة أن يشفع النبي ﷺ ، ولا تكون إلا بعد إذن الله ، يعني : الشرعي والكوني ، وإذن الله الشرعي هذا مبناه على رضاه جل وعلا عن الشافع والمشفوع ، وأما الإذن الكوني فلم يقع شيء البتة ولو أراده الشافع والمشفوع ، لو طلب الشافع من المشفوع أو العكس أن يشفع دون أن يأذن الله تعالى لم تقع أبدًا ، لماذا ؟ لأنه لم يأذن الرب جل بوقوعها (**(مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) [البقرة : 255]**) يعني : لا أحد يشفع عنده (**إِلاَّ بِإِذْنِهِ**) فإن أذن له حينئذٍ حصلت ووقعت الشفاعة مع شرط آخر ، وذكرنا تفسير هذه الآية في شرح ((**القواعد الأربع**)) . (**ولا يشفع**) يعني : النبي ﷺ (**في أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه**) (**ولا يشفع**) يعني : جميع أنواع الشفاعة جميع أنواع الشفاعة (**ولا يشفع في أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه**) يعني : في ذلك المشفوع له ، وكذلك عن الشافع لكن كون النبي ﷺ هو الشافع فيسكت عليه ، كما قال تعالى : (**(وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) [الأنبياء : 28]**) ، (**يَشْفَعُونَ**) من ؟ الملائكة ، الآية هذه في سورة الأنبياء الملائكة (**وَلَا يَشْفَعُونَ**) أي : الملائكة (**إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**) ارتضاه الله عز وجل ، فإنما يرضى الله تعالى عن الموحد أو عن المشرك ؟

الأول ، إنما يرضى عن الموحد ، ولذلك قال : (**وهو لا يرضى إلا التوحيد**) وأما الشرك فهو مبغوض أشد البغض لأنه أعظم ذنب عُصِيَ الله تعالى به ، ولذلك قال تعالى : (**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**) [النساء : 48] ، [النساء : 116] (**وهو لا يرضى إلا التوحيد**) كما قال تعالى : (**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**) [آل عمران : 85] ، (**وَمَن يَبْتَغِ**) يعني : يطلب (**غَيْرَ الإِسْلاَمِ**) المراد به هنا الإسلام الشرعي ، نعم الشرعي العام أو الخاص ؟ العام ، لأن الإسلام العام هذا قدر مشترك بين سائر الأنبياء ، وهو التوحيد الاستسلام لله تعالى بالتوحيد ، فمن جاء بغير الإسلام (**دِيناً**) يتدين به (**فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**) لن تأبيدية هنا للتأبيد (**فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**) أدنى قبول ، لأنه نكرة في سياق النفي فيعم ، حينئذٍ لا يمكن أن يقبل بوجه من الوجوه . إذًا شرط الرضا عن المشفوع له أن يكون موحدًا ، ومن تَلَبَّسَ بالشرك فهو أبعد الناس عن الشفاعة ، ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : سبب الشفاعة توحيد الله تعالى ، وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له - يعني حقق التوحيد - فكل من كان أعظم إخلاصًا كان أحق بالشفاعة . كلام جميل ، فكل من كان أعظم إخلاصًا كان أحق بالشفاعة ، فإن الشفاعة مبدأها من الله ، وعلى الله تمامها ، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ، وهو الذي يأذن للشافع وهو الذي يقبل في المشفوع له . يعني مبدأها من الله تعالى وهو الذي يأذن ، وتمامها وهو قبولها كذلك إلى الله تعالى ابتداءً وانتهاءً من الله وإليه ، كيف هذا ؟

نقول : مبدأها لأنه هو الذي يأذن ، فإذا لم يأذن لن تقع أبدًا ، محال أن تقع ، وإذا وقعت يقبل أو لا يقبل تمامها ؟ ومردها إلى الله تعالى . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : تأمل قول النبي ﷺ لأبي هريرة وقد سأله : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ من أسعد أفعل تفضيل ليست على بابها ، يعني : سعيد الناس سعيد ، لماذا نقول ليست على بابها ؟ هو مجاز انتبهوا ، لماذا نقول : أسعد الناس بشفاعتي . « **من قال : لا إله إلا الله** » . يعني : الموحد من أتى بالتوحيد ، من لم يأت بالتوحيد هل له شيء من السعادة ؟ لا . إذا قلت : على بابها نعم ، لأن أفعل التفضيل تدل على اشتراك المفضل والمفضل عليه في أصل الوصف ، نقول : زيد أعلم من عمرو ، زيد وعمرو منهما عنده علم ، لكن زيد أكثر علمًا ، لذلك قال : زيد أعلم أكرم أجود من عمرو من الثاني ، فالأول أكثر والثاني له حظ ونصيب من الجود والكرم والعلم ، هنا لا ، هنا لا يمكن أن يكون لمن أتى بالشرك ولم يأت بالتوحيد أن يكون له نصيب من السعادة البتة ، ولا حظ له في الشفاعة . إذًا : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : « **أسعد الناس بشفاعتي من قال : لا إله إلا الله خالصًا من قلبه** » . قالها خالصًا من قلبه ، هذا تأكيد لأن الإخلاص مفهوم من لا إله إلا الله ، لو قالها لفظًا ومعنًى حينئذٍ لا بد أن يكون آتيًا بالإخلاص ، فإذ انتفى عنده الإخلاص انتقضت لا إله إلا الله ، إذا لم يأت بالإخلاص حينئذ لا تنفعه لا إله إلا الله ، لماذا ؟ لكونه قد قالها لفظًا ولم يعتقد معناها ، إن لو أعتقد معناها حينئذ لزم منه أن يأتي بالإخلاص ، هذا كالطهارة بالنسبة للصلاة .

يقول ابن القيم : عن ذكر الحديث : كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد ؟ لأنه قال : لا إله إلا الله خالصًا من قلبه . هذا توكيد يعني : أتى بالتوحيد بل وجرده عن كل شائبة ، والشائبة هنا ليس المراد بها الشرك الأكبر إنما المراد بها ما لا يخدش أصل التوحيد وهو الشرك الأصغر والبدع والمعاصي إذا مات عليها دون توبة . كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد ؟ عكس ما عند المشركين لأن المشركين إنما أتوا بالشفاعة المنفية التي جاء نفيها في بعض الآيات ، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم أولياءهم شفعاء ، وعبادتهم وموالاتهم من دون الله تعالى . هذا شفاعة من ؟ المشركين الشفاعة والتوسل والتبرك بالمعبودات معنى واحد ، لأن الشفاعة سؤال دعاء ، وكذلك اللجأ الالتجاء للصالحين الأموات والاستغاثة والاستعانة والاستجارة ، كلها معاني متقاربة ، كلها سؤال للميت ، وسؤال الميت سؤال نوع دعاء ، إذًا صرف العبادة لغيرِ الله تعالى ، وهذه الشفاعة المنفية ، ولذلك هناك عبَّر بماذا (**هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ**) [يونس : 18] . إذًا هذه شفاعة منفية أو مثبتة ؟

نقول : هذه شفاعة منفية .

فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب ، قلبه ، وأخبر أن سبب الشفاعة هو تجريد التوحيد حينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع . إذًا التوحيد شرط في استحقاق شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة ، فمن لم يأت بهذا الشرط كما فعل هذا المشرك حينئذٍ ليس له نصيب من الشفاعة .

(**وهو لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى : (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ) [آل عمران : 85]**) البتة ، هذه لن هنا للتأبيد ، ولن للتأبيد هذا قول الزمخشري في معناها اللغوي مطلقًا أين ما جاءت لن فهي للتأبيد ، وهذا خطأ غُلِّطَ في هذا رُدَّ عليه ، وإنما لن تكون للتأبيد لكن بالسياق لا من حيث هي ، لا من حيث هي ، حينئذٍ نقول : هنا للتأبيد لأن النصوص دلت على أن من جاء بالشرك يقبل منه أو لا ؟

لا يقبل قطعًا هذا مقطوع به ، إجماع قطعي متواتر محكم ، حينئذٍ إذا جاءت لن في مثل هذه التركيبات حينئذٍ نقول : لن هنا لا للتأبيد .

(**فإذا كانت الشفاعة كلها لله**) الشفاعة كل أنواع الشفاعة ، إذا كانت كلها لله ملكًا واستحقاقًا (**ولا تكون إلا بعد إذنه**) ، لا تكون لا توجد ولا تقع ولا تحصل (**إلا بعد إذنه**) القدري والشرعي ، (**ولا يشفع النبي ﷺ**) ، بل (**ولا غيره في أحدٍ حتى يأذن الله فيه**) في المشفوع له ، (**ولا يأذن**) الله (**إلا لأهل التوحيد**) للنصوص السابقة حينئذ تبين من هذه المقدمات ماذا ؟

تبين (**أن الشفاعة كلها لله ، وأطلبها منه**) لا من غيره ، لأن الشفاعة إذا ثبت أنها لله تعالى ، هو المالك له حقيقةً وأن النبي ﷺ مُلِّكَ أو أُعْطِيَ الشفاعة لكنها مقيدة حينئذ هذا التمليك ليس مطلقًا وإنما هو مقيد بالإذن والرضا عن المشفوع ، (**وأطلبها منه**) تبين أن الشفاعة كلها لله تعالى (**وأطلبها**) فإذا تقرر أن الشفاعة كلها لله (**وأطلبها**) ممن يملكها ، والله تعالى لا يأذن للرسول ﷺ أن يشفع إلا بشرطين ، ولذلك (**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**) [البقرة: 255] يقول الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله : ائتوني بنصٍ يخرج النبي ﷺ من هذا العموم . (**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**) عام أو خاص ؟

عام يشمل النبي ﷺ أو لا ؟

لأن غير النبي ﷺ يشفع كالملائكة والأفراد - كما سيأتي - .

إذًا اختصاص النبي ﷺ من هذا النص يحتاج إلا دليل ، ولا دليل ، والأصل بقاء العموم على أصله .

إذًا لا يأذن الله تعالى للرسول ﷺ أن يشفع إلى بشرطين :

الإذن أولاً ، والرضا عن المشفوع . وهذا مشرك فلا يستحق الشفاعة من رسوله الله ﷺ .

ثم بين المصنف رحمه الله تعالى الطريق الشرعي في سؤال الشفاعة ، إذا قيل النبي ﷺ يشفع لا شك في هذا ، حينئذٍ هل ثَمَّ وسيلة شرعية لسؤال أو لاستحقاق هذه الشفاعة أو لا ؟

نعم . قال : تبين أن (**أن الشفاعة كلها لله ، وأطلبها منه**) يعني : من الله تعالى ، فماذا أقول ؟ فأقول : (**اللهم**) خطاب لمن لله ، (**اللهم**) هذا لله عز وجل يا الله هذا الأصل يا الله ، حذفت ياء وعوض عنها الميم في آخرها اللهم

يا اللهم ، (**اللهم لا تحرمني شفاعته**) فالخطاب هنا موجه لله تعالى لأنه هو المالك الحقيقي للشفاعة ، والنبي ﷺ عبدٌ لا يشفع إلا بعد إذن الله تعالى ، حينئذ صار مردها إلى الرب جل وعلا ، (**اللهم شَفِّعْهُ فيَّ**) هذا دعاء (**اللهم شفعه**) يعني : النبي ﷺ (**فيَّ**) ، (**في**) يجوز الوجهان ، وأمثال هذا من الألفاظ التي يكون فيها الخطاب للنبي ﷺ ، وسؤال الله تعالى أن يشفع نبيه في الداعي ، وأما لو قال : يا رسول الله اشفع لي هذا شرك ، لماذا ؟

لأنه دعا غير الله تعالى .

والشبهة التي تليها لها تعلق بهذه الشبهة نأتي عليها غدًا إن شاء الله تعالى .

وصلَّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

الدرس 14

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

ذكرنا أن المصنف رحمه الله تعالى لما ذكر الشبه الثلاث ، ونص أنها هي أكبر ما عندهم ، أكبر ما عندهم ليس من جهة الحجة ، وإلا ليس عندهم حجة ولكن أكثر ما تتوارد عليه الألسنة ، أكثر ما يحتجون به هو هذه الحجج الثلاث الشبه الثلاث ، وإلا ليس المراد أنها حجة قوية في نفسها ، أو كما سيأتي أنه سيصف بعض الحجج أنها أعظم ما عندهم من الحجة الرابعة أو الشبهة الرابعة تضاف إلى هذه الثلاث . إذًا قوله : (**هي أكبر ما عندهم**) . ليس المراد به من حيث قوة الدليل ، وإنما من حيث الشيوع والكثرة حيث يتناقلها العوام وكذلك علماء الشرك .

ثم شرع في ما هو أخف من تلك الشبه ، وذكر الشبه الرابعة وهي : متعلقة بمفهوم العبادة . ولذلك الخلط الذي يقع عند المشرك ، إنما يقع من جهة المفاهيم الشرعية للعبادة وللتوحيد أو للشرك ، هذه لها معاني شرعية وحينئذٍ لا بد من الوقوف معها ، فإذا حصل الخلل فيها حصل الخلل في العمل ولا بد ، من لم يفهم التوحيد على الوجه الصحيح شاء أم أبى لا بد وأن يقع في الشرك ، كذلك إذا لم يفهم الشرك على الوجه الصحيح حينئذٍ سيقع فيه شاء أم أبى ، ولذلك قال هنا : (**فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله**) . كلٌّ يَدَّعِي أنه ليس بمشرك وأنه ليس بعابد لغير الله تعالى ، وهذا ينبني على المفهوم الزائغ الذي وقع عندهم ، وهو مفهوم العبادة القاصرة ، ولذلك قال : (**وهذا الالتجاء إليهم، ودعاءهم ليس بعبادةٍ**) . يعني : الذبح والاستغاثة بالأضرحة والأموات والقبور والنذور لها والأموال .. ونحو ذلك هذه ليست بعبادة مع قوله : (**أنا لا أعبد إلا الله**) . هذه قضية كلية (**لا أعبد إلا الله**) منقوضة بما بعدها ، وهي مُوصِلَةٍ إليها ، منقوضة بما بعدها والثاني مُوصِلَةٍ إليها ، لأنه تقرر عنده أن الالتجاء إلى الأموات والأولياء ليس بعبادة ، إذًا ينبني على هذا أنه لم يعبد إلا الله ولذلك (**قال : أنا لا أعبد إلا الله**) . لِمَا تقرر عنده من أن الالتجاء والتوسل والتشفع بالأموات ودعاءهم ليس بعبادة ، حينئذٍ فإن مغزى هذه الشبهة وهو أن دعاء الصالحين ليس من العبادات حينئذٍ صرف الدعاء للأموات لا يعتبر شركًا ، حينئذٍ لا بد من سؤاله عن معنى العبادة ، ولذلك المصنف هنا قَدَّم مقدمة ، وهي : الانتقال من المتفق عليه إلى المختلف فيه . لأن المصنف فيما جرى عليه من هذه الشبه من حيث الإجابة قد لا يسلك مسلك المناظر المجادل ، وإنما قد ينتقل إلى مسلك المعلم والموجه ، وهذا من رحمة من أراد أن يدعو إلى الله تعالى أن يرحم العباد ، حينئذٍ إذا احتاج المقام إلى الجدل والمناظرة كان كذلك ، فإذا ظهر الجهل من نفس الشخص الذي يجادل حينئذٍ يرأف به ويرحمه ، لأنه لا يعلم وقد يحصل به الخير من حيث تعليمه وإرشاده ، حينئذٍ مباشرة ينتقل إلى كونه معلمًا شارحًا لحقيقة التوحيد وبيان الشرك والتحذير منه ، لذلك يأتي كثيرًا معنا فبيِّن له كذا ، فبيِّن له كذا ، وهذا ليس من شأن المجادل والمناظر ، وإنما هذا من شأن المعلم والموجه ، حينئذٍ لا بأس أن يقال هذا وهذا ، لأن المراد هو الوصول إلى الحق ، القوانين والقواعد والأصول التي وضعها أرباب المناظرة والجدل ليست بأمور توقيفية وليست مما يعني : يوقف معه ولا يتعداه (**فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله**) قلنا : هذه قضية كلية ، ومعنى قضية كلية معناه أنه لا يخرج منه فرد من أفراد العبادة لغير الله تعالى ، (**لا أعبد**) نفى العبادة لغير الله تعالى وأثبتها لله تعالى وحده دون ما سواه ، نقول : هذه قضية كلية تحتمل الإصابة تكون صادقة وأن تكون كاذبة ، ونحن نقول بالثاني أنها كاذبة لماذا ؟

لكونه أثبت نوعًا من أنواع العبادة لغير الله تعالى وإن لم يسمه عبادةً .

(**وهذا الالتجاء إليهم ، ودعاءهم ليس بعبادةٍ**) إذًا مضمون هذه الشبهة الرابعة أن دعاء الصالحين والالتجاء إليهم ليس عبادة لهم ، والدعاء والطلب ليس بعبادة ، قال المصنف هنا الجواب : (**فقل له : أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك ؟**) وهذا أمر متفق عليه بين الخصمين أو أمر مختلف فيه ؟

الأول ، ولذلك يحصل التدرج في ذكر المتفق عليه ، ثم يجعل دليلاً على المختلف فيه ، وهنا فرض العبادة أو فرض إخلاص العبادة لله عز وجل هذا متفق عليه بين الْخَصْمَيْنِ ، حينئذٍ الصورة التي وقع فيها النزاع هل هذا الالتجاء ودعاء الأموات هل هو عبادة أو لا ؟

حينئذٍ نتفق أن إخلاص العبادة فرض ، ثم ننتقل إلى أن هذا الالتجاء عبادة فنجعل الأول دليلاً على وجوب إخلاص الدعاء لله عز وجل .

نقرر قاعدة وهي : أن إخلاص العبادة فرض . وهذا متفق عليه المشرك يقول : نعم الصلاة لا تصح إلا بإخلاصها لله عز وجل ، وكذلك الصيام والحج ونحو ذلك وسائر العبادات . هذا أمر متفق عليه . قوله تعالى : (**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**) [البينة : 5] ، (**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**) [الزمر : 3] . هذا متفق عليه ، حينئذٍ نقول : كل عبادة لا تصح إلا بإخلاص . يقول : نعم ، ثم نذهب إلى تقرير أن هذا الالتجاء الذي يكون عند الأضرحة ودعاء الأموات عبادة يُلْزَمُ الخصم بالتسليم بأنه عبادة ، ثم نجرّ المتفق عليه وهو إخلاص العبادة لله فنقول : هذا الدعاء منك شرك ، لماذا ؟

لأنك لم تخلص العبادة لله ، وهذا الدعاء عبادة كما قررناه . (**فقل له : أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك ؟**) وعرفنا معنى الإخلاص أن يتوجه المكلَّف بأعماله كلها الظاهرة والباطنة لله عز وجل دون ما سواه ، كل عبادة لا تصح إلا أن تكون لله جل وعلا ، هذا متفق عليه ، وهو إخلاص العبادة لله . وأنه فرض في كل عبادة للنص الذي ذكرناه من الكتاب والسنة ، وهو أمر متفق عليه ، حينئذٍ تقرر وجوب إخلاص كل عبادة لله .

نلجأ إلى المختلف فيه فنقول : الدعاء عبادة أو لا ؟

الله عز وجل قال : (**ادْعُوا رَبَّكُمْ**) [الأعراف : 55] . حينئذٍ نقول : هذا أمر كما قال : (**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**) . هذا أمر كما قال : (**وَآتُوا الزَّكَاةَ**) ، (**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**) [البقرة : 185] ، (**كُتِبَ عَلَيْكُمُ**) [البقرة : 183] نقول : هذه كلها أوامر تقتضي أن ما دلت عليه من الفروض والواجبات ، وإذا كان كذلك حينئذٍ صار عبادةً ، هل ثَمَّ فرق بين قوله : (**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**) . وقوله : (**ادْعُوا رَبَّكُمْ**) ؟

الجواب : لا .

حينئذٍ الصلاة فرض وهي : عبادة .

(**ادْعُوا رَبَّكُمْ**) هذا أمر ويقتضي أن المأمور به وهو : الدعاء . أن يكون عبادة ، فإذا دعا ربه في حاجة ما هل يصدق عليه أنه عبد ربه ؟

نقول : نعم ، هو سيسلم بهذا - كما سيأتي - حينئذٍ يقال له : إذا دعوتَ غير الله تعالى في تلك الحاجة التي قلنا بأنها عبادة ، إذا سألتَ ربك إياها ، هل هي عبادة أو لا ؟

سيلزم الخصم بأن يقول : بأنها عبادة .

إذًا لا فرق بين أن يُدْعَى الله عز وجل وحده في كونه عبادة ، وبين أن يتوجه بتلك العبادة لغير الله جل وعلا من الأضرحة والأموات . (**فإذا قال : نعم**) ولا بد وأن يقول : نعم . بأن الله تعالى فرض عليك إخلاص العبادة (**فقل له : بيِّن له هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك**) يعني : تطلب منه أن يفسر لنا العبادة ، لأن الشبهة قائمة على خلل في مفهوم العبادة ، فسِّر لنا هذه العبادة ، ستقول بأن الله تعالى أوجب عليك إخلاص العبادة ، ما هي هذه العبادة ؟ كما يقال بأن الله تعالى أوجب عليك الصلاة ، ما هي هذه الصلاة ؟

أوجب عليك الصيام ما هو هذا الصوم ؟ الحج ؟ الزكاة ؟ .. إلى آخر تلك العبادات ، لا بد من حقائق شرعية ، لا بد أن يفسرها لأن من شرط التكليف في المكلَّف به أن يكون معلومًا ، لا بد أن يكون معلومًا شرط ، فإن لم يكن معلومًا انتفى التكليف ، لأنه من تكليف ما لا يطاق ، وهو محال ، كيف يأمر الله عز وجل بصلاة (**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**) ثم لا يبينها هذا محال أن يقع ، لماذا ؟ لكون الصلاة مأمورًا بها لا بد من إحداث ، لا بد من فعل ، لا بد من أقوال ، ما هي هذه الأقوال ؟ ماذا يصنع ؟ ماذا يفعل ؟ لا شيء ، حينئذٍ نقول : الأمر وجوده وعدمه سواء ولا تكليف بمحال ، فإذا أمر بالعبادة قال : (**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ**) [البينة : 5] . إذًا مأمورون بالعبادة ، وقال : (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) [الذاريات : 56] إذًا الحكمة من الخلق الإنس والجن هي تحقيق العبادة في آيات كثيرة ، حينئذٍ نقول : ما هي هذه العبادة ؟ فسّرها فلا يخلو حاله من أحد أو من واحد من ثلاثة أحوال :

إما أن يقول : لا أدري .

وإما أن يقول : أدري ، أعلم . حينئذٍ هذا صنفان الثاني ، إما أن يفسرها تفسر صحيح وهذا بعيد ليس معنا هنا ، لأنه لو فسرها تفسير صحيحًا وافق الشرع ولا ما جعل الدعاء دعاء الأموات ليس بعبادة ، وإما أن يفسرها تفسيرًا خاطئًا فيقع عنده خلل في مفهوم العبادة . وهذا الذي هو يكون معنا هنا .

إذًا لا يخلو من ثلاثة أحوال : إما أن يفسر العبادة بمعناها الصحيح وهذا بعيد لأنه قد جعل الالتجاء إلى الأموات ودعاءهم ليس بعبادة .
وإما أن يقول : لا أدري . ويُنْكَرُ عليه كيف تنكر شيئًا لا تدري ، لأنه يُنْكِر هو ما أورد الشبهة إلا من أجل الإنكار على من دعاه إلى التوحيد ، بل ويدَّعِي (**أنا لا أعبد إلا الله**) كيف تقول : (**لا أعبد إلا الله**) . وأنت ما تعرف العبادة ؟ نقول : هذا فيه بُعْد ، دعوى شيء ليس لها وجه .
الثالث أن يخطئ في تفسيرها وهذا هو الذي أقام عليه صاحب هذه الشبهة .
بيَّن له المصنف العبادة بمثالين ، قلنا : ترك التعريف لأنه لا يَحْسُن في هذا المقام ، لأن غالب هؤلاء جهال لا يعرفون معنى العبادة ، ولا يعرفون معنى لا إله إلا الله التوحيد ، ولا يفرقون بين الإله والرب ، ولا يعرفون حال العرب الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ ، لا يعرفون شيء من هذه الأمور ، وإنما لجأوا إلى أقوال من سبقهم ومن أصَّلَ لهم هذه المسائل ، وصاروا كالببغاوات يرددون ما أُورِدَ في الكتب تلك .
قال : (**فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها**) . يعني : فإذا كان لا يعرف - وهذا أولى - العبادة ولا أنواعها لأن العبادة لها أنواع ، العبادة قد تكون بالقلب ، وقد تكون باللسان ، وقد تكون بالأعمال الجوارح . ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية عرفها من حيث المعنى الاسمي بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ، لكل ما ، هذا يعمّ عمل القلب كـ : الخشوع ، والخوف ، والرجاء .. ونحو ذلك ، ويعمّ قول اللسان فعل اللسان ويسمى فعلاً كـ : الذكر .. ونحو ذلك وقول لا إله إلا الله ، ويعمّ كذلك فعل الجوارح كـ : الركوع ، والسجود ، والطواف .. ونحو ذلك ، حينئذٍ اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، الباطنة التي محلها القلب والظاهرة التي محلها الجوارح ، وثَمَّ تلازم بين العبادتين الظاهرة والباطنة ، إذ لا يصح أن يقال بأن الباطنة قد أقامت وحلت بالقلب دون وجود ثمرتها على الظاهر ، هذا محال - كما سيأتي في كلامه في آخر الكتاب على مسألة الإيمان - (**فبينها له بقولك : قال الله تعالى**) بالمثال (﴿ **ادْعُواْ رَبَّكُمْ** ﴾) اختار المصنف (﴿ **ادْعُواْ رَبَّكُمْ** ﴾) يعني : خالقكم ورازقكم ومدبر أموركم ومصرف شؤونكم ، (﴿ **ادْعُواْ رَبَّكُمْ** ﴾) (﴿ **رَبَّكُمْ** ﴾)هذا مفعول به هنا ، حينئذٍ الدعاء محله أن يصرف للرب (﴿ **تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً** ﴾) وقلنا : اختار المصنف هذه الآية دون غيرها لأنها تخص عبادة الدعاء ، إذ ينكر هذا المشرك أن يكون دعاء الصالحين من العبادة ، وهذا لو قرأ حديث النبي ﷺ « **الدعاء هو العبادة** » . لكفاه « **الدعاء هو العبادة** » هذا الحديث خرجه أحمد وأبو داود والترمذي قال الحافظ : سنده جيد من حديث النعمان بن بشير . (﴿ **ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً** ﴾) هذه في الأمر بالدعاء فدل على أن الدعاء عبادة ، وهذا يكيفه إذ العبادة من ضوابطها المتفق عليها بين أهل العلم السنة والجماعة أن ما أمر الله تعالى به فهو عبادة ، سواء كان أمر إيجاب أو أمر استحباب ، كل أَمْرٍ أَمَر الله تعالى به عباده بأنه مما يحبه ويرضاه ، أليس كذلك ؟ اسم جامع لكل ما يحبه الله ، وهل يأمر الله تعالى بما يبغضه ؟ الجواب : لا ، وإنما يأمر بما يحبه . إذًا ثبتت المحبة بكونه قد أمر به ، أليس كذلك ؟ كذلك إذا أثنى على الفعل نفسه .
ثالثًا : إذا أثنى على الفاعلين (﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ﴾) [البقرة : 155] (﴿ **الصَّابِرِينَ** ﴾) ذوات ، تبشر الصبر أو الصابرين البشارة لمن ؟ للصابرين ذوات إذًا أثنى ، هذا الكلام متعلق بالذوات ، لم أثنى عليهم (﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ﴾) ، (﴿ **الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ** ﴾) [التوبة : 112] .. إلى آخره نقول : هنا الثناء إنما وُجِّهَ للذوات هذا الأصل فيه ، (﴿ **التَّائِبُونَ** ﴾) نقول : هنا وجه للذوات ، الثناء محله الذوات لم ؟ لذاتهم لأنفسهم دون وصف قائم بهم ؟ الجواب : لا ، وإنما لكونهم اتصفوا بصفة التوبة ، بصفة الصبر ، بصفة الورع ، الخشوع .. إلى آخره . إذًا ثناء على فاعليه لِمَا قام بهم من الوصف الذي اشْتُق منه اسم الفاعل ، صَابِر اسم فاعل من الصبَّر ، إذًا أُثْنِيَ عليهم لكونهم قد صبروا ، فنقول : هذا دليل على أن الصبر عبادة ، كذلك لو رُتِّبَ الثواب في الدنيا أو في الآخرة ، هنا قال : (﴿ **ادْعُواْ رَبَّكُمْ** ﴾) . أمر به فيقتضي حينئذٍ أن يكون الدعاء عبادة ، ويؤيده الحديث السابق حديث نعمان بن بشير « **الدعاء هو العبادة** » . وهو حديث صحيح ، حينئذٍ إذا تقرر أن الدعاء عبادة أو بهذه الآية ، فإذا أعلمته بهذا فقل له : هل هو عبادة لله تعالى أو لا ؟
إن قال : لا . كابر فانقطعت المناظرة والمجادلة .

إن قال : نعم . ولا بد أن يسلم لأنه يقال : لا فرق بين قوله تعالى : ((ادْعُواْ رَبَّكُمْ)) . وبين قوله : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) . لماذا قلت : الصلاة فرض واجبة ؟ لكون الرب أمر بها ، وقد أمر كذلك بالدعاء ، لماذا تفرق بين متماثلين ؟

حينئذٍ يُلْزَمُ الخصم فيقول : نعم . ولذلك قال : (**فلا بد أن يقول : نعم**) لا بد لا فرار ولا محيص أن يقول : نعم . لأنه لو قال : لا . علمنا أنه صاحب هوى وأنه ما أراد إلا الشرك بعينه وما أراد الحق ، فالمناظرة حينئذٍ تنقطع معه ، فلا بد أن يقول نعم (**والدعاء من العبادة**) . (**والدعاء مخ العبادة**) ، (**والدعاء هو العبادة**) وهذه جملة استطرادية تؤكد ما سبق .

(**فقل له : إذا أقررت أنه عبادة**) لأنه ولا بد أن يقر بأنه إذا دعا ربه أنه قد عبده ، هو الآن النزاع معه ليس في كونه يرفع يديه يقول : اللهم أدخلني الجنة . هذا يقر بأنه عبادة ، وإنما الذي يفعله مع القبور والأضرحة هو الذي أخرجهم ، هو لا ينكر بأن الدعاء عبادة إذا دعا ربه وحده ، هذا محل وفاق ، إذا سجد قال : ربي اغفر لي وارحمني وعافني . هذا يقرّ بأنه عبادة ولا نزاع معه في هذا النوع ، وإنما النزاع معه في كونه يقف أمام الضريح والقبر فحينئذٍ يلتجأ إليه ويدعوه ويقول : هذا ليس مثل ذاك ، فيفرق بين متماثلين ، ولذلك ألزمه هنا الشيخ بأمر إذا أقررت أنه عبادة الدعاء من حيث هو عبادة لله عز وجل (**ودعوت الله ليلاً ونهارًا خوفًا وطمعًا**) يعني : تحقق فيه أدب الدعاء (**ثم دعوتَ في تلك الحاجة نبيًّا أو غيره**) غير النبي من مَلَكٍ وغيره ، الحاجة واحدة والْمَدْعُوْ مختلف ، دعا الله تعالى ليلاً ونهارًا خوفًا وطمعًا أقر المشرك بأنه عبادة ، دعا تلك الحاجة نفسها نبيًّا أو غيره ، حينئذٍ يقال له (**هل أشركت في عبادة الله غيره**) أم لا ؟

يُلْزَم أن يقول ماذا ؟ نعم (**فلا بد أن يقول : نعم**) لأن عين الشيء المطلوب من الله تعالى ومن النبي أو غيره ممن أشرك به ربَّه هو شيء واحد . لو قال : رب اغفر لي . ثم وقف عند القبر قال : يا عبد القادر اغفر لي . شيء واحد ، الأول رب اغفر لي عبادة أو لا ؟

يقول : عبادة . غصبٌ عنه يقول : عبادة . طيب يا عبد القادر اغفر لي ؟ هو عينه هو يقول : ليس بعبادة . نقول : هذا تفريق بين متماثلين تفريق بين متماثلين ، هل أشركت في تلك العبادة التي سألت ربك تلك الحاجة وألححت عليه وصرفتها لذلك النبي أو ذلك الضريح هل أشركت أو لا ؟

الفعل واحد ، والحاجة واحدة ، وإنما اختلف الْمَدْعُوْ حينئذٍ نقول : لا بد وأن يقول : نعم . أنه أشرك اعترف ، لأن عين الشيء سأله الله عز وجل ودعاه خوفًا وطمعًا ليلاً ونهارًا ، ثم توجه به إلى غير الله في الحاجة بعينها نفسها ، أما شيء آخر يمكن أن يلتبس عليه يقول : هذا شيء وهذا شيء . لكن يُمَثَّل له بمثال واحد : رب اغفر لي هذا دعاء وسؤال الرب جل وعلا طلب المغفرة ، لو قال : يا عبد القادر اغفر لي . نقول : هذا عين تلك الحاجة ، إذًا أشركتَ بربك غيره وهو عبد القادر الجيلاني .

(**فقل له : قال الله تعالى**) ولذلك يقال له أيضًا : أنت إذا دعوت ربك على جهة العموم هل عبدته أو لا ؟ أنت تدعو في سجودك ، وتدعو في قنوتك ، هل عبدته أو لا ؟ نعم عبدته ، طيب نفس العبادة هذا الدعاء إذا صرفته لغير الله تعالى أيًّا كان ذلك الْمَدْعُو هل عبدته أو لا ؟

قطعًا سيقول : عبدته . حينئذٍ يُلْزَمُ بالحجة .

مثال آخر وهو : النحر . الذبح ، وهذا يكثر عند أهل القبور أصحاب الأضرحة (**قال الله تعالى : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) [الكوثر : 2]**) أي : انحر لربك لا لغيره ، لأنه خَصَّهُ هنا قال : ((فَصَلِّ لِرَبِّكَ)) . الصلاة تكون لمن ؟ أولاً الصلاة عبادة لقوله : صلِّ . أمر والأمر يقتضي الوجوب وهذا الأصل أو إن شئت قل : مأمور به ، وكل مأمور به فهو عبادة . قال : ((لِرَبِّكَ)) . يعني : لا لغيره ، حينئذٍ من الذي يُصَلَّى له ؟ الرب جل وعلا ((لِرَبِّكَ)) يعني : لمعبودك . قلنا : إذا أطلق الرب حينئذٍ يشمل أو يفسَّر بالمعبود - كما سبق - في توحيد الربوبية والإلوهية ، إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا ، (**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**) ، (**قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ**) يعني : أتوا بتوحيد الربوبية فحسب ؟ لا ، قالوا : معبودنا الله . (**ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ**) [فصلت : 30] حينئذٍ الثواب المرتب لمن أتى بتوحيد الإلوهية ، فإذا جاء الرب لوحده لفظ الرب يفسر بالمعبود (**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ**) [الناس : 1 - 3] اجتمعا إذًا افترقا ، طيب وأما إذا قيل : الإله هو الله . هذا واضح أنه يلزم

منه الربوبية ، هنا قال : (**(فَصَلِّ لِرَبِّكَ)**) . يعني : لمعبودك . إذًا لا صلاة إلا لله تعالى ، فلو توجه بالصلاة لغير الله ماذا حصل ؟

أشرك بالله ، هذا واضح الكلّ يسلم به (**(وَانْحَرْ)**) هنا يُنَازِع **((وَانْحَرْ)**) يعني : اذبح لربك . من أين زدنا لربك ؟

نقدر أو معنًى ؟

من جهة المعنى أو التقدير ؟ هاه يا نحاة البصرة معنًى أو تقدير ؟

.....

الاثنين ؟! لا ، قد يكون التقدير تقدير معنًى ، هذا ذكرناه في أول باب في الألفية ، قد يكون التقدير تقدير معنى لا إعراب ، وأما هنا 24.02 $$ لها تقدير وإعراب فحينئذٍ يقال : (**(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)**) . (**(فَصَلِّ لِرَبِّكَ)**) (**(وَانْحَرْ)**) لربك حصل تنازع ، على قول من لا يشترط تقدم العاملين ، حصل تنازع أعمل الأول وقدر للثاني ، وإن قلنا بأنه لا تنازع إلا إذا تقدم العاملان فصل وانحر لربك هذا التنازع ، هذا الصحيح فصل وانحر لربك ، حينئذٍ يقدر هذا إما للأول أو الثاني يعني : يعلق بالأول أو بالثاني (**(فَصَلِّ لِرَبِّكَ)**) ونقدر للثاني (**(وَانْحَرْ)**) أو انحر لربك ونقدر للأول إذًا من باب التقدير $$ 24.52 ، وانحر لربك لا لغيره يعني : لمعبودك . لربك يعني : لمعبودك . انحر القول فيه كالقول في (**(فَصَلِّ)**) لأنه مأمور به وكل مأمور به يكون عبادة . إذًا لو نحر لربه - والحج قادم في الأضاحي والهدي - نقول عبادة أو لا ؟

أي لأنه ذبح متقربًا لله عز وجل ، حينئذٍ لو ذبح عند القبر طلبًا لأن يتوسل له عند ربه الفعل واحد ؟

الفعل واحد لأنه ذبح في الأول لله متقربًا لربه فقد عبده لأنه امتثل قوله : وانحر لربك . امتثل أو لا ؟ إذا ذبح لله عز وجل ، واليوم عيد وذبح أضحية حينئذٍ نقول : هو متقرب لله عز وجل بهذا الذبح . عبادة أو لا ؟ عبادة ، طيب نفس الفعل فعله مع القبر صار المذبوح له ليس الله عز وجل ، وإنما نبي أو غيره من الأولياء ، حينئذٍ نقول : كما عبدت ربك في الأول بالذبح متقربًا إليه ، فقد عبدت الثاني الولي بالذبح متقربًا إليه ، هل بينهما فرق ؟

الجواب : لا ، لذلك قال هنا الشيخ رحمه الله : (**فإذا أطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة**) ؟

قطعًا سيقول : نعم . (**فلا بد أن يقول : نعم**) عبادة لأنه امتثل كما امتثل (**(فَصَلِّ لِرَبِّكَ)**) ، كذلك (**(وَانْحَرْ)**) لربك ، فإذا نحر لله عز وجل عبادة أو لا ؟ عبده قطعًا . (**فقل له : فإذا نحرت لمخلوق**) تقربت لذلك المخلوق بالذبح إراقة الدم (**لنبي أو جني أو غيرهما**) هل عبدته أو لا ؟

قطعًا سيقول : عبده . لأن العبادة هي عينها ، هي وصف وليست بشيء محسوس فحسب ، هي وصف تعلق بفعل الفاعل وبقلبه ، حينئذٍ نفس العبادة التي توجه بها لله عز وجل قد صرفها لغيره ، حينئذٍ نقول : قد عبدت ذلك الغير ، وأشركت في عبادة الله تعالى غيره . حِينَئِذٍ يُلْزَم . (**هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقول : نعم**) هذا الجواب الأول . أن يُفَسَّر له حقيقة العبادة فيقال : العبادة هي ما أمر الله تعالى به ، ومما أمر الله تعالى به الدعاء ، فالدعاء كله لله ، فلا يجوز أن يقال إذا رفعت يديك لربك وسألت الجنة وطلب المغفرة والرضوان عبدت ربك ، وإذا جئت عند القبر وفعلت نفس الفعل ليس بعبادة ، تقول : هذا من التحكم في العبادات ، وكذلك الذبح ، ومثَّلَ بمثالين لأن البلية تتم بالذبح للقبور ، وكذلك الدعاء عندها .

(**وقل له أيضًا**) جواب آخر ، (**المشركون الذين نزل فيهم القرآن ، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول : نعم**) هذا إن لم يكن كالمشرك الأول الذي يقول : نزلت في الأصنام . تلك الآيات هذا عنده نوع تعقل ، يعني : يرى أن المعبودات تنوعت عند المشركين ، حينئذٍ إذا وقف على تلك الآيات أو بُيِّنَ له قال : نعم المعبودات تنوعت منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الصالحين ، ومنهم من يعبد اللات وغير ذلك (**فقل له : وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك**) ، لماذا ؟

لأنهم يقرون بأن مفردات توحيد الربوبية لله عز وجل ، وإنما جعلوا هذه الأصنام والملائكة والأولياء والصالحين جعلوها واسطة بينهم وبين الله تعالى ، وتقربوا إليها بسائر أنواع العبادات دون تخصيص ، لكن اشتهر عندهم الذبح والاستغاثة والدعاء ونحو ذلك ، وإلا لا يخصص ، فحينئذٍ يقال هل أولئك المشركون فعلوا شيئًا غير الذبح والدعاء والاستغاثة التي هي أهم الأمور ؟

الجواب : لا ، لأنه لم يُنْقَلْ إلا أنهم قد ذبحوا لها وأراقوا الدماء عندها أو أنهم استغاثوا بها ولجئوا إليها ودَعَوْهَا من دون الله تعالى .

إذًا لا فرق بين فعلكم أنتم وبين فعل أولئك المشركين (**وإلا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهر الله ، وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم ، والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة ، وهذا ظاهر جدًا**) .

إذًا خلاصة هذه الشبهة أن ثَمَّ انحرافًا في مفهوم العبادة لله تعالى عند ذلك المشرك ، فتُبَيَّنُ له العبادة على الوجه الصحيح ، فإخراج اللجوء أو اللجأ والدعاء لغير الله تعالى من العبادة يكون من الباطل مردود على صاحبه .

ثم انتقل إلى شبهة أخرى وهي : خاصة بالنبي ﷺ . وهي : الاستغاثة به . ومعلوم أن شفاعة رسول الله ﷺ ثابتة وهي حق وهو أمر مجمع عليه جملةً وتفصيلاً عند السلف ، فحينئذٍ نقول شفاعة الرسول ﷺ ثابتة ، وهذا لا يلزم منه إذا أقر بشفاعة النبي ﷺ أن يُسأل عليه الصلاة والسلام مباشرة وهو في البرزخ وهو في الدنيا ، لأن زمن الشفاعة إنما يكون في الآخرة ، فإذا سأل النبي ﷺ وهو مَيْتٌ في زمن لم يأت بعد فحينئذٍ نقول : هذا شرك . ووجه كون طلب الشفاعة من النبي ﷺ قبل الآخرة في البرزخ شركًا هو أن الشفاعة هي نوع من أنواع الدعاء ، فهو داخل فيما سبق الدعاء جنس تحته أنواع ، ولذلك سبق كلام ابن تيمية أن الاستغاثة والاستجارة والاستعاذة كلها ألفاظ متقاربة ، والدعاء جنس لها . ولذلك كثير من أهل العلم يفسرون كلمة دعا بدعاء المسألة ودعاء العبادة ، فهو شامل للنوعين ، حينئذٍ الدعاء جنس وتحته أفراد ، من هذه الأفراد طلب الشفاعة لأنها سؤال ، والسؤال نوع دعاء ، فحينئذٍ كل الدعاء أو الدعاء كله لا يكون إلا لله عز وجل ، [فإن قال] [38] إذًا هذه الشبهة متعلقة بدعاء النبي ﷺ والاستغاثة به ، وقد تضمنت اتهام المصنِّف بأنه ينكر الشفاعة ، لأن من أنكر أن تُطلب الشفاعة من النبي ﷺ وهو في قبره عليه الصلاة والسلام ، من أنكر ألزموه لازمًا باطلًا ، إذا قال بأنه لا تدعوا النبي ﷺ اسألوا ربكم الشفاعة أن يشفع فيكم نبيه عليه الصلاة والسلام قالوا : إذًا أنت تنكر الشفاعة . إلزام باطل ، فرق بين المسألتين ، بين إثبات الشفاعة ونقول : هي حق والنبي ﷺ أعطاه ربه الشفاعة بالشرطين المذكورين ، وبَيْنَ أن نطلب منه الشفاعة في الدنيا ، فرق بين المسألتين ، وإذا نُهِيَ عن الثاني وحكم عليه بأنه شرك أكبر مخرج من الملة لا يَلْزَم منه أن ينكر الشفاعة ، ففرق بين المسألتين ، حينئذٍ يكون هذا إلزام باطل من أصله ، ولذلك احتاج المصنف أن يبين موقفه من الشفاعة وأثبت أنها حق وفصَّل فيها في كثير من كتبه ، وأشار هنا إلى قوله : (**فإن قال أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتَبْرَأُ منها**) . لأن اللجأ في الشبهة السابقة ، ودعاء الصالحين يدخل فيه الاستغاثة بالنبي ﷺ ، هو عام لأنه دعاء ، حينئذٍ إذا عَمَّمْنَا الصالحين وفيهم النبي عليه الصلاة والسلام إذًا أنت تنكر الشفاعة مباشرة لماذا ؟ لأننا قلنا أنه من الشرك الأكبر المخرج من الملة ، فمن ينكر طلب الشفاعة من الرسول ﷺ فهو منكر لشفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام ، هذا في فهم من ؟ عند السلف أو عند المشركين ؟

عند المشركين ، من أنكر طلب الشفاعة من النبي ﷺ وهو في قبره حينئذٍ يلزمه أنه قد أنكر الشفاعة ، هذا مُرَادُهم ، ولذلك قيل له وهذا عندما أنكر المصنف على الذين يطلبون الشفاعة من المخلوقين وبَيَّنَ أن الشفاعة حق لله عز وجل ولا تطلب إلا منه سبحانه اتهم بهذه التهمة أنه ينكر الشفاعة ، (**فإن قال**) المشرك (**أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها فقل : لا أنكرها ولا أتبرأ منها ، بل هو ﷺ الشافع والمشفع وأرجو شفاعته**) . إذًا تسليم مع الخصم لأنه خصم مشرك يقر بالشفاعة أو لا ؟

يقر بالشفاعة ، ولذلك رتب عليها أن يطلبها من النبي ﷺ وهو في قبره ، هذا دليل على أنه أقر بالشفاعة ، وإذا جاء المشرك أو صاحب الباطل ببعض الحق وأردت أن أرد ما عنده لا يلزم أن أرد الحق الذي معه ، بل أقول : لا . (**لا أنكرها ولا أتبرأ منها ، بل هو ﷺ الشافع والمشفع وأرجو شفاعته**) أسأل الله عز وجل شفاعته ، يعني : شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام . فإنه لا يشفع في أحد يوم القيامة إلا أعطاه الله ما سأله وما شَفَعَ فيه ، حتى عَمّه وهو كافر فإنه يَشْفَعُ فيه ، ويخفف عنه من العذاب بسبب شفاعته ، حينئذٍ نرجو شفاعته ، ونأخذ بأسباب تلك الشفاعة وكوننا نرجو الشفاعة ببذل الأسباب ، لا يعني أن نسأل الشفاعة مما لا يملكها ابتداءً ، (**ولكن الشفاعة كلها لله كما**

---

(38) سبق .

قال تعالى : (قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً) [الزمر : 44]) إذًا إثبات أن الشفاعة حق للنبي ﷺ يعني : ثابتة ، أقصد أنها ثابتة للنبي عليه الصلاة والسلام وهي (**كلها لله**) يعني : ملكه (**(قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً) [الزمر : 44]**) حينئذٍ الذي يملكها حقيقةً ابتداءً وانتهاءً هو الرب جل وعلا (**ولا تكون**) للنبي ﷺ ولا لغيره (**إلا من بعد إذن الله تعالى لقوله سبحانه كما قال عز وجل : (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) [البقرة : 255] ، ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال تعالى : (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) [الأنبياء : 2] ، وهو لا يرضى إلا التوحيد**) .

إذًا الشفاعة أعطيها النبي ﷺ ولكنها في الحقيقة هي مِلْكٌ لله تعالى لقوله : (**(قُل لِّلَّهِ)**) . اللام هنا باتفاق للملك والاستحقاق ، حينئذٍ (**(قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ)**) نقول : هي ملك لله ابتداءً وانتهاءً . طيب كيف النبي ﷺ يشفع ، والملائكة تشفع ، والصالحون يشفعون ، كيف هذا ؟

نقول : هي مِلك لله تعالى ابتداءً وانتهاءً ، وكون النبي عليه الصلاة والسلام يشفع والملائكة تشفع نقول : هذه الشفاعة تبع لإذن الله تعالى ، ولذلك لا تحصل إلا بتحقيق شرطين اثنين :

الأول : الإذن ، وقلنا : هذا عام يشمل الإذن الشرعي والإذن الكوني القدري .

والثاني : الرضا .

والإذن هذا خاص بالشافع على المشهور ، والرضا عن الشافع والمشفوع فيه ، والله تعالى لا يرضى إلا التوحيد ، حينئذٍ لا شفاعة لأهل الشرك البتة ، وهذا الذي يقف عند القبر ويستشفع النبي ﷺ ويدعوه ويستغيثه لا نصيب له في الآخرة من الشفاعة ، لأنها لا تكون إلا لمن قال : لا إله إلا الله خالصًا من قلبه ، وهذا قد انتفى في حقه معنى لا إله إلا الله ، انتفى الإخلاص فهو مشرك شرك أكبر كافر مرتد ، حينئذٍ كيف يشفع فيه النبي ﷺ .

فإذا كانت الشفاعة (**كلها لله ولا تكون إلا بعد إذنه ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحدٍ حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد تبين أن الشفاعة كلها لله ، وأَطْلُبُهَا منه**) جل وعلا ، والطريق الشرعي أن يقول : (**اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك**) عليه الصلاة والسلام أو (**اللهم شفعه فيّ**) والمحل هنا أن يقال : الخطاب يكون موجهًا لله عز وجل ، يا رب يا الله اللهم ، أما يا محمد يا رسول الله الخطاب توجه لمن ؟ للنبي ﷺ ، الأول توحيد وتحقيق للتوحيد ، والثاني شرك مخرج من الملة ، إذا قال : يا رسول الله اشفع لي عند ربك . نقول : ولو كان المسئول هو أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام هذا لا يخرجه عن كونه شركًا ، لأن الله تعالى أعطاه الشفاعة لكنها ليست مطلقة وإنما هي مقيدة ، يعني : بالشرطين المذكورين . ولذلك شرع في الشبهة التي تليها .

إذًا أولاً التسليم مع الخصم بأن الرسول ﷺ أُعْطِيَ الشفاعة وهذا محل وفاق ، هذا مما يتفق فيه الخصمان أن النبي ﷺ أعطي الشفاعة ، وهذا لا إشكال فيه .

ثم قال : (**فإن قال : النبي ﷺ أُعْطِيَ الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله**) . الآن سلمنا بأن النبي ﷺ أُعْطِيَ الشفاعة ، هل الإعطاء يقتضي التمليك أو لا ؟

أُعْطِيَ الشفاعة سَلَّمْنَا هل هذا الإعطاء « **وأُعْطِيتُ الشفاعة** » . أعطيتُ تاء الفاعل هل هذا الإعطاء يقتضي التمليك أو لا ؟

نقول : لا يقتضي التمليك للدليل السابق ، (**(قُل لِّلَّهِ)**) هذا عام ، وكون النبي ﷺ أُعْطِيَ الشفاعة قلنا : ليست شفاعة مطلقة ولو لم يأذن الله أو لم يرض الرب جل وعلا عن المشفوع لهم ، لو كانت مطلقة حينئذٍ لا يُستأذن ، « قل يُسمع ، واشْفَعْ تُشَفَّع » . هذا إذن أو لا ؟ هذا إذن لو كانت الشفاعة للنبي ﷺ مطلقة حينئذٍ لم نحتج إلى أن يستأذن ربه يوم القيامة . إذًا قوله بأنه أعطي الشفاعة هذا لا يقال هكذا إطلاقًا ، لأنها من حق النبي ﷺ ، وإنما يقال : أُعْطِيَ الشفاعة وهي مُقَيَّدَة ليست شفاعة مطلقة ، وإنما هي مقيدة بالشرطين السابقين ، حينئذٍ لا يُسَلَّمُ له في قوله : (**وأنا أطلبه مما أعطاه الله**) . يعني : أطلب النبي ﷺ من شيء أعطاه ربه إياه نقول : لم يعطه ربه هكذا بإطلاق ، وإنما أعطاه بشرطين الإذن والرضا ، وأنت لم تحقق الشرط الثاني وهو : أنك من أهل التوحيد . لأنك توجهت لدعاء النبي ﷺ وهو في قبره . (**فإن قال**) - المشرك - (**النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله**) مضمون

هذه الشبهة أن النبي ﷺ أُعْطِيَ الشفاعة ، إذًا فهو مالك لها بمقتضى هذا الإعطاء ، هكذا فهم هذا المشرك ، ما دام أن الرب أعطاه الشفاعة وقال عليه الصلاة والسلام : « **أعطيت الشفاعة** » . إذًا هذا تمليك مطلقًا فتطلب من النبي ﷺ كما يطلب المال الذي بيده لا فرق بينهما ، إذًا فهو مالك لها بمقتضى الإعطاء ، وإذا كان كذلك فإنه يُسأل النبي ﷺ أن يُعْطِيَ تلك الشفاعة التي يملكها وعندهم أن الإعطاء يقتضي التمليك ، ونحن نطلبها ممن أعطاه الله فهو سؤال من كان مالكًا لها ، هذه شبهة قد تكون أقوى من السابقة ، وهو أنه إذا أُعْطِيَ النبي ﷺ الشفاعة ، حينئذٍ مَلَّكَهُ الرب جل وعلا هذه الشفاعة ، فإذا سألته عليه الصلاة والسلام الشفاعة هل سألته من شيء لم يعطيه يملكه ربه أو من شيء ملكه إياه ؟ عندهم الثاني ، حينئذٍ الجواب عن هذه الشبهة :

الجواب الأول : (**أن الله تعالى أعطاه الشفاعة**) . وهذا تقرر فيما سبق « **وأعطيت الشفاعة** » . أعطاه الشفاعة (**ونهاك عن هذا**) ما هو هذا ؟ الذي هو طلب الشفاعة من النبي ﷺ لعموم قوله (**(فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً) [الجن : 18]**) هذا عام (**(تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً)**) نبيًّا أو مَلَكًا أو جنيًّا أو حجرًا أو شجرًا أيًّا كان نوعه ، عام أو خاص ؟

عام ، إذًا يشمله أو لا ؟

كيف دخل في قوله : (**(فَلَا تَدْعُوا)**) ونحن نتكلم في الشفاعة ؟

ما وجه الدخول ؟

لأن الشفاعة قلنا : هذه فرد من أفراد الدعاء ، والدعاء جنس يدخل تحته ألفاظ متعددة وكلها متقاربة ، الاستغاثة والاستجارة والاستعاذة والاستسقاء ، سمِّ ما شئت من هذه الألفاظ ، والشفاعة والتوسل والتبرك ، كل هذه تأتي بمعاني أي داخلة تحت معنى الدعاء .

إذًا قوله : (**(فَلَا تَدْعُوا)**) . هذا عام (**(مَعَ اللَّهِ أَحَداً) [الجن : 18]**) هذا عام . الشفاعة طلب وهي : دعاء .

فإذا طلب أحد من النبي ﷺ وهو في البرزخ أن يشفع ، وهذا الطالب سأله والسؤال دعاء . إذًا حقيقة الشفاعة أو طلب الشفاعة دعاء ميت ، هذا حقيقة الشفاعة ، دعاء ميت سؤال ميت ، حينئذٍ سؤال الميت ودعاء الميت نقول : هذا شرك أكبر ، هو معنى الالتجاء للصالحين السابق . نقول : هذا شرك وهذا هو عين ما فعله أولئك مع الملائكة والصالحين واللات - كما سبق في الشبهة السابقة - فالشفاعة نوع سؤال وطلب ، وسبق أن الدعاء هو العبادة ،فإذا كانت الشفاعة من جنس الدعاء وتقرر أن الدعاء هو العبادة ، فصرف العبادة لغير الله شرك أكبر ، واضح تقرير المسألة .

(**أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عنها**) ، (**أعطاه الشفاعة ونهاك**) أنت أيها السائل ، يا من أردت أن تسأل النبي ﷺ الشفاعة ، نهاك أن تسأله وهو في البرزخ وهو ميت عليه الصلاة والسلام ، ما الدليل بأنه نهاك عن هذا ؟ لقوله : (**(فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً)**) . ما وجه الاستدلال ؟ ما قال : فلا تشفع ، فلا تطلب الشفاعة قال : (**(فَلَا تَدْعُوا)**) . قد يعاند ويكابر النبي الله عز وجل نهى عن الدعاء ، ونحن نتكلم في الشفاعة ، شفاعة شَفَعَ وهذا دعا فرق بين اللفظين .

نقول : الشفاعة طلب نوع السؤال فهي داخلة في جنس الدعاء ، فحينئذٍ يشملها قوله تعالى : (**(فَلَا تَدْعُوا)**) . ففيه عموم من جهة كون الفعل هنا في سياق النهي ، والنهي يقتضي التحريم . إذًا يحرم أن يدعو غير الله تعالى ، أو مع لله أحدًا ، طيب ما وجه العموم ؟ نقول : (**(تَدْعُوا)**) . هذا فعل وهو منسبق من زمن ومصدر ، والمصدر نكرة والنكرة في سياق النهي تعمّ ، إذًا لا تدعوا لا يقع ولا يحصل ولا يوجد أي نوع وأي فرد وأي آحاد من أنواع الدعاء ، سواء كان موافق له في اللفظ والمعنى أو في المعنى دون اللفظ ، ليدخل ما سبق لأنه قد يقول : الدعاء دَعَا مغاير لشفع استغاث استعان هذه كلها من حيث اللفظ متفارقة ، حينئذٍ نقول : المعنى واحد والجنس عام . إذًا الشفاعة نوع من السؤال والطلب ، وسبق أن الدعاء هو العبادة ، فإذا كانت الشفاعة من جنس الدعاء تقرر أن الدعاء هو العبادة ، فصرف العبادة لغير الله شرك أكبر ، ويقال أيضًا ما سبق بيانه أن الشفاعة لله ملكًا فلا يملكها الرسول ﷺ ولا غيره ، فإذا كان المالك لها حقيقة هو الله جل وعلا ، فالجواب هو طلب الشفاعة منه سبحانه (**(فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً)**) ، (**(فَلَا تَدْعُوا)**) هذا فيه عموم يعمّ جميع أنواع السؤال والدعاء ، لا دعاء استغاثة ، ولا دعاء استعانة ، ولا دعاء استسقاء ، ولا شفاعة ، ولا غير ذلك . يشمله من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، (**(فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً)**) ، (**(أَحَداً)**) هذا نكرة في سياق النهي فيعمّ .

إذًا عمومٌ من جهة العبادة وعمومٌ من جهة المعبود الذي تصرف له العبادة ، فقوله : (**(أَحَداً)**) . دخل فيه النبي ﷺ أو لا ؟

دخل فيه النبي ﷺ . حينئذٍ نقول : أعطاه الشفاعة نعم - وهذا حق - وهي ملك لله عز وجل ابتداءً وانتهاءً ، ثم نهاك أن تسأله وهو ميت عليه الصلاة والسلام فامتثل الأمرين ، قل : آمنت بالله بأنه أُعْطِيَ الشفاعة وتدعو الله عز وجل أن يُشَفِّعَهُ فيك ولا تذهب إلى قبره وتقول : يا رسول اشفع لي . ممكن أو لا ؟

نعم هو هذا الحق ، أن تجمع بين الأمرين سمعنا وأطعنا ولا تعارض بينهما ، أعطاه الشفاعة ونهانا أن نسأله ، لأنها ليست ملكًا له ، وهذا ليس قدحًا في النبي ﷺ ، ليس قدحًا أو نقصًا في النبي ﷺ ، لأنه من باب إنزاله منزلته التي أعطاه الله عز وجل وهو أنه عبد .

((فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً)) وطلبك من الله شفاعة نبيه عبادة ، طلبك دعاء سؤال من الله شفاعة نبيه عبادة ، طيب إذا قال : اللهم شفع فيَّ نبيك . عبادة أو لا ؟

عبادة ، متفق عليها ، لأنه توجه بالخطاب إلى الله عز وجل ، فهو دعاء متفق عليه بين خصمين . اللهم يا الله شفع فيَّ نبيك ، لو قال : يا رسول الله اشفع لي . هو عين الأول ؟

لا ، المسئول الحاجة ما هي الحاجة ؟ اللهم شفع فيَّ نبيك ، يا رسول الله اشفع لي الحاجة واحدة ، وهي : طلب شفاعة النبي ﷺ . حينئذٍ إما أن يطلبها من ربه وهذا هو التوحيد ، وإما أن يطلبها من النبي ﷺ ، الحاجة واحدة ، والمدعو مختلف ، الأول دعا ربه ، والثاني دعا النبي ﷺ . الأول عبادة إذا قال : اللهم شفع فيَّ نبيك . نقول : عبد ربه ؟ عبد ربه لأنه دعاه ، طيب لو صرف هذا النوع إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله اشفع لي . حينئذٍ نقول : هذا شرك واضح بَيِّن ، هذا إِلْزَام له ، لأن الأول عبادة فيلزمك حينئذٍ إذا صرفتها لغير الله تعالى أنك قد أشركت في تلك العبادة ، ولذلك قال هنا المصنف : (**وطلبك من الله**) . إذا قلت : يا الله . الطريق الشرعي (**وطلبك من الله شفاعة نبيه عبادة**) ، طلبك عبادة مبتدأ وخبر ، والله نهاك أن تشرك في هذه العبادة أحدًا على الوجه الذي ذكرناه ، إذا قلتَ : يا الله اللهم شفع فيَّ نبيك . هذه عبادة ، إذا صرفتها لغير الرب جل وعلا فقد أشركتَ ، فالتوجه إلى النبي ﷺ تسأله الشفاعة شرك ، لأن الشفاعة كما سبق أنها دعاء ، والله نهاك بقوله : (**(فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً)**) . نهاك أن تشرك في هذه العبادة وهي السؤال الشفاعة أحدًا أيًّا كان ذلك الأحد ، (**فإذا كنت تدعو الله**) إذا كنت تريد أن يشفع فيك النبي ﷺ إذا أردت الطريق الشرعي (**أن يشفعه فيك ، فأطعه في قوله : (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً) [الجن : 18]**) . لماذا ؟ لأنك لو لم تطعه في هذه الآية حُرِمْتَ الشفاعة ، حُرِمَ الشفاعة أو لا ؟

لم ؟

لانتفاء الشرط أن يرضى الرب عن المشفوع له ، ولا يرضى إلا عن أهل التوحيد « **أسعد الناس بشفاعتي من قال : لا إله إلا الله خالصًا من قلبه** » . وهذا لم يقلها خالصًا من قلبه ، لو قال : لا إله إلا الله . حينئذٍ انتفى عنده الشرط (**فإذا كنت تدعوا الله أن يشفعه فيك**) يعني : تريد وترغب شفاعة النبي ﷺ فيك (**فأطعه**) يعني : أطع ربك (**في قوله : (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً) [الجن : 18]**) يعني : لا تسأل مع الله أحد . (**(مَعَ اللَّهِ)**) كما سبق معنا أنه له مفهوم ، وهو : إذا نُهِيَ عن دعاء أحد غير الله مع الله فدونه من باب أولى وأحرى . أليس كذلك ؟ لأن الداعي إما أن يدعو مع الله ، وإما أن يدعو ذلك المخلوق دون الله ، نوعان يعني : يدعو الله ، ويدعو غير الله . يعني : يخلط بين هذا وذاك ، وقد لا ، يستقل بالمخلوق بالأضرحة ينسى ربه حينئذٍ أيهما أعظم ؟ الثاني وهذا الذي نُهِيَ عنه يستلزم النهي عن دعاء غير الله تعالى من دونه مطلقًا .

الجواب الثاني : يقال : الشفاعة ليست خاصة بالنبي ﷺ (**فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ ، فصح**) صح في الأثر (**أن الملائكة يشفعون ، والأفراط يشفعون**) الأفراط جمع فَرَط بفتحتين ، وهو الذي يتقدم الوارد ويهيئ لهم الأرسان والدلال وينظر الحياض ويستسقي لهم ، وهو فَعَلٌ بمعنى فَاعِل ، يقال : رجلٌ فَرَطٌ ، وقوم فَرَطٌ أيضًا ، وفي الحديث : « **أنا فَرَطُكُم على الحوض** » . ومنه قيل للطفل الميت : اللهم اجعله لنا فَرَطًا . أي : أجرًا يتقدمنا حتى نَرِدَ عليه ، والأفراط المراد به هنا الأطفال من يموت دون البلوغ ، (**والأفراط يشفعون ، والأولياء يشفعون**) الملائكة تشفع (**والأفراط يشفعون والأولياء يشفعون**) كما أن النبي ﷺ أُعْطِيَ الشفاعة وهو قد سألها من ؟ خص

النبي ﷺ فقط دون غيره ، إن قلت بأن من أعطي الشفاعة جاز سؤاله ، فلتسأل الملائكة ولتأت عند الأفراط عند قبورهم وتسألهم الشفاعة ، وكذلك تأتي الأولياء فتسألهم الشفاعة ، لكن هذا الواقع يكذبهم وإنما يخصون النبي ﷺ دون غيره ، (**أتقول : إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم ؟ فإن قلت هذا**) نعم (**رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه**) إن قلت : إنني أطلب الشفاعة من غير النبي ﷺ من الملائكة والأفراط والأولياء فقد وقعت في الشرك الذي هو عبادة الصالحين التي ذكرها الله عز وجل في كتابه ، كقوله : (**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) . [الزمر : 3] وقوله : (**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**) [يونس : 18] . فحينئذٍ يُخْصَمُ الخصم بهذا لأنه لن يقول بهذا البتة ، لأنه إذا توجه بسؤال الأولياء أو الملائكة أو الأفراط بسؤال بطلب الشفاعة وقع في الشرك ، الذي هو عبادة الصالحين ، ولا يريد هذا هو يريد أن يخصص بأن السؤال الشفاعة من النبي ﷺ ليست شركًا ، وهو يقر بأن سؤال الشفاعة من الملائكة والأفراط والأولياء يعتبر من الشرك ، حينئذٍ كيف يقال بأنه إذا أعطي النبي ﷺ الشفاعة فأنا أطلبها منه وليست بشرك ، ثم ننظر فالعلة الموجودة في النبي ﷺ موجودة في غيره ، والأصل أن الحكم يدور مع التي وجودًا وعدمًا ، فكما سألت النبي ﷺ الشفاعة وهو ميت لعلة أن الله أعطاه إياه نقول : كذلك الملائكة أعطيت الشفاعة فلتسألها . ولن يسألها لأنه شرك عندهم ، وكذلك الأفراط أعطوا الشفاعة ولن يسأل الأفراط لأنها عبادة الصالحين وهذا شرك عنده ، وكذلك الأولياء ، (**وإن قلت : لا**) لا أطلبها منهم لأنها تكون في الآخرة . (**بطل قولك : أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله**) يعني : وُجِدَ الوصف دون الحكم ، العلة التي رتب عليها الحكم وهو جواز طلب الشفاعة وُجِدَ الوصف دون الحكم ، فيدل على ماذا ؟ وُجِدَ الوصف دون الحكم ، إذا وُجِدَ الوصف دون الحكم دل على أن تلك العلة التي رتب عليها الحكم ملغاة باطلة ، من الأشياء التي يوجه النقض وفساد العلم عند الأصوليين وجود الحكم دون الوصف ، إذا وُجِدَ الحكم دون الوصف حينئذٍ دلَّ على أن ذلك الوصف ليس سببًا أو مقتضيًا للحكم ، وإذا وُجِدَ الوصف دون الحكم دلَّ كذلك على الافتراض . علق الحكم وهو : جواز طلب الشفاعة من النبي ﷺ لعلة وهي : أن الله أعطاه إياها . حينئذٍ هذه العلة وهو : إعطاء الرب النبي ﷺ الشفاعة قد وُجِدَتْ في غيره ، وهم الملائكة ، حينئذٍ يلزم وجود الحكم ، فإذا لم يوجد الحكم حينئذٍ لزم منه بطلان تلك العلة ، ولذلك قال هنا : (**وإن قلتَ : لا ، بطل قولك**) . الذي هو العلة لماذا بطل ؟

لوجود العلة دون الحكم ، واضح هذا ولا ألغاز ؟ لوجود العلة والوصف دون الحكم علمنا أن ذلك الحكم السابق باطل ، واضح هذا ؟

إذًا الجواب الأول : أن يقال : بأن الله تعالى أعطاه الشفاعة ونهاك عن طلبها منه ، يعني : من النبي ﷺ ، أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك أن تسأله إياها ، وإنما هي ملك لله تعالى فتدعو الله عز وجل أن يشفع فيك نبيه عليه الصلاة والسلام .

الجواب الثاني : أنها ليست خاصة بالنبي عليه الصلاة والسلام ، بل ثبت أن الملائكة تشفع والأفراط يشفعون والأولياء يشفعون .

دليل شفاعة الملائكة الأولياء حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة .. الحديث وفيه : « **فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة** » . هذا إثبات « **وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون** » . خَرَّجَهُ البخاري ومسلم ، ودليل شفاعة الأفراط حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال الرسول ﷺ : « **ما من الناس من مسلمٍ يَتَوَفَّى له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم** » . وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « **لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم** » خَرَّجَهُ البخاري ومسلم . وكذلك حديث أبي سعيد وفيه ثم قال : « **ما منكن من امرأةٍ تقدم بين يدها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حاجبًا من النار** » . فقال امرأةٌ : واثنين وَاثنين ، واثنين . فقال ﷺ : « **واثنين ، واثنين ، واثنين** » . إذًا : ثبت بالنص أن المذكورات تشفع ، حينئذٍ إذا ثبت فالعلة موجودة والحكم قد انتفى ، فدل على أن ذلك الحكم السابق المختص بالنبي ﷺ المعلق على تلك العلة أن الله أعطاه الشفاعة قد انتقض لما ذكرناه .

ثم انتقل إلى شبهةٍ أخرى (**فإن قال أنا لا أشرك بالله شيئًا حاشا وكلا**) ، (**أنا لا أشرك بالله شيئًا**) هو كل صاحب سوء لا بد أن ينفي عن نفسه ، لا تظن أن المشرك يقول : نعم أنا مشرك ، والمنافق يقول : نعم أنا منافق ، والمبتدع يقول : أنا مبتدع ، والمخالف للمنهج يقول : أنا مخالف ، أبدًا

الكل يدَّعِي وصلاً بليلى

فيقول : أنا لا أدعو إلا وفق الكتاب والسنة ، ثم تجد التخليط صباحًا ومساءً ، (**فإن قال أنا لا أشرك بالله شيئًا**) هذا نفي للشرك بنوعيه الشرك الأكبر والأصغر (**حاشا وكلا لكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك**) هذه قريبة من السابقة وهي ؟

...

(**أنا لا أعبد إلا الله**) عنده خلل هناك في مفهوم العبادة ، وهنا عنده خلل في مفهوم الشرك ، ما عَرف ما هو الشرك ، كيف ما عرف ما هو الشرك ثم هو موحد ؟ (**فإن قال أنا لا أشرك بالله شيئًا**) هذا نفى الشرك عن نفسه ، وهذه قاعدة كلية لكنها منقوضةٌ بما بعدها ، هو يُقَعِّدُ قاعدة عامة وينقضها ، لكن لا يدري أن ما ذكره يعتبر ناقضًا لها يعني : مفسد مبطل ويقول : (**أنا لا أشرك بالله شيئًا**) ، ثم يذبح عند القبر ، كيف أنا لا أشرك بالله شيئًا وتذبح عند الأضرحة ، نقضت كلامك الأول بالثاني بفعلك ، إذًا (**أنا لا أشرك بالله شيئًا ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك**) إذًا جعل الالتجاء - انظر الالتجاء هنا مراد به الدعاء - (**ولكن الالتجاء**) ثم الدعاء والالتجاء هنا يستلزم الذبح والطواف والنذر .. إلى آخره يكون مقدمة له ، (**لكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك**) إذًا : جعل الالتجاء لغير الله ليس شركًا بالله تعالى ، هذا يتضمن الشبهة السابقة أنه ما فهم معنى العبادة وما فهم معنى الشرك ، والجواب هنا كالجواب هناك ، ماذا نقول له ؟

....

ما معنى الشرك ، حينئذٍ له أحوالٌ ثلاثة :

لا أدري ، جاهل سيوبخ وينكر عليه ، كيف تقول : لا أشرك بالله شيئًا ولا تعرف الشرك ؟ هذا الحالة الأولى .

الثانية :

...

أن يعرف يعلم ، ثم هذا له حالان :

إما أن يُصيب في فهم الشرك المعنى الشرعي وهذا لا يمكن أن يكون معنا .

وإما أن يخطئ ، فحينئذٍ يتردد صاحب الشبهة هذا إما أنه لا يعرف الشرك ، وإما أنه قد أخطأ في مفهومه ، إما أنه لا يدري معنى الشرك فينكر عليه ، وإما أنه قد أخطأ في مفهوم الشرك ، لا بد من التصحيح في الوجهين ، ولذلك قلت لكم :من ضبط المسائل الأولى المحكمات يستريح هنا .

(**فقل له**) إذًا يُسأل أولاً ما هو الشرك هذا الخطوة الأولى في الردِّ ، نسأله فَسِّر لنا الشرك ، إذا قلتَ : لا أشرك بالله شيئًا ، أنتَ نفيتَ الشرك عن نفسك إذًا فسِّر لنا ما هو هذا الشرك ؟ (**فقل له : إذا كنت تقر**) وهو يُقرّ (**أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا**) أعظم الكبائر أعظم المحرمات الشرك (**وتقر أن الله لا يغفره**) وهذا واضح (**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**) [النساء : 48] ، (**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ**) [المائدة : 72] إذًا : لم يرد في ذنبٍ مثل هذا الذنب ، عظيم عظمه الله عز وجل ، وبين أن من أتى به أنه ليس داخلاً تحت المشيئة غير مغفور له ، وأنه خالدٌ مخلدٌ في النار ، أليس كذلك ؟ وحرمت عليه الجنة ، وفي الدنيا أبيح دمه وسبي نسائه وماله .. إلى آخره ، حينئذٍ هذا أمر عظيم ما تسأل عنه ، كيف تنتسب للإسلام (**وتقر أن الله لا يغفره فما هذا الأمر الذي عظمه الله وذكر أنه لا يغفره**) حينئذٍ بعضهم يقول : لا أدري . فإنه لا يدري ، وهذا شأن طائفة بعضهم قد لا يدري عوام ما يعرف ، يشرك بالله عز وجل كونه عاميًا لا ينفي عنه الشرك ، يعني : لا يلزم من كونه لا يدري أن لا يكون مشركًا ، لا ، لا تدري وأنت مشرك ، واضح هذا ؟

(**فقل له : كيف تبرئ نفسك من الشرك**) تقول : لا أشرك بالله شيئًا (**وأنت لا تعرفه ؟ وكيف يحرم الله عليك هذا ، ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه**) هذا تفريق (**أتظن أن الله عز وجل يحرمه ولا يبينه لنا ؟!**) حاشا وكلا أمرنا بما هو أدنى من ذلك وبينه لنا ، أمر بالصلاة وَبُينت الصلاة من أولها إلى آخرها ، واجبتها وسننها ، الأقوال والأفعال ، أليس كذلك ؟ كذلك الصيام ، وكذلك الزكاة ، والأنصبة ، والحولان ، والشروط .. إلى آخره ،

كله أمر بها وبينها في كتابه وأعظم أمر وهو التوحيد ، وأعظم نهي وهو الشرك ، يأمر بالتوحيد وينهى عن الشرك ثم لا يبينه ؟! نقول : لا ، وهذا من أعظم الأدلة على أن التوحيد له حقيقةٌ شرعية ، يعني : أمرنا بالتوحيد بلا إله إلا الله وبَيَّنَ تكفل الله عز وجل ببيان التوحيد الذي لا يقبل غيره ، ونهانا عن الشرك وبين ما هو الشرك ، العقول هنا لا مجال لها ، حينئذٍ نقول : هذه حقيقة شرعية ، أنت كيف تترك ما عظم الله شأنه أمرًا ، وتحريمًا ولا تسألُ عنه ثم تقول : لا أعبد إلا الله ولا أشرك به شيئًا ، هذا تناقض ولا يقبل . (**فإن قال**) أعرف الشرك ما هو هذا الشرك ؟ (**قال : الشرك عبادة الأصنام**) هذا تفسيرٌ للشرك التام أو ببعض أفراده ؟

...
ببعض أفراده ، هل نقول له هذا باطل ؟

...
إذا قال : الشرك هو عبادة الأصنام . هل نقول : هذا باطل أو لا ؟

...
أريد نعم ، لا ، هل هذا باطل أو لا ؟

...
باطل ؟

...
أي

..
هو ظاهر العبارة ما هو (**الشرك**) هذا محلى بأل (**عبادة الأصنام**) مضاف إلى المحلى بأل

...
باطل نعم ، لأنه حصر الشرك في عبادة الأصنام ، وهذا الحصر باطل وعلى طريقتهم نقول : هذا التعريف ليس جامعًا لماذا ؟

...
لأن ثم أفراد لم تدخل في الحدِّ فليس بجامع ، لا بد الحدّ أن يكون ماذا ؟ أن يكون جامعًا (**فإن قال : الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام**) هذا التعريف تعريف الشرك ببعض أفراده ، بل قصرٌ للشيء على بعض أنواعه ، هكذا عبَّر بعضهم تعريفٌ للشيء ببعض أفراده ، أكثر الشروح على هذا ، والظاهر #1.09.23 الله أعلم أنه قصرٌ للشيء على بعض أفراده ، وفرقٌ بينهما ، إذا قيل : تعريفٌ للشرك ببعض أفراده لا يلزم منه أن ينفي الفرد الذي لم يدخل في الحدّ ، وإذا قيل : قصر الشرك على بعض أفراده حينئذٍ يلزم منه أنه ينفي الفرد الذي لم يدخل ، واضح ؟ الآن إذا قيل : الشرك عبادة الأصنام . طيب اللجأ إلى الصالحين هل هو داخلٌ في عبادة الأصنام ؟ لا .

إذا قلنا : تعريف الشيء ببعض أفراده لا يلزم الحكم على أن الذبح للأولياء ليس بشرك ، بل قد يكون شركًا عندهم ، وإذا قلنا : قصر اللفظ على بعض أفراده . بمعنى أنه لا يتعدى حينئذٍ صار الذبح للأضرحة ليس بشرك ، على كلٍّ التعبير الصحيح أن يقال هنا : قصر للشيء على بعض أفراده وأنواعه . حينئذٍ نحكم على الحدّ بأنه باطل ، ولو كنا نُسَلِّمُ نحن بأن عبادة الأصنام من الشرك الأكبر لا شك في هذا ، إذا قلنا : التعليل باطل ليس معنى أن عبادة الأصنام ليس بشرك ، لا هي شرك لا شك ، لكن لما كان المقام مقام مجادلة ومناظرة حينئذٍ لا بد من تحديد مفهوم للشرك في ذهن المشرك الذي يجادلنا ، ما هو هذا الشرك ؟ قال : (**عبادة الأصنام**) . إذًا لا شرك إلا في عبادة الأصنام ، نقول : هذا قصر للشرك على بعض أفراده . حينئذ الحدّ صار باطلاً ، ولا يلزم منه إنكار عبادة الأصنام أن تكون من الشرك ، وإذا قلنا : تعريف للشيء ببعض أفراده . لا ، لأن الفرد الذي لم يدخل لا يلزم منه أن لا يحكم عليه بأنه ليس بشرك ، بل هو شرك عندهم - لازم تكون واضحة - (**ونحن لا نعبد الأصنام**) وإنما يعبدون الأضرحة يتوجهون إلى الأموات .

(**فقل**) له إذًا إبطال قوله يكون ببيان أن عبادة الأصنام شرك ، ولا شك في هذا والمعنى الموجود في عبادة الأصنام موجود في غيرها ، ولذلك يسأله المصنف هنا (**ما معنى عبادة الأصنام ؟**) ماذا تفهم من كون الأصنام معبودة ؟ هل يتوجه إليها لأنها تخلق وترزق وتحي وتميت وتدبر الأمر أم من أجل أن تشفع وتتوسط بين الذابح والرب جل وعلا ؟

إن قلتَ الأول فالقرآن يكذبك كما سبق معنا ، فيتعين أن يكون الثاني وهو : أن عبادة الأصنام . المراد بها الذبح عندها لتكون واسطة وشفيعًا بينه وبين الله عز وجل ، هذا معنى من المعاني رُتب عليه الحكم وهو أنه شرك ، هذا المعنى موجود في فعلك أنتَ وهو أنك جئت عند القبر وذبحت له واستغثت به من أجل أن يتوسط بينك وبين الله عز وجل ، نفس المعنى الذي حصل عند الصنم ، حينئذٍ الشريعة لا تفرق بين متماثلات ، والحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا ، والشرك معنًى فإذا وجد عند الأصنام ووجد عند غير الأصنام فالحكم واحد ، لا فرق بين هذا وذاك ، ولذلك جاء (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً**) [الجن : 18] نكرة (**أَحَداً**) سواء كان حجر صنمًا أو كان بشرًا ، سواء كان عاقل أو لا ، فاللفظ يعمّهم ، ولذلك قال له المصنف هنا فقل له : (**ما معنى عبادة الأصنام ؟ أتظن أنهم**) يعني : المشركين الأولين (**يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ [أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ]) [يونس : 31] الآية**) إذًا أقر بأنها لا تخلق ولا ترزق وليس لها من الأمر شيء ، ماذا بقي ؟ بقي الثاني فإن قال : إنهم يقصدون (**خشبة أو حجرًا أو بنية على قبر**) يعني : قبة . (**أو غيره يَدْعُونَ ذلك**) يعني : الخشبة أو الحجر . (**ويذبحون له يقولون ، إنه يقربنا إلى الله زلفى ويدفع عنا الله ببركته ويعطينا ببركته**) ، (**فقل صدقت**) يعني : إن فسر عبادة الأصنام بالثاني فقل له صدقت ، هل نصدق المشرك ؟

......

أي نعم ، لأنه ليس بخبر ، هو إقرار ، هو لا يخبر عن الله عز وجل وإلا هو مشرك لا يُقبل خبره ، وإنما هنا إقرار من أجله إلزامه فحسب ، فقل له : صدقت . لأنه تفسير للشرك بمعنًى صحيح . وقوله : (**يَدْعُونَ ذلك**) . الآن نرجع معه لأنه قال ماذا ؟ قال : (**الشرك عبادة الأصنام**) . وسبق قال : (**ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك**) . ما هو هذا الالتجاء إلى الصالحين هو الذي فسره ضعه بين قوسين (يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون إنه يقربنا) ... إلى آخر الجملة ، هذا هو تفسير معنى قوله : (**ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك**) . حينئذٍ نقض قوله الأول لأن عبادة الأصنام ما هي ؟ أن يُذبحَ لها من أجل الواسطة والزلفى والقربى ، نقول : هذا هو الشرك ولو سميته بغير اسمه بأنه (**الالتجاء إلى الصالحين**) ؟ وتغيير وتبديل الأسماء لا يغير الحقائق ، فالشرك شرك ، والكفر كفر ، وإن سماه بغير اسمه ، وهنا فسر عبادة الأصنام بماذا ؟ بما يفعل هو مع الصالحين ولا يسميه شركًا ، وهذا تناقض ، ولذلك قال هنا : (**فقل صدقت**) . (**وهذا فعلكم عند الأحجار**) هكذا يقول له المصنف (**والبناء الذي على القبور وغيرها ، فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام**) هو لم يعبد صنمًا بالمعنى الذي أراده من عرف الشرك ، وإنما عبد صنمًا من جهة المعنى لأن الذي فُعِلَ عند الأصنام من الذبح ونحو ذلك من أجل القربى فُعِلَ عند الأضرحة ، حينئذٍ وُجِدَتْ عبادة الأصنام ، والحكم يدور مع علته وجود وعدمًا .

إذًا هذا عرف لنا ماذا ؟ عرف لنا الشرك بأنه (**عبادة الأصنام**) . وقال بعضهم : السجود للأصنام . الشرك هو : السجود للأصنام . وقيل : اعتقاد الربوبية في غير الله . وقيل : اعتقاد التأثير في غير الله . وكما سبق أن الشرك عنده هو الشرك في الربوبية ، وهذه التعاريف غير جامعة .

والشرك شرعًا نقول : هو أن تجعل لله ندًا في الربوبية أو الإلوهية أو الأسماء والصفات . (**فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً**) [البقرة : 22] في أي شيء ؟

في الربوبية والإلوهية والأسماء والصفات ، وبهذا ينقسم الشرك إلى ثلاثة أقسام : شرك في الربوبية ، وشرك في الإلوهية ، وشرك في الأسماء والصفات .

إذًا قوله : (**وهذا فعلكم عند الأحجار والبناء الذي على القبور وغيرها**) ، يعني : عند الصالحين عند الأضرحة ، فعلكم هذا هو الذي عرفت به عبادة الأصنام ، فهذا أقر هذا المشرك أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام وهو المطلوب ، حينئذٍ خُصِمَ .

وأيضًا هذا الخطوة الثانية في الردِّ يعني نرجع إلى التعريف ، لأنه قال : (**الشرك عبادة الأصنام**) سكتنا عن الحدّ قلنا له : ما هي عبادة الأصنام ؟ عرفها لنا ؟ فعرفها بما سبق ، حينئذٍ قولك : (**الشرك عبادة الأصنام**) . هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا لا يتعدى ، فعبادة غير الأصنام لا تكون شركًا ، هل هذا مقصودك ، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك ؟ فهذا يرده ما ذكر الله تعالى في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو

عيسى أو الصالحين يعني : لم يرد في الكتاب والسنة تعليق الحكم ما هو الشرك الأكبر على من توجه بالعبادات للأصنام فحسب ، بل كل من جعل معبودًا من دون الله تعالى سواء كان صنمًا أو ملكًا أو نبيًا أو صالحًا أو قبرًا توجه إليه بسائر أنواع العبادات حُكِمَ عليه بحكم واحد وهو : الشرك . وهذا واضح من قوله تعالى : (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً**) [الجن : 18] .

إذًا هذه الخطوة الثانية في الرد أن يقال لهم : إن الله تعالى كفَّر من تعلق بالملائكة كما سبق والصالحين وليسوا أصنامًا ، وبهذا انتقض قولهم : إن (**الشرك عبادة الأصنام**) . حينئذٍ نقول : الشرك ما سبق ، أو عبادة غير الله تعالى ، فهذا يرده ما ذكر الله تعالى في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين ، يعنى : من توجه تعلق توجه بالعبادة لملك أو عيسى وهو نبي أو الصالحين وهو أعمّ ، فلا بد حينئذٍ أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحدًا من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب .

إذًا حاصل هذه الشبهة أن هذا الرجل نفى عن نفسه الشرك ، وخص من الشرك نوعًا وهو دعاء الصالحين ، قال : هذا ليس بشرك . لما قال : لا أشرك بالله شيئًا . واستثنى نوعًا من أنواع الشرك علمنا أن عنده خلل في المفهوم الشرعي للشرك ، فلا بد أن نصحح له الحقيقة الشرعية للشرك ، وهذا واضح بَيِّن .

(**وسر المسألة**) أعاد المصنف لما سبق ، (**وسر المسألة**) يعني : حقيقة المسألة وخالصها السرّ الذي يكتم وجمع أسرار (**وسر المسألة**) أي : المسألة الأخيرة جواب هذه الشبهة المتأخرة الذي لم يفهم معنى الشرك ونفى عن نفسه الشرك (**أنه إذا قال : أنا لا أشرك بالله . فقل له : وما الشرك بالله ؛ فسره لي ؟**) إذا قال : لا أعبد إلا الله . قل له : فسر لي العبادة ؟ لا أشرك بالله شيئًا وأنت ترى أنه مشرك الحديث مع من ؟ مع المشرك وأنت تراه مشركًا صباح مساء ، تقول له : فسر لي ما الشرك . قال : أنا موحد مائة في المائة . نقول : ما هو التوحيد ؟ حينئذٍ إما أن يعلم وإما أن لا يعلم ، وإن علم إما أن يعلم المعنى الصحيح وإما أن لا يصيب المعنى الصحيح ، وهذا هو الثاني ، إما أن لا يدري وهذا جاهل ، وإما أن يدري ولكنه عنده بعض الحق فحسب ، وهذا جاهل جهل مركب أن يحصر الشرك مثلاً في عبادة الأصنام .

إذًا (**إذا قال : أنا لا أشرك بالله ، فقل له : وما الشرك بالله ؛ فسره لي ؟ فإن قال : هو عبادة الأصنام . فقل له : وما عبادة الأصنام فسرها لي ؟**) كأنه يتدرج معه في المعاني ، لأن العبرة هنا بالمعنى يعني : المراد الوصول إلى حقيقة الشيء فإذا أطلق لفظًا نفيًا أو إثباتًا حينئذٍ نستفصل ما مرادك بكذا ؟ ما مرادك بكذا ؟ ... إلى آخره (**فإن قال أنا لا أعبد إلا الله فقل : ما معنى عبادة الله فسرها لي ؟ فإن فسرها بما بينته فهو المطلوب**) يعني : إن وافق الحق . وهيهات هيهات أن يأتي مشرك ويفسر العبادة بالوجه الصحيح ، لا ، هذا خطأ ما يأتي به ، لكن لو أصاب حينئذٍ قيل : هذا المطلوب ، وإن لم يعرفه فكيف يَدَّعِي شيئًا وهو لا يعرفه (**وإن فسر ذلك بغير معناه**) هذا الثالث (**بغير معناه**) هذا جاهل جهل مركب (**بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله**) أو بَيَّنْتَ أنت (**له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله**) يعني : إذا جهل معنى العبادة أو التوحيد أو الشرك ترجع إلى نصوص الوحيين فتأتي بالمعنى الصحيح فتظهره له في قالب الصحة (**بَيَّنْتَ له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان ، أنه الذي يفعلون في هذا الزمان بعينه ، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا : (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) [ص : 5]**) .

إذًا اختلاف الزمن لا يدل على اختلاف الأوصاف والأحكام ، فما فعله الأوائل ووُجِدَ عند المتأخرين فهو عينه بحذافيره سواء سُمِّيَ بالأسماء السابقة أم لا ؟

والله أعلم .

وصل الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

الدرس 15

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .
أما بعد :
وقفنا عند : الشبهة الثامنة ، وهي قول المصنف رحمه الله تعالى :
(**فإن قال**) . يعني : ذلك المجادل ، ذلك المشرك (**فإن قال : إنهم لم يكفروا بدعاء الملائكة والأنبياء ، وإنما كفروا لما قالوا : الملائكة بنات الله**) ، (**لم يكفروا بدعاء الملائكة والأنبياء**) ، لما أُورِدَ على المشرك المتأخر أنه قد توجه بالعبادة بالاستغاثة من الذبح والنذر وإراقة الدماء عند القبور والتوسل بها واللجأ إليها حينئذٍ كما فعل أولئك المتقدمين فحينئذٍ لا بد من التشكيك في سبب كفر المتقدمين ، قالوا : إن أولئك الذين نزل فيهم القرآن لم يكفروا من أجل أنهم استغاثوا بغير الله تعالى أو أنهم التجئوا لغير الله تعالى ، وإنما السبب في كفرهم وهو سببٌ حقيقي إنهم ادعوا البنوة لله تعالى ، فما من معبودٍ اتخذوه حينئذٍ صرفوا له نوعًا من العبادات ، طيب . هذا الصرف وهذا اللجأ هل هو السبب في كفرهم والحكم عليهم بالشرك ؟ قالوا : لا ، كل من اتخذ معبودًا من دون الله صنمًا أو ملكًا أو نبيًّا أو نحو ذلك فإنما كفر لا لكونه دعاه من دون الله واستغاث به ، وإنما لكونه اعتقد أنه ابنٌ لله أو بنتٌ لله ، وهذا هو سبب الكفر . وهذه شبهةٌ أشبه ما يكون بالافتراء والكذب لأنه ليس لها نص وليس فيها ما يمكن أن يتعلق به من تعلق ، فإن قال : إنهم لم يكفروا بدعاء الملائكة . إنهم يعني المتقدمين الذين نزل فيهم القرآن لم يكفروا ولم يحكم الرب جل وعلا [لكونهم خرجوا] [39] بكونهم ليسوا بمسلمين وأنهم مشركون بدعاء الملائكة . - يعني : بسبب دعاء الملائكة أو الأنبياء - ولا بالتوجه والالتجاء إليهم وهذه الأمور جائزة ، هذه الأمور جائزة لأنهما ليست بشرك كما سبق أنه قال : أنا لا أشرك بالله شيئًا ولكن الالتجاء إلى الأموات ليس بشركٍ . إذًا هذه الأمور دعاء الملائكة والأنبياء والتوجه إليهم واللجأ إليهم هذه الأمور جائزة ليست بشركٍ ، وإنما كفروا . هذا حصر . يعني : سبب التكفير لهم إنما كفروا بسببٍ واحدٍ وهو لِما قالوا أو (**لما قالوا : الملائكة**) وهي معبودة من دون الله تعالى توجهوا إليها بنوع من العبادات . هل كفروا لهذا التوجه ؟ عندهم : لا ، لم يكفروا بهذا ، وإنما لكونهم اعتقدوا أن الملائكة بنات الله ، والصالحون أبناء الله ، والأولياء هم أبناء الله . إذًا الكفر إنما كان هنا لاعتقاد البنوة ، فكل من كفر في زمن النبي ﷺ ونزل فيه القرآن لا لكونه أشرك بالله تعالى شيئًا البتة ، وإنما لكونه اعتقد في ذلك المعبود إما أنه ولدٌ أو ابنٌ لله تعالي ، وإما أنه بنتٌ لله تعالى ، وهذا ليس عندهم رائحة دليل على ذلك .
إذًا مضمون هذه الشبهة وهي الشبهة الثامنة أن شرك المشركين المتقدمين لم يكن للفعل الذي وقع من المتأخرين وهو التوسل إلى الصالحين والالتجاء إليهم ونحو ذلك ، وإنما شركهم وقع لأنهم نسبوا أُناسًا إلى الله تعالى بأنهم أبناء الله وبنات لله ، كتسمية الملائكة بنات الله ، وتسمية عيسى ابن الله ، ونحو ذلك . والمتأخرون المشركون المتأخرون لا يسمون الصالحين والأولياء بتلك الأسماء فلا يقولون : عبد القادر بنٌ لله ، إذًا مع كونهم قد التجئوا لغير الله تعالى لم يكفروا لأنهم لم يعتقدوا ذلك المعبود أنه ابنٌ لله تعالى . إذًا هذه التسمية لم تكن عند المتأخرين ، فالكفار إنما كفروا لأنهم قالوا : الملائكة بنات الله ، لا لأنهم يستغيثون بهم ويعبدونهم من دون الله . نقول : هذه الشبهة عليلة ، الأمر عقلي بحت افتراء وكذب لأن أولئك إنما كفروا لأجل اعتقاد البنوة فحسب ، فكل أولئك الذين حاربهم النبي ﷺ ما كفرهم إلا لأجل هذه العلة . كما ذكرنا علةٌ عليلة ، ونحن لم نَقُلْ : إن عبد القادر الجِيلاني ولا غيره ابن الله ، فإذا لم يكن حينئذٍ انتفى في حقنا السبب الذي رُتِّبَ عليه الكفر والشرك في الزمن الأول . إذًا : أولئك الذين كفرهم النبي ﷺ إنما كان لأجل اعتقاد البنوة في كل المعبودات ، وهؤلاء المتأخرين مع كونهم صرفوا العبادات كلها أو أكثرها لغير الله تعالى لم يكفروا لأنهم لم يفعلوا كما فعل الأولون باعتقاد البنوة ، وهذا أمرٌ فاسد .
فالجواب عن هذه الشبهة العليلة ، فالجواب : أن نسبة الولدِ إلى الله تعالى كفرٌ مستقل ، لأن الكفر جنس : تحته أفراد أنواع ، فتسمية أحدٍ من البشر لأنه ابن الله أو بنتٌ لله كفرٌ مستقل دعوى أن الملائكة بنات الله هذا كفر مستقل منفكٌ عن صرف العبادة لغير الله تعالى ، حينئذٍ من اعتقد البنوة في الملائكة أو في عيسى مع الاستغاثة قد وقع عنده نوعان من الكفر .

---

(39) سبق .

كفرٌ هو : اعتقاد البنوة .
وكفرٌ هو : استغاثة بغير الله تعالى .
والبحث من أولِ الكتاب إلى هنا بل في كتب التوحيد كلها في إثبات أن صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله فهو شرك أكبر . إذًا ثبت أنه شرك ، وهذا أظهر من أن يثبت لأن يقال بأنه دلَّ عليه كذا وكذا . إذًا الكفر جنس تحته أفراد فتسمية أحد من البشر بأنه ابن الله أو بنت لله كفر مستقل ، ودعاء غير الله بالتوسل إليه وسؤاله الشفاعة ونحو ذلك كفر آخر مستقل ، فلماذا ينفى هذا مع وجود سببه ؟
نقول : هذا من باب التحكم .
إذًا الجواب (**أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل**) وليست كل الكفر ، يعني : لا كفر في الوجود إلا نسبة أو اعتقاد البنوة لله تعالى ؟ لا يوجد كفر إلا هذا ؟
نقول : لا ، وعلى طريقتهم أنه لا كفر إلا مع اعتقاد البنوة ، وهذا باطل . إذًا (**أن نسبة الولد إلى الله**) تعالى (**كفر مستقل**) نكر كفر ولم يقل : الكفر . لماذا ؟ لأنه نوع منه وليس كل الكفر ، فليس الكفر محصورًا في ادعاء البنوة لله تعالى ، بل هو نوع من أنواع الكفر .
واستدل المصنف على هذا بثلاثة أدلة :
الأول : سورة الإخلاص (**قال الله تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * [لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ]**)) . المصنف قسمها قسمين : أولاً : جعله قسمًا وهو ما تضمن اسمي الأحد والصمد (**(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)**) الأحد هذا اسم (**(اللَّهُ الصَّمَدُ)**) ما معنى الأحد ؟ وما معنى الصمد ؟ هذا يتضمن أن الله تعالى لا يمكن أن يكون له ولد البتة ، معنى الأحد ومعنى الصمد يَرُدُّ ادِّعَاء أن لله تعالى بنات أو أبناء ، والأحد معناه الذي لا نظير له ، الأحد هذا اسم لله تعالى حينئذٍ نقول ما معناه ؟ الذي لا نظيره له ، لا في ذاته ، ولا في أسمائه ، ولا في صفاته ، ولا في ربوبيته ، ولا في ألوهيته ، فهو أحد أَحد .
قال ابن كثير رحمه الله تعالى في قوله : (**اللَّهُ أَحَدٌ**) [الإخلاص : 1] . يعني : الله أحد يعني : " هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل " . يعني : ينفى عنه النظير من كل وجهٍ لا في الذات ولا في صفات الألوهية ولا في صفات الربوبية ولا في الأسماء ولا في الصفات ، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات يعني : (**أَحَدٌ**) لا يطلق على أي مخلوق لماذا ؟ لأنه مختص بالرب جل وعلا هذا في الإثبات ، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله ، ومن صفاته كونه مألوهًا مربوبًا ، هو داخل في الصفات ، إذا قيل بأن الله إله قلنا هذا إله فِعَال بمعنى مفعول مشتق من أَلِهَ ، إذًا هو متصف بالألوهية أليس كذلك ؟ وكما قلنا : الأصح في لفظ الجلالة الله أنه مشتق . ما معنى مشتق ؟ يعني : متضمن لصفة . ما هي هذه الصفة ؟ الألوهية كونه مألوهًا كونه معبودًا ، كما تقول : العليم . تضمن صفة وهي : العلم ، إثبات العلم ، والسميع تضمن صفةً وهي : السمع ، والبصير تضمن صفةً وهي : البصر . إذًا الله هذا عَلَم مثل : العليم ، السميع ، البصير . دلّ على أي شيء ؟ على الألوهية إذًا من صفاته الألوهية ، إذًا لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله ، وإذا قيل بأن له ولدًا أو ادُّعِيَ له البنوة حينئذٍ هل صار له نظير أو لا ؟
له نظير .
ومن يشابه أباه فما ظلم
نعم ، إذا تنزلنا إلى هذا حينئذٍ نقول : إذا دُعِيَ له ولد حينئذٍ لم يكن الله أحد ، لأن نظيرًا صار له ، حينئذٍ قوله : (**اللَّهُ أَحَدٌ**) . يَرُدُّ ادعاء البنوة البتة من أصلها يقلعها من جذورها لماذا ؟ لأن معنى الأحد لا نظير له ، لا مثيل له ، لا عديل له . وإذا كان كذلك حينئذٍ الابن ابن الإله مثله بعضه جزء منه ، حينئذٍ إذا أثبتنا الولد والابن حينئذٍ صار له نظير فانتفى المعنى ، هذا باطل . إذًا قوله : (**اللَّهُ أَحَدٌ**) . يرد ادِّعاء البنوة البتة ويقلعها من جذورها ، (**والصمد**) هذا اسم آخر دلت عليه هذه السورة وفسرها هو الشيخ هنا بمعنى من المعاني ، ووردت فيه معانٍ عديدة سيأتي ذكرها فسره بـ (**المقصود في الحوائج**) يعني : الذي يُقْصَدُ في حوائج الخلق . يعني : الذي يقضي حوائج الخلق من هو ؟
الله ، الذي يقضي حوائج الخلق هو الله عز وجل ، أي : الذي يُقصد في حوائج الخلق فلو كان له ابن لقُصِدَ الابن ببعض الحوائج لمكانته عند أبيه قطعًا هذا ، لأنه إذا سُلِّمَ وتنزلنا وقلنا : الإله له ابن . حينئذٍ له جزء من الإلوهية لا شك في هذا ، حينئذٍ إذا قُصِدَ الأصل وهو : الأب . وكان له ابن صار الابن منازعًا لأبيه في كونه مقصودًا في

قضاء الحوائج حينئذٍ كونه جل وعلا هو الصمد الذي يُقصد في الحوائج دون من سواه علمنا أن هذا دالٌّ على قطع ادِّعَاء البنوة ، إذ لو كان له ابن لقُصد مثل أبيه ، حينئذٍ لما لم يكن وكان هو جل وعلا المتصف بهذا الوصف على جهة الاستقلال علمنا أن الآية دلَّتْ على قطع دعوى البنوة من أصلها ، بالاسم الأول وهو : الأحد . وبالاسم الثاني وهو : الصمد .

(**والصمد المقصود في الحوائج**) ولهذا المصنف هنا اختار هذا المعنى دون ما سواه ، وإلا قيل : هو المقصود في الحوائج . وهذا مروي عن ابن عباس والنخعي .

وقيل : هو السيد الذي كمل في سُؤْدَدِهِ . وهذا مروي كذلك عن ابن عباس وابن مسعود وعلي بن أبي طالب [وشقيق أبي وائل] [40] .

وقيل : هو الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب . كذلك مروي عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما .

وقيل : هو الذي لا يخرج منه شيء . وهو قول عكرمة .

وقيل : هو الذي لم يلد ولم يولد . يعني : يفسره ما بعده (**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**) إذًا مفسرٌ بما بعده ، وهذا مروي عن أُبَيّ بن كعب وغيره .

وقيل : هو الباقي الذي لا يفنى . وهو قول الحسن وقتادة .

وقيل : هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وقيل : المستغني عن كل أحد المحتاج إليه كل أحد . هذا مروي عن أبي هريرة .

وقيل : هو الكامل الذي لا عيب فيه . وهو قول مقاتل .

هذه الأقوال كلها الخلاف فيها خلاف تنوع لا خلاف تضاد ، لأنها كلها داخلة في المعنى الذي ذُكِرَ سابقًا (**اللَّهُ الصَّمَدُ**) . ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : والاسم الصمد فيه للسلف أقوال متعددة قد يَظُنُّ أو يُظَنُّ أنها مختلفة وليست كذلك بل كلها صواب لأنها من باب اختلاف التنوع لا تضاد . وقال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب ((**السنة**)) له بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير الصمد : وكل هذه صحيحة للقاعدة العامة المطردة في باب التفسير ، وحتى في شرح السنة ، كل لفظ احتمل كل لفظ ينظر فيه هل هو حقيقة شرعية أو لا ؟ إن كان له حقيقة شرعية فهو المعتمد ، وإن لم يكن حينئذٍ كل معنى لغوي لا ينفيه شيء من كتاب أو سنة ، وحينئذٍ يحمل اللفظ عليه ، فإذا قيل معنى الصمد كذا وكذا في لسان العرب واستعملوا الصمد بمعنى كذا وكذا حينئذٍ إذا تعددت المعاني إلى عشرة مثلاً حينئذٍ ننظر فيها معنًى مَعنًى هل هذا ينافي نسبته للرب جل وعلا لأن عندنا قاعدة عامة أنه لا ينسب إليه إلا الكمال وينزه عن كل نقص ، هل هذا المعنى إذا نسب إليه يكون فيه نقص أو لا ؟ إن لم يكن حمل اللفظ عليه ، لأنه صار من قبيل المشترك ، وإذا كان كذلك حينئذٍ الصواب عند الأصوليون في حمل المشترك على معنييه أو معانيه المتعددة إن لم يكن بينها تضاد على جميع المعاني ، وهذا تستفيد منه في تعليق الحكم الشرعي عليه ، إذا عُلِّقَ الحكم الشرعي على لفظ مشترك حمل على جميع المعاني ، ومثلنا له بلفظ المسجد الحرام ، هل يطلق على مسجد الكعبة وعلى الحرم كله ؟ فلما عُلِّقَ بتوفير الصلاة في المسجد الحرام ولم يرد دليل على تخصيص المسجد مسجد الكعبة حينئذٍ حُمِلَ على الكل . نقول : الصواب أنه ماذا ؟ أنه عام في جميع مساجد الحرم ، ولا يختص بمسجد الكعبة . أما حديث جابر « **إلا المسجد الكعبة** » . نقول : الكعبة هذا اسم من أسماء مكة كأنه قال إلا مسجد مكة (**جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ**) [المائدة : 97] ، (**هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ**) [المائدة : 95] وعدّه غير واحد من المؤرخين أن مكة تسمى الكعبة بل دلّ عليه الدليل الشرعي حينئذٍ (**هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ**) يعني : بالغ الحرم مكة ، هذا المقصود وليس المراد الكعبة نفسها عينها البناء ، لا ، وإنما أطلق اللفظ وإن كان جزءًا على الكل يكون من باب الاسم ، وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل هو الذي يصمد إليه في الحوائج ، وهو الذي قد انتهى سؤدده ، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقي بعد خلقه . وقال البيهقي نحو ذلك . إذًا (**والصمد المقصود في الحوائج**) ذكر نوعًا واحدًا المصنف رحمه الله تعالى لأنه هو الذي يستقيم معه تقرير ردّ الشبهة ، وهو أنه إذا كان الرب جل وعلا هو الصمد وهو الذي يُقصد في الحوائج يعني : في قضاء حوائج الخلق . حينئذٍ لو كان له ولد لقُصد مثل أبيه ، لقُصد هو مثل أبيه حينئذٍ نقول : بطل ادعاء البنوة لله تعالى بالتسليم لهذا الاسم وهو الصمد ، (**فمن جحد هذا فقد كفر ، ولو لم يجحد آخر السورة**) ، (

---

(40) هو أبو وائل شقيق بن سلمة .

فمن جحد هذا فقد كفر) ما هو هذا المشار إليه ؟ المعاني السابقة ، الأحد (الذي لا نظير له) ، الصمد (المقصود في الحوائج) من أنكر هذا معنًى ، أو لفظًا ومعنًى ، قد كفر (ولو لم يجحد آخر السورة) لأن من أنكر حرفًا واحدًا متفق عليه في الكتاب القرآن فهو كافر بإجماع الأمة ، لو أنكر آية (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : سلمت بست آيات وهذه الآية ننكرها (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) نحذفها ، كفر أو لا ؟

كفر ، وهو قد آمن بست ؟! كفر نعم ، لا شك . فلذلك قال هنا : (فمن جحد هذا) السابق (فقد كفر ، ولو لم يجحد آخر السورة) .

ثم قال تعالى القسم الثاني من السورة (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) ، (لَمْ يَلِدْ) الله جل وعلا هذا نص أليس كذلك ؟ (لَمْ يَلِدْ) أطلق حينئذٍ نفي للولد البتة مطلقًا قبل الخلق وبعد الخلق عموم ، لأن يلد هذا فعل يَلِدُ يَلِدْ فعل مضارع أليس كذلك ؟

.....

نعم .

إذا قلت : نعم . يعني : ليس فعل مضارع إن قلت : بلى . فهو فعل مضارع [ها ها] يلد هذا فعل مضارع وهو منسبك من زمن ومصدر ، والمصدر نكرة وقع في سياق النفي فيعمُّ ، حينئذٍ لم يقع منه ولادة ، هو مصدر لم يحصل منه ولادة البتة مطلقًا العموم في أي وجه ؟ قبل الخلق وبعد الخلق مطلقًا في أي زمن من الأزمان لم يقع منه ولم يحصل منه ولادة البتة ، (وَلَمْ يُولَدْ) لم يكون هو فرعًا جل وعلا ، لأنه [لو ولد لكان] لو وُلِدَ لكان محتاجًا إلى غيره ، لأنه الولد يحتاج إلى أبيه ، أليس كذلك ؟ لأنه سبب في وجوده فهو سابق عليه ، واضح هذا ؟

إذًا (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) (فمن جحد هذا فقد كفر ، ولو لم يجحد [أول] السورة) إذًا قسم لك السورة إلى قسمين دلّ اللفظ الأول وهما الآيتان اللتان تضمنتا اسمي الأحد والصمد دَلّتا بالمنطوق أو بالمفهوم على نفي الولد ؟

منطوق أو المفهوم ؟

أحدٌ صمدٌ ، دلَّ على نفي الولد بالمنطوق أو المفهوم ؟

....

بالمفهوم من جهة .

......

ما أسمعك ، إذا قيل : أحد يعني : لا نظير له . قلنا : لو أثبتنا الولد صار له نظير فحينئذٍ الظاهر أنه من جهة المفهوم لأنه بدلالة الالتزام .

كذلك الصمد المقصود في الحوائج دلّ على أنه يُنْفَى عنه الولد إذ لو كان ثَمَّ ولد لقصد مثل أبيه طيب (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) ، (لَمْ يَلِدْ) هذا منطوق نص من آمن بأول السورة وكفر بآخرها جحد آخرها فهو كافر بالجميع ، من عكس فهو كافر بالجميع .

إذًا دلت الآية على نوعين ، من لم يجعل الله واحدًا أي من لم يجعل الله مختصًا بالأحدية وذلك إذا أثبت له ولد ، من لم يجعل الله مختصًا بالصمدية (اللَّهُ الصَّمَدُ) كلا النوعين كافر . (وقال الله تعالى) إذًا هذا دليل أول على نفي الولد للرب جل وعلا ، وأنه إثبات الولد ، كفر هل الآية دلت على أنه كفر كيف ؟

....

تكذيب ، نعم تكذيب لو قال : الله عز وجل أحد له نظير وهو ولد . كذّب الآية كذّب النص ، (اللَّهُ الصَّمَدُ) المقصود في الحوائج يلزم منه إذا كان له ولد أن يكون مقصودًا معه ، إذًا كذّب النص ، لو ولد قال : له ولد . كذّب النص فهو كافر .

(وقال الله تعالى (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ) [المؤمنون : 91]) ((مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ)) هذا نفي ، ((مَا)) هذه نافية ((اتَّخَذَ)) فعل ماضي ((مَا اتَّخَذَ اللَّهُ)) فاعل ((مِن وَلَدٍ)) .

.....

من زائدة ، القرآن زائد ؟ من زائدة ، أو صلة ، أو قل مؤكدًا وكل قددا ((وَلَدٍ)) هذا مفعول به منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد ، ((مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ)) كأنه قال : ما اتخذ الله ولدًا ، مَا اتخذ الله ولدًا ، ما اتخذ الله ولدًا . حينئذٍ إذا قال : اتخذ الله ولدًا . ما حكمه ؟ كافر كفر مستقل ، ((وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ)) و ، الواو حرف عطف يقتضي المغايرة ، ((وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ

)) وما كان إله معه ((مِنْ إِلَهٍ)) اسم كان ،ومن هذه حرف جر زائدة لأن اسم كان تدخل عليه من ، لأنه في الأصل مبتدأ والمبتدأ تدخل عليه من الزائدة (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ) [فاطر : 3] دخلت عليه من ، كذلك لو دخل عليه فعل ناسخ كذلك تدخل عليه من . إذًا ((وَمَا كَانَ مَعَهُ)) ما نافية ، وكان فعل ماضي ، ومعه خبر ، وإله من حرف جر زائد وإله اسم كان . طيب هذا في قوة قولك : وما كان معه إلهٌ ، ومَا كان معه إلهٌ ، وما كان معه إلهٌ . لو قال : كان معه إله . كفر ، إذًا كفرٌ اتخذ الله ولدًا ، كان معه إله كفر ، المكذب للثاني مكذب للأول ، المكذب للثاني وهو مكذب للأول وعطف بينهما أو ألحق الثاني بالأول بالواو فاقتضى أن كلاً من الكفرين مستقلين ، ليس هو عين الأول . إذًا عندنا كفران في هذه الآية للمكذب إذا قال : اتخذ الله ولدًا فهو كافر . ولو لم يتخذ معه إله ، قد يكون موحد لكنه ادَّعَى البنوة ، يعني : لم يأت بالشرك الأكبر . هذا مراد الموحد ، لم يأت بالشرك أكبر لم يستغيث بغير الله تعالى ولم يتوجه إلى غير الله تعالى ، لكنه ادعى البنوة لله تعالى حينئذٍ الشطر الثاني من الآية ((وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ)) لم يكذب به ، فكذب بالأول وهو ادعاء البنوة لله تعالى . إذًا حصل منه كفر دون آخر ، إذًا استدلال المصنف هنا ليبين أن ثَمَّ فرقًا بين الكفرين كفر من اتخذ مع الله إله ، وكفر من اعتقد بنوة أحد من البشر ، والدليل على ذلك العطف بالواو لأنها تقتضي المغايرة كما تقول : جَاءَ زَيْدٌ وَخَالِدٌ . خالد غير زيد عطفت عليه بالواو ، إذًا الواو تقتضي المغايرة . إذًا الكفر الثاني غير الأول (**وقال الله تعالى (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ) [المؤمنون : 91]**) ((مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ)) يعني : قبل أن يخلق الخلق ولا بعد أن خلق الخلق في العموم الذي ذكرناه فيما سبق أيضًا ، إذ لو اتخذ الله ولدًا لعبدنا ذلك الولد طاعة لله تعالى وامتثالاً لأمره ، كما قال : (**قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**) [الزخرف : 81] لمن ؟ للولد (**فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**) يعني : للولد ، لأنه طاعة لله عز وجل وامتثالاً ، هو ولد الإله معظم كتعظيم الأصل ، أي : أنا أول من يعبد هذا الولد ، لو اتخذه الله طاعة له ، ولكن هذا محال فلم يقع ، هذا محال فلن يقع .

وقوله : ((مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ) . هذا نفي للولد فلو اعتقد ذلك كفر ، وقوله : ((وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ)) . هذا نفي لنوع آخر ، إذ العطف بالواو يقتضي المغايرة .

إذًا فَرَّقَ الرب جل وعلا بين الكفرين ، حينئذٍ إذا وقعت الاستغاثة بغير الله تعالى والتوجه واللجأ إلى غير الله تعالى ، لا نقول : هذا يستلزم أنهم قد اعتقدوا البنوة لأن هذا كفر وهو تكذيب لقوله : ((وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ)) ، واعتقاد البنوة كفر آخر وهو تكذيب لقوله : (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) ، ولقوله : ((مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ)) . ففرَّق بين النوعين وجعل كلاً منهما كفرًا مستقلاً ، فَرَّق بين النوعين بماذا ؟ بالعطف بالواو ، وجعل كلاً منهما كفرًا مستقلاً يعني : لو كَذَّبَ الأول وكذب الثاني . وتكذيب الأول يكون باعتقاد البنوة لله ، وتكذيب الثاني يكون باتخاذ الإله مع الله تعالى .

الدليل الثالث الذي ذكره المصنف (**وقال الله تعالى : (وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ [سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ]) [الأنعام : 100]**) . القول فيه كالقول فيما سبق ((وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ)) مع خلقهم يعني : هم مخلوقون لله تعالى . ((وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ)) كذلك بالواو والعطف بالواو يقتضي المغايرة . إذًا هذا كفر وهذا كفر .

قوله تعالى : ((وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ)) . يعني : الكافرين جعلوا الجن شركاء لله عز وجل ، جعلوهم شركاء لله عز وجل ، فصرفوا لهم نوعًا من أنواع العبادات ((وَخَلَقَهُمْ)) يعني : وهو خلق الجن مع كونهم مخلوقين كيف تجعلون الجن شركاء وهم مخلوقون ، والإله لا يمكن أن يكون إلا خالقًا ، والمخلوق يمتنع أن يكون إلهًا لأنه مفتقر إلى غيره ، إذ كان عدمًا ثم وجد ((وَخَرَقُواْ)) قرأ أهل المدينة (وَخَرَّقُوا) بتشديد الراء على التكثير خرَّقوا ، فيه نوع تكثير ، وقرأ الآخرون بالتخفيف أي : اختلقوا . ((وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ)) اختلقوا افتروا ((لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ)) ، وذلك مثل قول اليهود عزير ابن الله ، وقول النصارى المسيح ابن الله ، وقول كفار العرب الملائكة بنات الله . إذًا هذا كفر وذاك كفر قلنا نزه نفسه فقال : (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) . أي مبدعهما لا على مثال سبق (أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ) استبعاد (أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ) يعني : زوج . (أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ) يعني : كيف يكون له ولد إنكار واستبعاد (وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ) زوجة ، (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) . إذًا عطف قوله : (وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ) . وهذا كفر في حد ذاته كفر مستقل ، عطفه على قوله : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ) . وهذا شرك وهو كفر مستقل عن الآخر .

إذًا بهذه الآيات الثلاث حصل التفريق بين النوعين ، ولذلك قال هنا : ففرق بين الكفرين . الذي هو كفر بادعاء البنوة ، وكفر بعبادة غير الله تعالى ، واضح هذا ؟
الدليل الثاني على هذا : أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلاً صالحًا ، اللات كان يَلُتُّ السويق للحجيج ، لم يجعلوه ابن الله ، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك ، فدل على أن الكفر لا يلزم فيه نسبة الولد إلى الله تعالى كـ : اللات ، والجن . كما سبق أن اللات هذا اسم رجل صالح كان يَلُتُّ السويق فمات فعكفوا على قبره ، طيب هل ادَّعوا البنوة لله عز وجل ؟ من عبد اللات هل ادعوا البنوة لله عز وجل أن اللات ابن لله تعالى ؟ ما ادَّعَوْا هذا ، كفار أو لا ؟
على زعمهم ليسوا بكفار ، لأن الاستغاثة واللجأ والدعاء يستلزم ادعاء البنوة إذا حكمنا بكفرهم ، وإلا إذا لم يدَّعُوا البنوة فليس ذلك بكفر ، لم يجعلوه ابن الله والذين كذلك كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك .
ثالثًا وكذلك العلماء أيضًا وجميع المذاهب الأربعة يذكرون في باب حكم المرتد أن المسلم إذا زعم أن لله ولدًا فهو مرتد ، وإن أشرك بالله فهو مرتد ، إذًا فرقوا بين النوعين ، وقلت لكم في البداية : إن هذه غفلة منهم ، المشرك أنه سَوَّى بين الكفرين ، وإن هذا محل إجماع بين أهل العلم ، يذكرون في باب حكم المرتد في كل مذهب من المذاهب الأربعة يعددون ما يحصل به كفر للمسلم [متى يكون المرتد كافرًا] (41) متى يكون المسلم كافرًا ؟ إذا ادَّعَى لله ولد هذا أولاً ، ولو لم يشرك ؟ نعم ولو لم يشرك ، ويقولون : كذلك يكون المسلم كافرًا إذا أشرك بالله تعالى . إذًا جعلوهما منفصلين فكيف تسوي بينهما ؟ هذا باطل .
إذًا أجمع العلماء في باب حكم المرتد على أن المسلم إذا زعم أن لله ولدًا فهو مرتد وإن لم يستغث بغير الله تعالى ، ولو كان من أعبد الناس ، لو ادَّعَى البنوة لله عز وجل فهو كافر بإجماع المسلمين ، وإن استغاث بغير الله تعالى وتوجه للمعبودات بنوع من أنواع العبادات كفر بإجماع المسلمين ولو لم يدَّعِ بنوة ما جعله معبودًا له ، إذًا فرق بين النوعين . (**أن المسلم إذا زعم أن لله ولدًا فهو مرتد**) وإن أشرك بالله فهو مرتد فيفرقون بين النوعين . يعني كفر من زعم لله ولدًا ، وكفر من جعل لله شريكًا وكل واحد منهما كفر مستقل ، وهذا في غاية الوضوح ، هذا المذكور في غاية الوضوح ،يعني : الجواب عن هذه الشبهة في غاية الوضوح ، وخاصة في الإجماع المتأخر الدليل الثالث .
إذًا هذه الشبه وهي : أن أولئك الذين نزل فيهم القرآن وكفرهم الله عز وجل ونبيه عليه الصلاة والسلام وقاتلهم لم يكونوا مشركين بالتوجه للمعبودات بالدعاء والاستغاثة ونحو ذلك ، إذًا لماذا أشركوا ولماذا كفروا ؟
لأنهم ادَّعَوْا تلك المعبودات إما بنتًا لله أو ولدًا لله ، وهذا باطل بالأدلة الثلاثة التي ذكرناها ، أن الله تعالى فرق بينهما كما في آية (**(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ) [المؤمنون : 91]**) كذلك ما ورد من كونهم كفروا بدعاء اللات مع كونهم لم يدعوا أنه ابن لله تعالى ، وكفرهم الله عز وجل ، وكذلك الذين كفروا بعبادة الجن كما في الآية السابقة ، وإجماع العلماء وهو كافٍ واضح بَيِّن .
شبهة أخرى للمشركين (**وإن قال**) المشرك في إثبات شركه (**(ألا)**) قوله جل وعلا : (**(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) [يونس : 62]**) . مرت معنا هذه أين ؟

....
في المجمل ، مثال للمجمل وهذا تقرير الشبهة هنا كتقرير الشفاعة ، أُعْطِيَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة قالوا : إذًا نسألها من النبي ﷺ لكونه أُعْطِيها ، وإذا أنكرنا سؤالها من النبي ﷺ يستلزم إنكار الشفاعة . قالوا : أولياء الله تعالى أعطاهم الله عز وجل في الدنيا الرفعة بوصفهم وتزكيتهم ، وكذلك بالكرامات الحاصلة على أيديهم ، فحينئذٍ إذا استغيث بهم ودعوا من دون الله تعالى لما في ذلك من شبهة لهم على ما قررناه سابقًا ، حينئذٍ لا إنكار ، فإذا أُنكر عليهم لكون توجه العبادة للأولياء شرك أكبر ، قالوا : هذا يستلزم إنكار الوَلاية وإنكار الكرامات التي جاءت النصوص في إثباتها ، بل هو أمر مجمع عليه . إذًا إذا قال المشرك قوله تعالى : (**(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) [يونس : 62]**) . تقريره أن الوَلاية ثبتت للأولياء ، والتزكية ثبتت للأولياء ، حينئذٍ لهم جاه ولهم مكانة عند الله تعالى ، بل في الدنيا كرامات وخوارق للعادات ، حينئذٍ يُسألُون ويُستغاث بهم بما لهم من

---
(41) سبق .

منزلة عند الله تعالى ، وبينا أن هذا فيه خلط من حيث زيادة ، ماذا زاد ؟ لهم منزلة ولهم جاه ، نعم هذا حق ، لكن هل في الآية ما يدل على أنهم شفعاء ووسطاء بين الخلق وبين الله تعالى ؟

لا ، هذه من كيسه زاد على الآية ، الآية فيها تزكية الأولياء فحسب (**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**) [يونس : 62 ، 63] تزكية هذا من الله عز وجل إذًا لهم جاه ولهم مكانة ولهم منزلة ، أثبت المنزلة لهم ، وقال لك : (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) [الجن : 18] . اعمل بهذا كما تعمل بذاك ، وأما أن تثبت الولاية ثم تتوجه إليهم تعبدهم من دون الله تعالى من أمرك بهذا ؟ أنت خالفت قوله تعالى : (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) . إذًا مضمون هذه الشبهة أن الأولياء لهم منزلة ومكانة ولهم كرامات وخوارق للعادات ، فالذي لا يتقرب إليهم يكون منكرًا لتلك الكرامات ، وهذا باطل كما ذكرناه في باب الشفاعة الذي لا يسأل النبي ﷺ يكون منكرًا للشفاعة ؟ لا ، ولذلك قال : (**لا أنكرها ولا أتبرأ منها**) . هناك ، وقرر الشفاعة على وجه الحق الذي جاء في الكتاب والسنة ، هنا يقرر ما للأولياء من محبة لهم وإكرام لهم وإجلال لهم وترحم عليهم إن كانوا أموات ، وتوقير واحترام لهم في الحياة ، وأما دعاؤهم وعبادتهم من دون الله تعالى فهذا ممنوع البتة سواء كان الولي نبيًّا أو غيره مطلقًا ، حينئذٍ فرق بين أن يقال : الولي له مكانة ويعبد ، وبين أن يقال : الولي هو عابد لا معبود مع الله جل وعلا . فرق بين النوعين .

إذًا مضمون هذه الشبهة إثبات ما للأولياء من المكانة والمنزلة عند الله تعالى ، وما رتب الله على أيديهم من خوارق العادات ، حينئذٍ لا يستلزم ذلك أن يُستغاث بهم وأن يُدْعَوْا من دون الله تعالى .

(**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**) . قال ابن كثير رحمه الله تعالى : يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ، كما فسرهم به يعني : إذا قيل لك : من هم الأولياء ؟ أحسن تفسيرٍ تفسير الله عز وجل ، لأنه قال : (**الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**) . هذا وصف ، فكل من كان تقيًّا كان لله وليًّا ، إذًا كل موحد هو ولي ، صحيح ؟ كل موحد ولو كان متلبسًا بالمعاصي ؟ ولو كان لم ؟ لأن الله عَمَّمَ قال : (**الَّذِينَ آمَنُوا**) هذا يشمل أصل الإيمان وكمال الإيمان ، (**وَكَانُوا يَتَّقُونَ**) يعني : حصلت منهم التقوى ، إما على وجه الكمال وإما على وجه النقص . كما نقول : مطلق الإيمان والإيمان المطلق ، حينئذٍ الولاية لها مرتبتان : كاملة وهي المراده في الإيمان المطلق ، وناقصة وهي مرادفة لمطلق الإيمان ، لأن هذه الألفاظ كلها الإيمان والإسلام والتقوى والولاية هذه كلها إذا أطلقت صارت مترادفة ، حينئذٍ لا بأس أن يقال : الولاية مرادفة للإيمان من حيث المعنى ، فكما نقول : الإيمان نوعان : إما مطلق ، ومطلق إيمان . كذلك الولاية ، إذًا كل من كان تقيًّا كان لله وليًّا ، وكل من كان تقيًّا كان لله وليًّا (**فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**) أي : فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة ، (**وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**) على ما وراءهم في الدنيا (**فقل**) هذه الشبهة ، إثبات الولاية للأولياء ، لهم مكانة ، ولهم جاه ، يسألون من دون الله ، هكذا . قل له الجواب : (**هذا هو الحق**) يعني : في الآية . ما دلت عليه الآية (**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**) هذا حق ثابت ولكن لا يعبدون ، أنت زدت على النص بعد إثبات المكانة والجاه أنهم يعبدون من أين هذا ؟ هذا زيادة على النص من عنده هو ، ولذلك جاء في الحديث « **من عاد لي وليًّا فقد آذنته بالحرب** » . حينئذٍ هذا مكمل لمدلول الآية فهل نقول : يعبدون من دون الله ؟ نقول : لا ، لا يعبد . إذًا إثبات الولاية شيء وكونهم آلهةً مع الله شيء آخر ، أنت مأمور بالإثبات والمعاملة على الوجه الصحيح الشرعي دون غلو ولا جفاء مع الأولياء ، وأنت منهي أن تتخذ مع الله إلهًا آخرًا سواء كان وليًّا أو غيره . إذًا الولاية شيء واتخاذهم معبودات مع الله شيء آخر ، نثبت الأول وهو حق ولكن لا يعبدون فرق بين المسألتين . ولذلك قال بعضهم : والولي يَعْبُد ولا يُعْبَد . صحيح ؟ الولي يَعْبُد ولا يُعْبَد ، والكرامات التي أعطيها له لا لغيره ، يعني : لا يتوصل إلى تزكيته والغلو فيه ثم يجعل ندًّا لله تعالى .

ثم قال الشيخ : (**ونحن لا ننكر إلا عبادتهم مع الله ، وإشراكهم معه**) لقوله تعالى : (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) . هذا عام يشمل الأولياء وغيرهم ، (**وإلا فالواجب عليك**) أيها المشرك (**حبهم**) لأنهم اتصفوا بالإيمان والتقوى هذا الأصل في حبهم ، (**وإتباعهم**) سواء كانوا علماء أو أنبياء أو صالحين إن كانوا أهلاً للإتباع ، (**والإقرار بكرامتهم**) الإقرار بكرامتهم ، كرامة قيل : هي ما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في العلوم والمكاشفات ، وأنواع القدرة والتأثيرات . كرامات الأولياء حق ثابتة بإجماع أهل السنة والجماعة ، ولذلك يذكرون في أواخر الكتب العامة الواسطية والطحاوية ونحوها ، وتأتي هناك معنا إن شاء الله تعالى .

إذًا الواجب مع الأولياء ما هو ؟ (**حبهم وإتباعهم**) ، وماذا ؟ (**والإقرار بكرامتهم**) والكرامة كما ذكرناه فيما سبق . قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يُجْرِي الله على أيديهم من خوارق العادات في العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات ، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها ، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، وسائر فرق الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة - باقية سواء كانت على يد نبي أو صديق أو نحو ذلك - ، وكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة الإسلام والسنة والجماعة ، وقد دل عليها القرآن في غير موضع والأحاديث الصحيح والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين ، وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم . قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : لكنَّ كثيرًا ممن يدعيها أو تُدَّعَى له يكون كذابًا أو ملبوسًا عليه . يعني : إبليس يتلبس به ويظن أنها كرامة وليست بكرامة . على كلٍّ بحث الكرامات هذا يأتي في الكتب المطولة إن شاء الله تعالى ، والمراد هنا أن الكرامة التي أجراها الله تعالى على يد الوليّ له لا لغيره من أجل أن يعبد من دون الله ، فهي رفعة وتثبيت له في الدنيا ، فالفائدة ترجع إليه أولاً وآخرًا ، وأما كونه تتخذ هذه الكرامة فعل وحصل له كذا وكذا بأن يجعل إلهًا مع الله تعالى فهذا باطل ، إذًا إثبات الولاية للأولياء لا يستلزم إشراكهم مع الله تعالى ، وهذا واضح بيّن . (**ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلالات**) ، هذا رد من المصنف لئلا يتهم كما اتهم فيما سبق (**أتنكر شفاعة**) المصطفى ﷺ قال : (**لا أنكرها ولا أتبرأ منها**) . هنا إذا منع الاستغاثة بالأولياء إذًا تنكر كرامات الأولياء فصرت كالخوارج والمعتزلة . قال : لا ، أثبت الولاية لهم ، ونحبهم ونجلهم ونؤمن بكرامتهم ونصدق بها ، ومن أنكرها فهو مبتدع ضال مضل ، ومع ذلك لا نعبدهم مع الله تعالى (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) . (**ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلالات ، ودين الله وسط بين طرفين**) غالٍ وجافٍ مطلقًا غلو وجفاء ، لأنه ممكن أن يُتعامل مع الأولياء بثلاثة طرق :

غلو فيعبدون مع الله تعالى .

جفاء لا حب ولا اعتراف ولا .. إلى آخره .

وسط (**ودين الله وسط بين طرفين**) .

إذًا يمكن أن يقال : بأن التعامل مع الأولياء على ثلاثة طرق : إما غلو ، وهذا أوصلهم إلى درجة الألوهية ، عبدوهم مع الله تعالى ، وإما جفاء بأن لا يؤمن بالكرامات كالجهمية والمعتزلة الذين أنكروا كرامات الأولياء ، وأما وسط وهو الحق . ولذلك قال هنا شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : (**ودين الله وسط بين طرفين**) غالٍ وجافٍ ، فالأمة وسط بين أهل الملل ، والوسط يأتي بمعنى التوسط بين الشيئين والمراد هنا العدل الخيار ، فأهل السنة والجماعة وسط أي : عدل خيار معتدلين بين طرفين منحرفين في جميع أمورهم . (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**) [البقرة : 143] (**بين طرفين ، وهدى بين ضلالتين**) يعني : ضلالة الغلو ، وضلالة الجفاء . (**وحق بين باطلين**) باطل الغلو ، وباطل الجفاء . إذًا الغلو باطل وضلال وطرف ، وكذلك الجفاء طرف وضلال وباطل ، والوسط هو الحق .

إذًا حاصل هذه الشبهة أن يرد ببيان ما يستحقه الأولياء من محبةٍ واعترافٍ بكراماتهم ، ونقول الكرامات شيء وجعلهم آلهةً شيءٌ آخر ، ولا غرو في ذلك ، كما يثبت الشفاعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ونطلبها من الله تعالى ، كذلك نثبت الولاية ولا نشرك بهم مع الله أحدًا البتة .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى : (**فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا " الاعتقاد " ، هو الشرك الذي أُنزل الله في القرآن وقاتل رسول الله الناس عليه ، فاعلم**) . هذا استطراد من المصنف رحمه الله تعالى أراد أن يقدم لشبهة كبيرة وتنضم إلى الشبه الثلاث السابقة ، فتجعل أربعة وهي الكبار التي يدندن حولها أهل الشرك ، وهي من قال لا إله إلا الله لا يمكن تكفيره بحالٍ البتة ، هذه شبهةٌ كبيرةٌ قديمةٌ جديدة ، حينئذٍ أراد أن يمهد بهذا الاستطراد ، فقال : (**فإذا عرفت**) علمت (**أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا " الاعتقاد "**) يعني : الاعتقاد في الأولياء كما سبق في أول الكتاب أنهم يسمون الشرك بغير اسمه ، يكون يعتقد بالسيد ، يعتقد بعبد القادر يعتقد ماذا ؟ يعتقد أنه ندٌّ لله تعالى ، وأنه يتصرف في الكون أو يتصرف في الملكوت ونحو ذلك ، (**هذا هو الشرك الذي أُنزل الله في القرآن**) وهو جعل هذه المعبودات أندادًا مع الله تعالى ، وأن تصرف لها سائر أنواع العبادات من دون الله من ذبحٍ واستغاثةٍ واستعانةٍ ولجئٍ واستسقاء ونحو ذلك ، وهذه كلها تسمى ماذا في الشرع ؟ تسمى الشرك ، ولذلك لا يجوز العدول عن هذا اللفظ دون غيره البتة ، لأن فيه لبسًا وتلبيسًا (**في زماننا " الاعتقاد " ، هو الشرك الذي أُنزل الله في القرآن ، وقاتل رسول الله الناس عليه ، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل وقتنا**

بأمرين :) وهذه هي القاعدة الرابعة التي مرت معنا في ((**القواعد الأربع**)) وهي المفاضلة بين المتقدمين والمتأخرين أيهما أعظم شركًا ؟ وذكرنا أن المسألة مسألة اجتهادية ، والمصنف رحمه الله تعالى دائمًا يرى أن المتقدمين أخف شركًا من المتأخرين ، (**فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل وقتنا بأمرين :**

أحدهما : أن الأولين لا يُشركون ولا يدعون الملائكة أو الأولياء أو الأوثان مع الله إلا في الرخاء) يعني : هذا يتعلق بوقت الإشراك ، متى يشركون مطلقًا صباح مساء ؟ في البر والبحر # 53.07 ويمكن أن نقول الجو الآن ، أم في وقتٍ دون وقت ؟

دلت النصوص على أنهم إذا وقعت بهم الشدة وخوف الغرق في البحر ونحو ذلك لجئوا إلى الله تعالى ، وإذا بلغوا ووصلوا إلى البر حينئذٍ يرجعون إلى شركهم ، إذًا يوحدون ويشركون تقع عندهم حالان : وقت شرك ، ووقت إخلاصٍ لله تعالى بنص القرآن (**أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة أو الأولياء أو الأوثان مع الله إلا في الرخاء**) يعني : في حال الرخاء . إذًا يتعلق بوقت الإشراك هل هو مطلقٌ أو في حالٍ دون حال ؟ قال المصنف : لا يُشركون إلا في الرخاء ، أما في الشدة فيخلصون الدين لله وحده دون ما سواه ، وهذا القرآن تواترت فيه نصوص ببيان أن المشركين إذا ركبوا في الفلك وجاءتهم الريح ونحو ذلك توجهوا إلى الله تعالى بخالص الدعاء ، ثم إذا رجعوا إلى ديارهم وأمنوا حينئذٍ يقعون في الشرك ، وأما في الشدة والخوف فيخلصون الدين لله كما قال تعالى : (**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ** - السفن - **دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**) [العنكبوت : 65] ، (**إِذَا**) ما نوعها ؟

...

فجائية لأنه دعوتم الله عز وجل فالأصل أن تستمروا ، عرفتم ربكم الحقيقي حينئذٍ كيف تشركون ؟ قال البغوي في تفسير الآية : قوله تعالى : (**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ**) وخافوا الغرق تلك السفن وخافوا الغرق (**دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**) ، (**دَعَوُا**) هم المشركون يعني : سألوا الله تعالى حال كونهم (**مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**) العمل الاعتقاد والقول باللسان فهو عام ، وتركوا الأصنام (**فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**) ، (**فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ**) كان الأصل المتوقع ما هو ؟ أن يستمروا على الإخلاص لكن ، فوجئنا بأنهم قد رجعوا إلى شركهم وهذا تذبذب لأنهم إذا عرفوا ربهم في الشدة والخوف والغرق وتركوا الأصنام المعبودات التي يتعلقون بها كان العقل يقتضي ماذا ؟ أن يستمروا على ما هم عليه ، لأن الذي أنقذك في الشدة هو الذي يكون ملجأك في الرخاء ، حينئذٍ كيف تُسَلِّم وجهك لله عز وجل في الشدة وتنتكس في الرخاء ؟!! (**دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**) وتركوا الأصنام (**فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**) هذا إخبارٌ عن عنادهم ، وأنهم عند الشدائد يقرون أن القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده ، يعلمون هذا ، فإذا زالت عادوا إلى كفرهم ، يعني : زالت الشدة والخوف من الغرق عادوا إلى كفرهم وشركهم . قال عكرمة : " كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام ، فإذا اشتدت بهم الريح ألقوها في البحر وقالوا : يا رب يا رب " . سبحانك ربي أصنامهم يرمونها في البحر إذا جاءت الريح يقولون يا رب يا رب ، هذا عناد . وقال تعالى أوردها المصنف : ((**وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً**) **[الإسراء : 67]**) قال البغوي رحمه الله : ((**وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ**) يعني الشدة وخوف الغرق لأنهم ليس عندهم إلا بر وبحر فقط ، في البر آمنون ، فإذا ركبوا البحر مطلقًا فهم في خوفٍ من الغرق ،ولذلك دائمًا يأتي إذا ركبوا الفلك ((**وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ**)) الخوف والغرق ((**فِي الْبَحْرِ ضَلَّ**)) أي : بطل وسقط ((**مَن تَدْعُونَ**)) من الآلهة ((**إِلاَّ إِيَّاهُ**)) يعني : إلا الله عز وجل ، فلم تجدوا مغيثًا غيره وسواه ((**فَلَمَّا نَجَّاكُمْ**)) يعني : أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وأخركم ((**إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ**)) عن الإيمان والإخلاص ، وإخلاص الطاعة لله عز وجل كفرًا منكم لنعمه ، ((**وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً**) **[الإسراء : 67]**

وقال تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ)) أتدعون غير الله ((**أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ**)) ((**أَغَيْرَ**)) هذا ؟

....

مفعول مقدم ، أتدعون غير الله ((**أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ**)) يعني : أفاد الحصر ، لأنه قدَّم أزيدًا ضربت يعني ضربت زيدًا لا غيره ((**أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ**)) لا غيره ، إلى قوله : ((**مَا تُشْرِكُونَ**) **[الأنعام : 41]**)

((أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ) [الأنعام : 40 ، 41]) يعني تتركون . قال البغوي : قوله تعالى : ((قُلْ أَرَأَيْتُكُم)) . يعني : هل رأيتم ، والكاف فيه للتأكيد . وقال الفراء : العرب تقول : أَرَأَيْتَكَ وهم يريد أخبرنا ، أَرَأَيْتَكَ هم يريدون ماذا ؟ أخبرنا كما تقول أرأيتك إن فعلت كذا ماذا تفعل ؟ يعني : أخبرني أنت . قال ابن عباس في تفسير الآية : قل يا محمد لهؤلاء المشركين ((أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ)) متى ؟

...

قبل الموت أو بعده ؟

...

قبل الموت ، لأنه قال : ((أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ)) . ((إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ)) قبل الموت ((أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ)) يعني القيام ((أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ)) في صرف العذاب عنكم ((إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)) وأراد أن الكفار يدعون الله في أحوال الاضطرار كما أخبر الله عنهم ((وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [لقمان : 32]) ثم قال : ((بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ)) . بل تدعون إياه يعني : لا غيره ، هذا فيه معنى لا إله إلا الله ، أي : تدعون الله ولا تدون غيره ، فيه حصر لتقديم المفعول به على الفعل ((فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء)) فيكشف إن شاء ، فيكشف ما تدعون إن شاء) يعني : قد يكشف وقد لا يكشف ، قيد الإجابة بماذا ؟ قيد الإجابة بالمشيئة ((وَتَنسَوْنَ) [الأنعام : 41]) أي : تتركون ما تشركون ((وَتَنسَوْنَ)) قلنا النسيان يأتي بمعنى الترك وهذا يفيدك كثيرًا ، وهذا مثله يعني : النص هنا ((وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ)) يعني : تتركون ما تشركون ، تتركون قد نسيت ، أين أنت أمس ؟ نسيتك يعني : تركتك ، وفيه تورية وليس النسيان الذي هو رد العلم . (وقال تعالى : (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ)) راجعًا إليه مستغيثًا به ((وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ)) أي ضر ؟ ((دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ)) ولهذا تحقيقٌ للإخلاص راجعًا إليه مستغيثًا به ((ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً)) يعني : أعطاه ((نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ)) ، ((نَسِيَ)) يعني : ترك النسيان هنا بمعنى الترك ، ((نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ)) أي : نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه ، ((وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً)) يعني : الأوثان ((لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ)) ليضل عن دين الله تعالى ، (وقال تعالى : (وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [لقمان : 32])

((وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ)) قال مقاتل : كالجبال . وقال الكلبيُّ : كالسحاب . وظلل جمع ظلة شَبَّهَ بها الموج في كثرتها وارتفاعها ، وجعل الموج وهو واحدٌ كالظلل وهي جمع لأن الموج يأتي منه شيءٌ بعد شيء ، ((دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ [فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ])) أي : عدلٌ موفٍ في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له ، يعني : ثبت على إيمانه . هذه آيات وغيرها كثير أوردها المصنف لبيان أن الله عز وجل حكى في كتابه عن المشركين الذين نزل فيهم القرآن أنهم لم يكونوا مشركين مطلقًا ، وإنما كانوا في حال الرخاء يُشركون ، وفي حال الشدة يُخلصون له الدين .

قال معلقًا الشيخ رحمه الله : (فمن فهم هذه المسألة التي وَضَّحَهَا الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء) . (يدعون الله ويدعون غيره) يعني شَرَّكُوا في العبادة كما سبق معنا في أول الكتاب ، (وأما في الشدة والخوف فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له ، وينسون ساداتهم) يعني : معبوداتهم يتركونها ، (تبين له) يعني : من فهم هذه المسألة (تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين) ، لأن المتأخرين لا فرق بينهم بين الرخاء والشدة في كل وقتٍ سواء كان في اضطرار أو في غيره لا يدعو إلا ذلك المعبود ، ولا يحلف إلا به ، ولا يذبح إلا له ، ولا يستغيث إلا به ، (ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً ؟) ، (من يفهم) الفهم إدراك معنى الكلام ، (قلبه) هنا أسند الفهم إلي القلب لأنه هو الأصل في العلم ، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) [ق : 37] إذًا : أسند الفهم هنا إلى القلب ، (ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة) السابقة وهي التفريق بين المشركين المتقدمين والمتأخرين (فهماً راسخاً) ثابتًا (والله المستعان .) كأنه يرى أن كثير لا يسلم له بهذا التفريق .

والأمر الثاني ، إذًا : شرك المتقدمين أخف لماذا ؟

لأنهم يفرقون بين الحالين ، وأما المتأخرون فلا .

(**الثاني : أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله : إما نبيًّا ، وإما وليًّا ، وإما ملائكة ، أو يدعون أحجارًا وأشجارًا مطيعة لله ليست بعاصية**) ، بل هي من جنس المخلوقات المطيعة لله سبحانه وتعالى ، لكن الطاعة هنا قدرية كونية ، كما قال تعالى : (**وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً**) [الرعد : 15] . فنقول : السموات تطيع ربها ، والأرض تطيع ربها ، وكذلك الأحجار ، والأشجار تطيع ربها ، كما أنها تسبح ربها . إذًا هي ليست من العقلاء ، ولكنها من الجمادات المطيعة طاعةٌ قدرية كونية . إذًا ليست فيهم من هو كافر أو من أهل الفسق والفجور ، الأولون كانوا يعبدون ماذا ؟ يعبدون إما نبيًّا ، وإما وليًّا ، أو ملكًا ، أو أحجارًا وأشجارًا ، والكل منهم ليس فيهم من هو فاسق أو فاجر ، (**وأهل زماننا يدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس**) كيف (**من أفسق الناس**) ؟ يعني فجرة (**والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا ، والسرقة ، وترك الصلاة وغير ذلك**) يعني : من الأمور المحرمة والفواحش والكبائر (**وأهل زماننا**) يعني : زمان المصنف رحمه الله تعالى ، (**يدعون مع الله**) يعني : يقع الشرك في المعبودات ليسوا كالسابقين ، إمَّا برجلٍ صالح كنبيٍ ، أو ملكٍ ، ونحو ذلك ، أو بمن لا يعرف عنه فسقٌ أو فجور ، (**بل يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم**) يعني إما بالنقل المباشر ، وإما بما سَطَّرَهُ العلماء بما سبق (**عنهم الفجور من الزنا ، والسرقة ، وترك الصلاة وغير ذلك**) ولذلك ابن عربي مثلاً مِمَّنْ لهم قبة تذار وتعبد من دون الله تعالى ، وهو في الشام ، قال أبو محمدٌ بن عبد السلام : هو شيخ سوء . المعبود هذا ربهم ، هو شيخ سوءٍ مقبوح يقول بقدم العالم . كفر هذا ، ولا يحرم فرجًا . هذا كفر ، هذا إلههم الذي ينذر له ويستغاث به . وقال إبراهيم الجعبري : رأيت ابن عربي وهو شيخٌ نجس يُكَذِّبُهُ كل كتابٍ أنزله الله ، وبكل نبي أرسله الله . ومثل العفيف التلمساني قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : التلمساني أعظمهم تحقيقًا لهذه الزندقة والإتحاد . التي انفردوا بها ، أكفرهم بالله وكتبه ، ورسله ، وشرائعه ، واليوم الآخر . كذلك البدوي ، وابن سبعين ، وابن الفارض ، وغيرهم كثير . يعني ليسوا من أهل الإسلام فضلاً عن أن يكون مسلمًا فاسقًا (**والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي**) يعني : المشرك الذي يعتقد تأثيرًا في الصالح كالنبي ، والولي ، والملك ، (**والذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به**) . كلٌ منهما كفر وردة عن الإسلام إن وقع من مسلم ، وكلٌ منهما شرك أكبر ولا شك ، وكلٌ منهما من ما لا يغفره الله تعالى . لكن معبودك أيها المشرك إن كان نبيًّا ليس كمن يعبد رجلاً كافرًا ، أليس كذلك ؟ فالمتأخرون عندهم غرامٌ لهؤلاء الفسقة الفجرة ، حينئذٍ أيها أخف شركًا ؟

المصنف يرى أنهم المتقدمون لما ذكرناه .

إذًا (**أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به**) ، (**ويشهد به**) عليه لماذا ؟

لأن أولئك عندهم شبهة كما ذكرناه الذين تعلقوا بالأنبياء ونحوه ، (**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**) [يونس : 65] أُعْطِي النبي ﷺ الشفاعة عنده نوع شبهة عنده مستند من كتابٍ أو سنة ، لكن هذا فاسق ، فاجر ، زانٍ ، إلى آخره ويعبده من دون الله ، أين الشبهة ؟

ليس عنده شبهة ، (**إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً**) يعني : من المتأخرين لأنهم يلجئون إلى الله عز وجل ويوحدونه متى ؟

في الشدة ، وإذا رجعوا رَجعوا ، و (**أخف شركاً من هؤلاء**) للسببين المذكورين (**فاعلم أن لهؤلاء**) يعني : المتأخرين شبهةً ، مع كونهم أشد شركًا من المتقدمين ، وذكرنا هذه المسألة محل اجتهاد يعني : ليست قطعية . (**فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا ، وهي من أعظم شبههم فاصغ سمعك لجوابها**) . وهي شبهةٌ مهمة تلتبس حتى على المعاصرين ، نأتي إليها يوم السبت إن شاء الله تعالى .

وصلَّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

الدرس 16
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .
أما بعد :
قال المصنف رحمه الله تعالى : (**إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً وأخف شركًا من هؤلاء**) . هنا استطرد المصنف بذكر المقارنة بين المشركين المتأخرين والمشركين المتقدمين ، وبَيَّنَ بفارقين سبق ذكرهما ، وذكرنا أن هذه المسألة أيضًا ليست من المسائل القطعية ، إنما هي محل اجتهاد .
قال : (**إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً**) . يعني : من المتأخرين لأنهم يلجئون إلى الله تعالى في حال الشدة لا إلى غيره ، وأما في حال الرخاء فيرجعون إلى شركهم ، وأما إذا ركبوا الفلك حينئذٍ يلجئون إلى الله تعالى وينسون أصنامهم ومعبوداتهم ، (**فاعلم**) ، (**إذا تحققت**) ، (**فاعلم أن لهؤلاء شبهة**) هؤلاء يعني : المتأخرين ، المشركين المتأخرين ، لأنهم يُورِدُون الشبه بعد تقرير الشريعة (**أن لهؤلاء**) المتأخرين (**شبهة يوردونها على ما ذكرنا ، وهي من أعظم شبههم**) لأنها مما يحاج بها أهل العلم ، هذه يسميها البعض شبهة علماء (**وهي من أعظم شبههم**) التي يحاجون بها ويكثرون من استعمالها ، (**فاصغ سمعك لجوابها**) هذا أمر بالإصغاء ، وفيه إشارة إلى أن الجواب يحتاج إلى مزيد إصغاء وتدبر وتأمل ، لأن هذه بلية وهي من قال : لا إله إلا الله . ثم وقع في الشرك ، هل يكون كافرًا أم لا ؟ قال : لا إله إلا الله . وصلَّى وصام وحج وذكر الله كثيرًا ، ثم استغاث بغير الله تعالى ، أو ذبح لغير الله تعالى ، هل يكون مشركًا أم لا ؟
وسبق أن ثَمَّ ثلاث شبه أيضًا عظيمة عندهم تجعل هذه معها وتكون أربعة (**وهي**) أي : هذه الشبهة . فصلها المصنف بقوله : (**إنهم يقولون**) . أي أن المشركين المتأخرين . (**يقولون : إن الذين نزل فيهم القرآن**) أولئك المتقدمون (**الذين نزل فيهم القرآن**) يعني : الذين باشرهم النبي ﷺ بالتكفير والحكم عليهم بالشرك والقتال (**لا يشهدون أن لا إله إلا الله**) أَبَوْا أن يقولوا : لا إله إلا الله . ولذلك لما قال لهم : « **قولوا : لا إله إلا الله** » . قالوا : (**أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا**) [ص : 5] . إذًا هم أَبَوْا أن يلفظوا بهذه الجملة وهي : الشهادتان . بخلاف المتأخرين فإنهم قالوا : لا إله إلا الله . هذا ثَمَّ فرق بين النوعين ، أولئك كفروا باللفظ والمعنى ، وهؤلاء كفروا بالمعنى دون اللفظ ، ففرق بين الطائفتين .
(**إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويُكَذِّبُون رسول الله ﷺ**) كذبوه بأنه رسول (**وينكرون البعث**) هذه ثالثة (**ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرًا**) . هذه كلها من الفوارق بين المتقدمين والمتأخرين ، أولئك كفروا بما ذكر ، والمتأخرون آمنوا بما ذكر ، بل قالوا : لا إله إلا الله . وصدَّقوا الرسول ﷺ ولم ينكروا البعث ، بل آمنوا به ولم يكذبوا القرآن وجعلوه كلام الله تعالى ولم يجعلوه سحرًا ، ولذلك قال : (**ونحن نفارق أولئك نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، ونصدق القرآن ، ونؤمن بالبعث ، ونصلي ، ونصوم**) . ويتصدقون ، ويحجون ، ويذكرون الله تعالى كثيرًا ، بل فيهم من هو من العباد ممن يصوم يومًا ويفطر يومًا ، (**فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟**) المتقدمين ، إذًا فرق أو لا ؟
ثَمَّ فرق ، إذًا تكفير من قال : لا إله إلا الله . وصلى وصام إذا عبد غير الله أو استغاث بغير الله ، هذا محل الشبهة ، ولهم استدلال لذلك قلنا : هي شبهة العلماء . يعني : يوردها بعض المنتسبين إلى العلم ، يستدلون لهذه الشبهة بالأدلة العامة الواردة فيمن قال : لا إله إلا الله . كحديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله . فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم** » . رتّب الحكم هنا على القول « **فإذا قالوها** » ، « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا** » ، « **حتى يشهدوا** » ، « **إلى أن يقولوا : لا إله إلا الله . فإذا قالوها** » . حينئذٍ كف عنهم القتال ، وهؤلاء المتأخرون ممن قالوا : لا إله إلا الله . وكان الأصل فيه أن يكف عنهم القتال ، وحديث عتبان بن مالك « **فإن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله** » . علَّق الحكم هنا على القول « **فإن الله حرم على النار** » . يعني : لا يدخل النار . ومن أتى بالشرك لم يحرم عليه النار ، بل هو خالد مخلد فيها .

إذًا فرق بين النوعين ، فكل من قال : لا إله إلا الله ، لا يمكن أن يحكم عليه بالشرك البتة « **فإن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله . يبتغي بذلك وجه الله** » . والآيات الواردة في تكفير من دعا غير الله أو ذبح لغير الله لا يدخل فيها من قال : لا إله إلا الله . فكل من تلفظ بهذه الجملة فقد فارق أولئك المتقدمين وحُكِمَ عليه بالإسلام مهما فعل من النواقض ، فكل من دخل في الإسلام لا يمكن أن يخرج منه البتة ، هذا بناءً على هذه الشبهة .

والظاهر - والله أعلم - أن هذه الشبهة ليست مستقلة هكذا ، وإنما هي مبنية على ما سبق ، يعني : تقرر عندهم أن اللجأ والالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك ، ليس من الشرك ، وتقرر عندهم أن الدعاء دعاء غير الله تعالى ليس من العبادة ، فإذا كان كذلك حينئذٍ ترتب عليه ما سيذكره المصنف رحمه الله تعالى ، لأنهم - كما سيأتي - يقرون بأن من جحد الصلاة وقر بالتوحيد فإنه كافر . إذًا قال : لا إله إلا الله . وحكمنا عليه بالكفر ، وهذا محل وفاق بين أهل العلم ، لماذا فرقوا بين هذا وذاك وهم علماء في الأصل ؟

الظاهر - والله أعلم - أن مبناه على الشبه السابقة أن الشرك بالمفهوم الشرعي لم يكن واضحًا عندهم ، يعني : بعض صور الشرك الأكبر ليست واضحة عندهم ، بل أخرجوا أفرادًا منه من الحكم عليه بكونه شركًا أكبر ، كذلك العبادة كالدعاء ونحو ذلك والذبح مما سبق ذكره ، كذلك لا يُسَمَّى عبادةً عندهم ، ولذلك قال في الشبهة السابقة : (**أنا لا أعبد إلا الله**) . ولكن اللجأ إلى غير الله تعالى الصالحين ونحو ذلك والاستغاثة بهم ليس عبادة ، إذًا وقع عندهم خلل ، حينئذٍ لا يمكن أن يأتوا إلى هذه الجمل « **فإن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله . يبتغي بذلك وجه الله** » . أن يجعلوا ذلك ناقضًا وليس بشرك عندهم ، وإلا كما سيأتي من الإجابات التي أوردها المصنف أن ثَمَّ فصلاً أو بابًا عند الفقهاء - وهو مجمع عليه في الجملة - وهو : باب حكم المرتد . وأول ما يذكرون الشرك بالله ، ومعلوم أن كثير من المتأخرين المصنفين في الفقه على المذاهب الأربعة عندهم انحراف في مفهوم لا إله إلا الله ، فإذا كان عندهم انحراف في مفهوم لا إله إلا الله ، وترتب عليه الانحراف في مفهوم الشرك الأكبر ، حينئذٍ عندهم الناقض الأول الذي يُحْكَمُ على المسلم بأنه مشرك متى ؟ إذا وقع الخلل عنده والشرك في الربوبية لا في الألوهية ، حينئذٍ لا تعارض بين هذا الذي يذكره الآن وبين ما سبق بل له ارتباط قوي .

إذًا هذه الشبهة من قال : لا إله إلا الله . حينئذٍ لا يحكم عليه بالكفر ، من صلى وصام إذا عبد غير الله تعالى ووقع في الاستغاثة بغير الله تعالى لا يحكم عليه بالشرك ، لماذا ؟ لأنه لم يفعل ما يخرجه من الملة لم يعبد غير الله تعالى ، إذا استغاث بغير الله قلنا : هذا نوع دعاء . إذا استغاث بالنبي ﷺ أو طلب الشفاعة منه عليه الصلاة والسلام هو لم يفعل عندهم مكفرًا ، فإذا كان كذلك فإذا حكمنا عليه بكونه قد فعل مكفرًا وأخرجه من الملة حينئذٍ قد كفرنا مَنْ ؟

كفرنا المسلمين لأنهم لم يفعلوا ما هو شرك أكبر ، إذًا هذه الشبهة مبناها على الشبه السابقة ليست مستقلة ، بل تلك تعتبر مقدمات ، مفهوم العبادة ، مفهوم الشرك الأكبر ، مفهوم لا إله إلا الله ، وقع عندهم خلل ، حينئذٍ إذا قال الموحد : لا إله إلا الله . ثم طرأ عليه أنه طلب الشفاعة من النبي ﷺ إذًا هل فعل ناقضًا أو لا ؟ قطعًا أنه لم يفعل ناقضًا ، لماذا ؟ هل لكونه قال : لا إله إلا الله . أو لكونه لم يفعل شركًا البتة ؟ لم يفعل شركًا البتة ، إذًا هذه الشبهة ليست مستقلة عما سبق ، بل هي تنادي أخواتها في مفهوم الشرك والعبادة ونحو ذلك . ولذلك الأجوبة هنا التي أوردها المصنف هم يوافقون عليها في الجملة لا يخالفون . ولذلك يحكى الإجماع ، عدة إجماعات كما سيأتي إجماعات قطعية لا خلاف فيه ، بل إذا أنكر ما قد ذكر يخشى عليه من المروق من الملة .

(**فالجواب : أنه**) الجواب الأول (**أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدَّق رسول الله ﷺ في شيء وكذَّبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام**) (**لا خلاف**) هذا حكاية للإجماع ، ما هو هذا الإجماع ؟ على أي شيء ؟ إجماع من أولاً ؟ لا شك أنه إجماع الصحابة داخل في هذا دخولاً أَوَّلِيًّا ، ثم إجماع التابعين ، ثم إجماع الأئمة الأربعة وأتباعهم ، فلا خلاف يُنْقَلُ لا خلاف شاذ ولا ضعيف أن من صدَّق النبي ﷺ في شيء وكذَّبَهُ في شيء أنه كافر بالإجماع . هل يجعل ما صدّقه حجة على عدم خروجه من الملة فيما كذّبه ؟

لا ، إذًا إذا أتى بالتوحيد أو قال : لا إله إلا الله . ثم فعل ناقضًا حينئذٍ لا تعارض بينهما ، فيقال : هذا الناقض قد رفع أثر لا إله إلا الله ، لأنه لا يحكم بـ لا إله إلا الله بأثرها ومفعولها إلا إذا انتفى الشرك بحذافيره ، إلا إذا انتفى الكفر بحذافيره ، فحينئذٍ لا يمكن أن يجتمع التوحيد مع الكفر الأكبر ، إذًا لا خلاف بين العلماء هذا حكاية للإجماع وقد حكى الإجماع كذلك ابن عبد البر في ((**التمهيد**)) وابن المنذر في ((**الأوسط**)) ، وابن حزم في ((**مراتب الإجماع**)) ، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في عدة مواضع . (**لا خلاف بين العلماء**) قلنا : يدخل فيه

دخولاً أوليًّا الصحابة رضي الله تعالى فإنهم مما أجمعوا على ذلك ، (**أن الرجل إذا صدّق رسول الله ﷺ في شيء وكذّبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه**) تكذيب الإيمان ظاهر كلام الشيخ هنا بينهما فرق ، لكن قد يقال :بأن الأول في الأخبار ، والثاني في الأوامر واجتناب النواهي ، لأن التصديق يقابل الخبر و (**آمن ببعض القرآن وجحد بعضه**) إما من حيث اللفظ المعنى ، وإما من حيث اللفظ ، لأنه بالإجماع أن من آمن بجميع القرآن ألفاظه وأنكر حرفًا واحدًا متفق عليه بين القراء أنه كافر ، وإيمانه بكل القرآن قد جاوزها ، لماذا ؟ لوجود الناقض ، ما هو الناقض ؟ الكفر بحرف متفق عليه . نقول : الكفر بحرف متفق عليه ، أما الذي وقع فيه خلاف فهذا لا يكفر بجحده ، ولذلك من أنكر البسملة ليست بآية لا يكفر ، أليس كذلك ؟ (**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**) [الإخلاص : 1] لو أنكرها بإجماعٍ كافرٌ بإجماع (**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) [الفاتحة : 1 ، 2] لو قال : البسملة ليست آية . ونحن نقول : بل هي آية . مثلاً يكون عندنا من المنكرين لقرآنية البسملة ، هل يكفر ؟ لا يكفر لأنه محل نزاع بين أهل العلم . (**وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه**) متفق عليه هذا من حيث اللفظ ، ومن حيث المعنى كأن يكون أنكر بعض الواجبات التي دلَّ عليها القرآن وهي من الواجبات القطعية ، أو أنكر بعض المحرمات الفواحش التي حرمها القرآن وهي من المحرمات القطعية .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : من آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعضٍ فهو كافر . يعني : ببعض ما جاء به النبي ﷺ . من آمن ببعضٍ ، ببعض ما جاء به وكفر ببعضٍ فهو كافر ليس بمؤمن ، كما قال تعالى : (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا**) [النساء : 150 ،151] . (**أُولَئِكَ**) المشار إليه الذين قالوا : (**نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ**) . إذًا جمعوا بين الإيمان والجحد ، فغلب الجحد الإيمان لأنه من شرط صحة الإيمان الإيمَان بكل ما جاء به النبي ﷺ جملةً وتفصيلاً ، فإذا أنكر شيئًا منه حينئذٍ غلب الجحد الإيمان .

وقال ابن حزم رحمه الله تعالى في ((**مراتب الإجماع**)) : اتفقوا على أن من لم يؤمن بالله تعالى وبرسوله وبكل ما أتى به عليه السلام مما نُقِلَ عنه نقل الكافة ، أو شك في التوحيد ، أو في النبوة ، أو في محمد ، أو في حرف مما أتى به عليه السلام ، أو في الشريعة التي أتى بها عليه السلام مما نقل الكافة - يعني : المتواتر - ، فإن جحد شيئًا مما ذكرنا أو شك في شيء منها ومات على ذلك فإنه كافر مشرك مخلد في النار أبدًا . إذًا لا بد أن يؤمن بالإسلام جملةً وتفصيلاً ، أن يؤمن بمحمد ﷺ جملةً وتفصيلاً ، فإذا آمن ببعض وكفر ببعض حينئذٍ يُحْكَم عليه بالشرك ، هل ينفعه إيمانه بالبعض الذي آمن به ؟

الجواب : لا ، ولو كان أكثر الشريعة ؟ ولو كان أكثر الشريعة ، ولو آمن بجميع الشريعة إلا شيئًا واحدًا حكمنا بكفره وبكونه خالدًا مخلدًا في النار إن مات على ذلك . إذًا إيمانه ببعض أو بجملة من الشريعة ، وكفره ببعض ولو قلَّ حكمنا عليه بالكفر وهذا مجمع عليه ، هذا الأمر مجمع عليه . ثم مثل المصنف هنا بأمثلة يوافق فيها المخالف من أرباب الأئمة الأربعة (**كمن**) هذه أمثلة (**كمن أقر بالتوحيد**) يعني : آمن . قال : لا إله إلا الله . ولا إله إلا الله مفهومها لا معبود بحق إلا الله عز وجل ، وأتى بشروطها ، وأقر بجملة من التوحيد . (**وجحد وجوب الصلاة**) هل ينفعه إقراره بالتوحيد مع جحد وجوب الصلاة ؟

الجواب : لا ، هذا فيمن آمن ببعض وجحد بعضًا ، (**أقر بالتوحيد**) على الفهم الصحيح (**وجحد وجوب الصلاة**) الصلاة المفروضة ، لأنه [مما أو] [42] ممن أنكر شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة ، فيكون قد آمن ببعض وكفر ببعض ، قال الله تعالى : (**أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا**) . حقًّا وصدقًا يعني : يحكم عليهم بالكفر . هذا المثال الأول .

المثال الثاني : (**أو أقر بالتوحيد والصلاة ، وجحد وجوب الزكاة**) . (**أو أقر بالتوحيد والصلاة**) لأن الصلاة حق وهي : واجبة في اليوم خمس مرات . ولكنه جحد شيئًا مما جاء به النبي ﷺ وهو : وجوب الصلاة . إما جحدًا كليًّا على الأمة كلها بأنها لم تشرع ، أو قال : هي مما جاء به الشرع لكنها ليست واجبة عليَّ . حينئذٍ يحكم بكفره وخروجه من الملة ، هل نفعه إيمانه بالتوحيد وإقراره بالتوحيد ووجوب الصلاة مع جحد وجوب الزكاة ؟

لم ينفعه لأنه آمن ببعض وكفر ببعض .

---

(42) سبق .

أو **مثال ثالث :** (**أو أقر بهذا كله**) يعني : بالتوحيد والصلاة وجوب الصلاة ووجوب الزكاة ، (**أقر بهذا كله وجحد وجوب الصوم**) كذلك يحكم عليه بالكفر للقاعدة السابقة ، لأنه آمن ببعض وكفر ببعض ، (**أو أقر بهذا كله**) الأركان الأربعة (**وجحد وجوب الحج**) فكذلك يحكم عليه بالكفر ، ولذلك قال تعالى : (**وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**) [آل عمران : 97] . (**ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج ، أنزل الله تعالى في حقهم (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [آل عمران : 97]**) ظاهر كلام المصنف أن هذا هو سبب نزول الآية ، وقد حكى ابن جرير الطبري عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود والنصارى لما أنزل الله عز وجل قوله : (**(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)**) . قالوا : لا نحج . إذًا امتنعوا أَبَوْ فأنزل الله عز وجل (**(وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)**) . لكن الأثر فيه ضعف ، (**ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج ، أنزل الله تعالى في حقهم**) الآية ، عَبَّر المصنف هنا (**لم ينقد**) يعني : لم يأتوا بشرط الانقياد . الذي هو شرط من شروط تحقيق لا إله إلا الله ، فعبَّر بالانقياد الذي معناه الالتزام لماذا ؟ لأن عدم الحج مع الانقياد للحكم يعني : مع اعتقاد وجوبه هل هو كفر أو لا ؟ ليس بكفر إذا آمن صدق بجوب الحج لكنه ترك فسق ولا نحكم عليه مع القدرة وجب عليه على الفور وترك عامدًا متعمدًا لا لعذر شرعي نقول : ترك واجبًا ففسق حينئذٍ نقول : هل تركه للحج يعتبر ناقدًا ؟ الجواب : لا ، لماذا ؟ لأنه قد انقاد يعني : آمن وسلم والتزم بوجوب الحج ولكنه ترك العمل ، إذًا تارك الحج قد يتركه مع التسليم به وله وقد يتركه مع عدم الانقياد الثاني يعتبر كفرًا أكبر مخرج له من الملة والأول لا يعتبر كذلك إذًا تركه مع الإقرار والاعتقاد بوجوب الحج نقول : هذا لا يعتبر ناقضًا من نواقض لا إله إلا الله .

(**ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج**) ولذلك عَبَّر (**أناس**) لأنه لا يكون صحابة ، قيل : اليهود والنصارى . لم يثبت سبب واضح بين (**أنزل الله تعالى في حقهم (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ)**) ، (**(عَلَى)**) هذه تفيد الوجوب أو الإيجاب ؟ قولان ، أنتم اختلفتم الإيجاب أو الوجوب ؟

مدلولها الوجوب أو الإيجاب ؟

الله نسيتم مدلول (**(عَلَى النَّاسِ)**) الإيجاب أو الوجوب ؟

قلنا : الإيجاب صفة الخطاب . صفة للخطاب نفسه قول الرب جل وعلا (**أَقِيمُوا الصَّلَاةَ**) ، (**أَقِيمُوا الصَّلَاةَ**) نفسه إيجاب ، مدلوله وجوب الصلاة ، فالوجوب مدلول النص مدلول الأمر (**أَقِيمُوا الصَّلَاةَ**) نقول : (**أَقِيمُوا الصَّلَاةَ**) نفسه هذا قرآن أو لا ؟ قرآن ، هو إيجاب يسمى ماذا ؟ إيجابًا صفة للخطاب نفسه ، وأما الوجوب فهو مدلول (**أَقِيمُوا الصَّلَاةَ**) ، (**(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ)**) ، (**(عَلَى النَّاسِ)**) إيجاب مدلوله وجوب الحج على الناس (**(عَلَى النَّاسِ)**) قال :   (**(مَنِ اسْتَطَاعَ)**) . إيش إعراب (**(مَنِ اسْتَطَاعَ)**) بدل بعض من .. كل من كل أو بعض من كل أو اشتمال ؟

بعض من كل ، هل له فائدة ؟ التخصيص ، يفيد التخصيص لأنه قال : (**(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ)**) يشمل المستطيع وغير المستطيع ، فلما قال : (**(مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)**) . الزاد والراحلة على المذهب (**(وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله)**) من كفر بهذا الحكم ولم ينقد له (**(فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)**) .

(**ومن أقر بهذا كله**) بـ : التوحيد ، ووجوب الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج . (**وجحد**) أنكر (**البعث كفر بالإجماع**) كل المسائل المذكورة الأمثلة كلها الكفر فيها بالإجماع ، إلا لمن كان حديث عهد بإسلام أو ببلد لا يصلها العلم ، حينئذٍ يفرق بين الشرك الأكبر وبين هذه المسائل ، الشرك الأكبر قلنا : لا يعذر أحد بجهله البتة . لأننا إذا قلنا بالعذر بالجهل فيه حينئذٍ جوزنا اجتماع التوحيد مع الشرك ، وهذا منافي ، هذا بينهما تناقض ، وأما الجحد المذكور للأشياء المذكورة هذه لمن كان حديث عهد بإسلام ، أو ببلد نائية ، حينئذٍ يعتبر عذرًا مع التوحيد مع الإتيان بالتوحيد . (**ومن أقر بهذا كله وجحد البعث**) هذا فيه نص فيه إجماع ونص ، كما أن الحج فيه إجماع ونص ، (**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا**) [التغابن : 7] قال :   (**كَفَرُوا**) . كفرهم لأنه علق الحكم هنا بالتكفير في شيء معين ، (**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا**) ، إذًا كفرهم لكونهم اعتقدوا عدم البعث ، وهذا بالإجماع والنص ، (**وجحد البعث كفر بالإجماع وحل دمه وماله**) ، (**وحل دمه وماله**) ، لأن لا إله إلا الله تعصم من قالها تعصم نفسه وماله ودمه ، حينئذٍ إذا وقع في هذه المحاذير الشرعية وحكمنا عليه بالكفر انتبه أنه لا يحكم عليه بالكفر إلا حاكم ، أما آحاد الناس فلا ، حُكِمَ عليه بالكفر حينئذٍ نقول : لا أثر لـ لا إله إلا الله معه .   (**كما قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ**

يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً)) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : والمقصود من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء ، إذا آمن بنبي . وهذا يزاد على ما سبق ، آمن بكل ما جاء به محمد ﷺ قال : لكن لا أؤمن بنبي اسمه موسى . كفر أو لا ؟

كفر ، لماذا ؟ لكونه أنكر نبوة موسى عليه السلام ورسالته ، فيلزم منه إنكار نبوة محمد ﷺ أليس كذلك ؟

والمقصود من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء ، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض ، فمن رَدَّ نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانًا شرعيًّا ، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية . انتهى كلامه رحمه الله تعالى ، إذًا المقصود من هذه الآية كما ذكر ابن كثير وهي أعم ممن ذكره أن من آمن بنبي وكفر بنبي حينئذٍ قد كفر بجميع الأنبياء ، حتى من ادعى أنه آمن بنبي نقول : هذا الإيمان ليس شرعيًّا ، فلو أقر بكل ما جاء به محمد ﷺ وأنكر نبوة نوح أو موسى حينئذٍ نقول : كفرت بمحمد ﷺ . لأن إيمانك بمحمد ﷺ ليس إيمانًا شرعيًّا ، إذ لو جئت بالإيمان الشرعي لآمنت بجميع الرسل والأنبياء ، فلما كفرت بواحد منهم فقد كفرت بمحمد ﷺ ، فإذا كان الله تعالى قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر حقًّا ، زالت هذه الشبهة لأنه يَرِدُ عليه ماذا ؟ أن من قال : لا إله إلا الله . ثم استغاث بغير الله تعالى وذبح لغير الله تعالى أنه آمن ببعض وكفر ببعض ، آمن ببعض لأنه قيل له : قل لا إله إلا الله . فقال : لا إله إلا الله . وكفر ببعض كفر بقوله تعالى : (**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) [الجن : 18] . كفر أو لا ؟

دعا من دون الله تعالى وكذلك قوله تعالى : (**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**) [النساء : 36] ، (**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**) [الزمر : 3] كل آية تدل على وجوب توحيد الرب جل وعلا وصرف العبادة له وحده دون ما سواه فقد كفر بها ، إذًا يصدق عليه أنه آمن ببعض وكفر ببعض فنقول : (**(أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً)**) . كما قال الله تعالى ، ولذلك قال المصنف هنا : (**وكفر ببعضٍ فهو كافر حقًّا**) . (**إذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعضٍ وكفر ببعضٍ فهو كافر حقًّا ، زالت هذه الشبهة من أصلها**) فلا تعارض حينئذٍ ، فليس كل من قال : لا إله إلا الله . ثم جاء بما يشتهي من النواقض قلنا : لا يكفر لأنه يقول : لا إله إلا الله . ولأنه يصلي ويصوم ويصلي التراويح . ونحو ذلك قلنا : هذا كله لا تشفع له البتة ، فإنما لا بد من الإيمان بالإسلام والتصديق به جملة وتفصيلاً ، جملة في الجمل وتفصيلاً في التفصيل . ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : " ومن جحد وجوب بعض الواجبات الظاهرة المتواترة كـ : الصلوات الخمس ، وصيام رمضان ، وحج البيت العتيق . أو جحد تحريم بعض المحرمات الظاهرة المتواترة كـ : الفواحش ، والظلم ، والخمر . وغير ذلك ، أو جحد بعض المباحات الظاهرة المتواترة كـ : الخبز ، واللحم ، والنكاح . فهو : كافر مرتد يستتاب وإلا قتل " . كل من أنكر معلومًا من الدين سواء كان واجبًا أو محرمًا أو مباحًا أو مكروهًا ، إذا أنكره حكمنا عليه بكونه مرتدًا ، لكن هنا تأتي مسألة العذر بالجهل ، ليست كمسألة الشرك ، مسائل الواجبات والمحرمات الكلام فيها فيه تفصيل ، من كان ببلد نائية لا يصل إليها العلم ولو بذل وسعى لما أمكنه أن يصل إلى العلم الصحيح ، أو كان حديث عهد بإسلام فأنكر بعض هذه المذكورات حينئذٍ لا يحكم مباشرةً بكفره وردته عن الإسلام ، يعني : كمن قال : لا إله إلا الله . ثم قال : لا أصلي . لم تجب الصلاة مباشرة بإنكار وجحد لوجوب الصلاة تقول : كفر ؟ لا ، بخلاف من يعيش بين أوساط المسلمين ويسمع النداء ويعلم أن ثَمَّ صلوات إذا أنكر وجوب الصلاة كفر مباشرة لا نحتاج إلى إقامة حجة البتة ، وأما ما ذكرناه حينئذٍ لا بد من إقامة الحجة ، ثَمَّ فرق بين هذه المسائل وبين المسائل المتعلقة بالتوحيد ، ما ينقض الدين من أصله وهي مسائل التوحيد والشرك هذه لا عذر فيها البتة بجهل .

إذًا هذا الدليل الأول أو الجواب الأول الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى الإجماع على من صدّق الرسول في شيء من هذا الدين وكذّبه في شيء آخر أنه يكفر فالإسلام لا بد أن يؤخذ جملة واحدة ، أما تبعيضه نقول : هذا لا يقبل منه البتة . ومن قال : لا إله إلا الله . وذبح لغير الله هذا آمن ببعض وكفر ببعض ، فالقول فيه كما قال الله تعالى : (**(أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً)**) . وهذه الآية التي ذكرها المصنف هنا واضحة بينة تدل على أن من فرق بين حكم وحكم فجحد حكمًا وقبل آخر فإنه يكون كافرًا ، (**وهذه**) قال الشيخ هنا : (**وهذه**) . إشارة إلى هذه الشبهة (**هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء**) أهل الأحساء كان بعضهم من العلماء ممن يرد على الشيخ رحمه الله تعالى ، وذكر

أن هذا البعض المراد به أحمد بن عبد الكريم وهو أحد من رد عليه الإمام (**في كتابه الذي أرسل إلينا**) هذا جواب .

الجواب الثاني : (ويقال : إذا كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ في شيء وجحد وجوب الصلاة ، فهو كافر حلال الدم والمال بالإجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث ، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وكذب بذلك لا يجحد هذا ، ولا تختلف المذاهب فيه ، وقد نطق به القرآن كما قدمنا ، فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ؟ ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر ، سبحان الله ما أعجب هذا الجهل) . وهذا قد يَرِدُ عليه وقد لا يرد ، لأنه كما ذكرنا سابقًا أن هذه الشبهة ليست مستقلة هكذا ، بل عندهم خلل هو لا يقر بأن هذا الذي أنت تسميه شركًا أكبر أنه شرك أكبر ، لا يسلم بهذا حينئذٍ يحاج معه بالأجوبة المذكورة في قوله : (**نحن لا نشرك بالله شيئًا**) أو (**الالتجاء إلى الصالحين ليس بعبادةٍ**) و (**أنا لا أعبد إلا الله**) حينئذٍ يقرر معه في رد تلك الشبه فإن سَلَّم بها حينئذٍ يلزمه التسليم هنا ، فإن لم يسلم حينئذٍ لا يلزمه لأنه يقول بأن هذا الذي حصل ليس بشرك أصلاً ، أنت الآن تحتج عليه بأن التوحيد قدِ انتقض عندي بماذا ؟ بالذبح عند القبر ، أنت ترى أنه عبادة صرفت لغير الله وأنه شرك وأنا أرى أنه ليس بعبادة ، إذًا توحيدي سالم في اعتقادي وهو منقوض في اعتقادك أنت ، ولا يكون حجة عليّ . إذًا الاستدلال عليهم بما يقرون به ويعتقدونه هذا ما رده المصنف هنا رحمه الله تعالى ، وهو أن التوحيد أعظم الفرائض فكيف يكفر من جحد وجوب الصلاة ولا يكفر من جحد التوحيد ؟ نحن الآن نريد أن نصل بأن من وقع في الشرك الأكبر يعتبر ناقضًا لـ لا إله إلا الله ولو قال لا إله إلا الله ، ولو صلى ولو صام ولو عبد الله تعالى حق عبادته في نظره هو ، حينئذٍ نستدل عليه بكونه قد أقرّ بأن من جحد الصلاة كفر ، هذا مُسَلّم لأن هذه كما ذكرنا شبهة علماء ، وهذا أمر متفق عليه من جحد وجوب الصلاة كفر ، ولذلك كل المذاهب على هذا القول ، بأن من جحد الصلاة وجوب الصلاة فقد كفر ، فمن جحد التوحيد لا يكفر ؟ لأنه قال : لا إله إلا الله . هم يقولون هذا ! قال : لا إله إلا الله . فلا يكفر كيف تُقِرّ بأن من جحد الصلاة وهي دون التوحيد بمراتب تقر بأن من جحد وجوب الصلاة بأنه كافر ولا تكفره إذا جحد التوحيد ، أيهما أعظم عندك ؟ لا شك أن التوحيد فريضته أعظم ، لذلك منذ أن بدأ النبي ﷺ دعوته إلى أن قُبِضَ عليه الصلاة والسلام وهو يدعو إلى التوحيد ، ولا نقول : بقي في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو التوحيد ، ثم شرع في المدينة هذا خطأ ، بل حياته كلها عليه الصلاة والسلام من أولها إلى آخرها كلها دعوة إلى التوحيد ، فتحها بالتوحيد واختتمها بالتوحيد ، حينئذٍ نقول : التوحيد أعظم الفرائض ولا شك ، إذًا جحد التوحيد ما حكمه ؟ هم يقولون : من قال : لا إله إلا الله . لا يعتبر استغاثة بغير الله شركًا وناقضًا لـ لا إله إلا الله ، وهذا كما ذكرته لكم هذا لا أظنه يسلم به عالم لأنه لا يقر بأن هذا ناقضًا للتوحيد ، لأنه ليس بشرك أكبر عندهم ، وليس مما يعتبر ناقضًا لـ لا إله إلا الله ، فالإيراد والله أعلم يحتاج إلى نظر .

(**ويقال**) يرد على هذا المشرك (**إذا كنت تقر أن من صدَّق الرسول ﷺ في شيء وجحد وجوب الصلاة ، فهو كافر**) هذا يُقِرُّ به الجميع (**كافر حلال الدم والمال بالإجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شيء**) بجميع الفرائض (**إلا البعث**) (**فهو كافر حلال الدم والمال بالإجماع**) ، (**وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وكذب بذلك لا يجحد هذا**) هكذا عندكم ؟ (**وكذب بذلك**) يعني : بما سبق . (**لا يجحد هذا ، ولا تختلف المذاهب فيه**) هكذا (**لا يجحد هذا ، ولا تختلف المذاهب فيه**) يعني : بأنه كافر مرتد عن الإسلام ، منه ما فيه إجماع ، ومنه ما فيه نص وإجماع ، ما فيه نص وإجماع من الأمثلة التي ذكرها المصنف شيئان الحج فيه إجماع وفيه النص (**وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**) [آل عمران : 97] وكذلك جحد البعث فيه نص وإجماع ، (**وقد نطق به القرآن كما قدمنا**) ، ((**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ**)) الآية (**فمعلوم**) يعني : يترتب على ما سبق (**أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج**) .هذا مُسَلَّمٌ به ، حينئذٍ يرد عليهم إذا سلمتم بما ذكر كيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ؟ التي هي الصلاة والصوم والزكاة والحج والبعث ، ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ (**وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر**) .

إذًا استدلال عليهم بما يعتقدونه على ما لا يعتقدونه ، وهذا والله أعلم قد لا يلزمهم إلا إذا سلموا بمفهوم الشرك الصحيح وبمفهوم العبادة الصحيح السابق ، وإلا يمكن أن يجاب نرجع إلى الشبهة السابقة ، نحن لا نسلم بأن الالتجاء

للصالحين شرك أكبر ، وليس دعاؤهم واللجأ إليهم عبادة ، وليس سؤال النبي ﷺ الشفاعة وهو ميت في قبره عليه الصلاة والسلام بأنه شرك أكبر لا يسلم بهذا ، إذا لم يسلم حينئذٍ هل يصح أن يقال بأنهم نقضوا توحيدهم ؟ الجواب : لا ، إذًا نردهم إلى الشبه السابقة .

الجواب الثالث : الرد عليهم بأمثلة ووقائع حصل فيها الإجماع من الصحابة وغيرهم على كفر من قال : لا إله إلا الله . وإن صلى وصام وحج وزكى وعبد ربه حق عبادته عندهم ، (**ويقال أيضًا لهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده رسوله ، ويصلون ويؤذنون**) يقيمون الشعائر عامة ، يعني : بلد مسلم في الأصل ، بلد إسلام في الأصل لكنهم وقعوا في ناقض ، وهذا مثال ذكره المصنف وهو حجة واضحة بينة على أنه ليس كل من قال لا إله إلا الله وإن صلى وصام وفعل ما فعل من الشرائع بأنه لا يحكم عليه بكفر البتة ، فـ لا إله إلا الله ليست دافعًا للكفر إلى الموت مع وجود الناقض ، ما فائدة ذلك الباب الذي يعنون له الفقهاء باب حكم المرتد ؟ من هو المرتد ؟

هو الذي كفر بعد إسلامه ، إذًا ليس كل من قال : لا إله إلا الله . يحكم بإسلامه مدة حياته . إذًا رد المصنف هنا بمثال وواقعة حصلت لأناس يقولون : لا إله إلا الله . وهم يصلون ويؤذنون وكفرهم العلماء ، بل الصحابة على رأسهم ولم يمنع من تكفيرهم قولهم : لا إله إلا الله . والمثال الذي ذكره هم بنو حنيفة أتباع مسيلمة الكذاب (**فإن قال : إنهم يشهدون : أن مسيلمة نبي**) يعني : يُورِدُ عليه لأن بني حنيفة هؤلاء مسلمون ويصلون ، قالوا : لا إله إلا الله . وصلوا وصاموا وأذنوا وأقاموا الشعائر يعني فهو بلد إسلام ، مع ذلك أباح دماءهم الصحابة قاتلوهم ، ما هو الناقض الذي فعلوه مع وجود قول لا إله إلا الله ؟ سيجيب المشرك ماذا ؟ (**إنهم قالوا : أن مسيلمة نبي**) يعني : ادَّعَوْا نبوة مسيلمة ، رفعوا مسيلمة إلى مقام النبوة . قال الشيخ هنا : (**قلنا : هذا هو المطلوب**) لأن من رفع بشرًا إلى مقام النبوة كفرناه وإن قال : لا إله إلا الله . فكيف إذا رفعه مقام الإلهية ؟ حجة داحضة هذه ، كيف إذا رفع بشرًا إلى مقام الإلوهية فجعله إلهًا ، إذا ادَّعَى أن هذا المخلوق نبي رسول بعد محمد ﷺ حينئذٍ قلنا : كافر بالإجماع . هو يُقِرُّ بهذا المشرك ، فكيف لو جعلوه إلهًا يعبد يطوف بقبره ويذبح له ويستغيث به ويعتقد فيه النفع والضر وأنه يدبر الأمر ونحو ذلك ، هذا من باب أولى وأحرى (**فإن قال : إنهم يشهدون : أن مُسَيْلِمَة نبي**) مُسَيْلِمَة مصغر بكسر اللام بن ثمامة بن كبير بن موحد بن حبيب بن الحارث من بني حنيفة معروف بمسيلمة الكذاب ، كذّاب لأنه ادَّعَى النبوة ، ولذلك جاء في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم مسيلمة الكذاب - لزمه الكذاب سبحان الله وصف وصفٌ لازم - مسيلمة الكذاب وعلى عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول : إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته - يعني : أراد أن يسلم ولكن بشرط وهو إن جعل له الأمر يعني : الخلافة والملك له من بعد النبي ﷺ تبعته - وقدمها في بشر كثير من قومه ، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة وأصحابه فقال : « **لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها فكيف الملك والخلافة ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإني لأراك الذي أُرِيتُ فيه ما رأيتُ وهذا ثابت يجيبك عني** » . ثم انصرف عنه ﷺ . إذًا ادَّعَى النبوة مسيلمة سنة عشر وكان معظمًا عند قومه ، وكانوا يلقبونه برحمن اليمامة قاتله أبو بكر الصديق رضي الله تعالى في زمن الردة . إذًا إذا قالوا : إن مسيلمة نبي فكفر بني حنيفة حينئذٍ اعتقادهم النبوة في مسيلمة ، مع قولهم لا إله إلا الله ، مع صلاتهم ، وصومهم ، وزكاتهم ، بل وأعلنوا ذلك علنًا وهو بالأذان ونحو ذلك . إذًا كفر بني حنيفة باعتقادهم النبوة في مسيلمة ، فلذلك صاروا كفارًا فلم يكفروا بكل أمور الدين ، بل كفروا بأن محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء . قال المصنف : (**قلنا : هذا هو المطلوب**) . يعني : إقراركم بأن سبب كفر بني حنيفة هو اعتقاد النبوة في مسيلمة هو المطلوب لماذا ؟ (**إذا كان من رفع رجلاً في رتبة النبي ﷺ ، كفر وحل ماله ودمه ، ولم تنفعه الشهادتان**) مع قولها (**ولا الصلاة ، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف**) اسمان للطواغيت سيأتي بيانهما (**أو صحابيًّا ، أو نبيًّا في مرتبة جبار السماوات والأرض ؟**) واضح هذا . إذًا كفر بني حنيفة لكونهم رفعوا مسيلمة مقام النبي ﷺ ، حينئذٍ من رفع بشرًا في مقام الرب جل وعلا وهو من باب أولى وأحرى ، وهذا محل وفاق ولذلك الصحابة أجمعوا على قتال بني حنيفة ، وهذا لكونهم أو لكون مسيلمة الكذاب قد ادَّعَى النبوة ، فحينئذٍ وُجِدَ ناقض من نواقض الإسلام (**قلنا : هذا هو المطلوب**) ومن إيرادنا للحجة في أنهم يصلون ويصومون لكنهم فقط ادَّعَوا أن مسيلمة نبي ، فهدم هذا الادعاء جميع ما فعلوه .

إذًا [من قال [43]] : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله** » . حينئذٍ لا يحسن الاستدلال به في مثل هذا الموضع ، « **فإن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله** » . لا يحسن الاستدلال به في هذا الموضع ، لا بد من فهمه الفهم الصحيح (**فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف ، أو صحابيًّا ، أو نبيًّا ، في مرتبة جبار السموات والأرض ؟**) استحقاق العبادة أو الطاعة المطلقة فإنه أعظم كفرًا من أولئك الذين رفعوا مسيلمة مقام النبي ﷺ ، هؤلاء كفروا وهؤلاء كفروا ، حينئذٍ إذا رفع بشرًا في مقام جبار السماوات والأرض هل أشرك أو لا ؟

ليش مترددون أشرك أو لا ؟

أشرك قطعًا بالإجماع ، ومن رفع مسيلمة في مقام النبي ﷺ أشرك أو لا ؟

لا ، لم يشرك مع ذلك وقع الإجماع على كفرهم ، فكيف بذلك الذي أشرك مع رفع البشر مقام الإله ؟ من باب أولى وأحرى (**سبحانه ما أعظم شأنه (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [الروم : 59]**) يعني : لا يعلمون توحيد الرب جل وعلا .

الجواب الثالث : أن يقال : (**ويقال أيضًا : الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار ، كلهم يَدَّعُون الإسلام**) هذا في زمن الصحابة ، وثَمَّ أصحاب كُثُر للنبي ﷺ في زمن عليّ وهو : الخليفة الرابع . (**كلهم يَدَّعُون الإسلام**) إذًا هم ينتسبون في الأصل هم موحدون ، قالوا : لا إله إلا الله . إذًا أتوا بـ لا إله إلا الله محمد رسول الله (**وهم من أصحاب عليّ**) شيعته رضي الله عنهم (**وتعلموا العلم من الصحابة ، ولكن اعتقدوا في عليّ ، مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما**) يعني : الاعتقاد الكفري . (**فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟ أتظنون الصحابة يُكَفِّرُون المسلمين ؟ أم تظنون الاعتقاد في تاجٍ وأمثاله لا يضر ، والاعتقاد في عليّ بن أبي طالب يُكَفِّر ؟**) من ادعى الإلوهية في عليّ - وهم الذين عناهم المصنف هنا رحمه الله - أجمع الصحابة على كفرهم ووجوب قتلهم ، أجمع الصحابة على كفرهم وعلى وجوب قتلهم ، وإنما وقع خلاف في كيفية القتل ، عليّ رضي الله تعالى عنه حرقهم يعني : بالنار . وجاء عن عكرمة أن عليًّا رضي الله عنه حرق المرتدين فبلغ ابن عباس رضي الله تعالى عنه فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي ﷺ قال : « **لا تعذبوا بعذاب الله** » . - يعني : لا يعذب بالنار إلا الله عز وجل . - ولقتلتهم كما قال النبي ﷺ : « **من بدل دينه فاقتلوه** » . لا يعذب بالنار إلا صاحب النار وهو : الرب جل وعلا . إذًا الاتفاق حاصل في ماذا ؟ في كونهم كفار مرتدون ، لأنهم اعتقدوا الإلهية في علي رضي الله تعالى عنه ، وأجمعوا على وجوب قتلهم ، وإنما اجتهد علي رضي الله تعالى عنه لعظم ما ذكروه فحرقهم خَدَّ الأخاديد ، وأسقطهم فيها وأشعل عليهم النار ، وأما ابن عباس فحكى السنة النبوية « **من بدل دينه فاقتلوه** » . هذا هو الأصل ، القتل إنما يكون بالسيف . (**ولكن اعتقدوا في عليٍّ ، مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما**) يعني : اعتقاد النفع والضُّرّ . وأنهم يتوجهون إليها بسائر العبادات ، وأنهم يكونون وسطاء وشفعاء [بينهم وبين علي رضي الله] [44] بينهم وبين الرب جل وعلا ، حينئذٍ أتوا بالشرك معنًى ، وجعلوا عليًّا صنم أو لا ؟ جعلوا عليًّا معبودًا من دون الله تعالى ، ولو عُبِّر بصنم من جهة المعنى لا إشكال فيه ، (**فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم**) مع قولهم : لا إله إلا الله . وهم تعلموا من الصحابة وأدركوا الصحابة ، وهو زمن شريف حينئذٍ وقع الإجماع على كفرهم (**أتظنون الصحابة يكفرون المسلمين ؟**) لأن هذه تهمة تُرْمَى أو يُرْمَى بها الشيخ رحمه الله تعالى ، وكذلك ما يسمى بالوهابية أنهم يكفرون المسلمين ، لماذا ؟ لأنهم يقولون : لا إله إلا الله . ويصومون ويصلون ونحو ذلك ثم صباح مساء يستغيثون بعبد القادر الجيلاني والحسين .. ونحو ذلك ، فإذا حُكِمَ عليهم بالكفر مع قولهم لا إله إلا الله وأنهم مشركون - وعلى رأي الشيخ أنهم أشد كفرًا وشركًا من الأولين - حينها قالوا : أنتم تكفرون المسلمين !

من هم هؤلاء المسلمون ؟

الذين يطوفون في القبور صباح مساء (**أم تظنون الاعتقاد في تاجٍ وأمثاله لا يضُرّ ، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر**) لأنهم يقرون بأن من قتلهم علي رضي الله تعالى عنه بأنهم كفار ، المشركون هؤلاء العلماء الذين يفتون بجواز الاستغاثة بالنبي ﷺ يرون أن علي رضي الله تعالى عنه مصيب في هذا ، نقول : هذا إجماع ، فحينئذٍ

---

(43)
(44) سبق .

كيف تجعلون الذين اعتقدوا في عليّ أنهم كفار والذين يعتقدون في هذه القبور شمسان ونحوه ليس بكفار ، مع أن الطائفتين قد قالوا لا إله إلا الله وصلوا وصاموا ونحو ذلك ، إذًا هذا تفريق بين متماثلان وهذا باطل يُرَدُّ عليهم .
سئل الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى وهذا في الحاشية عن يوسف وشمسان وتاج ، هل هي معتقدات أو أسماء مواضع أو أسماء أشخاص ؟ وعن تاريخ كل منها ومن هم الذين كانوا يعتقدون فيها ؟ فأجاب رحمه الله تعالى هو : أن يوسف وشمسان وتاج أسماء أناس كفرة طواغيت . عباد مثل هذا عبد القادر الجيلاني ، لكن عبد القادر عالم ، يعني : معبودات من دون الله قبور ، وليست أسماء مواضع .
فأما تاجٌ فهو من أهل الخرج تصرف إليه النذور ويُدْعَى ويعتقد فيه النفع والضُّرّ وكان يأتي إلى أهل الدريعة من بلده الخرج لتحصيل ما له من النذور ، وقد كان يخافه كثير من الناس الذين يعتقدون فيه ، وله أعوان وحاشية لا يتعرض لهم بمكروه يخافوا منهم ، بل يُدْعى فيهم الدعاوى الكاذبة ، أو يُدَّعَى فيهم الدعاوى الكاذبة ، وتنسب إليهم الحكايات القبيحة ، ومما ينسب إلى تاجٍ أنه أعمى ويأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده ، يسافر يعني بدون قائد ، الجن تقوده [ها ها] .
وأما شمسان فالذي يظهر من رسائل إمام الدعوة رحمه الله أنه لا يبعد عن العارض وله أولاد يعتقد فيهم ذرية بعضها من بعض .
وأما يوسف فقد كان على قبره وثنًا يعتقد فيه ، ويظهر أن قبره في الكويت أو الأحساء كما يفهم من بعض رسائل الشيخ رحمه الله .
وأما تاريخ وجوده فهو قريب من عصر إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وقد ذكره في كثير من رسائله لأنه من أشهر الطواغيت التي يعتقد فيها أهل نجد وما يقاربها ، وكان يعتقدون فيها الولاية ويصرفون لهم شيء من العبادة وينذرون لهم نذور ، ويرجون بذلك نظير ما يرجوه عباد اللات والعزى . يعني : يصرفون إليهم سائر العبادات ولذلك قال هنا : (**أم تظنون الاعتقاد في تاجٍ وأمثاله**) . يعني : يوسف ومن ؟ شمسان (**لا يضر ، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر**) لأنهم يعتقدون أنَّ من اعتقد في علي الألوهية فهو كافر مرتد عن الإسلام ويحكون عليه الإجماع ، لماذا هذا التفصيل ؟ ولماذا هذا التفريق ؟ من اعتقد في عليّ الألوهية كفر بالإجماع ، ومن اعتقد في تاج وشمسان قلتم : فيه نظر ؟! هذا محل إشكال .
الجواب الخامس أو المثال نجعله مثالاً (**ويقال أيضًا : بنو عبيدٍ القداحِ**) عبيديون (**بنو عبيدٍ القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس**) أخذوا الحكم من المغرب إلى مصر شمال أفريقيا ، (**كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**) يعني : طائفة منهم . وإلا بعض الكفار ظاهرًا وباطنًا (**ويَدَّعُون الإسلام ، ويصلون الجمعة والجماعة**) يعني : أظهروا الشعائر العامة فالأصل فيه أن من أظهر الشعائر العامة الأذان والصلاة ونادى إنه بلد إسلام ، إذا امتثل للحكم بالشريعة قال : نحكم بالكتاب والسنة . وأظهروا الأحكام الشرعية العامة الأصل أنه بلد إسلام (**فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه**) يعني : الشرك الأكبر . (**أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم ، وأن بلادهم بلاد حرب ، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين**) الشاهد أن العلماء أجمعوا على كفرهم وأنهم مرتدون مع قولهم : لا إله إلا الله . إذًا اجتمع الناقض مع القول . وهم يقرون بهذا علماء المتأخرين أتباع المذاهب يقرون بأن العُبَيْدِيّة أنهم كفار باطنيّة . إذًا (**بنو عبيدٍ القداح**) يسمون أنفسهم بالفاطميين نسبة إلى فاطمة الزهراء وهي : نسبة كاذبة . وقد ظهروا على رأس المائة الثالثة والأولَى أن يقال : العبيديون . نسبة إلى عبيد الله المهدي أحد زعمائهم ، والقدَّاح اسمه ميمون بن ديصان أحد زعمائهم المؤسسين لدوتهم الباطلة .
قال ابن تيمية رحمه الله تعالى عن بني عبيد القداح : فإن غاية ما [يَزْعَمَهُ] يَزْعُمُهُ - هكذا زَعَمَ يَزْعُمُ - أنهم كانوا يظهرون الإسلام والتزام شرائعه - يعني : نسبوا إليهم أنهم كانوا يظهرون الإسلام ينتسبون للإسلام ، والتزام شرائعه الكبار العظام - وليس كل من أظهر الإسلام يكون مؤمنًا في الباطن . انتبه ! ليس كل من أظهر الإسلام يعني : قال لا إله إلا الله . وصلى وصام ، هل يحكم عليه بكونه في الباطن مسلمًا ؟ من أظهر الإسلام قال : لا إله إلا الله . هل يحكم عليه في باطنه في قلبه بأنه مسلم ؟ لا ، ما نحكم عليه ، ليس كل من أظهر الإسلام فهو موافق له في الباطن ، ولذلك سبق معنا مرارًا القسمة ثلاثية في الكفر .
من آمن ظاهرًا وباطنًا هذا المسلم حقًّا .
من كفر ظاهرًا وباطنًا فهو الكافر حقًّا .

من أظهر الإسلام وأبطن الكفر ما حكمه ؟ هذا المنافق .
إذًا أظهر الإسلام ، إذًا إظهار الإسلام لا يَلْزَمُ منه أن يكون في الباطن كذلك ، إذًا ليس كل من أظهر الإسلام يكون باطنه مؤمنًا ، هذا الذي أراده رحمه الله تعالى ، وليس كل من أظهر الإسلام يكون مؤمنًا في الباطن ، إذ قد عرف في المظهرين للإسلام المؤمن والمنافق ، إذًا كل من أظهر الإسلام فإما أن يكون مؤمنًا وذلك إذا وافق باطنه ظاهره ، وقد يكون كافرًا وذلك إذا خالف باطنه ظاهره ، أليس كذلك ؟ إذًا كونه أظهر الإسلام لا يستلزم الإيمان الباطن . قال تعالى : (**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**) [البقرة : 8] . (**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ**) يعني : أتوا بما يدخلهم في الإسلام ، حكم الله تعالى عليهم بقوله : (**وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**) . لأنهم منافقون وهؤلاء قوم - يقصد به العبيدين - وهؤلاء القوم يشهد علماء الأمة وأئمتها وجماهيرها أنهم كانوا منافقين زنادقة وإن أظهروا الإسلام ، فهم منافقون زنادقة ، يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ، إذًا كونهم يقولون : لا إله إلا الله . ويصلون ويقيمون الجمعة والجماعات ويأذنون ليس بمناع عن الحكم عليهم بالكفر والردة عن الإسلام .. إلى أن قال : " وكذلك النسب قد علم أن جمهور الأمة تطعن في نسبهم ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود " . ليسوا فاطميين ولا من الآل .
قال الذهبي رحمه الله تعالى : قال القاضي عياض : أجمع العلماء بالقيروان أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة . إذًا مع كونهم أظهروا الإسلام ، إذًا الشاهد من كلام المصنف أن بني عبيد القداح أظهروا الإسلام وقالوا : لا إله إلا الله . وأجمع العلماء على كفرهم ، إذًا لا يحتج بكل من قال : لا إله إلا الله . بأنه لا يمكن أن يخرج من الملة ، (**فلما أظهروا مخالفة الشريعة**) يعني : عدم الالتزام وجهل الشريعة (**في أشياء دون ما نحن فيه**) ما هو الذي نحن فيه ؟
مسائل الشرك ، دون المسائل الشركية التي نحاجّ فيها أصحاب الشرك ، (**أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم ، وأن بلادهم بلاد حرب**) مع كونهم يرفعون تحكيم الكتاب والسنة ، (**بلاد حرب ، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين**) وبقيت دولتهم مائتي سنة وثمانيًّا وستين سنة .
الجواب السادس : (**يقال أيضًا : إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسل والقرآن ، وإنكار البعث ، وغير ذلك ، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب (باب حكم المرتد)**) .
يعني : كأن المشبه هنا صاحب الشبهة يرى أنه لا يُحكم عليه بالشرك إلا إذا جمع بين أفراد الكفر كلها بحذافيرها ، لا بد أن يُكذِّب بالنبي ﷺ ، ويُكَذِّبُ بالقرآن ، ويجحد البعث ، ويجحد ...1.00.29# نحكم عليه بأنه انتقض عنده الإسلام ، وهذا قولٌ مُفْتَرى (**إذا كان الأولون**) يعني : الذين حكم عليهم النبي ﷺ بالشرك . (**لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسل والقرآن**) يعني : تكذيب القرآن (**وإنكار البعث ، وغير ذلك**) من مفردات الإسلام (**فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب (باب حكم المرتد)**) ومن هو المرتد ؟ (**وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ، ثم ذكروا أنواعًا كثيرة**) مما تحصل بها الردة ولذلك يكاد يكون اتفاق أن الكفر قد يحصل إما باعتقاد ،وإما بقول ، وإما بعمل وإما بشك . هذه أربعة أمور هي أصول المكفرات ، كلها ترجع يعدونها ثلاثين أربعين بعض الأصول خمسين كلها ترجع إما للاعتقاد القلبي ، وإما إلى قول اللسان ولو لم يكن معه اعتقاد ، وإما إلى عمل ولو لم يكن معه قول أو اعتقاد ، وإما شك ، وحصر التكفير أنه لا كفر إلا باعتقاد ، هذا قول الجهمية ، ولا ينسب إلى أهل السنة والجماعة (**ثم ذكروا أشياء**) يعني : (**أنواعًا كثيرة**) ومردها إلى الأربعة التي ذكرناها (**كل نوعٍ منها يكفر**) (**كل نوعٍ منها**) على حدة لوحده (**يكفر**) يعني : لا يحتاج إلى أن ينضاف معه الشرك ، بل نقول : من ادعى النبوة كفر ولو أقر بـ لا إله إلا الله وصلى وصام . إذًا هذا مكفر كونه ادعى النبوة مكفر ، هل يشترط في كونه مكفرًا [أن ينضاف إليه كل إنكا] [45] أن ينضاف إليه إنكار كل أمور الدين حتى نحكم عليه أنه مكفر ؟
الجواب : لا ، بل لوحده لذاته يعتبر ناقضًا للإسلام ، فمن ادعى نبوة أحد بعد محمد ﷺ حكمنا عليه بالكفر ، هل يشترط انضمام شيءٍ آخر ؟
الجواب : لا ، إذًا لوحده دون انضمام شيء آخر نحكم بكونه ناقضًا .

---

(45) سبق .

(**كل نوعٍ منها**) على حده (**يكفر ويحل دم الرجل وماله**) بحكم حاكم (**حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها**) يعني : عند الناس . (**أشياء يسيرة**) مثل ماذا ؟ (**مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه**) وهذا متفق عليه بين المذاهب في أن الكفر قد يكون بالكلمة دون اعتقاد القلب ، إذ ليس من شرط الكفر اعتقاد القلب ، ولذلك قلنا : الأنواع أربعة : اعتقاد ، وقول ، وعمل ، وشك .

لا يشترط في الثلاثة المتأخرة أن يكون معها اعتقاد ، إذ لو شرطنا الاعتقاد حينئذٍ صح أن يقال : بأنه لا كفر إلا باعتقاد . وإذا كان كذلك حينئذٍ رددنا الإيمان إلى الاعتقاد والمعرفة فحسب ، وهذا مذهب الجهم ، فهمتهم ؟ إذا قلنا : لا كفر إلا باعتقاد . ومعلوم أن الكفر نقيض الإيمان ، ما لا يكون إيمان هو الذي يكون كفرًا ، إذا حصرنا الكفر في الاعتقاد معناه أن الإيمان اعتقاد ومعرفة ، وليس قولاً باللسان ولا عملاً بالأركان ، واضح ، وهذا قول من ؟ قول الجهمية أنه يكتفا بالإيمان بالحكم على الشخص بكونه مؤمنًا المعرفة فيلزمه أنه إبليس مؤمن لأنه يعرف ربه (**كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب**) كما جاء في الحديث المتفق عليه « **إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد من ما بين المشرقين** » . فلو تكلم بكلمة الكفر هازلاً أو لاعبًا كفر عند الجميع ولا عبرة باعتقاده ، هذا متفق عليه أو لا ؟

متفق عليه أن من النواقض التي يخرج بها المسلم عن دائرة الإسلام الكلمة يعني : كلمة الكفر . كسبِّ الله تعالى وسبِّ الإسلام وسبِّ النبي ﷺ حينئذٍ سواء كان معتقدًا لمعناها أو لا كفر سواء كان جادًا أو هازلاً كفر ، لماذا ؟ لأن الحكم مرتب هنا على مجرد اللفظ فحسب دون أن يكون معه اعتقاد ، ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : إن سبّ الله تعالى أو سبّ رسوله كفر ظاهرًا وباطنًا - مع كون الحكم معلق على مجرد السبّ يعني : كل من سبّ الله تعالى حكمنا عليه بكونه كافرًا ظاهرًا وباطنًا ، ولا يعذر بجهل البتة في مثل هذه ، كفر - ظاهرًا وباطنًا وسواء كان السابّ يعتقد أن ذلك محرم أو كان مستحلاً له أو كان جاهلاً عن اعتقاده ، يعني : مطلقًا كل من سبّ الله تعالى فهو كافر مرتد عن الإسلام سواء كان مستحلاً للسبّ أو لا ، سواء كان معتقد لمعناه أو لا ، سواء كان مازحًا هازلاً أو لا ، لأن هذه ينافي ماذا ؟ ينافي التعظيم للرب جل وعلا ، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل هكذا ذكره شيخ الإسلام في ((**الصارم المسلول**)) انظر هنا بناه على ماذا ؟ سبّ الرب جل وعلا يكفر أو لا يكفر ؟

هذه المسألة يقع فيها نزاع ، ليس فيها نزاع عند المتقدمين هو كفر مخرج من الملة بإجماع ، لكن عند المتأخرين خاصة المسائل العصرية يذكرون هذه المسألة من حيث العذر بالجهل أو لا ؟ يُعذر أو لا ؟

نقول : مبنى المسألة على مسألة الإيمان قول وعمل ، ولذلك قال ابن تيمية هنا انتبه : هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل . إذًا لم يكن الإيمان قولٌ وعمل ليس من أهل السنة ، ويقع عنده خوف من مثل هذه المسائل ، من سبّ الله يكفر أو لا يكفر ؟ من ادعى النبوة يكفر أو لا يكفر ؟ .. إلى آخره ، وسرّ المسألة أنهم يخرجون العمل عن دائرة الإيمان ، يعني : العمل الظاهر هذا ركن عند أهل السنة والجماعة كما سيختم به المصنف في آخر الكتاب ، أن التوحيد اعتقادٌ وقولٌ وعمل ، حينئذٍ العمل هل هو داخلٌ في مسمى الإيمان أو لا ؟

إجماع السلف على أنه داخلٌ في مسمى الإيمان ، والمراد به جنس العمل ، يعني : لا بد أن يعمل ، فمن كَفَّرَ تارك الصلاة حدد الجنس ، ومن لم يكفر حينئذٍ لا بد وأن يعمل من ادَّعى الإيمان شيئًا ما صلاةً ، أو زكاةً ، أو حَجًّا ، أو صومًا .. أو نحو ذلك ، لا بد أن يأتي بشيءٍ من هذه الأمور ، هذا إذا قلنا بأن العمل داخلٌ في مسمى الإيمان وهو مذهب أهل السنة والجماعة ، حينئذٍ القاعدة الأخرى وهم مرجئة بأنواعها أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان ، الكفر نقيض الإيمان فحينئذٍ إذا فعل ما هو عملٌ في الظاهر وحكمنا عليه بأنه كفر ، على القول بأن العمل داخلٌ في مسمى الإيمان - وهو مذهب السلف - لا إشكال فيه ، يخرج من الملة بوجود هذا العمل ، من يخرج العمل عن مسمى الإيمان لا يمكن أن يُكَفِّر بعملٍ ظاهرٍ دون أن يصحبه اعتقادٌ البتة ، لا يمكن لماذا ؟

لأنه ما فعل شيئًا يخرجه عن دائرة الإيمان ، هو العمل كله ليس داخلاً في مسمى الإيمان ، فكيف نقول : بأنه كفر لفعل كذا ولفعل كذا ، فثَمَّ تعارض بين القولين مبناه على الخلاف ، نقول : الخلاف عند المتأخرين ، أما السلف فليس عندهم خلاف في أن العمل داخلٌ في مسمى الإيمان ، بل إجماعٌ كما سيذكره المصنف في آخر الكتاب بأن الإيمان والتوحيد والإسلام اعتقادٌ ، وقولٌ ، وعملٌ ، والمراد بالعمل هنا عمل الجوارح ، فإذا انتفى هذا الركن الثالث كانتفاء الاعتقاد ، ما ينفعه الإيمان وإذا انتفى الركن الثالث هذا العمل كانتفاء القول فلا ينفعه الإيمان ، حينئذٍ الكفر نقيض الإيمان ، فيكون بالاعتقاد وهذا يدخل فيه الشك لأنه محله القلب ، ويكون بالقول ، ويكون بالعمل ، من أخرج العمل

عن مسمى الإيمان لا بد أن يقول بأن هذا كفرٌ الذي هو العمل الظاهر لاعتقاده كذا وكذا ، لا بد أن يجعلوا الاعتقاد قيدًا في الحكم عليه بالكفر ، ولذلك يقولون في قوله تعالى : (**(وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ) [التوبة : 74]**) . قالوا : هذه الكلمة كشفت عن كفرهم ، سبّ الله تعالى هل هو كفرٌ أو لا ؟ لا ، ليس بكفرٍ عندهم ، وإنما هو دليلٌ على الكفر ، أمَّا السبّ نفسه فليس بكفرٍ ، ولذلك بعضهم يحكي - المعاصرين - يقول : [ثم خلافٌ في] [46] لا خلاف في السبّ دون السابّ . لا خلاف في السبّ أنه كفرٌ ، وأما السابُّ فهذا محل خلاف ، ونحن نقول : لا فرق بينهما ، كل من تلبس بهذا الفعل فقد فعل مكفرًا فأخرجه من الملة ولو اشترطوا فيه الاعتقاد ، لا يشترط فيه الاعتقاد ، على كلٍّ هذا سيأتي بحثه في آخر الكتاب .

إذًا : هنا قال : (**أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب**) . وذكرنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في من سبّ الله تعالى وأنه كافرٌ ظاهرًا وباطلاً وأنه لا يعذر بالجهل البتة . فلو ادَّعَى الجهل لم يُقبل منه مطلقًا ، وأن هذه المسألة مبناها - عند شيخ الإسلام - وهو الحق مبناها على أن الإيمان قولٌ وهو عمل ، وأما من أخرج العمل فعنده نظرٌ في مثل هذه المسائل ، إذًا : ما هو أول الجواب ؟

...

إذًا : المثال الرابع الذي ذكره الجواب السادس هنا ، ذكر العلماء في أبواب الفقه باب حكم المرتد ، وهذا الباب خاصٌ بمن يقول : لا إله إلا الله ، ثُمَّ يرتكب ناقضًا حينئذٍ نقول : هذا محل إجماع ، والتوحيد أول الأعمال التي تذكر فيها النواقض . (**ويقال أيضًا**) وهو المثال الخامس ، أو الجواب السابع هنا ذكرها أمثلة أحسن المثال الخامس : المنافقون الذي كفرهم الله عز وجل في عهد الرسول ﷺ هذا واضح بَيِّن ، أناس قالوا : لا إله إلا الله ، وحكم الله تعالى بأنهم كفار مع قولهم : لا إله إلا الله هل بينهما تعارض ؟

الجواب : لا . ليس قول لا إله إلا الله مطلقًا هكذا بدون قيود وبدون شروط يعتبر مانعًا وحقانًا للدم ، لا ، بل قد يقول : لا إله إلا الله وهو من أكفر خلق الله تعالى ، أي لا تعارض ، (**ويقال أيضًا : الذين قال الله فيهم : (يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ) [التوبة : 74]**) (**(وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ)**) انظر هنا قيد الحكم بالكلمة ، فدل على أن الإنسان قد يخرج من الملة بكلمةٍ واحدة ، وهل يشترط فيها اعتقاد معناها ؟ الجواب : لا . بل ولو كان هازلاً أو مازحًا حينئذٍ يحكم عليه بالكفر .

اختلف العلماء في هؤلاء هل كانوا من المنافقين أو لا ؟

لأن الله تعالى قال : (**(وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ)**) . وهذا مبناه على هل هذه الآية لها سبب نزول أو لا ؟

ذكر بعضهم أن لها سببًا ، والمرجح أنها ليس لها سبب كما ذكر ابن جرير الطبري ، وكذلك القرطبي من المتأخرين . قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذبًا على كلمة كفرٍ تكلموا بها أنهم لم يقولوها ، وجائزٌ أن يكون ذلك القول ما رُوِيَ عن عروة عن الجلاس أنه قال : وجائزٌ أن يكون قائله عبد الله بن أُبَيّ بن سلول والقول ما ذكر قتادة عنه أنه قاله ولا علم لنا بأن ذلك من أيٍ . يعني : لم يثبت أن هذا القول من أيٍ بعينه ، إذ كان لا خبر بأحدهما يوجب الحجة ويتوصل به إلى يقين العلم به ، وليس مما يُدرك علمه بقدرة العقل والصواب أن يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه : (**(يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ) [التوبة : 74]**) . وهو شأن كل منافقين ، يقولون كلمة الكفر ويحلفون بالله على أنهم لم يقولوا ، إذًا : اختلف العلماء في هؤلاء هل كانوا من المنافقين أو لا ؟ وقوله : (**(وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ)**) . ظاهره أنهم ليسوا من المنافقين ، لكن على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ليس كل من أظهر الإسلام حكم عليه بالباطن بأنه مسلم ، ومعلومٌ أن المنافقين يُظهرون الإسلام ، إذًا (**(وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ)**) الظاهر أم الباطن ؟ الظاهر أنه الظاهر ، أليس كذلك ؟ (**(وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ)**) يعني : الظاهر ، والظاهر هذا يشمل المنافقين أو لا ؟

يشمل المنافقين ، إذًا الآية محتملة بخلاف الآيات (**(لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)**) هذه نزلت في المنافقين ، وقوله : (**(وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ)**) . حيث جعل الكفر بعد الإسلام والإسلام هو الظاهر هنا ، دل على أن الكفر حصل منهم بمافات ما قالوا للإسلام الظاهر ، إذًا هذه الكلمة نفت عنهم الإسلام الظاهر ، والإسلام الظاهر معلومٌ

---

(46) سبق .

عند أئمة الفقه أنه يثبت بقول : لا إله إلا الله ، فنفى من قال لا إله إلا الله حينئذٍ يُمْسَكُ عنه حتى ينظر في بقية الأحكام الشرعية ويثبت له الإسلام الظاهر ، ما الذي ينقض الإسلام الظاهر هذا ، هنا ذكر (**(وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ)**) فدلّ على أن هذا الناقض متعلقٌ بكلمة ، نقض ماذا ؟

نقض الإسلام الظاهر ، وهذا يشمل النوعين المنافقين وغيرهم ، لأن المنافقين قد أسلموا ظاهرًا ولم يؤمنوا باطنًا ، فإذا أظهر شيئًا مما يخالف أصل الدين ، وكان الحكم أنه من النواقض كفر بعد إسلامه ، وكذلك إذا كان من غير المنافقين فالحكم يعتبر عامًا .

(**(يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ)**) ، (**(مَا قَالُواْ)**) هنا قيد الحكم على القول فدل على أن المعتبر هو القول ولا يشترط فيه الاعتقاد ، لو قال لك قائل : ما الدليل على أن الكفر يكون بالقول ؟ من الأدلة هذه الآية ، لأنه قال : (**(يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ)**) . إذًا : مبنى الحكم هنا وهو التكفير والكفر هو على القول ، [إذ لو كان الاعتقاد شرطٌ $ سبق] إذ لو كان الاعتقاد شرطًا حينئذٍ لقالوا : ما اعتقدنا ، لا يتسلط الحكم على القول وإنما على الاعتقاد ، لقالوا : هذه الكلمة نقول معنى لكن لم نعتقد ، وإذا اشترطنا الاعتقاد في صحة إطلاق كفر بالقول على القائل حينئذٍ صح النفي للقول ، فيقال : نحن ما كفرنا وإن قالوا كلمة الكفر لماذا ؟

لانتفاء شرط التكفير بالقول وهو الاعتقاد ، لكن الحكم هنا معلق بماذا ؟

بالقول ، فتنبه لهذا .

دلّ على أن الكفر معتبرٌ فيه القول ولو كان يحميهم عدم الاعتقاد لَنَفَوْهُ عن أنفسهم ، يعني نفوا الاعتقاد وأقروا بالقول لأنهم يقصدون البعد عن الكفر . (**أما سمعت الله كفرهم بكلمة**) ولم يشترط هنا ولا في غيره الاعتقاد (**مع كونهم في زمن رسول الله ويجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون**) أعمال جليلة مع مَنْ ؟ مع النبي ﷺ ، ومع ذلك أظهروا الإسلام وكفرهم الله تعالى ، مع قولهم لا إله إلا الله .

(**وكذلك الذين قال الله تعالى فيهم : (قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) [التوبة : 65 ، 66]**) هؤلاء كانوا من المنافقين كما قال سبحانه في أول الآيات : (**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ**) [التوبة : 64] . إلى أن ذكر هذه الآية ، فدلّ السياق على أنهم كانوا من المنافقين .

وأخرج ابن جرير في بيان قصة هذه الآية عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رجلٌ في غزوة تبوك في مجلسه يومًا : ما رأينا مثل قراءنا هؤلاء لا أرغب بطونا أو أرغب بطونًا ، ولا أكذب ألسنًا ، ولا أجبن عند اللقاء . فقال رجلٌ في المجلس : كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن بكفرهم . قال عبد الله : فأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب . والنبي ﷺ يقول : (**(أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ)**) . إذًا : إذا قال لا إله إلا الله فاستهزئ بالله كسبٍّ ولعنٍ .. ونحو ذلك كفر ، لو قال : لا إله إلا الله وأتى بسائر الأمور الشرعية واستهزئ بآيات الله بالقرآن سخر بالقرآن ، كذّب بعض القرآن داخلٌ في الاستهزاء كفر ، لو قال لا إله إلا الله واستهزئ برسول الله ﷺ كذلك كفر ، بنص الآية (**(قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ)**) إذًا علَّق الحكم هنا على أي شيء لأنه حكم بكفرهم ، وثَمَّ نواقض لأنهم منافقون علَّق الحكم على الاستهزاء فدلّ على أن الاستهزاء بواحدٍ من الأمور الثلاثة المذكورة يعتبر ناقضًا لأنه نقض إسلامهم الظاهر ، وأما الباطن فهذا معلومٌ أنهم منافقون ، حينئذٍ حكم عليهم بظاهرهم أنهم كفار ، ولذلك إذا قلنا : بأنهم منافقون ما الفائدة (**(لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)**) ؟

...

الإيمان الظاهر الذي يكون بلا إله إلا الله ، (**فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم ، وهم مع رسول الله في غزوة تبوك**) كانت عام تسع من الهجرة ، (**قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح**) يمزحون يقطعون بها طريق ومع ذلك هي كلمة كفر ، وحكم عليهم الرب جل وعلا بأنهم كفار ، ولم يشترط فيه الاعتقاد ، بل ولم يقال بإقامة الحجة عليهم ، لأن الحجة قائمة بالنبي ﷺ .

إذًا : دلت هذه الآيات على أن هؤلاء كانوا منافقين وتكفيرهم لأجل ما وقع منهم من الاستهزاء بالله وآياته ورسوله ، فعلق الحكم وهو التكفير على الاستهزاء ، (**فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم : تكفرون المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون ، ثم تأمل جوابها**) التأمل التدبر (**فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق**) يعني :

يُستدل عليهم - هذا أعظم - يستدل عليهم بما حكموا هم به بالكفر على من قال : لا إله إلا الله بجحد الصلاة أو جحد البعث .. ونحو ذلك وبإجماعات الصحابة في قصة عليّ وكذلك المرتدين .

(**ومن الدليل على ذلك أيضاً ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم**) ، (**بني إسرائيل**) هم اليهود إسرائيل هو يعقوب عليه السلام (**مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى : (اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) [الأعراف : 138]**) هذه مرت معنا في ما سبق ، أن العالم قد يخفى عليه شيءٌ من أنواع الشرك ، وقد تخفى عليه بعض مفردات التوحيد ، أما أصل التوحيد لا بد أن يكون واضحًا ، وأصل الشرك لا بد أن يكون واضحًا ، وأما بعض أفراد التوحيد أو بعض أفراد الشرك فقد تخفى على العالم .

إذًا : (**ما حكى الله**) يعني : ما قص الله عز وجل في قصة بني إسرائيل ، وجه الاستدلال أن المسلم الذي يتبع نبيًّا - وهم قد اتبعوا موسى عليه السلام - قد يتخذ إلهًا مع الله ، وهم قد فهموا أن العكوف على الأصنام تقربًا عبادة (**فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهاً**) [الأعراف : 138] ما قالوا اجعل لنا صنمًا (**فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهاً**) إذًا فهموا من تلك الحال قوم يعكفون على أصنام أنه تأليهٌ لهذه الأصنام ، أليس كذلك ؟ فهموا أن هذا الوصف وهذا الفعل العكوف على الأصنام أنه تأليه لتلك الأصنام ، فلذلك طلبوا إلهًا يُعبد في الأرض كما ثَمَّ إلهٌ يعبد في السماء (**فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهاً**) نتوجه إليه في الأرض كما نتوجه إلى الله تعالى في السماء . إذًا عندنا عكوف ، وعندنا (**يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ**) لِمَ ؟ طلبًا للبركة ، عندنا عكوف ، وعندنا طلب بركةٍ ، كلٌ منهما عبادة مستقلة ، وكلٌ منهم شركٌ أكبر مخرجٌ من الملة ، هنا لما طلبوا وهم لم يفعلوا - كما سيأتي في الشبهة على هذه القصة - حينئذٍ لم يخرجهم الطلب عن مجرد الطلب عن كونه مسلمين لأنهم نهوا وكفوا ولم يفعلوا فحكمنا عليهم بكونهم مسلمين على الأصل ، (**قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**) [الأعراف : 138 ، 139] ، (**وقول أناسٍ من الصحابة : " اجعل لنا يا رسول الله ذات أنواط "**) هذا حديث أبي واقد الليثي رض الله عنه أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حُنَيْن مرّ بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط ، ذات يعني : صاحبة ، أنواط جمع نوطٍ وهي ما يُعلق عليه الشيء ،شجرة يعلقون عليها أسلحتهم طلبًا للبركة ، وهذا شرك أكبر أن يُطلب من الشجرة البركة كما يطلق من عبد القادر الجيلاني ، أو الحسين ، يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم قالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال النبي ﷺ : « **سبحان الله هذا كما قال قوم موسى** » وفي بعض الروايات « **الله أكبر إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم** » وفي بعض الروايات « **سَنَنَ من كان قبلكم** » . (**وقول أناسٍ**) يعني : من الصحابة (**اجعل لنا يا رسول الله ذات أنواط " فحلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل اجعل لنا إلهًا**) إذًا طلبٌ للتأليه ، ففعلهم حينئذٍ يكون عبادة يُتوجه بها إلى غير الله تعالى ، إذ لا يكون الشيء الذي تُوجه إليه بعملٍ أو قولٍ مألوهًا إلا إذا كان ذلك القول أو الفعل عبادة ، نعم ، لا يكون الشيء مألوهًا إلا إذا تُوجه إليه بقولٍ أو فعلٍ وحكمنا على هذا القول أو الفعل بأنه عبادة وإذا لا يكون مألوهًا ، لأن المألوه المراد به المعبود الذي صُرفت إليه شيءٌ من العبادة . وهنا النبي ﷺ شَبَّهَ مقولتهم (**" اجعل لنا ذات أنواط "**) . يعني : شجرة نعلق عليها ماذا تطلبون ؟ البركة ، إذًا هذا تأليه للشجرة ، كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام . قال في ((**فتح المجيد**)) : شَبَّهَ مقالتهم هذه بقول بنو إسرائيل بجامع أن كلاً طلب أن يُجعل له ما يألهه يعني : يجعل له إله ، فهم أرادوا بهذه الشجرة أن تكون إلهًا تعطيهم البركة في أسلحتهم ، أن يجعل له ما يألهه ويعبده من دون الله تعالى وإن اختلف اللفظان فالمعنى واحد ، فتغير الاسم لا يغير الحقيقة ، تغير الاسم لا يغير الحقيقة .

إذًا : هذان أو هاتان القصتان أوردهما المصنف على أن المسلم قد يكفر ، وذلك إذا فعل ما هو شركٌ أكبر مخرجٌ من الملة ، [وهذه الشبهة وهذا أو] [47] وهاتان القصتان سَيَرِدُ عليها شبهة وجوابها ، نؤجله إلى الغد إن شاء الله تعالى .

وصلّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

---

(47) سبق .

الدرس 17
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .
أما بعد :
سبق الحديث عن الشبهة الكبرى التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى التي يدلي بها علماء متأخرين ممن تَلَبَّسُوا بالشرك الأكبر ، وهي أنهم وقفوا مع النصوص التي فيها إطلاق حرمة الدم والمال لكلّ من قال : لا إله إلا الله . وعمّموا حكم بأن من استغاث بغير الله تعالى عُصِمَ دمه وماله ولا يجوز تكفيره ، وكذلك لو ذبح لغير الله أو فعل شيئًا من العبادات التي يُتوجه بها إلى تلك الأوثان من الأصنام وغيرها . ولذلك عقد المصنف هذه الشبهة ورد عليها بأطول جوابٍ في هذه الأوراق كما نص عليه في آخر هذه الشبهة . قال رحمه الله تعالى :
(**وهي إنهم يقولون : إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذّبون رسول الله ﷺ ، وينكرون البعث ، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرًا**) . إذًا لم يؤمنوا بشيءٍ مما جاء به النبي ﷺ ، لم يقولوا فضلاً على أن يؤمنوا بمدلول لا إله إلا الله ، وكذلك كذّبوا الرسول ﷺ ، وكذبوا القرآن وأنكروا البعث ، حينئذٍ جاءوا بكل ما يناقض الإسلام ولم يأتوا بشيءٍ من الإسلام ، وهؤلاء المتأخرون قالوا : لا إله إلا الله ، وآمنوا بالرسول ﷺ ، وآمنوا بالقرآن ولم يقولوا : هو سحر بل صدقوا به ،كذلك صلوا وصاموا وحجوا وذكروا الله تعالى كثيرًا ، بل منهم من عرف بالتعبد والزهد في الدنيا ونحو ذلك . حينئذٍ : صُعب على من جهل شأن التوحيد أن يحكم بالكفر والرِّدَّة على الإسلام لمن صرف شيئًا من العباد لغير الله تعالى بمن جاء بما ذكرناه سابقًا . ورد المصنف عليهم بثلاثة أجوبة على جهة الإجمال .
الجواب الأول : الإجماع على أن من صدّق الرسول ﷺ في شيءٍ من هذا الدين وكذّبه في شيءٍ آخر أنه يكفر لأن الإسلام لابد من أخذه جملةً وتفصيلا ، جملةً في الجُمْلِ وتفصيلاً في التفصيل ، فمن فرق بين جزءٍ وجزء ، وآحادٍ وآحاد ، ومسألة وَمسألة ، وحكمٍ وحكم . فحكمه في الشريعة بإجماع أهل العلم أنه كافر ، وأورد لذلك أمثله من أقرّ بالتوحيد وجحد الصلاة فهو كافرٌ بإجماعٍ حتى هؤلاء المخالفون عندهم من أقرّ بالتوحيد وجحد الصلاة كَفَرَ ، لأنه أنكر معلومًا من الدين بالضرورة . إذا كان الأمر كذلك فحينئذٍ .
الجواب الثاني : الاستدلال عليهم بما يُقرون به ويعتقدونه وهو أن التوحيد أعظم الفرائض . هذا أمرٌ متفقٌ عليه ، « **وليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم أجابوك لذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلواتٍ في اليوم والليلة** » . فدلّ على أن منزلة الصلاة بعد منزلة التوحيد ، وهم قد أقروا بأن من جحد الصلاة وجوب الصلاة فهو كافرٌ مرتدٌ عن الإسلام ، ومن جحد التوحيد ، حينئذٍ إذا أقررتم واعتقدتم بأن من جحد وجوب الصلاة كافرٌ فمن بابٍ أولى وأحرى أن من جحد التوحيد فهو كافرٌ . إذًا نستدل عليهم بما يعتقدونه ، وهذا من باب قياس الأولى ، إذا ثبت في الأدنى وهو الصلاة والزكاة والصوم والحج أن من جحد واحدًا منها ، وكذلك البعث كما أورده المصنف ، من جحد شيئًا من هذه فحكمه أنه كافر بإجماع ، وهذا أمرٌ متفقٌ بين الطرفين . حينئذٍ محل الخلاف وهو التوحيد . نقول : هذا أعظم الفرائض بإجماع حينئذٍ يلزم منه أن من جحده يكفر من بابٍ أولى وأحرى .
فالجواب الثالث : ذكر المصنف أمثلة لمن أتى بلا إله إلا الله ومع ذلك حكم عليه بالكفر أو بالمقاتلة ، القتل من جهة الصحابة بل من جهة النبي ﷺ كما هو الشأن في المنافقين ، إذًا نرد عليهم ببعض الأمثلة والوقائع التي حصلت إما في زمن النبي ﷺ ، وإما في زمن الصحابة ومن بعدهم ، وهذه الأمثلة سردها المصنف رحمه الله تعالى سردًا وهي :
أولاً : المثال الأول : بنو حنفية أتباع مسيلمة الكذاب هؤلاء أجمع الصحابة على كفرهم وقتلهم لأنهم شهدوا أن مسيلمة نبي ، إذًا رفعوا بشرًا مخلوقًا ليس بنبني إلى رتبة النبي محمد ﷺ ، وحكم الصحابة كلهم بأنهم كفار مرتدون عن الإسلام ، حينئذٍ وجب قتلهم وقتالهم ، فمن رفع مسيلمة إلى مرتبة النبوة كفر وإن قال : لا إله إلا الله . وإن صلى وصام وزعم أنه مؤمن مسلم ، فمن جعل بشرًا مخلوقًا في مرتبة الخالق يكون كفره من باب أولى وأحرى هذا واضح بين .

المثال الثاني : الذين اعتقدوا في عليّ رضي الله تعالى عنه والاعتقاد هنا إما في جعله إلهًا - وهذا هو المشهور - ، وإما في كون النبي ﷺ قد عهد إليه بالرسالة والنبوة ، والأول أشهر ، ولذلك أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ، وهذا محل وفاق وإن كان الخلاف في كيفية قتلهم .

المثال الثالث : العبيديون بنو عُبيد القداح ، وهذا أولاء قد أجمع أهل العلم على كفرهم مع كونهم بعضهم وليس جميعهم يقولون : لا إله إلا الله . يعني : يشهدون بالشهادتين . ويدّعون الإسلام ظاهرًا ويصلون الجمعة والجماعة ، إذًا أظهروا شعائر الإسلام وارتكبوا ناقضًا من النواقض ، أو نواقض عدة فمع كونهم نطقوا بـ لا إله إلا الله لا ينفعهم ذلك النطق مع وجود تلك النواقض ، ولذلك أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم .

المثال الرابع : الباب الذي عقده العلماء في كتب الفقه في أبواب الفقه باب حكم المرتد ، وهو الباب الخاص للمسلم الذي قال : لا إله إلا الله . ثم ارتكب ناقضًا من النواقض ، حينئذٍ إذا كان المؤمن أو المسلم إذا قال : لا إله إلا الله . ولا يمكن بعد قوله : لا إله إلا الله . أن يخرج من الملة ما فائدة هذا الباب ؟ ليس له فائدة المسلم الذي كفر بعد إسلامه ، المسلم الذي كفر وارتد بعد إسلامه ، حينئذٍ لو لم يكن الناقض له أثر في إزالة أثر لا إله إلا الله ، وهو رفع العصمة عصمة الدم والمال حينئذٍ ما الفائدة من هذا الباب ، وهو أمر متفق عليه وذكروا أشياء أقل مما نحن فيه وهو : صرف العبادة لغير الله جل وعلا .

المثال الخامس : المنافقون الذين في عهد النبي ﷺ وهذا لو قدَّمه المصنف رحمه الله تعالى كان أولى لأنه يكون تنزلاً في الزمن ، كفرهم الله عز وجل في عهد رسول الله ﷺ لما سَخِرُوا بالصحابة ، وذكر آيتين الأولى مختلف في سبب نزولها وهي قوله تعالى : (**(يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ) [التوبة : 74]**) . قلنا : سواء كان الكفر هنا صحبه الباطن أو لا ، ليشمل حينئذٍ المنافق والمسلم الذي وافق باطنه ظاهره لأنه قوله : (**(وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ)**) . خصها بعض أهل العلم بمن لم ينافق يعني : غير المنافق . وهذا ظاهر واضح بَيِّن لكن نقول : الإسلام قد يُطلق ويراد به الإسلام الظاهر ، وهو من أتى بـ لا إله إلا الله وأظهر الإسلام ، وأما باطنه يوافق ظاهره هذا ليس بحثه إلينا وإنما نكل الناس إلى ظاهرهم فمن أظهر الإسلام حكمنا عليه بكونه مسلمًا ، وكونه في الباطن موافق أو مخالف هذا شأنه للرب جل وعلا ، هنا المنافقون أو على جهة العموم (**(قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ)**) ، (**(قَالُواْ)**) هنا النص على أن الحكم معلق بالقول فدل على أن القول هو الذي علق عليه الحكم فمتى ما وُجِدَ القول وُجِدَ الحكم وهو الكفر ، دلَّ ذلك على أن الاعتقاد غير مشترك في مثل هذا القول ، وقد ذكرنا أن أصول المكفرات التي يذكرها الفقهاء في باب حكم المرتد ترجع إلى أربعة أنواع ، وهي :

الاعتقاد ، والقول ، والعمل ، والشك .

هذه الأربعة ، وإن كان مردّ الشك إلى الاعتقاد ، كل واحد منها - انتبه !- كل واحد منها يعتبر مكفرًا ولا يشترط فيه الآخر ، وأما الاعتقاد هذا واضح يوافق فيه المخالف وغيرهم ، وأما القول والعمل فهذا في نفسه في ذاته يُعتبر مكفرًا ولو لم يصحبه اعتقاد . هنا قال : (**(قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ)**) . إذًا علّق الحكم على القول فدل على أنه هو المعتبر (**(وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ)**) فشمل حينئذٍ المنافقين الذين أظهروا الإسلام واستتروا في باطنهم بالكفر ، وشمل المسلمين ظاهرًا وباطنًا ، فمن قال كلمة الكفر حينئذٍ انتقض عنده الإسلام الظاهر ، فشمل الطائفتين شمل النوعين كذلك قوله جل وعلا : (**(قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) [التوبة : 65 ، 66]**) . هذا الشأن فيه كالشأن في السابق ، إذًا المنافق أظهر الإسلام حينئذٍ متى ينتقض هذا الإسلام الظاهر ؟ إذا أظهر شيئًا من كفره فحكمنا على إسلامه الظاهر بأنه منتقض ، بماذا حصل الإسلام الظاهر ؟ بالشهادتين بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة ، حينئذٍ نقول : نطقه بالشهادتين والإتيان بالصلاة حكمنا عليه بكونه مسلمًا ظاهرًا ، ونَكِلُ أمره إلى الباري جل وعلا في باطنه ولا نبحث عن ذلك ، فلما وُجِدَ الناقض انتقض الإسلام الظاهر ، إذًا حكمنا عليه بكونه كافرًا مع نطقه بـ لا إله إلا الله وهذا هو المطلوب ، لأن المنافقين في عهد النبي ﷺ بعضهم يعلمهم وبعضهم لا يعلمهم ، حينئذٍ حكم على من يعلمهم لا إشكال فيه ، لكن لم يترتب عليه الحكم الظاهر وهو القتل لماذا ؟ لئلا يفتن الناس لئلا يقال بأن محمد ﷺ يقتل أصحابه ، ومن لم يعلمهم الأصل فيه أنهم مسلمون ظاهرًا وباطنًا هذا الأصل فيه ، ولكن لم وُجِدَ الناقض حكمنا على كون الإسلام الظاهر بطل عنده .

المثال السادس : ما جاء في قصة موسى عليه السلام ، وكذلك حديث أبي واقد الليثي قال رحمه الله تعالى : (**ومن الدليل على ذلك أيضًا ما حكى الله عز وجل عن بني إسرائيل**) . إسرائيل هو يعقوب عليه السلام ، وبنو إسرائيل هم اليهود (**مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى : (اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) [الأعراف : 138]**) هذه الآية قلنا : وجه الاستدلال بها أن المسلم الذي يَتَّبِعُ النبي قد يَتَّخِذُ إلهًا مع الله ، وهؤلاء كما قال المصنف هنا : (**مع إسلامهم**) . هم مسلمون فروا من فرعون ودينه ، فحينئذٍ فروا بدينهم من الكفر وهم مسلمون وآمنوا بموسى عليه السلام وهاجروا ، (**وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى : (اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) [الأعراف : 138]**) حينئذٍ يدل هذا النص على أن المسلم الْمُتَّبِع للنبي قد يَتَّخِذُ إلهًا مع الله عز وجل ، هذا وإن كان بجهلهم - كما سيأتي - إلا أنه قد حصل ووقع ، وهم علماء في الأصل وهم متبعون لموسى عليه السلام فهم مسلمون ، ومع ذلك قد طلبوا إلهًا مع الرب جل وعلا ، وهم قد فهموا أن العكوف على الأصنام تقربًا عبادة (**فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آَلِهَةٌ**) [الأعراف : 138] (**قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آَلِهَةٌ**) فهموا أن العكوف على الأصنام تأله وتعبد ، حينئذٍ يكون فيه صرف العبادة لغير الله جل وعلا ، ومع ذلك طلبوا إلهًا مع الله جل وعلا ، ولذلك قال بعضهم : إلهًا نتوجه إليه في الأرض كما نتوجه إلى الله تعالى في السماء . وهذه الآية ذكر البغوي في تفسيرها - لأنه ينبني على الفهم حديث أبي واقد الليثي قوله تعالى : (**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آَلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) [الأعراف : 138 ، 139] . قال البغوي : قوله تعالى : (**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ**) . قال الكلبي : عبر بهم موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه وصامه شكرًا لله عز وجل ، (**فَأَتَوْا**) مروا (**عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ**) ، (**يَعْكُفُونَ**) العكوف هو الإقامة اللازمة يقيمون ، قرأ حمزة والكسائي (يَعْكِفُونَ) بالكسر كسر الكاف ، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان عَكَفَ يَعْكِفُ يَعْكُفُ (**عَلَى أَصْنَامٍ**) أوثانٍ (**لَهُمْ**) يعبدونها من دون الله تعالى . قال ابن جُرَيْج : كانت تماثيل بقر ، وذلك أول شأن العجل . إلى أن قال البغوي رحمه الله : (**قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا**) . أي : مثالاً نعبده . وحينئذٍ توجهوا بالعبادة لغير الله جل وعلا ، وهذا المراد بهم مجرد طلب لم يفعلوا ، وإلا - كما سيأتي - لو فعلوا لكفروا ، أي : مثالاً نعبده . (**كَمَا لَهُمْ آَلِهَةٌ**) ولم يكن ذلك شكًّا من بني إسرائيل في وحدانية الله . هكذا قال البغوي وقول غيره من أئمة التفسير ، ولم يكن ذلك يعني : طلب الإله . لم يكن ذلك شكًّا من بني إسرائيل في وحدانية الله إذ لو كان كذلك لما حكمنا عليهم بأنهم مسلمون ، لأن الشك في الوحدانية يعتبر ردة ، ولا يُعذر أحد بجهله ، حينئذٍ لم يكن ذلك شكًّا هذا واضح بين ، ولم يكن ذلك شكًّا من بني إسرائيل في وحدانية الله تعالى وإنما معناه اجعل لنا شيئًا نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله عز وجل ، يعني : طلب صورة من الصور هي شرك أكبر ولم يعلموا أنها شرك أكبر . طلب صورة من الصور وهي شرك أكبر ولم يعلموا أنها شرك أكبر ، وفرق بين إثبات وحدانية الرب جل وعلا مع خفاء بعض صور الشرك على المسلم ، هذا واقع بين ، وهو واقع وهو حاصل ، أن يخفى على بعض المسلمين بعض الصور التي هي من الشرك الأكبر ، حينئذٍ حكم المفسرون وهذا واضح أن بني إسرائيل لم يكن شكهم في وحدانية الرب جل وعلا في كونه واحدًا مألوهًا معبودًا ، وإنما طلبوا صورة وهي كونهم يجعلون هذا الإله [يتقربون إليه جل وعلا] [48] يتقربون إليه فيكون واسطة بينهم وبين الرب سبحانه ، وهذا هو عين الشرك الذي وقع فيه العرب ، وإنما معناه اجعل لنا شيئًا نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله عز وجل وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة يعني : ليس بشرك أكبر . وكان ذلك لشدة جهلهم . إذًا أصل التوحيد معهم وإنما جهلوا صورة من صور الشرك وهو اتخاذ هذه الآلهة واسطة وشفعاء بينهم وبين الرب جل وعلا ، فحينئذٍ قال موسى : (**إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**) . يعني : عظمة الرب جل وعلا . عظمة الله (**إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ**) مهلك (**مَا هُمْ فِيهِ**) والتتبير الإهلاك (**وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) . (**قَالَ**) يعني : موسى . هذا مما يؤكد أنهم طلبوا إلهًا وأن هذه الصورة هي شرك أكبر وليست بشرك أصغر قال موسى : (**قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**) [الأعراف : 140] . (**أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ**) أي : أبغي لكم وأطلب إلهًا . (**وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**) أي : على عالم زمانكم . ثم ذكر البغوي حديث أبي واقد الليثي .

([48]) سبق .

إذًا قصة موسى مع أصحابه أنهم طلبوا صورة من صور الشرك الأكبر ، ولم يكن ذلك شكًّا في وحدانية الرب جل وعلا ، إذ لو كان شكًّا لما حكمنا بإسلامه ، وإنما ثبت إسلامهم أولاً ثم وقع منهم طلب شيء هو شرك أكبر ، إذا تقرر هذا حينئذٍ نفهم من حديث أبي واقد الليثي لأن النبي ﷺ شَبَّهَ مقولتهم بمقولة هؤلاء ، والأصل في التشبيه أن يكون من كل وجه ، هذا الأصل فيه ويُحمل عليه . قال هنا : (**ومن الدليل على ذلك أيضًا ما حكى الله عز وجل عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى : (اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) [الأعراف : 138] ، وقول أناسٍ من الصحابة : اجعل لنا يا رسول الله ذات أنواط**) عرفنا أنواط أَفْعَال جمع نَوْطٍ بإسكان الواو نَوْط فَعْل ، وهو ما يُعَلّق عليه الشيء يعني : شجرة ونحو ذلك يعلق عليه السلاح فتطلب البركة من الشجرة في السلاح ، ويطلب الثواب في الدنيا وفي الآخرة ، هذه الصيغة وهذه الصورة موجودة في مشركي العرب وهؤلاء كانوا مشركين في الأصل ، فإنما ينصرف طلبهم إلى ما عهدوه سابقًا وهو الشرك الأكبر (**وقول أناسٍ من الصحابة : اجعل لنا يا رسول الله ذات أنواط**) عرفنا النوط (**فحلف**) رسول الله ﷺ (**أن هذا**) ما هو ؟) (**اجعل لنا ذات أنواط**) يعني : طلبهم . (**اجعل لنا يا رسول الله ذات أنواط**) طلبهم لأنه لم يفعلوا ، عندنا قول طلب ، وعندنا فعل ، أصحاب موسى قالوا : (**اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا**) . ولم يفعلوا ، إذًا فرق بين الحالين ، قول طلب وفعل ، وهنا أناس من الصحابة قالوا ولم يفعلوا ، حينئذٍ (**حلف**) رسول الله ﷺ (**أن هذا**) أي : هذا الطلب مثل (**قول بني إسرائيل اجعل لنا إلهًا**) وعلمنا أن قول بني إسرائيل اجعل لنا إلهًا شرك أكبر أم أصغر ؟ أكبر ، وهنا مَثَّلَ النبي ﷺ هذه المقولة بتلك ، فدل في الأصل على أنها مساوية لها في الشرك أو لا ؟ هذا الأصل ، الأصل فيها التساوي ، ولذلك قال في ((**فتح المجيد**)) : شَبَّهَ مقالاتهم هذه بقول بني إسرائيل بجامع أن كلاًّ طلب أن يُجْعَلَ له ما يَأْلَهُهُ ويعبده من دون الله . كلاًّ منهما ، قال : يألهه ويعبده ، وهذا ليس بشرك أصغر بل هذا شرك أكبر ، لأنه يألهه ويعبده معناه صرف شيئًا من العبادة لغير الله جل وعلا ، وهذا هو عين الشرك قال في ((**فتح المجيد**)) : " وإن اختلف اللفظان فالمعنى واحد ، فتغير الاسم لا يغير الحقيقة " . وهذا ظاهر صنيع المصنف هنا رحمه الله تعالى أن هذا الطلب من بعض الصحابة طلب لشرك أكبر ، لأن العكوف هذا عبادة مستقلة ، وطلب البركة عبادة أخرى ، فإذا صرف شيء من هاتين العبادتين إما جمعًا أو استقلالاً لأحدهما دون الآخر ، فهو صرف العبادة لغير الله جل وعلا ، [فيعتبر شركًا أصغر $$$ هل أكبر 22.24] .

إذًا ظاهر كلام المصنف هنا أنهم طلبوا شجرة يعكفون حولها ويتبركون بها طلبًا للثواب في الدنيا والآخرة ، وهذا فعل المشركين وهو شرك أكبر ، وهذا ظاهر لأنهم وإن كانوا موحدين وإن كانوا صحابة إلا أنهم كما جاءوا في الحديث حدثاء عهد بكفر ، إذًا لم يتوغل عندهم أو خَفِيَ عليهم بعض مسائل الشرك أو بعض أفراد التوحيد ، إذًا هذا شرك أكبر ، وهذا ما ذهب إليه ابن القيم رحمه الله تعالى بأن اتخاذ هذه الشجرة والعكوف حولها اتخاذ إله مع الله ، مع أنهم لا يدعونها ، وهذا الذي رجحه الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى حيث قال : ليس ما طلبوه من الشرك الأصغر . لأن بعض أهل العلم يرى أنه من الشرك الأصغر (**اجعل لنا ذات أنواط**) يتبركون بها ويضعون عليها أسلحتهم ، ويرجون منها البركة والنفع والضُّرّ لأنها تفيدهم في قتالهم .. ونحو ذلك ، ليس ما طلبوه من الشرك الأصغر ، ولو كان منه لما جعله النبي ﷺ (**نظير قول بني إسرائيل اجعل لنا إلهًا**) ، وأقسم على ذلك ، بل هو من الأكبر كما أن ما طلبه بنو إسرائيل من الأكبر ، وإنما لم يكفروا بطلبهم لأنهم حدثاء عهد بكفر ، وسبق أن مثل هذه الأفراد إذا فعلها من هو حديث عهد بكفر أنه لا بد من إقامة الحجة ، ولذلك أجمع العلماء في الطرفين في القصتين أنهم لو فعلوا ما نهوا عنه لكفروا ، لكفرُوا لماذا ؟ لأن جعل إلهٍ مع الله كفر وشرك ، ثم هو رد ومعارضة ومعاندة للنبي ، وكذلك (**اجعل لنا ذات أنواط**) هو في نفسه شرك أكبر فلو فعلوه لكفروا ، ومع ذلك كذلك هو معاندة ومعارضة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

إذًا ذكر المصنف هاتين القصتين والمراد بالصورة المستشهد عليها بالنصين أنه من الشرك الأكبر ، إذ لو كان الثاني من الشرك الأصغر لما أورده المصنف هنا لأن البحث مع المشركين ليس بالشرك الأصغر ، لأنه مسلم باقٍ على إسلامه ونحن نريد أن نصل بأن الشرك الذي يُخرج من الملة لا ينفع مع قول لا إله إلا الله ، يعني : ينقض لا إله إلا الله من أصلها . وهذا دليل على أن المصنف هنا مال إلى أنه شرك أكبر ، والمسألة فيها نوع خلاف بين أئمة الدعوة ، هل هذا الطلب شرك أكبر أو أصغر فيه خلاف ، بل ذهب ابن تيمية رحمه الله تعالى أن النبي ﷺ إنما حلف

هنا من أجل المشابهة فيه مشابهة للمشركين ، وهذا فيه بعد ، والله أعلم ، لأن النبي ﷺ لو كان فيه مجرد مشابهة لما أقسم أولاً ، ولما نِدده وناظره بقول بني إسرائيل .

ثم قال الشيخ هنا رحمه الله : (**ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة**) . (**يدلون**) هذا من الإدلاء وهو ذكر الشيء على جهة التقرير له ، (**عند هذه القصة**) يعني : قصة أبي واقد الليثي حديث أبي واقد الليثي ، وكذلك قصة موسى مع قومهم (**وهي أنهم يقولون : إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك**) طلبوا من موسى ولم يكفرهم موسى ، بل (**قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**) وهذا لا يلزم منه التكفير فلم يكفرهم موسى عليه السلام ، وكذلك النبي ﷺ لما قال لهم : قالوا له : (**اجعل لنا ذات أنواط**) . لم يحكم بكفرهم ، بل قال : « **لتتبعن سنن من كان قبلكم** » . فدل على أنهم ليسوا كَهُم يعني : ليسوا مثلهم في ماذا ؟ في كفرهم (**إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك**) يعني : بذلك الطلب . (**وكذلك الذين**) سألوا النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط ، إذًا لم يكفروا ، هل يلزم من ذلك عدم كفرهم وتكفيرهم أن ما طلبوه ليسوا كفرًا ؟ هل بينهما تلازم ؟ هم جعلوه متلازمًا بين الطرفين ، كون النبي ﷺ موسى عليه السلام أو محمد عليه الصلاة والسلام لم يكفر قومه ، دل على أنه ليس بكفر ، وهذا لا يلزم ، لأنه ليس كل كفر يقع على صاحبه ، بل بعضه لا بد من إقامة الحجة ، يُعذر بالجهل وبعضهم لا يُعذر بالجهل كما ذكرناه سابقًا ، ليس كل كفر يقع على صاحبه يعني : لا يُعذر بالجهل ، بل بعضه - إذا قلنا بأن مرادف للشرك ، الكفر والشرك مترادفان ، وهو الظاهر [من السنة والكتاب] [49] من الكتاب والسنة حينئذٍ نقول : بعض الكفر لا يُعذر أحد بجهله ، وبعضه يُعذر بالجهل . إذًا عدم التكفير لا يلزم منه أنه ليس بكفر ، (**فالجواب أن تقول : إن بني إسرائيل لم يفعلوا**) وإنما طلبوا باللسان بالقول طلبوا باللسان والقول قالوا : (**اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا**) فلم يكفروا لا لأجل أن المسلم إذا قال : لا إله إلا الله . لا يكفر - لأنهم استدلوا به على هذا النحو - لأنه قال : لا إله إلا الله . إذًا مهما فعلوا حينئذٍ لا ينقض إسلامهم ، وهم قد قالوا : (**اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا**) . إذًا طلبوا إله مع الرب جل وعلا ، هل كفرهم موسى عليه السلام ؟ لا ، لماذا ؟ لكونهم قالوا : لا إله إلا الله . فجعلوا لا إله إلا الله عاصمة مطلقًا من إباحة الدم والمال ، (**إن بني إسرائيل لم يفعلوا**) فلم يكفروا لا لأجل أن المسلم لا يكفر ، ولكن لأجل أنهم لم يفعلوا ، لا لكون المسلم لم يكفر أو لا يكفر وإنما لكونهم لم يفعلوا (**وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا**) إذًا انتفى الشرك ، والقول طلب فعل الشرك أو طلب فعل الكفر وخاصة الكفر العملي هذا محل وفاق بين أهل العلم وهو حكاه المصنف فيما سيأتي أنه بمجرد الطلب لا يكفر ، ولذلك قال : (**ولا خلاف**) . هذا حكاية إجماع بين العلماء ، (**ولا خلاف**) بين العلماء أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا مع قولهم : لا إله إلا الله . لأنهم في الواقع قالوا : لا إله إلا الله أو لا ؟ هم قالوا : لا إله إلا الله . حكمنا بإسلامهم مسلمون مع موسى عليه السلام ، حينئذٍ لو فعلوا ما طلبوه لكفروا مع كونهم قالوا : لا إله إلا الله . إذًا هذا محل إجماع ورد لهم في شبهتهم في أصلها ، أرادوا بهذه القصة أن يستدلوا على أنهم قالوا : لا إله إلا الله . فمنعت لا إله إلا الله من تكفيره ، نعكسٍ عليهم القضية فنقول : أجمع العلماء على أنهم لو فعلوا ما طلبوه لكفروا وهذا بإجماع مع قولهم : لا إله إلا الله . إذًا كفروا مع نطقهم بالشهادتين (**ولا خلاف**) بين العلماء أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا مع قولهم : لا إله إلا الله . هذا إجماع آخر . إذًا هذان إجماعان على أن هاتين الطائفتين لو فعلوا ما نُهوا عنه لكفروا مع قولهم : لا إله إلا الله . إذًا أجمع العلماء على أن ما كُفْرُهُ بالفعل فإن طلبه بالقول دون عمله لا يكفر صاحبه بالطلب وهذا هو المطلوب كما نص المصنف على ذلك . إذًا لا يستدل بهاتين القصتين على أن كل من فعل ناقضًا نقول : هذا لا يرجع إلى لا إله إلا الله بالنقض ، نقول : لا ، ولو قال لا إله إلا الله ألف مرة وفعل الشرك والكفر الأكبر حينئذٍ نقول : خرج من الملة ولا تنفعه لا إله إلا الله البتة ، والقصص السابقة التي أوردناها في بني حنيفة والصحابة وعليّ رضي الله تعالى عنه والمنافقين تكفي في الرد .

هنا قوله : (**ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا ، ولا خلاف في أن الذين نهاهم النبي لو لم يطيعوه لكفروا**) من قال بأن طلبهم شرك أصغر (**اجعل لنا ذات أنواط**) قلنا : هذا فيه قولان ، الراجح أنه شرك أكبر ، ولا إشكال فيه لو فعلوه لفعلوا الشرك الأكبر وخرجوا من الملة ، لكن لو قيل بأنه على القول الآخر بأنه شرك أصغر حينئذٍ كيف لو فعلوه لكفروا ، ومعلوم أنه الشرك الأصغر لا يخرج به مرء من الملة ، إذًا يجامع الإسلام . أول هنا

---

[49] سبق .

هذا الإجماع بأنهم لكفروا لا لذات الفعل ، بل لمعاندتهم للنبي ﷺ ، لا بد من التأويل ، إذا قيل بأنه شرك أصغر وأجمع العلماء على أنهم لو فعلوا ذلك الأمر الذي طلبوه (**اجعل لنا ذات أنواط**) لكفروا يعني : الكفر الأكبر مع قولهم : لا إله إلا الله . إذا قيل : بأن هذا الطلب شرك أصغر تأتي مشكلة وإيراد ، وهو كيف كفروا الكفر الأكبر مع كونهم فعلوا فعلاً لا يخرجهم من الدين ؟ قالوا : هنا الكفر لا لذات الفعل ، وهو اتخاذ ذات الأنواط وإنما لكونهم ردوا أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا فيه نظر ، بل الصواب ما ذكرناه سابقًا ، وهذا هو المطلوب من القصتين .

ثم قال الشيخ استطرادًا قال : (**ولكن**) . هذه القصة تفيد يعني :فيها فوائد . يعني : إذا قيل بأنهم لم يكفروا ، ما فعلوا الكفر ما الفائدة من ذكرها ؟ نقول : لا ، فيها فوائد سواء كان قصة أصحاب موسى أو قصة ذات الأنواط ، وأشار المصنف إلى قوله : (**هذه القصة**) . (**هذه**) يعني : المذكور من القصتين تفيد أن المسلم الذي ثبت إسلامه بقول : لا إله إلا الله . بل العالم من المسلمين - وليس هنا المراد العالم بالتوحيد - لأنه لو كان عالمًا بالتوحيد ووقع في الشرك حينئذٍ وقع الشرك عليه ، إنما المراد به العالم بفن من الفنون لأنه هو الذي عناه المصنف في الردّ ، وأكثر من اعترض على المصنف ليسوا هو علماء التوحيد ، إنما هم المفسرون والمحدثون والفقهاء الذين ليس لهم نصيب من التوحيد . إذًا أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يَدري عنها ، لأن أفراد التوحيد كثيرة ونواقضها مثلها ، حينئذٍ قد يخفى عليه فرد من أفراد التوحيد ، وقد يخفى عليه فرد من أفراد الشرك الأكبر أو الأصغر أو الخفي ، حينئذٍ قد يجامع الإسلام الشرك ، لكن بهذا القيد الذي ذكرناه أنه مما قد يخفى ، أما الشرك الأكبر الذي يُنافي أصل الإسلام هذا لا ، لا يمكن أن يقال به أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك دل على أنه يجتمع الجهل مع الشرك ، ويسمى مشركًا جاهلاً ، فكونه عالمًا وكونه مسلمًا لا ينفي وصف الشرك عنه (**فتفيد التعلم والتحرز**) تفيد يعني : هاتين القصتين ، تفيد هاتان القصتان (**التعلم**) يعني : طلب العلم ، تَفَعُّل من طلب العلم شيئًا فشيئًا ، أما التعليم هذا في بعض النسخ وأكثر النسخ التَّعَلُّم التَّفَعُّل وهذا هو الظاهر أنها أولى (**فتفيد التعلم**) يعني : تعلم التوحيد . لأنه هو السبب الأعظم في النجاة في الدنيا والآخرة ، لأن أفراد التوحيد الكثيرة (**والتحرز**) يقال : احترز من كذا أو تحرز منه يعني : توقاه . يتوقى ماذا ؟ يتوقى الشرك أن يقع فيه ، ولذلك لما وقع فيه أكابر علماء وإن لم يكونوا علماء توحيد وهم أذكياء ولهم شأنهم في سائر الفنون الشرعية ، حينئذٍ [المسلم لا يخشى على] [50] المسلم قد يقع في ما وقع فيه أولئك الأكابر فيخشى على نفسه ، هو يكفيه ما سبق معنا قول إبراهيم الخليل عليه السلام : (**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ**) [إبراهيم : 35] . فدلّ على أن إبراهيم وهو إمام الحنفاء قد خَشِيَ على نفسه الوقوع في الشرك ، (**فتفيد التعلم والتحرز**) يعني : من الشرك . تعلم لأفراد التوحيد وما يضاده من أصله أو ينافي كماله الواجب أو المستحب ، وكذلك تعلم الشرك وصور الشرك الأكبر والأصغر لماذا ؟ لأنه لو لم يتعلم هذه الأنواع التي هي مضادة للتوحيد إما من أصلها أو كماله الواجب حينئذٍ لا يسلم من الوقوع في شيء منها ، لأنه لا يدري ، وإذا لا يدري حينئذٍ قد يقع ويتلبس بذلك النوع الذي يجهله . قال الشيخ عبد الرحمن بن الحسن : " إذا كان هذا التوحيد الذي هو الحق الله على العباد قد خَفِيَ على أكابر العلماء في أزمنة سلفت - أكابر العلماء ، والمراد بالعلماء هنا ليس علماء التوحيد - فكيف لا يكون بيانه أهم الأمور ، خصوصًا إذا كان الإنسان لا يصح له إسلامٍ ولا إيمان إلا بمعرفة هذا التوحيد وقبوله ومحبته والدعوة إليه وتطلب أدلته واستحضارها ذهنًا وقولاً وطلبًا ورغبةً " . إذًا المرء يخشى على نفسه أن يخفى عليه فرد من أفراد هذا التوحيد ، أو ينسى يتعلم فينسى أن هذا الشيء ينافي التوحيد حينئذٍ يحتاج إلى أن يتعلم ذلك الأمر (**ومعرفة**) يعني : تفيد . (**أن قول الجاهل التوحيد فهمناه**) لأنه جاهل ما عرف التوحيد ، إذا لو عرف التوحيد وعرف ما وقع في أكابر العلماء من الوقوع في الشرك الأكبر المخرج من الملة ، وعلم قول إبراهيم عليه السلام حينئذٍ خشى على نفسه ، ولا يمكن أن يقول التوحيد فهمناه فلا يحتاج إلى تدريسه ولا إلى حفظ متونه ولا إلى تعليمه ونشره ، بل التوحيد مفهوم حتى عند عامة المسلمين .

(**ومعرفة أن قول الجاهل التوحيد فهمناه أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان**) مكائد جمع كيد ، وهو أخو المكر ، مكائد الشيطان التي يريد أن يوقعه في نواقض ذلك التوحيد ، لأنه إذا لم يعرف التوحيد على الوجه الصحيح ويعرف الشرك على الوجه الصحيح لا بد وأن يقع في الشرك ، لأن كلاً منهما كما ذكرنا مرارًا نقيضان ، إذا انتفى عنده التوحيد أو شيء من التوحيد لا بد وأن يقع في شيءٍ من الشرك شاء أم أبى ، لأن متعلق التوحيد هو متعلق

([50]) سبق .

الإيمان ، يعني : اعتقاد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح والأركان . وهذا سيختم به المصنف الكتاب أن التوحيد في هذه الأمور الثلاثة هو الإيمان بالمعنى العام ، يعني : اعتقاد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح والأركان . إذا وُجِدَتْ أصول هذه الأركان الثلاثة ولم يوجد تمامها الواجب حينئذٍ كمالها الواجب إذا انتفى كمالها الواجب لا بد مع انتفاء الكمال الواجب وجود نقيضه وضده وهو الشرك ، تعلقه بغير الله عز وجل . قد يخرجه من الملة وقد لا يخرجه كلاً بحسبه ، إذًا تفيد هذه القصة السابقة (**التعلم**) تعلم التوحيد وتعلم الشرك (**والتحرز**) من أن يقع المسلم ولا يقول : أنا مسلم وأنا أعيش في بلد التوحيد وليس عندنا قبور ، إذًا لا نحتاج إلى معرفة التوحيد ونشره ودعوة الناس إليه ، بل (**قول الجاهل التوحيد فهمناه**) هذا يدل على أنه من أجهل الناس (**ومكائد الشيطان**) التي صادهم بها في الاستخفاف بالتوحيد وشأنه .

(**وتفيد أيضًا أن المسلم**) المجتهد يعني : المتأول . المجتهد ليس الذي بلغ درجة الاجتهاد يعني : ليس المصطلح هنا اصطلاح أصولي وإنما المتأول ، تفيد أيضًا أن المسلم المجتهد يعني : لا أنه من أهل الاجتهاد والعلماء فيُقصد به المعذور حتى يخرج غير المعذور ، المتأول يعني : الذي تكلم بكلام هو كُفر لأن طلب الكفر في الأصل أنه كُفر هذا الأصل فيه ، لكنه يعذر بذلك (**وتفيد أيضًا أن المسلم**) المجتهد المتأول الذي (**إذا تكلم بكلام الكُفر وهو لا يدري فنبه على ذلك وتاب من ساعته ، أنه لا يكفر**) كما ذكرناه وحكينا عليه الإجماع أن طلب الكفر لا يخرج به المرء من الملة (**كما فعل بنو إسرائيل**) في قولهم : (**اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا**) . (**والذين سألوا رسول الله ﷺ**) (**اجعل لنا ذات أنواط**) حينئذٍ عُذروا بالجهل ، وبعض المسائل قلنا : التي لا تنافي أصل التوحيد . حينئذٍ فيه تفصيل من جهة العذر بالجهل وعدمه ، أما التي تنافي أصل التوحيد من أصله هذا نقول : لا يعذر بالجهل البتة . قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : " لكن من الناس من يكون جاهلاً ببعض هذه الأحكام جهلاً يُعذر به " . هذا تمام الكلام الذي ذكرناه بالأمس أن من جحد وجوب الصلاة ونحو ذلك أو المحرمات أو الفواحش فإنه يكفر هذا إذا كان يعيش في أوساط المسلمين ، ثم قال بعد ذلك الكلام : " لكن من الناس من يكون جاهلاً ببعض هذه الأحكام جهلاً يُعذر به " . يعني : تحريم الخمر ، تحريم الزنا ، والربا . ونحو ذلك أو وجوب الصلاة ووجوب الزكاة والصوم ، قد يجهل بعض الناس جهلاً يعذر به فلا يحكم بكفر أحدٍ حتى تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة كما قال تعالى : (**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**) [النساء : 165] . وهذا ليس مطلقًا في كلامه رحمه الله تعالى حتى في الشرك ونحوه ، لا ، لذلك المثال الذي مثَّل به يدل على هذا التفصيل ، ولهذا قال رحمه الله : ولهذا لو أسلم رجل . ذكر صورة للحكم السابق : " لو أسلم رجل ولم يعلم أن الصلاة واجبة عليه أو يعلم أن الخمر حرام لم يكفر بعدم اعتقاد إيجاب هذا وتحريم هذا ، بل ولم يعاقب حتى تبلغه الحجة النبوية " . بالمثال نعرف أن مقصوده ما يمكن خفاؤه على بعض الناس ، وهذه المسائل التي هي يحكم على أصحابها بأنها كفر أكبر قلنا : يفصل فيها إن كان حديث عهد بكفر أو ببلاد نائية عن العلم والتعلم ونحو ذلك هذا معذور بالجهل ، لكن ليس في مسائل الشرك الأكبر البتة ، وليس فيما يناقض لا إله إلا الله من أصلها ، وإنما فيما هو دون ذلك ، وأما إذا كان يعيش في أوساط المسلمين والعلم ونحو ذلك وأمكنه العلم والتعلم لكنه ترك هذا يكون مُعْرِضًا فينزل عليه الحكم فيكفر ولا يعذر بجهله .

(**وتفيد أيضًا أنه**) هذه الفائدة الرابعة (**وتفيد أيضًا أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظًا شديدًا كما فعل رسول الله ﷺ**) حيث قال : « **الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قلت بنو إسرائيل لموسى** » . هذا فيه تغليظ فيه شدة ، وهذا يدل على أن الأمر الذي يكون منكرًا عظيمًا يغلظ في إنكاره . إذًا هذه القصة فيها فوائد وإن لم يحكم على أصحابها بأنهم كفار والفوائد الأربعة التي ذكرناها سابقًا .

ثم انتقل المصنف رحمه الله تعالى إلى بيان شُبَهٍ تتعلق بأدلة يعتمدونها في ذكر الشبه السابقة ، وخاصة الشبهة الأخيرة المتأخرة هذه فيذكرون بعض الأدلة وهي : صحيحة ثابتة في الصحيحين وفي غيرها ثابتة عن النبي ﷺ ولكن يفهمونها بفهم أعوج ، ويُنَزِّلُونَهَا على الصور التي يحكم عليها أهل التوحيد بأنهم مشركون ، فيمنعون الحكم بالشرك عليهم بمجرد هذه الأحاديث .

قال رحمه الله : (**وللمشركين شبهة أخرى**) . حقيقة هذه الشبهة التي يذكرها هي : أن النبي ﷺ قد جعل النطق بـ لا إله إلا الله عاصمًا للدم والمال ولو عمل كفرًا ، وليس المراد بالشبهة هذه عينها ، وإنما المراد بالنظر في أدلتها لأنه أورد حديث أسامة وغيره فدل على أن البحث هنا في الأدلة لا في عين الشبه ، وأما هذه الشبهة وإن عنون لها بعضهم بما ذكرته ، هذه هي المتقدمة السابقة أن من قال : لا إله إلا الله . وصلى وصام لا يمكن أن يقال بكفره ولو

فعل الشرك الأكبر ، هنا ما يتعلقون به من حديث أسامة ، وحديث « **أمرت أن أقاتل الناس** » . وذكرناه فيما سبق حديث عتبان بن عمر ونحو ذلك ، (**وللمشركين شبهة أخرى يقولون : إن النبي ﷺ أنكر على أسامة رضي الله عنه قتل من قال : لا إله إلا الله . وقال : « أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله » ؟**) وهذا الحديث متفق عليه . وليس كل حديث صحيح متفق عليه أو مجمع على صحته يكون الاستدلال به صحيحًا ، فعندنا أمران :

أولاً : إثبات النص . هل هو مقبول أو لا ؟ هل هو صحيح أم لا ؟ حينئذٍ إذا أُثبت النص ليس كل من استدل بالنص حينئذٍ يكون استدلاله صحيحًا ، بقي نظر آخر ، إذًا ننظر أولاً في إثبات الحجة صحيح أو لا ؟ إن كان قرآنًا لا إشكال فيه ، وإن كان سنة حينئذٍ لا بد من النظر في إسناده إن لم يكن في الصحيحين ، فإن ثبت حينئذٍ لنا نظر آخر وهو في متنه ، كيف نفقه هذا النص ؟

كيف نفهمه ؟

ما هي القواعد التي يمكن استنباط الأحكام الشرعية باعتمادها في فهم هذا النص ؟

ما هي الأصول ؟

ما الذي أجمع عليه ؟

ما الذي اختلف فيه ؟

هل هذا محكم ؟

هل هذا متشابه ؟ .. إلى آخره .

إذًا نظر آخر تثبت أولاً النص ، ثم بعد ذلك يكون البحث في فقه هذا النص ، هنا انظر استدلوا بهذا الحديث وهو صحيح في الصحيحين استدلوا به على أن من قال : لا إله إلا الله . امتنع قتله ولا يمكن أن يكفر ولو سجد للصنم ، هذا استدلال أعوج ، وهذا الحديث قلنا متفق عليه عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الْحُرَقَة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله . - إذًا هو كافر في الأصل - فلما غشيناه - يعني : أرادوا قتله . - قال : لا إله إلا الله . - ظاهره ماذا ؟ أنه أراد أن يكفهما بهذا اللفظ - فكف الأنصاري عنه - وقوفًا مع قول : لا إله إلا الله . - وطعنته برمحي حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال : « **يا أسامة أقتلته بعد أن قال : لا إله إلا الله** » ؟ قلت : كان متعوذًا . - لأنه كافر قاتل هو يقاتل خرج مقاتل - فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . إذًا الشاهد أنه قتله بعد ما قال : لا إله إلا الله . فأنكر عليه النبي ﷺ فدلّ على ماذا ؟ على أن لا إله إلا الله بفهمهم عاصمةً للمسلم ولو فعل ما فعل ولا يمكن أن يحكم عليه بكفر أو قتل .

وكذلك قوله الحديث الثاني الذي استدلوا به قوله ﷺ : « **أُمِرْتُ** » . يعني من الآمر ؟ الله عز وجل ، لذا قال النبي ﷺ : « **أُمِرْتُ** » . فالآمر الله عز وجل ، هذا واضح بين ، وإذا قال أبو بكر : أمرت . النبي ﷺ يحتمل غيره ؟ لا ، إذا قال عمر : أمرنا . أو غيره من الصحابة فيه وجهان احتمالان ، والمرجح أنه النبي ﷺ ، لأنه يحتمل أنه أبو بكر ويحتمل أنه عمر إذا قال ابن عمر : أُمِرْنَا . حينئذٍ يحتمل أنه النبي ﷺ ويحتمل أنه أبو بكر ويحتمل أنه عمر وغيره من الخلفاء ، إذ لهم سنة ، ولكن المرجح عند الأصوليين أنه النبي ﷺ ، الفائدة من هذا أنه لو تعارض تَنَزُّلاً ، تعارض حديثان قال فيه أبو بكر : أُمِرْنَا . وقال ابن عمر : أُمِرْنَا . تعارض ولا يمكن الجمع بينهما إلا بترجيح أحدهما على الآخر أيهما المقدم ؟

....

أي قول أبو بكر : أُمِرْنَا . لماذا ؟

......

لأنه لا يحتمل ، وأما أمرنا هناك يحتمل ، وغير المحتمل مرجح على المحتمل ، هذه فائدة أصولية .

وكذلك قوله ﷺ : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا** » . « **حتى** » . مغير إذًا ليس الأمر مطلقًا « **أمرت** » . مطلقًا « **أن أقاتل الناس** » . المأمور به مقاتلة الناس ، والناس هنا لفظ عام أريد به الخاص ، المراد به من لم يسلم ، الناس ما دخل فيه الصحابة أمرت أن أقاتل الناس حتى الصحابة ؟ لا ، ليس شاملاً للصحابة ، وإنما هو لفظ عام أريد به الخاص « **أمرت أن أقاتل الناس** » . يعني : أمرت بمقاتلة الناس الكفار الذين لم يقولوا : لا إله إلا الله .

وهذه المقاتلة مأمور بها إلى زمن ليست مطلقة ، وإنما إلى زمن متى يكف عن المقاتلة ؟ « **حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها** » . لا إله إلا الله « **عصموا مني** » . ومن قال : لا إله إلا الله . « **عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله** » . هكذا في بعض الراويات إذًا هذا الأمر الذي أُمر به النبي ﷺ مغي#51.07 وما بعد حتى هو الذي يعتبر مقيدًا للأمر السابق « **أمرت** » . ليس مطلقًا وإنما « **حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإذا قالوها** » . حينئذٍ لم يؤمر بالمقاتلة ، فدل هذا النص كالحديث السابق أن من قال : لا إله إلا الله . يُكف عنه مطلقًا ولو فعل ما فعل من النواقض ، وهذا كما ذكرت لكم استدلال أعوج ، لأن النص ثابت في الصحيحين ولكن الفهم هذا فهم أعوج سقيم ، وكذلك (**أحاديث أخرى في الكف عمن قالها**) كحديث عتبان السابق « **فإن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله** » . وحديث ابن عمر أو حديث الشفاعة من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : « **من قال : لا إله إلا الله ، خالصًا من قلبه** » . كل الأحاديث الواردة فيمن قال : لا إله إلا الله . قالوا : هذه حجتنا . لأن كل من قال ونطق بهذه الشهادة وجب الكف عنه عن تكفيره ومقاتلته ، والنصوص في هذه ثابتة لكن الاستدلال فيه نظر ، قال الشيخ هنا : (**ومراد هؤلاء الجهلة**) . انظر يستدلون بحديث ولهم قواعد ومع ذلك هم جهلة ، والغريب أن منهم من هو أصولي ولغوي ومفسر لكن من أعماه الله عز وجل (**ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر**) مطلقًا (**ولا يُقتل ولو فعل ما فعل**) يعني : من النواقض من المكفرات (**ولو فعل ما فعل**) من النواقض والمكفرات ، لكن هذا عام أريد به الخصوص ، لأنهم يكفرون من جحد وجوب الصلاة ، كما سبق قلنا : هذا متفق عليه بين الطرفين ، وإنما محل النزاع في التوحيد فقط الشرك الأكبر ، من قال : لا إله إلا الله . حينئذٍ عُصِمَ ماله ودمه فإن وجوب الصلاة عندهم كفر ، طيب قال : لا إله إلا الله . قال : وأتى بمكفر ، من جحد البعث كفر ، من جحد وجوب الصوم كفر ، من حرم الماء البارد كفر بإجماع هذا حتى هم يوافقون في هذا . إذًا قال : لا إله إلا الله . ومع ذلك حكمنا بكفره وردته . إذًا ماذا يَعْنُون (**ولو فعل ما فعل**) يعنون به الشرك الأكبر دعاء غير الله عز وجل يعني : التعبد لهذه الأصنام . اللجأ أو الالتجاء إلى الصالحين الأولياء هذا الذي يعنونه ، وما عداه فالكلمة متفقة معهم ، (**ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها**) يعني : قال لا إله إلا الله (**لا يكفر ولا يُقتل**) فرق المصنف هنا لأنه لا تلازم بينهما ، قد يقتل ويقاتل من هو مسلم ، وقد يكفر ولا يقتل ، إذًا لا تلازم بينهما ليس كل من كفر وجب قتله ، قد تكون المصلحة لبقائه كما ذكرنا في شأن المنافقين في عهد النبي ﷺ ، يعلم أن هؤلاء المنافقون أنهم كفار مرتدون عن الإسلام ، ومع ذلك أبقاهم للمصلحة ، وكذلك قد يقاتلون ويُقَتَّلُون ولا يحكم بكفرهم كما هو شأن كثير من أهل العلم في الخوارج ، أنهم يقاتلون مع كونهم مسلمين . إذًا من قالها لا يَكفر ولا يُقْتَل (**ولو فعل ما فعل**) هذا حتى نكون منصفين معهم (**ولو فعل ما فعل**) يقصدون به من نواقض التوحيد ليس مطلقًا ، لأنه كما سبق أن من جحد شيئًا من الأمور المعلوم من الدين بالضرورة غير مسائل الشرك عندهم يكفر يخرج من الملة ولا تنفع لا إله إلا الله . وهذا الجواب الأول الذي أو الجواب الثاني الذي ينقض به المصنف كلامهم ، فالجواب أجاب المصنف هنا بجواب عام ثم بعد ذلك أجاب عن كل حديث مما ذكرنا خاصة حديث أسامة فإن العمدة عليه كثير (**فيقال لهؤلاء الجهلة**) المشركين جوابًا مجملاً وهو على مرتبتين :

الأول : (**معلوم**) عندنا وعندكم (**أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهو يقولون : لا إله إلا الله**) هل كل اليهود يقولون : لا إله إلا الله ؟ الجواب : لا ، إنما هي طائفة منهم ، كفرهم جاء باعتقاد أن النبوة النبي ﷺ أرسل للعرب خاصة دون غيرهم ، هؤلاء نطقوا بـ لا إله إلا الله ومع ذلك قاتلهم النبي ﷺ بل كفرهم وسباهم ، وهذا مجمع عليه بين الطائفتين ، لا أحد أبدًا يقول بأن اليهود مسلمون ، جاء في حديث عائشة المتفق عليه وفيه : فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل ، فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار - جبريل - فقال : قد وضعتَ السلاح ، والله ما وضعتُه أُخْرُجْ إليهم . قال النبي ﷺ : « **فأين** » ؟ فأشار إلى بني قريظة - بني قريظة يهود أو لا ؟ يهود - فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه فردّ الحكم إلى سعد ، قال : إني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة - هذا الشاهد مع كونهم يقولون : لا إله إلا الله . - وأن تُسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم . فدل على أن النبي ﷺ بنفسه قاتل من قال : لا إله إلا الله . ولم تكن لا إله إلا الله عاصمة لهم البتة ، (**وأن أصحاب رسول الله قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ويصلون ويَدَّعُون الإسلام**) هذا سبق معنا قاتلوهم (**وكذلك الذين حرقهم على بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار**) قلنا : الخلاف في التحريق لا في القتل

. إذًا هم كفار وقتلوهم ، وكذلك بني حنيفة كفار وقاتلوهم ، والمصنف هنا أعاد ما ذكره سابقًا ، هناك ذكره مثالاً للحكم بالتكفير ، وهنا القتل [أحسنت] هنا القتل ، إذ لا تلازم بينهما كما ذكرناه سابقًا .

إذًا الجواب الأول عما استدلوا به في حديث أسامة وغيره بأن من قال : لا إله إلا الله . ونطق بهذين الكلمتين لا يُقتل ولا يَكْفُرُ ولا يُكَفَّرُ البتة . نقول : لا ، النبي ﷺ قاتل من قال : لا إله إلا الله . والصحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، إذًا ما نفعتهم لا إله إلا الله ، وكذلك علي رضي الله تعالى عنه حرق أولئك بالنار وما نفعتهم لا إله إلا الله ، وكذلك الخوارج سيذكره المصنف قالوا : لا إلا الله . ومع ذلك أمر النبي ﷺ بقتلهم ، إذًا لا إله إلا الله لم تعصم دماءهم ، إذًا يمكن أن يقول : لا إله إلا الله . ونحكم عليه بالكفر .

إذًا هذه أربعة أمثلة ذكرها المصنف لمن قال : لا إله إلا الله . وكُفِّرَ وقُتِلَ ، وهذه الأربعة محل إجماع ، وإنما الخلاف في الخوارج فقط هل هم كفار أو لا ؟

وظاهر السنة أنهم كفار .

(**وهؤلاء الجهلة مقرون : إن من أنكر البعث كفر وقتل ، ولو قال : لا إله إلا الله . وأن من أنكر شيئًا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها**) هذا تناقض غريب . إذًا قوله : ولا يُقْتَلُ فيما سبق (**ولو فعل ما فعل**) في تقرير مقالتهم ، نقول : هذا عام أريد به خاص . إذًا ولو فعل ما فعل ، ليس من إنكار ما علم من الدين بالضرورة لأنهم يعتقدون كفره ويجب قتله ، وهذا الذي ينصون عليه في كتب الفقه ، وإنما المراد (**ولو فعل ما فعل**) مما حُكم عليه بأنه شرك أكبر كدعاء غير الله والتوجه لغير الله تعالى ، حينئذٍ يناقش معهم بالشبهة السابقة ، لأنهم هل يعتقدون هذا شرك أو لا ؟ هل هو عبادة أو لا ؟ الإحالة على ما سبق .

قال هنا الشيخ : (**فكيف لا تنفعه**) . يعني : لا إله إلا الله . (**إذا جحد شيئًا من الفروع**) يعني : الصلاة وما بعدها . (**وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه**) . إذًا فرقوا بين متماثلين وهو : أن الدين جاء بوجوب الصلاة . فأنكرها كَفَرَ وقُتِلَ ، ولم تنفعه لا إله إلا الله ، جاء بالتوحيد بإخلاص العبادة لله عز وجل ، دعا غير الله ، قالوا : لا يَكْفر ولا يقتل لماذا ؟ لأنه قال لا إله إلا الله ، وهذا تناقض ، واضح هذا الإشكال هنا أو الجواب ؟ أنهم أَقَرُّوا بأنه إذا جحد شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة إلا التوحيد ، إذا جحد شيئًا من هذا لم ينفعه لا إله إلا الله فكُفِّرَ وقُتِلَ ، وأما إذا جحد شيئًا من التوحيد حينئذٍ لا يكفر لأنه قال لا إله إلا الله ، وهذا واضحٌ بين ، (**ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث**) ، (**ما فهموا**) إذًا ثم إثبات نصٍ ثم فهمه على الوجه الصحيح (**ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث**) نحن نقول هم مشركون ومع ذلك هنا (**ما فهموا**) هل عدم الفهم يعتبر عُذرًا في رفع الحكم عنهم ، المصنف أقرّ بأنهم (**ما فهموا**) إذا لم يفهموا هل عدم الفهم شرطٌ في إيقاع الحكم عليهم أو لا ؟

...

ليس شرط ، لأن الشرط هو بلوغ الحجة ، وفرقٌ بين بلوغ الحجة وفهم الحجة ، فهم الحجة ليس شرطًا فإنما المراد أن يصله النص ، ثم يفهمه بلسانٍ عربي ، وأما الفهم الذي يكون على مبنيًا على الاحتجاج ونحوه فهذا ليس بشرطٍ ، وإذا لم يفهمون يعتبر ذلك عذرًا لهم لأن فهم الحجة ليس بشرطٍ ، بل الشرط هو إقامة الحجة للتكفير ، قال سبحانه : (**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ**) [الأنعام : 25] . أي أغطيةً وحُجَج أن يفهموا هذا القرآن ، هذا الجواب المجمل .

الأول : إثبات شيءٍ من السنة النبوية أو فعل الصحابة بأنهم حكموا بكفر ومقاتلة من نطق بلا إله إلا الله فلم تنفعهم .

ثانيًا : تناقضهم هم في أنهم حكموا بالكفر على من جحد وجوب الصلاة والقتل مع قوله لا إله إلا الله فلم تنفعه لا إله إلا الله ، وتناقضوا في إثبات ذلك الحكم مع التوحيد .

أما الجواب المفصل فيقال : (**فأما حديث أسامة رضي الله عنه**) لماذا أنكر عليه النبي ﷺ ؟ لأنه خالف ، لأن من قال لا إله إلا الله وهو كافر وجب الكفُّ عنه ، لكن الكف هنا ليس مطلقًا كما يَدَّعُون وإنما الكفُّ مؤقتًا ، حتى ينظر في شأنه هل التزم بمدلول لا إله إلا الله أو لا ، فإن التزم كُفَّ عنه مطلقًا حتى يثبت الناقض ، وإن لم يلتزم بمفهوم لا إله إلا الله وبمدلول لا إله إلا الله وشروطها حينئذٍ لا تنفعه لا إله إلا الله ، إذًا الإنكار عليه في ماذا ؟ في كونه لم يتدين والأصل فيه أن يجب أن يتدين ، لأن كل من نطق بلا إله إلا الله حكم له بالإسلام الظاهر ، وأما الباطن قلنا هذا شأنه إلى الباري جل وعلا ، ليس لنا فيه كلام ، لأن القلوب لا يطلع عليها إلا خالقها ، (**فأما حديث أسامة رضي الله عنه**

فإنه قتل رجلاً ادَّعَى الإسلام) يعني : قال لا إله إلا الله حينئذٍ ثبت حكم الإسلام (بسبب أنه ظن أنه ما ادَّعاه إلا خوفًا على ماله ودمه) هكذا فهم ، ولذلك قال : متعوذًا . قالها متعوذًا يعني : استعاذ بهذه الكلمة عن القتل لجأ إليها ، لكن مع ذلك ثبت له الإسلام ، ولذلك الصحيح من قال لا إله إلا الله هازلاً يمزح قال لا إله هو كافر ثبت الحكم أو لا ؟ ثبت الحكم حينئذٍ نقول له إما أن تواصل ، وإما أن نضرب عنقك « من بدل دينه فاقتلوه » . ولو قال : كنت أمزح لو صلى هكذا هازلاً يمزح فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله أسلم أو لا ؟ أسلم ، أسلم بالشهادة ، لا بالصلاة على الصحيح حينئذٍ لو قال لا إله إلا الله قال كنت أمزح ما ينفع ، ثبت الإسلام الظاهر ولو كنت مازحًا ، حينئذٍ إما أن يواصل ويأتي بمفردات الإسلام وأركانه وإما أن تضرب عنقه ، وهنا قال : (فإنه قتل رجلاً ادّعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه) . يعني : ادعى الإسلام (إلا خوفًا على دمه وماله) هكذا ظن أسامة فاجتهد فقتله ، والصواب أنه لا يقتل ، ولذلك أنكر النبي ﷺ (والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكفّ عنه) إذا أظهر الإسلام بلا إله إلا الله ما الحكم نقول : ثبت له الإسلام الحكم العام إسلام الظاهر حينئذٍ نعطيه ما يترتب على الإسلام من وجوب الكفّ عنه ، يعني : عصمة الدم والمال ، فنقول : ثبتت له أحكام الإسلام ولذلك بعضه يسميه الإسلام الحكمي يعني : نحكم عليه بأنه مسلم بقوله لا إله إلا الله فنعصم دمه وماله ، ثم ننتظر ولذلك قال : (وجب الكف عنه) لكن ليس كفًا مطلقًا وإنما كف مؤقت (حتى يتبين منه ما يخالف ذلك) ما يخالف مدلول لا إله إلا الله ، فإن قال لا إله إلا الله ثم ذهبت وتبرك بصنمٍ ولجأ إليه ونحو ذلك نقول هذا نقض لا إله إلا الله ، فلم تنفعه ، حينئذٍ يقتل ولو قال لا إله إلا الله ، (حتى يتبين منّه ما يخالف ذلك) يعني : يخالف مدلول لا إله إلا الله ، لأنه قالها فننظر في معناها وننظر في شروطها ، إن أتى بها ثبت له الإسلام ، وإلا حينئذٍ نحكم بكفره وقتله وإن قال لا إله إلا الله ، (وأنزل الله تعالى في ذلك) يعني : في شأن أسامة القصة السابقة قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ) [النساء : 94] أي تثبتوا) ، (وأنزل الله تعالى في ذلك) هذا قول أنها نزلت في شأن أسامة ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ)) يعني : في الجهاد سافرتم في الجهاد ((فَتَبَيَّنُواْ) [النساء : 94] أي تثبتوا) كما هو في قراءة أخرى ، وقال عكرمة : عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما

مرّ رجلٍ من بني سليم على نفرٍ من أصحاب النبي ﷺ ومعه غنم له فسلم عليهم ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أي ، قالوا : ما سَلَّمَ عليكم إلا ليتعوذ منكم فقاموا فقتلوهم . هذا اجتهاد فقاموا فقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية ، إذًا : ذُكِرَ هذا ، وذَكِرَ ذاك ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ)) يعني : إذا سافرتم ((فِي سَبِيلِ اللّهِ)) يعني : الجهاد ((فَتَبَيَّنُواْ)) تبينوا من التبين كما سيأتي كلام الشوكاني ((فَتَبَيَّنُواْ)) قرأ حمزة والكسائي ها هنا في موضعين ، وفي سورة الحجرات بالتاء والثاء من التثبيت أي : قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر ، قرأ من ؟ حمزة والكسائي ها هنا في موضعين وفي سورة الحجرات بالتاء والثاء يعني : (فتثبتوا) أي : قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر ، وقرأ الآخرون باليان والنون ((فَتَبَيَّنُواْ)) من التبيين يقال تبينت الأمر إذا تأملت (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ) هكذا قراءة أهل المدينة وابن عامر وحمزة أي : المقادة وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وقرأ الآخرون (السَّلاَمَ) [النساء : 94] وهو السلام الذي هو التحية المسلمين لأنه كان قد سلم عليهم كما في روايةٍ أخرى ، وقيل : السَّلَم والسلام واحد أي : لا تقولوا لمن سَلَّمَ عليكم ليست مؤمنًا ، يعني : لا تقول لمن سلم عليكم قال السلام عليكم ليست مؤمنًا (وأنزل الله تعالى في ذلك : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ) [النساء : 94] أي تثبتوا) هكذا فسرها المصنف بالقراءة الأخرى ، وكما ذكرنا قرأ الجمهور ((فَتَبَيَّنُواْ)) من التبين ، وقرأ حمزة والكسائي (فتثبتوا) من التثبت والمراد من التبين التعرف والتفحص ، ((فَتَبَيَّنُواْ)) ومن التثبت الأناة وعدم العجلة وأيهما أعمّ ؟

...

الثاني ، لأن الأناة وعدم العجلة يكون بعد التبين والتعرف ، هذا الظاهر ، أو العكس التبين يكون نتيجةً للأناة وعدم العجلة ، نعم العكس التبين أعمّ من التثبت ، والمراد من التبين التعرف والتفحص وهذا يكون بعد الأناة وعدم العجلة [نعم] ، ثم التثبت والأناة وعدم العجلة والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر .

قال القرطبي رحمه الله : (فَتَبَيَّنُواْ) في هذا أوكد لأن الإنسان قد يتثبت ولا يتبين . نعم التبين يكون أعمّ (فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه) لأنه قال : ((فَتَبَيَّنُواْ)) . دلت تدل على أنه يجب الكفّ عنه (والتثبت فإن تبين

منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتِل) فلم تنفعه لا إله إلا الله (لقوله تعالى : (فَتَبَيَّنُوا) ولو كان لا يُقْتَل إذا قالها لم يكن للتثبيت معنى) لأنه قال : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ)) . والمراد هنا على كلام المصنف أنها نزلت في شأن أسامة طيب ، إذًا : كفّ عنه فتبين ، تبين إذا كان لا يقتل مطلقًا ولو فعل ما فعل ما فائدة التبين ، لا فائدة فيه ، وإنما دل الأمر بالتبين على أنه إذا خالف مقتضى لا إله إلا الله يكون الحكم بخلاف ما سبق وهو أنه يقتل ، فهمتم هذا ؟ (فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت ، فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتل) لماذا ؟ (لقوله : (فَتَبَيَّنُوا) ولو كان لا يقتل إذا قالها) مطلقًا (لم يكن للتثَبُّتِ معنى) أي : لم يكن لقول الله ((فَتَبَيَّنُوا) [النساء : 94] أي تثبتوا) معنًى إذا كانت لا إله إلا الله تعصمه مطلقًا حتى الموت ، إذًا ما الفائدة من قوله ((فَتَبَيَّنُوا)) و (تثبتوا) إذا كان لا يقتل مطلقًا تثبتوا من أي شيء ؟ إذا كان إذا خالف لا إله إلا الله من أصلها فلا يُقتل يتبين على أي شيء ؟ يتثبت من أي شيء ؟ فالأمر واحد ، قال : لا إله إلا الله ثم فعل ما فعل من صنوف الشرك الأكبر لا يقتل ولا يحكم بكفره ، إذًا ما فائدة قوله : ((فَتَبَيَّنُوا)) . (وكذلك الحديث الآخر وأمثاله ، معناه ما ذكرت أن من أظهر الإسلام والتوحيد) إذًا كل النصوص السابقة « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا » ، إذًا : القول ليس مطلقًا ، وإنما حتى يقولوا لا إله إلا الله ، حينئذٍ لا بد من التبين والتثبت ، فإن أتى بما تقتضيه لا إله إلا الله عز وجل من صرف العبادة الخالصة لله عز وجل وعدم صرفها لأي مخلوقٍ كان ، حينئذٍ يبقى الأمر فلا يُقتل ولا يُحكم بكفره ، فإن خالف حينئذٍ أمر بقتله للنصوص السابقة التي ذكرناها ، (وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرت أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكفّ عنه إلا أن يتبين منه ما يُناقض ذلك) وفي هذا الجمع بين النصوص ولا تعارض بينهما ، فإن وقع في نصٍ اشتباه رددناه إلى المحكم .

(والدليل على هذا) السابق أن ما ذكرناه هو الجمع بين النصوص بأن لا إله إلا الله يُكفّ عن قائلها الكفر والقتل حتى يتبين ، فإن تبين منه ما يخالف لا إله إلا الله حينئذٍ كفر وارتد ووجب قتله . (والدليل على هذا أن رسول الله الذي قال : « أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ » ، وقال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولون لا إله إلا الله » هو الذي قال في الخوارج : « أينما لَقِيتُموهم فاقتلوهم ») خرج من مشكاةٍ واحدة ، الذي نهى وقيد القتل فيما سبق لمن قال لا إله إلا الله هو الذي أمر بقتل الخوارج ، إذًا وهم قالوا لا إله إلا الله ما الجمع بينهما ؟ هل نقول : ثَمّ تعارض فتساقطت ، أو نقول الجمع بأن من قال لا إله إلا الله فأتى بمقتضاها حينئذٍ نقول : هذا يكفُّ عنه ، وهو المراد بأنه لا يقتل ولا يُكفر ، وأما من خالف حينئذٍ يقتل ولا تعارض بينهما ، هو الذي قال : (هو الذي قال في الخوارج : « أينما لقيتموهم فاقتلوهم » وقال : « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عادٍ ») وهذا ثابتٌ في الصحيحين عن عليّ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتي في آخر الزمان قومٌ حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة » . وهو يقولون لا إله إلا الله ، فأمر بقتلهم ، إذًا ليس كل من قال لا إله إلا الله لا يكفر .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه « إن من ضئضئ هذا قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، لأن أدركتهم لأقتلنهم قتل عادٍ » . إذًا تمنى أنه يدركهم ويقتلهم قتل عاد مع (مع كونهم من أكثر الناس عبادةً ، وتهليلاً ، حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم ، وهم تعلموا العلم من الصحابة) . هذا أوصاف للخوارج ومع ذلك قالوا لا إله إلا الله وأمر النبي ﷺ بقتلهم . (فلم تنفعهم " لا إله إلا الله ") ، (تعلموا العلم من الصحابة) هل هذه تزكية لهم أم لا ؟

...

تزكية أو لا ؟ نقول : لا ، ليس بتزكية لأن التتلمذ عن الصحابي إن استمر على الاستقامة حينئذٍ يعتبر تزكيةً له ، وإن لم يستمر على الاستقامة على منهج الحق لمن أخذ عنهم العلم حينئذٍ لا ينفعه أنه تعلم على أيدي الصحابة ، ولذلك أمروا بقتلهم مع كونهم هم الذين عَلَّمُوهم العلم . إذًا لا يعتبر الأخذ عن عالمٍ معين بأنه تزكيةٌ له لا ، إذًا : لا يزكون بهذا ، فإن التتلمذ شيء والثبات على السنة شيءٌ آخر ، طلب العلم على يد عالم صاحب سنة لا يعني أن يوصف صاحبه يعني : التلميذ بأنه صاحب سنة دائمًا ، لا ، قد يخالف ، ولذلك إذا قيل بأن فلان منهجه فاسد في الدعوة .. ونحو ذلك قال تتلمذ على يد ابن بازٍ رحمه الله نقول : هذا لا يلزم ، هذا ليس بلازم ، ابن بازٍ صاحب سنة

وليس كل تلميذٍ له يكون على منهجه ، بل قد يخالف . إذًا لا يتبجح بمثل هذه المثال . (**فلم تنفعهم**) يعني : الخوارج (**لا إله إلا الله**) في الكفّ عنهم لأنهم لا يقاتلوا (**ولا كثرة العبادة ، ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة**) فإنهم يقاتلون سواءٌ قلنا بكفرهم أو لا ، لأن النبي ﷺ أمر بمقاتلتهم ، وإن كان ظاهر النص أنهم يمرقون من الإسلام ، (**وكذلك ما ذكرنا من قتال اليهود وقتال الصحابة رضي الله عنهم بني حنيفة ، وكذلك أراد أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل منهم أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله**) مع أنهم من الصحابة وآمنوا بالنبي ﷺ وقالوا : لا إله إلا الله وأظهروا الأذان وسائر الشريعة لما بلغه أنهم قد منعوا الزكاة هم بمقاتلتهم ، (**حتى أنزل الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) [الحجرات : 6]**) ((**فَاسِقٌ**)) والمراد به الوليد بن عقبة نزلت فيه الآية ((**بِنَبَأٍ**)) يعني : بخبرٍ ((**فَتَبَيَّنُوا**)) (**تثبتوا**) كما ذكرناه هناك عن حمزة والكسائي ((**أَن تُصِيبُوا**)) كي لا تصيبوا بالقتل والقتال ((**قَوْماً**)) برءاءَ بالنصب ((**بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**)) من إصابتكم بالخطأ ، (وقد كان **وكان الرجل كاذباً عليهم**) وهذا واردٌ في المسند في حديث ثابت عن الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه قال : قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه فأقررت به ، فدعاني إلى الزكاة فأقررت بها ، فقلت يا رسول الله : أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته ، وترسل إليّ يا رسول الله رسولاً إبَّان كذا وكذا ليأتيك بما جمعتُ من الزكاة ، فلما جمع الحارث الزكاة مِنْ مَنْ استجاب له وبلغ الإبَّان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه ، احتبس عليه الرسول - تأخر - . جاء الوقت وتأخر الرسول رسول الرسول ﷺ ، فلم يأته فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطةٌ من الله عز وجل ورسوله فدعا بثروات قومه فقال لهم : إن رسول الله ﷺ كان وَقَّتَ لي وقتًا يُرسل إلي رسوله لقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف ، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطةٍ كانت ، فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ ، وبعث رسول الله عليه الصلاة والسلام الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده من ما جمع من الزكاة ، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق ، يعني : خاف قيل : لأن بينه عداوة بينهم قبل الإسلام فظن أن ثم شيء ، فرجع فأتى رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي . فغضب رسول الله ﷺ وبعث البعث إلى الحارث وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيه الحارث فقالوا : هذا الحارث فلما غشيهم قال : إلى من بُعثتم ؟ قالوا : إليك . قال : ولِمَ ؟ قالوا : إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة وزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله . فقال رضي الله عنه : لا والذي بعث محمدًا بالحق ما رأيته بتةً ولا أتاني . فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال : « **منعت الزكاة وأردت قتل رسولي** » . قال : لا ، والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني ، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رَسول الله ﷺ ، وخشيت أن يكون كان سخطةٌ من الله تعالى ورسوله ؟ قال فنزلت الحجرات (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ**) [الحجرات : 6] إلى قوله : (**حَكِيمٌ**) [الحجرات : 8] . قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : وقد ذكر كثيرٌ من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق وقد روى ذلك من طُرق ، أو رُوِيَ ذلك من طرق ومنه أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده . الحديث الذي ذكرناه . لذلك قال المصنف هنا : (**وكان الرجل كاذبًا عليهم**) . (**الرجل**) كناه (**فكل هذا يدل على أن مراد النبي في الأحاديث الواردة ما ذكرناه**) وهو : أن لا إله إلا الله تكف الكفر والقتل عن صاحبها حتى يتبين منه ما يخالف ذلك القول ، فإن ثبت استمراره على مقتضى لا إله إلا الله وجب الكفّ مطلقًا ، وإن ناقضه حينئذٍ لم تنفعه لا إله إلا الله ، والله أعلم .

وصلَّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

الدرس 18

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .
أما بعد :
ذكرنا أن المصنف رحمه الله تعالى ذكر بعض الأدلة التي استمسك بها من يؤيد ما هو عليه من الشرك ، وذكر حديث أسامة وكذلك حديث « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله** » . كذلك كل حديث فيه الكفّ عمن قالها ، وذكرنا أن المصنف رحمه الله تعالى أجاب عن هذه الأحاديث بجوابين : جواب مجمل ، وجواب مفصل .
ثم أورد شبهة أخرى وهي متعلقة بحديث آخر قال : دليلهم الثالث : (**ولهم شبهة أخرى وهي ما ذكر النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ، ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى ، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**) . يعني : حديث الشفاعة الطويل المشهور ، وهذا فيه استغاثة بآدم ، وفيه استغاثة بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى كلهم يستغيث بهم أصحاب الموقف أهل الموقف حينئذٍ حتى ينتهون إلى النبي ﷺ ، قالوا في وجه الاستدلال بهذا النص وهو حديث صحيح ثابت متفق عليه ، قالوا : فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله وهم الأنبياء المذكورون ليست شركًا [لأن هؤلاء الأنبياء] [51] لأن هؤلاء الذين استغاثوا بالأنبياء إنما استغاثوا بهم في أمرٍ قد احتاجوا إليه ، فلجئوا إليهم وهم أموات أم أحياء ؟ لهم نظرة في الحياة التي بعد القبر فهم ينظرون إلى أن النبي كذلك من ذكر في الحديث كانوا أحياء ، ثم لما ماتوا صار ماذا ؟ صار لهم حال أخرى مخالفة للحال السابقة ، وما بعد القبر من البعث ويوم القيامة قالوا : حكمه حكم ما بعد الحياة الأولى ، حينئذٍ يكون كالموت حكمًا ، فإذا استغاثوا بهؤلاء بآدم ونوح ومن ذكر حينئذٍ استغاثوا بمن ليس بحي ، سواء سمي ميتًا أو لا ، حينئذٍ حصلت الاستغاثة بغير الله جل وعلا وهذا يدل على أنه ليس بشرك .
استدلالهم بهذا النص على أن الحياة بعد الموت لا تسمى حياة ، حينئذٍ لها حكم ما بعد الحياة الأولى وهي حياتهم في الدنيا ، ثم لما قُبِضُوا حينئذٍ موت بعث يوم القيامة هذا له حكم واحد ، وهو أنه مقابل للحياة الأولى ، وهو من جنسِ الموت .
إذًا استدلالهم به على أن الحياة بعد الموت لا تسمى حياة ، وإنما هي حياة الدنيا .
وهذا باطل بالنص القرآني الله عز وجل حَكَمَ بأن الناس أحيوا حياتين وأميتوا ميتتين قال جل وعلا كما هو في سورة البقرة : (**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**) [البقرة : 28] ، (**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا**) يعني : في بطون أمهاتكم . (**فَأَحْيَاكُمْ**) بنفخ الروح (**ثُمَّ يُمِيتُكُمْ**) بنزع الروح (**ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**) هذا بعد القبر سماه ماذا ؟ سماه حياة ، وإذا كان حياةً قد أطلق الله عز وجل حينئذٍ نقول : هذه حياة . (**ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**) بعود الروح ، وقوله جل وعلا : (**رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**) [غافر : 11] . فهما حياتان ومِيتَتَان ، فدل على أن النصوص فيها حياتان وفيها مِيتَتَان ، فمن جعل الموت والحياة حالة واحدة فقوله مردود بما ذكرنا ، من جعل الموت والحياة بعد الموت حالة واحدة مقابلة للحالة الأولى قوله مردود بالنص لأنه قال : (**فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**) . وثم هنا تفيد التراخي ووصف بالفعل المتضمن لصفة الحياة (**فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**) والنص كذلك (**رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**) ، (**أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ**) الميتة الأولى التي هي في الصلب ، والميتة الثانية بعد نزع الروح في الحياة الدنيا ، قالوا : فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله تعالى ليست شركًا ، والاستغاثة كما هو معلوم السين هنا للطلب ، فهي لطلب الغوث فهو : إزالة الشدة . الاستغاثة المراد بها إزالة الشدة ، كما يقال : الاستعانة طلب العون . والاستغفار طلب المغفرة .. ونحو ذلك ، حينئذٍ الاستغاثة طلب الغوث ، وهو : إزالة الشدة . فالاستغاثة طلب ودعاء ، هي أخص من الدعاء مطلقًا لأنها هي دعاء لكنها لا تكون إلا عند الشدة ، والدعاء يكون عند الشدة والرخاء ، أيهما أعمّ ؟ الدعاء ، وكل استغاثة دعاء ولا عكس ، لأن الدعاء في الرخاء لا يُسمَّى استغاثة ، إذًا الاستغاثة أخص من الدعاء مطلقًا ، لأن الدعاء يكون عند الشدة وفي الرخاء بخلاف الاستغاثة ، وهذا أيضًا

(51) سبق .

متعلق بدعاء المسألة لا بدعاء العبادة ، خطابهم هكذا هو بدعاء المسألة يكون باللسان ، إذًا الاستغاثة طلب ودعاء ، والأصل في الطلب وسؤال المخلوق لأنها متعلقة هنا بسؤال غير الرب جل وعلا ، ما الأصل في سؤال المخلوقين الأصل فيه المنع والتحريم ، إلا ما دل الدليل على تخصيصه ، إذا دل الدليل على تخصيص الشيء صورة معينة حال معينة ، حينئذٍ صرنا إليه ، وإلا الأصل أنه ممنوع . إذًا الأدلة من الكتاب والسنة عامة ومطلقة تدل على منع السؤال ، سؤال غير الله جل وعلا مطلقًا ، وسبق معنا قوله تعالى : (**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) [الجن : 18] لا تدعوا دعاء مسألة ودعاء عبادة ، قلنا : يشمل النوعين ، وكذلك قوله تعالى : (**وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ**) [المؤمنون : 117] . (**وَمَنْ يَدْعُ**) أطلق الدعاء هنا ، فيشمل النوعين ويدخل فيه كل دعاء سواء كان من مخلوق حي أو مَيْتٍ قادرٍ أو غير قادر ، حاضر أو غائب ، يسمع أو لا يسمع ، كل المسائل التي تتعلق بالاستغاثة فالأصل دخولها في هذا النص وفي النهي السابق ، وهذا عام يشمل ما يقدر عليه المطلوب منه وما لا يقدر ، سواء كان حاضرًا أو غائبًا يقدر أو لا يقدر ميتًا أو حيًا ، وجاء النص بجهة أو من جهة الخصوص الاستغاثة وهي قوله تعالى : (**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**) [الأنفال : 9] . (**تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ**) دل على أنه عبادة ، فالأصل في الاستغاثة ماذا ؟ أنها تكون بالرب ولا تكون بالمخلوق ، هذا الأصل ، أنه يحرم الاستغاثة بأي مخلوق كان ، كل من عدا الله من سوى الله جل وعلا فالاستغاثة به فالأصل فيه المنع ، وكل سؤال لمخلوق أيًّا كان ذلك المخلوق فالأصل فيه المنع ، بقطع النظر عن كونه مَيْتًا أو حيًّا حيًّا حاضرًا أم غائبًا ، حاضرًا يقدر أو لا يقدر مطلقًا لعموم النصوص ، وجاء في السنة الحديث المشهور « **إذا سألت فاسأل الله** » . خاصة أو عامّة ؟ خاصة ، إذًا السؤال يكون بالله عز وجل « **إذا سألت فاسأل الله** » . يكون موجهًا للخالق جل وعلا ، كونه علقه على الرب دل على المنع من غيره ، « **إذا سألت فاسأل الله** » . هذا تخصيص أو تعميم ؟ تخصيص ، إذًا السؤال سؤال غير الرب جل وعلا الأصل فيه المنع ، « **وإذا استعنت فاستعن بالله** » . كذلك هذا تخصيص وليس فيه عموم من جهة الاستعانة ، تخصيص بمن يُستعان به وهو الله جل وعلا ، ثم من عدا الله فالعموم على المنع من جهة الأشخاص ومن جهة الأحوال ، من جهة الأشخاص سواء كان حيًّا أو ميتًا نبيًّا أو لا ملكًا أو لا ، ومن جهة الأحوال سواء كان يقدر أو لا يقدر ، يسمع أو لا يسمع ، والنص يكون عامًا ، إذا تقرر هذا حينئذٍ نقول : النصوص عامة تمنع السؤال مطلقًا بلا تفصيل ، على الفهم السابق ، يعني : لا يقال يقدر أو لا يقدر ، حي أو ميت ، حاضر أو لا ، يسمع أو لا ، حينئذٍ إذا أردنا تخصيص الحالة المشهورة وهي المجمع عليها بين أهل السنة والجماعة أن الاستغاثة أو الاستعانة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه ويسمع خطابه ، فالأصل فيه الجواز حينئذٍ من أثبت هذه الصورة جوازًا احتجنا إلى دليل يُخَصِّصُ هذه العمومات وهذه المطلقات ، حينئذٍ نحتاج إلى دليل وهو الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى ، وهناك أدلة تخصص هذا العموم وتقيد هذا الإطلاق ببعض الصور كما في قصة موسى (**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ**) [القصص : 15] ، (**فَاسْتَغَاثَهُ**) يعني : طلب منه الغوث ، (**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ**) يعني : من بني إسرائيل (**عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ**) الذي هو فرعون ، حينئذٍ نقول : هذا النص يعتبر ومثله كثير في السنة النبي ﷺ مع الصحابة ، ونفس تلك الأحوال نقول : هذه تعتبر مخصصات للعموم الذي ذكرناه في النصوص السابقة ، لكن ننظر في هذه الرخصة أو هذا المخصص ، فإذا به موسى حي أو ميت ؟ حي حاضر أو غائب استغاث به وهو حاضر أم غائب ؟ حاضر ، يقدر أو لا يقدر ؟ يقدر ، حينئذٍ نقول : هذه الأحوال يسمع أو لا يسمع ؟ يسمع ، إذًا موسى حي حاضر يقدر على ما استغيث به فيه ، حينئذٍ إذا كان مَيْتًا فالأصل فيه دخوله في النصوص السابقة (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) ، « **إذا استعنت فاستعن بالله** » ، « **إذا سألت فاسأل الله** » . حينئذٍ نقول : « **إذا سألت فاسأل الله** » . (**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ**) إذًا المخلوق ممنوع مطلقًا سواء كان ميتًا أو حيًّا ، دل النص على أن الحي بالقيود الآتية أنه تجوز الاستغاثة به فيما يقدر عليه ، إذًا الميت دخل في العموم ولا مخصص أن يكون حاضرًا لأن الصورة التي حكيناها من موسى ، والصحابة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما كان المستغاث به حاضرًا ، فإن كان غائبًا نقول : دلّ المخصص على أن الذي يجوز الاستغاثة به أن يكون حاضرًا ، فإذا كان غائبًا حينئذٍ دخل في عموم النهي ، فليس ثَمَّ مخصص يخرجه فبقينا على الأصل وهو التحريم ، فيما يقدر عليه بظاهر النصوص التي ذكرناها حينئذٍ ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل نقول : هذا داخل في قوله : « **إذا سألت فاسأل الله** » . (**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ**) حينئذٍ كل ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل فهو داخل في العموم السابق ، إذًا نقول : قوله جل وعلا في قصة موسى : (**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ**) . هذا خارج عن العموم والإطلاق السابق ، حينئذٍ إذا أردنا أن نأخذ تلك الشروط وتلك المخصصات ننظر

إلى الحال ، ما المراد بالحال ؟ يعني : ملابسات هذه القصة (**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ**) المستغاث به موسى ، إذًا مخلوق ، والأصل في الاستغاثة بالمخلوق المنع ، إذًا جاز لأنه نبي وأقره الله عز وجل ولم ينكر وحكاه لنا ، فدل على أن الاستغاثة في هذا النوع بالمخلوق جائزة بالشروط التي تأتي ، فهذا خارج عن العموم والإطلاق وصورته أنه طلب الغوث من مخلوق حي حاضر قادر يسمع خطابه ، هذه كلها موجودة في قوله : (**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ**) موسى مخلوق ، طلب الغوث ، ذلك الذي من شعيته ، من مخلوق حي حاضر قادر ، فإن لم يكن حيًّا فالأصل فيه المنع ، فإن لم يكن حاضرًا وهو الغائب فالأصل فيه المنع سواء كان يقدر أو لا يقدر ، قادر إن لم يكن قادرًا فالأصل فيه المنع ، يسمع خطابه حاضر إن لم يسمع خطابه فالأصل فيه المنع ، والصحابة استغاثوا بالنبي ﷺ في حياته في مواضع . إذًا نقول هنا : الاستغاثة هي طلب الغوث والأصل فيها أن لا تكون إلا بالرب جل وعلا لعموم النصوص الدالة على أن طلب الاستغاثة إنما هو عبادة في الأصل ، حينئذٍ لا يُستثنى من هذا العموم إلا ما دلّ النص عليه ، وإذا دل النص على شيء خارج عن مفهوم طلب الاستغاثة الذي هو الأصل فيه المنع ، حينئذٍ لا نطلق عليه بأنه عبادة ، وإنما تكون من الأمور الجائزة المباحة التي تكون بين الناس . قال الشيخ هنا بعد ما أورد الشبهة : (**فالجواب أن تقول : سبحان من طبع على قلوب أعدائه ، فإن الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا ننكرها**) . هذا الحديث لنا لا علينا ، لأن ثَمَّ استغاثتين :

- استغاثة ممنوعة وهي : استغاثة العبادة . وهذه هي التي ذكرنا عليها الأدلة (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ**) ، « **إذا استعنت فاستعن بالله** » ، « **إذا سألت فاسأل الله** » . (**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**) هذه استغاثة عبادة ، وهي تكون بالرب جل وعلا .

- وهناك استغاثة جائزة ، وهي التي ذكرناها ودلت النصوص على إخراجها من العمومات السابقة ، حينئذٍ هذا الدليل في أي شيء ؟ في أي النوعين ؟

هل استغاثوا بأموات ؟

هل استغاثوا بأحياء ليسوا حاضرين ؟

هل استغاثوا بأحياء حاضرين فيما لا يقدر عليه إلا الله ؟

الجواب : لا ، إذًا توفرت فيها شروط الاستغاثة الجائزة ، حينئذٍ يكون دليلاً لنا لا علينا ، ولذلك قال : (**سبحان من طبع على قلوب أعدائه**) . لا يميزون بين الحق والباطل ، الْتَبَسَتْ عليهم الأمور ، انقلبت عليهم الموازين صاروا يرون الجائز أنه دليل على ما يمنعون منه ، (**فإن الاستغاثة بالمخلوق**) قيدها الحي الحاضر (**على ما يقدر عليه لا ننكرها**) نثبتها (**كما قال تعالى في : (فَاسْتَغَاثَهُ)**) يعني : موسى . ((**فَاسْتَغَاثَهُ**)) يعني : استغاث موسى . موسى مفعول به ((**فَاسْتَغَاثَهُ**)) أي : طلب الغوث . ((**الَّذِي مِن شِيعَتِهِ**)) بني إسرائيل ((**مِن شِيعَتِهِ**)) من بني إسرائيل ((**عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ**)) قيل : المراد به القبطي . وقيل في قوله فيما سبق هذه الآية (**هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ**) أي : هذا مؤمن وهذا كافر ، فيحمل هذا على ذاك ، إذًا على المشهور ((**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ**)) يعني : فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، ((**مِن شِيعَتِهِ**)) يعني : من جماعته من حزبه بنو إسرائيل ، وعدوه الذي ينتسب إلى فرعون ، فهنا استغاثوا بموسى وهو حي قادر ، وفرق بين الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه ، والاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه ، فالأولى جائزة ، والثانية ممنوعة ، (**وكما يستغيث إنسان**) بعدما أورد النص قال المصنف (**وكما يستغيث إنسان بأصحابه في الحرب وغيره في أشياء يقدر عليها المخلوق**) هذا أمر محسوس دليل محسوس ، وهو أمر جائز دلت عليه النصوص ، أن يستغيث الإنسان بأصحابه وهم حاضرون في الحرب وغير الحرب ، في أشياء وأمور يقدر عليها المخلوق ، وأما إذا لم يكونوا حاضرين أو بأن يكونوا أمواتًا أو غائبين ليسوا حاضرين ، أو كانوا حاضرين ولا يقدرون فالأصل فيه أنه ممنوع .

ثم قال المصنف : (**ونحن أنكرنا استغاثة العبادة**) . وهي طلب الغوث من الأموات أو من الغائبين مع اعتقاد أن لهم تدبيرًا في غيبتهم ، ويكون معها رجاء وخوف ونحو ذلك ، هذه الاستغاثة استغاثة العبادة ، وهي ممنوعة لدخولها في قوله : (**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**) . إذًا الذي (**أنكرنا**) على المشركين هو (**استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء**) يعني : أموات . القبور إنما تضم الأموات ، (**أو في غيبتهم**) سواء كانوا أمواتًا أو أحياءً ، لأنه إذا دعا الميت في حضرته عند قبره يفارق فيما إذا دعاه وهو بعيد عنه ، لأنه إذا كان في بلد وهو في بلد قال : يا سيدي عبد القادر . معناه أنه ادَّعَى له شيئًا زائدًا على ما ادّعاه له إذا كان عند قبره وهو أنه له تدبيرًا في

الكون ، وأنه يسمع نداءه ، حينئذٍ وقع الشرك في الأسماء والصفات ، إذًا (**أو في غيبتهم**) يعني : في غيبت الأموات ، أو الأحياء (**في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى**) .

إذًا هذا الذي ينكره المصنف وهو الذي نحكم عليه بأنه شرك أن يستغيث يطلب الغوث ممن ؟ من الأموات مطلقًا ، يقدرون أو لا يقدرون بدون استثناء ، أو من الغائبين مطلقًا ؟ نعم هذا الأصل ، أَصَّلْنَا قاعدة ، وهو أن الأصل هو المنع ، حينئذٍ إذا كانوا غائبين لا يسمعون فالأصل فيه المنع ، إذا قلت لرجل وهو في جدة : يا فلان اسقني ماء . هذا شرك لماذا ؟ وإن لم يكن شركًا في الإلوهية نازع بعضهم حينئذٍ يكون شركًا في الأسماء والصفات ، لأن الذي يسمع نداءه مع هذه المسافة هو الرب جل وعلا ، فأثبت لهذا المخلوق صفةً هي لله عز وجل ، فَشَرَّكَهُ في صفة السمع ، شَرَّكَ ذلك المخلوق في صفة السمع مع الرب جل وعلا ، إذا ثبت ذلك إذًا هذا الجواب الأول وهو : أن الاستغاثة أو أن هذا الدليل الذي أوردوه وهو حديث الشفاعة الطويل هو لنا لا علينا ، لأن الاستغاثة نوعان : استغاثة جائزة ، واستغاثة ممنوعة . وهذا الحديث دل على الاستغاثة الجائزة وهي : الطلب طلب الغوث من مخلوق حي حاضر يسمع خطابك يقدر على ما طلبته منه ، وهذه جائزة ومحل إجماع ، وهذا الذي في حديث آدم وموسى إلى آخره من هذا القبيل ، وأما النوع الثاني وهي : استغاثة العبادة وهي طلب الغوث من الأموات مطلقًا أو من الغائبين مطلقًا ، أو من الحاضرين فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ، فهذه استغاثة ممنوعة لأنها استغاثة عبادة . هذا الجواب الأول .

الجواب الثاني : (**إذا ثبت ذلك**) قال : (**إذا ثبت ذلك فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف ، وهذا جائز في الدنيا والآخرة ، أن تأتي عند رجل صالح**) . (**تأتي عند رجل**) هذا حاضر (**رجل صالح**) رجل لا مفهوم له لو كان امرأة (**أن تأتي عند رجل صالح يجالسك ويسمع كلامك**) هذه القولة#22.57 التي ذكرناها (**تقول له : ادع لي**) هذا جائز أو لا ؟ جائز ، ودلت النصوص على ذلك .

قال المصنف هنا : (**كما**) . مثل ما (**كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه في حياته**) حياته هذا احترازًا مما أنهم يسألونه بعد موته ، وأما بعد الموت هذا لم يرد حرف واحد لا عن صحابي ولا عن تابعي أنه ذهب إلى قبر النبي ﷺ فسأله شيئًا البتة هذا ممنوع ، وقوله : (**كما كان أصحاب رسول الله ﷺ**) . المراد به بعضهم وليس جميع الصحابة لأن السؤال سؤال المخلوق الدعاء دعاء الرب جل وعلا ابن تيمية رحمه الله تعالى يرى أن الأصل فيه المنع لعموم ما سبق ، « **إذا سألت فاسأل الله** » . أدعوا الله مباشرة ارفع يديك لماذا تقول : يا فلان ادع لي ؟ لماذا تجعل واسطة بينك وبين الرب جل وعلا ؟

فيرى أن الأصل فيه المنع ، إلا إذا قصد السائل والطالب نفع المسئول ، أن يقول له الملك : ولك مثله . حينئذٍ إذا كانت هذه النية فصار الطلب هنا متعديًا ففيه نفع للدَّاعِي .

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى ليس في هذه المسألة وإنما في مسألة (**كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه في حياته**) قال : ولهذا لم يُعرف قط أن الصّديق ونحوه من أكابر الصحابة سألوا شيئًا من ذلك ، ولا سألوه أن يدعوا لهم ، وإنما كانوا يطلبون منه أن يدعو للمسلمين . أكابر الصحابة كالصديق ونحوه ما كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعوا الله عز وجل لهم لماذا ؟ لأنه من قبيل سؤال المخلوق ، والرب جل وعلا يسمع كلامك ويرى مكانك ، وإذا لَحَّيْتَ في الدعاء استجاب لك ، وإذا كنت مضطرًا حينئذٍ جاءت الإجابة ، إذًا لماذا تجعل بينك وبين الرب جل وعلا واسطة ؟

قال : ولهذا لم يعرف قط أن الصديق ونحوه من أكابر الصحابة سألوا شيئًا من ذلك ولا سألوه أن يدعوا لهم ، وإنما كانوا يطلبون منه أن يدعوا للمسلمين ، وإنما كان سأله ذلك بعض المسلمين . بعض ليس أصحابه ، ولذلك هنا نقيده (**كما كان أصحاب رسول الله ﷺ**) بعض قلة ، كما سأله الأعمى أن يرد عليه بصره ، وكما سألته أم سليم أن يدعو الله لخادمه أنس ، وكما سأله أبو هريرة أن يدعو الله أن يحببه وأمه إلى عباده المؤمنين .. ونحو ذلك ، فهم أفراد وقلة حصل منهم طلب السؤال أو سؤال النبي ﷺ أن يدعوا لهم ، وليس هذا عامًا من جميع الصحابة ، يسألونه في حياته قلنا : هذه لها مفهوم ولذلك قال المصنف : (**وأما بعد موته ، فحاشا وكلا أنهم سألوا ذلك عند قبره**) .

وإذا ترك الصحابة شيئًا لم يفعلوه عند قبر النبي ﷺ حينئذٍ نقول : هذا الترك هل وقع اتفاقًا أم قصدًا ؟

ما معنى قصدًا ؟

يعني : تدينًا وتعبدًا لله عز وجل ، قصدًا يعني : تعمدوا ترك الذهاب إلى قبر النبي ﷺ وسؤاله . حينئذٍ نقول : هذا الترك مقصود لأنه لو كانت السنة أن يذهبوا ويسألوا النبي ﷺ فيطوفوا بقبره ويستغيثوا به ويستسقوا به لكان هذا هو العبادة ، وكان الأصل أن ينقلوا هذا إلى الأمة ، لكن لما تركوه وأجمعوا على ذلك علمنا أن هذا هو السنة ، وأن هذا هو الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ ، حينئذٍ يُسأل في حياته ، وأما بعد موته فهو داخل في عموم قوله : (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) . ونستصحب العموم السابق مع إجماع الصحابة على الترك قصدًا وليس هنا الترك وقع اتفاقًا (**وأما بعد موته ، فحاشا وكلا أنهم سألوا ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره**) . عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو - يعني : يدعو الله عند القبر . وهذا بدعة ليس بشرك يدعو الله وحده عند القبر ، نقول : هذا بدعة لأنه خصص مكانًا لم يرد فيه نص - فيدعو فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثًا سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا وحيث ما كنتم فصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني** » . إذًا الإتيان إلى القبر ودعاء الله جل وعلا يصيره ماذا ؟ عيدًا ، قال : « **لا تتخذوا قبري عيدًا** » . من المعاودة يَعود إليه وقتًا بعد وقت ، (**بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ، فكيف دعاؤه بنفسه**) هو عليه الصلاة والسلام ؟ فيكون معبودًا ومدعوًا من دون الله جل وعلا نقول : هذا هو الشرك بعينه فلا يجوز . إذًا هذا الجواب الثاني نقول : هذا من باب سؤال الحي الحاضر والتوسل إلى الله بدعائه ، فالناس إنما ذهبوا إلى الأنبياء وهم أحياء وسألوهم ما يقدرون عليه أليس كذلك ؟ وهم جوزوا الاستغاثة بالأنبياء وهم أموات ، استدلوا بهذا الحديث حديث الشفاعة على جواز الاستغاثة بأهل القبور عمومًا الأنبياء وغيرهم ، حينئذٍ نقول : الدليل في وادي وأنتم في وادي آخر . هذا في الاستغاثة الجائزة ، وما استدللتم به عليه هي استغاثة تعبدية فهي ممنوعة .

الجواب الثالث أن يقال : أنهم يسألون الأولياء ما لا يقدرون عليه ، وهنا سُئل آدم بشيء يقدره عليه أن يدعو ، وسُئل موسى وعيسى ومحمد ﷺ سئلوا شيئًا في مقدورهم أو لا ؟ في مقدورهم ، ولذلك أذن الله عز وجل بهذا ، ولذلك وجب أن نؤمن بما ذكر في الحديث وأنه من الأمور العلمية الخبرية الغيبية التي يجب الإيمان بها . حينئذٍ نقول : هذا في مقدروهم أو لا ؟ في مقدورهم . وهم جعلوه في سؤال الأموات أولاً وأجبنا بما ذكر ، وعمموا المسئول فيما يقدر عليه وما لا يقدر عليه ، وهذا باطلٌ ، فهم أموات قال ﷺ : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث** » . قال : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله** » أليس كذلك ؟ وإذا سألوهم الاستغاثة أن يفعلوا ويفعلوا وليس من هذه الثلاث نقول ماذا ؟ : « **انقطع عمله** » إذًا نُرد عليهم بهذا النص لأنه واضحٌ بين ، وشفاعتهم لكم عمل ، وهو الآن منقطع ، إذًا لا يمكن أن يشفعوا الأنبياء الاستغاثة بهم في قبورهم وهم أموات ، لأن الحديث يصدق عليهم كما يصدق على غيرهم أنهم أموات وانقطع عملهم ، ومن العمل شفاعتهم عند الله تعالى وهي منقطعة ، هذا النص الذي استدلوا به على بعض صور الشرك التي عندهم .

ولهم شبهةٌ أخرى وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار اعترض له جبرائيل في الهواء فقال : ألك حاجة ؟ لك شيء ؟ تريد شيء ؟ فقال إبراهيم عليه السلام : أما إليك فلا . قالوا : استدلالاً بهذا النص ، فلو كانت الاستغاثة بجبرائيل شركًا لم يعرضها على إبراهيم ، وهو جبرائيل عليه السلام أمين الوحي ينزل بالتوحيد ويقع في الشرك وهم معصومون ، قالوا : لما قال جبرائيل لإبراهيم : ألك حاجة . يعني : يريد أن يغيثه طلب الغوث هو الآن في شدة ، أليس كذلك ؟ إبراهيم في شدة الآن عليه السلام سَيُلْقَى في النار . حينئذٍ : قال له جبرائيل : ألك حاجة ؟ قال له : أما إليك فلا ، ما أنكر عليه إبراهيم هذا أولاً .

وثانيًا : قالوا : جبرائيل لا يعرض شركًا البتة .

والجواب : أن هذه القصة باطلة سندًا ومتنًا ، ورواها البغوي في تفسيره سورة الأنبياء في قصة إبراهيم وغيره رواه عن كعب الأحبار بغير سندٍ . قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في ((**التوسل والوسيلة**)) : ليس له سندٌ معروف وهو باطل ، بل الذي ثبت في صحيح البخاري أن إبراهيم قال : (**حسبي الله ونعم الوكيل**) ، ما جاءه جبرائيل ولا شيء [ها ها] هذه أكذوبة . إذًا : إذا بطل النص حينئذٍ لا نحتاج إلى ردها أولاً ، لكن تَنَزُّلاً مع الخصم بتسليم أن النص ثابت حينئذٍ جبرائيل مخلوق ، لو قال له إبراهيم : نعم لي حاجة وهي أن تأخذني بأن لا ألقى في النار .

أولاً : جبرائيل حاضر مخلوق وحيّ وحاضر وسيفعل شيئًا يقدر عليه أو لا ؟

يقدر عليه ، لو قال أطفأ النار يقدر أو لا ؟

يقدر . إذًا هذه من الاستغاثة الجائزة ، لو صح الحديث لو صح الأثر حينئذٍ نقول : هذا من الاستغاثة الجائزة .
قالوا : فلو كانت الاستغاثة بجبرائيل شركًا لم يعرضها على إبراهيم ، ولأن إبراهيمَ لم ينكر على جبريل ، فالجواب : أن هذا من جنس الشبهة الأولى ، فإن جبرائيل عليه السلام عرض عليه أن ينفعه بأمرٍ يقدر عليه ، فهو حيٌّ حاضر ويسمعه إبراهيم وهو يسمع إبراهيم ، ولو سأله شيئًا حينئذٍ يكون ذلك الأمر مقدورًا لجبرائيل ، فإنه كما قال الله تعالى فيه : (**شَدِيدُ الْقُوَى**) [النجم : 5] يعني : (**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**) جبرائيل ، والقوى جمع قوة ، فلو أذن الله له لجبريل أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل فهو قادر أو لا ؟
قادر ، ولو أمره الله أن يضع إبراهيم في مكانٍ بعيدٍ لفعل ، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل . إذًا : هذه من الاستغاثة الجائزة إن ثبت أنها استغاثة ، وهذا كرجلٌ غني هذا مثالٌ محسوس ، رجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاج فيأتي هذا الغني الذي عنده مال فيقول للمحتاج فيعرض عليه أن يُقرضه أو يهبه شيئًا يقضي به حاجته ، يقول له : خذ هذا المال مشي به أمورك . وهو غني وهذا محتاج ، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر حتى يأتيه الله برزقٍ لا منة فيه لأحد ، هذا ممنوع أو جائز ؟
جائز . رجل غني عنده مال كثير ينظر لمحتاج يقول : هذا مال ، تاجر به حتى يُفتح لك وأعطني حقي . حينئذٍ قال له : ما أريد حتي يأتي الله عز وجل برزقٍ . ما فيه بأس هذا لو أغلق الباب في مثل هذه المسائل انتهى الناس ، ويصبر حتى يأتيه الله برزقٍ لا منة فيه لأحد ، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون .
إذًا هذه الشبهة غير واردة من أصلها لعدم ثبوت الأثر وهو باطل كما ذكرنا عن ابن تيمية وغيره ، ثم من جهة المتن الاستدلال به استدلال باطل لأنه من قبيل الاستغاثة الجائزة .
ثم قال المصنف رحمه الله تعالى لخاتمةٍ لهذا الكتاب قال : (**ولنختم**) كتابه نختم كتابه بذكر آيةٍ عظيمةٍ مهمةٍ تُفهم بما تقدم - يعني : سبق ذكرها بالمفهوم في المسائل السابقة ، إجابات لأنه سبق أن التوحيد ، لأنه سيذكر مسألة تعلق العمل عمل الجوارح بالقلب ما العلاقة بينهما ؟
هل يتصور الانفكاك أم لا ؟
قضية الإيمان عمل داخل في مسمى الإيمان ، وهي تقدمت بمفهومها لا بنصها ، لأنه مما سبق كنا ننكر على المشركين الفعل الظاهر ، هذا الأصل ، فلو كان التوحيد يكون تامًا بفعل القلب دون الجوارح ما أنكرنا عليهم من أصلها ، ولا وقعنا في جدال ومرار معهم ، وإنما قلنا : أن التوحيد مادام أنه قام في القلب ولا يلزم أن يكون له أثر على الجوارح انتهينا لا خلاف بيننا وبين أولئك .
ثم شروط لا إله إلا الله منها العمل بمقتضاها أو الانقياد لهذه الكلمة يعني : إذا قال : لا معبود بحقٍ إلا الله حينئذٍ يقتضي منه الانقياد ، والانقياد إنما يكون متعلقًا بالطاعة ، والطاعة إنما تكون في امتثال المأمورات واجتناب المنهيات ، وهذا إنما يكون بالجوارح وقول اللسان .
(**ولنختم الكتاب بذكر آيةٍ عظيمةٍ مهمةٍ تُفهم بما تقدم**) آيةٍ عظيمة قد يقصد به ما يذكره من الآيات أو مسألةٍ هي علامة يعني : تميز المؤمن من المنافق أو الكافر ، علامة تميز المؤمن الحق من المنافق أو الكافر ، لأن الآية علامة على الشيء عظيمةٍ مهمة ، (**ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها**) ، وهذا حق وقع غلط كبيرٍ جدًا عند المتكلمين ومن تبعهم في مسألة تعلق العمل عمل الظاهر عمل الجوارح بل وقول اللسان كذلك بالقلب .
إذًا : هذه الشبهة التي سيعقد لها هذه الخاتمة تتعلق بحكم ترك العمل بالتوحيد مع القدرة عليه ، حُكم ترك العمل بالتوحيد مع القدرة عليه ، وهذه شبهة متعلقة بالعمل ، وكل ما سبق متعلقٌ بالعلم يعني ما يتعلق بالقلب ، وهو يتضمن ماذا ؟
العمل ، لأن العلم الذي يتعلق بالقلب لا يكون علمًا صحيحًا إلا إذا ظهر أثره على الجوارح ، العلم الذي يكون في القلب من التصديق والإقرار والمعرفة بالرب جل وعلا وبالدين والشريعة .. ونحو ذلك جملةً وتفصيلاً لا يكون له أثره ولا اعتبار به إلا إذا ظهر أثره على الجوارح ، فإن لم يظهر له أثر على الجوارح فحينئذٍ هذا العلم وجوده وعدمه سواء ، لا فرق بينهم ، فنقول : لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، يعني : عمل الجوارح ، لا خلاف هذا نقلٌ لإجماع ، ومعلومٌ أن الأمة اختلفت في مفهوم الإيمان ، ولكن عند أهل السنة والجماعة قولٌ واحدٌ وقع الإجماع عليه ، حينئذٍ قول المصنف : (**لا خلاف**) لأهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة (**لا خلاف**) بين فرق الأمة ؟ لا ، وقع الخلاف المرجئة لهم تعريف والمعتزلة والخوارج والجهمية كلٌ يدلي بما عنده

، وأما أهل السنة والجماعة فلهم قولٌ واحد وإن اختلف التعبير في الدلالة على هذا القول ، يعني : منهم من عبر بكذا ، ومنهم من عبر بكذا ، واتفقت هذه الأقوال على أن التوحيد والإيمان والإسلام لا يكون معتبرًا إلا باجتماع ثلاثة أركان أو ثلاثةِ أجزاء ، وهي التي قال المصنف فيها : (**لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب**) توحيد القلب ، (**واللسان**) توحيد اللسان ، (**والعمل**) توحيد العمل توحيد الجوارح ، فهذه الأركان الثلاثة لا بد من اجتماعها ، وكما ترى أن هذا تعريف الإيمان المشهور عند أهل السنة والجماعة : اعتقادٌ بالقلب ، وقولٌ باللسان ، وعملٌ بالجوارح والأركان . اعتقادٌ بالقلب أو بالجنان ، وقولٌ باللسان ، وعملٌ بالجوارح والأركان ، هذه ثلاثة أركان ، ثلاثة أجزاء ، لا يكون الشخص مسلمًا مؤمنًا إلا إذا اجتمعت في حقه كلها الثلاث ، فإن وُجِدَ منها اثنان دون الثالث ، أو واحد دون اثنين لا يصدق عليه أنه مسلم ، ولذلك قال : (**فإن اختل شيء من هذا**) هذه الأجزاء الثلاثة المذكورة (**لم يكن الرجل مسلماً**) . يعني : لا يُحكم عليه بأنه مسلم لماذا ؟ لانتفاء ركنٍ من أركان الإيمان . إذًا : اعتقادٌ بالقلب ، وقولٌ باللسان ، وعملٌ بالجوارح والأركان . هذا ما تضمنه تعريف الأركان ، والمصنف هنا لم يعبر بالإيمان لأن المقام هنا مقام ذكر ما يتعلق بالتوحيد ، وذكرنا فيما سبق أن هذه الألفاظ الشرعية : التوحيد ، والإسلام ، والإيمان والتقوى ، وطاعة الله تعالى ، وطاعة رسوله ﷺ ، والإحسان كلها إذا أُفرد واحدٌ منها دخل فيه جميع الدين كل أفراد الدين . حينئذٍ صار الإيمان مرادفًا للإسلام مرادفًا للإحسان مرادفًا للتقوى مرادفًا للطاعة لطاعة الرب جل وعلا ونحو ذلك فهي مترادفة ، فحينئذٍ ذكر التوحيد هنا لا يلزم منه أن يكون للتوحيد تعريف ، وللإيمان تعريف آخر بل هو داخلٌ فيه . إذًا : هذه ثلاثة أركان .

الأول : قول القلب وعمله . قول القلب وعمله ، فأما قول القلب ، قول القلب ، القلب له قول وله عمل ، واللسان له عمل . وهل له قولٌ أو لا ؟ الظاهر لا ليس له قول لأنه هو قول ، فإن سمي عمل وإنما وقع خلاف هل يطلق عليه أنه فعلٌ أو لا والجوارح لا شك أنها عمل .

إذًا : القلب له قول وله عمل . ما قوله وما عمله ؟

فأما قول القلب فهو التصديق والعلم والمعرفة والاعتقاد . كلها متقاربة لكن هذا شيءٌ يكون في القلب . العلم محله القلب ، والمعرفة محلها القلب ، وكذلك الاعتقاد قلنا : افتعال من العقد وهو الجزم ومحله يكون في القلب . إذًا : هذه أطلق عليها أهل العلم بأنها قول ، قيل : من باب الاصطلاح ، ليقابل قول اللسان ، ولذلك سيأتي قول ابن تيمية : ما يقال له قول القلب ، فإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأركان ، إذا زال تصديق القلب يعني لم يكن مصدقًا بالشرع لم ، يكن مصدقًا بالنبي ﷺ ، لم يكن مصدقًا بأن هذا قرآن من عند الله ، لم يكن مصدقًا بالفرائض والأركان ، لا تنفع بقية الأركان لا عمل القلب ، ولا قول اللسان ، ولا عمل الجوارح .

وأما عمل القلب فهو : الإخلاص والحب والخوف والرجاء والتعظيم وغير ذلك من أعمال القلوب ، كل أعمال القلوب السابقة التي مرت معنا وخاصةً الأصول الثلاثة فهي داخلةٌ في عمل القلب . وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق زال عمل القلب مع وجود قول القلب . يعني : عندنا شيئان ، أمران . قول القلب وهو التصديق أن يكون مصدقًا بالشريعة . عمل القلب الإخلاص والمحبة ونحو ذلك . إذا زال عمل القلب لم يوجد ، ووُجِدَ التصديق بإجماع أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزول ، لا خلاف بين أهل السنة والجماعة أنه إذا وُجِدَ قول القلب وهو التصديق ومعرفة الرب جل وعلا ومعرفة رسوله ﷺ ، واعتقاد أنهما حق مع انتفاء وعدم وجود عمل القلب من المحبة والخوف والرجاء والإخلاص والتوكل والخشية والإنابة أنه ليس بمسلم لزوال ركنٍ من أركان الإيمان ، وهو عمل القلب ، وهذا التصديق وجوده كعدمه لأنه علم ، وقلنا : العلم إذا لم يثمر العمل سواءً كان في الجوارح أو عمل القلب فوجوده وعدمه سواء ، لا بد أن يثمر وإن لم يثمر فلا أثر له ، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فبإجماع أهل السنة والجماعة على زوال الإيمان ، إجماع على زوال وانتفاء الإيمان ، فلا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب . يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى مبينًا ذلك : إن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب . أصله الذي يكون في القلب ، وابن تيمية رحمه الله تعالى دائمًا يعبر بمثل هذا يظن الظان أن ابن تيمية رحمه الله تعالى يرى أن عمل الجوارح ليس داخل في مسمى الإيمان لكن هذا ليس الأمر كذلك ، لأنه ينص في مواضع كثيرة أن الإيمان إذا أطلق في الكتاب والسنة إنما يشمل الأعمال وهي داخلةٌ فيه كدخول القول وعمل القلب ، حينئذٍ يفسر كلامه بكلام في مواضع أُخر . ثم لا شك أن الإيمان له أصل وفرع ، ولا يُعْنَى بالفرع هنا ما يمكن الاستغناء عنه ، لا ، قد يكون في عدم الاستغناء عن الفرع كعدم الاستغناء عن الأصل ، لا شك في هذا فإذا عبر عن القلب أنه أصل وعمل الجوارح فرع ، ليس معنى هذا أنه فرع كفرع الشجرة ونطبق التعاريف التي تكون في أصول الفقه أنه ما يمكن أن يزال ويستغنى

عنه . نقول : لا ، النبي ﷺ قال : « **ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله** » . هذا هو الأصلية والفرعية ، أن الثاني تابعٌ للأول وجوده بوجود الأول ، لا يمكن أنٍ يوجد الثاني مع انتفاء الأول ، ولا يمكن أن يُدَّعى وجود الأول وهو عمل القلب مع انتفاء الثاني . هذا المراد . إذًا : قوله رحمه الله : إن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب ليس المراد منه أن الأعمال ليست داخل في مسمى الإيمان ؟ لا ، ليس كذلك ، ولا بد فيه من شيئين : تصديقٌ بالقلب ، وإقراره ومعرفته . لا بد أن يقر وهذا عمل والتصديقٌ بالقلب وإقراره ومعرفته - يعني : ومعرفته بالرب جل وعلا وبالرسول ﷺ - ويقال لهذا قول القلب ، هذا فيه بيان أن إطلاق قول القلب على التصديق فيه نوع تجوز ، ولذلك قال : ويقال لهذا التصديق والإقرار قول القلب . قال الجنيد بن محمد : التوحيد وقول القلب ، التوحيد - يعني : اعتقاد وحدانية الرب جل وعلا - ليس التوحيد بالمفهوم الذي ذكره المصنف هنا ، وإنما التوحيد يعني : اعتقاد وحدانية الرب جل وعلا تصديقٌ بأن الله تعالى واحدٌ قول القلب ، والتوكل عمل القلب ، فلا بد فيه من قول القلب وعمله ، اجتماع الأمرين ، ثم قول البدن وعمله . قول البدن وعمل ، يعني : إقرارٌ باللسان ، وعمله يعني : بالجوارح ، ولا بد فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله ، وحب ما يحبه الله ورسوله ، وبغض ما يبغضه الله ورسوله ، وإخلاص العمل لله وحده ، وتوكل القلب على الله وحده ، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان يعني : بعضًا وجزءً من الإيمان يفوت الإيمان بفواتها .

إذًا : عمل القلب وقول القلب أصلٌ في الإيمان .

ثانيًا الركن الثاني : قول اللسان ، والمراد به النطق بالشهادتين قول لا إله إلا الله والإقرار بلوازمهما ، يقول ابن حزمٍ رحمه الله تعالى : من اعتقد الإيمان بقلبه . يعني : جاء بماذا ؟

...

بالتصديق ، ولم ينطق بلسانه دون تقيةٍ . تقية يعني يقصد به المكرة فهو كافرٌ عند الله تعالى وعند المسلمين . إذا اعتقد بقلبه صدّق ، ولكن لم ينطق بلسانه فهو كافرٌ عند الله تعالى وعند المسلمين ، يعني : هذا حكايةٌ للإجماع ، ذكره في ((**المحلى**)) - الجزء الأول ، صفحة 50 .

ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : " من لم يصدّق بلسانه مع القدرة لا يسمى في لغة القوم مؤمنًا ، كما اتفق على ذلك سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان " . إذًا لا بد من قول اللسان ، لا كما قال من الجهمية ونحوهم نقول : هذا لا عبرة بهم ، إذا وقع الإجماع على ذلك ودلت النصوص على ذلك فحينئذٍ لا عبرة بهم ، ولذلك قال تعالى : (**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا**) [الحجرات : 14] (**قَالَتِ الْأَعْرَابُ**) ، (**قَالَتِ**) القول إنما يكون بماذا ؟ باللسان (**قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا**) لأنهم ذكروا أو أتوا بالشهادتين .

ثالثًا : عمل الجوارح هذا قلنا : محل إجماعٍ ووفاقٍ بين السلف أنه داخلٌ في مسمى الإيمان ، لكن يقع خلاف في التعبير عنه ، هل نقول هو ركنٌ أم شرط صحة ؟ الخلاف المنبني على هذا خلاف لفظي فقط ، لأن كلاً من الفرقتين من قال : بأنه شرط صحة أو أنه ركنٌ قال : بأن انتفاء العمل ينبني عليه انتفاء الإيمان . إذًا : لا نتيجة حكمية لا في الدنيا ولا في الآخرة ولا ثمرة لهذا الخلاف في الدنيا ولا في الآخرة تنبني عليه ، وسواءٌ قلنا شرط صحة أو ركنٌ حينئذٍ نقول : ليس بمؤمنٍ وليس بمسلمٍ في الدنيا ، وإذا كان كذلك حينئذٍ حكمنا عليه بنقيض الإيمان وهو : الكفر ، ، والصواب أن يعبر بأنه ركن ، لأن هذا ظاهر النصوص وظاهر كلام السلف ، قالوا الإيمان قولٌ وعمل وإذا كان كذلك فالشرط إذ كان المراد به الحقيقة الأصولية حينئذٍ يكون خارجًا ولو كان لازمًا ، يعني : الصلاة لا تصح إلا بالطهارة إذًا صحة الصلاة مبنيةٌ على وجود الطهارة ، هل تصح الصلاة بدون طهارة ؟ لا . هل تصح الصلاة بدون طهارة مع القدرة عليها ؟ لا .

حينئذٍ نقول : هل يوجد الإيمان بدون عمل جوارح ؟ لا ، هل . الطهارة داخلة في مسمى الصلاة ؟ لا . هل العمل داخلٌ في مسمى الإيمان ؟ إذا قلنا : بأنه شرط ؟ نقول : لا ، والصواب أن نقول : هو داخل . إذًا : الخلاف لفظي بين من قال : إن العمل الظاهر ركنٌ ، وهذا أصح وهو أدق وأولى وهو ظاهر تعبيرات السلف ، وبين من قال شرط صحة .

ثالثًا : عمل الجوارح : أعمال الجوارح تابعةٌ لأعمال القلوب ولازمةٌ لها ، هذا مراد من عبر بأنه فرع كابن تيمية في غير موضعٍ ، وكذلك ابن القيم بأن عمل الجوارح فرع ، وعمل القلب وإقرار القلب وتصديقه أصل . حينئذٍ : نقول ما المراد ؟ المراد أن أعمال الجوارح تابعةٌ لأعمال القلوب ولازمةٌ لها ، لازمةٌ لها ، فالقلب إذا كان فيه معرفةٌ

وإرادةٌ صار ذلك إلى البدن بالضرورة ، إذا وُجِدَ فيه محبة الله عز وجل مصدق بالقرآن مصدق بالرب جل وعلا مصدق بالنبي ﷺ ، بالبعث ، بالقبر ووُجِدَ فيه الإخلاص والمحبة والخشية والإنابة ، ثم لا يركع لله عز وجل ولا يصوم ولا يحج ، ولا يتقرب إلى الرب سبحانه بأي عملٍ ظاهر ، هل هذا يتصور ؟ ما يمكن . كيف يقول : أنا مخلص لله عز وجل كمال الإخلاص ومحب لله عز وجل كمال المحبة ثم نقول : العمل ليس بلازم . هذا : دلّ - يعني ترك العمل الظاهر دلّ على أن دعوى الإخلاص كذب ، وعلى أن دعوى المحبة والخوف والخشية كذب ، لا وجود لها . وإذا كان كذلك حينئذٍ : انتفى عمل القلب فصار فيه جهتان تدل على أنه ليس بمسلمٍ ، فالقلب إذا كان فيه معرفةٌ وإرادة صار ذلك إلى البدن بالضرورة ، لا يمكن أن يختلف بدن عما يريده القلب ولهذا قال ﷺ في الحديث الصحيح : « **أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّه ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب** » . وهذا فيه نص واضح بين على التلازم بين الظاهر والباطن ، تلازم وجودًا وعدمًا واضح هذا ، الحديث هذا يدل على التلازم بين الظاهر والباطن لا يمكن أن يوجد الظاهر مع انتفاء الباطن ، ولا يمكن أن يوجد الباطن مع انتفاء الظاهر إذا انتفى الظاهر دل على أن الباطن منتفٍ قطعًا ، إذا لم يركع لله عز وجل ركعة أو يسجد سجدة ولم يصم ولم يصلِّ ولم يحج ولم يزكِّ دل على انتفاء عمل القلب من أصله ، فلا إخلاص ولا محبة ولا خوف ولا رجاء ولا خشية ولا غير ذلك من أعمال القلوب ، وهذا كما ذكرناه بالإجماع أنه إذا زال عمل القلب زال الإيمان عند أهل السنة والجماعة ، ولم يقل : بأن الإيمان هو المعرفة فقط إلا الجهم بن صفوان وهذا باطلٌ ، فإذا كان القلب صالحًا بما فيه من الإيمان علمًا وعملاً قلبيًا لزم ضرورةً صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق كما قال أئمة الحديث : قولٌ وعمل هذا مختصر بعضهم قال : قولٌ وعمل ونية . قولٌ وعمل ، ما المراد بقولٍ وعمل ؟ فسره ابن تيمية بقوله : قولٌ باطنٌ وظاهر وعملٌ باطنٌ وظاهر . إذًا قول السلف في تعريف الإيمان قولٌ وعمل : قولٌ باطن وظاهر - يعني : التصديق والشهادتان ، عملٌ ، عملٌ باطن الإخلاص والمحبة عمل قلب وعملٌ ظاهر هذا مرادهم ، فإذا أطلقوا مراد العبارة واتفقوا عليه بأن العمل داخلٌ في مسمى الإيمان كيف نخرجه ؟ فنقول : هو شرط كمال . فهذا باطلٌ من أصله .

قولٌ وعمل . قولٌ باطنٌ وظاهر ، وعملٌ باطنٌ وظاهر ، والظاهر تابعٌ للباطن لازمٌ له متى صلح الباطن صلح الظاهر ، صَلَحَ صَلُحَ فيه وجهان ، وإذا فَسَدَ ، فَسَدَ هكذا قال ابن تيمية رحمه الله تعالى تبعًا للحديث ، وعدم الأعمال الظاهرة الجوارح يستلزم نفي الإيمان الباطن ، عندنا إيمانٌ باطن وإيمانٌ ظاهر ، إيمانٌ باطن هو قول القلب وعمله ، وإيمانٌ ظاهر هو قول اللسان وعمل الجوارح . قلنا : عدم الأعمال الظاهرة بأن الذي في القلب ما نطلع عليه ، لكن نستدل عليه بالظاهر ، نستدل عليه بما يظهر منه ، عدم الأعمال الظاهرة يستلزم نفي الإيمان الباطن ، ولهذا ينفي الرب جل وعلا الإيمان عمن انتفت عنه لوازمه ، فإن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم . أين اللازم ؟ أنتم معي أو لا ؟

نحن نقرر عقيدة السلف ما ذكرنا أقوال المبتدعة ولا أدلتهم ، عقيدة السلف أن العمل لازم الظاهر ، والذي في القلب ملزوم ، انتفاء اللازم الظاهر يدل على أو يستلزم انتفاء الملزوم ، فإن انتفاء اللازم الذي هو العمل الظاهر يقتضي انتفاء الملزوم كقوله : (**وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله**) [المائدة : 81] (**وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ**) إذًا : لا يؤمنون ، هذا نفي (**وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء**) . وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد كلامٍ طويل ذكرنا شيئًا منه : وقد تبين أن لفظ الإيمان حيث أطلق في الكتاب والسنة دخلت فيه الأعمال . إذًا له حقيقة شرعية . وقال أيضًا موضعٍ آخر : ولهذا كان القول إن الإيمان قولٌ وعمل عند أهل السنة ومن شعائر السنة . من شعائر السنة ولهذا كان القول إن الإيمان قول وعمل هذا التعبير وهذا الاعتقاد بأن العمل داخل في مسمى الإيمان وأنه ركن صار هذا القول عند أهل السنة يعني خاصًا بهم أهل السنة والجماعة ، ولا يشمل المرجئة ، ولا الجهمية ، ولا الخوارج ، ولا المعتزلة ، ومن شعائر السنة يعني : مما يدل على أن صاحبهم من أهل السنة إذا قال بأنه قولٌ وعمل ، وإذا قال : بأن العمل ليس داخل في مسمى الإيمان لم يكن من أهل السنة البتة ، وحكا غير واحد الإجماع على ذلك ، غير واحد حكا الإجماع على ذلك ، وقد ذكرنا عن الشافعي ما ذكره من الإجماع على ذلك قوله : في ((**الأم**)) ، إيش الأم أو الأب ؟ كتاب ، قوله في ((**الأم**)) - هذا الشافعي رحمه الله تعالى : وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن أدركناهم يقولون : الإيمان قولٌ وعمل ونية . الإيمان قولٌ وعمل ونية ، نية هذا داخل في عمل القلب ، لا يُجْزِئُ واحد من من الثلاثة إلا بالآخر ، حينئذٍ هذا النص الذي حكاه الشافعي إذا قال : لا

يُجْزِئُ واحد من هذه الثلاثة إلا بالآخر يدل على أن العمل شرط كمال أو ركن ، ركن لأنه لو كان شرط كمال لأجزأ قولَ القلب وقولَ اللسان عن العمل الظاهر ، وهو يقول : لا يُجْزِئُ واحد دون الآخر إلا مع قرينه ، حينئذٍ نقول العملِ ركن وداخل في مسمى الإيمان .

إذًا قول المصنف هنا (**لا خلاف**) يعني : عند أهل السنة والجماعة ، وهو الذي ذكرناه من عقيدة أهل السنة والجماعة ، وأما النظر في أقوال المبتدعة وأدلتهم هذا قد يأتينا إن شاء الله في محله في ((**الواسطية**)) لا خلاف عند أهل السنة والجماعة أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، إذًا قسم المصنف هنا التوحيد باعتبار محله إلى ثلاثة أقسام :

الأول : توحيد القلب ، وهذا أهم الأقسام وأعظمها ولا يسقط أبدًا ، لا يتصور العقل أن هذا يسقط ، لأنه لا يدخله إكراه ولا عذر أبدًا ، ولذلك قال : (**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**) [النحل : 106] أكره على ماذا ؟ إذا استثنى القلب ماذا بقي ؟ القول والعمل ، إذًا يمكن أن يقع الإكراه في القول في اللسان #1.03.16 القرآن أُكْرِه ففعله يكون معذورًا ، بشرط أن يكون الإكراه ملجئًا سواء قول القلب وهو التصديق والإقرار أو عمل القلب وهو الإخلاص والمحبة والخوف الخشية .. إلى آخره ، وعمل القلب أكثر من قوله : أليس كذلك ؟ أيهما أكثر ؟ عمل القلب أكثر .

الثاني : توحيد اللسان ، وهو قول : لا إله إلا الله ، وهو فرضٌ لا يسقط ولا يعذر فيه إلا بالإكراه .

الثالث : توحيد الجوارح وهو العمل بلا إله إلا الله كالتوجه إلى الله تعالى وحده والاستغاثة به وحده والذبح لله وحده ، هذا من عمل الجوارح .

قال هنا : (**فإن اختل شئ من هذا لم يكن الرجل مسلمًا**) . قال : (**مسلمًا**) ولم يقل مؤمنًا ، لماذا ؟

هل هو مقصود أم لا ؟

وما وجه القصد ؟

هل لديكم أقوال أخرى ؟ لم يقل لم يكن الرجل مسلمًا دفعًا للإيهام لأنه إذا قال : لم يكن مؤمنًا قد يقال بأنه موافق لآية الحجرات (**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا**) [الحجرات : 14] ماذا قال الله تعالى : (**لَّمْ تُؤْمِنُوا**) نفى عنهم الإيمان ، هل نفي الإيمان يستلزم نفي الإسلام ؟ لا ، ولذلك قال : (**وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا**) إذًا (**لم يكن الرجل مسلمًا**) لم يكن مؤمنًا دفعًا للإيهام ، لئلا يستدل مستدل بآية الحجرات فيثبت له الإسلام مع انتفاء الإيمان ، نقول هذا باطل ، لو قال : لو لم يكن الرجل مؤمنًا ، حينئذٍ يحتمل أنه بقي على إسلامه للنص . (**فإن عرف التوحيد**) هذا شروع من المصنف بعد تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو أراد أن يقرر الحق أولاً ، ثم قسم الناس باعتبار العمل بالتوحيد أن الكلام في العمل القسم الأول قال : (**فإن عرف التوحيد ولم يعملْ به**) ، (**يعملْ**) بالإسكان (**فإن عرف**) محل المعرفة تكون في القلب ، (**فإن عرف التوحيد ولم يعمل به**) المنفي هنا عمل اللسان والجوارح ، إذًا عرف بقلبه أن التوحيد حقٌّ ، وأن الله واحدٌ أحد لا شريك له ، وأنه هو المستحق للعبادة دون ما سواه ، أقر بهذا ، فجاء بقول واعتقاد القلب وهو المعرفة (**ولم يعمل به**) يعني : لم يأت بعمل اللسان والجوارح وعمل القلب ، ما حكمه ؟ هذا القسم الأول ، عرف التوحيد ولم يعمل به ما حكمه ؟

...

مطلقًا . ما هو المانع ؟ [أحسنت] . إذًا قوله : (**فإن عرف التوحيد ولم يعمل به**) هذا نوعان ، تحته قسمان .

الأول : من حكمنا بكفره .

والثاني : ما يُعنون له كما سيذكره المصنف بالمكره ، لأن المكره كما ذكرنا الرب جل وعلا لم يستثن إلا عقيدة القلب ، قال : (**وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**) إذًا عرف التوحيد ، وإنما فاته ماذا ؟ فاته قول اللسان وعمل الجوارح ، ومع ذلك حكمنا بقوله مؤمنًا ، لماذا ؟ لماذا ؟

لأن ترك العمل هنا ليس اختيارًا ، وإنما هو لتعلق الإكراه به ، ومعلوم أن المكره نوع ممن لم يتعلق به التكرير فليس مكلفًا . إذًا (**فإن عرف التوحيد ولم يعمل به**) نقول : هذا القسم الأول من أقسام الناس باعتبار العمل ، وهذا تحته قسمان غير معذور فحكمه أنه كافر مرتد عن الإسلام إن نشأ عن الإسلام .

والنوع الثاني : المكره . وسيأتي في آخر البحث .

هنا قال : (**فهو كافر**) هذا نوع من هذا القسم وهو المعاند (**فهو كافر**) معاند لأنه مستكبر ، ومَثَّلَ بفرعون وإبليس وأمثالهما ، إبليس يعرف التوحيد ؟ نعم يعرف ، ولذلك { قال : (**خَلَقْتَنِي**) [الأعراف 12] ، [ص : 76] آمن بهذا الشيء عرف أن له ربًا ، وعرف أن له هو الذي خلقه ، وعرف أنه الذي يدعوه يدعو ربه دعاه توجه إليه بالدعاء ، وقال : (**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ**) [ص : 82] قال بعض أهل العلم : هو أعلم من الجهم بن صفوان ، لأنه أثبت صفة العزة ، والجهم والمعتزلة ينفون جميع الصفات ، فهو أفقه منهم في هذه المسألة (**فَبِعِزَّتِكَ**) إذًا هو مصدق عرف التوحيد لكنه لم يعمل فَكَفَرَ ، فكُفْرُهُ حينئذٍ كُفْر إباءٍ واستكبار ، ولذلك قال تعالى : (**إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**) [البقرة : 34] ، وفرعون يعرف التوحيد ؟ يعرف ربه نعم ، ولذلك حكم الرب جل وعلا وأخبرنا بما في قلبه ، نحن ما ندَّعِي شيء من عندنا (**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً**) [النمل: 14] استكبارًا ، إذًا هذا إبليس وفرعون وأمثالهما ممن عرفوا الحق وعاندوا تركوا الامتثال هؤلاء كفار ، مع معرفتهم بالحق والتصديق الذي قام بالقلب لم يشفع لهم في الخروج عن دائرة الإسلام ، إن كانوا في الأصل مسلمين ، لماذا لأن ترك العمل هنا إنما كان إباءً واستكبارًا ، ولذلك قال المصنف : (**فهو كافر معاند**) فقوله : (**فرعون وإبليس وأمثالهما**) . وهذا هو الكفر الإباء والاستكبار قال تعالى : (**إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**) ، (**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً**) . قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : كفر إبليس وفرعون واليهود ونحوهم لم يكن أصله من جهة عدم التصديق والعلم . يعني : ليس لانتفاء الركن الأول ، وهو اتخاذ القلب ، ليس من جهة الركن الأول ، كفر إبليس ومن ذُكِر لم يكن أصله من جهة عده التصديق والعلم ، فإن إبليس لم يخبره أحد بخبرٍ بل أمره الله عز وجل بالسجود لآدم فأبى واستكبر وكان من الكافرين ، فكفره بالإباء والاستكبار الذي عبّر عنه المصنف بالمعاندة وما يتبع ذلك لا لأجل تكذيبٍ ، وكذلك فرعون وقومه (**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً**) فهؤلاء كفروا بعد علمٍ ، وهم الذين يعبّر عنهم كثيرًا في القرآن بالمستكبرين ، فكفرهم كفر إباء واستكبار ، وأكثر كفر الخلق على هذا النوع لكنه ليس خاصًا به ، قد ذكرنا فيما سبق أن ثم نوعًا ثانيًا وهو كفر الإعراض ، والإعراض قد يكون إعراضًا بعد علم وقد يكون قبل علمٍ ، أو يكون عن علم ، (**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ**) [الأنبياء : 24] .

إذًا العلم الذي قام في قلوبهم إبليس ونحوه هذا نقول : لا يكفي في إثبات الإسلام لهم البتة ، لماذا ؟ لانتفاء ما يترتب عليه ، وهو ثمرته ، وهو عمل القلب وعمل الجوارح ، فلما انْتَفَيَا حينئذٍ صار هذا العلم وجوده وعدمه سواء . إذًا فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهم ، وهذا يغلط فيه كثير من الناس ، يقولون هذا حق يعتقدون يعني الناس الذين أدركهم المصنف رحمه الله تعالى ممن عرفوا التوحيد ولم يتركوا شرك أقروا بأن التوحيد هو الحق وأن ما جاء به محمد بن عبد الوهاب هو الذي جاءت به الشريعة ، وهو الذي أقام النبي ﷺ عليه الملة ، ولكن قالوا : هذا حقٌ ونحن نفهم هذا يعني : دلالة التوحيد ، ونشهد أنه الحق ، ولكن لا نقدر أن نفعله ، يعني : اعتذروا بأعذار واهية وباطلة في عدم العمل في بما وَقَرَ في قلوبهم من الحق ، وهذا موافق للقسم السابق أو مخالف ؟ موافق أو مخالف ؟ موافق في النتيجة وهو ترك العمل ، لكن السبب لا ، هناك العناد الإباء الاستكبار ، وهنا لا لم يستكبروا ولم يعاندوا ، وإنما ذكر أعذارًا واهية ، يظنون أنها يمكن أن تشفع لهم في ترك العمل بالتوحيد ، ولذلك قال : (**ولكن لا نقدر أن نفعله**) يعني : نعمل بالتوحيد (**ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم ، وغير ذلك من الأعذار**) إذًا هذا نوع هو داخل تحت النوع السابق لكن جهة عدم عملهم بالتوحيد ليس هي الجهة السابقة ، فالأولى العناد والاستكبار والإباء ، وهنا الاعتذار بأعذار واهية وهي باطلة . إذًا قوله : (**وهذا يغلط فيه كثير من الناس**) . هذا شروع في من ترك العمل بالتوحيد وليس له عذر صحيح ، وهو النوع الثاني من القسم الأول من أقسام الناس . يقولون : (**هذا حق ونحن نفهم هذا**) يعني : الذي ذكره الشيخ رحمه الله تعالى من دلالة التوحيد لا معبود بحق إلا الله ، وأن التوجه بالعبادة للمقبورين الأولياء هذا يعتبر من الشرك يعني : أقروا بها (**ولكن لا نقدر أن نفعله**) يعني : نترك الشرك فبقوا على ما هم عليه ، هل يعتبر هذا عذرًا في الكفِّ عنهم ؟ . الجواب : لا . مع معرفتهم بأن هذا حق ، ولكنهم لم يعملوا يعني : لم يعاندوا كما هو شأن الطائفة الأولى ، ولكن تركوا لعذر وهو عدم القدرة على إظهار التوحيد . (**ولا يجوز عند أهل بلدنا**) يعني : هذا الأمر ما يمشي (**لا يجوز عند أهل بلدنا**) قالوا : جاز الموضع سلكه وصار فيه يجوز جوازًا ، وأجازه خَلَّفَهُ وقَطَعَهُ وأجتاز سلك ، وجاوز الشيء إلى غيره

بمعنى أي جازه . إذًا (**ولا يجوز**) يعني : هذا الأمر لا ينفذ ولا ينفد عند أهل بلدنا ، وهو سيادة الشرك وظهور الشرك ، لأن من أراد أن يخالف ما هو الشائع هذا يرق قلبه يخاف ، لا بد أن يأتي بقوة عند سلطان ونحو ذلك ، وأما أن يخالف هكذا هذه مسألة فيها نظر عندهم (**ولا يجوز عند أهل بلدنا**) يعني : هذا لا ينقل (**إلا من وافقهم**) على ما هم عليه من الشرك وغير ذلك من الأعذار الواهية الباطلة ، هذا لا ينفعنا . قال الشيخ هنا ردًا عليه : (**ولم يدر المسكين**) يعني : الذي عرف الحق واعتذر بأنه لا يستطيع العمل بالتوحيد ، لأنه لا يمشي عند أهل بلده لقيام الشرك على سائره ولم يعرف (**المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق**) وهذه المعرفة لم تشفع لهم في إثبات الدين لهم ، بل هذه المعرفة حجة عليهم ، (**ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار**) كل من ترك حقًا فلا بد وأن عنده عذر ، سواء كان العذر يراه صوابًا من حيث الأصل أو يرآه صوابًا من حيث الفرع ، يعني : إذا لم يثبت من جهة النص ، (**ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار كما قال تعالى : (اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً) [التوبة : 9]**) (**اشْتَرَوْاْ**) [التوبة : 9] منافقون (**اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**) ، (**اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً**) وذلك أنهم نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ بأكلةٍ ، أكلةٍ أطعمهم إياها أبو سفيان ، يعني : باعوا النقض تركوه من أجل أكلة ، أطعمهم دعاهم وليمة فتركوا النقض نقضوا العهد مع النبي ﷺ (**اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً**) وذلك أنهم نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ بأكلةٍ أطعمهم إياها أبو سفيان . وقال مجاهد : أطعم أبو سفيان حلفاءه فصدوا عن سبيل الله فمنعوا الناس من الدخول في دين الله . وقال ابن عباس : وذلك أن أهل الطائف أمدوهم بالأموال ليقووهم على حرب رسول الله ﷺ (**إِنَّهُمْ سَاء**) أي : بأس (**مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**) وغير ذلك من الآيات ، كقوله : (**يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ**) [البقرة : 146] يعني : قوله تعالى : في سورة البقرة (**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ**) من هم ؟ يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه (**يَعْرِفُونَهُ**) الضمير يعود على النبي ﷺ يعرفون محمد ﷺ (**كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ**) يعني من بين الصبيان ولو لم يروه قبل ، يميزونه عن غيره بما علموه من سماته في التوراة والإنجيل ، ولذلك قال هنا بعضهم (**يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ**) ولم يقل كما يعرفون أنفسهم ، هل معرفة الإنسان بابنه أكثر وأشد من معرفته بنفسه ؟

ما الحكمة هنا ؟ (**يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ**) ولم يقل أنفسهم ؟

[نعم] إذا كان المقصود المعرفة من حيث الأصل وهو أبوه وإن كان من حيث الظاهر فحفظ شكله وهيأته أكثر من حفظ هيئة وشكله هو ، ولا شك في هذا ولذلك عبر المفسرون (**يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ**) من بين الصبيان ، هكذا عبر البغوي وغيره (**وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ**) يعني : صورة محمد ﷺ (**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) ، (**الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ**) [البقرة : 147] إذًا كل من ترك شيئًا لا بد وأنه استعاض عنه بشيئٍ آخر ، وهذا الشيء لا يكون مقبولاً البتة .

ثم قال رحمه الله : (**فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهرًا**) هذا صنف آخر من أقسام الناس وهو المنافق ، من (**عمل بالتوحيد عملاً ظاهرًا**) وهو : لا يفهم ولا يعتقد بقلبه فهو منافق ، يعني : من أظهر التوحيد والإسلام وترك الشرك ولكنه لم يعتقد بقلبه أن هذا هو الحق ، ولذلك عَبَّر المصنف قال : (**وهو لا يفهم**) . يفهم ماذا ؟ يفهم أصل الدين الذي يُدخله في الإسلام ، ليس المراد أنه يفهم كل الشريعة ، لا ، ليس هذا هو المطلوب ، وإنما المراد (**وهو لا يفهم**) أي : أصل الدين الذي يدخل به في الإسلام (**ولا يعتقد بقلبه**) ما يدخله في الإسلام ، وهو وحدانية الرب جل وعلا (**فهو منافق وهو شر من الكافر الخالص**) لماذا ؟

لأن الرب جل وعلا توعده بوعيد لم يجعله للكافرين ، وقال تعالى : (**(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) [النساء : 145]**) . ولم يجعل ذلك للكافر ، ثم مصيبة المسلمين بالمنافقين في الدنيا أعظم لماذا ؟

لأنه يظهر في مظهر المسلم الذي يريد صلاح الأمة ، والذي يريد أن يفيد المسلمين فإذا به يُضمر لهم في قلبه ما يكون خلاف ذلك ، فحينئذٍ المصيبة تعظم به أكثر من مصيبة المسلمين بالكافر ، يعني : ذاك عدو الظاهر واضح بين اليهود والنصارى متميزين في بلدانهم ، وهذا يعيش بين أظهر المسلمين فالفتنة به أعظم .

قال رحمه الله : (**وهذه مسألة طويلة**) . إذًا (**فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهرًا وهو لا يفهم ولا يعتقد بقلبه ، فهو منافق**) يعني : من عمل بالتوحيد ولم يفهمه أو يعتقده بقلبه فجاء بعمل اللسان والجوارح ، وتخلف عمل القلب فهو المنافق . ثم قال : (**وهذه مسألة طويلة تَبِينُ لك إذا تأملتها في ألسنة الناس**) . مسألة طويلة وهي : تعلق

العمل بالاعتقاد . وأن التوحيد لا بد فيه من الأجزاء والأركان الثلاثة السابقة ، هذه كَثُرَ فيها الكلام عند المتأخرين وأما السلف فمحل وفاق .

بقي قسم لم يذكره المصنف : **وهو من لم يعرف ولم يعمل** ، أليس كذلك ؟

قال في الصنف الأول : (**عرف التوحيد ولم يعمل به**) .

الثاني : عمل به ولم يعرفه قلبًا .

بقي قسم ثالث : من لم يعرف ولم يعمل . فليس معه شيء من القلب ولا اللسان ولا الجوارح كلها الثلاثة ، راح تندم هذا يسمى ماذا ؟

يسمى كافرًا ، والذي يعبر عنه بكفر الجهل ، كفر لا يُشترط فيه العلم ، فحينئذٍ هو كافر لأنه خال عن التوحيد ، قطعًا هذا ، لأن التوحيد وجود ، فإذا وُجِدَ بالأركان الثلاثة حينئذٍ انتفى الكفر والنفاق بحذافيره ، هذا الأصل فيه ، فإن لم يوجد لا عمل القلب ولا قول اللسان ولا عمل الجوارح والأركان هذا ما نقول إنه مسلم ، لأن العلاقة بين التوحيد وضده الشرك ، والإيمان وضده الكفر ما العلاقة ؟

تناقض التلازم وجودًا وعدمًا ، لا يمكن أن يجتمعا ، تناقض ، لا يمكن أن يجتمعا ولا يرتفعا ، فإذا لم يوجد الإيمان وُجد الكفر شاء أم أبى ، وإذا وُجد الكفر ارتفع الإيمان شاء أم أبى ، هذا لا بد منه .

إذًا من لم يعرف ولم يعمل فليس معه شيء من القلب ولا اللسان ولا الجوارح فانتفى الإيمان فثبت الكفر ، لكنه سببه الجهل ، هذا قسم ثالث ، وكل ما سبق تقريره في المقدمة هو القسم الأول ، وهو من أتى بالتوحيد وعمل به ، وهو المؤمن الخالص الذي أقر بقلبه ووُجده عنده قول القلب وعمل القلب وأقر بلسانه الشهادتين وعمل بجوارحه ، حينئذٍ تكون الأقسام أربعة ، من جمع بينهما فهو المؤمن لم يذكره المصنف لأنه معلوم مما سبق ، وإنما ذكر هذين الصنفين لعموم البلوى بهما .

ثم قال رحمه الله : (**وهذه مسألة طويلة تبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل لخوف نقص دنياه**) . هذا ذكر [لبعض الأدلة] [52] لبعض الأعذار التي تمسك بها من يترك العمل بالتوحيد ، كالعذر السابق : لا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم ، ما يستطيع أن يخالف ما عليه العشيرة ، حينئذٍ ترك العمل بالتوحيد وعمل بالشرك لأن هذا هو السائد ، إذًا هذا ذُكر لعذر آخر يستمسك به من يترك التوحيد قلنا : فيما سبق ذكر المصنف أنه ترك العمل بالتوحيد لأنه لا يقدر أن يفعله لأن بلدته وعشيرته السائد فيها هو العمل بالشرك فإذا خالفهم حينئذٍ قاموا عليه ، هنا قال : (**ترى**) . ببصرك أو تعلم (**من يعرف الحق**) وهو : التوحيد . (**ويترك العمل به**) لعلة وهي أو لعذر واهٍ وهو (**لخوف نقص**) اللام للتعليل (**لخوف نقص دنياه**) من مال وغيره ، يخاف يأخذون ماله حينئذٍ يترك العمل بالتوحيد وينادد الشرك وأهل الشرك من أجل الحفاظ على ماله ، وهل هذا عذر مقبول ؟ ليس بمقبول ، نقول : هذا عذر واهٍ . (**أو جاهه**) إذًا (**لخوف نقص دنياه**) نقول : هذا هو العذر الأول من الأعذار الواهية ، يعني : فيما استطرد فيه المصنف واجعله ثانيًا لما سبق (**أو جاهه**) جاهه المراد به المنزلة والقدر ، يعني : إذا فعلت التوحيد حينئذٍ قد تنقص مكانته في المجتمع ونحو ذلك ، وهذا العذر الثاني أو ملكه الذي امتلكه يعني : قد ينزع منه الملك ولا يكون ملكًا ونحو ذلك ، (**وترى من يعمل به ظاهرًا لا باطنًا ، فإذا سألته عما يعتقده بقلبه إذا هو لا يعرفه**) فلا يعتقد أن التوحيد هو الحق وأن غيره الذي هو الشرك هو الباطل ، مع عمله بالتوحيد ظاهرًا ، هذا كما ذكرناه هو المنافق ، وإنما أراد المصنف بإعادة هذه الجملة لزيادة أعذار تتعلق بترك التوحيد مع العذر السابق ، وهو أنه (**لخوف نقص دنياه**) من مال ونحوه (**أو جاهه**) أو مُلْكِهِ (**ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله تعالى**) من أجل أن تفهم ما هو حاله ، (**ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله تعالى أولاهما**) ما تقدم وهي قوله : (**(لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) [التوبة : 66]**) . قلنا : هذه نزلت في شأن المنافقين ، (**(قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)**) يعني : إسلامكم . فأطلق الإيمان على الإسلام هذا الظاهر ، (**فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ ، كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح**) تحققت أن بعض الصحابة - ليس الصحابة الذين ثبتت لهم الصحبة ظاهرًا وباطنًا ، وإنما كما ذكرنا سابقًا أن من أظهر الإسلام حكمنا بإسلامه ، والمنافقون قبل أن يُعلموا بحالهم فالأصل أنهم مسلمون ، وإذا كان كذلك حينئذٍ صدق عليهم حد الصحابي فهم من جملة الصحابة ، هذا المراد ، يعني : تحققت أن بعض الصحابة راجعة إلى الظاهر من حال أولئك وظاهرهم

(52) سبق .

الإسلام ـ الإسلام الحكمي وأنهم يُعَدَّوْنَ من الصحابة وإلا بعد نزول الآية علمنا أنهم منافقون طيب (**الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ ، كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب المزح تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر**) قاصدًا للكفر (**ويعمل به**) قاصدًا ويعلم أن ما هو عليه شرك ، ومع ذلك يترك التوحيد ويعمل بالشرك (**خوفًا من نقص مالٍ ، أو جاهٍ أو مداراة لأحد ، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها**) الذي يتكلم بكلمة يمزح بها فنحكم عليه بأنه كافر ، الظاهر من حاله أنه لم يقصد الكفر ، حينئذٍ أتى بكلمة يعتقد أنها ليست بكفر ، لكن ذاك الذي يعلم أن ما هو عليه من الشرك أنه باطل ويترك العمل بالتوحيد أيهما أعظم كفرًا ؟ من قال كلمة يمزح بها فكفر ، أو من فعل الشرك بحذافيره ويعلم أنه باطل أنه يفعل الشرك ، أيهما أعظم كفرًا ؟

لا شك أنه الثاني ، هذا واضح ، ولذلك فعل مقارنة بينهما الإمام هنا الذين (**كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح**) واعتذروا عنها ، مع الذي تكلم بالكفر وهو يعلم أنه كفر ، ويعمل به يعمل بالكفر والشرك ويعلم أنه شرك ، ولكن لا يريد أن يخالف أهل بلده وعشيرته ، أو يخشى من نقص مال أو جاهٍ أو مداراة لأحد أيًّا كان يعني : مراعاة لخواطرهم كما يقول البعض ، والمداراة المراد بها هنا المداهنة يعني : الذي يتنازل عن شيء من دينه من أجل كسب المصالح . نقول : هذا يسمى ماذا ؟ يسمى مداهنة ، أما المداراة أن يتنازل عن شيء من دنياه . وفرق بينهما .

(**أو مداراة لأحد ، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها**) وذلك لأن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به قصد ذلك قصد الكفر ويعلم أنه كفر ، ولكنه خاف من نقص مال وما ذُكِر ، ولكن القصد موجود دون إكراه والمستهزئ قد يقال أنه لم يقصد كفر بل يمزح ، ولذلك جاء القرآن بتكفيره (**لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**) [التوبة : 66] لأجل كلمة قالوها ، فذاك الذي يعكف عند القبور ولا يستطيع أن ينزع عنها خوف من عشيرتها ونقص ماله من باب أولى أن يكون أكفر من أولئك .

والآية الثانية قوله تعالى : (**مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ**) [النحل : 106] من لفظ عام يشمل كل من صدق عليه الكفر (**مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**) وذكر الآية التي بعدها (**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ**) [النحل : 107] (**مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ**) إلا معلوم أن الاستثناء مخصِّص ، ومعلوم أن الاستثناء معيار العموم ، طَبّق هاتين القاعدتين على النص (**مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ**) قال : (**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ**) . إذًا بين العلة وحكم عليهم بأنهم كفار لأنه قال : (**مَن كَفَرَ**) حينئذٍ صدق عليه وصف الكفر (**مِن بَعْدِ إيمَانِهِ**) من بعد ما ثبت له إسلامه (**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ**) استثنى حالة واحدة وهي الإكراه ، وسيأتي حقيقة الإكراه (**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ**) إلا من خاف على ماله أين نضعه ؟ قبل إلا أو بعد إلا ؟ قبل إلا ، لأن الاستثناء معيار العموم ، إذًا كل عذر ليس هو داخلاً في مسمى الإكراه فهو داخل في الحكم السابق الذي يسبق إلا (**مَن كَفَرَ**) فهو كافر بأي عذر اعتذر إلا من اعتذر بالإكراه ، والإكراه مقيد أيضًا بأن يكون في القول والعمل الظاهر فحسب ، وأما عقيدة القلب فلا يتصور فيها إكراه البتة لأنه لا أحد له سلطة على قلب أحد ، وإنما المطلع عليه هو الرب جل وعلا لأنه يمكن أن يقال لو اعتقد أن الله أثنين يقول : اعتقدت وهو يكذب ، نقول حينئذٍ : لقد أكره على قول الكفر أو الكذب ، ومع كون العقيدة مطمأنة في القلب الإيمان (**مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ**) استثناء فهو مخصِّص وكذلك هو معيار للعموم (**مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً**) قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في عمار ، وذكر لها قصة طويلة .

وقال مجاهد : نزلت في ناس من أهل مكة آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب رسول الله ﷺ أن هاجروا - أمروهم بالهجرة - فإن لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا ، فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش في الطريق فكفروا كارهين ، فنزلت الآية . يعني هم معذورون بالإكراه . وقال مقاتل : نزلت في جبرٍ مولى عامر بن الحضرمي أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرهًا (**وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**) ثم أسلم مولى جبر وحسن إسلامه وهاجر مع سيده (**وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً**) قال البغوي : أي : فتح صدره للكفر بالقبول واختاره . وهذا عمل قلبي فلا يقبل (**فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**) قال البغوي : " وأجمع العلماء على أن من أكره على كلمة الكفر يجوز له أن يقول بلسانه " . إذا أكره على قول الكفر كلمة الكفر قيل له سب الله تعال وإلا قتلناك حينئذٍ نقول : هذا مكره ، فيجوز له أن يفعل ما طلبوه منه ، وإذا قال : " بلسانه غير معتقدٍ لا يكون كفرًا وإن أبى أن يقول حتى يقتل كان أفضل " .

يعني : إذا جاز له (**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**) هذه رخصة من الرب جل وعلا أن يتلفظ بالكفر أو يفعل الكفر مع اطمئنان القلب هذه رخصة ، هل هي لازمة أم مجوزة ؟

فيه خلاف بين أهل العلم ، والمشهور أنه مجزوة وليست هي بالأفضل ، يعني : لا يجب عليه أن يقول كلمة الكفر أو يفعل الكفر ، بل يجوز له ذلك ، وإن أبى أمتنع أن يقول حتى يقتل كان أفضل ، كان ذلك أفضل في حقه . وقال ابن كثير في تفسير الآية : أخبر تعالى عن من كفر به بعد الإيمان والتبصر وشرح صدره بالكفر واطمأن به أنه قد غضب عليهم ، لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه . علموا ثم عدلوا لذلك قال : (**كَفَرَ**) (**بَعْدِ إيمَانِهِ**) علموا ثم ارتدوا وأن لهم عذابًا عظيمًا في الدار الآخرة لأنهم (**اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ**) وهذا تعبير أجمل مما ذكره المصنف ، لماذا ؟ لأن الله تعالى جعل عدولهم عن الإيمان إلى الكفر لأجل استحباب الحياة الدنيا على الآخرة ، فشملت أنواع لا تحصى من الأعذار ، (**ذَلِكَ**) أي : الكفر السابق لأنهم (**اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ**) يعني : قدموا كما قال تعالى : (**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**) [الأعلى : 16] لأنهم (**اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ**) فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا . ثم قال : وأما قوله : (**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**) فهو استثناء من كَفَرَ بلسانه ووافق المشركين بلفظه مُكْرَهًا لِمَا ناله من ضربٍ وأذى وقلبه يأبى ما يقول يمنع وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله . فقد روى العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ فوافقهم على ذلك مُكرهًا ، وجاء معتذرًا إلى النبي ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية . قال ابن كثير : ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له مجوزًا يجوز له أن يوالي إبقاءً لمهجته ، ويجوز له أن يأبى كما كان بلال رضي الله تعالى عنه يأبى عليهم ذلك وهم يفعلون به الأفاعيل .. إلى أن قال : .. وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري لما قال له مسيلمة الكذاب : أتشهد أن محمد رسول الله ؟ فيقول : نعم . فيقول : أتشهد أني رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع . فلم يزل يقطعه إربًا إربًا وهو ثابت على ذلك ، ما أخذ برخصة ، ما أخذ بالرخصة . ثم قال ابن كثير رحمه الله تعالى : والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه ولو أفضى إلا قتله . انتهى مختصرًا هذا كلامه رحمه الله تعالى ، لكن المكره المراد به هنا : هو من ارتفع عن التكليف . وهذا الذي يُذكر في باب أصول الفقه ذكرناه مفصلاً هناك : إن كان كالآلة لا اختيار له فغير مكلف بلا خلاف ، يعني : كيف كالآلة ؟ لو أُخِذَ وألقي من شاهق على رجل فقتلوه به صار آلة كالسكين ، حينئذٍ هذا لا يقدر على الامتناع . نقول : هذا بلا خلاف بين أهل العلم غير مكلف ، فلو مات ذاك الرجل الذي أسقط عليه وعاش هو لا نقول : عليك الدية ، لماذا ؟ لأنه لم يقتل ، لا ينتسب إليه فعلٌ أصلاً ، هو لم يفعل شيء وإنما فُعِلَ به ، كذلك لو قال : والله ما أدخل بيت زيد فأخذوه حملوه أدخلوه بيت زيد ، يحنث أو لا ؟ لا يحنث لأنه ما دخل ؟ كيف ما دخل وهو موجود في بيت زيد ؟ نقول : لا ، لا يُنسب إليه فعل البتة ، هذا ليس بفعله هو ، وإنما مرده إلى من فَعَلَ به ذلك . إذًا المكره إن كان كالآتي لا اختيار له فغير مكلف بلا خلاف ، التكليف حينئذٍ تكليف بما لا يطاق وهو ممنوع عند أهل السنة والجماعة ، وذلك كمن حُمِلَ كرهًا وأدخل إلى مكان حلف على الامتناع من دخوله ، أو ضُرِبَ به غيره حتى مات ذلك الغير ولا قدرة له على الامتناع ، هذا لا يأثم باتفاق ، محل إجماع ، ولا يترتب عليه شيء أيضًا ، وأمَا من أُكْرِهَ إكْرَاهًا دون ذلك ففيه تفصيل ، فإن كان إكراهًا على الأقوال أن يقول قولاً فالعلماء مجمعون على أن للمُكْرَهِ أن يقول القول المحرم ولا إثم عليه ، للنص الذي معنا (**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ**) هذا عام ، يشمل القول ، هو نص في قول الكفر فإذا جاز قول الكفر للإكراه فما دونه من بابٍ أولى يعني : قد يكره فيقال له قل كفرًا مثلاً سب الله تعالى ، تعالى الله حينئذٍ نقول : هذا إكراه على كلمة الكفر . لو قال : اقذف زيدًا . هذا ليس بكفر وإنما قول محرم ، حينئذٍ نقول : جاز الإكراه قول الكفر وهو أعلى حينئذٍ ما دونه يكون من باب أولى وأحرى ولحديث : " إن الله وضع عن أمة الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " . وهذا كلامه لغو في الدنيا والآخرة فلا يترتب عليه حكمٌ . إذًا القول محل وفاق ، بقي ماذا ؟ بقي الفعل ، إذا أكره على الفعل وله إرادة حينئذٍ نأتي للتفصيل ، إما أن يكون هذا الفعل متعلق بالغير أو به هو ، بالغير يعني : أقتل زيد وإلا قتلناك ، حينئذٍ لا يجوز له أن يقتل زيدًا بحجة الإكراه لماذا ؟ لأنه قدم حياته على حياته ، واضح ؟ وإذا قيل له اقتل زيد وإلا قتلناك لا يجوز أن يمتثل بحجة الإكراه ، فإن كان حقًّا لله فهو معفوٌّ عنه وما كان حقًّا للمخلوقين كقتل معصوم فلا يحل له ذلك البتة أبدًا لا يجوز . إذًا إذا كان فعلاً فإما أن يكون متعلقاً بالله أو بحق المخلوقين ، الثاني ممنوع والأول جائز معفو عنه .

وذكر ابن قدامة رحمه الله تعالى ثلاثة شروط للإكراه :

الأول : أن يكون من قادرٍ بسلطان أو تغلبٍ كاللص ونحوه . يعني : لا يكون من الأفراد ، يعني : لا بد أن يكون قادر على الفعل .

الثاني : أن يغلب على ظنه نزول الوعيد به إن لم يجبه إلى ما طلبه .

الثالث : أن يكون مما يستضر به ضررًا كثيرًا كالقتل والضرب الشديد ، يعني : لا بد أن يكون له أثر # 1.42.48.. أما يقال اقتل فلان أو قل كلمة الكفر وإلا حبسناك يوم ، قل يوم هذا ليس فيه مضرة ، حبس يوم يومين شهر ما فيه بأس ، أما إذا قيل مدى الدهر ، هذا فيه ضرر شديد ، أو ضربٌ خفيف نقول : هذا ليس بحجة ، أو ضربٌ شديد نقول هذا حينئذٍ يكون مكرهًا .

إذًا لا بد من الاستفادة بالثلاثة الشروط والكلام في المكره سبق في ((**شرح الورقات**)) .

إذًا والآية الثانية قوله : (**مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً**) قال المصنف : في تقرير هذا الآية فلم يعذر الله من هؤلاء من ؟ من هؤلاء ؟ الذين كفروا بعد إيمانهم ما عذرهم البتة ، كل من كفر بعد إيمانه لا يقبل منه عذر البتة لأن قوله : (**مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ**) لخوف نقص في المال ، لخوفٍ من العشيرة ، لمداهنة .. يشمل جميع الأعذار التي يمكن أن يعتذر بها من كفر ، ولذلك قال : (**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ**) استثنى عذرًا واحدًا فقط ، فدل على أن جميع الأعذار داخلة في ما سبق والحكم لازم له وهو الكفر ، فلم يأمر الله من هؤلاء (**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ**) مع كون قلب هذا شرط ليس كل مكره ؟ لا ، لا يقول : آمنت بما دعوني إليه بقلبي . نقول : لا يشترط فيه صحة الإعذار بالإكراه أن يكون القلب على عقيدته كما هي ، لا تتزلزل البتة لأن الإكراه لا يتصور البتة أن يكون على القلب ، مع كون (**قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**) حينئذٍ يوافقه ظاهر لا باطنًا ، وأما غير هذا يعني غير المكره فقد كفر بعد إيمانه ومهما اعتذر بأي عذر كان . سواء (**وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعله**) يعني : فعل الكفر خوفًا أو طمعًا في الدنيا في المال (**أو مداراة**) لأحد يعني : مداهنة ، يبيع من دينه يتنازل عن دينه من أجل إرضاء أحد (**أو مشحة بوطنه**) خاف يعني : بخل بخل بوطنه يعني : لا يريد الاستيلاء على وطنه مثلاً ، أو لا يريد أن يخرج لو فعل التوحيد ترك الشرك يقال له مع السلامة ، فضحى بدينه من أجل الحفاظ على الوطن ، (**أو أهله أو عشيرته أو ماله ، أو فعل على موجه المزح أو لغير ذك من الأغراض إلا المكره**) هذه الأعذار كلها داخلة في ما قبل الاستثناء لأنه استثنى عذر واحد وهو الإكراه ، فهمت ماذا ؟ عموم العذر كل من أعتذر بعذر في إظهار الكفر ولو اعتقد التوحيد في قلبه نقول : هذا العذر باطل ، ولا يُقبل إلا المكره ، فالآية تدل على هذا من جهتين :

الأولى : قوله : (**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ**) فلم يستثني إلا (**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ**) إلا المكره ، من وما بعدها بقوة المشتق .

فغير المكره من تلبس وتعلق بغرض مما سبق ذكره ، وهنا فيه استثناء وحصر فيما سبق ، ومعلوم أن الإنسان لا يُكره إلا على العمل والكلام والفعل ، لا عقيدة القلب فلا يكره عليها أحدٌ ، وهذا محل إجماع ، محل إجماع بين أهل العلم وهو أنه لا إكراه إلا على الفعل والقول ، إذًا يقع الإكراه على ثلاثة أشياء :

العمل ، قول الشرك ، عمل القلب .

هذا لو قيل له اعتقد وإلا قتلناك ، أما الإكراه على العمل كان يكره أن يسجد لغير الله ، فهذا جائز بالشروط السابقة ما هو يقول له : اسجد لغير الله وإلا سجناك يوم أو ضربناك بمسواك ونحو ذلك فيقبل ، لا ، لا يقبل منه ، لا بد أن يكون الإكراه شديدًا بحيث يتضرر منه باسمه ونحو ذلك ، أن يسجد لغير الله فهذا جائز إذا كان الإكراه ملجئًا ، وكذلك الإكراه على قول الكفر ، وأما عمل القلب وقوله فلا يتصور فيه اكراه كأنه يقول : نقتلك وإلا تبغض الدين . لا يقبل منه ، فيبغض الدين حينئذٍ انتفى عنده عمل القلب فكفر خرج من الملة ، هل يعتذر بكونه مكره ، قيل له وإلا قتلناك ، نقول : لا ، أكذب . قل : نعم أنا أبغض الدين . حينئذٍ يكون الإكراه على قول الكذب ، فلا إكراه لأنه لا يتصور أن يكون له سلطان على القلب .

الثانية : الآية التي طلب المصنف أن نتأملها وقي التابعة للآية السابقة قوله تعالى : (**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ**) [النحل : 107] انظر هذه قاعدة جامعة (**ذَلِكَ**) المشار إليه ما هو قيل الكفر وقيل العذاب ، وكلام ابن كثير السابق يدل على أنه العذاب لأنهم (**اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ**) هذا جامع لكل الأعذار السابقة ، ولا يستثنى منه إلا المكره ، وما عداه فحينئذٍ كفره لتقديم الحياة الدنيا استحبوها يعني أحبوها وتعلق بها وقدمه على الآخرة ، فصرح الرَّب جل وعلا في هذه الآية أن العذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدين أو محبة الكفر ، وإنما سببه أن له في ذلك حظًّا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين ، لأنه كما سبق معنا أن الرب إذا علّق الحكم على شيء ولو حكمنا بكون الفاعلين كفار بشيءٍ آخر دل على أن المعلّق عليه له أثر ، ولذلك في الآية السابقة (**قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**) [التوبة : 65] قلنا : الاستهزاء هنا كفر ، لماذا ؟ لأنه هم

كفار فكونه ترك التعليق على شيءٍ آخر ونص على هذا المذكور دل على أنه كفر بعينه ، هنا قال : (**ذَلِكَ**) العذاب أو الكفر بأنهم بسببهم الباء سببية (**بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآَخِرَةِ**) فعلق هنا على العذر وهو استحباب الحياة الدنيا على الآخرة ، فدخل في كل الأسباب ، فصرح أن العذاب لم يكن بسبب الاعتقاد ، مع كون اعتقادهم كفرًا وهو مرتب عليه الغضب والعذاب ، لكنه ما ذكره الرب جل وعلا ، وإنما ذكر هذه العلة ، وكذلك الجهل بالدين ، هذا محل للغضب والعذاب ، والبغض للدين ، أو محبة الكافرين هذه كلها داخلة فيما ذكرناه ، وإنما سببه أن له في ذلك حظًا من حظوظ الدنيا ، فآثره على الدين .

هذا ما يتعلق بالخاتمة التي ذكرها رحمه الله تعالى ، وأهم ما فيها أن التوحيد كالإيمان من حيث التعريف ، فلا بد من استجماع الثلاثة الأجزاء وهي اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح والأركان ، وأن عمل الجوارح والأركان داخل في مسمى الإيمان فليس خارج عنه البتة ، وليس هو شرط كمال كما يدَّعِيه المرجئة ، لماذا ؟ لأننا لو قلنا : بأنه شرط كمال للزم منه وجود القيدين أو الجزئين أو الركنين الأولين دون الثالث ، وحينئذٍ وجد الإيمان دون العمل الظاهر ، وهذا قلنا فيه إثبات لعمل القلبِ دون عمل الجوارحَ وهذا باطل . إذا وُجد عمل القلب قلنا : لا يتصور إنسان أن يقول : أنا أحب الله تعالى بجميع قلبي وأخشاه وأنيب إليه ثم لا يفعل شيئًا من الأمور الظاهرة ، هذا محال . فعدم وجود العمل الظاهر دليل على انتفاء الإخلاص والمحبة ونحو ذلك ، هذا أهم ما تعتنون به . وأما ما يتعلق بلسان المذاهب فهذا يسر الله عز وجل يأتي في محله .

ثم قال المصنف : (**والله أعلم**) رد علمه إلا الرب جل وعلا ، ونحن كذلك نقول ما ذكرناه في هذا الشرح إن أصبنا فيه فهو من الله تعالى وحده ، وما وقع فيه سهو أو نقص أو خطأ فهو من النفس والشيطان ، والله أعلم .

وصلَّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أسئلة

س : من طاف حول قبرٍ تقربًا إلى الله تعالى بماذا يحكم عليه ؟

ج : القبر طوافه هذا عبادة ، هذا عبادة ، ولها محل بعضهم صرح بأن هذه الصور أنها من البدع ، لأنه جعل ذلك القبر كالكعبة ، حينئذٍ هو عبد الرب جل وعلا ، ويكون كمن دعا الله عند قبرٍ ، وهذا ليس بظاهر والله أعلم ، بل هو شرك .

س : هل يحفظ المتن أو يفهم وجزاك الله خيرًا ؟

ج : تحفظ المقدمة التي ذكرناها المحكمات ، وأما الشبه لا داع أنك تحفظها وإنما تسردها سردًا .

س : إذا كان الأموات يسمعون حينئذٍ إذا قلت للنبي ﷺ عند قبره : يا رسول الله أشفع لي .

ج : نقول : هذا إذا سألت فاسأل الله ، وإن استعنت فاستعن بالله ، هذا مخالف عموم النصوص تدل على النهي ، سواء يسمع أو لا يسمع ، النبي ﷺ يسمع أو لا يسمع ، غيره يسمع أو لا يسمع ؟ نقول : وجودك عند القبر وسؤاله ممنوع وهو شرك ولا يجوز البتة ، ولا نقول : إنه بدعة هذا هو الشرك .

س : هل حلق اللحية صغيرة أم كبيرة ؟

الظاهر أنها من الصغائر ، لكن إذا استمر عليها تكون من الكبائر ، لأن من تشبه بقومٍ فهو منهم ، وإن جعلناه وعيدًا حينئذٍ رُتِّبَ الوعيد ، وإذ جعلناه في بيان الحكم فقط .

س : قول المصنف (لا يكره إلا على العمل والكلام و الفعل) هل الفعل هو العمل ؟

ج : المصنف في هذا الكتاب وفي غيره لا يسير سير أرباب المتون ، يعني لا يؤخذ عليه قلت كذا وقلت كذا ، وإنما يعني أن العمل سواء كان مرادفًا للفعل أو لا هو المراد هنا ، وأما ما عداه فلا يعامل كتبه كمعاملة المتون .

والله أعلم .

وصلَّ الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .